الإمام يحيى وبناء الدولة اليمنية الحديثة

١٣٣٧/ ١٩١٨ - ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م

سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين

المسماة

كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة

تأليف

المؤرخ العلامة القاضي

عبد الكريم بن أحمد مطهر

ت ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية

جامعة اليرموك

الإمام يحيى وبناء الدولة اليمنية الحديثة
١٣٣٧/١٩١٨ - ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م

سيرة الإمام
يحيى بن محمد حميد الدين

المسماة

كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة

تأليف

المؤرخ العلامة

عبد الكريم بن أحمد مطهر

ت ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م

الجزء الثاني

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية
جامعة اليرموك

الطَّبْعَة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

****

رقم التصنيف: ٩٢ر٢١٠
المؤلف ومن هو في حكمه: عبد الكريم بن أحمد مطهر
: تحقيق د. محمد عيسى صالحية
عنوان الكتاب: سيرة الامام يحيى بن محمد حميد الدين المسماه كتيبة الحكمة من سيرة امام الامة
الموضوع الرئيسي: ١ـ الديانات
٢ـ العلماء المسلمون ـ تراجم
رقم الإيداع: (١٥٦٨/١٠/١٩٩٧)
بيانات النشر: عمان: دار البشير

* تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر(١/١٢٣٩/١٠/١٩٩٧)



مركز جوهرة القدس التجاري ـ العبدلي ـ هاتف: ٦٥٩٨٩١/٦٥٩٨٩٢ ـ فاكس: ٦٥٩٨٩٣
تلكس: ٢٣٧٠٨ بشير ـ ص.ب: ١٨٢٠٧٧ / ١٨٣٩٨٢ـ عمان ١١١١٨ الأردن

Dar Al-Bashir
For Publishing & Distribution

Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali - Tel: 659891 / 659892 - Fax: (659893)
Tlx. (23708) Bashir - P.O.Box. (182077) -(183982) - Amman 11118 Jordan

كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة أمير المؤمنين

وسيد المسلمين ودرة تاج الأئمة

الهادين مولانا الإمام

المتوكل على الله المعين

أبي أحمد يحيى

بن

الإمام المنصور بالله رب العالمين محمد بن يحيى حميد الدين ضاعف الله أيامه

وأدام سلطانه وسلامه جمع الفقير إلى عفو باريه

وغفرانه احقر خُدّامه عبدالكريم بن أحمد

بن عبدالله مطهَّر ستَرَ الله عيوبه

ومحى ذنوبه وملأ من

زلال العفو

ذنوبه

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

/ بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم / ١

الحمدُ للهِ الذي يسَّرَ بمواهبِ العقولِ فتحَ كنوزِ الاعتبارِ والمكنونِ، وأنشقَ النفوسَ الزاكيةَ من أرَجِ النظرِ الصحيحِ نفحاتِ اليقينِ المصون، وأرشدَ بوحيه المتلوِّ إلى ما في التفكُّرِ في الكائناتِ من العلمِ المخزونِ، وتتويجِ المداركِ الإنسانيةِ بإكليلِ الوقوفِ على سنةِ الله، التي قد خلَتْ في عبادِه، وبمثلِها يتحلّى العارفون، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه، لا شريكَ له، شهادةً تكفلُ بالنجاةِ حينَ يخسرُ المبطلون، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الشافعُ المشفّعُ الأمينُ المأمون، صلى اللهُ وسلّم عليه صلاةً وسلاماً يحدو بهما حادي الاعتراف بالقصور، وإن كنتُ لا أرضى بالدون، ويتضاعفُ تعدادُهما بمقدارِ ما تتعدَّدُ إليه الأحيانُ والأيام والسنون، وعلى آلِه قرناءِ وحيِه، وأكرِمْ به وبهمْ من قرناءَ ومقرون، ورضي اللهُ عن صحابتِه الراشدين الذين جاهدوا في سبيلِه إلى أن أتاهم ريبُ المنون، وبعد،

فإنه لمّا كان التاريخُ ديوانَ العِبَرِ ومطمَح أنظار ذوي الفِكر، ومسرحاً للتجارب العديدة وآلةً لتثقيف العقولِ بمعرفةِ الآراء السديدة، رَفَعَتْهُ النفوس إلى ما لا يخفى من عظمِ المكانة، ووَجَدَتْهُ خيرَ كفيلٍ بسردِ أخبارِ العصورِ على شريطةِ الأمانة، وإنما المرءُ حديثٌ بعده، إذا انقضت المدةُ. وفي كلٍ من الأخبارِ عظاتٌ، والمنقولُ من السّيرِ الحسنةِ وضدِّها يستوي في إفادةِ تلك الغايات، وكفى بكتابِ اللهِ مرشداً فيما قصّ علينا من الأخبارِ وأردفها بوجوبِ التأملِ بمصداقِ، فاعتبروا يا أولي الأبصار، ولا يكونُ التدوينُ كافلاً بنصبِ هذه الموازينِ إلاّ إذا خلصَ من أدرانِ الاختراع، وثبتَ على أساسِ البراهين، وإلا

كـان من الأفكِ المذموم، والتضليلِ المشَـوم، وأين مـرتبةُ الكـذبِ الصُّراحِ من الصـدقِ الوضَّـاح، ولم تَزلْ أيـادي مَنْ سلَفَ من أعـلامِ العلماءِ ومَهَرَةِ الأُدبـاءِ تسدي إلينـا من أحاديث سِيَرِ الأئمـةِ الراشدين من أهـلِ البيت النبوي عليهم السـلامَ، ومعاصريهم مـا تشَنَّفُ به المسـامعُ وتستلـذُّه الأفواهُ، وتـردِّده الألسنُ استحساناً كلما مرت ذكراه: - الطويل -

اعِدْ ذكرَ نعمانٍ لنا إنّ ذِكْرَهُ هو المسكُ ما كرَّرْتَه يتضوَّعُ

لا جـرمَ، كـانَ من الحسنِ المقبـول، أن يحذوَ الخَلَفُ حـذوَهم فيما تلقى بالقبول.

وفي العصورِ الأخيرة مـن حوادثِ الـزمان. مـا يربـو على العصورِ السـالفةِ لـدى الإمعانِ. ولا سيما عصرٌ من نظمَ اللهُ بـه شتـاتَ المسلمين وعمَّر بسعـودِه الخارقـةِ معالمَ الـدين وأقامَ بسطـوتـه القاهـرةِ أساطينَ/ شرعـهِ المبين، وحفظ بعزائمِه الصـادقةِ ثغورَ المؤمنين، تاجُ هام الأئمة الأكـرمين، والشمسُ الساطعةُ في فلكِ الآلِ الميامين، المتقـدمُ رتبةً وإن تأخـر عصراً، والقائمُ بما استعصى على غيره من الأئمة الجهـابذةِ عدلاً وذُخراً، والممنـوحُ من عنايةِ الباري -سبحـانه- بخوارقِ الأسعـافِ وغرائبِ العجائب، ولطائفِ الاتحافِ، مـولانا أميرُ المؤمنين وسيد المسلمين، وفـذلكةُ تعـدادِ الأئمةِ الهادين، إمـامُ الزمـان، وحجةُ اللهِ النيرةُ بهذا الأوان، المتوكلُ على اللهِ المعين[١] يحيى[٢] بنُ أميرِ المؤمنين المنصـورُ بالله ربِّ العَالَمِيَن[٢]، ضـاعفَ اللهُ مدَّتَـه، وعَمَّـر بالنصرِ العـزيـزِ سـدَّتَه، ومَتَّع الإسـلامَ والمسلمين بأعوامِه المسعـودةِ، وأيامِه الزاهـرةِ المحمودةِ، فإنه عصرٌ اشتَمَلَ من

٢ /

---

[١] سقطت من س.

[٢ - ٢] في س ، محمد بن يحيى حميد الدين

وقائع الجهـادِ على ما أشرقَ به وجهَ الـدين، ومنْ مواطنِ الصِّدامِ والمصـابرةِ على ماقـرَّتْ به عيونُ المؤمنين، وعَظُمت به النكـابةُ في الظالمين والضَـالين، فالملاحمُ تِلْوَ الملاحم، والعزائمُ الصادقةُ على أثرِ العـزائم، إلى أن عاد وجهُ الزمانِ مُبَيّضاً، وجمعُ المخذولين منفضاً، وَصِينَ نامـوسُ الشرعِ القويمِ من الابتذالِ، وأصبحتْ -ولله الحمد- شـوكةُ الـدين مـرموقـةً بعين الأجلال، واعتقـد الخاسرون أن أمامَ مطامِعهم منازلةَ كلِّ أسدٍ رئبـال، لا يهابُ معَامعَ الوغى وأهوالَ النزال، وانضمَّ إلى ذلك ما انتظمَ في لبّـةِ الأوانِ من عنايتُه بجمعِ ما تشتَّتَ من آثـارِ الإحسانِ، وظهـر ظهورَ العقـدِ الفـريدِ في عنق الحسنـاءِ لكلِّ إنسـان، فحيثما وجهتَ رائدَ الطرفِ وجدْتَ الصـالحاتِ في طورِ الحياة وأصنافَ الجانحاتِ مـرميةً إلى حفرةِ الوفاة. وهيهاتَ أن يكفلَ بتعدادِها حساب، أو يحوي جمَّ مناقِبِها دفَّتا كتاب.

وقد عُني جمعٌ من الأفـاضلِ الأعلامِ بجمعِ سيرته، عليه السـلام، فإنّه مجدِّدُ هـذه العصور، المعنيُّ بـالحديثِ المشهـور(١)، وأتـوا بالعُجـابِ من منحِ الـربِ الوهّاب، ومـا اشتملت عليه أيامُ المعاركِ والسلمِ من مظـاهرِ صنع الله الجميلِ الـذي لا يتكيَّف بتجنيـد الجنـود وحشر كلِّ قبيل، ووصفـوا تجلّيَ السعـادةِ في هيولاها[١] البديعة، و إقبـالَ الأماني والمطالب إلى معالي كنفِـه السعيد بخطوتِها السريعة، ومـا ظهرَ عنـه في مواطن الأزمـة مِن الصبر والثبـات، والوقـوفِ أمامِ الشدائدِ بقلبٍ لا يتزلـزلُ وإن مادت الراسيات، لا يهمُّـه غيرُ السعي في مطابقةِ

---

(١) الحديث المقصود «إن الله يبعث لهذه الأمـة على رأس كل مئة سنـة من يجدد لها دينها» انظـر، حليـة الأوليـاء، ٩/ ٩٧، تـوالي التأسيس للحـافظ، ٤٨ الحاكم، ٤/ ٥٢٢، الخطيب البغدادي، ٢/ ٦١، مناقب البيهقي، ١/ ١٣٧، والحديث: «إن في هذه الأمة محدثين» انظر، تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي، ٣٤، صحيح البخاري، ٤/ ١٤٩، صحيح مسلم، ٧/ ١٤٥ (ط الاستانة، ١٣٢٩هـ)، مسند أحمد، ٢/ ٣٣٩، ط مصر.

---

[١] في س، هيولاه.

/٣/ مـرادِ اللهِ عـزَّ وجل، كَثُـرَ جمعُ الأنصـارِ أو قل. وعـرفَ بـذلك المتأملُ أنّ اللهِ سبحانهَ قد رزقه خصائصَ رفَعَتْ قـدرَهُ العظيمَ وأقعدَتْهُ على الرفرفِ الأعلىٰ من مقـامِ الهداةِ إلى الصراطِ المستقيم. فـالحثُّ على الـوقـوفِ على مـواقفِ جهـادِه وأيـامِه ومـا نظمتْه سيرتُـه المباركـةُ من متينِ أحكامِـه وإحكامِـه من شأنِ ذوي العرفان وحلفاءِ التقوى والإيمان.

ولمَّا كـانت أوآخـرُ سنـة سـتٍ وثلاثـــين بعـد ثلثمائة وألف، وهي السنـةُ الخامسةَ عشرَ مـــن خلافتِه -[١عليه السلام١]- تقريباً خفيت أنوارُ جمعِ السيرةِ فيما علمتُ، فانتُـدِبْتُ للقيام بهذا الواجـــب بعد الايعـاز، والإلزام ممن طـاعتُه فـرضٌ لازب، وطـالما ثبَّطنـــي العجــــزُ والقصـورُ ونهيـاني عن التقـربِ من شواطـيء هذه البحور حتـى عـرفتُ أني لسـت بمعـــذور، فأقدمتُ إقـدامَ مَنْ خالطـه الوَجَلُ، مستعيناً باللهِ تعـالى، وقلتُ: مكـرهٌ أخـوكَ لا بطـــل. وهل عندَ رسمِ دارسٍ من معوّل؟ فَمن وقف مني على عثرةٍ أو زلّـةٍ، فليعذرْ لأنه قد بطُلَ العجبُ بمعرفـةِ العلةِ وقد جعلتُ مبـدأها تاريخَ انتقـالِ مولانا الإمـام -أيده الله- من محروس السُّوْدَةِ[١] إلى خَمِر[٢]. ولغايـةِ ما شـاءَه اللهُ إن طال أمـدُ العمر،

---

(١) السُّودَة: بلدة عـامرة في الشمال الغـربي من صنعاء على مسـافة ١٠٧كم، وتبعـد عن عَمْرَان، ٥٨كم، وتدعى سُوَدة شَظَب، وسـودة ابن المعافى، بذروة جبل يطل على وادي أخرف ولقمان الشهيرين في بـلاد حاشـد مقر قيادة الإمـام، والسودة أيضـاً من خارف من بـلاد خَمِـر، انظـر، فـرجة الهمـوم، ٣٦، البـدر الطـالع، ٢/ ١٠٣، نشر العـرف، ٢/ ١٧٤، اليمن الكبرى، ٨١، هجر العلم ومعاقلة، ٩٨٥، حياة الأمير، ٦٢٢ .

(٢) خَمِر: بلدة في حاشـد، وهي مركز بين صُريم، وخَمِر الحالية شرق المدينـة القديمة، وهي شمال صنعـاء، انظـر، الإكليل، ٨/ ١٦١، نشر العرف، ٢/ ٧٨٠، معـالم الآثـار، ٦٧، معجم الحجري، ١/ ٣١٠، معجم المقحفي، ٢١٩ .

[١ - ١] في س، أيده الله.

وأسألُ اللهَ أن يجعلَ عملي عملاً مبروراً، وسعيي في هـذه السبيل سعياً مشكوراً. إنه على كلِّ شيءٍ قدير وبالإجابةِ جدير، فأقول وبالله التوفيق:

إنـه كان انتقـالُ مولانـا[١ الإمام١] -أيَّده اللهُ-، بمـوكبِهِ العـالي من مـدينةِ السُّودَةِ متوجهـاً نحو مدينة خَمِر في بقيةٍ من نهارِ يـومِ الاثنين خامسَ عشرَ شهرِ شوال سنة ١٣٣٦، فوصلها[٢ في بقيةٍ من الليلةِ المسفرةِ عـن صباحِ الثلاثاء من اليومِ الذي يلي يومَ عـزمِهِ المبارك٢]. ولما استقرَّ هنالك وفـدت إليه وفودُ القبائل من حاشد(١) وغيرِهم، حتى ضاقت المدينةُ بالوافدين والأجناد.

وقـد كان في أثنـاءِ شهـرِ رمضانَ من السنـةِ المذكـورةِ، ومـولانا الإمـامُ مقيمٌ بالسُّودَةِ، ظَهَرَ مِنْ يـزيد الظاهر(٢) إخلالٌ بالطاعـةِ، وشذوذٌ عن الجماعةِ، فتعدَّوْا على بعضِ المسافرين فنهبوهم، ولم يزلْ مولانا الإمامُ يوالي لهم النصائحَ، وينهاهم عن التورطِ في مضائقِ القبائحِ. فلم ينتهوا، فعزم على تأديبهم ومعاقبةِ شرارِهم.

وفي خـامسٍ وعشرين شهـرِ شـوال وجَّــه مـولانـا الإمـامُ السيِّـدَ المقـدامَ المجاهدَ/ المشهورَ في ميادينِ الصِّدامِ عبدَالله بنَ يحيى أبو منصر(٣)، ومعه خمسُ / ٤

(١) حاشد: إحدى كبريات قبـائل همدان، تنسب إلى حاشد بن جُشَم، قبيلة ذات أراضٍ واسعة، تشمل جبال الأهنـوم وظُلَيْمَة وعُذَر والعُصَيمات وخَارف وغيرهـا، حولها انظر، معجم الحجري، ٢/ ٢١٣ - ٢٢٦، معجم المقحفي، ١٤٣-١٤٥ قـرة العيون، ٣٢٢، صفة جزيرة العرب، ٢٤٢ - ٢٤٦ .

(٢) يزيد الظاهر: تسيع الظاهـر من اتساع بني صُرَيم، ويشمل مدينة خَمِر والوادي ويشيع والعقيلي، والمقصود جبــال عيال يزيـد من بلاد الظاهر شمال صنعـاء، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٥٦٣، أئمة اليمن، ٣/ ٧٣ (سيرة الإمام يحيى).

(٣) عبدالله بن يحيى بن غالب، أبو مِنَصَّر: من من قواد الإمام المنصور بالله عامل مدينة ثلا ونـاحيتها حتى مـات ثم خلفه ابنـه عبدالله ت ١٣٧٨هــ، انظر، حيـاة الأمير، ٥٦٤، هجرة العلم ٢٨٤ .

[١ - ١] في س، المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين. [٢ - ٢] سقطت من س.

مئةِ رام، وأمره بالعزمِ بمن معه إلى عيال يحيى وأصحبَه بأحدِ المدافعِ، فحطَّ رحالَهُ هنالك، ورتَّبها جميعاً، ثم تابعَ مولانا الإمامُ إرسالَ الجنودِ إليه حتى غصَّت القرى بجنودِ الحق.

وفي ثالثِ شهرِ ذي القعدةِ الحرام، انتقل مولانا الإمامُ من خَمِرٍ إلى دَعَّان[1]، إحدى قرى جبل عيال يزيد[2]، ومعه من عُقّالِ حاشد وبكيل[3] وأفرادِهم ما ينوف على ألفِ نفرٍ، فامتلأتْ تلك الناحيةُ بالجنودِ وغيظِ الحسود، وهنالك شرعَ الإمامُ بتأديبِ مَنْ تظاهر بإخلال الطّاعةِ، وألزمَ أهلَ الجبل كافةً بتسليمِ ما لديهم من الغراماتِ وقروضِ عينِ المال، وما لديهم من السلاحِ لبيتِ المال، فانقادوا رهبةً ورغبةً، وألزمهم أيضاً بإيصالِ المعتدينَ على المسافرين، فأوصلوا غالبَهم، وأوصلوا أيضاً ما أمروا به من الرهائن المختارةِ من أفلاذِ أكبادِهم فوقَ رهائِنهم التي كانت بمحروسِ السُّودَةِ، حتى جاوزَ عددُ رهائنِهم ثمانين. ومَنْ فَرَّ من المعتدين أخربت بيوتهم إلى القرار، وذاقوا بذلك

---

(١) دَعّان: بلدة في ظهر جبل عيال يزيد من همدان في الشمال الغربي من مدينة عَمْرَان بمسافة ١٨كم، انظر، الأكليل، ٨/ ١٦٢، اليمن عبر التاريخ، ٣٦٩، معجم المقحفي، ٢٣٥ .

(٢) عيال يزيد: جبال لقبائل بكيل في ناحية عَمْرَان، من قراهم، جَوْب، الخدرة، عيال يحيى، الأكهوم، الصّرارة، بنو قطيل وغيرها، يتصل من شماله ببلاد عبد وحاشد والسودة، ومن شرقه بناحية ريدة والبون ومن جنوبه ببلاد عَمْرَان وثُلا ومن غربيه بثلا وقارن وما إليها، انظر، معجم الحجري، ١/ ١٢٥، ٢/ ٧٨٢ معجم المقحفي، ٧١١ .

(٣) بَكيل: بطن من همدان، بنو بكيل بن جُشَم، بلادها ما بين صنعاء وصعدة في الجانب الشرقي، وهي بلاد واسعة فيها كثير من النواحي ولها فروع كثيرة، مشهورة معروفة، انظر، معجم الحجري، ١/ ١٢٥-١٢٨، معجم المقحفي، ٨٣-٨٤ .

....

كأسَ الدمار. وسيقَ بعضُ المعتدين إلى حبسِ شُهَارة[1] المحروسةِ. وكُمل بذلك ضبطُ أمورِ الجبل كافة، وتقريرُ أحوالِهِ. وإزالةُ ما استعصى من إشكالِهِ، وتأهبَ مولانا الإمامُ لتقويضِ خيامِ الإقامةِ من دَعَّان والعزم في كنفِ العنايةِ إلى مدينةِ الرَّوْضَةِ البهية[2]. ولما قربَ ارتحالُ مولانا الإمام من هنالك. خاطبه السيدُ البليغُ عباسُ بنُ علي بنِ أحمد بن اسحق[3]، وكان من المصاحبين للحضرةِ الشريفةِ في تلك المواطن، بأبياتٍ يحثّ بها مولانا الإمامَ على الرحيلِ، جاءَ منها بيت التاريخ.

أدود[4][1] إن في العزم من دَعَّان خيرا. سنة١٣٣٦ .

---

(١) شُهارَة: جبل مشهور في بلاد الأهنوم، شمالي حجة، من معاقل اليمن المشهورة، منها شهارة الأمير نسبة إلى الأمير ذي الشرفين وشُهارة الفيش، الجبل المقابل لشُهارة الأمير، انظر، صفة جزيرة، ٢٣٨، البدر الطالع، ١/ ٢٥٨ نيل الوطر، ١/ ٢٩٩، نشر العرف، ١/ ١٢، معالم الآثار، ٧٠، معجم المقحفي، ٣٦٦ .

(٢) الرَّوْضَة: متنزه صنعاء، كانت تسمى المناظر، روضة حاتم، شمالي صنعاء بمسافة ٨كم، تنسب إلى السلطات حاتم بن أحمد بن عمران الهمداني، انظر، صفة جزيرة، ١٥٣، المفيد، ٣٣٥، مراصد الاطلاع، ٣/ ١٣١٥، نشر العرف، ٢/ ١٦١، صفحات مجهولة، ٢٠، معالم الآثار، ٢٧، اليمن عبر التاريخ، ٢١٨، حياة الأمير الوزير، ٦٢١، معجم المقحفي، ٣٧٦ .

(٣) عباس بن علي بن أحمد اسحق بن المهدي بن أحمد من نسل القاسم بن محمد، ولد بالجراف سنة ١٣٠٢هـ، تولى أعمالاً عسكرية ومدنية كثيرة للإمام يحيى، منها كتابة الإنشاء، خرج مع البدر الأول إلى روما، تعين بعدها في مناخة، ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م بعدن، كان عالماً كبيراً وادارياً ماهراً ، انظر، نزهة النظر، ١/ ٣٢٧، حياة الأمير، ٥٥٥، هجر العلم، ١/ ٣٥٧ .

(٤) أدود: قرية صغيرة في جبل صبر الغربي، وتطل على وادي الضباب، انظر، حياة الأمير، ٩٤، معجم المقحفي، ٢٣ .

---

[١] في الأصل، أودود.

وفي اليـوم الخامسَ عشر من شهر ذي العقـدة الحرام، انتقل مـولانا الإمـامُ بموكبـهِ السعيد إلى مدينـة عَمْران[1]، فباتَ بها ليلتَـه، وباكَرَ في صبـاحِ الجمعةِ بالمسيرِ والانتقالِ إلى بني ميمون[2] من قرى عيال سُريح[3]، ونزلَ هنالكَ ضيفاً على الشيخ ظهـر الدين، راجح بن سعـد، شيخِ مشـاريخ عيال سُرَيح، وأقـام هنالك صلاةَ الجمعة.

وفي اليومِ الثاني، توجّه وقد تزايـدت الجموع، وصار الموكبُ يأخذُ بالأبصارِ أبهةً وجلالا. ولم تـزلْ وفودُ القبائلِ تبـادرُ بتلقّيه في أثنـاءِ طريقِه. كلُّهم يـريدون التبُّركَ برؤيةِ طلعتِه المباركةِ، ويلتمسون الـدعاءَ، وما وصل -أيده الله- إلى قريةِ المعمرِ[4] إلا وقدْ وصلَ إلى هنالك الوفدُ الذي عُيِّنَ لاستقبالِه من أمراءِ الحكومةِ العثمانيةِ، وهرعَ الكبراءُ من السادةِ والعلماء، والأعيان، وأفـرادِ الناس ألوفاً حتى الصبيـان، وكذلك أمـراءُ الأتـراكِ قاطبـةً/ من ملكيين[5] وعسكريين وقضـاة، وخرج النـاسُ من صنعاءَ أفـواجاً، وكـان دخولُـه إلى الرَّوْضَـةِ البهيةِ نهارَ ذلك

٥ /

---

(١) عَمْرَان: مدينة شمال صنعـاء بمسافة ٤٨كم، بأعلى البون، مركز القضـاء، يمتد أمامها سهل البـون الخصيب، انظر، الأكليل، ٢/ ١٨٥، صفـة جزيـرة، ١٦٧، المفيد، ٢٦٣، مراصد الاطلاع، ٢/ ٩٦٠، صفحات مجهـولة، ٢٩، معالم الآثار، ٦٢، اليمن الكبرى، ٨١، ١٨٤، حياة الأمير، ٦٢٧، معجم المقحفي، ٤٦٤ .

(٢) بنـو ميمون: قـريـة من عُـزل عيال سُرَيح، انظـر، معجم الحجـري، ٢/ ٤١٩، معجم المقحفي، ٣١٤ .

(٣) عيال سُرَيـح: من قبائل همدان، شمالي صنعاء بمسـافة ٢٨كم، ينسبـون إلى سُريح بن سهل بن ضباع، انظـر، صفة جزيـرة، ١٣٧، معالم الآثار، ٦٣، تـاريخ اليمن الثقافي، ٣/ ٦٣، معجم المقحفي، ٣١٣ .

(٤) المَعْمَر: من قرى همدان، إحدى نواحي صنعاء، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٧١٤ .

(٥) المقصود الذين يقومون بالوظائف المدنية غير العسكرية.

اليوم دخـولاً معظماً، قلَّ أن تظفرَ العيـونُ بمثلِه[١] أو تكتحلَ بإثمدِ شكلِهِ[١]، لما اشتملَ عليه من جلالِ الموكبِ وعمومِ السرورِ في القلوبِ،[٢] ومناطحتِه للنجومِ بالمنكب[٢]، ونزل -أيـده اللهُ- بعد أن تلَقّى المستقبلين بالطلاقـة التي خصه الله بها [٣]التي خصَّـهُ اللهُ بها، حتى عـادَ كلُّ مَنْ لم يعـرفْـهُ، وقـد أخـذ حبُّـه -عليـه السلام- -بمجـامعِ قلبِه-[٣] بقصرِه العامـرِ بمدينـةِ الروضـةِ البهية. وقـد كان إكمالُ مـا احتاج إلى إصـلاحٍ فيه، بعـدَ أن شُري لمولانـا الإمامِ من ورثـةِ الشيخ محمد البليلي. ولما استقرَّ ركـابُه العالي هنالك أقبلتْ إلى الإمـامِ وفودُ القبائلِ من كلِّ صـوبٍ، ولا سيما قبـائلُ الجهاتِ المجـاورةِ لصنعـاءَ، فكـانوا يفـدون إليـه كبـارِهم ويتلقّـاهم الإمـامُ بما جُبِلَ عليـه من الخُلُقِ الحسنِ، [٤]وحلوِ اللَّسن[٤]، ويزوِّدهم بالدّعـاءِ، ويأمُر لهم بما يحتاجون إليه أثناءَ إقـامتِهم، ولم تزلْ وفودُ أمراءِ الأتراكِ تتعـاقبُ بالوصولِ إليـه إلى دارِه السعيدةِ، لقضاءِ حقِّ التهنئةِ بـالقدومِ، وإظهارِ آثارِ الولاءِ المرومِ، وكـذلك الأعيانُ والعلماءُ والساداتُ والفضلاءُ حتى أهلُ الذمة.

وقد كانَ وصـولُ مولانا الإمامِ إلى هذه الجهـاتِ نعمةً من نعمِ الله تعالى على عبـادِه، ومنـةً من المننِ الجسـامِ التي خلَّص بها جسمَ الأحـوالِ من فسـادٍ، فإنّ بعضَ قبائلِ هـذه الجهاتِ قد كـانوا شرعوا في التعـادي بينهم. وسُفِكتْ دماءٌ، وهبّ كلُّ ذي شرٍّ لإظهـار مـا في خلـدِهِ من الميلِ إلى الشرِّ، والتربعِ على منصّـةِ الجوارِ المذمـومِ. فلما وصل مـولانـا الإمــامُ خمدتْ تلك النيرانُ، وانطفأتْ من تلقـاءِ نفسهـا، ببركـةِ قـدومِه -عليـه السـلام- وتلك آيـةٌ من آيـاتِ سعـودِه

....

[١-١]، سقطت من س.

[٢-٢]، سقطت من س.

[٣-٣]، سقطت من س.

[٤-٤]، سقطت من س.

الخوارق، وعلامةٌ على ما له عندَ اللهِ من الفضل السابق، ورفعت إلى جنابهِ العظيمِ قصائدُ التهاني من الأفاضل والأدباء وهي كثيرةٌ، [١] منها ما نظمه جامعُ هذه الكلماتِ -سامحه الله- وقد وقع الاستطرادُ لذكرِ مجملِ ما كان من همّتِه -أيده الله- وضبطهِ لأحوالِ جبلِ يزيد، وهي:

[الطويل]

مواهبُ حسنِ الصُّنع فِيكم هي الشانُ ... وأنتم لها شأوٌ يطولُ وعنوانُ
ومهما تبّدى من محيّاكُمُ سنىً ... فشمسُ الهدى لاحتْ وللّدينِ سلطانُ
وممدودُ ظلِّ المُلْكِ والهيبةِ التي ... تصولُ على أُفقِ الضمائرِ فينانُ
وحيثُ نزلتُمْ فالعُلا في قصورِكم ... أساسٌ وأشتاتُ المناقبِ أركانُ
تَتيهُ بكمْ بِيْضُ المغاني فتنثني ... ومِنْ دونِ مبْنَاهَا المشيَّدِ كِيوَانُ
وما قَبَّلَتْ أرضاً سنابكُ خيلِكم ... على اليُمنِ إلاّ كانَ للأرضِ رُجحانُ
عليكم جلالُ المجدِ بادٍ وطوْلُكم ... ربيعٌ ونعماكم بها الأرضُ نعمانُ
تسيرُ العالي حيثُ سِرْتُمْ كأنها ... من الجيشِ أجنادٌ تحفُّ وأعوانُ
ويقدمُ علياكم من النصرِ موكبٌ ... يزلزلُ أكنافَ الطُّغاةِ إذا خانوا
ويكسوه لألاءُ الفتوحِ غُلالةً ... من الحُسنِ والإشراقُ أدْنَاهُ فتّانُ
وفيكم لصُنعِ اللهِ سرٌّ ومظهرٌ ... وفي طيِّ ما أجملْتَ للمخِّ تَبْيانُ
وكم رامَ منّي الفكرُ خوضَ عُبابِها ... فغُودِرَ بالشاطِي وقدْ عامَ إمعانُ
وألفى سفينَ النظمِ تجري بدون ما ... يَرُومُ وفي طَوْعِ القَريحَةِ عِصْيَانُ
إمامُ الهدى للهِ بهجةُ مقدم ... عرفْنا به كيْفَ الضخامةُ تزدانُ
يقولُ أُصَيْحابي وقدْراقَ مَوْكباً ... كما راعَ ما فوق المشاهدِ إمكانُ

/ ٦

---

[١] ، سقطت من س.

أمـــا تنظــرُ البـــدرَ المنيرَ كأنّـــه	على الهنـدِ طـوْدٌ لا يــوازيـه ثهـلانُ
ولـو لم يكنْ [١غيثـاً يصـوب١] ورحمةً	لما سمعـتْ رعـــــدَ المدافـع آذانُ
ولا أبصرَ الــرائي سحـابَ مظلـــةٍ	عليه وطـرفُ الشمسِ في الأفقِ يقظانُ
وهل عــرفتْ عينــاك قبل كتـابِنــا	تــراءت كما لاحتْ تِــلالٌ وكثبــانُ
وَقَدْ ضَاقَ منها الرحبُ واتّسعتْ بها	صـدورٌ وقـرَّتْ بـا لمهـابــةِ أعْيـانُ
يشـــوقُهـم روحُ الهنــا ويســـوقُهم	نسيمُ اللّقـــا فــالحالُ رَوْحٌ وريحانُ
وتسقيهمُ البشرى كـؤوسَ سرورِهـا	فكلٌّ لــدى ذاكَ التـدافعِ نشـوانُ
وقــد نشطـــوا في سيرِهم وتمايلــوا	حُبوراً كما مـالَتْ من الريـحِ أغصانُ
لعمُـرك مـا بـالغتُ إن كنتُ قـائلاً	بأنّ قُصارى الأمر في الـوصفِ نقصانُ
وإنّ لِسَـــاني مِثْلُ فِكْــرِي وَمُقْلَتي	بمـــوقفِ مبهـــوتٍ وقلبيَ حيرانُ
فقلْ عنـدَه يـا موكبَ العـزِّ والسنـا	تعـاظَمْتَ حتى خـرَّ للتـاجِ تيجـانُ
وألبَسْتَ جثمانَ الإمـــامـــةِ خِلّـــةً	مِنَ الفضلِ لا ما كـانَ يهواه ساسانُ
ويـا روضـةٌ فـازتْ بعـودِ قـديمهـا	من اللطفِ قـد طابتْ بجـوِّكِ أزمانُ
وهبَّتْ عليكَ اليـومَ نسمـةُ سَـانحِ	سعيــدٍ لها قلبُ التشـــوّقِ حَنَّــانُ
ورقَّ الهوى حتى لقــد كــادَ لطفُــهُ	يسيلُ ومـــالتْ للتحيــةِ قضبــانُ
وقد لبسـتْ أيدي الغصـونِ خواتماً	من الزهرِ كاليـاقوتِ أو هي مرجانُ
أتـدرين مَنْ في قصرِك اليــومَ نـازلٌ	على الطـائرِ الميمـونِ يعلُــوه لمعـانُ
يَلُــوحُ على عـرشِ الخلافــةِ نــورُهُ	كما لاحَ فــوْقَ العَــرْشِ قبلُ سليمانُ
لقـــد شرُفتْ منك البقــاعُ بماجــدٍ	هـو الدينُ والـدنيـا إذا حارَ إنسـانُ
إمـــامُ الهدى ذاك المتــوَّجُ بــالتقى	وأيُّ تقى هـذا لـه الخلـقُ قـد واتـوا

/ ٧

....

[١-١] الأصح، غيثَ الصبوبِ

طلسمُ كنـــزِ المنحِ والنُّجحِ كلّما ... أرادَ أتى المأمـولُ يـزجيه إذعـانُ
لـه كلِّ حينٍ في أعـاديـه فتكـةٌ ... لها المَثَلُ المضروبُ بـالنصرِ بـرهـانُ
وسلَّ زُمْـرَ البـاغين في الجبلِ الـذي ... تمنَّع مـا ذاقـوا ومـا ذاق خَـوّانُ
دَعَـاهمُ إلى العدوانِ شيطـانُ بغيِهم ... وقدْ ضَـلَّ من يدعوه للغـيِّ شيطانُ
فَخابُوا وما نَالُوا سِوَى الخَسفِ خطةً ... ورَعَّهم الإذلالُ مـنْذُ هُـدَّ دَعَّـانُ
عيالَ يـزيـدٍ مـا يـزيـدُ شرورَكُمْ ... سوى النقصِ تـدنيه رمـاحٌ وأشطانُ
أرى لـؤمَ هـذا الأثمِ أغْـرَاكُم على ... سلوكِ غـرورٍ فيه للمـرىءِ خُسرانُ
ولـولا أنــاةٌ لــلإمـامِ لكنتمُ ... حصيـداً وتلك الـدورُ للبومِ أكنـانُ
ولكنَّ مَـوْلاَنـا الإمـامَ وحِلمَـهُ ... حباكـم زلالَ العفوِ والعفـوُ إحسانُ
ومـا زَال بـالـرُّحْمَى عَطُـوفاً وقلبُـه ... رؤوفـاً وأوصـافُ الهدى فيـه أفنـانُ
وكمْ من يدٍ جارت على الـدينِ بالبنا ... ونعمى تـراءت وهي للخَلْقِ بُستـانُ
فيـا سنَـدَ الآمـالِ والآلِ إنّما /٨ ... بقـاؤك لـلآمـالِ بـالخيرِ إيـذانُ
وأنت عمادُ الـدين إنْ زالَ زالَ مـا ... يقـومُ بـه والحقُّ مـا فيـه كتمانُ
وأنـت أميرُ المؤمنين فهل يُـرى ... لذا اللقبِ المحروسِ في الناس صنوانُ
فـلا زلتَ في عرشِ التهـاني مباركـاً ... عليك وأصنـافُ الهنـا فيك ألـوانُ
وعُمِّـرْتُمُ مـا عـاشَ نـوحٌ بقـومـهِ ... لأنَّ نـداكم في الحقيقـةِ طـوفـانُ
وهـاك من الـوشيء اليمانِّي حلـةً ... ينمُّ عليهـا مـن ثنـائِك ريحانُ
إذا أنشـدتْ قـالَ الخبيرُ بشـانِها ... إلى مثلِهـا تصبـو مشـاةٌ وركبـانُ
ومن جنبِهـا أسنى صـلاةٍ يـزفُّهـا ... سـلامٌ على من شرُفَتْ منه عـدنـانُ
محمـدِ المختـارِ والآلِ كلِّهم ... وأصحـابِه مـا بـاكـرَ الروضَ هَتَّـانُ

....

....

ومن هنأ مولانا الإمامَ -أيده الله تعالى- القاضي الضياءُ لطفُ بنُ محمدٍ الزبيري[1] حاكم سَنحان[2] بقصيدةٍ فائقة. وقد وصلتْ إلى الحضرةِ الشريفةِ والدوحةِ المنيفةِ تهانٍ عديدةٌ رقَمها نبلاءُ السادةِ وفضلاءُ الأعيان، ولم تصِلْ إلى أيدي التقييد، وهي لو ظفرتُ بها لنالت ما تريد.

/ ٩ / ورفعَ السيدُ الهمامُ حسينُ بنُ على عبد القادر[3] إلى مولانا الإمام قصيدةً بديعةً في غرضِ التهنئةِ بالقدوم، وغيره من الأفاضل[١]، وكان الإمامُ -أيّده الله- قد استصحبَ في أشغالهِ المباركةِ جماعةً من الأعلامِ [مثل][٢] السيدِ الأجلِ الأميرِ عبدِ الله بنِ يحيى أبو منصر، والقاضي الوجيه عبد الرحمن بن حسين المحبشي[4] من حكامِ

---

(١) لطف بن محمد بن الطف بن سعد الزبيري ت ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م، كان عالماً ذكياً، كامل المروءة، كثير التواضع عمل بالتدريس والقضاء في سنحان والحُدَيْدَة وكان الحاكم الأول بصنعاء ومن ثم من أعضاء محكمة الاستئناف، انظر، نزهة النظر، ١/ ٤٩١، حياة الأمير، ٥٨٤.

(٢) سَنْحان: قبيلة موطنها في الجنوب الشرقي من صنعاء، ناحية من نواحي قضاء صنعاء، ومناطقها سهلة، يحدها شمالاً صنعاء، وغرباً بنو مطر وجنوباً بلاد الروس، وشرقاً خَوْلان، من أشهر جبالها كَنن. انظر، الاكليل، ٢/ ٢٤٦، صفحات مجهولة، ٤١، معالم الآثار، ٣٦،٣٩، أئمة اليمن، ٢/ ٤٠٥، حياة الأمير، ٦٢٢ .

(٣) حسين بن علي عبد القادر ت ١٣٧٧هـ، عامل صنعاء، كان شاعراً أديباً، تولى للأتراك أعمالاً بصنعاء، كان مدير ناحية شِبام ثم قائم مقام ذَمار وكذا قضاء أنس، وعضواً في مجلس المبعوثان سنة ١٣٣٠هـ ثم تولى رئاسة بيلدية صنعاء ورئاسة القمسيون أي إدارة تكوين الجيش النظامي، كان مستشاراً للإمام، ولد بصنعاء سنة ١٢٩٦هـ، انظر، نزهة النظر، ٢٧٨، هجر العلم، ١٩٠٥ - ١٩٠٩م. حياة الأمير، ٥٤٧ .

(٤) عبد الرحمن بن حسين بن عبد الرحمن المحبشي الشهاري ت٢٩ ربيع الثاني ١٣٦٦هـ. أحد كبار الحكام في مقام (ديوان الإمام يحيى)، لازم الإمام يحيى في خَمِر والسُّوْدَة القَفْلَة والروضة، ولد بشُهارة في صفر ١٢٩٢هـ، انظر، نزهة النظر، ٣٣٦ .

-١]، سقطت من س. [٢] الإضافة من س.

الحضرةِ الشريفـةِ وغيرهم[1] من الأعيـان، وأمـا المولى سيفُ الإسـلام، أحمدُ بنُ قاسم بـن [عبدالله بن][2] الإمام(١)، والمولى شيخُ الإسلام القـاضي العلامةُ عليُّ بنُ علي اليماني(٢) فكانـا قد قَـدِمَا قبل مَقْدَم الإمـام، وكانَا مـن جُملةِ مَنْ استقبلَ مولانـا الإمامَ في جمعٍ كثيرٍ من علماءِ صَنْعَاءَ وسـاداتِها كالقاضي العـلامةِ شرفِ الدين الحسينِ بنِ عليِّ العَمْري(٣)، وولدِه القاضي عبدِالله بنِ حسين العَمْري(٤)،

(١) أحمد بن قـاسم بن عبـدالله بن يحيى حميـد الـدين ت٢٢ ربيع الأول ١٣٥٣هـ، كـان مجتهداً، له نبوغ في القيادة العسكريـة وفنون الحرب، تولى أعمالاً كثيرة بَرَدَاع وآنس، ولد بقريـة القابل في صفر ١٢٧٧هـ، انظر، نزهة النظر، ١٢٠، تحفـة الإخوان، ٥٢، شرح أجود المسلسلات، ٣٤، حياة الأمير، ٥٣٢ .

(٢) علي بن علي بن أحمد بن علي اليدومي اليماني ت بصنعاء في ٢٧ شوال ١٣٥٠هـ، شيخ الإسلام، عـالم محقق في كثير من العلوم، هـاجر إلى القَفْلَة ١٣٠٨هـ، مناصراً لـلإمام المنصـور، كـان مقصـوداً لطلبـة العلم، لازم الإمـام يحيى، وكـان يستشيره، دوام على التـدريس وخـاصـة في المدرسـة العلميـة التي أنشأهـا الإمـام يحيى بصنعـاء سنـة ١٣٤٤هـ، ولـد بصنعاء في صفر ١٢٧٢هـ، انظـر نيل الوطر، ٢/ ١١٩، نزهـة النظر، ٤٣٨، شرح أجود المسلسـلات، ٧١، المدارس الإسلاميـة، ٤١٥، هَجِر العلم، ٨٠٥، حياة الأمير، ٥٧٦ وفيه أنه توفي سنة ١٣٤٠هـ.

(٣) الحسين بن علي بن محمـد العَمْري ت بصنعـاء في ٢ شوال ١٣٦١هـ، شيـخ الشيوخ، عالم محقق، اشتغل بـالتدريس، تـولى نظارة الأوقاف في العهـد العثماني، أسهم في عقد صلح دَعَّان. ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م وتولي في عهد الإمام يحيى رئاسة محكمة الاستئناف، ولد بصنعـاء ١٢٦٥هـ، انظر، نـزهة النظر ٢٦٥، نشر العـرف، ٢/ ٢٤٩، شرح أجود المسلسلات، ٦١، هجر العلم، ١٤٥٩، حياة الأمير، ٥٤٧ .

(٤) عبـدالله بن الحسين بن علي بن محمـد العَمْـري ت قتيلاً ٧ ربيع الآخـر ١٣٦٧هـ، في المؤامرة التي استهدفت الإمـام يحيى، عالم ذو دراية عالية بـالعلم والسياسة والإدارة،=

[١] في س، وغيرهما.

[٢] عبدالله بن، إضافة من س.

وسيدي عبدِالله بنِ علي عبدالقادر(١) وأخويه سيدي عبدِ الرحمن(٢) وسيدي حسين. وعلى الإجمالِ كان الاستقبالُ فخيماً و[١الموكبُ عظيماً١]، ولم يكنْ في المستقبلين والي اليمنِ محمود نديم بك، ولا قائدُ الجيوشِ توفيق باشا؛ لأنهما كانا غائبين في جهةِ[٢] لواءِ تعز(٣) وزَبيد(٤)، عزما معاً قبل قدومه -أيدّه اللهُ- لمداركةِ استحصالِ حاجاتِ العساكرِ وغيرِهم من البلادِ المذكورة.

ولما استقر مولانا الإمامُ بالرَّوْضَةِ وفدت إليه الأفاضلُ والعمالُ من الجهاتِ

= كان الإمام يعهد إليه بكثير من أمور الدولة كأنه رئيس الوزراء، ولد بصنعاء في جمادي الأولى ١٣٠٤، انظر، نزهة النظر، ٣٧٥، تحفة الإخوان، ٧٨، هجر العلم، ١٤٦٠، حياة الأمير، ٥٦٢ .

(١) عبدالله بن علي بن عبد الرحمن بن عبدالله بن إبراهيم بن عبد القادر ت ١٣٥١هـ، بلغ مرحلة عالية من العلم، تولى قضاء يرِيْم ونظارة الوصايا، رافق وفد العلماء إلى استانبول سنة ١٣٢٥هـ، بدعوة من السلطان عبد الحميد للتباحث في إصلاح أمور اليمن، ثم عمل حاكماً في عهد الإمام يحيى انظر، أئمة اليمن، ٣٢٠، هجر العلم، ١٩٠٤، حياة الأمير، ٥٦٦ .

(٢) عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن عبدالله عبد القادر ت ٢٧ جمادى الأولى ١٣٣٧هـ بصناعء، عالم مشارك تولي بلدية صنعاء في العهد العثماني، ولد سنة ١٢٨٨ انظر، نزهة النظر، ٣٤٦، هجر العلم، ١٩٠٥ .

(٣) لواء تعز: مدينة مشهورة، أول من مَدَّنها ومَصَّرها الملك المظفر، توران شاه الأيوبي سنة ٦٥٣هـ، في السفح الشمالي لجبل صبر، مركز القضاء تتبعها الجَنَد وجبا وجبل صبر وغيرها، معجم الحجري، ١/ ١٤٥، معجم المقحفي، ٩١، البلدان اليمانية، ٥٥، اليمن الخضراء، ٨١، اليمن الكبرى، ٣٣، نشر العرف، ١/ ٢٢١، حياة الأمير، ٦١٣ .

(٤) زَبِيد: وادي زَبيد، مشهور يصب في تُهامة ثم في البحر الأحمر، خصب، واطلق اسم الوادي على المدينة التي كانت تسمى الحُصيب، يقال أن محمد بن زياد هو الذي اختطها، انظر، الاكليل، ١/ ٣٠١، الفضل المزيد، المقدمة، البلدان اليمانية، ٨٩، معجم الحجري، ١/ ٢٦٢، معجم المقحفي، ١٧٦ .

[١-١] سقطت من س.   [٢] في س، جهات.

المتوسطةِ كـذمَار[١] ويَرَيْم[٢] وكَوْكَبَان[٣] وحَجَّة[٤]. وما برح منذُ وصـولِه يباشر الأعمالَ ويحلُّ عقدَ الأحوالِ، [١]ومما اتفقَ من العجائبِ أنـه عقيبَ قدومِهِ -أيده اللهُ- رفعَ إليه بعضُ الفضـلاءِ أن ابنةَ السيدِ الفاضل محمد بـن قاسم الظفري[٥]

---

(١) ذَمَار: جنوب شرق صنعاء على بعد ١٠٠كم من صنعاء، بها كثير من المساجد والآثار، مركـز اللواء، انظـر، صفة جـزيرة، ٧٩، الاكليـل، ١/ ٥٥٢، صفحات مجهـولة، ٢١، أئمة اليمن، ١/ ٤٦، اليمن الكبرى، ٥٤ معجم المقحفي، ٢٥١، حياة الأمير، ٦٢٠ .

(٢) يَرِيْم: مـدينة تقع إلى الجنـوب من ذَمَار، في قـاع الحقل، تبعد عنها ٤٠كـم، تتبع إدارياً إب، في سفح جبل يصبح، انظر، الاكليل، ٢/ ١٩، صفة جزيرة، ١٣٢، طبق الحلوى، ٦٨ صفحات مجهـولة، ٢١، معالم الآثار، ٩٧، تـاريخ اليمن الثقافي، ١/ ١٠١، اليمن الكبرى، ٤٥، حياة الأمير، ٦٣٤ .

(٣) كَوْكبان: جبل قرب صنعاء والمدينة شمال غـرب صنعاء بمسافة ٥٠ كم، وإليه يُضاف شبـام، انظـر، الاكليل، ٢/ ٢٠٧، معجم البلـدان، ٤/ ٤٩٤، مـراصـد الاطـلاع، ٣/ ١١٨٨، قرة العيون، ٢٩٥، البلدان اليما نيـة، ٢٣٣، معالم الآثار، ٧٤، نشرا لعرف، ٥٤، ٢٧٢، هجر العلم، ١٨٧٠، حياة الأمير، ٦١٥ .

(٤) حَجَّة: مدينة، شمال غرب صنعـاء بمسافة ١٥٠كم، بها حصن القاهرة على جبل يطل على مناطق بنـي قيس ووادي موروتهامة مـن الغرب، وعلى جبل مَسْوَر والشغـادرة من الجنوب، وظفير حجة ومُبين من الشمال وشَرِس وكُحلان عفار من الشرق، وهي مركز لـواء حَجَّـة، انظـر، معجـم المقحفي، ١٥٧، البلـدان اليما نيـة، ٨٣، اليمن الكبرى، ١٠٠، حياة الأمير، ٦١٦ .

(٥) محمد بـن قاسم الظفـري، جاء في نـزهة النظر، ٥٦٩، ٥٧٠، اثنـان بهذا الاسم الأول: محمـد بن قاسم بن محمـد بن محمـد بن الحسن بن عبـدالله بن محمد بن نـاصر شمس الدين الظفري ت في حُبيش ١٣٨٥هـ.

والآخر: محمـد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمـد بن ناصر شمس الدين الظفري ت صنعاء شوال ١٣٣٨هـ. =

[١ سقطت من س.

أحدِ سـادة صَنْعَاء ألفهـا جنيٌّ، وأنه قـد تكلم: أنه لا يُفَـارِقُ المذكورةَ إلا بـأمر الإمـامِ، واستمدَّ من مـولانا الإمـام الإذنَ لأبيهـا بإيصال ابنتِـه إلى جهةِ الإمـام السعيدَةِ لأجلِ ذلك، فأذنَ له مولانَا الإمامُ رغبـةً في المثوبةِ ووقايةِ تلك المسكينةِ من مصابها. ولما حضر مـولانا الإمامُ إلى المحلِّ الـذي قد أُنزلتْ بـه مع حضورِ أبيها، تكلَّم الجنيُّ وحضر معـه إخوتُـه وأبوه إلى عشرةٍ، وكـانت المراجعة بينهم وبينَ الإمامِ. وفي النهـاية ألزمه مـولانا الإمامُ بتركِ التعرُّضِ للشريفـةِ المذكورة، وأخـذ عليه العهـودَ وعلى من حضرَ معه بـذلك، وقفل السيدُ بـابنتِه راجعـاً إلى صنعاءَ مسروراً بما تَـمّ / ببركتِه عليـه السلام[١]. وفي أثناءِ إقـامةِ مـولانا الإمـام بالـرَوْضَّةِ، أُقيمت صلاةُ الجَمعِ فيهـا مراتٍ في الصحـراء لعدم إمكانِ إقـامتِها بجامِعها(١) المشهورِ لكثـرةِ الحاضرين لأدائها مـن القبائل القـريبة[٢]. واهراعَ كـافـةِ أهلِ صَنعـاءَ لحضـورِهـا عـامَّتِهم وخـاصّتِهم. [٣ولا تسلْ عن منظـر اجتماعِهم العجيبِ ووقـوفِ تلك الخلائق بين يـدي الخلاقِ الـرقيب٣]، وأدركَ / ١٠

= كان الأول عالماً، انتقل إلى منَاخة للتـدريس، ونصبه الإمام يحيى حاكماً في بلاد صَعْفَـــــان وبنى سعد من بلاد حراز وعُيِن أيضاً عاملاً على بلاد هَمْدَان من أعمال صنعاء، وتولى القضاء في بـلاد الحُشا وحُبَيْش من اليمن الأسفل وتوفي في محل وظيفته، وأمـا الآخر فقـد كان عـالماً، واسع المعرفـة لازم التدريس في جـامع صنعاء وتـوفي في شوال سنـة ١٣٣٨ هـ، والخبر الوارد حـوله يفيد بأن الثـاني هو المقصود أمـا الأول فقد سار ذكره في باقي الحوادث بعد سنة ١٣٣٨هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٩، ٥٧٠ .

(١) جامع صنعـاء: المسجد الجامع، بني في السنة السـادسة للهجرة، بأمر الـرسولِ صلى الله عليه وآله وسلم بنـاه وبر بنُ يُـحَنِسّ أو فروة بن مُسَيْك المزدي أو أبـان بن سعيد، انظر، جامع صنعاء، ٩-٢٣، حياة الأمير، ٦١٤، مساجـد صنعاء لمحمد الحجري، ٢٣، طبق الحلوى، ١١٨ .

[١-١] سقطت من س. [٢] في س، المجاورة.
[٣-٣]، سقطت من س.

الإمامَ عيـدُ الأضحى وهو بـالرَّوْضَّـةِ، فأقام صـلاةَ العيدِ بمشهـدِها[1] المباركِ وحضرها خـلائقُ لا يُحْصَوْن. وخـرجَ من صَنْعَاءَ أمـراءُ الحكومـةِ العثمانيةِ أجمع لحضورِ الصَّـلاةِ وأداءِ السلام على الإمـام، ووقفتْ ثُلّةٌ من الجنـودِ التركيةِ لأداءِ رسمِ الاحترام على أسلـوبِهِم المعروفِ، وانفضّ الجمعُ بعـدَ ذلك، وقـد شَاهـدَ الناسُ من كمالِ الأُبّهةِ وفخـامةِ الإمامـةِ ما لم يعهـدوه والقُلوبُ مملوءةٌ بـالأفراح ومعاني الانشراحِ، ثم انقضت أيامُ السنةِ المذكورة.

ودخلـت سنـةُ ١٣٣٧، والإمامُ مقيمٌ بالرَّوْضَّـــةِ، والبـــلادُ التـــي تحـتَ طاعـةِ مولانـا الإمـامِ وأمرُهـا إليـــه، خاصةً صَعْـدَةَ[2] وجهاتِها إلى أطـــرافِ بنـي جُماعـةَ[3]، وأطـرافُ رَازِح[4] وكـافـةُ الجهاتِ القبليةِ [والأهنوم[5] وحجورُ

---

(١) المشهد: مصلى العيـد في جهة مسجـد فروة، وهي حـارة من ظـاهر شعـوب بصنعاء، تنسب إلى المسجـد الكائن فيهـا، انظر، مـذكـرات المؤيد بـالله، ٤٤، جامع صنعـاء، ١٠-١١ .

(٢) صَعْدَة: شمال صنعاء على بعد ٢٤٣كم، كـانت تسمى قبل الإسلام جُماع، انظر، صفة جزيرة، ٥٣، مراصد الاطلاع، ٢/ ٨٥٤، البلـدان اليمانية، ١٦٣، نزهة النظر، ١/ ٢١، نشر العرف، ١/ ١٩٠، فرجة الهموم، ٣٦، حياة الأمير، ٦٢٣ .

(٣) بنـو جُماعـة: بطن من خَـوْلان، لهم بلاد واسعـة من أعمال صَعْـدَة، تعـرف ببـلاد بني جُماعـة، انظـر، قبائل العـرب، ١/ ٢٠١، حيـاة الأمير، ٦١٣، ٦١٥، معجم المقحفي، ١٢٧ .

(٤) رَازِح: من بطون خوْلان الشام، والجبل المشهـور فيها، جبل رازح، غرب شمال صنعاء، أحد قضـوات صعدة، انظـر، أئمة اليمـن، ٢/ ٣١، نشر العرف، ١/ ٧٨٨، مـذكرات المؤيد بالله، ٨٩، معجم المقحفي، ٢٥٨، صفة جزيرة، ٢٥٠ .

(٥) الأهنوم: جبال شامخة في بلاد حَجَّـة في الشمال الغربي من صنعاء، سُميت بالأهنوم بن الحارث، أغلب قبـائلهـا من بكيل، انظـــر، شرح أجـود المسلســلات، ٢١، معجم المقحفي، ١٥، حياة الأمير، ٦١٠، معجم الحجري، ١/ ٩٥-٩٩ .

الشام(١) والشَّرَفَيْن(٢) وبلادُ السُّودَةِ وكُحلان تاج الدين(٣) وعَفَّار(٤)][١] والجهاتُ المتـوسطةُ إلى أطـرافِ يَـرِيْم، وأطرافُ مخلاف العَـوْد(٥) بالاشتراكِ[٢] بينه وبينَ الدولـةِ العثمانيةِ على وَفْقِ ما جـرى، عليه الصلحُ[٣] بينه وبينَ الدولـةِ العثمانيةِ على يدِ الـوزيرِ أحمد عزت باشـا الواصلِ إلى اليمن في أثناءِ سنـةِ واحدٍ وعشرين

---

(١) حَجُور: منطقة واسعـة بالشمال الغربي من اليمن، من أوديتها مـور، جبالها فصائل من جبال الشرفين، وتتبع حَجَّـة إدارياً من قبائلهـا أسلم وأفلح وحجور الشـام، والأهنوم والقَفْلَة وشُهـارة، من أقسامها حجـورِ الشام وحجور اليمن وحجـور البُشرى، وبلاد الشرف الأعلى والأسفل، انظر، معجم المقحفي، ١٥٦، تـاريخ اليمن الثقافي، ١/ ٥٥، مصادر الفكر الإسلامي، ٤١٠، اليمن الكبرى، ١٦٦، حياة الأمير، ٦١٦ .

(٢) الشَّرَفَيْن: شرف حَجُور الأعلى والأسفل، في الشمال الغـربي من حَجَّة، ويتبعـه كُحلان الشرف، والشرف كثير في اليمن، انظـر، الاكليل، ١٠/ ٨٦، صفـة جـزيـرة، ١٢٦، المفيـد، ١٤٨، نشرا لعرف، ١/ ٦٧، نيل الـوطر، ١/ ٥٨، معجم الحجـري، ٢/ ٤٥٠، معجم المقحفي، ٣٥١ .

(٣) كُحلان تاج الـدين: مدينة جبلية في الشرق الشمالي من حَجَّة بمسـافة ١٧كم، ويُقال لها، كُحْلاَن عَفَّار، نسبة إلى تـاج الدين، محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة، شقيق عبدالله بن حمزة، انظــر، معجم المقحفي، ٥٣٤، معجم الحجـري، ٢/ ٦٦٣، هجـر العلم، ١٨٠٨ وفيه تقع في سفح حصن كُحْلان من جهة الشرق، تبعد عن صنعاء ٩٠كم.

(٤) عَفَّار: بلـد من نواحي حجـة شمالي شرق، على مقربـة من كُحْلاَن تاج الـدين، ينسب إليها بنـو عَفَّار يفصلهـا عن حَجَّة وادي شَرس انظـر، صفة جـزيرة، ١٨٣، الاكليل، ٢/ ٨٨، معالم الأثار، ٧٦، نشر العرف، ٢/ ٦٨٥ .

(٥) العَـوْد: مخلاف واسع من ناحيـة النـادرة، شرق شمال إب انظر، صفـة جزيـرة، ٢٠٠، الاكليل، ٢/ ١٤٧، ٢/ ٣٦٧، معجم الحجري، ٢/ ٦١٨، معجم المقحفي، ٤٥٣ .

---

[١] الإضافة من س.

[٢] ف س، للاشتراك.

[٣] في ص، السلام.

وثلاثِ مئةٍ وألف، وحكامُ مولانا قائمون بأعمالِهم في حَراز[1] ويَريْم وذَمَار وأنس[2] وصنعاءَ وعَمْرانَ وحَجَّة وكَوْكَبان والنادرةِ[3] والجهاتِ المجاورةِ لصنعاءَ وغيرها. ووالي اليمن من قِبَلِ الدولةِ العثمانيةِ محمود نديم بك وقائدُ الجيوشِ التركيةِ أحمد توفيق باشا وقائدُ الجيوشِ المرابطةِ بلحج سعيد باشا، ومِنْ أطرافِ قضاءِ اللُّحَيَّةِ[4] إلى نهايةِ قضاءِ المَخا[5] تحتَ أيدي العثمانيةِ، والمستولي على قضاءِ أبي عريش[6] وصَبْيَا[7] وبني

---

(١) حَرَاز: صقع متسع غربي صنعاء بمسافة ٨١كم، مركزه مَنَاخة، وهو قضاء تابع لصنعاء، ويتكون من مناطق جبلية، انظر، الأكليل، ١/ ٢٠٣، صفة جزيرة، ٢٠٩، صفحات مجهولة، ٤٥، معالم الأثار، ٧٧ نيل الوطر، ١/ ٣٥٧، حياة الأمير، ٦١٧ .

(٢) أنس: بلد واسع في الجنوب الغربي من صنعاء بمسافة ٦٠كم، قاعدته ضُوران، انظر، معجم الحجري، ١/ ٢١-٣١، معجم المقحفي، ٥-٧ .

(٣) النَّادِرة: اسم قضاء ناحية من قضوات إب شرق شمال إب ويشمل ناحية النَّادرة وخبان ودمت وقَعْطَبَة، جنوب صنعاء، في وادي بَنَا، انظر، معجم المقحفي، ٦٥١، معجم الحجري، ٢/ ٧٢٧، حياة الأمير، ٦٣٢ .

(٤) اللُّحَيَّة: ميناء يمني يقع على شاطىء البحر الأحمر إلى الشمال من ميناء الحُدَيْدَة، تقع عند مصب وادي مور في ساحل المحالب، في الوسط بين الحُدَيْدَة جنوباً وبين مِيدي شمالاً، انظر، مراصد الاطلاع، ٣/ ١٠٠، المفيد، ٤٢، طبق الحلوى، ٩٠، اليمن الكبرى، ٩٨، اليمن الخضراء، ٩٠، معجم المقحفي، ٥٤٨، هجر العلم، ١٩٢٩ .

(٥) المَخا: مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر إلى الشمال من باب المندب، غربي مدينة تعز بمسافة ٩٤كم، قديمة، ذكرتها النقوش باسم موزا ، انظر، معجم المقحفي، ٥٧٠، معجم الحجري، ٢/ ٦٩٤ . طبق الحلوى، ٥٨، البلدان اليمانية، ٢٥٦ .

(٦) أبو عريش: بلدة مشهورة في المخلاف السليماني، في الشرق من جيزان، تبعد عن مرفأ جيزان بنحو ٣٥ كم هجر العلم،١٤٢٣، اليمن الكبرى، ١١٧-١١٩ .

(٧) صبيا: بلدة عامرة في المخلاف السليماني، ذكرها ياقوت، وقال: صبيا من قرى عَثَّر من ناحية اليمن، شمال جازان بنحو ٦٥كم، وشمال شرقيها جبل عُكْوَة القريب من بلاد الزرائب، انظر، هجر العلم، ٣/ ١١٥٤، البلدان اليمانية، ١٧٣ .

مروان[1] وتلك الجهةِ السيدُ محمدُ بن علي الإدريسي[2] وهو موالٍ للنصارى إلا على المسلمين، ومنابذٌ الموحّدين، وكافةُ جهاتِ لواءِ تعز تحتَ يدِ الدولةِ العثمانيـة، وأما أحوالُ ما عدا اليمنِ، فالحربُ الطاحنةُ بينَ الدولةِ العثمانيةِ وموافقيها من أممِ الافرنجِ كدولةِ الألمان،/ والنيمسا والبلغار وبينَ / ١١ الإنكليزِ والفرانسةِ والايتاليان والجابون من أممِ الشرقِ الأقصى وأمريقا، ومن انضمَّ إليهم من دولِ النصرانيةِ غيرَ من ذكرنا فلم تزلْ مشتعلةَ الوقودِ في كافةِ أنحاء المسكونةِ تقريباً، من أثناءِ سنةِ اثنتين وثلاثين وثلثمائة إلى هذه الغاية. وقد تلفَ من الفريقين[1] أممٌ لا تُحصى وتحاربوا في البرِّ بالمدافعِ والبنادقِ والجيوشِ الجّرارَةِ التي لم يُعْهَدْ مثلُ جموعِها منذُ كانتِ الحروبُ، حتى قُدِّرتْ جيوشُ كلِّ دولةٍ بمتعددِ الملايين، والمليون ألف ألف مقاتل. وفي البحار بالبوابير العظيمةِ المصفّحةِ بالحديدِ والفولاذِ التي يقلُّ الواحدُ منها الآفاً من الجنودِ والمدافعِ الضخمةِ التي لا يُرمى بها ولا تُدارُ ولا تدخلُ فيها مرمياتُها إلاّ بالآلاتِ الهندسيةِ، والبابورُ عبارةٌ عن السفاينِ العظيمةِ المُسَيَّرةِ بقوةِ البخارِ المتولّدِ من شدّةِ غليانِ الماءِ بالنارِ، وفي الهواء بالطياراتِ التي بلغَ ما تحملُه إلى العشراتِ والمئةِ من الرجال مع مقذوفاتها الجهنمية، وهي مصنوعةٌ من الفولاذِ تطيرُ بقوةِ البخارِ المذكور بآلاتٍ سريعةِ الدوران فيتولّد من سرعةِ

---

(١) بنو مروان: من قبائل تُهامة الشمالية وهم من بني مالك بن شهر، تسكن جبال السراة الغربية الشمالية الواقعة على تهامة اليمن، انظر، حياة الأمير، ٦١٢ .

(٢) محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريسي ت١٣٤١هـ، حاكم عسير والمخلاف السليماني، أصله من فاس درس، في الأزهر ثم جاء إلى عسير، تعاون مع الإنجليز والطليان، وشاغل الإمام يحيى بحروبه بمساعدة الإنجليز والطليان حتى احتل الحُدَيْدَة، حول حروبه وعلاقاته انظر، تاريخ سينا لنعوم شقير، ٦٦٦، ملوك العرب لأمين الريحاني، ١/ ١٩٨، هجر العلم، ١١٥٧، الاعلام للزركلي، ٦/ ٣٠٣ .

[١-١]، سقطت من س.

دورانِها صعـودُهـا بها أقلَّتْـه في الهواء، وغيرُ ذلك مـن الاختراعـاتِ العجيبـةِ والأدواتِ الغريبة.

وكان الحربُ بينَ الفريقين[1] مستمراً، ولم تظهـر الغلبةُ التامـةُ لأحدِهما مع بذلِ كلِّ فريقٍ ما في وُسْعِه، ولقـد نُقِلَ إلينا أنّ القتلى الذين استشهدوا في جناق قلعةٍ[1] أمامَ مضيق بحر مرمَـرةَ، الموصلِ إلى استانبول[2] من العساكرِ العثمانيةِ نحوٌ من مئةٍ وخمسين ألفاً، وهذا في معارِكِ محلٍّ واحد.

فما بـالُك بسائرِ محالِّ الحربِ، وقـد أصابَ اليمـن من نارِ هـذا الحـربِ شرارةٌ، فإنَّ أمـراءَ الحكومـةِ العثمانية بـاليمنِ بعـدَ إعــلانِ الحـربِ المذكـورةِ وجّهوا عساكِـرَهُمْ ومعدّاتِهِم إلى لَحج[3]، وهـي إذْ ذاك بأيـدي بني العِبْـدلي[4]، وهم داخلون تحتَ حمايـةِ الانكليز ورعايتِهِم، فصبّحـوها بغاراتِهِـم الشعـواءِ، واشتعلَ الحربُ بينهم وبينَ أجنـادِ الإنكليـزِ والعِبْـدلي، فانهـزمَ الإنكلـيزيون،

(١) جناق قلعـة: اسم لمدينـة وقلعة Canakkale، تربـط بحر مرمـرة ببحر ايجة (المتـوسط)، عُرفت في العهد العثماني باسم القلعة السلطانية.

(٢)(استـانبول: عـاصمة الـدول العثمانية، تـرتبط آسيـا بأوروبا ، معـروفة ومشهـورة، من أسمائها القسطنطينية وبيزنطة والاستانة.

(٣) لَحْج: مخلاف ومدينـة، في نهايته من الجنـوب عدن، تبعـد عن عدن بمسـافة، ٤٠كم، ومـركزهـا الحوطـة، كثيرة الخيرات، وفيرة الميـاه، انظر، البلـدان اليمانيـة، ٢٤٥، اليمن الكبرى، ١٦٠، طبق الحلوى،.١٤٠، معجم الحجري، ٢/ ٦٧٧ .

(٤) بنو العِبْدلي (ويجوز بالفتح)، سـلاطين لَحْج ينسبون إلى عَبْدل، أحد أسماء حضرموت، وسلطان لحج منهم عبد الكـريم بن فضل، الذي تسلطن سنة ١٣٣٦هــ، انظر، حياة عالم وأمير، ٢٥٣ .

[١وقُتِل سلطانُ لحج١] وفرَّ الباقـون إلى عدن(١) وثبتَ الجندُ العثمانيُّ في لَحجّ وما جـاورَهُ إلى الغربِ مـن عَدن، ومـا زال الجنـدُ العثمانيُّ مرابطاً هنـالك، ومعهم كثيرون من أهلِ اليمنِ متطوعـون للجهادِ، وكلّما خرجَ الإنكليزُ من عـدن أغاروا عليهم وردُّوهم إلى أماكِنِهم وغنموا من معدّاتِهم والآتِهم/ وأعياهم أمرهم. / ١٢

و[٢في أثناءِ شهرِ الحرامِ من العامِ الجديـد رُفِعَتْ إلى المولى الإمامِ التهاني من الأفـاضـلِ، وهي كثيرةٌ، وَمِمَّن أرَّخَ العـامَ الحاجُّ الجمالي عليُّ بـنُ أحمد صـلاحُ الدين(٢)، البادرةَ في التواريخِ، والذي رفعه إلى المولى الإمام قوله: [الكامل]

بُشرى بإقبـالِ الإمـام فإنّـه	في عصرِنـا وافىٰ بأفـراحِ المُهَجْ
فـاللهُ ينصُرُه على كـلِّ العِـدى	ويـديـمُ دولَتَـهُ لإبـلاغ الحُجَجْ
وقـدومُـهُ بـالفتـح جـاءَ مُبَشِّراً	والنـاسُ حين أتى أتَـوْا مِنْ كلِّ فجّ
والحمـدُ للبـاري على إقبـالِـهِ	فلَقَـدْ أزالَ بيُمْنِـهِ حـرجَ الهَرَجْ
وبشـائرُ التأييـدِ أشرقَ نـورُهـا	والعُسْرُ زالَ وأمْـرُهُ عَنّـا عَـرَجْ
والمسلمـون جميعُهـم في راحـةٍ	والنصرُ لـلإسـلامِ في أعـلا دَرَجْ
ولـذلك البُشرى أتى التـاريخ قـدْ	لاحتْ لكلِّ النـاسِ أنـوارُ الفَـرَجْ

(١) عَـدَن: مـدينة مشهـورة على سـاحل بحـر اليمن في الجنوب، مـرفأ المراكب القـادمـة من الهند والحجاز والحبشـة، يحميها جبل شمْسـان وبها قلعة حصينة، انظـر، صفة جـزيرة، ٥٣، معجم البلدان، ٤/ ٨٩، مراصد الاطلاع، ٢/ ٩٢٣، معجم الحجري، ٢/ ٥٨٢، طبق الحلوى، ٧٣ .

(٢) علي بن أحمد صلاح الـدين ت١٣٧٩هـ، عـالم، أديب شاعـر، له ولع بالتـاريخ ونظم الألغـاز، تولى الكتـابة على بعض أعمال الـوقف في نظارة السيـد قاسم بن حسين أبـو طالب، قاسم العزي، ولد في صنعاء في صفر ١٢٩٠هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٢٠ .

[١-١]، سقطت من س. وعليهـا تعليق: فلينظر ذلك. كـان السلطـان هو أحمد بن علي العِبْـدلي الـذي مُنح لقب "Sir" سير، وقـد انسحب من عـدن، وقـد أصيب بـرصاصـة أثنـاء الهرج والفوضى التي دبت في المعسكر، ووصل عدن جـريحاً، وهناك فارق الحياة، انظر، جيكب، ملوك شبه الجزيرة العربية ١٠٣-١٠٤ .

[٢ سقط من س حوالي ثلاث أرواق

وفيـه وصلَ أوائلُ حجّـاجِ بيتِ اللهِ الحرام، ووصفـوا بعضَ مـا بلغهم من أخبارِ الشامِ والعراق، والخلاصةُ من ذلك:

أنّه قبلَ سنتين مـن هذا التاريخِ حصلَ الانحـرافُ من الشريفِ حسين بن علي[1] من ذوي عون، أشرافِ مكة، عن طاعةِ الـدولةِ العثمانية، ولم يَزلْ أسلافُه تحتَ طـاعةِ الأتـراكِ من بدايـةِ استيـلائهم على القطرين الشـامي والمصري في القرنِ العاشر في زمنِ السلطان سليم بن بايزيد[2]، فانتموا إلى العثمانيين بعد أنْ كـانـوا في زمنِ الغـوريــةِ المتملكين للشـامِ ومصر، ينتمـون إليهم، فلما أزالهم السلطانُ سليم بادروا بالانتماءِ إلى الأتراك، واستمروا كذلك والأشرافُ لهم الحلُّ والعقدُ في الحجازِ بالاشتراك مع ولاةِ الأتراك.

ولما حصلَ الحربُ العظيمُ، وكـانت أممُ الإفرنجِ قـد أظهرتْ سيطَـرتَها على الأممِ وعلى الخاصـةِ، ما تمكنَـتْ منه الإنكليـزُ، فإنهم قـد كانـوا أغـوَوْا كثيراً من رؤسـاءِ المسلمين في جـزيـرة العـربِ واستَهْـوَوْهُمْ واستمالـوهم إليهم في صفـةِ المعينين لهم، وكانوا يمدُّونهم بالأسلحةِ نكايةً بالأتراكِ.

---

(١) الحسين بن علي بن محمـد بن عبـد المعين بـن عـون، من أحفـاد أبي نُمي ابن بـركـات الحسني الهاشمي ت ١٣٥٠هـ في عمان، ودفن في القـدس، آخـر من حكم مكـة من الهاشميين ونادى باستقـلال العرب والانفصال عن الدولة العثمانيـة، حارب الأتراك، وقاد الثـورة العربيـة الكبرى، خدعه الانجليـز وأفشلوا آمالـه في وحدة العـرب، انظر ملـوك العرب، ١/ ٢٣، ومـا رأيت ومـا سمعت، ١٠٩، قلب جـزيرة العـرب، ٣١٦، الاعلام، ٢/ ٢٤٩

(٢) سليم بن يـايزيد: يـا ووز سلطان سليم بن يـايزيـد الثاني، تاسـع سلاطين بني عثمان حكم من ١٥١٢ – ١٥٢٠ انظر Osman Lilar Albumu 1:49.

ففي نجد استهوَوْا بني سعود[1]. وفي البحرين وعُمان استمالوا مَنْ فيه من الخوارجِ، حتى دخلوا تحتَ حمايتِهم. وفي الكويت ابنَ الصّباح[2]، وفي حضرموت[3] والشحر[4] ومكلاّ[5] القعيطي[6] وهو تحتَ حمايتهم، واحتلوا عدن من البلادِ اليمنية، واستمالوا العبدليين وغيرهم من قبائلِ السواحلِ، وكان القطرُ المصري تحتَ أيديهم، وكذلك الخليجُ الذي وقع حفره.

وكان الوصلُ به بين البحرِ الرومي وهو البحر الأبيضُ وبحر القُلْزُم المسمى الآن بالبحرِ الأحمرِ فكانَ أيضاً تحتَ أيديهم، وقد كانَ الأتراكُ أرادوا اجتيازَه من الجهةِ الشاميةِ، ليتوصّلوا به للدّخول إلى مصرَ، فصُدوا مراراً بما أعدَّه الانكليزُ هنالك من القلاعِ والجنودِ، وساعدهم المصريون على ذلك فتيسَّر لهم بهذا الغزو المهول/ استمالةُ الشريفِ حسين بن علي للخروجِ عن طاعةِ العثمانيين، / ١٣

(١) عبد العزيز عبد الرحمن بن فيصل بن سعود ١٢٩٣هـ-١٣٧٣هـ، مؤسس المملكة العربية السعودية، انظر، الاعلام ٤٢/ ١٩ وسيرته، أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث، فؤاد حمزة: البلاد العربية السعيدة، حافظ وهبة: جزيرة العرب، ومراجعه كثيرة.

(٢) المقصود بابن الصباح: الشيخ سالم بن مبارك الصباح (حكم ١٩١٧-١٩٢١م/ ١٣٣٦هـ-١٣٤٠هـ)، انظر، تاريخ الكويت الحديث، أحمد مصطفى أبو حاكمة، ٣٤٢ .

(٣) حَضْرَموت: تعرف بالأحقاف قديماً، بلاد واسعة في جنوب اليمن، تقع إلى الشرق والشمال الشرقي من مدينة عدن، نسبت إلى حضرموت بن حمير الأصغر انظر، معجم الحجري، فرجة الهموم، ٣٧، المقتطف، ١٦، معجم المقحفي، ١٧٧، اليمن الخضراء، ١٢٦ .

(٤) الشِّحْر: مدينة من حضرموت، تطل على البحر الهندي، ميناء هام من موانىء حضرموت، ينسب إليها العنبر الشحري انظر اليمن الكبرى، ١٧٣، معجم البلدان، ٣/ ٣٢٧، اليمن الخضراء، ١٢٨ قرة العيون، ٣٠٤، معجم الحجري، ٢/ ٤٤٧ .

(٥) المُكَلاَّ: على ساحل بحر اليمن، ميناء مشهور.

(٦) المقصود السلطان غالب بن عمر القعيطي.

وإعلانُ الانفصالِ عنهم، فثار بمن في مكـةَ من الجندِ التركي وأسَرهُمْ، واستولى على ذخـائِرِهم ومُهِّماتِهم الحربيّـةِ، وسـاقَ الأسرى إلى جـدَّةَ[1]. وسلّمهم إلى الانكليزِ، ثم جهَّـزَ أولادَه إلى الجهاتِ بقبائلِ الحجاز، فـوجَّه ولـدَه فيصلاً[2] إلى العقبةِ[3]، وهي آخرُ مرسى للبحـرِ الأحمرِ مقابلٌ للقطـرِ الشامي. وجاءَ إليها بحـراً على بوابيرِ الإنكليـز، وبعضُهم على المدينةِ المنـورةِ -على ساكِنهـا أفضلُ الصـلاةِ والسـلام- وما زالت الحروبُ بينهـم ومعهم الانكليزُ يمـدّونهم بـالمالِ والـذخائرِ والـرجـالِ وبينَ الأتـراكِ سجالاً، تـارةً لهم وتـارةً عليهم، حتى ثبتتْ أقدامُ الشريفِ فيصلٍ ومن معه، واستولوا على العقبةِ، وأسَرُوا من فيها من جنودِ الأتراكِ ثم تقدّمـوا إلى أنْ وصلوا إلى معان[4]، وهي بلدةٌ كانت أعمالُها مـربوطة بولايةِ دمشقَ، واستـولوا عليها، وتمكنوا بذلك من قطعِ السكـةِ الحديديةِ[5] التي كانتْ ممتدةً مـن دمشقَ إلى المدينةِ المنورةِ. قلتُ: وهذه السكـةُ الحديديةُ اعتنى بتشييـدِهـا وبنائهـا السلطـانُ عبـدُ الحميد بنُ عبـد المجيـد العثماني في أواسطِ سلطنَتِه، وتمّتْ بعدَ أعوامٍ، أنفقَ فيها السلطانُ المذكورُ الأموالَ الوفيرةَ، والسكةُ

---

(١) جُـدَّة: تقع على ساحـل البحر الأحمر، ميناء تجاري للسفن القـادمة مـن الهند وعـدن واليمن وعِيذاب وسواكن ودهلك، معروفـة من الحجاز، انظر، الروض المعطار، ١٥٧، الحضراوي، الجواهر المعدة، ١١، السلاح والعدة، لابن فرج، ٣٦ .

(٢) فيصل بن الحسين بن علي ت ١٣٥٢هـ، قـاد قوات الشريف الحسين في معاركـه ضد العثمانيين ونـودي بـه ملكاً على سـوريـا ومن ثم على العـراق، انظر عمـر أبـو النصر، فيصل بن الحسين، أمين الريحاني، فيصل الأول، الاعلام ٥/ ١٦٥ .

(٣) العقبة: في جنـوب الأردن ، تقع على ساحل البحـر الأحمر، ميناء الأردن، انظـر، الروض المعطار، ٧٠ .

(٤) معان: مدينة في بلاد الشام إلى الطريق إلى المدينة، هي في جنوب الأردن.

(٥) المقصود سكة حديد الحجاز، انظر حجاز تيمور يولى ط ١٣٢٨هـ.

الحديديةُ عبارةٌ عن بناءٍ ممرٍ للبوابيرِ المسمّاة في اللغةِ الافرنجيةِ بالشمندوفار[1]، تُشَيَّدُ أولاً برصِّ الأحجارِ بعدَ الترابِ ثم بالخشبِ ثم بالحديدِ، ليكونَ مرورُ عجلاتِ البوابيرِ البريّةِ فيها، ولها في سرعةِ السيرِ الغايةُ القصوى، فقد كانَ المسافرُ يصلُ من دمشقَ إلى المدينةِ المنورةِ في أربعةِ أيام بعدَ أنْ كانت لا تقطعُها الرواحلُ إلا في أربعين يوماً والمسافرُ مع ذلك في البابورِ البري قاعدٌ كأنه في مكانٍ مِنْ غُرَفِ بيتِه لا يُصيبُه ألمٌ ولا مشقةٌ.

وهذه البوابيرُ البريّةُ مسيَّرةٌ بقوةِ البُخارِ المتولِّدِ من فرطِ غليانِ الماءِ بالنارِ، وبواسطتِها تمكّن الأتراكُ من البقاءِ في المدينةِ المنورةِ لجلبِهم الجنودَ والذخائرَ والنفقاتِ للجنودِ على هذا البابور، فلمّا وصلَ الشريفُ فيصلٌ إلى مَعَان، وتمكَّن من قطعِ السّكّةِ الحديديةِ، زحفَ الشريفُ فيصلٌ وجنودُه والإنكليزُ وجنودُهم والفرانسويون على دمشقَ، وقد كانَ الإنكليز -بعدَ أن صدوا العثمانيين من اجتياز القنال- أنزلوا جنودَهم إلى مدينةِ غزة[2] والعريشِ[3]، ووقعتْ بينهم وبينَ الأتراكِ ومَنْ أعانهم من الألمانيين، معاركُ يشيبُ منها الوليدُ، وزحفوا منها إلى فلسطينَ، واستولَوْا على بيتِ المقدسِ وجميع بلادِ فلسطين، ثم زحفوا منها إلى الشامِ وجَرَتْ بينَ الفريقين معاركُ كبرى على أريحا[4] وبحيرةِ طبرية[5].

(١) الشمندوفار: Chemins Defer، الكلمة فرنسية وتعنى خطوط السكك الحديدية.

(٢) غزة: مدينة في جنوب فلسطين، على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بها قبر هاشم بن عبد مناف، انظر الروض المعطار، ٤٢٨ .

(٣) العريش: من مدن مصر، على الساحل، أول مدن مصر من فلسطين، الروض المعطار، ٤١٠، صبح الأعشي، ٣/ ٣٨٢، ياقوت، معجم البلدان مادة عريش.

(٤) أريحا: مدينة فلسطينية قديمة، أقرب مدن فلسطين إلى نهر الأردن، مشهورة معروفة.

(٥) طبرية: مدينة من بلاد الأردن بالشام، بناها طيباريوس أحد ملوك الروم، تقوم على بحيرة، وهي معتبرة من مدن فلسطين المحتلة، انظر، الروض المعطار، ٣٨٥، البلدان لليعقوبي، ٣٢٧ .

وفي نهايتها تقهقر العثمانيون، ووقعَ جنـدُ الأتراكِ في أيدي الإنكليز أسرى، حتى لقـد قيلَ: إنّه بلغَ عـددُ أسرى الأتراكِ في الشـام إلى ما ينـوفُ على سبعين ألفـاً، والأمرُ للهِ وحـدَه، ولمّا تمَّ لهم ذلك اجتمعَ على دمشقَ ودخلوهـا،/ ١٤ / وأسرُوا مَنْ فيها من الجنودِ، وانتهَبوا ما فيهـا من المعداتِ. وتقلَّصَ ظلُّ سلطنةِ الأتراكِ عن البلدانِ الشاميةِ جميعاً، فإنهم بعدَ ذلك تتبّعوها بلداً بلداً، واستولوا على مثلِ بيروتَ وطرابلـسَ وحمصَ وعكا وصيـدا وصور ونابلـس. وزحفوا منهـا جميعاً إلى ولايـةِ حلب، وتَمَّ لهم مـا أرادوا من الاستيلاءِ عليهـا، وعلى جهـاتِها واستقبلهم سكانُها بالترحيبِ، وهكذا انقضى زمنُ دولةِ الأتراكِ من تلك الأقطارِ.

ولما تمَّ من الحوادثِ المهـولة هـذه ما تمَّ، وصـادفَ وقوعُ أكثـرِها في مـوسمِ الحجِ، كـان الحُجّـاجُ يشـاهــدون إشعـالَ النيرانِ من طـرفِ الشريفِ حسين وأعوانِه. وضربَ المدافـعِ وغيرَ ذلك، مما هو علامةٌ على ورودِ البشـائر فيسألون عن ذلك، ويُقـال لهم: إن الشريفَ فيصـلاً استفتَـح بلـدَ كـذا، فـوردوا بهذه الأخبارِ، ورُفع إلى مولانا الإمام -أيـده الله- بعضٌ منها، فاهتمَّ لها اهتماماً عظيماً، وظهـر عليـه أثرُ الأسفِ لما تحويـه من وقـوعِ الـدولـةِ العثمانيةِ في شبكـةِ مكـرِ النصارى، ومن أعانَهم مغتراً بوعودِهم الكاذبـةِ وإمدادِهم له بالأموالِ في سبيل سعيهِ في مصلحتِهم، لا قوةَ إلا بالله.

ولقد بذلَ الإنكليزُ غايةَ مجهودِهم في استمالةِ مولانا الإمـام إلى نقضِ ما بينه وبينَ حكومـةِ الأتراكِ من الصلح، فأبتْ نفسُه الكـريمةُ وحميّةُ الدينيـةُ وأنَفَتُهُ الهاشميةُ إلاّ الوفاء بـالعهودِ والاستمرارِ على السعي المحمود. بل لم تـزلْ يدُهُ الطولى تمدُّ إلى الأتـراكِ - في أثنـاءِ هـذا الحربِ العظيم، بـالجمِّ من الأمـوالِ، ولا سيما بعـدَ

....

....

إحكامِهم حلقاتِ الحصارِ البحري على مَنْ باليمنِ وانقطاع المَدَدِ عنهم من كلِّ جهـة، وهكذا شأنُ مَنْ كلُّ أعمالِـه يُرادُ بها وجـهُ اللهِ عزَّ وجل، ولا يشـوبُها وزنُ الطمع المُفْضي للـوقـوع في مـزالقِ الـزلل، فجـزاه اللهُ عنِ المسلمين خيراً، فلقـد أبقى لَلـدّيار اليمنيـة الَداخلـةِ تحتَ طاعتهِ سمعـةً يتعطَّرُ منهـا جيبُ الـزمان، ويستنشقُ عندَ ذكراها نفحاتِ مدادِ الرحمن[1].

وفي اليومِ التاسعِ من شهرِ صفـر، وصلَ والي اليمن محمود نديم بك ورئيسُ الجنودِ التركيـةِ وقائدُها أحمد تـوفيق باشا إلى صنعـاءَ عائدين من اليمنِ الأسفلِ وجهاتِ زَبِيد، وكانت طـريقُهما من الجهةِ العدنيةِ [1] إلى إب(١) فيرَيْم وذَمار وما بعـدَها إلى صنعـاء[1]، وخـرجَ النـاسُ لاستقبالهما وظهـرَ عليهما بعضُ إمـاراتِ الانزعاج.

وفي اليوم الثاني، وهو عـاشرُ الشهرِ بادرا بالوصولِ إلى مـولانا الإمامِ وتشّرفا بزيارتـهِ، وأبلغا مولانا الإمـامَ ما قد وصلَ إليهما من الأخبـار المدهشةِ السَريعةِ، وكانت حقيقـةُ ما وصلا إليهما أنهما في أثناءِ عـودهما إلى صنعاء لم يَرُعْهُما إلاّ ورودُ نبأ تلغـرافي في كتبٍ مِنْ لحج، بعدَ أن تُلُقّي من عـدن بواسطـةِ الإنكليز، وكـان عليه اسمُ الصدرِ الأعظم أحمد عـزت باشا(٢)، وهذا اللقبُ في الـدولةِ العثمانية لـرئيس وزراءِ السلطان، ولم يكنْ محرراً بأحـرفِ الكتابـة وقـواعدهـا بل بالآلـةِ المسماةِ بالشيفـرةِ، فلما صار حلُّ تلك الأعـداد،/ كان مـا تضمَّنه[2] عبارةً عن / ١٥

(١) إب: مدينة عـامرة تبعد عن صنعاء ٢٠٠كم جنـوباً غرباً في رأس ربـوة متصلة بجبال بَعْدَان، وعلى بُعـد ٦٥كم من تعـز، انظر، مـراصد الاطلاع، ١/ ١٠، معجـم البلدان، ١/ ٦٤، تاريخ مدينة صنعاء، ٦١٧، البلدان اليمانية، ١١٥، حياة الأمير، ٦٠٧ .

(٢) حول الهدنـة والتلغرافات انظر، هـدية الزمن ٢٤٢-٢٦٠ والـوثائق ص٣٠٣-٣١٤، وقد ناقشنا هذه التلغرافات في الدراسة وأوضحنا رأي الإمام فيها.

[١-١] سقطت من س. [٢] في ص، نصه.

الإفادةِ بـوقوعِ الهزائمِ المتـوالية على الـدولةِ العثمانيـة والألمان، ومَنْ إليهـم، وأنّ الدولـــةَ قد اضطـرتْ بعدَ فـرارِ وزرائِها الـذين تولـوْا أمرَ الحروبِ إلى تـرتيبِ الـــوزراء الآخرين والمبـادرةِ إلى طلبِ الصلح من الإنكليز والفـرانسويين ومَنْ إليهم، وكانَ عقـدُ الهدنةِ بينَ الفريقين مدةَ ثـلاثةِ أشهر، وجـاءَ من شروطِ عقدِ الهدنـةِ [١التي رُتِّبَتْ بينَ الفـريقين١] أنَّ على الـدولـة العثمانيــةِ أنْ تضعَ قـوَّتَها البحريـةَ والبريةَ ومعداتِها تحتَ تسلّطِ الإنكليـزِ ومَنْ إليهم، وأنْ يحتلَّ الإنكليزُ ما أرادت من بلدانَ الـدولةِ العثمانيةِ الباقيةِ تحتَ يدِ الـدولةِ العثمانيةِ إلى وقتِ عقدِ الهدنـة. وأنَّ الجنودَ البـاقيةَ في مثل اليمن والمدينـةِ المنورةِ وعسير ونحـوِها، يكـونُ منهم تسليمُ أنفسِهم ومعداتِهم إلى يـدِ الإنكليز، وغيرُ هـذا من الشروطِ التي لا يطيق تحمّلُهـا ذو حياة، وألـزمَ الصدرُ الأعظمُ أميرَ الجنـود التركيةِ ههنـا -أعني في اليمن- بـالعملِ بمقتضاهـا[٢] والترامي إلى أحضـانِ العدوِّ الكـافرِ، نسألُ اللهَ السـلامـةَ من الخذلان، ولما أفـاضَ المذكـوران حـديثَهما [٣ورفعاه إلى مسامعِ مولانا الإمامِ، قابلَهما بالتثبيتِ ولزومِ التأني والتعميمِ على عدمِ التسلمِ٣] إلى الكـافر، ووعـدَهما الإمامُ بكلِّ جميلٍ والتـزم لهما بالإنفـاقِ على الجنود، وبقـاءِ الأمور جـاريةً على محورِهـا المعهودِ، وأفـادهما بأنه لا ينبغـي الاطمئنانُ إلى خبرٍ كـان مصدرُه العـدُوَّ، وأمـا كونُـه بـالشيفرةِ السريـةِ فَتطـرقَ إليه احتمالُ عثـورِ الإنكليـزِ في البلـدانِ الشاميّـةِ أو العـراقيـةِ، التي استـولوا عليهـا، على مفتـاحِ حلِّها[٤]، وبعدَ بـذلِ المجهودِ من مـولانا الإمـامِ في صد المذكـورين عن العملِ بمقتضى ذلك البناءِ، استقـرَّ الحالُ على أن يكونَ من مولانا الإمـام الدخولُ إلى

....

[١-١] سقطت من س.

[٢] في س، بمقتضى هذا.

[٣-٣] سقطت من س.

[٤] في س، سرها وحلها.

صنعاءَ واستلامُ قصر غمدان[1]، والمعداتِ الموجودةِ فيها، وكذلك في سائرِ الجهات، وأرسلَ مولانا الإمامُ أمراً شريفاً إلى قائدِ الجنودِ التي بلحج سعيد باشا يلزِمُه فيها بالتوقُّفِ عن تسليم نفسِه، ومَنْ معه من الجنودِ والمعداتِ الحربيةِ، وكانت شيئاً، وعدداً وفيراً، وكان أرسله بواسطةِ التلغرافِ، وقابلَ مولانا الإمام -أيده الله- هذه الحوادثَ المُريعةَ بثباتِ الجأشِ التي لا تزعزعُهِ زوابعُ الحادثاتِ الكوارث، وكان ذلك ديدَنَهُ -عليه السلام- فلم يكنْ مِمَّنْ يغرُّهُ الانتصارُ ولو عظُم، ولا يُقْعِدُ همّتَه الصادقةَ مهولُ الانكسارِ وإن جَسُمَ.

لا زال يتلقّى الأمورَ بتروٍّ وبصيرةٍ، فيبرزُها في أكملِ خِطةٍ منيرةٍ، وكان من عنايةِ الله -سبحانَه- بشأنِهِ وشأن المسلمين، ما ألْهَمَهُ اللهُ للقيامِ بِهِ من دونِ عادةٍ مألوفةٍ، وهو عزمُ ذاتِه الشريفةِ على الوصولِ إلى الرّوْضَةِ قبل أن يظهرَ أثرٌ من آثار هذه الكوارثِ، فصادفَ وقوعُها وهو مقيمٌ بالرّوْضَةِ وعلى قربٍ تمكّن به من تلافي رمقِ هذه الأقطارِ ووقايتِها من أخطارِ الكفارِ، ولولا وجودُه -أيده اللهُ- لتمكَّنَ الكافرُ من الاستيلاءِ على البلادِ،/ صفواً عفواً لخُلوِّها من المدافعِ / ٦ وعمومِ الدهشةِ بالخبرِ الفاجع، فكان قربُه - عليه السلام - ووجودُه رحمةً من اللهِ لعبادِه، ولطفاً أزالَ عنهم خطر الكفر وفساده.

وفي صباحِ اليومِ الثاني من تلك الملاقاةِ، وهو يومِ الجمعةِ، حادي عشر الشهرِ المذكور، بادرَ مولانا الإمامُ بإرسالِ السيد العلامةِ الهمام، جمالِ الإسلام، عليِّ بن عبدالله الوزير، ومعه عصابةٌ نافعةٌ إلى جهاتِ حَراز، لاستلامِ حصونها

---

(١) غُمْدَان: قصبة صنعاء، كان الضحاك بناه على اسم الزهرة بجوار جامع صنعاء، خَرَّبَه عثمان بن عفان، كان يتكون من أربع عشرة طبقة، وإذا قعد فيه ملوك اليمن واشعلت السُرج، رئي ذلك على مسيرة أيام، انظر، الروض المعطار، ٤٢٩ صُبح الأعشى ٥/ ٤٠، الاكليل، ٨/ ١٢، معجم ما استعجم، ٣/ ١٠٠٢، البلدان اليمانية، ٢١٩ .

وتـرتيبِها خـوفـاً عليهـا من الباطنيّـةِ[1] ، سكـانِ حـراز، لأنهم كانـوا يُظهـرون الانحرافَ عن الموالاةِ، ولاستـلام ما هنالكَ من المدافعِ والذخـائرِ الحربيةِ، فتمَّ ذلك في أقـربِ مـدةٍ على أحسـن مـا يـرام، وضُبطَتْ تلك الجهـاتُ ورُتِبَتْ حصونُها، ودخلَ الباطنيةُ، الذين هنالكَ، تحتَ الطاعةِ والموالاةِ.

وبعدَ صلاةِ الجمعـةِ أرسل مولانـا الإمـامُ السيّدَ العـلامةَ عبـدالله بن أحمد الوزير[2]، وكان مقيماً بحضرة الإمـام منذ وصـوله من ذمار، بعصـابةٍ نـافعةٍ إلى صنعاءَ، وأمـره الإمامُ بترتيب قصرِ صنعـاءَ وأبوابِها، وأعقبَـهُ بأخريـن للنظرِ فيما يُخشى فواتُه من المهمات.

---

(١) البـاطنية: يقصـد بها الاسماعيلية، حيث انفصلت عن الجعفـرية واعتبرت الأئمـة من نسل إسماعيل، ويطلق عليهم في بعض الأحيان، المكارمة، والمكـارمة طائفة اسماعيلية يسمـون السليمانية نسبـة إلى سليمان بن حسن، من أعيان المئـة الحادية عشرة، سكنـوا حـراز وغراس مـن يَريْم والمزاحن مـن العُدَين، وطيبـة من همدان، ورئاستهم في يـام نجـران وطائفـة أخـرى هي الدّود نسبـة إلى داود بن قطب شـاه ويسكنون بـالشرقي، اليعابر وبني مقاتل في حراز ورئاستهم بيـد سلطان البهرة في الهند، انظر، هجر العلم، ١٦٩٤، حياة الأمير ٦٣٩، ٦٤٠.

(٢) عبدالله بن أحمد بن محمـد الوزير ت ٣٠ جمادى الآخـرة ١٣٦٧هـ في ساحـة حورة في حَجَّة إعداماً، ولاه الإمام يحيى الحكم والقضـاء في ذَمار سنة ١٣٣٤ هـ وقد مَهدَّ الحدأ وعُتُمـة ووصاب العـالي والسـافل وجبل راس من أعمال زَبيـد وحَيس والمَخا، وامتـدَّ نفوذه إلى إب وحاشد وأرحـب وتهامة، وشهر أمر حملاته العسكريـة وخاصة في معارك البيضاء، وكـان الممثل للامام في اتفاقيـة الطائف ٦ صفر ١٣٥٣هـ، وكـان لأحداث ١٣٦٨هـ/ أثرها إذ غدا الإمـام ومن ثم القي القبض عليه وأُعدم، انظر، هجر المعلم، ١٩٦ - ٢٠٧، مجلة المنار مجلد ٣٤ ج٣ تاريخ ٣٠ ربيع الأول ١٣٥٣هـ، ١٩١، حياة الأمير، ٥٦١.

وفي نهارِ الأحـدِ الموافق ثـالـثَ عشرَ الشهـر المذكـور، كان دخـولُ مـولانـا الإمامِ، أيـده اللهُ، إلى صنعاءَ دخولاً معظماً، لم يُعْهَـد مثلُه وخرجَ النـاسُ زرافاتٍ لتلقّيـه، وكـان مع مـولانا الإمـامِ كثيرون من عُقّـال حـاشـد وأرحب[1] ونِهمْ[2] وخَوْلان[3]، فقصدَ مـولانا الإمامُ جـامعها المقدّس، فصلّى بـه صلاة العصر، ثم انتقلَ من هنـالك إلى دار القاضي العـلامـةِ حسينِ بن علي العمري بمحـروس، بئر العـزب[4]، واستقـرَّ بها. وواجَهَ هنـالك كـافّةَ الأفـاضلِ والعلماءِ والأشرافِ وكافةَ أمراءِ الأتراكِ وقضـاتِهم، وشرعَ في ضبطِ الأمورِ، وتحري مصالح الجمهور،

(١) أرْحَب: قبيلة كبيرة من هَمْدان، واطلقت على نـاحية تابعـة لمحافظة صنعاء تبعـد عنها بمسـافة ٥٠ كم شمال شرقيهـا، يحدها شمالاً وادي ذيبين وجنـوباً بني الحارث وشرقـاً بلاد الجوف وبعض نهم وغـرباً هَمْدان وطرفـاً من حاشـد، انظر، الأكليل، ١٠/ ١٣٤، البلـدان اليمانية، ٢١، اليمن الكبرى، ٧٣، نشر العـرف، ٢/ ٢٧٤، معجم المقحفي، ٢٤، حياة الأمير، ٦٠٩ .

(٢) نِهم: قبيلـة من بكيل الهَمْـدانيـة، مسـاكنهـا في الشرق الشمالي من صنعـاء، على بعـد ٥٨كم، تتصل من شمالها بـالجوف وبـلاد سُفيـان ومن شرقيها بـالجوف ومن جنـوبها ببلاد حشيش وخـوْلان العالية، ومن غـربيها ببـلاد أرحب، انظر، الاكليل، ٢/ ٤٥٣، صفـة جـزيـرة، ١٥٤، نشر العـرف، ٢/ ١٩٤، معجـم الحجـري، ٢/ ٧٤٦، اليمن الكبرى، ١٩٤، معالم الآثار، ٣٧.

(٣) خَوْلان: من القبائل اليمنية الكبرى وهي ثلاث أقسام، خوْلان صنعاء وخوْلان صعدة وخـوْلان قُضاعـة وهي خَوْلان ابن عـامر ولكـل فرع بـلادها الـواسعة، انظـر، معجم الحجـري، ١/ ٣١٣، معجم المقحفي، ٢٢٢- ٢٢٥ نشر المحـاسن اليمانيـة، ٨١، البلدان اليمانية، ١٠٤، اللباب، ١/ ٤٧٢.

(٤) بئر العـزب: بالغـرب من صنعـاء القديمـة، وكان يفصلـه سور قصر السعـادة ومباني حكوميـة، ويصله بصنعاء بـاب السباح، يحده غربـاً قاع اليهود وشرقـاً صنعاء وشمالاً بني الحارث وجنوباً بعض قاع صنعاء، انظر، صفات مجهولة، ٣٦، حياة الأمير، ٦١٢.

....

وبثَّ الأمانَ وكفَّ أيدي الرُّعاع، وصدرَ أمرُه الشريفُ بمنع الدخول من أبواب صنعاءَ بالسلاح، ورتَّب هنالك أمناءَ لقبْضِ سلاحِ كلِّ واصل، وكان الأمر الشريفُ يتضمَّنُ منعَ البنادقِ لا ما عداها، فجرى ذلك على أكمل أسلوبٍ، وكان في ذلك من المصلحةِ العامة ما ظَهَرَ أثره المحمودُ من منعِ وقوعِ الحوادثِ والفتنة بين أهل صنعاء، ومَنْ وردَ عليها أو مِنَ الواصلين فيما بينهم على كثرةِ مَنْ يَرِدُ إليها من البلادِ المجاورةِ لها، ومن سائر الجهات، ولا سيما وقتَ اجتماع الجنودِ وبلوغِ عددهِم، إلى الآلاف العديدة.

وفي يوم وصولِه – عليه السلام – تلقى الوافدين إليه من أعيانِ لواءِ تعز، وهم السيدُ أحمد بن علي عبدالجبار[1]، وكان يُلَقَّب بالباشا، والقاضي عبدُ الرحمن بنُ علي الحداد[2] حاكمُ لواءِ تعز من قِبَلِ/ الدولةِ العثمانيةِ، والشيخُ إسماعيل/ بنُ محمد باسلامه[3]، عاملُ قضاءِ إب من قِبَلِ الأتراكِ، وأربعةٌ من /١٧

---

(١) أحمد بن علي بن عبدالكريم بن عبدالجبار المجاهد ت ربيع الأول، ١٣٦٧هـ، عالم في كثير من العلوم، تولى القضاء في سن مبكرة وتدرج حتى صار حاكماً للواء تعز، وكان خطيب جامع الملك المظفر، ومدير المدرسة العلمية بتعز، شارك في الحرب الكونية الأولى إلى جانب العثمانيين كان يلقب بالباشا من ذرية أحمد بن المتوكل على الله قاسم بن حسين، ولد سنة ١٣١١هـ، نظر، هجر المعلم، ١١٧٨.

(٢) عبدالرحمن بن علي بن ناجي الحداد توفي سنة ١٣٤٠، أديب، شاعر، تعين للفتوى في إب، رافق وفد العلماء إلى استانبول سنة ١٣٢٥ هـ، وعينه الإمام لقضاء تعز، نظم الاختيارات الامامية للإمام يحيى وشرحها، وله تحفة الأصفياء وتحفة الإخوان، ولد في إب سنة ١٢٩٣هـ، انظر نزهة النظر، ٣٤٧، حياة الأمير، ٥٢٦ وفيه خلاف في الولادة والوفاة.

(٣) اسماعيل بن محمد بن سلامة ت ١٣٥٢هـ كتب محمد بن علي الأكوع كتاب عالم وأمير ط ١٤٠٧ والعالم هو أحمد بن عبدالله بن يزيد بن صلاح مطهر هجر العلم ٤٣٩، حياة الأمير، ٥٣٨، عامل قضاء إب وحاتم اليمن للأتراك ترقى حتى رتبة قائم مقام، عينه الامام بعد انضمامه عليها.

أولادِ الشيخ عليٍّ بن عبدالله بن سعيدِ بن أحمدَ بن علي سعد من مشايخ العُدَيْن، والشيخُ محمد بن عبدالوهاب بن محمد بن قاسم، والشيخُ محمدُ بن عبدالواحد بن محمد بن قاسم، والشيخُ عبدُالواسع نعمان[1] من مشايخ الحُجَرية[2]، والشيخُ علي ناصر الكمراني نائباً عن الشيخ محمد ناصر باشا[3]، عامل القَماعِرة[4]، وغيرها من الجهات المتاخمة لها، والحاجُ محمد عايض العُقاب[5] من مشايخ حُبيش[6]، فتلقّاهم مولانا الإمامُ أحسنَ تلقٍّ، وأكرمَهُم أوفرَ إكرامٍ، وكثرت المراجعةُ بينهم وبينَ مولانا الإمامِ فيما يكونُ به الموالاةُ، وانتظامُ أمرِ الطاعةِ وصيانةُ البلادِ من أخطارِ الكُفّار، وإيقافُ العساكرِ التركيةِ المقيمةِ بلحج من التسلُّم إلى أيدي الانكليز، ووقوفُهم في مكانهم.

---

(١) عبدالواسع أحمد نعمان: من شيوخ الحجرية، وعامل ناحية المقاطرة ت ١٣٣٩هـ. في معركة المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٥٦٩.

(٢) الحُجَريَّة: بلاد واسعة جنوب تعز، كانت تسمى قديماً باسم المعافر، مركزها اليوم «التُّربة» من قرى مخلاف ذبحان، أنظر معجم المقحفي، ١٥٥، معجم الحجري، ١/ ٢٣٢ - ٢٤٢.

(٣) محمد ناصر مقبل، (باشا القماعرة): ولاة الأتراك الضالع سنة ١٣٣٣هـ بالإضافة إلى قائم مقامية القماعرة، وأقبل الامام يحيى بعد دخوله صنعاء ١٣٣٧هـ، كان متقلب الولاء، حتى كان له اتصال بالانجليز، انظر حوله، هدية الزمن، ٢٧٦، حياة الأمير، ٥٩٩.

(٤) القَماعِرة: قضاء من ألوية تعز على بعد ٥٠كم، يقع بين قَعْطبة شمالاً والقبيطة جنوباً، ولواء تعز غرباً، على مقربة من الجند، مركزها ماوية، أنظر، معجم الحجري، ٢/ ٦٥٧، معجم المقحفي ٥٢٣، حياة الأمير، ٦٢٨، وهي عُزلة من ناحية ماوية وأعمال تعز.

(٥) محمد عايض العُقاب: أحد مشايخ حُبَيْش الأقوياء، انهى تمرده في غضون ثلاثة أيام بعد ثورة، وفر إلى طرف الإدريسي ويقال أنه مات هناك، أنظر، حياة الأمير، ٥٩٢.

(٦) حُبَيْش: ناحية من أعمال إب في الشمال الغربي، انظر، اليمن الكبرى، ٤٤، نشر العرف، ١/ ٧٦٩، معجم المقحفي، ١٥١.

و[١من حين١] دخولِ مولانا الإمام - أيده الله- إلى صنعاءَ لم يزلْ موّجهاً لهمتّه المباركةِ في استلام المهمّات، وهي وإنْ كانت قليلةً بالنسبةِ إلى ما كان بلحْج، إلاّ أنها لا يُستهانُ بها، ومع ذلك، لم يزلْ باذلاً لغايةِ النصحِ والإرشادِ لأمير الجنودِ التركيةِ أحمد توفيق باشا في صرفِ نظره عن فكرة التسليم ، وهو ومَنْ معه من أمراء العساكر في اضطرابٍ، تارة يميلون إلى ما قاله الإمامُ، وتارةً يصمّمون على الإلقاءِ بأنفسهم إلى قبضة الانكليز.

وقد كان مولانا الإمامُ وجَّه السيدَ الهُمام محمد بن علي الشامي(١)، ومعه ما ينوفُ على سبع مئة رام، من المجاهدين على بني بُخَيْت(٢) وأشرارِ الحدأ(٣) بعد أن ظهرَ منهم العدوانٌ، والامتناعُ عن إيفاءِ الواجباتِ، وكان تجهيزُه في أوائل شهرِ صفر والإمامُ مقيمٌ الرَّوْضَةِ، فورد كتابُه في سابعَ عشرَ الشهر المذكورِ، مخبراً بما مَنّ اللهُ به عليه وعلى مَنْ معه من المجاهدين من النصر العظيم وهزيمةِ

---

(١) محمد بن علي بن أحمد عبدالله الشامي ت في الحدأ، ربيع الأول ١٣٤٦هـ، أديب كاتب، وقائد محنك، كان من كتبة الامام يحيى بالقَفْلَة، ثم عينه عاملاً على الحدأ سنة ١٣٣٤هـ، وله حملة على رَيْمة والبيضاء، ولد بجحانة ١٢٩٣هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٧، هجر العلم، ٣٢٤.

(٢) بنو بُخَيْت: عُزلة مشهورة من ناحية الحدا، بالجنوب الشرقي من صنعاء نسبت إلى قبيلة من قبائل الحدا، ومشايخ بني البُخَيتي ينسبون إليها، انظر صفحات مجهولة، ٤٧، معالم الآثار، ٨٧، معجم الحجري ١/ ١٠٤، معجم المقحفي، ٦٤.

(٣) الحدأ: اسم قبيلة من بكيل وناحية من نواحي صنعاء، بالجنوب الشرقي من صنعاء بمسافة ٥٠كم، مركزها زِرَاجة، يقع غربها سهل جهران، انظر صفة جزيرة، ١٠٢، مراصد الاطلاع، ١/ ٣٨٦، فقهاء اليمن لابن سمرة، ٣١٢، صفحات مجهولة، ٣٢، نشر العرف، ١/ ١٤٨، اليمن الكبرى، ١٦٦، حياة الأمير، ٦١٧.

[١ - ١] في س، ومنذ

الأشرارِ بعد أن تجّمعوا إلى بني عيسى[1] وما حولها من بني بُخَيْت، وأظهروا الفسادَ وركبوا غاربَ الإصرارِ على الفساد، وتحصّنوا في المحلاتِ المذكورةِ، وكان القدومُ عليهم وإخراجُهم من محلاتِ تحصّنهم وقُتِل من أعيانهم ورؤسائِهم تسعةُ أشخاصٍ، وجُرح منهم كثيرون واحتزَّ رأسَ الشيخَ أحمد بن علي عاطف، ولم يقعْ من المجاهدين غيرُ شهيدٍ واحدٍ وجريح، وتفرّق الباغون منهزمين لا يلْوُون على شيء، وغنم المجاهدون ما معهم. وحضر هذه الوقعةَ كثيرٌ من مشايخ الحدا الصالحين، وأقبلت عقايرُ[2] الطاعةِ من كلِّ جهة، وانقادَ بهذه المعركةِ كلُّ أبيٍّ من شياطينهم، وهالهم ما رَأوْه من أثرِ رمي المدافع، وإقدامِ المجاهدين إليهم إقدامَ الأسودِ الضواري، وظهرتْ شوكةُ الحقِّ في تلك البلادِ وطُهِّرَتْ من أدرانِ/ أولي البغي والفساد، وخَضَعتْ أعناقُ المتكبّرين، ولم يَقُمْ بعدها لأهلِ الطاغوت[3] قائم، وكانوا قد أَلِفوا أذيَّةَ مجاوريهم والعدوان عليهم حتى ضُربَ المثلُ بعدوانهم وإلفِهم للغزوِ والتسلّقِ إلى الدورِ، فصاروا من بعدِ ذلك أطوعَ الناس. وتمَّ بسعي عاملِها الهمامِ وسعادةِ مولانا الإمام صلاحُهم وإصلاحُهم، [1 وسيأتي لتمام انتظامِ أمورِ تلك الجهة مزيدُ بيانٍ في أوانه1]. / ١٨

وفي السابع والعشرين من هذا الشهر، بعد أن كملت المراجعةُ بينَ مولانا الإمامِ وأعيانِ الجهةِ التعزية، جهَّز مولانا الهمامَ السيدَ أحمدَ بنَ علي عبدالجبار

---

(١) بني عيسى: من مخلاف بني بُخَيْت من ناحية الحدا، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٦١٩، معجم المقحفي، ٤٧٦.

(٢) عقيرة: ذبح بقرة اعترافاً بالخطأ والذنب، أمام منزل والي الأمر.

(٣) الطاغوت: الأعراف والتقاليد التي يلجأ إليها أبناء القبائل لحل مشاكلهم بما لا يتفق والشريعة الاسلامية، مثل المبالغة في تقدير الدية أو عدم توريث النساء مقابل إعطائهن الزيارة والعبارة، انظر، وثائق يمنية، ٥٤.

[١ – ١] سقطت من س.

المذكورَ آنفـاً، ينتهي نسبُه إلى المولى أحمد بن المتـوكل على الله قاسم بن الحسين، وسكن هو وسلفـه مدينةَ تعز بخمس مئـةِ رامٍ من حاشد، وأَمَرَهُ بـالعزم إلى تعز لترتيب مـا يلزمُ من حصـونِها وجهـاتِها، وأناطَ بـه الإمـامُ أعمالَ تعز ومحلقـاتِها وبلادَ العُدَين[1]، وعزمَ معه القاضي عبدُالرحمن الحداد بعـدَ أن أمره مولانا الإمامُ بإبقـاءِ وظيفةِ القضـاءِ والإشرافِ على كافـةِ اللـواءِ التعزي والسعي في تـوقيفِ سعيد باشـا عن التسليمِ إلى الإنكليزِ وغير ذلك من المصالح العـامةِ مثلِ القيامِ بإرسـال نفقةِ مَنْ في لَحْجَ من الجنـدِ التركي، وعزم معهما أيضـاً الشيخُ إسماعيلُ بن مُحمد باسلامه.

وقـد وجّهَ مـولانا الإمـامُ أعمالَ عمالةِ قضـاءِ إب وجهاتِـه إليه وتحرَّر الـرأيُ الشريفُ له بـذلك. وفي اليوم المذكورِ وردت البشرى من سيدي العـلامة يحيى بن محمد بن عباس بن الإمام[2]، وكان قائماً بأعمالِ ناحيةِ النَّادرة، بأنه قد أجرى تـرتيبَ حصنِ حب[3] المشهـور بمخـلاف بعـدان وضبطَ أمـورهُ والشروعَ في إصلاحِ مـا يحتاجُ إلى الإصلاح منه. وكـان ذلك من أمر مولانـا الإمام، ووردت الكتبُ أيضـاً من سيدي العـلامةِ على بن عبـدالله الوزيـرِ[4] باستكمالِـه لترتيب

(١) العُدَيْن: قضاء من لـواء إب، كان يتبع لواء تعز، ومدينـة العُدين تبعد ٤٠كم عن إب، انظـر، معجم المقحفي، ٤٣٤، معجم الحجـري ٢/ ٥٩٠، حيـاة الأمير، ٦٢٦، اليمن الكبرى، ٤٤، نشر العرف، ١/ ٧٢٠.

(٢) يحيى بن محمـد بن عبـاس بن عبـدالـرحمن (أمير الجيـوش) ت ١٢٨ ربيع الآخـر، ١٣٨٢هـ/ ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، له ترجمة واسعة في ص٣٩ من المخطوط.

(٣) حصن حب: حصن منيع، يبلغ ارتفاعـه ٣٥٠٠م، في سُراة جبل بعدان من إب، انظر، صفة جزيرة، ١٠١، مراصـد الاطلاع، ١/ ٣٨٥، تاريخ بهرام، ٥، معالم الآثار، ١٠٤، اليمن الخضراء، ٤٤.

(٤) علي بن عبـدالله بن محمـد عبدالله الـوزيـر ت اعدامـاً في ٢٣ شعبـان ١٣٦٧هـ، وقـد وردت له ترجمة واسعة في ص٣٩ من المخطوط.

حصون جهات حراز، وآخرُ ما رتّبه منها حصنُ شبام[1] المشهور.

وفي أوائل شهرِ ربيع الأول، وجّـه مولانا الإمامُ إلى حـراز القاضي الهمامَ عليَّ بنَ عبدالله الأكوع[2]، عاملاً في قضاءِ حـراز جميعِه ومنه جبلُ صَعْفَـان[3] وناحية الحَجَيْلة[4]، فعزم لـذلك وباشر الأعمالَ، وقامَ بها أتـمَّ قيام وضبط أمورَهـا وقرَّر أعمالها.

وفيه أيضـاً تواترت الأخبارُ بخـروجِ جندِ الانكليزِ من بـوابيرهم الحربية إلى بندر الحُدَيْـدَة[5] واحتـلالهم له، وذلك بعـدَ أن أخفقَ سعيُ قومنـدان العساكـرِ

---

(١) حصن شبام: المقصود هنـا شبام حراز وهنالك شبام كوْكبـان وشبام حضرموت وشبام الغِـراس ثم شبـام حراز وهـو جبل يطل على منـاخـه من الجنـوب، ارتفاعـه ٣٠٠م، حصن منيع، انظـر، معـالم الآثـار، ٧٣، نشر العـرف ١/ ٢٨٢، معجم الحجـري، ٢/ ٤٤١، معجم المقحفي، ٣٤٣.

(٢) علي بن عبدالله الأكوع: كان عـاملاً للأتراك على يَريمْ، وهو الـذي وفد بمشايخ اليمن الأسفل إلى مقـام الامام في صنعـاء لاظهار التأييـد والموالاة، وعينه الامـام عامـلاً على حراز سنة ١٣٣٧هـ، وكان سياسياً قديراً، انظر حياة الأمير، ٥٧٤.

(٣) جبل صَعْفان: صفعان أحـد ناحيتين يشملهما قضاء جبل حراز، الـواقع غرب صنعاء بمسافـة ٨١كم ومـركزه مناخـة، وهي النـاحية الثانيـة، انظر، صفـة، ٢٠٩، الاكليل، ١/ ٢٠٣، معالم الآثار، ٧٧، صفحات مجهولة، ٤٥، معجم الحجري، ٢/ ٤٨٠.

(٤) الحَجَيْلـة: شمال صنعـاء من أرحب أسفل حصن القـاهـرة من الغـرب، انظـر، معـالم الآثار، ٥٩، اليمن الكبرى، ٥٩.

(٥) الحُدَيْدَة: مدينة معروفة على البحـر الأحمر، على بعد ٢١٦كم، شمال غرب صنعاء، فيها مينـاء كبير للتجارة، كلـواء يحده، تعـز من الجنـوب، ولواء حجـة من الشمال والبحـر الأحمر من الغرب، ولواء صنعاء من الشرق انظـر، حوليات النعيمي، ٣٥، أئمة اليمن، ١/ ١٦٢، صفحات مجهـولة، ١٩، حيـاة الأمير، ٦١٧ معجم المقحفي، ١٦٢، معجم الحجري، ٢/ ٢٥٠، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ٢٢٢.

التركية، أحمد توفيق باشا والوالي محمود نديم بك، وغيره في إرجاعِ سعيد باشا قائدِ الجيوش بلَحْج عن عزمِه على تسليم نفسِه ومن معه من الأجنادِ، وما لديه من المهمات والذخائرِ الحربيةِ والمدافعِ على اختلاف أنواعِها،/ والأسلحةِ الكثيرةِ والبغالِ والجمال/ فتمَّ تسلُّمُه إلى الانكليز في هذا الشهر هو ومَنْ معه من الأُمراءِ والأَجْنادِ، واستولى الانكليزُ على جميعِ ما معهم، وكانت شَيْئاً كثيراً، لأنَّ الدولةَ العثمانيةَ قد كانَ من أمرائِها بسببِ المرابطةِ في لَحْج سَوْقُ أكثرِ المُهمات الحربية إلى تلك الجهة. /١٩

ولم يبقَ في صنعاءَ وجهاتِها إلاّ القليلُ بالنسبةِ إلى ما ساقوه إلى هنالك، وكان فعلُه هذا من إماراتِ الخذلانِ، لأنه لم يوجدْ ما يلجيه إلى ذلك. لا سيّما بعدَ أنْ لاقَوْا من مَوْلانا الإمامِ أوكدَ وعدٍ ببرّهم والقيامِ بنفقاتِهم، وكلِّ ما يحتاجون إليه، فخَلَت الجهةُ اللَحْجيّةُ بعدَ استسلامهم من الحامي، ووثب الانكليزُ والعَبْدَليون(١) على لَحْج، ورتّبوا أطرافها، وشرعَ الانكليزيون بمدِّ السكةِ الحديديةِ إلى لَحْج من عَدن، وتمَّ لهم ذلك بعدَ أشهرٍ، حتى صارت عَدن ولَحْج في حكمِ البلدِ الواحد.

ولقد بَلَغنا عن الإمامِ - عليه السلام - أنه كان إذا ذُكر لديه[١] سعيد باشا وأعمالُه في أثناءِ مرابطته بِلَحْج وأعمالُه في جهادِ الانكليز، وهو في ذلك الوقتِ موضعُ ثناء الجميعِ على أعمالِه، لا يظهرُ من الأمامِ الارتياحُ إلى ذكرِه، فتحقّق سرُّ نَفْرةِ طَبعِ الإمامِ عنه بما ظَهَرَ من خاتمةِ أعمالِه وترامِيه إلى أحضانِ العدوِّ الذي قد مَكَثَ خمساً من السنين. وهو يناضِلُه ويقتلُ جنودَه وزادَ في الطين بِلةً

---

(١) المقصود بالعَبْدَليين نسبة إلى مدينة عَبْدَل وهي مدينة حضرموت ومن سلاطينها، فضل بن علي بن محسن بن فضل بن علي العبدلي وولده عبدالكريم الذي تولى السلطنة سنة ١٣٣٦هـ، انظر، حياة عالم وأمير، ٢٥٣، معجم المقحفي، ٤٢٤.

---

[١] في س، عنده.

ما تعمَّده من تسليم كافةِ الذخائرِ والأسلحة إلى عدوِّ الدين وهو يعلمُ باحتياجِ أهل اليمن إليها للمدافعةِ عن أنفسِهم من تسلّط الكافرِ عليهم. فنسألُ اللهَ التوفيق [١وخاتمة الخيرِ والأخذ بالنواصي إلى ما فيه رضاه١].

ولعلَّ قائلاً يقول: إنّه إنّما عملَ بموجبِ ما أُمِرَ بهِ من استانبولَ من دونِ نظرٍ إلى ما يحرِّمُه الدين؟ والجوابُ أنّ ذلك ليس بعُذر له، فقد عرفَ الناسُ جميعاً أنَّ الدولةَ العثمانية إنما اضْطُرَّتْ إلى إبرام تلك الهدنةِ المشؤومةِ بتحكّم الانكليز ومَنْ معه عليهم، ويودّون لو رأَوْا من المذكورِ وأمثالِه، الامتناعَ عن قبولِ ذلك مهما وَجَدَوا المنَعَةَ من أنفسهم، والقدرة على القيام بذلك وهو غيرُ مؤاخذٍ في نظرِ الدولةِ، وشواهدُ التاريخِ تؤيّد ذلك، وسعيد باشا قد كان في حصنٍ حَصين من اضطراره إلى ما ارتكبه من الإثم وتولّى كبره.

ولما جرى منه ما جرى وأوجعَ النفوسَ بذلك الاجتراءِ، اضطربَ حالُ الاتراكِ الموجودين في صَنعاءَ، وفي جهات تُهامة، وكانت لهم محطةٌ في قصبةِ الزُّهْرة(١) من أطرافِ اللُّحَيّة، وفي أكثرِ جهاتِها منهم حاميات من الجنود قائمةٌ بحفظِ البلاد.

وفي النهاية، بعد إصرارٍ شديد من مولانا الإمامِ - عليه السلام - عليهم بالبقاءِ / ودوام مراعاتِهم، ورجّح مولانا الإمامُ بقاهم لما فيه من المصلحةِ العامةِ، بإبقاءِ البلادِ تحتَ أيديهم ومحافظتِهم وللانتفاع بهم في ذلك، ريثما يتهيَّأ / ٢٠

(١) الزُّهْرة: مدينة تهامية، تقع بين الزيدية وعبس، مركز آل هيج، من أطراف اللُّحَيْة على بعد ٤٠كم، بوادي مور اختطها الشريف حمود بن محمد سنة ١٢٢٠هـ، انظر معجم الحجري، ١/ ٣٩٧، حياة الأمير، ٦٢١، اليمن الكبرى، ٩٩، اليمن الخضراء، ٩٠، يرى الدكتور يوسف محمد عبدالله بأنها قديمة الاختطاط، حيث وردت في النقوش القديمة باسم «سهرتم» جريدة الثورة، ٥ مارس ١٩٨٤.

[١ - ١] سقطت من س.

لمولانـا الإمـام إمكـانُ إرسـالِ الجنــودِ مكـانهم، وتعيينُ ذوي الكفـايـةَ لإدارةِ الأحـوال؛ لأنَّ في خلُّو البـلادِ منهم ومن أمـرائِهم دفعـةً واحدةً مـا لا يخفى من الاضطراب، وصعوبةِ الضبطِ لها في آنٍ واحد، فأصرَّ رئيسُ الجيوشِ التركيةِ على اللّحاق بسعيـد باشا في التسليمِ إلى الانكليـز، ولكنّه كان دونَـهُ في الخذلانِ فقد سلّم إلى مـولانـا الإمام مـا بقي من الأسلحـة والمدافعِ والـذخـائر ولم يسلِّم إلى الانكليزِ كما فعلِ سعيـد باشا، وكان منـه إبلاغُ أوامره إلى أمراء الأجنـادِ في تُهامة بالوصولَ إلى الحُدَيْدَة وفعل هو كـذلك فسافر من صنعاء ومن معه من الأمراء. وأولادهم[١] إلى الحديدة والترامي على أحضانِ الانكليز ولما وصلوا إليه حملهم في البـوابير إلى عـدن وعاملهم بمعـاملـة[٢] الأسرى، وذاقـوا من أفعال الإنكليـز الأمرين، ولم تنفعْهم عقولهم ولا دهاؤهم، وقد كـان مولانا الإمامُ بقصدِ التثبيت لهم بعـدَ دخــولِـه إلى صنعـاءَ، ألّفَ وفــداً لملاقـاةِ أُمـراءِ الإنكليــز في عـدن ومفـاوضتِهـم في تمسّكِ الإمـام بإبقـاءِ الأتـراكِ في اليمـنِ، وعـدم السماح لهم بالذهاب بحجـة ما لمولانا الإمام من الأموال الطائلة الي أقـرضها إياهم في أثناءِ الحرب، وأنّـه لا يمكنُ السماحُ لهم إلاّ بعـد تسليم مـا لـديهم من الأمـوال، فلما وصلَ الوفدُ إلى عَـدن، لم يجدْ من الانكليزِ إقبالاً لفتح المفاوضـة بما خامرهم من سكـرةِ النصرِ، واعتـذر مَنْ بعـدن من أمـراءِ الإنكليـزِ بأنهم لم يكنْ في وسعِهم وصلاحيتهم الدخـول في مثلِ هذهِ المراجعةِ، وعادَ الوفدُ إلى مـولانا الإمامِ يحملُ مثل هـذه الأعذار، ولكنَّ الانكليـز عَـرفوا أنـه لا يتمُّ لهم المرامُ من التسلُّط على البلادِ، وفيهـا مولانا الإمـامُ، فتهيّبوا الإقـدام إلى غيرِ الحُدَيْدَةِ، وأصّروا على دوامِ مطالبـةِ الأتراكِ بالوصـول إليهم، حتى تمَّ سفرُ أحمد توفيق باشـا ومَنْ مَعْه. ولم يبق إلاّ جماعـةٌ من أمرائِهم وقليلٌ من الجنـودِ، وكـانَ ذلك بسعيِ الوالي محمـود

....

[١] في س، بأهلم وأولادهم. [٢] في س، الانجليز معاملة.

نـديم بك، وهـو من الذين صمّمـوا على عـدمِ العـزم، وأحبّوا البقـاءَ تحتَ ظلِّ مولانا الإمامِ.

ولقـد لاقى العازمـون والمقيمـون من مكارم مـولانا الإمـامِ وعنـايتِه بهم مـا بَهَرَهـم، وكفاهم مـؤنة الاحتياج إلى الأقـواتِ، فمكثوا في أنعم حـال وأرخى بال وزوّد الراحلين في سفـرهـم وأعانهم وأزالَ كَـرْبَهم، ووعَد المقيمين بكل[١] إكرام، ولم يَبق وسيلةٌ [٢من وسائل٢] / الرعايـةِ إلاّ قامَ بها مولانا الإمـامُ، وكان ذلك من الآيـاتِ البيّنات على مكـارم مـولانا الإمـام وعلـوِّ قـدره، وبينما الإمامُ - عليـه السـلام - في الاشتغـال العظيم بهذه الأمـورِ العظـام، لم تفتُرْ همَّتُـه الصـادقـةُ وعزائمهُ الخارقةُ عن الاهتمام بضبطِ أحوالِ البلادِ، وإزالةِ كلِّ فساد. / ٢١

ففي الشهرِ المذكـورِ، شهر ربيع الأول، جهّـز مولانـا الأمامُ السيِّـدَ الكاملَ علي بن محمـد المطاع(١) ومعـه خمسُ مئـةٍ من المجاهـدين لضبطِ بـلادِ رَدَاع(٢) وجُبَن(٣) ومخاليفهما، وتقـريـرِ الأمورِ هنـالك، وصـونِ الأطـرافِ من حـوادثِ العدوان والاضطراب. ووجّه مولانا الإمامُ السيـدَ العلاَّمةَ عبدالله بن أحمد الوزير

---

(١) علي بن محمد بن أحمد المطاع: ت بصنعاء سنـة ١٣٧١هـ، كان عضواً في مجلس الإدارة في العهد العثماني، وتـولى في عهد الامـام يحيى نظارة الأوقـاف، زار استانبـول في عهد السلطان عبدالحميد، وعينـه الامام لأعمال رَداع، كان معروفاً بحنكته السيـاسية انظر، نزهة النظر، ٤٦٦، هجر العلم، ٦١٤.

(٢) رَدَاع: مدينـة وقضاء بالجنوب الشرقي من صنعـاء، ورداع، مدينة كبيرة شرقي ذمار بمسـافة ٣٥كم، تعرف بـرداع العرش، انظر، الاكليـل، ١/ ٢٠٤، صفة، ١٠١، فرجـة الهموم، ٣٣، نشر العرف، ١/ ١٨، اليمن الكبرى، ٤٨، حياة الأمير، ٦٢٠، معجم المقحفي، ٢٦٥.

(٣) جُبَن: بلدة عـامرة، مـركز نـاحية جُبَن من أعمال رَدَاع، جنوبـاً، وتقع في وادٍ ضيق بين جبلين أحـدهما في الشمال، ويـوجـد في أعلى الجبل حصن مشرف على المدينـة وضـواحيها، انظـر، صفـة، ٣١٥، معالم الآثـار، ٩٣، معجم المقحفي ١١٠، البلـدان اليمانية، ٧٣، معجم الحجري، ١/ ١٧٨.

---

[١] سقطت من س.   [٢ - ٢] سقطت من س.

إلى ذَمار ويَـرَيْم وبـلادِ عُتُمة[1] لتقريـر أمورِ واجباتِها، وحفظِـ نظام أمـورِها، وعيَّن مكانَـهُ في إمارة القصر السعيد السيـدَ محمدَ بنَ أحمد الـوزير[2] أخاه، ثم وجّه مولانـا الإمامُ أيضاً الشيخَ عبدَ الواسع بن نعمان مقبل أحـدَ مشايخِ قضاءِ الحجَـرِيَّة إلى بلـدِه ومعه مئتـان من خَوْلان. وقـد حَـظِيَ بإقبال مـولانا الإمـامِ وإسعاده، ونالَ الالتفاتَ الكلِّي وأرسلَ معـه الرأي الشريف بتعيين أخيهِ الشيخِ عبدالوهابِ بن نعمان[3] لعمالة قضاءِ الحجَرِيَّة.

وفي هـذا الشهر تـوفي سيـدي، عزُّ الاسـلام، محمـدُ بنُ إبراهيم بنُ الامـام، وكـان حاكماً لمولانـا الإمـام في الجهة الأنسيـة، وكان رجـلاً سريـاً وسيداً هماماً لوذعيـاً[[1]]، اشتغل بـوظيفةِ القضـاءِ في جهـاتٍ عديـدةٍ بـالتعيين من حكومـة الأتراك، ولما حصلَ الائتلافُ، وجّه الإمامُ إليـه حكومةَ قضاءِ عَمْرانَ، فلبث بها مَدّةً، ثم نقله الإمـامُ إلى وظيفةِ القضـاءِ بالجهةِ الأنسيـة، فقامَ بها أتمَّ قيام إلى أنْ

(١) عُتُمة: بلـدة مشهوة بـالغرب الجنـوبي من ذَمار بمسـافة ٦٣كم، انظـر، طبق الحلوى، ٦٩، معالم الآثار، ٨١، معجم الحجري، ٢/ ٥٧٦، معجم المقحفي، ٤٢٨.

(٢) محمد بن أحمد بن محمد الـوزير (شقيق عبدالله) ت ١٣٧٥هـ عـالم كبير، تولى القضاء والأعمال بذمار، أبقاه الامام لإمارة القصر ثم عينـه عاملاً على وصاب وجهاتها، شغل عدة مناصب، عـاش بقية عمره مشتغلاً بـالعلوم والدرس، ولد سنـة ١٣٠٥هـ، انظر، نزهة النظر، ٥١٤، حياة الأمير ٥٨٧.

(٣) عبد الـواسع بن نعمان وأخوه عبـد الوهاب أعـدم في ٥ جمادي الآخرة سنـة ١٣٦٧هـ يذكر اسماعيل بن علي الأكـوع في كتابه هجر العلم ومعاقلـه في اليمن، ٦٨٩ أنه ظهر في قرية الجبَّـانة، أحدى قرى عُزْلـة ذُبحان أسرة آل نعمان، والذي كان جـدهم قد قدم إليها من وادي بِنا، وينتسبـون إلى نُعمان مقبل على شمسان، أما عبدالـواسع فكان من ذوي النزعة الصـوفية، قتل في معركة الأكاحلـة قرب المقاطرة، وأما عبـدالوهاب نعمان فقد خلف أخـاه في مذهبه حتى سنـة ١٣٤٠هـ، إلى أن اعتقله أمير لـواء تعز، علي بن عبداللهالوزير بتهمـة التآمر لقتله مع آخرين، وبعد اعتقاله والإفـراج عنه، عينه الإمام يحيى عاملاً على بلاد البستان، انظر، هجر العلـم، ٦٩٠، حياة الأمير، ٥٦٩.

[١] سقطت من س.

وافاه الحِمام، [1]وانتقلَ إلى جوارِ الملكِ العلام[1].

وفيه وجّه مولانا الإمامُ عمالةَ الجهةِ الأنسيةِ إلى القاضي أحمدَ بن أحمد الجرافي(1) فتوجَّهَ إليها، وباشر أعمالَها وقام بأمورِها، [2] وظهرت فيها كفايتُه ونجابتُه[2].

ولما خلت الثغورُ من جنودِ الأتراكِ، ورأى مولانا الإمامُ صعوبةَ تلافي الحوادِث بما تحتاجُ إليه من الجنودِ، وسرعةِ إرسالها وعلى الخصوص منذ شاهدَ الخللَ بانتظارِ مَنْ يطلبُه للجهادِ من القبائل عندَ حدوثِ ما أسلفنا ذكرَه من الحادث الفجائي بتقلُّص ظِلِّ الأتراك، أمعنَ مولانا الإمامُ نظَرهُ الثاقبَ فيما يدفعُ ذلك الخللَ ويصونُ البلادَ من مزالقِ الزّلَلِ، فاقتضى رأيُه الصائبُ لزومَ توجيه/ النظرِ الشريفِ إلى العنايةِ بالجندِ وتنظيمِ أمورِه وتأهيبِهِ، بحيثُ يمكنُ / ٢٢ الانتفاعُ به عندَ عروضِ الحوادثِ وفي إقامةِ الشريعةِ والانتصاف للمظلومين وإرهابِ الظالمين، وردعِ ذوي النفوس الطائشةِ والعقولِ الضعيفةِ، وزجرِ أولي العدوان مِنْ سلوكِهم في تلك السُّبُلِ المخيفةِ، وكان مولانا الإمامُ - أيده الله- من ابتداءِ دعوتِهِ المباركةِ يتّخذُ جنداً ملازماً لحضرتِه الشريفةِ، وإنما كانت عادتُه - عليه السلام - الاقتصارُ على طلبِ الأجنادِ عند الحاجةِ إلى الجهادِ وترتيب البلاد، فالجندُ الإماميُّ لأجل ذلك لا يزالُ مفرَّقاً في الجهاتِ، ولا يوجَدْ

---

(1) أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي الجرافي ت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، عالم محقق في الفقه وعلوم العربية، له مشاركة في علم الحديث، عينه الامام يحيى كاتباً لحاكم صنعاء بعد صلح دَعَّان ١٣٢٩هـ، ثم عاملاً على بلاد آنس ١٣٣٧هـ، ذو دراية إدارية وحنكة سياسية، أصلح أحوال رَيْمة، واستمر عاملاً حتى سنة ١٣٥٣هـ، ثم عِين عاملاً على بلاد البستان، انظر، تحفة الاخوان، ٤٥، نزهة النظر، ٥٣، هجر العلم، ٣٦٧.

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س.

في الحضرةِ الشريفةِ مقيماً غيرُ عصابةِ الحرس الشريف[1]، ومما أكَّدَ لـزومَ العنايةَ بِـذلك والاهتمام بـه مـا ثبتَ من حـالِ أمم الإفـرنج وعنـايتهم بتنظيم الجنـودِ وتعـاليمهم، حتى صاروا لا يـرهبون إلاّ الجنـدَ المنظمَ وإن قَلَّ عددُه، ويعـدّون الجيشَ العـرمرمَ، الذي لم تـدرَّبْ أفرادُه التـدريبَ المألوفَ غيرَ مهـابِ الجانبِ، وسريعَ الانحلال والاختـلالِ، ومنذ تقلّص ظلُّ الأتراكِ قـويَ طمعُ الانكليز في الأقطارِ اليمانيـةِ، وأصبح واقفاً بـا لمرصاد في عَـدن والحُدَيْدَةِ ومن جميـع جهاتِ الجزيرةِ العربية يتحيَّنُ الفُرصَ ويزيدُ أطماعَه قوةً، ما يُقالُ عن حالِ دولةِ مولانا الإمام أنه لا يـوجد لدينا جيشٌ مدرب، فلهذهِ الموجبـاتِ صدرَ الأمرُ الشريفُ من الحضرةِ الاماميةِ إلى عُمَّال الجهاتِ المجاورةِ لصنعاءَ بجمع الجنودِ من قبائل الجهاتِ. وفي أقـربِ مدّةٍ تألّف من سَنْحانَ وبـلادِ البُستان[2] وبني الحارث[3] وبني حِشَيْش[4] وغيرهم مـا ينوفُ على ألفي مقـاتل، وعيَّن مولانـا الإمامُ لقيـدِ

---

(١) عصابة الحرس الشريف ما أطلق عليه عُقفة المقام فيما بعد وجاءت عُكفة في لغة خطأً.

(٢) بـلاد البستـان (بنومطـر): بـلاد واسعـة، فيهـا مخاليف عـديدة، منهـا تمر الطـريق إلى الحُدَيْدَة، يحدها شرقاً قـاع صنعاء وسنحان وبلاد الروس، وغرباً بـلاد الحيمة، وجنوباً آنس وشمالاً كوكبـان وهَمْدَان، بها أعلى جبل في الجزيرة العـربية، حضور مـدين، انظر، رياض الـرياحين، ١٢٢، صفحات مجهولـة، ٣١٢، اليمن الكبرى، ٧٦، حياة الأمير، ٦١١، معجم الحجري، ١/ ١١٨.

(٣)بنو الحارث: قبيلـة مشهورة تقع ديـارها شمال صنعاء بنحـو ٥كم، من قراهـا، القابل، عُلمَان، تُقبـان، جَدِر، الحتـارش، بيت القشم، الغـوْلـة، انظر، تـاريخ اليمن الثقـافي، ١/ ٥٧، اليمن الكبرى، ١٦٦، معالم الآثار، ٢٥، معجم المقحفي، ١٤٢.

(٤) بنو حِشَيْش: قبـائل تلحق بخَوْلان الطيال تـابعة لمحافظـة صنعاء في الشمال الشرقي، تتصل بجبل نُقُم، وبراش من شرقيها، ومن شمالها بـلاد نِهم وبني الحارث ومن غربيها تتصل ببني الحارث وصنعـاء بها هجرة آل الـوزيـر، انظـر، طبق الحلوى، ٨٨، تـاريخ اليمن الثقافي، معجم المقحفي، ١٧٤، حياة الأمير، ٦١١.

أسمائِهم وكفلائِهم والنظر في أمورِهم هيئةً مؤلّفةً من رئيسها سيدي شرف الإسلام حسينِ بن علي عبدالقادر وأعضائِها القاضي لطف بن محمد الزبيري[1] والقاضي حسن بن أحمد الشوكاني[2] وغيرهم، وأمر مولانا الإمامُ بإسكانهم في المباني التي كانت تسكُنها جنودُ الأتراكِ الموجودةِ في الجهة العَدنيةِ من وراء سورِ صنعاءَ المسماةِ في عرف الناس بالعرضي[3] [1وهي مبانٍ عظيمةٌ شيدها الأتراكُ خلالَ إقامتهم باليمنِ، وتلاحق فيها البناءُ بأيامِ الولاةِ ووزراء العسكرية/ واحداً بعد واحدٍ حتى بلغتْ غايتَها من الاتساعِ والضخامةِ واتقانِ البناءِ وحسن الأسلوب1].

/ ٢٣

قلتُ: ولفظةُ عرضي معرَّبةٌ عن لفظةِ أَرْدوي بالتركية، ومعناها الفَيْلق والجيش، فأُطلقَتْ عُرفاً على مكانِ الجيش، وبعد اجتماعِهم صار ترتيبُهم زُمراً على قواعِد الجيش التركي، حيث عُرِف أنَّ ذلك من أكبر دعائم الانتظام، فجعل الجيشُ منقسماً إلى طوابير متعدِّدةٍ، يُطلق على الأول منها الطابورُ الأولَ والثاني الطابورُ الثاني وهكذا ويجمعُ الثلاثةَ من الطوابير اسمُ الآي وخمسةً من الألايات اسمُ فرقة، والمجموعُ يجمعُه اسمُ الجيش المظفّر، وكلُّ طابورٍ يكون

---

(١) لطف بن محمد بن لطف بن سعدالدين الزبيري ت بصنعاء، محرم ١٣٦٤هـ، كان عالماً ذكياً شاعراً، كامل المروءة متواضعاً، عينه الامام يحيى حاكماً قضائياً على سنحان ثم الحُدَيْدَة ثم الحاكم الأول بصنعاء، وعضو محكمة الاستئناف، انظر، نزهة الناظر، ٤٩١، حياة الأمير، ٥٨٤.

(٢) حسن بن أحمد صلح بن رزق الشوكاني ت بعد سنة ١٣٦٥هـ، عينه الامام يحيى لشهادة الحكم بالمحكمة الثالثة بصنعاء ثم قاضياً لقضاء الحُجَرِيَّة ثم الحُدَيْدَة، اعترته المرض وأثناء علاجه في عدن توفي، ولد بصنعاء سنة ١٢٩٣، أنظر، نزهة النظر، ٢١٠، حياة الأمير، ٥٤٣.

(٣) العرضي: جنوبي سور صنعاء، كان مقراً لعسكر الأتراك، انظر، أئمة اليمن، ٢/ ٣٢٣.

[١ - ١] سقطت من س.

مؤلّفاً من أربعةِ بلوكات، والبلوكُ الـواحدُ عبارةٌ عن مئة رجلٍ مُعَنْوَنٍ كلٌّ واحدٍ منها بالأولِ والثـاني وهكذا، ويوجد في البلـوكِ الواحد عريفـةٌ وشاوشٌ ونقيبٌ وأمير يُسمى بالملازم الأوّل أو الثـاني وتارةً يوزبـاشي، ومعناه بالعربيـة أميرُ مئة، وعلى الطـابورِ أميرٌ يُطلق عليـه أمير الطـابور، أو لفظـة بيكبـاشي ومعناهـا أميرُ ألف. وكان هـذا أُحْدِثَ في دولةِ الأتراك حينَ كـان الطابورُ ألفاً، فبـذلَ مولانا الإمـامُ - شرح اللهُ صدرَه - في هـذا السبيل غـايـةَ المجهودِ، واهتـمَّ به اهتمامـاً عظيماً، حتى كَمُلَ والله الحمـدُ على غايـةِ ما يُـرام، ورتّب الأمراءَ على الجنـدِ كما وَصَفْنـا، وكان غـالبُهم من الأتراكِ الـذين اختـاروا البقاءَ، وبعضُهم من أبنـاءِ اليمنِ الذين كانوا قـد قاموا بالوظائِف المذكورة في جند الأتـراك، واختار مولانا الإمامُ لإمارةِ الجيشِ المظفرِ الشريفَ المجـاهدَ الهمامَ عبدَالله بن محمد الضُمين[1] من أشرافِ الجوف الحمـزات، فأسندَ إليه إمـارةَ الجيشِ، وكان المذكـورُ قبلَ أن ينتمي إلى مولانـا الإمام قد أقـامَ بخدمة الأتراكِ في الجنـديةِ مدّةً مـديدةً إلى أنْ مُنحَ من الـدولة العثمانيةِ بلقبِ بيكبـاشي، فله وقـوفٌ تامٌّ واطـلاعٌ على أساليبِ الانتظامِ، ورتّب مولانـا الإمامُ أيضاً في الجيش ما يحتاجُ إليـه من الكتّابِ بمعيةِ الأميرِ، وفي الطوابير وفي البلـوكات وهيئة أركـان الحرب، وإلى هذه الهيئـةِ وظيفةُ تـدبير حركـات الجيشِ، حـالَ القيـامِ بالمدافعـةِ والإقـدام/ وغيرُ ذلك، وشرعَ الأمـراءُ والمتعلمـون من العسكـر يعلّمـون أفــرادَ الجيشِ التـدريبَ المرغـوب، وانتظـام الحركاتِ وأصـولَ تعبئـةِ الجيش [1]وكيفيـةِ الإقدام والتـأخّرِ والمهـاجمةِ والتـوصُّل إلى ارتقاءِ الحصـونِ والمحـال العاليـة[1]، ولم يمضِ عليهم غيرُ أشهرٍ

/ ٢٤

---

(١) عبدالله بن محمـد الضُمين: ولد سنة ١٢٨٢هـ من نسل الامـام عبدالله بن حمزة، أول من عين قـائداً للجيش المتـوكلي المظفـر، أميراً، نظم الجيش، ولـه معارك كثيرة في حـاشـد وتهامـة والجوف وغيرهـا ت في ذي القعـدة ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣، انظـر، حيـاة الأمير، ٥٦٣، وثائق يمنية، ٢٩٩.

[١ - ١] سقطت من س.

يسيرةٍ حتى تمرّنوا على تلك التعاليم، وصاروا يفهمون أصواتَ النفير، [١ وهو آلة تشبه الأبـواق، إذا أُرسل فيها النَفَسُ خرجُ صوتٌ يبلغُ إلى المكـان البعيد، وربما جاوز الميل١]، وقد وقع الإصطـلاحُ بها على أصواتٍ معلـومةٍ بكيفيـاتٍ مختلفةٍ، وكلُّ صوتٍ يكـونُ دليلاً على الإرشادِ بأمرٍ من أمـورِ الجند، [٢ فإذا سمعوا ذلك الصوتَ فعلوا ما يشيرُ إليه، ولـه دخلٌ عظيمٌ في الانتظامِ وتدبير حركاتِ الجيش حالَ الحرب، وانتقال الجندِ من مكانٍ إلى مكان وإجراءِ المهاجمةِ أو التوقّف على حسبما يراه مدبِّـر الجيش وأميرُ حالِ الحرب، وفائدتُه مشهـودةٌ، فإنّه في اللحظةِ الـواحـدةِ يبلغُ إلى أسماعِ الآلافِ من الجنـدِ ما يُـراد منهم، فيأتـونـه، ولـو وقعَ التبليغُ بذلك بـدون واسطتِه لاستغرقَ الساعاتِ، وتعلّم الثبتَ بـه من الجندِ مَنْ يحتاجُ إليه على قـدرِ اللزوم٢]، وأُفرِدَ مـن العسكر كثيرون فخُصوا بجعلِهـم رماةً للمـدافعِ، ويطلقُ عليهم طـوبجيـة، وهذا اللفظُ تـركيٌّ معنـاه طـوبُ المدفعِ، وجي، أداةُ نسبةٍ فمعنى[٣] الطوبجيّ - ويعرب إلى طبشي - مدفعيٌّ، [٤ واستكثر في الجندِ من هذا النـوع، حتى بلغوا إلى الطوابير٤] وعيّن مولانا الإمامُ لهم أميراً، أطلق عليـه قـومـانـدان الطـوبجيـةِ، [٥ ولكلِّ مـدفعٍ جماعـةٌ منهم وأميرٌ صغيرٌ وشاوش، وأميرٌ على الطـابورِ يكونُ تحتَ نظـرِهِ عدةٌ من المدافعِ٥]، وصار تعليمُ الفريقين: فريقِ المشاةِ وفريقِ الطوبشيـةِ فنَّ الرمي على أصولِه حتى مهرَ الجميعُ وأصبحَ الكلُّ رُماةً يعرفـون كيف يديرون المدافعَ في حركـاتِها، وكيف يرمُون بها، ورتب مـولانا الإمـامُ لـلأمراءِ والأفـرادِ الـرواتبَ الكافيـةَ والجرايـاتِ اللازمـةَ والملابس للأفـراد، وعظُمَتْ بذلك النفقاتُ وتـزايدت، ورأى مولانـا أنه لا يتمُّ إنفاذُ أوامر اللهِ سبحـانه والقيامُ بشريعتِه وصـونُ البلادِ/ من أطماع ذوي الإلحاد / ٢٥

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س. [٣] في س، فمعناه.

[٤ - ٤] سقطت من س. [٥ - ٥] سقطت من س.

والإفساد إلاّ بذلك، فبذَل مجهودَه في ترتيب جميع الأمورِ حتى كمُلَ على الأسلوبِ الذي مرَّ ذكرُه في أقرب مدةٍ، ولما كان الأُمراءُ الذين أُدخلوا في الجيش لم تكنْ إقامتُهم باليمنِ إلاّ ريثما يتسنى لهم السفرُ بدونِ الوقوع في أسرِ الإنكليز، عُني مولانا الإمامُ بإنشاءِ محلٍّ أطلقَ عليه المكتب الحربيَّ، ورتّب به معلمين، ومنح السادةَ الدخولَ فيه لدراسةِ بعضِ الفنونِ المتعلقةِ بها تُكْتَسَبُ به المهارةُ في تدبير الجيشِ ولوازِمِه، والحركات الحربيةُ، على أنَّ من أكملَ دراسةَ ما يحتاجُ إليه، ونالَ الإجازةَ من معلّميه مُنح من مولانا الإمامِ أنْ يُعَيَّنَ أميراً على بلوك، وكان بذلك سدُّ حاجةِ الجيشِ إلى الأمراءِ والضباط، [١وقد شرعَ المتخرجون يتعلّمون فيه ما يُراد منهم، وخرجَ جماعةٌ بعد إكمال تعليمهم، فوُظِّفوا في الجيش المظفر١].

ومن عنايةِ الله سبحانه - بمولانا الإمامِ [٢وتجلي صورة ألطافه ورعايته في المبادىء والختام٢]، أنَّ الدولة العثمانية على فرطِ عنايتها بالجيشِ ولوازِمِه لم تفكرْ يوماً من الأيام في أعدادِ معملٍ في اليمنِ لأجل إصلاحِ الأسلحةِ والمدافع وصفةِ مرمياتِها ونحوِ ذلك، حتى جاءت الحربُ العامّةُ، وكانَ ما يحتاجون إليه من المؤنة والباروت وجميع الأشياء اللازمةِ للجيشِ وحيواناتها يُرسَلُ من الآستانةِ، فلّما حصلت الحربُ العامّةُ وأعلنَ الإنكليزُ الحصارَ البحريَّ على جميع الموانىء البحريةِ التي بيد الدولة العثمانية تعذّر إرسالُ شيء من المهماتِ [٣وانقطعت المواصلاتُ والحرب قائمة على ساق بلحج وفي تُهامة مع الإدريسي الموالي للافرنج، وبكلِّ مَنْ أعلنَ حربَه للمسلمين٣]، فاضطرَّ أولو الأمرِ من أمراءِ العسكر العثماني للتفكير في القيام بإيجاد قلل المدافع وتعويض رصاصات

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س. [٣ - ٣] سقطت من س.

البنادق وجمعوا لذلك من ذوي المهارة جمعاً من ضباطِ الجيشِ ذوي التفنن، وعُين رئيساً لهم رجلٌ من ذوي الخبرةِ فيهم يسمى ناظم بك وساعدهم مهندسٌ نصراني يسمى جورجي، خرجَ من الآستانةِ قبلَ الحرب مهندساً لآلاتِ الطحنِ البخارية، وبقي في/ اليمنِ حتى حصلَ الحربُ وتعذّر عليه العَوْدَ، / ٢٦
وأصلُه من طائفةِ المجر [١وهم طائفةٌ عظيمةٌ من طوائف الإفرنج١]، كانوا في حال الحرب وقبله، من جملة الداخلين تحتَ طاعة دولة النمسا المشاركةِ للعثمانيين في محاربةِ الإنكليز، فهو يتوقّد غيظاً على الإنكليز، ويودُّ أن يظهرَ العثمانيون عليهم، فبذلَ مجهوده في إعداد معدّاتِ المعمل، واستخدام الآلات البخارية فيما يريدونه من صُنع القُلَلِ للمدافعِ وتعويض رصاص البنادقِ [٢على كيفيةٍ تقاربُ من المرميات الأصليةِ المجلوبةِ من محلّ صنعتِها٢] وبذل الجميعُ مجهودهم في إحكام قابسون المدافع، وقابسون البنادق، وفي صنعةِ ما تحتاجُ إليه بغالُ المدافعِ وغيرُها من المراكبِ وآلاتها ولجمها ومجراتها، [٣وفرقوا العاملين إلى طوائف، كلّ طائفةٍ لهم مكانٌ مخصوص وعملٌ مخصوص، وكانوا يقومون بإصلاحِ المدافعِ والبنادقِ. وفي أواخر أيام الحربِ انحصر القيامُ بما تحتاجُ إليه المحطاتُ على ما يصنعونه، وكانوا يرسلون بذلك إلى لَحْج وغيرها، واستمرَّ الأمرُ على ذلك إلى أن كان ما كان من دخولِ مولانا الإمام إلى صنعاءَ، وانصرامِ دولةِ العثمانيين على ما سردناه، فوجَّه مولانا الإمامُ همّتَه التي ما زالت مشغوفةً بتنظيم مصالحِ الإسلامِ والمسلمين ولو كان في ذلك أصعبُ المتاعبِ إلى إبقاءِ ما في القصر السعيد من المعملِ على ما كان عليه، وبذل مزيد الوسعِ في ترقيتِه لمعرفته -عليه السلام- بضرورةِ بقائِه والاحتياج إليه. وإن الانكليز لتحكّمِه على البحرِ الأحمرِ سيمنعُ دخولَ المهمات الحربية إلاّ إذا رأى الإسعادَ إلى ما يرومُه من التحكمِ في البلادِ والرضوخِ لتلاعبه بالمسلمين، وليتصوّر المنصفُ

....

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س. [٣ - ٣] سقطت من س.

حالةَ اليمن إذا كـان أهلُه لا يجدون ما يُدافعون بـه عدوَّهـم الطامَع فيهم إلاّ من يدِ عـدوِّهم، ففي ذلك من حَرَجِ الموقفِ وصعوبـةِ المقامِ والقيامِ ما تـذهلَ منه العقولُ وتطيشُ به الأحلام[٣]. وبهمةِ مولانـا الإمامِ والعنايةِ الإلهيـةِ التي ما زالت مصاحبـةً له في الإيـرادِ والإصدارِ تيَّسَر إبقاءُ المعملِ المذكـورِ كما كان وسـاعدَ جورجي المهندسَ المذكورَ بالبقاءِ، ورتَّب له مـولانا الإمامُ مرتّباً كافياً، وضمَّ إليه جماعةً من ذوي الخبرةِ والمهارةِ من الأتراكِ من السابقين وغيرهم.

و[١ أدخل مـولانا الإمـامُ، عوضـاً عن أفـرادِ النظامِ الـذين يقومـون بأعمال المعمل المذكور، أنـاساً من أهلِ صنعـاءَ وغيرِهم، فمُرِّنـوا على الأعمالِ في أقرب مـدة، وقـامـوا بها أتمَّ قيـام، وتـوسعـت الأعمالُ إلى صـورةٍ كـانت أحسنَ منِ صـورتِـه/ التي كان عليهـا أيـامَ نـاظم بك، لأنـه كان مِنْ جملـةِ من عـزمَ من الأتـراك، وتعدَّدت فيـه الآلاتُ المسماةُ بـالمكـاين، ولها من القوةِ مـا يقفُ لـديها الناظـرُ إليها بـاهتاً ويقول سبحـان الملهم، فإنك ترى إحـداها فتجـد بيتَ النارِ فيها، وهي إمّا يوقُد لها بالأحطابِ وغيرها مما يُـوقَدُ به، أو توقدُ بالكاز، وهو المعدنُ الـذي وُجـد في العصور الأخيرة سـائلاً، وهـو دهنُ النفطِ، وانتُفع بـه في إشعـالِ المصابيحِ مكـان الزيـوتِ وسائر الأدهـان، فيغلي ذلك الوقـودُ ما فـوقه من الماءِ، ويتولّد من الغليـانِ بخارُه ويجتمعُ ويتزاحـم للخروج من أنبـوبٍ مخصوصٍ، وقد قابَلَتْهُ آلةٌ ضخمةٌ من الحديد، فتتحـركُ بقوةِ اندفاع البخار، وينتجُ من تحركِ تلك الآلـةِ دورانُ آلاتٍ أُخـر، فيستعمل بـذلك الـدوران فيما يُـراد من كشطِ الحديـدِ ونحوِه ومنها ما دورانه، وقوته مستفـادة من اشتعال نار الغاز مباشرة بدون واسطة الماء والبخار وقـد كان يـوجدُ من قلل المدافـع الكبيرة في مخازن القصر كثيراً، وقد بطُل استعمالُ تلك المدافعِ بـوجـود غيرهـا أقـوى منهـا وأبعدُ مسـافـة في إبـلاغِ

/ ٢٧

[١ – ١] سقطت من س، حوالي صفحتين.

مقذوفاتِها إلى هـدفِها، فكانوا يأتـون بتلك القُللِ إلى تلك المكاين، ويدخلونها في آلـةٍ مخصـوصـةٍ تشبـه عمودَ المخـرطِ، وذلك العمـودُ يتحـركُ بـآلاتِ المكينـة المتحركة، ويوضعُ بإزاءِ القلةِ مكشطٌ حـديدي صلبٌ، فيدورُ العمودُ الذي فيه القلـةُ فيمسُّ ذلك المكشطَ وللقـوةِ الموجودةِ في الـذي يـدورُ به ذلك العمـودُ، وتـرى المكشط ينحتُ من جسم الرصـاصةِ الحديـد بصورةٍ منتظمـة متساويـةٍ حتى يظنُّ من يـراه في تلك الحالَةِ أنَّ الحديـدَ قد صار في لينٍ مفـرط، وإذا مسَّ المنحوتَ وجده في صلابتِه المعهودةِ. وكان ممـا تسلّمه مولانا الإمامُ من المعسكر العثماني أربعةُ مدافَع كبارٍ انكليزيةٍ غَنمهـا العثمانيون من اللُّحَيَّةِ وجوارِها حينما استردّوهـا من جيـوش الإدريسي. وكان الانكليـزُ سلّمـوهـا إليه، فـاهتمـوا بها وبإصلاحهـا، لأنها لم تكنْ قامـات، وهي الألةُ التي عليهـا مدارُ إمكـانِ الرمي بالمدفعِ، وفيها مكانُ القلّة ودافعها وعملوا لها قـاماتٍ بديعةً، وكذلك غيرُها من المدافعِ الصغيرةِ المسماة بعـادي جبل، وكـانـوا يقومـون بإصـلاح البنـادقِ على اختلافِ أنواعِهـا وآلاتِها ويصلحون ما اختلَّ من القللِ وما يرادُ إصـلاحُه منها وتحويلُه من كونِه مرمياً لمدفعٍ مخصـوصٍ إلى مدفعٍ آخر، وإيجادُ ذلك من البداية فيرتبـونه على مـا يُرام، فترى القُلـةَ بعـد إكمالِها فلا تظنهـا إلاّ من صنعةِ البـلادِ الافرنجيـة التي هي/ محلُّ اختراعِ تلك المهماتِ الحربية، وتـوزعت الأعمالُ على العَمَلـةِ وأساتـذتِهم وصـار كلُّ فريقٍ لـه عملٌ مخصـوصٌ؛ فهذا الفـريقُ عليهم القيـامُ بتعويضِ مقـذوفاتِ البنـادق، وهـذا الفريقُ في أعمالِ رصـاصِ المدافعِ، وفـريقٌ عليهم القيـامُ بتنظيم القـابســون، وفـريقٌ عليهم القيـامُ بتحليلِ المـوادِ النـاريةِ التي تتخـذ للقـابسون، وجمعِهـا إلى أن تصيرَ قابلـةً لـلاشتعالِ بمجـرد ضربِها بـآلتِهـا، وفريقٌ يقـومـون بإصـلاح الآلات الخشبيةِ التي يُحتـاجُ إليهـا في

/ ٢٨

....

....

المدافعِ ومراكبِ البغالِ والسيارات التي تجرّهـا الحيواناتُ لحملِ الأثقال، وفريقٌ يعملـون في صُنع الآلات التي يُحتـاجُ إليهـا في جميع تلك الأعمال وآخـرون يصنعون اللبّادَ من الصوفِ على أحكمِ صناعةٍ، وصنفٌ يشتغلون بعمل السرجِ ومـراكبِ البغالِ من الجلـودِ غير أولئكَ كثيرون، يعملون أعمالاً هي من اللـوازم الضروريةِ، ورتّب مـولانا الإمـامُ لجميعِ أولئك رواتبَ مخصوصـةً تقومُ بأودِهم، وعلى الإجمالِ إنَّ مولانـا الإمامَ تيسَّر له بهذا المعمل إقـالةُ عثـرة اليمنِ وأهلِه من الاحتياج إلى النصـارى وخنوعهم لتحكّمـه، فجزاه اللهُ عـن الإسلامِ والمسلمين خيراً، وأعظم له المثـوبةَ، شرفـاً وذخراً، ولم يخرجْ عن الاعتقـادِ أن قيامَ العثمانيين بترتيبِ ذلك المعملِ قُبيلَ رحيلهِم، بعـد أن مكثوا أزمنةً متطـاولة لا يفكـرّون به ليسَ إلاّ من جملـةِ سعودِ مـولانا الإمـام، والعنـايةِ الـربانيـةِ المرافقة لـه في جميع حـالاتِـه وحركـاتِـه وسكنـاتِه، بـل هي إرهاصٌ لما طـرأ من الحوادث والتطـوّر الكـوني، ومقـدمـةٌ لنتيجةِ احتيـاج مـولانـا الإمـام إلى ذلك، ولم يكنْ في وسعي وصفُ حُثـانةِ ذلك المعمل وأعمالِـه وإنما أثبتُّ ههنا مـا قدرتُ عليـه وانتصبَ بفكري حـالَ تحرير هـذا السطور، وممـا تمّ تـرتيبُه وتنظيمُـه في هذه الأيـام مادةُ الخيـولِ التي تجرُّ المدافَع الكبيرةَ والبغـالَ والجمالَ، فقد كـان من مـولانا الإمـامِ العنـايـةُ بجمعِهـا بعضُهـا استلمهـا الإمـامُ من المعسكـر العثماني مثلُ غيرهـا، وبعضُهـا بـالشراءِ من أحمد تـوفيق بـاشـا ومن غيرِه، إلى أن بلغتْ عـدداً وفيراً ومئاتٍ متعددةً، وجعلَ لها عُـرضي الطوبشية مكاناً لإقـامتها ورتَّب لها القائمين بخدمتهـا على قدرِ الاحتيـاج والكتّاب المتـولين للانتبـاه عليها وأمـراءَ كذلك، [١]وأبقى من أمراءِ الأتـراكِ أميراً ذا رتبةٍ عاليـةٍ في المعسكر العثماني بيطريـاً يتولّى فحصها وتـرتيبَ مأكولِها ومعالجةَ أمـراضها[١]،/ ورتّب لهم جميعاً مـا يحتاجون إليه من الجرايات وضبط أمورها ضبطـاً محكماً، فلا تخرجُ بغلةٌ أو غيرها من محلّها لاستعمالِها إلاّ بأمرِه - عليه السلام -.

/ ٢٩

[١ - ١] سقطت من س.

وحيث كانت منفعةُ الطبّ في أعلا درجاتِ المنافعِ الضروريةِ للبلاد والعباد، وصادفَ ذلك ما عليه حالةُ اليمنِ من خلوِّها من عارفٍ بفنِّ الطبابةِ، [١وعدم وجودِ من يتصفُ بذلك أو يدلي بكونه تلقّى ذلك عن استاذٍ، بل لا يوجدُ الاستاذُ أصلاً، ومن ادّعى الطبابة١] والمعرفة، فإنما هم أناسٌ يتطفلون على موائدِه وغايةُ ما يستندون إليه المطالعةُ في أحدِ كتبِ الطبِّ بدونِ معرفةِ العللِ وأحكامِها. فرأى مولانا الإمامُ – أيده الله– لزومَ استبقاءِ بعضِ الأطباءِ من العثمانيين لأجلِ حفظِ تلكَ المصلحةِ العامةِ، ولا سيما بعد أنْ تركَ العثمانيون من الأدويةِ شيئاً كثيراً كانت مودوعةً في مخازنِ المستشفى العسكري الكبيرِ، وفي مخزنِ المستشفى البلدي، وتلك الأدويةُ [٢غالبها بل كلها٢] لا يمكنُ استعمالُه إلاّ بمعرفةِ الطبيب الماهرِ العارفِ بفنِّ الطبِّ الحديث، فإنّ فنَّ الطبِّ قد كان تغّير عن أصولِه القديمةِ، وصارَ الطبُّ القديمُ وأصولُه، لا يُنتَفَعُ بها لما دخلَه من تغير الأساليب في كيفيةِ معرفةِ العللِ، وكيفيةِ مداواتِها، وجنسِ الأدويةِ الجديدةِ، التي أكثُرها قد استُخرجتْ بالتحليل الكيماوي، وانتُزِعْتْ من أجسامِها، واثبتت أرواحُها في ظروفٍ من الزجاجِ والقواريرِ، فتمَّ الأمرُ على بقاء رئيس أطباءِ المعسكر العثماني عزيز بك وحسني بك من ذوي المهارة لا في الطبِّ فقط، بل وفي غيره من الأمور الهندسية، وسليمان بك وغيرهُم من الجراحين، ورتّب لهم مولانا الأمامُ المرتبات الواسعةُ، وأجرى عليهم الجراياتِ الفاضلةِ، وانتظم أمرُ المستشفى كما كان في أيام الدولةِ العثمانية بالأطباء والصيادلةِ والجراحين والخدمِ القائمين بأمور المرضى ومصالحِهم وانتفعَ الناسُ بذلك كثيراً [٣ وأقبلوا يهرعونَ إليه من كلِّ فجٍّ، وأمر مولانا الأمامُ بقبول٣] ذوي الفقرِ والحاجةِ من المرضى في المستشفى بدونِ أجرةٍ [٤فيمكثُ فيه المريضُ

[١ – ١] سقطت من س.
[٢ – ٢] سقطت من س.
[٣ – ٣] سقطت من س.
[٤ – ٤] سقطت من س.

للمعـالجةِ وأدويتُه وكفـايتـه تُسلَّم إليه مجانـاً وبـدونِ عوضٍ، إلى أن يحصلَ لـه الشفاءُ ويـزولَ عنه الـداءُ، ويصلُ ذو الحاجة إلى الـدواءِ إلى الحكيم، فيصفُ له المرَض أو يذهبُ معـه الحكيمُ إلى دار المريض فيجري فحصَ علّتـه ويكتب له ورقةً فيها ما يحتـاجُه من الدواءِ فيوصلُها إلى الصيدلي فيرتـبُّ له العلاج والدواءَ كما يرام، ويخبرُه بكيفيةِ استعمالِـه، فكان ذلك من حسناتِ مولانـا الإمامِ وجليلِ مبراتِه التي/ فاتت على مَنْ تقدّمـه من الأئمةِ الهادين - رضوان الله عليهم - وأمـرَ مـولانا الأمـامُ، لمّا رأى فـرطَ الاحتيـاج إلى وجود ذي الطبـابـة، وتكثير عددهِم، ولا سيما في الجيشِ في أوقـاتِ ارتحاله وأسفـارِه، بأنْ يخصِّصَ جماعةً منْ الجيشِ وغيرهـم لتعلُّم فنِّ الطبِّ من الأطبـاء المذكـورين، وتمّ ذلك بمعونـة اللهِ سبحـانه، وهـو من جليلِ المآثـر وأعظم المناقبِ المشتملـةِ على مصـالح الدنيـا والدين، ولم يكنْ تيسَّر مثلُ هـذه المزايا والمصالح يخطرُ على بـالِ أحد، ولا سيما قد كـان ذلك في أقربِ مـدةٍ، وعلى حين اشتغالٍ عظيم، بمـدافعةِ خطـرِ العدوِّ واحبولاتـه مما لا يُنسى ذكرُه ويتخلَّـدُ فخرُه. ولـه في إقامةِ نـاموسِ الدولـةِ رتبةُ بقاءٍ، وفي تشييـدها المقـامُ الأعلى] مـا وجّه إليـه مولانـا الإمـامُ مزيـد العنايـةِ والاهتمامِ، وهو دوامُ بقاءِ التلغرافِ بـأسلاكِه وآلاتِه ومعدّاتِه ومأمـوريه وخدَمِه، على تباعـدِ الأقطارِ التي مُـدَّ إليها وتعـدُّدِ المراكزِ ومكـاين المخابـرةِ، فكان من مـولانا الإمـام - أيـده اللهُ - ترتيبُ المأمـورين في صنعـاءَ وحراز وسـوق خُمَيْس مذيور[1] وفي مَتْنَة[2]، وفي الجهة العدنيةِ إلى تعز وما بينها من المُدنِ، في كلِّ واحدٍ

/ ٣٠

---

(١) خُمَيْس مذيور: قريـة من عُزلة المخلاف بالحيمة الخارجيـة، غربي صنعاء: والخميس من بـلاد أرحب ثم بني زهـر، انظـر، اليمن الكبرى، ٢١، معجم الحجـري، ١/ ٣٣٠، معجم المحققي، ٢١٩.

(٢) مَتْنَة: قـرية غـربي صنعاء في حقل سُهمان من ناحيـة بني مطر، على طـريق الحُدَيْدَة - صنعاء، تبعـد حوالي ٥٠كم، انظـر، صفحات مجهـولة، ٥٤، معجم المقحفي، ٥٥٧، حياة الأمير، ٦٢٩.

منها مركزٌ للتلغرافِ حتى معبر[1]. وحصلَ من ذلك النفعُ العظيمُ والسهولةُ في إجراءِ مصالحِ العبادِ على الوجهِ السليم، [1]فترى العاملَ في تعز مثلاً يرفعُ إلى مولانا الإمامِ بما يلزمُ رفعُه من الأمورِ في صباحِ يومِه، وبعدَ سويعةٍ يعودُ إليه جوابُ الإمامِ، وقد حصلَ المقصودُ. ولو أرسلَ بذلك بريداً لما عادَ إليه الجوابْ إلاّ بعد اثني عشر يوماً إن جدَّ في سفره من دون اعتبار تأخر في المقام الشريف، فكمْ ما بين ذاك وهذا من مراتب الفرقِ العظيم والبون الشاسع الجسيم! وكم بينهما من الاختلافِ في ضمانِ مصالحِ العبادِ وسهولةِ القيامِ بها، وفضلِها على أحسنِ منوالٍ، حتى إنه يتأتى للعاملِ الفطنِ أنْ يعرضَ كافّةَ أعمالِ يومِه آخر نهارِه، أو أوّل ليلِه على مولانا الإمامِ قصةً قصةً من دونِ تكلّفٍ، ويستوعب بذلك رفَع جزئياتِ أعمالِه.

قلت: وهذا التلغرافُ من المخترعاتِ التي أبرزها أولاً الإفرنجُ ثم نُقِلَتْ إلى سائرِ الأقطارِ ورأتها الدولُ من الضرورياتِ التي لا مندوحةَ في تركِها، وكانت الدولةُ العثمانيةُ في إبانِ قدومِها واستيلائِها على اليمنِ قامت بمدِّ خطوطِه من صنعاءَ إلى الحديدةِ، ومن هنالك إلى الآستانةِ.

/ ٣١ وفي سنة إحدى وعشرين وثلثمائةٍ/ بذل المشيرُ عبدُالله باشا الجركسي همَّتَهُ بمدِّ خطوطِه إلى الجهة العدنيةِ كذمار ويريم وإب وتعز ويُسمّى، إذا عُرِّبَ اسمه، بالبرقِ، وبالآلةِ البرقيةِ، والقوةُ التي بها تجري المخابرةُ، يُقال إنها القوةُ المسّماةُ بالقوةِ اليقتريقيةِ، ولفظُ اليقتريق لفظٌ افرنجي معناه القوةُ الجاذبةُ،

---

(١) مَعْبَر: مدينة بالجنوب من صنعاء بمسافة ٦٨كم، في وسط جَهْرَان عليها تشرع طريق صنعاء - تعز، وقيل أنها سميت كذلك لأن الطريق كان يفترق عندها إلى صنعاء شمالاً وإلى عدن جنوباً، انظر، معجم المقحفي، ٦٠٩، معجم الحجري، ٢/ ٧١٢، حوليات الجرافي، ١٩٤، مذكرات المؤيد بالله، ١٨٠.

[١ - ١] سقط من ص حوالي صفحتين.

ويْعبَّر عنها بالقوةِ الكهربائية نسبـةً إلى ما اشتُهر فيه أولاً وجودُ قوةِ الجذبِ وهو الكهرباء، وحاصلُ الأمرِ فيـه كيفيةُ استعمال هذه القوةِ: أنَّ الماكينة الموجودة في صنعاء في مـركزِهـا، بما أُعِدَّ فيهـا من الآلاتِ التي توجُـد فيها تلـك القوةُ، إذا وضعَ المأمورُ إصبعَهُ على آلتها للضرب خرج منهـا صوتٌ ليس بالصوتِ الكبيرِ فلربما لم يسمَعْـه منْ في خارجِ المكانِ الـذي فيه الماكينةُ فتجـري قوةُ الضربِ في السلكِ المربـوطِ بها إلى الماكينـةِ التي في تعـز مثـلاً، فتُسمَعُ تلك النقـراتُ من الماكينة التي في تعـز في آن واحدٍ حتى لا يوجـدَ فرقٌ بين الفقرات المسمـوعةِ في ماكينـةِ صنعاءَ، وماكينةِ تعـز، وذلك لسرعةِ القوةِ وفرطِ اختراقِهـا للهواءِ، فهما حاصلان في آن واحد. وقد وقع الاصطلاحُ على نقراتٍ مخصوصةٍ، لكلِّ حرفٍ، من حـروفِ الهجاءِ، فيعـرفُ المأمـورُ ما هـو المراد، وبـالإدمان على ذلك تـرى المأمورَ يكلِّمُ غيره، وهـو يستملي وكذلك في حالـة مخابرتِه لغيرِه، وبالجملـة أمرُه عجيب، وتأتيه مستغربٌ، ولولا وجوده للعيانِ لما صدَّق أحدٌ بحصوله في درجةِ الممكن المبتذل المعـروف، ولم تكن القوةُ المذكـورةُ مما يُـدْرَكُ بالطـرفِ، ولا يرُى على السلكِ الحديدي التي تجري فيه أقلُّ تحرُّكٍ.

وقـد سمعنا من جنسِـه ما هـو أغربُ منـه، وهو مـا اخترعوه أخيراً وسَّمْـوه بالتلغراف اللاسلكي، واستخدموا فيـه الهواءَ فتخرجُ النقراتُ من الماكينةِ المعدَّة لـه، فـلا يبـدِّدُهـا الهواءُ إلى أنْ تصلَ إلى الماكينــة الأخـرى، فتسمع منهـا تلك النقراتُ. وقد شاهَدْتُه في بعض بوابير العثمانيةِ الحربيةِ الموجودِ فيها مولِّدُ القوة الكهربائية، وهذا من أعجب العجائب الدالّةِ على عظم ملكوتِ الله، وعظمِ ما أودعَتْه القـدرةُ الإلهيةُ من الأسرارِ في مخلوقـاتِه، فهذه قـوةٌ ضعيفةٌ باعتبـارِ بادي النظر لا تدركُ ولكنهـا عند استعمالِها وُجِدتْ لا تماثلُها قـوةٌ في اختراقِ الأقطارِ

السعيدة في آنٍ واحد، وبأمِّ اللحظةِ.

ولقد حكى لي بعضُ الماهرين فيه أنـه لا يوجدُ فرقٌ بين سماعِ تلك النقراتِ ودقّهِا ولو كانت المخابرةُ بينَ صنعاءَ والآستـانةِ مثلاً، وقد اخترقت تلك القوة برَّ اليمنِ من صنعاءَ إلى الحُدَيْدَة ثم البحـرَ الأحمر إلى منتهاه ثم البحر الرومي وغيرَه والبرَّ الموصلَ إلى الآستانةِ من بيروتَ إلى اسكدارَ إحدى مدن الآستانةِ، فما هذه القـوةُ العظيمة؟ جلت قـدرةُ/ اللهِ الذي خلقَ تلك القـوةَ وألهمَ النوعَ الإنسـانيَّ / ٣٢ لـلانتفاعِ بها، ولما كـان المأمـورون من الأتـراك – ولوحظ أن بقـاءهم مـؤقتٌ – صـدرَ الأمرُ الشريفُ من مقـامِ الإمـامةِ العظيم بفتح مكتبٍ لتعلُّم التلغـراف، فانخـرط في سلكِه جماعةٌ من صنعـاءِ ومن غيرهم، ولم تمضِ برهـةٌ يسيرةٌ إلاّ وقد تعلَّموا ذلك، وانتفعَ بهم، وعيَّنوا في مركز التلغرافِ مأمورين كالسابقين، ومُرِّنوا على ذلك ومهـروا فيـه، وتعددَّت أفـرادُهم وصينت تلـك المصلحةُ العـامـةُ من الاضمحـلالِ والزوالِ. فهـذا ما تمَّ إجـراؤه في المدةِّ اليسيرةِ بهمَّةِ مـولانا الإمـامِ وسعودِه الخارقـة[١]. وقـد ضمَّ مولانـا الإمامُ إلى مشـاةِ الجيشِ أعدادَ جماعـةٍ من الخيـالةِ، ورتّب لهم أميراً مخصـوصـاً، وأجرى لهم ولخيـولهم الجرايـاتِ الكافلـةِ بانتظامِ معيشتهِم.

ففي مـوكبِ الإمـام لأداء صلاةِ الجمعـةِ في الجامع المقـدّسِ، تـرى الجيشَ يقدِّمُ مولانا الأمامَ بطوابيرِهِ وقد انتظموا صفوفاً، وصارو[١] وقبلهم طبولُ الجيشِ وأبـواقُه التي استحسنَ مـولانـا الإمامُ بقـاءَهـا كما كانت في المعسكـر العثماني، والكلُّ على انتظـامِ تعبئة الحرب، وبعـدَ الجيش المدافعُ ثم الخيـالةُ ثم عكفـة(١) مـولانـا الإمـامِ وحرسُـه مشـاة، ومن وراءِ الكلّ مـولانـا الإمـامُ، ومنْ معـه من

---

(١) عكفة الامام، حرسه الخاص، أي حرس المقام الأمامي، وتكتب عُقفة.

---

[١] خطأ املائي «وساروا».

الساداتِ والعلماءِ والخاصةِ راجلاً قبل الصلاةِ، وعلى ظهر جوادِه بعدَ الصلاةِ، حتى إذا وصلَ إلى دارِه ببئرِ العزب أو إلى دارِ الصنائعِ السعيدةِ، وقفَ في مكانٍ وأشرفَ عليهم من إحدى طاقاتِه واستعرضهم فمرّوا صفوفاً، كلُّ صفٍ وراءَ الآخر، ومع كلِّ بلوك وطابور والأي أمراؤه يقدِّمونهم، فتأتي المدافعُ الصغارُ محمولة على بغالها بآلاتِها وبعض مؤنتها، فالهاوناتُ، وهي المدافِع التي يُرمى بها على الحصون، فالمدافِع الكبارِ التي تجرُّها الخيولُ بواسطة العجلاتِ، ومع كلِّ مدفع مأمورُه وطبشيَّة إلى أن ينتهي ذلك، بمرورِ الخيالةِ على أحسنِ انتظام وأرصنِ إحكام وهكذا في كلِّ جمعةٍ فيشاهدُ الناظر موكباً فخيماً وجلالاً جسيماً يتحدثُ به الركبانُ، ويرتدعُ به كلُّ مارقٍ شيطان.

وقد حكى غيرُ واحدٍ من الواصلين من عدن، أنّ الانكليزيين هنالك ما برحوا يسألون عن أمرين من أحوالِ دولةِ الإمام، أوّلُهما: المعملُ. والثاني: انتظامُ الجيشِ وتدريبُه ويُظهرون لذلك مزيدَ الاهتمام، كأنَّ الأمرين المذكورين هما /٣٣ السدُّ المحكم المانعُ من وصولِ ضرر مطامعهم إلى هذه الجهاتِ [١]ولعلَّ/ قائلاً يقولُ: قد امتدَّ شوطُ الكلام على ما أجراه مولانا الإمامُ من المصالحِ التي عزَّ بها الاسلام، والعذرُ ظاهرٌ لِمَن تأمّلَ بعدَ ذلك الأمورَ، ومن نظرَها بعيني رأسِه يقولُ: لم نخرجْ عن دائرةِ القصورِ، ففي ذلك غرائبُ وعجائبُ يحسنُ الوقوفُ عليها[١]، وفي بيانِها أوضحُ الأدلةِ على ما لمولانا الإمامِ من علوِّ المكانةِ ومزيدِ الاهتمامِ بمصالحِ المسلمين والإسلام، مَتَّع اللهُ المسلمين بطولِ أيامِه، وضاعفَ أمدَ أعوامِه.

وفي أواخر شهرِ ربيع الأول من هذه السنة، بلغ إلى مولانا الإمامِ حصولُ الاضطرابِ في جهاتِ اليمنِ الأسفلِ، وعدمِ ثباتِ أقدامِ الذين توجهوا من

....

[١ - ١] سقطت من س.

المقامِ الشريفِ، بعد أخـذِ العهود عليهم، فوقف أكثرهـم موقفَ المتردِّد، وكثرت الإشاعـاتُ عن الشيخ محمد بن نـاصر مقبل قائممقـام القماعرة، ومـا إليها من البلدان بتردُّدِه، وذلك بعد أنْ كانَ من سعيد باشا ما كان وتضاعفَ القلقُ بتردُّدِ المذكـورِ لما كانَ قـد استلمه من سعيـد باشـا من المدافعِ والمهماتِ الحربيـة، فإنَّ المذكـورَ أرسل إلى الشيخ محمد المذكـور عدةَ مـدافعَ ومهماتٍ قبيلَ دخولِـهِ إلى عدن، ومنها المدفعُ الكبيرُ المسمى بالأبـوس، وهـم اسمٌ افرنجي لحكيمٍ افرنجي اخترع هذا المدفع فَسُمِّي المدفعُ باسمِه.

فلمـا بلغ إلى مسامع مولانا الإمـام تلك الأخبارُ بادرَ بتجيهزِ المولى العلاّمة سيـــف الإسلام، أحمدَ بن قاسم بن الإمـام إلى اللواءِ التعزي وجهاتِـه لتلافـي إخمادِ ذلك التردُّدِ[٢] والاضطـــرابِ، وحفـظ الأطـــرافِ وتسكينِ روعـــةِ المستضعفين، وأرســـلَ معه من المجـاهدين نحـواً من ألف مقاتل وبمعَّيتـــهِ أيضـاً جماعـةٌ من الســـادة مثلِ السيـد عليِّ بنِ أحمدَ الحملي[١]، فتوجَّــه إلى إب واستقرَّ بها مدةً ثم توجّـه منها إلى القاعدةِ[٢] من المخلاف الجَنَـدي، ومكثَ بها برهـةً ثم عزمَ بمن معه من الجندِ[٣]، وقد تضاعَف عـددُهم بمن إنضاف إليهم

---

(١) علي بن أحمد الحملي ت بصنعـاء ١٣٤٤هـ: ينتهي نسبُه إلى أمير المؤمنين زيـد بن علي، نسبة إلى هجرة الحمل الـواقعة جنوب صنعاء، تولى عدة منـاصب شرعية في الحَيْمَة ثم في ناحية هَمْدان، أنظر حياة الوزير، ٥٧١، أئمة اليمن، ٣/ ٣٠٢ (سيرة الامام يحيى).

(١) القاعدة: مدينة بالشمال الشرقي مـن تعز، على أكمة مطلة على الجَنَد، انظر، اليمن الكبرى، ٤٥، اليمن الخضراء، ١/ ٨٤، معجم الحجري، ٣/ ٦٤٥، معجم المقحفي، ٥٠٤.

(٢) الجَنَـد: بلـدة شرق شمال تعز بمسـافـة ٢٢كم، سميت بجَنَـد بن شهران (أحـد بطـون المعـافر)، أحـد أسـواق العرب في الجاهليـة والاسـلام، أسس معاذ بن جبل الصحـابي مسجداً فيهـا، انظر، صفـة، ٩٩، معجم الحجري، ١/ ١٩٤، الاكليل، ١٠/ ٥٧ اليمن الخضراء، ١/ ٨١، اليمن الكبرى، ٣٦، معجم المقحفي، ١٣١، البلدان اليمانية، ٨١.

---

[٢] في س، الغزو.

من بَعْدَان[1]، ودخلَ إلى تعز، وحصلَ من الجندِ عدمُ التوقفِ على الطاعةِ، وذلك بإغراء منْ لا خيرَ فيهم، وصادفَ في ذلك الحينِ وصولُ اسماعيل الأسود، أحد أمراء الأتراكِ، ومعه ثلةٌ كبيرةٌ من بقايا الجندِ التركي، أقبل بهم من نواحي رَيْمة[2]، وكان واقفاً هو ومن معه في العرضي خارجَ مدينةِ تعز، فوقعتْ بينَ بعضِ المجاهدين وبعضِ أفرادِ العسكر التركي خصومةٌ أوجبتْ إظهارَ المذكورِ للمباينةِ، وكاد الحربُ بينَ الفريقين يستعرُ ثم فرَّ المذكورُ ومنْ معه إلى جهاتِ ماوية[3]، ومنها إلى لَحْج فعدن، وحصل من المجاهدين في تلك الأثناءِ الإقدامُ/ الى انتهاب المونةِ من مخزنِها في تعز، وكانت شيئاً كثيراً، وتفرَّقت في أيدي القوم، وبعض أهل البلاد، فكان ذلك من أسباب فشلِهم، وسقوط هيبتهم من القلوبِ، فمكث المولى سيفُ الإسلامِ في تعز أسبوعاً على ارتباك في الأحوالِ، وتراكم أوجالٍ، ثم عاد إلى مخلاف الجَندِ، ثم ترفّع من هنالك إلى ذي جِبْلَة[4] واستقرَّ بها، وعادَ من

٣٤ /

---

(١) بَعْدَان: من أعمال إب، جبل بعدان، واسع فيه قرى وحصون كثيرة ومزارع، والجبل يطلُّ على مدينة إب، انظر، صفة، ٢١١، الاكليل، ٢/ ١٠١، معجم البلدان لياقوت، ١/ ٤٥٢، مراصد الاطلاع، ١/ ٢٠٧ معجم المقحفي، ٨١، نشر العرف، ٢/ ٣٩٦، معجم الحجري، ١/ ٤٣.

(٢) رَيْمة: بلدة جنوب شرق الحُدَيْدَة بمسافة ٧٠كم، غرب جنوب صنعاء، تتصل ببلاد وصاب والجراف بجبل بُرَع ومركزها الجبى، انظر، الاكليل ٢١/ ٤٦٢، معالم الآثار ٣٧، اليمن الكبرى، ٥٧، نشر العرف، ١/ ٤٩٠، صفحات مجهولة، ٣٢، حياة الأمير، ٦٢١.

(٣) ماوية: بلدة جنوبي الجُنَد وشرقي تعز، بها مركز قضاء القماعرة، وهي على رأس جبل، وبها الكثير من الوديان الغنية بزراعة البن ، انظر، حياة الأمير، ٦٢٩، معجم المقحفي، ٥٥٦ معجم الحجري، ٦٨٨.

(٤) جِبْلَة: مدينة مشهورة بالجنوب الغربي من إب بمسافة ٧٠كم بناها عبدالله بن محمد الصليحي سنة ٤٥٨هـ انظر: الاكليل، ٨/ ٣٦، صفة جزيرة، ١٦٨، نيل الوطر، ١/ ٨٦، نشر العرف، ١/ ٢٠٣، اليمن عبر التاريخ، ٢٠٢، معجم المقحفي، ١٠٩.

المجـاهدين جماعـةٌ كثيرون، ووصلـوا إلى المقامِ الشريـفِ فحبس الإمامُ - أيـده الله- بعضَ رؤسـائِهم تأديباً على مـا جنتـه أيديهم من خـرقِ سترِ الهيبةِ، وعـدم التوقف على الطاعة.

وفي يـوم الجمعة، الموافقِ خـامس عشر من شهر ربيع الأول، جهّـز مولانـا الإمامُ - أيده الله- من محروس صنعـاءَ السيدَ الأجلَّ عزالدين، محمـد بن يوسف الكِبسي[1]، والشيخَ نصيرَ الدين، عليَّ بنَ المقداد راجح[2]، ومعهما ألفُ رام من أرحب، ومدفعـان إلى جبالِ رَيْمـةَ وبلادها. فتـوجّها بمن معهما إليهـا، وكانت طريقُهُما من الجهـة الأنسية، فوصلوا إلى أطـراف البلادِ، وقابَلَهُم بعضُ الـرعاعِ بالحربِ، فكانت بين الفـريقين مناوشةٌ قتالٍ، ثم فرَّ الرعـاعُ واستولى المجاهدونَ على مواشيهم.

وفي اليـوم الثاني، أقبلـوا بعقائر الطـاعة، تـائبين، ولما جرى منهم نـادمين، فقـوبلـوا بـالتأمين، وأمـر السيـدُ محمـد بن يـوسف والشيخُ نصير الـدين جميعَ المجاهدين بإطـلاقِ ما في أيديهم من المواشي وإعادتِها إلى أهلهـا وقابَلَتْهُمْ بعد

---

(١) محمد بن يوسف بن محمد بن يـوسف بن أحمد بن محمد الكبسي ت بصنعاء ١٣٦٢هـ، شارك في عدة معـارك لاخضاع مناطق في يَرِيْم بقيادة عبـدالله بن إبراهيم بن أحمد سنة ١٣٢٩هـ، وثبت في معـارك بين عَرْهَب، ومن ثم لزم بيتـه، وعاش زاهداً ورعـاً، عانى من الفقر صنـوفه، ولد بصنعاء سنة ١٢٨٠هــ، انظر نزهة النظـر، ٦١١، هجر العلم، ١٧٩٨.

(٢) علي بن المقداد بن أحمد بن عبدالله راجح، نصير الدين ت(٣٤) من كبار مشايخ البلاد الآنسيـة، جمع شرف الحياة وشرف الجهـاد، مقـدام، شجـاع، حارب الأتـراك منـاصراً لـلامام المنصـور محمد بن يحيى حميـدالدين وثم مع الامـام يحيى، وحروبـه وبطولاتـه مشهورة، انظر الدر المنثور وحروبه في البلاد الآنسية، انظر، نزهة النظر، ٤٥٧.

ذلك جهاتُ رَيْمَةَ كلُّها بالطاعةِ والدخولِ في سلكِ الجماعة، وأقبلت إليهم المشايخُ والرؤساءُ من جميعِ البلادِ، وانتقلَ المقدميان بجنودِهما إلى الجَبَى[1] مركزِ قضاء رَيْمَة، ومن هنالك صار ضبط البلاد جميعها؛ كُسْمَة[2] وجهاتها والجَعْفَرِيَّة[3] إلى حد قبيلة الزَرَانيق[4] من تُهامةَ، وصلحت الأمورُ والحمد لله، ولم يحصلْ ما يكدِّرُ مِنْ سفكِ دماءٍ أو إثارةِ دهماءَ، ومكث الأميران هنالك يُجريان الأمورَ بالاشتراك، وزالَ عن أهلِ رَيْمةَ ما كانوا فيه من الفوضى والتعادي، ونالوا حظَّهم من الأمانِ، وإقامةِ شريعةِ الملك الدّيان.

وفي ثالثٍ وعشرين من الشهر المذكور، أنارت الأرجاءُ بقدومِ سيدي العلامة، سيف الإسلام والمسلمين أحمدَ بن مولانا الإمامِ[5] إلى مقام مولانا أمير

(١) الجَبَى: ناحية من قضاء رَيْمة وأعمال صنعاء، خصبة، انظر، اليمن الكبرى، ٥٧، حياة الأمير، ٦٢١، معجم المقحفي، ١١٠، معجم الحجري، ١/ ١٧٩.

(٢) كُسْمَة: جنوب غرب صنعاء، ناحية كبيرة من قضاء رَيْمَة، متصلة ببلاد آنس وعُتُمة ووصاب، يتبعها تسعة عشر عُزلة، بني يعفر، شعف، البقعة، جبل ظلملم، المغارم، يامن، عدنها، الضبارة، الأبارة، الجون، الشنرب، الريم، المصبحي، بني مصعب، بني منصور، بني عبدالعزيز، سلوكه، الجبوب، وهي منطقة خصبة غنية بالزروع وخاصة البن، انظر، نشر العرف، ١/ ٥٠٣، معجم المقحفي، ٥٣٧، معجم الحجري، ٢/ ٦٦٤، طبق الحلوى، ٨٦، رياض الرياحين، ٧٣.

(٣) الجَعْفَرِيَّة: ناحية من نواحي رَيْمة، انظر، معجم الحجري، ١/ ١٨٩، معجم المقحفي، ١٢٣.

(٤) الزرانيق: من قبائل تُهامة: ينسبون إلى زرنق بن الوليد، وهم في الأصل قبائل المعازبة، مساكنهم ما بين وادي رِمَع ووادي ذؤال وما بين البحر الأحمر وجبال رَيْمة الأشابط، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٩٤، المروني، الثناء الحسن، ١١٧، تاج العروس، ٦/ ٧٣٠.

(٥) أحمد بن يحيى حميد الدين: الامام الناصر أحمد ت ١٢ ربيع الآخر ١٣٨٢ هـ، انظر، نزهة النظر، ١٦٧، هجر العلم، ٨١٧ - ٨٥٤، تحفة الاخوان، ٣٢، الاعلام، ١/ ٢٧١.

المؤمين، ببلدةِ بئر العزب، لأداءِ حقِّ زيارةِ والـده - عليه السلام - وكان قدومُه من شُهارةَ ومعـه شقيقُه بدرُ الدين، سيـدي، محمدُ بن أمير المؤمنين[1]، فاستقَّرا مدةً حَظِياً فيها بالمراجعة في مهام الأمور.

ثم عـادَ مولانـا سيفُ الإسـلام إلى محروسِ السُّـودَةِ، ومنها إلى شُهـارةَ محلِّ عملِه، وبقي سيدي بـدرُالدين بمقامِ أبيه للقراءةِ والتفرغ لـدرسِ العلوم، وكانا معاً أيـةَ اللهِ في النجابـةِ وعلو الهمـةِ وسمّوِ/ المداركِ، والشغفِ بمعـالي الأمورِ، والبحثِ عن أحوالِ الجمهور. / ٣٥

وفي شهر جمادى الأولى من السنـةِ المذكورةِ، وجّه مولانا الإمـامُ عمالةَ جبلِ بُرَع[2] إلى السيد الأجلّ عليٍّ بن أحمدَ بن إبراهيمَ بن الإمام[3]، وأمره بالتـوجُّهِ إلى الجبلِ المذكورِ، ومعه عصـابةٌ كافيةٌ من الأجنادِ، فعـزم إليه بمن معه، ودخلَ إلى الجبلِ المذكـور بـدونِ حـرب ولا قتالٍ، وأقبل أهلُ الجبـلِ إلى الطاعـةِ يهرعـون، وأُخِذَتْ عليهم أيمانُ البيعةِ بواسطةِ القاضي عزي بن عطاء الله.

ووجّـه مـولانـا وظيفـةَ القضـاءِ في الجبلِ المذكـورِ إلى القـاضي المذكـورِ،

---

(١) محمد بن يحيى حميدالدين، الأمير البدر، أمير لـواء الحُدَيْدَة ت غريقاً في ١٦ ذي الحجة ١٣٥٠هـ أديب شـاعر، محمود السيرة، جواد، كريـم، ولاه الامام أعمال قضاء الشرفين ثم لـواء حجة، ولـد في القفلة في ١٥ رمضـان ١٣١٦هـ انظـر، تحفة الاخـوان، ١٢٨، نزهة النظر، ٥٩٨، أئمة اليمن، ٢/ ٢٩٠، هجر العلم، ١٧٤٤.

(٢) جبل بُرع: نـاحية من لـواء الحُدَيْدَة، مشرفة على تهامـة، يرتفع عن سطح البحـر حوالي ٢٠٠٠م، مـركـزه نـاحيـة رقـاب، انظـر، معجم الحجـري، ١/ ١١٥، ٢٩٥، معجم المقحفي، ٧٤، الاكليل، ٢/ ٢٨١، صفة جزيرة، ٢٠٥، قرة العيون، ٢٥٢.

(٣) علي بن أحمد بن إبـراهيم: أمير الجيش خلفاً للشريف عبـدالله الضُمين، ظل في منصبه طوال عهـد الامام يحيى والامام أحمد، عزلـه الامام البدر، واعتقل في عهد الجمهـورية، ثم توفي بعد اطلاق سراحه، انظر، حياة الأمير، ٥٧١.

وانتظمت أحوالُـه في أقربِ مدّةٍ، واستراح سكانُه، وشـاع فيهم الأمانُ والضبطُ للشريعـة والانتصافُ للمظلـوم، وكاتبَ سكـانُ الأطرافِ المجـاورةِ له عـاملَ الجبلِ برغبتِهم في الطاعة والاستظـلال بالراية الإماميةِ، وكـان يرفعُ ما يصلُ إليه إلى الحضرةِ الشريفةِ، فيتلقى الجواباتِ الشافيةَ ويرسلُها إليهم.

وفيه وجّـه مولانا الإمـامُ عمالةَ ناحيـةِ جَهْران(1) إلى القاضي فخـر الإسلام، عبدالله بـن أحمدَ العرشي(2)، فتـوجّه إليهـا، وعيّن مولانـا سيدي شرفَ الإسـلام، حسينَ بنَ علي بن عبدالقادر، عـاملاً على صنعاءَ، وذلك بعد وفـاةِ أخيه سيدي الوجيه [1]عبدالرحمن بن علي بن عبدالقادر.

قلتُ: ووفـاةُ أخيـه سيـدي الـوجيـه – رحمه الله– كـانت[1] في (27 جمادى الأولى[2]) من هذه السنةِ و[3]كان في نيّةِ مولانا الإمام إبقاؤه على العمالةِ، وكان – رحمه الله[3] – سيداً هماماً وماجداً مقداماً تولى رئاسةَ بلـديةِ صنعاءَ أيامَ الـدولةِ العثمانيـةِ من سنـة (...)[4] وعشرين إلى أن اخترمتْـهُ المنيُــة كهـلاً بهذا العـامِ،

---

(1) جَهْـران: أرض واسعـة في الجنوب من مـدينـة صنعـاء بمسافـة 66كم، جنـوبي نقيل يسلح، وشمال ذَمـار يسمى حقل جهـران، وجهـران، ناحيـة من أعمال أنس وتعـرف بقاع جهران، ومن أسفل جبل يسلح وينتهي إلى ذَمـار، في وسط القاع تقع مدينة معبر على بعـد 39كم من ذَمار، انظـر، حيـاة الأمير، 616، معجم المقحفي، 184، معجم الحجري، 1/ 201، 1/ 13، رياض الرياحين، 59، حوليات الجرافي، 87.

(2) عبـدالله بن أحمد بن صـالـح بن مصلح العَـرَشي ت في كُحـلان بتـاريخ 6 صفـر 1359هـ، عالم، فقيـه، عارف بالسياسة، تولى أعمال جُبَن، بعث إلى عـدن للمفاوضة حول تسليم عدن والمحميـات المحتلة للامام ولم تسفـر المفاوضات عن شيء، ثم عين على ميدي وأسر في الحرب اليمنية السعـودية هناك، ومن ثم عيّن عـاملاً على كُحلان، ولد سنة 1296 انظر ملوك العرب 10/ 83 – 84، هجر العلم، 1800.

[1 – 1] سقطت من س. [2] بياض في الأصل والإضافة من نزهة النظر، 346.

[3 – 3] سقطت من س. [4] بياض في النسختين.

وحـالت دون إبقـائِه على منصبِـه، وكـانَ حسنَ السيرةِ، صفيَّ الطـوّيـةِ، جميلَ المعاملةِ، حازماً لبيباً ذكياً لـوذعياً ينتمي في معاملته إلى ديانةٍ وعفّةٍ وحسنِ خلقٍ، فكـانت وفـاتُـه - رحمه الله- من دواعي الأسفِ، وامتحن في آخـر عمـره بـداءِ ضعفِ المعـدة، وعُني بمعـالجتِه الأطبـاءُ فلم يبرأ من مـرضِـه حتى توفي، وقـد لازمته الأسقـام زمناً غير قصيرٍ . وعيّن مـولانا الإمـامُ في هذه الأشهـرِ جماعةً في منـاصبَ متعددةٍ منهم، القـاضي محسنُ بنُ يحيى الجبري[1] لحكـومةِ خَـوْلان، والقاضي يحيى بنُ محمـد الإرياني[2] لحكومـة قضاءِ إب، والسيـدُ الأفضلُ أحمدُ بنُ زيد بـن علي الديلمي[3] لحكـومة قضـاءِ رَدَاع، وسيدي العـلامةُ محمـدُ بنُ قاسم الظفري لحكومةِ صَعْفَان من بلادِ حراز.

وفي شهرِ رجبٍ من السنةِ المذكورةِ وثبَ الحاجُّ محمدُ بنُ عـايض العُقاب من مشـايخِ حُبَيْش، بعـدَ أن تمالأ هـو وأشرارُ حُبَيْش على من كـان بِحُبَيْش من

---

(١) محسن بن يحيى بن صالح الجبري ت بجحـانة، في جمادى الأولى سنة ١٣٦٧هــ، عالم عارف بـالفقه، تـولى القضاء في عهد الـدولة العثمانيـة في رَداع وتولى القضـاء في عهد الامـام يحيى في ثُلا وفي جَهْـران ثم في خَوْلان، ولـد سنة ١٢٨٧ هــ انظر، حيـاة الأمير، ٥٨٥ - ٥٨٦، هجر العلم، ١٢٦.

(٢) يحيى بن محمد بن عبـدالله بن علي الإرياني ت في صنعاء ٩ ذي الحجة ١٣٦٢هــ، عالم في كثير من العلـوم، تـولى القضـاء لـلإمام يحيـى سنة ١٣٣٧هــ، وعضـواً في محكمـة الاستئنـاف سنة ١٣٤٩هــ، ودرس في المدرسة العلميـة وفي مسجد الفليحي، ولـد في حصن إريان، جمادى الأولى ١٢٩٩، انظر، نزهـة النظر، ٦٣٥، هداية المستبصرين، ٩ - ٢٧، هجر العلم، ٧١، المدارس الاسلامية، ٤١٨.

(٣) أحمد بن زيد بن علي بن حسن الـديلمي ت في النَّادرة بتاريخ ربيع الآخـر ١٣٦٨هـ، عالم في الفقه، أصـوله وفروعه والحديث والتفسير والعربية، تـولى قضاء رَدَاع ثم قَعْطَبَة وحُفاش، وكـذا القضاء في النَّـادرة في عهد الامام أحمد، ولـد سنة ١٣٠٨، انظـر، تحفة الإخوان، ٤٩، نزهة النظر، ٧٢.

الجندِ الأمامي، فقتلوا منهم جماعةً، ينوفون على العشرةِ واغتالوهم وثاروا للخلافِ وتبعهم/ كافة أهلِ حُبَيْش على الخلافِ والتمرد عن الطاعةِ، ورُفِعَتْ إلى مولانا الإمامِ أخبارٌ عن الباعثِ على ذلك، وأنه من نتائج تدبير المترددين في الطاعةِ من رؤساءِ اليمنِ الأسفلِ، فاستقدم مولانا الإمامُ عامله على جهة الحدأ السيدَ الأجلَّ المقدامَ محمدَ بنَ علي الشامي، وكانَ قد أكملَ إصلاحَ الحدأ جميعه إلى كَوْمَان المحرّق[1]، وضبط تلك الجهات ضبطاً محكماً، وساق الأشرارَ إلى الحبوس، وكانوا من اضرارِ عبادِ اللهِ على جانبٍ عظيم، وقد أعيوا الدولَ مكراً وخبثاً وتسلطاً، وأرادَ مولانا الإمامُ من استقدامِه توجيهَهُ إلى اليمنِ الأسفلِ لتأديب العُصاةِ من أهل حُبَيْش، وضبطِ الأمور في جميعِ تلك الجهاتِ، ولم يتمَّ ذلك، لأنه اعتذرَ بالمرضِ الذي صدَّه عن القيام بتلك المهمةِ وكانت الحروبُ بين المخالفين من أهل حُبَيْش وجنودِ الأمامِ التي وجَّهها إليهم المولى سيفُ الإسلام[2] تحتَ أمرةِ أخيه سيدي فخرِ الدينِ عبدِالله بن قاسم[3] بن [١الإمام١] مستمرةً، والمحطاتُ بهم محدقةٌ، ولكنَّ الجندَ الإماميَّ لم يتيسرْ له إخمادُ نيرانِ بغيهم وجهلِهم والانتصافُ منهم بما ارتكبوه من عظيم الإثمِ، والفتكِ بالمجاهدين غيلةً، وهم آمنون في مراتبهم، وتيسَّر في أثناء تلك المدة خروجُ القاضي عبدِالله بن محمد يونس[4] حاكم حُبَيْش، ومن معه من بقيةِ الجند

/ ٣٦

(١) كَوْمَان: في بلاد الحداء، ينسب إلى كومان بن ثابت من آل حسان ذي الشعبين وهو قسمان، كومان المحرق وكومان سنام، انظر، الاكليل، ٢/ ٣٨٢، المدارس الاسلامية، ٧٦، معجم المقحفي، ٥٤٤، معجم الحجري، ٢/ ٦٧٣.

(٢) المقصود، أحمد بن قاسم حميدالدين ت ٢٢ ربيع الأول ١٣٥٣هـ، سبقت له ترجمة.

(٣) عبدالله بن قاسم بن عبدالله حميدالدين، كان عالماً ورعاً، شقيق سيف الاسلام، أحمد بن قاسم، لم تظهر شخصيته بسبب قوة شخصيته أخيه سيف الاسلام أحمد، انظر، حياة الأمير، ٥٦٦.

(٤) عبدالله بن محمد يونس، علامة، أديب، شاعر، كان حاكماً لحُبَيْش، ثم المَخا، ثم تعز، انظر، حياة الأمير، ٥٦٧.

[١ - ١] في س، حميد الدين.

الإماميِّ إلى إب ليـلاً بعدَ أنْ حاصرهم البـاغون أشدَّ الحصـارِ في ظَلْمَةَ، ولم تَخلُ الوقائعُ بينَ الفريقين عن معاركَ قُتِلَ فيها من الباغين جماعةٌ.

وفي شهر رجب من هذا العـام، عيَّن مولانا الإمامُ السيّدَ عـزَّالدينِ محمدَ بن علي الذاري[١] لعمالة زَبِيد وبـلادها، وكانوا قد راسلـوا مولانا الإمامَ بـالطاعةِ، واستقدمـوا الجندَ الإماميَّ، ولكنّه كـان يحول دونَ ذلك تمرُّدُ أهل وُصَابين[٢] عن الطاعةِ، وإعلانُهم عدمَ الانقيادِ واصرارُهـم على العنادِ، فعيَّن مولانا الإمامُ أيضاً لعمالةِ وصاب العالي والإشرافِ على وُصَابِ السافلِ السيدَ الأجلَّ، عزَّ الإسلامِ، محمدَ بنَ أحمد الـوزير[٣]، ولحكومـة وُصَاب العـالي السيدَ الهمامَ هـاشمَ بنَ علي المرتضى[٤]. وأمـرَ مولانـا الإمامُ سيـدي العـلامةَ يحيى بنَ علي الـذَارِي بالعـزمِ

---

(١) محمد بن علي بن أحمد الـذاري ت ٢٩ ربيع الآخر ١٣٤٤هـ، عالم بالفقـه والفرائض، تولى أعمال خبان ثم النَّادرة فعُتُمة ثم زبيد ثم عـاد إلى الذاري عاملاً على ناحيتها، ولد في رمضـان ١٢٨٧، انظـر نزهـة النظـر، ٥٦٩، أئمـة اليمن، ٢/ ١٣٢، هجـر العلم، ٦٦١.

(٢) وُصَـاب: ناحيـة كبيرة كانـت تعرف بجُبْـلان العركبـة، غـرب وادي زَبيد، فيهـا جبل عظيم، وعليها حصن الشرف، وهي تتكون من وُصاَب العالي، ومـركزها الدِّن ووُصاب السافل ومـركزها المصبـاح والعركبة كانت حـاضرة وُصاَب قبلاً انظـر، المفيد، ٢١٤، مراصد الاطلاع، ٣/ ١٤٣٩ طبقات الخواص، ٦٥، البلدان اليمانية، ٣٠٠.

(٣) محمد بن أحمد بن محمـد بن محمد الـوزير: ت بصنعاء ١٣٩٢هـ، عالم في الفقـه، تولى أعمال وصاب ثم ذَمـار وكان عامـلاً في الطويلة، ولـد في سنة ١٣٠٥هـ، انظـر، هجر العلم، ١٩٥، حياة الأمير، ٥٨٨.

(٤) هاشم بن علي المرتضى ت بتعز، ١٣٩٠هـ، درس زميـلاً للامام في كُحلان، تولى أعمال وصاب ويَـريمْ وذي السُّفَال، وزَبيد، ثم عضـواً في الهيئة الشرعيـة في تعز، انظر، نـزهة النظر ٦٢٠، هجر العلم، ٩٩١.

معهم وأصحبَهم من الجنـدِ الإمامي نحـوَ ألفي نفرٍ ومـدفعين، وما يلزمُ لـذلك من العدة والمهمات.

وصـدرَ الأمرُ الشريفُ أيضـاً على سيـدي فخر الـدينِ عبـدِاللهبن أحمد بن الوزير بأن يجمعَ جنداً من البـلاد التي بنظره، وأن يلتقي الجميعَ إلى عُتمة. وكان سيدي محمدُ بنُ علي الذاري هنالك، وإليه حكومةُ تلك الجهةِ، فتوجهوا جميعاً، والتقى الأمراءُ هنالك، وتكاثرَ عددُ الجندِ لديهم.

ومكثـوا مدةً يـراسلون أهلَ وُصَـابِ ويرغِّبـونهم في الطَّاعـةِ وحقنِ الدّمـاءِ واجتماعِ الكلمـةِ/ وفي أثنـاءِ شهـرِ شعبـانَ من هـذا العـامِ، وردت البُشرى من الأمراءِ الـذين حولَ وُصَاب بأنّـه كانَ التقـدمُ من الأجنادِ الإماميـةِ على وُصَاب العـالي بعدَ الإعـذارِ والإنذارِ ودوام إرسـال النصائحِ لأهلـهِ وجوابهم المرةَ بعـد المرةِ بأقبح جوابٍ، وإصرارِهم على العنـادِ والبقاءِ على الارتيـاب. وافترقَ الجندُ الأماميُّ إلى طـائفتين: طائفـةٌ مع السيد العلامـة عبدِاللهبن أحمدَ الـوزير وتحتَ إمرتهِ، وعـددُهم كثير فتقدموا من جهةٍ، والطائفةُ الأخـرى مع سيدي محمدِ بن علي الذاري وأخيه سيدي العـلامةِ يحيى بن علي الذاري[1] وغيرِهما تقدموا من جهـةٍ أخرى وجـرى بين الفريقين في الجهتين حـربٌ مهـول وقتال استبسلَ فيـه المجـاهدون، وأظهـروا فيـه من الإقدام مـال لا يزيـدُ عليـه، وهاجموا البُغـاةَ إلى

/ ٣٧

(١) يحيى بن علي بن أحمد الـذاري ت ١٠ ربيع الأولى ١٣٦٤هـ، عـالم محقق في الفقـه والأصول، شاعـر مجيد، خطيب، حفاظـة، قاد حملة لمحاربـة الأتراك والادريسي، أقام طرف الامـام في القَفْلَة، تـولى القضاء في خبـان، له قصـائد تحث على وحدة المسلمين أنشأهـا سنة ١٣٤٠هـ، ونشرت في القبلة من مـؤلفاتـه، القول الصريح في الـرد على مـدعي الاسـلام الصحيـح لمحمـد إسحـاق النشـاشيبي، ولـد في جمادي الآخـرة ١٢٩٠هـ، انظر، نزهة النظر، ٦٢٣، هجر العلم، ٦٦٢.

مواقِعِهم، ولم يهابوا رصاصَ بنادِقهم ولا تكـاثُفَهم وتسانُدَهم، وانجلت المعركةُ في الجانبين عن قتلى من المجـاهدين واستشهـادِ جماعةٍ وجرحِ جماعـة، وقُتلِ من الباغين ما ينوفُ عن ثلاثين قتيلاً، وحُزَّت رؤوسُ بعضِهم، وأَرسلت الرؤوسُ إلى بعضِ النـواحي، ووصلَ منهـا إلى إب عـدد، وجُـرح منهم كثيرون وأُسِرَ منهم عددٌ غير يسير، وانهزموا هزيمةً فـاضحةً لا يلْوُون على شيء، وارتقى المجاهدون الجبلَ من جميع نواحيه إلى أنْ وصلوا إلى الدَن[1].

وبعد هـذه الحربِ أقبلوا إلى الطاعـة، وهرولـوا إلى العافيةِ، وطلبـوا الأمانَ، وبذلوا رهائن الطاعةِ، فأخـذت منهم جميعاً، وأقبل بعدَهم أهلُ وُصابَ السافل وانقـادوا وضُبِطَتْ أمـورُ الجبل جميعِـه، وذلَّ العـاصي واستنـزلـوا من تملّكَ الصياصي، وكانوا يظنون أنهم لا يُطاقون، ولا يمكنُ ارتقاءُ جبلهم وأخذه عنوةً، فأُخِذوا بسيوفِ الحقِّ وأطـاعوا رهبةً، وكانت تُطْلَبُ منهم رغبـةً، وإنما غرّهم ما مرنوا عليه من العصيانِ وفي زمنِ الدولـةِ العثمانيةِ، لقد لبثوا قبلَ هذا نحو عشرٍ من السنين متمـردين على الدولـة العثمانيـةِ، وبقي الجيشُ على كثرتِـه، في تلك الأطراف مع الأمـراء، لأكمالِ الإصلاحِ، وإظهارِ شعـائرِ الحقِّ والفلاحِ، وإخمادِ مـا كان مستعـراً من الفتنِ بينَ العزلِ والمخـاليف؛ لأنَّ فـوضاهم جـرَّتْ إليهم عظائم المحنِ، وأخربت معمورَ البلادِ، وناهيك بحالةِ قوامِ أمرُها هو الفساد.

ولمّا تمَّ المرامُ انفصلَ الجيشُ العـازمُ إلى زَبيـد من الدَنِّ متـوجهـاً مع عامِلِـهِ السيد عزِّ الإسلام، محمدِ بن علي بن الـذاري، ومن معه من أمراءِ الجندِ المنوطين به، وما زالَ يسيرُ رويـداً حتى وصل إلى زَبِيد في أثناءِ رمضان مـن/ هذه السنة، / ٣٨

---

(١) الـدَنَّ: مركـز وُصـاب العـالي، انظر، معجم المقحفـي، ٢٤١، المفيد، ٢١٤، البلـدان اليمانية، ٣٠٠.

ولم يَلْقَ في طريقِـه حرباً ولا قتـالاً بل واجهتهُ أهلُ تلك الجهةِ بـالطاعةِ والـرغبةِ فيها، وكـان القائم في ذلك بالأثر الحسنِ السيـدُ النجيبُ الهمامُ صفيُّ الإسلامِ، أحمدُ بن عبدالرحمن الأنباري[(١)]، حاكم زَبِيد، فإنه بذلَ وسعَه في مكاتبةِ المشايخِ وإفهام السكانِ هنـالك مزايا دولةِ مـولانا الإمامِ وقد كان تشرّف بـالوصول إلى الحضرةِ الشريفةِ الشيخ عبـدُالرحمن، شيخٌ من مشايخ قبيلة المعـاصلة[(٢)] وعاد مع الجيشِ المنصور.

ولما استقـرَّ العـاملُ ومن معـه بزَبِيـد تلقـاهـم الجميعُ بـالترحيب، واستبشرَ بقـدومهِم وأنِسَ بهم جميعُ الناسِ على اختـلافِ طبقـاتِهم واستقرَّت الأحـوالُ، وشرعَ العاملُ في تـرتيب الأمورِ وإزالـةِ المفاسِـد، وأنزلَ كثيراً من الجنـدِ في قلعةِ زَبيدٍ، وهي قلعـةٌ حصينةٌ ضخمةٌ المبـاني، قد تداولتها أيـدي الدولِ وفيها مـآثرُ قاسميةٌ، وكانت حـالةُ زَبيد قبلَ قدوم الجندِ الإماميِّ إليهـا في حالةِ سُكونٍ على أثرِ مبـارحةِ الـوالي محمود نـديم بك لها بعد أن سكن مـا بينَ أهلِها من الحروب والفتنِ، وقُبِضَ علي زعيم حـارةِ الجامع[(٣)] والمجنبـذ[[١]] عبـدالله مبارك القـائم بإيقاظ الفتنـةِ، ولولا قدومُ الجندِ الإمـاميِّ لعادت الحربُ جذعـة بين الفريقين، فكان قـدومُه عليهم فرجاً عـاجلاً أزال عنهم تلك الفتنَ ومحا عنهم المحنَ، وتمَّ

---

(١) أحمد بن عبدالـرحمن بن حسن بن الطاهر بن أحمد المساوي، الشهير بـابن الأنباري ت ١٣٦٦هـ تولى حكـومـة زَبيد من سنـة ١٣٣٧هـ، وكانـت محكمة زَبيـد من أحسن المحاكم مع مراعاة التنظيم وحسن الصك والسبك في ما يرقمه انظر، نزهة النظر، ٩١.

(٢) المعاصلـة: عُزلـة وقبيل في وادي زَبيد، وهـم من الأشاعـرة، وبلادهـم واسعـة ممتدة من ساحل البحر إلى الجبل، انظر، معجم المقحفي، ٦٠٧، معجم الحجري، ٢/ ٧١١.

(٣) المقصود جامع الأشاعرة بزَبيد.

---

[١] في س، والمجسد.

ببركتِه ما راموا وظفروا بها به هاموا، وكان للقبائلِ المجاورةِ لـزَبيد تسلُّطٌ على أهل المدينةِ، وكلُّ فـريقٍ منهم مستندٌ إلى قبيلـةٍ وبذلك تهدَّم من مشيـد عُمرانِ زَبيد ما ثبت إحكـامُه، وصَينَ على مرورِ الزمـانِ من رِيَب الحوادِثِ نظامُه، فلما وردَ الجندُ الإماميُّ ونـزل بذلك السَّوْحِ، عادت إلى المدينـة حسناتُها، وبرزَ رونقَ حضارتِها، واشتغل كلُّ فريقٌ من أهلِهَا بما يعنيهُم من الأعمالِ والأطوارِ.

وأما سيّدي فخرُ الدين عبدُاللهبن أحمدُ الـوزير، فإنّه مكثَ هنالك بمن معه من الجندِ أيـاماً، ثم تـوجَّه بجنـدِه نحو جبل رأس[1] ودُبَاس[2]، وهنالك لبث برهـةً حتى قرَّر الأمورَ وساسَ الجمهـورَ، وضبطَ أحوالَ الجبل المذكورِ ومـا إليه، ولاقاه هنالك بنـو النور، رئيسهم الجنيدُ بنُ عبدالله النور، وكـان المذكورُ ومن إليه ينتمون إلى رَيَّانةَ[3]، فسارعوا إلى الطاعةِ وأقبلوا للانضمام في سلكِ الجماعة،، ثم تحول سيدي عبدُالله إلى حَيْس[4] وتلك الجهة وقصـدَ مدينـةَ حَيْس، وقد تجمّع مِنَ الأشرارِ لمعـارضـةِ قصـدِه/ أقـوامٌ، فجرت بينَ الفـريقين حـربٌ عظيمـةٌ، / ٣٩

---

(١) جبل راس: يطل شماله على وادي زَبيـد وجنوبه على نخلـة، وشرقه فرع العُدَين وغـربه وُصَـاب، يـرتفع حـوالي ٢٠٠٠م، يتبع زَبيـد إدارياً، يقـع جنوب شرق زَبيـد، عـامـر بالقرى، انظـر، اليمن الكبرى، ١٠٥، حياة الأمير، ٦١٤، معجم الحجري، ١/ ٣٥٥، معجم المقحفي، ٢٥٨، قرة العيون، ٤٦.

(٢) جبل دُبَـاسُ: يبعد عن زَبيـد ٤٠كم من الجنوب الشرقي، ويكـون شمال شرق حَيْس، فيـه قرى ومـزارع كثيرة يشتهر بـالعسل الدُبـاسي، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٥، صفـة جزيرة، ١٤٠، معجم المقحفي، ٢٣١، معجم الحجري، ١/ ٣٢٦، قرة العيون، ٤٦.

(٣) رَيَّان: قرية الريان في وادي زَبيد، انظر، اليمن الكبرى، ٤٨، ٧٥.

(٤) حَيْس: مـدينـة بتُهامـة تبعـد عن زَبيـد ٤٠كم جنـوباً بشرق، وهي جنـوب جبل دُبـاس، اشتهـرت بصنـاعـة الأواني الفخـاريـة، انظـر، الاكليـل، ٢/ ٣٦٨، قـرة العيـون، ٢٣٤، صفحات مجهولة، ٢٠، اليمن الكبرى، ١٠٤، حياة الأمير، ٦١٨، معجم المقحفي، ٢٠٣.

أسفرتْ عن انهزامِ الأشرارِ، ومبادرتِهم للفرار بعدَ أن أُصيبوا بقتلى كثيرين منهم، وجرحى ودخَلَ الجندُ المنصورُ مدينةَ حَيْس ظافراً، واستقرّ هنالك سيدي عبدُاللهِ أياماً يرتِّبُ الأمورَ ويضبطُ الجهاتِ ويتتبع الأشرارَ، ويجتثُّ أصولَ كلِّ محذورٍ، ومن هنالك أرسلَ إلى مرسى الخُوْخَه[1] من رتَّبَهُ وضَبَطَهُ وأحكم أمورَه. وكان هذا المرسى قديماً لا يُذكرُ، وفي هذا الزمن قصدَهُ التجارُ وأهلُ السفنِ، وكان الملجأ إلى ذلك ما يعانيه التجارُ من ثِقَلِ الضرائب في المراسي المشهورةِ مثل الحُدَيْدَةِ واللُّحَيَّة وغيرهما، وتحكُّمُ المتولين في منعِ البضائعِ، فقصدُوه لخلوِّهِ عن ذلك.

ولما أعلن الإنكليزُ الحصارَ البحريَّ على سواحلِ البحرِ الأحمرِ التي تحتَ يدِ الدولةِ العثمانيةِ، وصار ما يُجْلَبُ إلى اليمن ومنه لا يحصل إلاّ على جانبٍ عظيم من المسارقةِ والاختفاءِ، صَعُبَ إيرادُ البضائع أو تعذَّرَ إلى المراسي المشهورةِ، وبقي مثلُ الخُوْخَةِ وإن كان من المراسي التي تحتَ يدِي الدولة مما يتمكّنُ فيه الجلبُ لقربِهِ من عصب[2] وجيبوتي[3] ونحوهما، فكثُر فيه تعاطي التجارةِ.

ولمّا وقع ضبطُه من طرفِ الجندِ الأماميِّ استمرَّ كذلك وتوفّر فيه الجلبُ،

---

(١) الخُوْخَة: ميناء صغير على البحر الأحمر، شمال المخا وغرب حَيْسٍ بمسافة ٢٨كم، ويتبع إدارياً ناحية زبيد، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣١٢، حياة الأمير، ٦١٩، اليمن الخضراء، ١/ ٨٧، المفيد، ٧١، قرة العيون، ٢٣٤.

(٢) عصب: مقابلة لعدن على الطرف الآخر عن البحر الأحمر، قرب باب المندب، انظر خريطة رقم ١٠٤ ورقم ٢٠٦، اطلس التاريخ الاسلامي.

(٣) جيبوتي: مقابلة لعدن من الطرف الآخر لخليج عدن من بحر العرب، انظر خريطة رقم ١٧٦ من أطلس التاريخ الاسلامي.

وكـان في ذلك من تقويـةِ زَبيـد ومنفعة بيتِ المال، ومـا لا يخفى، وكلُّ ذلك من بركاتِ مولانا الإمامِ - أيده الله-.

وفي هذه الأثناءِ بلغَ إلى مسـامعِ مولانا الإمام - أيده الله- حصـولُ المنافسةِ بينَ بعضِ المشـايـخ من بَعْـدَان وتـزاحُمُهـم إلى أَن أدّى الحالُ إلى وقـوعِ الحربِ بينهم، واضطرابِ الحال هنـالك، فأمر مولانا الإمـامُ بتجهيزِ عصابةٍ نـافعةٍ من الجُندِ المدرَّبِ ومعهم مـدفعان، وأرسلهم إلى سيدي العلامـة يحيى بن محمدِ بن عباس[1] بن الإمـامِ إلى النَّادرةِ، وأمـره بالعـزمِ إلى بَعْدانَ لتسكينِ الاضطـرابِ ومعاقبة المعتدين.

ولما وصل إليـه الجندُ الإماميُّ تجهـزَ للمسير إلى بَعْدَانَ، وانتقلَ إلى هنـالك، فضبطَ الأمورَ وعاقبَ المعتدين ولبثَ هنالك أياماً. وفي أثناء بقائِه ظهرَ الخلافُ من أهل حُبَيْش، فاستقَّـر مكانَه منعـاً للخلافِ من السَّريان. وأمـدَّ الجنودَ التي توجَّهت إليهم بثُلةٍ من الجند، ومدفع، والحربُ مستمرٌ بين الفريقين والمخالفون يتلقَّوْن من ذوي التردُّدِ المعـاونة الخفيَّـة والتثبيتَ والوعـدَ بالمَدَدِ حتى أصرُّوا على العنادِ ودوام الفسـاد، ومولانـا الإمامُ يجـمــعُ الجندَ ويحرِّرُ النظـرَ فيمن يـولّيهِ

---

(١) يحيى بن محمد بن عبـاس بن عبدالرحمن بن عبدالـرحمن، أمير الجيش، ت قتلاً صبيحة يـوم الثورة ٢٨ ربيع الآخـر سنـة ١٣٨٢هـ/ ٢٦ أيلـول ١٩٦، قتلـه الضابط غـالب الشرعي، كان عالماً، له مشاركة قوية في كثير مـن العلوم، مع معرفة جيدة بالسنة، تولى في عهد الإمام يحيى القضـاء في صنعاء ثم تولى أعمال قَعْطَبة، فـاستعاد الضالع وجبل حريـر والشُّعَيْب، واتصل أهل المناطق بالسلطـات البريطانية في عـدن حيث هاجمت الطائرات تعـز وإب ويَريم وذَمـار وقَعْطَبَة، وتـولى أعمال إب ثم رَيْمة، نـاصر الامام أحمد. ثم تـولى الاستئناف، ولـد في شُهـارة في صفر ١٣٠١هـ، انظـر، تحفة الاخـوان، ١٣١، نزهة النظر، ٦٤٣، هجر العلم، ١١٠٢.

إمرةِ[١] ذلك الجيش، فوقعَ الاختيـارُ على سيّدي العلامةِ الأنبلِ المجـاهدِ، جمال الدين، عليِّ بن عبدالله(١) بنِ الإمامِ محمـد بن عبدالله الـوزير، وكانت إليـه جهةُ بـلادِ البُسْتَانِ وهـو الـذي تولى/ إصـلاح بـلادِ بَهم، وفكَّ عنهم مـا عانـوه من الحروبِ فيما بينهم، فصدَر الأمْرُ الشريفُ إليه بعزمِهِ لتأديبِ المخالفين من أهلِ حُبَيْش، وإصلاح جهاتِ اليمنِ الأسفلِ، فتوجّه [٢على بركةِ الله٢] بجندٍ ضخمٍ من صنعاءَ نحوَ الألفين، ومعه ما يحتاجُ إليه من المدافعِ والزانةِ ومهماتِ الحرب، وصادفَ يومُ توجّهِه في أثناء شهرِ شعبانَ من هذه السنةِ. / ٤

وقد أمرَ مولانا الإمامُ بتوجُّهِ نحوِ ستِّ مئةٍ من المجاهدين على مَنْ لم يمتثلْ للشريعـةِ من خَـوْلانَ فكـان عـزمُ الجميع إلى خَـوْلان، وهنـالك صـارَ ضبطُ المتمردين، ورجعَ الموجّهـون لأجلهم إلى صنعاءَ، ومعهم من صـارَ ضبطُه. ومن هنالِـك توجّه سيـدي جمالُ الدين، عليُّ بـنُ عبدِالله الـوزير بجندِه نحـوَ اليمنِ الأسفلِ. ولما وصلَ إلى المخَـادرِ(٢) كـاتَـبَ المخـالفين بـالنصـائحِ واستمالَهم وحـذَّرَهم من الاستمـرارِ على ركـوبِ مَتنِ القبـائحِ، فلم تنجـعْ فيهم تلك

(١) علي بن عبدالله بـن محمد بن عبدالله الـوزير ت ٢٣ شعبـان ١٣٦٧ في حجة، إعـداماً. أمير الجيش وأمير لواء تعـز، ولي القضاء في نـاحية حُبَيْش ثم عامـلاً لناحيـة بني مطر (البستان)، كـانت له قيادتـه لقوات الامام لاخضاع العـديد من الثورات وخـاصة في منـاطق حُبَيْش ولـواء تعـز ومنـاطق اليمن الأسفل، صنف حمود بن محمـد الـدولـة الـذماري كتـاب زورق الحلـوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللـواء وأحمد بن محمـد بن عبدالله الـوزير كتـاب حياة الأمير علي بن عبـدالله الوزير، ولـد ١٣٠٢هـ، انظـر هجر العلم، ١٨٩-١٩٤.

(٢) المخَـادِر: بلدة شمالي إب بمسـافـة ٢٥كـم، يتوسـط بينهما حقل السَّحول، انظـر، طبق الحلـوى، ٢٣، معـالم الآثـار، ١٠٧، وثـائق يمنيـة، ١٩٤، اليمن الكبرى، ٤١ هجـر العلم، ١٩٦٩.

[٢ - ٢] سقطت من س.

الأدويةُ، وحكمـوا على نفوسِهم بـأنْ لا دواءَ لهم غيرُ حدِّ السيف، فتقـدمَ الجندُ الإماميُّ بعدَ تأهُّبِـهِ على عزلةِ المُشَيْـرِق[1]، وقد تجمّع المخالفـون إليها وما حولَها من العزلِ، ورئيسهم الباغي محمد عايض العُقاب[2]، فدارت رحى الحربِ بينَ الفريقين، وكان يومـاً مهولاً، أظهرَ فيه المجاهدون من الشجـاعةِ والإقدامِ ما بَهَرَ العقـولَ، ولم يمضِ اليـومُ حتـى انهزمَ البـاغـون لا يلـوون على شيءٍ، وتقـدم المجاهدون في عزلِ بـلادِ حُبَيْش إلى أنْ وصلوا إلى ظَلْمَة[3]، وأحرقوا أكثرَ الدورِ وانتهبوهـا وتمّ للمجاهـدين اجتيـازُ ما مسافَتُـه نحو أربعِ سـاعاتٍ فلكيـة من البلاد المخـالفة. وقُتِل منهم كثيرون، وأُسِر منهم أيضاً جماعـةٌ، وأُخذتْ رؤوسُ بعضِ القتلى، وفـرَّ الباغي محمـد عايض العُقـاب، وعالجَ عـاقبةَ بغيِـهِ، وعَرَفَ هنالك أنَّ مَنْ حَمَلهُ على ركوب غاربِ العصيان وجرّأه عليه، إنما ساقَه إلى مواردِ الحتفِ والهوانِ، ولم يغنِ عنه شيئـاً. وناداه بعدَ ظهورِ الحقِّ وشوكتِـه، بأني بريء منك.

وفي اليوم الثـاني من تقدُّمِ الجيشِ، تحرَّكَ الشيخُ حمودُ بن عبدالرب بن قـايد ابن سنان[4] من مشايخِ بـلادِ العُدَيْن، والشيخُ محمدُ بنُ عبدالـوهاب بن محمد

---

(١) عُـزلـة المُشَيْرق: عُزلـة من نـاحيـة حُبَيش وأعمال إب، انظـر، معجم المقحفي، ٥٩٨، معجم الحجري: ٢/ ٧٠٩.

(٢) محمد عـايض العُقـاب الكلاعي ت ١٣٤٥ هــ، انظر: حيـاة عالم وأمير، ٢٤٠، ٣٤٢، حياة الأمير، ٨٩، ٩٧، ٩٨.

(٣) ظَلْمَـة: قريـة من ناحيـة حُبيش وأعمال إب، بها مركـز الناحيـة، انظر: صفـة جزيـرة، ١٢٥، معجم المقحفي، ٤١٤، معجم الحجري، ٢/ ٥٦٨.

(٤) حمود بن عبدالـرب بن قائد بن سنـان ت في ٣ ذي الحجة سنـة ١٣٤٦ هـ، شيخ عُـزْلة حـرد وبنـي عـواض ومـدينـة العُـدَين، كـان مغـواراً، اتهم بمـؤامـرة قتل علي بن عبدالله الوزير، فسجن حتى مات، انظر، حياة الأمير، ٥٤٩.

بن قاسم من مشايخ إب بجماعتِهما على بيوتِ بني العُقاب في جبل العُقابِ(1)، وضايقوهم في مساكِنهم واستولوا على بيتِ محمد[1] عايض ففرَّ لا يلوي على شيءٍ، واختفى فلم يُعْرَفْ له مقرٌّ حتى قيلَ إنّه ظهرَ بعَدن وفي تُهامةَ واستمرَّ ينتقلُ إلى أنْ وردَ الخبرُ بوفاتِه غريباً طريداً، لم يُؤْوِه مكانٌ ولا حماهُ إنسانٌ، وذلك من عاقبةِ العدوانِ، وبعدَ تلك المعركةِ انتقلَ الأميرُ جمالُ الدين إلى ظَلْمَةَ وبثَّ الأمانَ ونادى / مناديه بالكفِّ عن الرعيةِ، وأقبلَ الناسُ أفواجاً إلى الطاعةِ والرجوعِ إلى سلك الجماعةِ، وندموا على ما قدّموا. وغنمَ المجاهدون منهم غنائمَ واسعةً. وكانت وقعةً عظمى أذهبت أحلامَ المترددين، وشفتْ قلبَ الدين، وقرَّتْ بها عيونُ المؤمنين، وأيقظتْ ذوي الغفلةِ من رقدةِ تقاعدِهم عن الموالاةِ الصادقةِ واهتزّها اليمنُ الأسفلُ من جميع جهاتِه، وشرعَ الأميرُ في أخذِ الرهائنِ من جميع البلادِ الحُبَيْشيةِ على اتساعِها إلى حدودِ وُصَاب، وضبطَ ما لمْ تصلْ إليه أيدي الدولةِ العثمانيةِ من ضبطِ بَدْوِها الساكنين في أطرافِها، وأخربَ الحصونَ التي تظاهَر أهلُها بالعدوانِ، كحصنِ عيالِ إبراهيم(2)، ولم يزلْ هذا الحصنُ بأيدي عيالِ إبراهيمَ من مدةٍ مديدة، وهم موصوفون بالخُبْثِ والدهاءِ والإقدام على الانتهابِ والعدوانِ وقتلِ النفوسِ بدونِ حقٍّ، فضبطهم ضبطاً محكماً، وأخربَ حصنَهم، وفعلَ في أمثالِهم مثلَ ذلك، حتى أتمَّ إصلاحَ البلادِ على غايةِ ما يُرام، ووفدَ إلى الإميرِ جمالِ الدين[2] -وهو مقيمٌ- كثيرٌ من مشايخِ

(1) جبل العُقَاب: جبل وعُزلة من ناحية حُبَيْش وأعمال إب، انظر، معجم المقحفي، ٤٥٢، حياة الأمير، ٦٣١، ٩٧، ٩٨، معجم الحجري، ٢/ ٦٠٧، ١/ ٥٠.

(2) عيال إبراهيم: عيال إبراهيم في اليمن كثير منهم في يسنم من بلاد صَعْدة من ولد عز الدين الحسن، وآل إبراهيم في ناحية الجوف من قبائل بني نَوْف، وغيرهم كثير، انظر، معجم المقحفي، ٨ نقلاً عن معجم الحجري ١/ ٥٣ .

[1] في ص، الباغي محمد. [2] في س، الجمالي.

اللـواءِ التعزي، وأظهـروا الانقيادَ والنـدمَ على مـا كان يبـدرُ منهم من الميلِ إلى العنـادِ، كلُّ هذا والمولى سيفُ الإسـلامِ أحمدُ بنْ قاسم بنُ الإمـامِ مقيمٌ بإب. ولم تخلُ إقامتُـه هنالك من فوائدَ عظيمـةٍ كالتسكين، وإقامةِ الشريعـةِ، وانفردَ أهلُ قضاءِ إب ومدينتِه أثناءَ هذا الإضطرابِ بالثباتِ على الموالاةِ وإعانةِ المجاهدين السابقين والتالين بـالكفاياتِ من الطعامِ وغيره. والثنـاءُ في ذلك على همةِ عامل إب الشيخ إسماعيلَ بنِ محمد باسـلامه، فإنه من بعدِ توجيهِ عمالـةِ إب وبلادِها إليـه ثبت على الموالاةِ والنصح والاخـلاصِ وبـاينَ منْ كـانَ يودُّ عـدمَ انتظـامِ الدولةِ الإمـاميةِ. ولقد اثنى على همَّتِهِ أميرُ الجيشِ ثناءً عظيماً بما أبـداه من الإعانةِ والاهتمامِ بأمـرِ المجـاهدين، وصـادفَ يـومَ قـدومِ الجيشِ على حُبَيْش، ولم يكن الأميرُ قدَ تهيّأ لـذلك، لدوامِ مـراسلتِه للمخـالفين، وبذلِ النصـائحِ لهم، فبدرَ منهم العـدوانُ والإقدامُ على المجـاهـدين الذيـن قدْ كـانـوا على مقربـةٍ منهم، واشتعلت نارُ الحربِ، وتلاحقَ الجندُ، بعضُه يتلو البعضَ الآخرَ. ولم تكن لديهم الكفايةُ اللازمةُ من الطعام، وقـد كان اعتنى عاملُ إب، وأمرَ جميعَ أهلِ القضاء بصنعةِ الزادِ للمجاهدين. فـارسلَ ذلك، وهـم جمٌّ وافرٌ إلى المجاهدين، وهم في أعظمِ حاجةٍ إليـه لتعذُّرِ وجودِه لديهم بفرارِ أهلِ البلادِ بعدَ الـوقعةِ، فاستغنى المجاهـدون بما وصل إليهم من ذلك، فانتظم/ أمـرُهم، وكان ذلك من العنـايةِ الإلهيةِ بالجندِ الإمامي، وبركـةً من بركاتِ مولانا الإمام[1] التي ما زالت عن طورِ التجلي لـلأعين في كلِّ واقعـةٍ ومعركـةٍ، فكم سردَ الـواضعـون أفرادَهـا وأطـال المشاهدون تعدادَها حتى إنك لا ترى جندياً أو أميراً إلا وهو يقولُ: لولا سعادةُ مولانـا الإمام وبركاتُـه لما تمَّ شيءٌ من الظفرِ، ولا حصلَ من النصرِ ما يُـذكرُ[1]، ولكنَّ العنايةَ لا تـزالُ تصاحبُهم والرعبُ يقدمهـم، فيصلون إلى المطلوب، وإن

/ ٤٢

....

[١-١] سقطت من س.

قلُّـوا، ويهزمون الأعـداءَ و إن جَلُّوا،ومن تتبّـعَ سيرَ الوقـائعِ يجدِ النتيجةَ اليقينيـة بارزةً أمـامَ فكره في أجلِّ مظاهرِهـا وأتمِّ مفاخرِها، وهي أنَـه لم يُهزَمْ له[1] -عليه السـلام- جندٌ إذا تمسكـوا بالطـاعةِ، لم يظهـر منهم العدوان، فإن جـرى منهم شيءٌ من ذلك شاهـدوا العقوبةَ الإلهيـةَ، وعرفوا أن ذلك من أثـرِ أعمالهم، وهذه عادةٌ في جنـدِ الحقِّ إذا سلكَ غيرَ سواءِ السبيل أو انحرف عن المقصـدِ الكافِلِ بمرضاةِ الربِّ الجليلِ، [2و إذا استقامَ على الطريقةَ وتمسّكَ بـالتوقّفِ على مثلاها شايعتْهُ الأقدارُ على بلوغِ مشتهى الأوطـارِ ولو تكاثفت الأخطارُ 2]. وفي خلالِ هـذه الأثناءِ عـادَ سيّـدي العماد يحيى بن محمـد بنِ عباس إلى محلِّ ولايتِـه وهي النّـادرةُ وتوابعُهـا من مخلافِ الشَّعِـر(1) وعَمّار(2)، وقـد كان مـدَّ يـدَه إلى مخلاف العَوْدِ(3) جميعِه، وضمَّهُ إلى ولايتِهِ بإذنِ الإمامِ -أيده اللهُ-.

وبقيت قَعْطَبَةُ(4) وما إليها خـاليةً عن العاملِ، وكان القـاضي أحمدُ بنُ محمد

---

(1) الشَّعِر: مخلاف في نـاحية النَّـادِرة، ثم تبع إب، والثياب الشَّعِـرية منسـوبة إليـه، انظر، معـالم الآثـار، ٤٢، معجم الحجـري، ٢/ ٤٥٤، ٧٢٧، معجم المقحفي، ٣٥٧ (من عُزله، الزَّعلا، مقنع، الوسط، العَبَس).

(2) عَمَّار: مخلاف في ناحيـة النَّادِرة شمال سرق إب، من عُزلـه، أزال، البكرة، عجيب، شخب وغيرهـا، نُسب إلى عَمَّار بن كنـانـة بـن قيس، انظـر، معجم الحجـري، ٢/ ٧٢٧، معجم المقحفي، ٤٦٢ .

(3) العَـوْد: مخلاف في نـاحية النَّـادِرة، شمال شرق إب، انظـر، الاكليل، ٢/ ١٤٧، ٣٦٧، صفة جزيرة، ٢٠٠، معالم الآثار، ١١٠، معجم الحجري، ٢/ ٤٥٤، ٧٢٧ .

(4) قَعْطَبَـة: مدينـة ونـاحية من نـواحي قضـاة النَّادِرة بـالشرق الجنـوبي من إب بمسافـة ٦٢كم، عُمرت على أنقاض مدينة جَيْشان، تعد نـاحية من لواء إب سابقاً، انظر، طبق الحلوى، ٨٤، أئمة اليمن، ٢/ ٣٧٨، مذكـرات المؤيد بالله، ٢٠٠، حياة الأمير، ٦٢٨، معجم المقحفي، ٥٢٠، معجم الحجري، ٢/ ٦٥٦ .

---

[1] في س، للإمام.　　　[2-2] سقطت من س.

الأنسي [1] مقيماً بالنَّـادرةِ لَدُنْ سيدي العماد، فصـدرَ الأمرُ الشريفُ من الحضرةِ الشريفةِ إلى سيدي العمادِ بتـوجيهِ عمالةِ قَعْطَبَةَ إلى القـاضي أحمد الأنسي المذكور وأن يكون عزمُـه بثُلةٍ من جُندِ الحق إلى هنالك، ومرجعُه سيـدي العلامة العماد، فتوجَّـهَ، على بركـةِ اللهِ،إليها بمنْ معه من المجـاهدين، ودخلَهـا من غيرِ قتالٍ، وضبطَ أكثرَ أطرافِها ووجَّه عنايتَه إلى ناحيةِ مِرَيس [2] التابعةِ لها، فجلبَ مشايخَ القسم الأكبرِ منهـا، وأخذ منهـم رهائنَ الطـاعـةِ، وانقادوا على أحسنِ منـوالٍ، وكـذلك كان ضبـطُ ما حـولَ المدينـةِ من القبائلِ، وفيهـم عصابـاتٌ من ذوي الجسـارةِ والإقـدامِ. فلم يسعْهُم غيرُ الخضـوعِ للحقِّ، واستمسكت الأحـوالُ هنالك، وتـرتَّبتْ جهاتُها، وأخذ منها العـاملُ الواجباتِ، ولم يبقَ هنالك معـاندٌ إلا مَنْ فرَّ ولم يُـؤوِهِ دارُه، فكفتْهُ الغربةُ والانتـزاحُ من عن محله عقوبـةً على سوء فعله، وعاقبةً وخيمة لجهله.

وقد كان جرى من الحوادثِ في لواءِ تعـز قبلَ وصولِ الجند الإماميّ، العازم صحبتَـه سيـدي الأمير جمالِ الـدين، عليّ بن عبـدالله الـوزيـر - حفظـه الله -

---

(١) أحمد بن علي بن محمـد بن علي بن عبـد الـرحمن بن يحيى الآنسي ت بصنعـاء سنـة ١٣٨٣هـ، أديب، كـان يتقن اللغة العثمانية، تـولى أعمالاً كثيرة في العهد العثماني، زار استـانبول زمن السلطـان عبـد الحميد، وعـاد بـرفقة الـوالي حسين حلمي بـاشا سنـة ١٣١٥هـ تولى قَعْطَبَة ومـالية تعز ونظارة الصحة والمعارف في عهـد الإمام يحيى، وكان عاملاً للحُجَـرِيَّة سنة ١٣٤١هـ وتولى عمالـة يَرِيْم، أرسله الإمام بـرسالة إلى مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٣٤٥هـ، انظر، نزهة النظر، ١١٤، هجر العلم، ٣٧٧ .

(٢) مِـرَيس: من أعمال قَعْطَبَة، مخلاف يشمل عُـزل، العمـرية والمجـانح وعساف، انظـر، معجم الحجـري، ٢/ ٦٥٦، الاكليل، ٢/ ١٨٩ وفيـه «مُـرَيس، من عـزلـة الحرث في بعْدَان».

غرائبُ من العدوانِ، منها، مـا حصل بين الشيخِ محمدِ بن حَسَّان[1] المنتمي إلى طـريقـةِ الصـوفيـةِ، هـو وأبـوه مـن قبلِـهِ، وبينَ الشيخ علي عثمان[2] / عـاملِ المخـا[3] من الحروب التي عظُـمَ شررُهـا، وطـارَ ضررُهـا، وأهلكت كثيراً من النفوسِ، وأنزلـتْ بهم البؤسَ، وسببُها أَنَّ الشيخَ علي عثمان المذكورَ كـان عاملاً على قضاءِ المخَا من جهة الدولةِ العثمانيةِ فصادفَ وقوعُ الحوادثِ الأخيرةِ، وهو مقيمٌ بـالمَخـا على عمالتِـه، ولـديــه جملـةٌ من المدافعِ الكبـارِ وكثيرٌ من المهماتِ الحربيةِ: [1 زانةُ المدافع 1]، وزانةُ البنـادق، فاستولى عليهـا، وأخذَهـا تحتَ يده، ومكث يأمرُ وينهى كما كـان في أيامِ الدولـةِ، وألَّفَ حولَـه جماعةً من أهلِ صَبر وغيرِهِم، استخدمهم في الضبطِ وانقاذِه الأوامر.

وكـان الشيخُ محمد بن حَسَّـان في أواخـر أيامِ الأتـراكِ، قد عظمَ نفـوذُه في قضاءِ المخَا عمومـاً، وفي ناحيةِ مَقْبَنَة[4] وشَرْعَب[5] وأطرافِ بلادِ العُدَيْن وجبل

43 /

---

(١) محمد بن حَسَّـان الصوفي: آل حَسّـان في يَفرُس، كان ملتـزماً طـريق الصوفيـة، معتقداً عنـد العامـة بأنـه من الأولياء، حبسـه الإمام يحيى في حَجّـةَ حتى مـات، انظر، حيـاة الأمير، ١٢٧، معجم المقحفي، ١٧١ .

(٢) علي عثمان: كان عـاملاً لقضاء المخَـادِر، اداري متميز، فرَّ إلى الإدريسي بسبب خـلافه مع آل حسان، وحـارب الإمام يحيى ثم عفـا عنه الإمام، وعينـه الإمام رئيساً لمحـاسبة صَعْفَان انظر، حياة الأمير، ٥٧٤ .

(٣) المَخَا: مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر، غـربي مدينة تعز بمسافة ٩٤كم، وهي قديمة، ذكرتها النقوش باسم مـوزا، وهي مركز القضاء، انظر، الاكليل، ٢/ ٢٦، اليمن عبر التـاريخ، ٢٣، فـرجـة الهمـوم، ٣٥، حيـاة الأمير، ٦٣٠، معجم المقحفي، ٥٧٠، معجم الحجري، ٢/ ٦٥٤-٦٩٥ .

(٤) مَقْبَنـة: ناحيـة كبيرة غرب شمال تعـز بمسافـة ٦١كـم، تمتد من وادي نخلـة شمالاً إلى وادي مَوْزع في الجنـوب، ومركـزها الـدون، من قضاء المَخَـا، تتبعها عُـزل كثيرة منها=

[١-١] سقطت من س .

حَبَشي[١][١] وهو مسكنُ أبيه، وفي جبل صَبِر[٢]، وصارت كلمتُه المقبولةَ وإرادتُه النافذةَ، وزاحم المشائخ في تلك الأطرافِ، وهدم تسلُّطَهم، وقد كان أمراءُ الدولةِ العثمانيةِ في لواءِ تعز [٢يتهيبون٢] موقفه وقوةَ نفوذِه، فكانوا يُسعِفونه بما ينهيه إليهم، ويعظِّمونه حتى تولى متصرفيةَ لواء تعز، إلياس بك الجركسي في أثناءِ الحربِ العامّةِ، واضطرت الدولةُ العثمانيةُ إلى التقصي في استحصالِ الأموالِ من البلادِ، فكان الشيخ محمد بن حسَّان كالمعارضِ لمقاصدِ الأتراكِ لا المساعدِ، وتزايدَ ذلك إلى أنْ توجَّهَ إلياس المذكورُ بجمعٍ من الجنودِ إلى محلِّ الشيخِ محمد حَسَّان، وهو الميراب[٣] من ناحيةِ مَقْبَنَة، وكانت حربٌ بين الفريقين أسفرتْ عن استيلاء الجندِ التركي على بيوتِه، وانتهابِهم لأموالِه

= ميراب ووريف والعُقَّيْرة وحاضر وبراشة ومجاشعة، كانت تعرف قديماً باسم شَمِير سكنها قوم من قبيلتي الأشاعر والركب انظر، معجم الحجري، ٢/ ٧١٦، حياة الأمير، ٦٣١، معجم المقحفي، ٢/ ٦٢٢، صفة جزيرة، ١٣٩، الاكليل، ٢/ ٣٥١ .

(٥) شَرْعَب: ناحية معروفة بالشمال الغربي من تعز بمسافة ٤٠كم، وتشمل عدداً من العُزل، وأشهر جبالها الوضيحة، يرتفع ٢٠٠٠م، انظر الاكليل، ٢/ ٣٨٢، نشر العرف، ٢/ ٦٥٢، اليمن الكبرى، ١٧٣، حياة الأمير، ٦٢٣ .

(١) جبل حَبَشي: سُمي قديماً ذَخِر، يقع غرب جبل صبر، وبينه وبين صبر وادي الضباب، ومركز الجبل مدينة يَفرس، وهو واسع ومتشعب، من قضاء الحُجرية. انظر، صفة جزيرة، ١١٧، الاكليل، ٨/ ١٩٤، معجم المقحفي، ٢٤٩، معجم الحجري، / ٣٤٠ ١، حياة الأمير، ٦١٤ .

(٢) جبل صَبِر: جنوب مدينة تعز، على امتداد كبير من الشرق إلى الغرب، يرتفع ٣٠٠٠م، وأعلاه قمة العروس، يحده غرباً جبل حَبَشي وجنوباً جبل سامع وشمالاً السهول التعزية وشرقاً الصلو، انظر، حياة الأمير، ٦١٥، صفحات مجهولة، ٥١، اليمن الكبرى، ٣٣، صفة جزيرة، ١١٧، ٢٢٥، الاكليل، ٢/ ١٠٤ .

(٣) الميراب: عُزلة من ناحية مَقْبَنَة، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٧١٦، معجم المقحفي، ٢/ ٦٢٢ .

[١] في ص، حبش. [٢-٢] في ص، يتهيأون موقعة.

ومصادرتهم لأموالِ أصحـابِه، وفرّ المذكورُ عن البلادِ اليمنيـةِ، ولم يعدْ إليها إلا بعدَ جـلاءِ العثمانيين، وأظهرَ نوعاً من الانتماءِ إلى الـدولةِ الإماميةِ مماثلاً لانتماءِ غيرِه من رؤساءِ أهلِ تعـز، فتحركتْ نفسُه للاستيـلاءِ على المدافعِ التي لَدُن علي عثمان، وأظهرَ أنَّ مرامَهُ من ذلك أخذُهـا للإمام، وعلي عثمان قد كانَ تمسك من مولانا الإمامِ بمرسومٍ شريفٍ قاضٍ بتوليه الأعمالَ، فأبى من الخنوعِ لإرادةِ محمد حسَّان، وظهر الحربُ بين الفريقين واستمر مدةً، وهلكَ من النفوسِ جمٌّ غفيرٌ.

وفي نهايـةِ الحالِ، أرسل المولى سيـفُ الإسـلام، أحمدُ بنُ قـاسـم بن الإمـام جماعـةً من طـرفِهِ لإصـلاحِ الحالِ وإزالـةِ الشقاقِ، وصـادفَ ذلك، وقـد تعبَ الفريقـان من الحربِ وسئموا طولَها، فتمَّ على يدِ الجماعـةِ المرسلين رفعُ المطارحِ، وإسكاتُ القـارحِ، ورجعَ كلُّ أحـدٍ إلى محلِّه، وعـادَ/ الجماعةُ إلى إب. إلى المولى سيفِ الإسلام، أحمدَ بنِ قاسم بن الإمام. / ٤٤

ومنها أنـه في أثناءِ ظهـورِ الخلافِ من أهلِ حُبَيْش كَثُرَ من مشـايخِ جهاتِ اليمنِ الأسفلِ التلاقي إلى محلاتٍ مخصوصةٍ، ومـن أكبرِ اتفاقاتهم ما حصل من اجتماعِهم في القَـاعدةِ وتداوُلِـهم للمـراجعةِ والإفـاداتِ[١] للخطةِ التـي يبنون عليها شئـونَهُمْ، وكانوا ينفصلون على غير رابطٍ كما بلغ، ولم ينتظمْ لهم أمـرٌ ينافي المصالحَ الإمـاميَّةَ، بل لم يجسُر أحـدُهم على إظهار رأيِه فيما يخالفُ الطـاعةَ، إلاّ أنه ظهرَ من حالِهم أنَّ كلّ واحدٍ منهم يريدُ التصدُّرَ على غيرِه، وتوليهِ[٢] للزعامةِ على الكلِّ، فكان ذلـك من أقوى الأسبابِ في تنـافرِ طبـاعِهم فوقَ مـا هم عليه قـديماً من المنـافسـةِ، وكفى اللهُ المؤمنين بـذلك شرَّ تعـاضـدِهم على أمـرٍ يضرُّ الإسلامَ والمسلمين.

....

[١] في س، والإفادة. [٢] في س، وتوليته.

ومنهـا أنَّ مولانـا الإمـامَ، لما أسندَ عمالـةَ قضـاءِ القَماعِرةِ إلى الشيخ محمـد ناصر، وأظهر لذلك الارتياحَ، ندبَ مولانا الإمامُ سيدي العلامةَ شرفَ الإسلامِ، حسنَ بنَ عبدالـوهاب الوريثَ(١) من أعيانِ علماءِ السادةِ القـاسميين لحكومةِ قضاءِ القَماعِـرةِ، وعيَّنه الإمامُ لـذلك رغبةً في استمالةِ الشيخِ المذكـورِ إلى جانبِ الحقّ وعنايةً بشأنِه لأنه كان أكبرَ مشايخِ اللواءِ قوةً، وأوسعَهم بلاداً.

وقد كان العثمانيون بسعي[١] الشيخِ المذكورِ وسّعوا قضاءَ القَماعِرة، وضَّموا إليه مخاليـفَ من الحُجَريةِ ومـن صُهْبَانَ(٢) ومن بـلادِ قَعْطَبَةَ، نـاحيةَ الحُشَـا(٣)، وخصَّ الإمـامُ سيدي [٢ شرف الإسلام٢] بـذلك؛ لما عُرف بـه من حُسنِ الخُلُقِ والتـواضعِ ونبالـةِ المقصـدِ وعلوِّ المدارك. فـارسلَ مولانـا الإمـامُ إليه إلى ذَمـارَ عصابـةً من جندِ الحقِّ يكـونون بمعّيتـه، وتوجّـهَ لذلك من مـدينةِ ذَمـار وطنِه، فـوصلَ إلى القَماعِرةِ، وقـابله الشيخُ محمـد نـاصر بالجميل، ولكنّـه لم يتمكنْ في

---

(١) حسن بن عبـد الـوهاب بـن علي بن يحيى بن أحمد من ذريـة الإمام القـاسم المعـروف بالوريث الذماري ت، ٢٢ ذي القعدة ١٣٥٣هـ، حاكم القماعرة وجهات ماوية من اليمن الأسفل١٣٣٨، وكان عضـواً بمحكمة الاستئناف الشرعية بصنعـاء ثم التدقيق في الجهات الرداعية ثم حاكماً في إبّ، ولد سنـة ١٢٨٥، انظر، نزهة النظر، ٢٣٠، حياة الأمير، ٥٤٣ .

(٢) صُهْبَان: مخلاف في ناحيـة ذي سُفَال قرب ذي جِبْلَة، قبل القرن الثـامن الهجري، يدعى مخلاف وإنما لحقه الاسم بعـدما تولاه الأمير الصهباني من قبل الـدولة الرسوليـة وتعرف المنطقة بـاسم نَعِيْمة المِسواد نسبـة إلى حصن المِسواد الموجود فيهـا، انظر صفة جـزيرة، ١٩٧، الاكليل، ٢/ ٢٤٤، معجم المقحفي، ٦٤٤، معجم الحجري، ٢/ ٥٤٨ .

(٣) الحُشَا: جبل بـالشرق الشمالي من تعز، يُشَكِّل أعمال نـاحية من قضاء مَـاوية، ومـركزه صرارة في قمة الجبل، انظر، صفة جـزيرة، ١٤١، حياة الأمير، ٦١٧، معجم المقحفي، ١٧٣ معجم الحجري، ٢/ ٢٥٩ .

---

[١] في س، بسعاية. [٢-٢] في س، الشرفي.

خلالِ ذلك من القبضِ على زمـامِ الأمورِ واجرائِهـا على المحورِ الموافقِ لمرادِ اللهِ عزَّ وجلَّ، لما في اليمنِ الأسفلِ جميعِه من الاضطـراب وعدمِ الاستقرار واختلافِ الأطوارِ، فمكَثَ هنالك شهراً وأياماً، ثم بـدا له لزومَ العَوْدِ من هنالك إلى ذَمار، فعادَ إليهـا، واعتذرَ لمولانـا الإمامِ عن عـودِه بما شاهـدَه من عدمِ إمكـانِ نفوذِ الأوامرِ والنـواهي كما يريدُ، وأنّ بقاءَه على تلك الحالـةِ غيرُ جميلٍ ولا موافقٍ لمرادِ مـولانا الإمـام فَقَبِلَ عـذرَه، ومع ذلك لم تزلْ كُتـبُ الشيخ محمدٍ نـاصر من قبلُ ومن بعدُ تـردُ إلى مولانا الإمامِ متـواليةً بإظهارِ الطاعـةِ والانقيادِ وحسنِ الموالاةِ والانتسابِ إلى الحضرةِ الإمـاميةِ، وكان قـد شاخ وكبُرَ وثقُلَ سمعُه، ولكنـه كان كغيرِه من المشايخِ واضعاً يدِه على المدافعِ والجبخـانة وكثيرٍ من الأسلحة، ولـم / ٤٥ / يحدِّثْ نفَسه بتسليمِهـا إلى مولانا الإمامِ، وكـان يؤدِّبُ من خالَفَـه من مشايخ البـلادِ تأديباً يشتملُ على إراقـةِ الدمـاءِ وعـدمِ المبالاةِ بإزهـاقِ الأرواحِ، وذلك شأنُ مشايخِ اليمنِ الأسفلِ ودَيْدَنُهم المألوفُ لديهم.

ومنهـا أنّه حصلَ الاختـلافُ بينَ المشـايخ أولادِ نعمان مقبل أهل الحُجَريـةِ والشيخِ علي عثمان عاملِ المَخـا، والسببُ في ذلك المدافعُ التي لَدُنْ علي عثمان، كـانَ مَرامُ أهلِ الحُجَـرية أن يسلِّمَ إليهـا[١] بعضـاً منها، ووصلَ الاختـلافُ بينَ الفريقين إلى درجةِ الحربِ، ثم حصلَ السعيُ بين الطرفين بالمصالحةِ على تسليمِ البعضِ، وانفصلَ النزاعُ بين الفريقين.

ومنها تحرّكَ نـورُ الدين بنُ حسَّـان بجبلِ حَبَشي من الحُجَريّـةِ مناوئاً لأولادِ نعمان مقبل، ومريداً للخروجِ عن سلطتِهم واستقلالِه بأمور الجبلِ المذكورِ على أقلِّ الأحـوالِ، وإنْ تمكّن من إذلالِهم فهـو المرادُ، فكـانَ بينَـه وبينَ المذكـورين

....

[١] في س، إليهم.

وقعاتٌ، أسفرتْ عن إخفاقِ مسعاه، وعدمِ حصولِ ما ابتغاه وعَضَّد خصومَه كثيرون من أهلِ الجبل، وكان يُظنُّ في أهلِ الجَبلِ خلافَ ذلك لأنَّ تربةَ أبيه الشيخ حَسَّان المعظم عندهم بينَ أظهرِهم، وهم قريبو عهدٍ برؤيته ورؤيةِ الوافدين إليه من جميعِ جهاتِ اليمنِ الأسفلِ، وهم يعترفون بما لـه من المكانـةِ عليهم لأنّـه هذّبهم، وأزال عنهم البداوةَ وأرشدهم إلى لبسِ العمائمِ البيضِ بدلاً من الأقباع.

وكان الشيخُ حَسَّانٌ المذكورُ من مشايخِ الصوفيةِ، وينتسبُ إلى الطريقةِ الشاذليةِ من طرائقهم المُبْتَدَعةِ، وما زالَ مقبولَ الكلمةِ، كثيرَ الأتباعِ، وشاعَ صيتُه، وانتمى إليه أكثرُ أهلِ لباسِ البياضِ في بلدانِ الشافعيةِ وانتسبوا إليه، وأقاموا الراتبَ الشاذلي على العادةِ المألوفةِ لديهم في ليالي الجمعِ، وبعدَ صلاتها في الجوامعِ، ولقَّبه اتباعُهُ بشيخِ الوقتِ والقطبِ على اصطلاحِهم، ولكنه لم يكنْ كأولادِه في الترامي إلى عظائمِ الأمورِ، ومنافسةِ أهلِ الدنيا، وإنما ذكرتُ هذا استطراداً ليعَلمَ الواقفُ على ذكرِ شيءٍ من أحوالِ أولادِه عن أصلِ منشئِهم ومدخلِ مزاحمتِهم للمشايخِ، ورؤساءِ البلادِ في الرئاسةِ، وهكذا حالةُ الدنيا في تلاعُبِها بأبنائِها وغرورِهم بها. فبينما كان المذكورون من أولادِه مشايخَ في زاويتهم إذا بهم بغرورِ الدنيا قد صاروا مشايخَ في ميادين القتالِ على الأطماعِ، وسفكِ الدماء بدونِ مراقبةٍ للرّبِ ذي الإبداع. نسألُ اللهَ السلامةَ من بروقِ الأطماعِ الخلاّبةِ، والنجاة من موقفِ الندامةِ والكآبةِ/ وانقضت أيامُ شهرِ رمضانَ والأميرُ جمالُ الدين عليُّ بنُ عبدِالله الوزير مقيمٌ بحُبَيْش، [1]...وهنالك صامَ رمضانَ وأدركَهُ عيدُ الفطر السعيد...[1]، وقد كان أَذِن لَه مولانا الإمامُ - أيّده اللهُ - بالانتقالِ إلى الجبلين من عُزل العُدَين، فارتحل[2] بجندهِ إليها، وقد عظُمَتْ هيبةُ مولانا الإمامِ في القلوبِ وارتجّ لموقعِ صرامةِ الأميرِ

/ ٤٦

....

[١-١] سقطت من س. [٢] في س، فأرسل.

وشهامتِه على كلِّ منصوبٍ، وسارتْ بأحاديثِ كمالهِ[١] ألسنُ الركبانُ، فوفدت المشايخُ والأعيانُ من قضاءِ العُدين وأطرافِه إلى محطتِه، وبذلَ كلَّ ما في وسعِهِ من الطاعةِ، والانقيادِ، [٢...والرغوبِ في الازديادِ...٢].

وبهذه الأثناءِ، وجَّه مولانا الإمامُ عمالةَ قضاءِ العُدين إلى الشيخِ الهمامِ حمودِ بنِ عبدالرب بنِ قايد بن سنان المذكورِ أولاً. وعمالةَ جبلِ حُبَيْش إلى الشيخ محمد بنِ عبدِالوهاب بن محمد بن قاسم. وقامَ كلٌّ منهما بعملِه. والأميرُ جمالُ الدين يبعثُ البعوثَ إلى أقطارِ البلادِ، ويقودُهم بنواصيهم إلى الطاعةِ في أسلسِ مقادٍ، ويأخذُ الرهائنَ المختارةَ من كلِّ رئيسٍ، ولا يسعُهم غيرُ المبادرةِ إلى الامتثالِ بدونِ تراخٍ ولا تعبيس. ووردَ إليه، وهو مقيمٌ بالجَبَلين(١)، وفودُ مشايخِ أطرافِ اليمنِ الأسفلِ فيقابلُهم أحسنَ المقابلةِ.

فمكثَ هنالك أسابيعَ ثم أذِنَ له الإمامُ بالانتقالِ إلى عُزلةِ السادة(٢) وهي محلٌّ متوسطٌ في قضاءِ العُدَيْن يتمكّن فيه من القربِ من أطرافِ العُدَيْن ومخاليفِه التهامية.

ولا يصعُبُ عليه الإلتفاتُ إلى رعايةِ أحوالِ مخاليف[٣]، ويقرِّبُ من البلادِ التعزية، فتمَّ انتقالُه بمحطّته إليها، وهنالك باشرَ إكمالَ ضبطِ ما بقي من العُدَيْن، وجاسَ خلالَها بالعسكرِ مع ضبطِهِ لهم أتمَّ الضَّبْطِ، وأخذَ الرهاينَ من

---

(١) الجَبَلين: من العُدَين، تقع فوق ممس بني الشهاري من الجهة الجنوبية ووادي الدور غرباً، وتبدأ من الشرق من رأس نَقيل مشهور، وهي عُزْلَة من ناحية شَلِف، انظر، حياة الأمير، ٦١٥، معجم الحجري، ١/ ١٧٨، معجم المقحفي، ١٠٩ .

(٢) السادة: عُزلة من ناحية العُدَين وأعمال إب، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٤، معجم المقحفي، ٢٩٧، معجم الحجري، ٢/ ٤٠٩ .

---

[١] في الأصل، كمال.
[٢-٢] سقطت من س.
[٣] في س، المخاليف أعلاه.

بلادِ القبلةِ التي سُكّانُها من البـدوِ وأهلِ المواشي، وهي تتصلُ بأطرافِ وُصَاب، وفيها اتساعٌ، وبأهلِها من النفرةِ عن الـدولِ ما لا مزيدَ عليه، حتى إنه لم يتيسْر للـدولةِ العثمانيـةِ نفـوذُ أوامـرهم بها على طـولِ مدةِ إقـامتِهم وعظمِ شـوكتِهم، وكذلك تيسّرَ بهمتِهِ ضبطُ مخالف البَعَادن[1] والمزاحن[2]، وما وراءَهما إلى حدودِ حَيْس وجبل راس، وكان في ذلك من السهـولةِ وحُسْنِ الضبطِ ما صـار موضعَ إعجابِ كلّ عاقلٍ، وذلك من سعـادةِ مولانا الإمامِ - أيده اللهُ - وبـركاتِه التي ما انفكت مَظهـراً من مظاهـرِ عنايـةِ اللهِ سبحانَه. ولم يحصلْ في أثنـاءِ ذلك من حوادثِ مبادىءِ الدخولِ في الطاعةِ إلا مـا لا يستحقُّ الذِّكْرَ والتدوينَ لحقارتِهِ بـالنسبةِ/ إلى عظـمِ ما تيسّر من الفتح، وإخضـاعِ أولي التكبُّرِ من رؤسـاءِ تلك / ٤٧ الأقطارِ وإقبالِهم إليه أفواجاً تسوقُهم إليـه أسواطُ المهابةِ بإيدي العنايةِ. ولم يبقَ شيخٌ من المشـايخِ إلاّ بادرَ إليـه وانقادَ لما يأمـرُه به وأدركَ قضـاءُ العُدَيْن عهـداً جديداً، فقد كـانت طُمِسَتْ منه المعالمُ والمعاهدُ، واعتاضَ بدلـه بأيام الحكومةِ العثمانيـةِ سمةَ التعـادي بين أهلِـه وتسلطَ القويّ على الضعيفِ، وانقـلابَ كلِّ شيخ في زيّ الدولـةِ يفعلُ بالـرعيةِ مـا يشاء، ويكلِّفُهم ضرائبَ تقـومُ به، وبمنْ يجمعُهم لـديـه من حشراتِ العسكـرِ، وكـلُّ واحـدٍ منهم يحاربُ الآخـرَ. وهـذا بعضُ ما كـان موجـوداً من التلاشي وعـدمِ الانتظام، فلما أقبلتْ دولـةُ الحقِّ عادَ الأمنُ إلى نصابِه، وأُغمِـدَ سيفُ العدوانِ في قاربه. وفـرَّج اللهُ عن الضعفاءِ تلك الشـدّةَ، وأمِّنُوا على أمـوالِهم ومـزارعِهـم ونفـوسِهم من الهدّةِ في أثـرِ الهدّةِ، واستقامتْ قناةُ الشريعةِ والانتصافِ للمظلومين، ورُفِعَتْ أيدي الاغتصابِ.

---

(١) مخلاف البَعَـادن: مخلاف من ناحيـة شَلِف من بلاد العُـدين، انظر، معجم الحجـري، ١/ ١٢٤، معجم المقحفي، ٨٠.

(٢) المزاحن: من قبائل العُدَيْن، انظر، معجم المقحفي، ٥٨٨، معجم الحجري، ٢/ ٧٠٦.

وفي أيام إقامـةِ الأميرِ جمالِ الدينِ بالسَّادةِ، مدَّ يدَه لضبطِ مـا حوالي تعزمن النـواحي: كَشَرْعَب وذي سُفَـال والجَنَـد، وكلّما أنـاط همتَـه بمطلـوبٍ، تعلَّقتْ أسبابُ النجاحِ به، وظهورُ تيسيرِه على غايةِ ما يُرامُ.

وأمـا سيدي فخـرُ الـدين، عبـدُاللهِ بنُ أحمدَ الـوزير، فإنّـه استقـرَّ بحَيْس، وأدركَه عيـدُ الفطرِ هنـالك، وأمَره مـولانا الإمامُ بعـدَ سكونِ الأهـوالِ في زَبيد، وجميعِ نـواحيه بقصـدِ المخَا بمنْ معـه من الجُندِ، فتـوجَّه إليهـا وواجَهَتْه البـلادُ بالطاعَةِ، والدخولِ في حزبِ الجماعـةِ، وظلِّ الرايةِ الإمامية، يقدّمهم الشيخُ علي عثمان وأخـوه الشيخ عبدالله عثمان، فإنهما بـادرا إلى إجابـةِ الحقِّ، ونهضا بما يُـرامُ منهما من الإقبالِ إلى ما فيـه المفازُ من ولايةِ الإمامِ وحسنِ الطـاعةِ، ولا يخفى ما عليه قضاءُ المخَـا، فهو من الأهميةِ بمكانٍ عظيمٍ جسيم، لأنَّ مـركزه، وهي بلدةُ المخا المشهـورةُ قديماً بأنها مرسى اليمن الكبيرِ، كانت على الشـاطىء ، ومراكبُ الإفرنجِ تمرُّ مـن أمامِها يـومياً لقصـدِ بلادِ الهنـدِ والصين، وكافـةِ ممالكِ الشرقِ الأقصى، وقد أخنى عليها الـزمانُ بهجرانِ قُصّادِها إلى قصـدِ عَدن، وغيرِها من المراسي، فكانـت بذلك مـوضعَ طموحِ الأطماعِ من الإفـرنجِ عليها. وبـالقربِ منها الانكليـزُ في بريم[1] والفرانسـةُ في عَصب وجيبوتي، فلا يبُعـد إذا ما خلتْ عن الحامي إنْ تتطـرق أيـدي العــدوانِ إليهـا. وفي المخَـا أيضـاً مضيقُ بـابِ المندبِ[2] وناهيـك بما لَهُ من الأهميـةِ في الأنظارِ، فكـانَ قدومُ سيـدي الفخري

---

(١) بِرِيم: جـزيرة على مـدخل باب المنـدب، كانت تستخـدم قبل ١٩٣٦م مركـزاً لتموين السفن بالفحم، من أهم الجزر اليمنية داخل مضيق باب المندب، على بعد ١١ ميلاً من الساحل الإفريقي، انظر، معجم المقحفي، ٧٨، اطلالة على البحر الأحمر، ٣٤-٣٦ .

(٢) مضيق باب المندب: عند المدخل الجنوبي للبحـر الأحمر، المعبر الوحيد للقادمين من شرق افريقيا وآسيا، يمتد من جنوب جزيرة مِيُّون (بـريم) عند رأس سيان على الساحل الشرقي ورأس باهانا على الساحل الغربي، انظر، معجم المقحفي؛ ٦٥٠، اطلالة على البحر الأحمر، ٢١-٢٢ .

بمن معـه إلى جهاتِـه مـانعاً،/ مـن وقوعِ الخطـرِ، وسـداً حائلاً دونَ استفحـالِ / ٤٨
الضررِ، فإنّـه رتَّبَ أمورَ تلك البـلادِ، ،نفى عن طرفِهـا مرضَ السُّهـادِ. وجلبَ إليها مشايخَها وأعيـانَها، وأخذَ منهم رهائنَ الطاعةِ وأرشدَهُـم إلى ما هو عندَ اللهِ أنفسُ بضاعةٍ. ومع ذلك لم يتمكنْ مِنَ استخـلاصِ ما بيدِ علي عثمان من آلاتِ الحرب والزانـةِ، وأعرضَ عن ذلك دَفْعاً للمفسـدةِ ورِعَايةً للمصلحـةِ، وبعدَ أنْ مكثَ هنالك برهةً من الزمانِ، قفلَ راجعاً إلى مـركزِ الأعمالِ المنوطةِ به. بمدينةِ ذَمار.

وأُنيطت أعمالُ المخَا إلى سيـدي الأميرِ جمالِ الدين، علي بن عبدالله الـوزير من جملةِ ما بنظرِه من الأعمالِ.

وفي شهر [.....][1] من هذه السنـةِ تحركَ الأميرُ جمالُ الدينِ بمن معـه من الجيوشِ من السَّادةِ، وقد ضـاقَ بها الفضاءُ عدداً وعدةً، قاصداً مـدينةَ تعز وما والاهـا من البلادِ التعـزيـةِ وجبلِ صَبر، فدخلهـا الأميرُ والجنـدُ الإماميُّ دخـولاً معظماً، وكـان الأملُ أن لا يظهـرَ في تلك الجهةِ نـاجمُ حـربٍ ولا جـولانُ طعنٍ وضربٍ، لأنَّ مظاهرَ أهلِها كانتْ مظاهـرَ ميل إلى الطاعةِ وإخلادٍ إلى السكونِ وتـركَ ما بـه الاراعة، إلا أنـه لم يحطَّ الجيشُ الإمـاميُّ ركابَـه في ربوعِ تعـز، حتى فـوجىء بالعـدوانِ من أهلِ جبل صَبر، فانهال عليهم سيلُ الجيـوشِ الإماميـةِ، وجاءهم ما لا قِبَلَ لهم به، فلم تمضِ إلاّ سـويعاتٌ حتى مالَ العادون إلى الفرارِ عن اضطـرارٍ، وتشتّتَ جمعُهم وولّـوا الأدبـارَ، ولم يعصِمْهُم جبلُهـم المنيعُ بل اقتحمَ العسكرُ الإماميُّ وراءَهم ذُرى الجبلِ، وتوغّلُـوا في شعابِه، واحتوى الجندُ على غنائمَ عظيمةٍ وأموالٍ جسيمـةٍ، وكثرْت منهم القتلى، واحْتُزَّتْ منهم رؤوسٌ، ونزلَ بساحتِهم جزاءً لبغيهم مـرارةُ البؤسِ. وأتى الأميرُ بالأسرى تترى بالأمانِ،

[١] بياض في النسختين.

ثم نودي بالأمانِ بعدَ أنْ أخلدَ أهلُ جبل صَبر إلى الطاعةِ، وندموا على ما فَعَلَوا، وعلمـوا أنهم جلبوا على أَنفسِهم هـذه الحروبَ الضروسَ، واستعجلوا يـومَ حتوفِهم بها لا قَوْةُ في ذلك اليـومِ العبوس. وإنّما غرّهم ما كانـوا عليه منذ سنين تنوفُ على الخمسين من التَعصُّبِ على الأمراءِ، والتظاهرِ بالقوةِ، وبغي بعضِهم على بعضٍ وموالاةِ الحروبِ فيما بينهم، فكأنهم أرادوا بها فعلـوه أنْ يُعرّفـوا الجندَ الإمامـيَّ وأميرَ الهمامَ منزلتَهم من القتـالِ والجدالِ، وأنهم لا يهابون أيـامَ النزالِ، فجاءهم من اللهِ ما لمْ يحتسِبُوا وذاقوا عاقبةَ مكرِهم وتلوُّنِهم وعُـوقبوا، وكان لهذه الـوقعـةِ في اليمنِ الأسفلِ / صـدىً أقـام نامـوسَ الهيبـةِ، وأسْكَنَ في النفـوسِ المتردِّدَةِ من الطاعـةِ معنى الخيبةِ، فأقبلَ الناسُ إلى الطـاعةِ أفواجاً، وامتـلأَ مقامُ الأميرِ المشار إليـه بالرؤسـاءِ والمشايخِ، وبذلـوا الرهائنَ المختـارةَ وانقادوا. وتمَّ لـلأميرِ في تلك الأثنـاءِ ضبطُ جبلِ صَبرِ بأجمعـهِ ومَقْبنـةَ ،شَرْعَـب والحُجَـريَّـة والقمَاعِـرةِ وبلادِهـا، وأرسلَ الأميرُ إلى كلِّ جهـةٍ عصـابةً من جنـدِ الحقِّ لحفظِ مراتِبها، وبثَّ العمالَ في الجهاتِ، ولم ينتطحْ بعـدَها في ذلك عنزان. وعمَّ الناسَ بفضل مـولانا الإمـام - عليه السـلام - اليُمنُ والأمانُ، وشرعَ الأميرُ في جمعِ مـا كان بأيـدي أهلِ صَبر من سلاحِ الحكـومةِ العثمانيةِ، ولم يبـالغْ في التحري على ذلك رعـايةً لصونِ الأحـوالِ عن مستورِ الاختـلالِ. وقد تمّ ذلـك المرامُ على ما يُرام بعـونِ الملكِ العلاّم. وأقـرَّ، بعدَ مؤاذنـةِ مولانا الإمـام، على عُمالةِ الحُجَـريةِ الشيخَ عبدَ الوهاب بنَ نعمانِ مقبل. وكان المذكـورُ عاملاً لها أواخرَ أيامِ الأتراك وعلى عمالة قضاء القمَاعِرةِ الشيخَ محمد ناصر باشا بعد آن أذْعنَ لتسليمِ ما لديه من المدافعِ والبنـادقِ وبعضِ الـزانـةِ، وبـالغَ في ضبطِ المعتـدين، وكفَّ أيـدي الآثمين حتى شـاعَ الأمانُ وذاع، وعرفَ كلُّ أحـدٍ أنه قـد انقضى زمنُ الشرورِ

٤٩ /

....

....

والأطماعِ، وجاء الصلاحُ وأسفرَ نورُ الفلاح، وتمَّ بمنِّ اللهِ تعالى دخولُ تلك الأقطارِ تحتَ ظلِّ الرايةِ الإماميةِ والخلافةِ المحمَّدية، وزوالُ ما كانوا قد أَلِفوه من التعادي والفوضى والسلبِ والنهبِ والقتلِ ودوامِ حملِهم للسلاحِ، حتى الرعاةُ منهم والحراثون في كلِّ أوقاتِهم ليلاً ونهاراً، وفي بيوتِهم ومساجدِهم كلُّ ذلك خوفاً من الاغتيالِ من بعضِهم على آخر، وقلَّ أن يمضيَ يومٌ ولا تُسْمَعُ فيه نائحةٌ أو خبرُ قتل، فسكنتِ الأحوالُ عن الاضطرابِ المعهودِ، وأَمِنَ الناسُ وقابلَهم الدهرُ بطالِعه المسعودِ، وأُقيمَ ناموسُ الشريعةِ المحمّديةِ، وانحصرَ فزعُ الكلِّ إلي تحكيمِها في المسائلِ الكلِّيةِ والجزئيةِ. ولم يبقَ للماضي السيء أثرٌ في النفوسِ بل تناسَوْه وَنَسوْه رغبةً ورهبةً وطابَ لهم القعودُ والقيامُ والجلوسُ.

وانصرفَ الناسُ إلى أَعمالِهم وإحياءِ أراضيهم التي صارتْ إلى حالةِ المواتِ، بما تطاولَ عليهم من صنوفِ العدوانِ والمصيباتِ. قلتُ: ومَنْ أمعنَ نظرَه السليمَ وفكرَه المستقيمَ عرَفَ وتيقَّنَ/ أنَّ دولةَ مولانا الإمامِ كانتْ إغاثةً من اللهِ تعالى لعبادِه ودينِه، تداركَ بها رمقَ الدينِ والدنيا معاً، وصانَ بها هذا القطرَ من التلاشي، وما يهولُ ظهوراً ومطلعاً. ٥٠

وفي أوائلِ هذه السنةِ، عيَّنَ مولانا الإمامُ السيِّدَ الأجلَّ عليَّ بنَ محمد المطاع(١) عاملاً على قضاءِ رَدَاع، وأُنيطتْ أمورُه إليه كما ذكرنا، فتوجَّه إلى هنالك بثُلةٍ من الجندِ الإماميِّ، فكانت أعمالُه كلُّها مثالاً للحزمِ وحسنِ الضبطِ وحسنِ السيرةِ، وحُمد فيها مثابُه[١] وانتصابُه، فإنه ضبطَ القبائلَ بالرهائنِ المختارةِ،

---

(١) علي بن محمد بن أحمد المطاع ت ١٣٧١هـ، كان عضواً في مجلس الإدارة في العهد العثماني، زار استانبول في عهد السلطان عبد الحميد، تولى أعمال قضاء رداع، وتولي نظارة الأوقاف الداخلية والخارجية، انظر نزهة النظر، ٤٦٦، هجر العلم، ٦١٤ .

---

[١] في س، منابه.

وكَفَّ أيدي الرّعـاعِ وأهلِ الشطارةِ، وأخمدَ جمرةَ الفتنةِ والمحنةِ التي كـان يتطايرُ شرورُها فيما بينهم في أكثرِ الأيام بأقلِّ مُحّركٍ.

وفيها أمـر مولانـا الإمامُ -أيـده الله- حاكمَ المحـويت[1]، سيدي العـلامةَ إسماعيلَ بنَ حسن الوادعي[2] بالتوجُّهِ إلى جبل مِلْحَان[3] لترتيبِ أموره، وضبطِ جهاتِه. وقد كانتْ وصلتْ إلى مولانـا الإمام - عليه السلام - كتبٌ متعدَّدةٌ من رؤساءِ، أهل الجبل المذكور فيها الحث على قدومِ الجندِ الإماميِّ إليهم، ورغبتُهم في الطاعـةِ. فتوجَّه سيدي إسماعيلُ إلى هنـالكَ بعصابةٍ من الجنـدِ الامامي غيرِ يسيرةٍ، وجمعَ من بـلاد المحويـت قومـاً ضمَّهم إليـه فقابلتـه البـلاد بـالطاعـةِ والانقيادِ، ودخلَ الجبلُ في سلـكِ البلادِ الإماميـةِ بمعونـةِ ربِّ العباد. وشرعَ في ترتيبِ الأحـوالِ وإزالةِ أدرانِ الاختـلالِ والفسادِ، ولم يبقَ إلا اليسيرُ من أطـرافِهِ توقَّفَ أهلُه عن الطاعةِ، كعزلةِ هَمْدان[4] وما ماثلَها، واستقرَّ الحاكمُ المشارُ إليه

(١) المحويت: اسـم مدينة بـالشمال الغربي من صنعـاء بمسافة ١٠٠كـم، من أجمل مدن اليمن، وتضم من النـواحي، ناحيـة المحويـت وناحيـة حُفاش ونـاحية جبل مِلْحَـان ونـاحيـة بني سعـد، انظـر، صفـة، ١١٢، اليمن الكبرى، ٦٠، طبق الحلـوى، ١٢٩، معجم المقحفي، ٦٠، حياة الأمير، ٦٢٩ .

(٢) اسماعيل بن حسن بن عبدالله بن أحمد بن محمـد الوادعي ت في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٦٦هـ، عالم محقق في الفقـه، تولى اصلاح أمور المحويت ثم تولى القضـاء فيها، ولد في هجرة وادعة سنة ١٢٨٨هـ، انظر، نزهة النظر، ١٨٥، هجر العلم، ٢٣١٨ .

(٣) مِلْحَان: ناحية من نـواحي المحويت، جبل منيع، وحصنها رَيْشَان يشرف على المهجم من تهامـة انظـر، صفة جـزيـرة، ١٢٤، فـرجة الهمـوم، ٨٢، نشر العـرف ١٢/ ٥٥٢، معجم الحجري، ٢/ ٧١٨، البلدان اليمانية، ٢٧٣ .

(٤) عُـزلـة هَمْدَان: من نـاحيـة مِلْحَـان. انظـر، معجم المقحفي،٦٨٣، تـاريخ اليمن الثقافي،١/ ٤٦ .

في أعـلا ذروةٍ منه مُـذكّـراً ونـاصحاً لأهلِ الجبلِ، ومـرشـداً لهم إلى سُبلِ الخير، ولكّنهم قومٌ قد سادَ عليهم الجهلُ، وتباعـدَ عهدُ انقيادِهم بما تمرّنوا عليه في عهدِ الأتراكِ مـن عدمِ الطـاعةِ والتهـاونِ بها، والعدوانِ على عُمّالِ الأتـراكِ، وإرخاءِ العنانِ لهم من قِبَلِ أُمـراءِ الأتراكِ الـذين في الحُدَيْدَةِ؛ لأنَّ عمالـةَ الجبلِ المذكورِ كـانت مـربـوطةً بمتصرفيـةِ الحُدَيْـدَةِ، فلهـذا لم تستقـرَّ أفئدتُهُمْ على الطـاعـةِ، وسيأتيك من أخبـارِهم ما يقـومُ به البرهـانُ على مقدارِ جهلِهم وفرطِ عنـادِهم وغباوتِهم.

٥١ / وفي أواخرِ أيـامِ هذا العامِ، تحركتْ قبيلةُ المعـاصلةِ من قبائلِ قضـاءِ زَبِيد للخـلافِ، وتولّى كِبْرَ هـذا الخلافِ السيدُ علي طـاهر من رؤسـائِها، ولم يظهـرْ لذلك سببٌ سوى المنـافسةِ بين رؤساءِ القبيلةِ المذكورةِ، فقد تقـدَّم ذكرُ وصولِ الشيخِ عبدِالرحمن شيخ من مشايخها إلى مقامِ مـولانا الإمامِ، وحازَ بذلك فضيلةَ السبقِ إلى الطـاعةِ، ونفـوذِ الكلمةِ، فحمَـلَ الحسدُ السيـدَ المذكورَ على إعـلانِ الخلافِ، وانضـمَّ إليه غيرُه من جماعاتِ المعاصلةِ، وهمْ قبيلةٌ كبيرةٌ، فتجهَّزَ إليها الجنـدُ الإماميُّ من زَبِيـد، ونـزل بساحتِهم وأوْعـدهم وأنـذرهم عـاقبةَ مكـرِهم وبغيِهم، فلمْ تُغْنِ فيهم النصـائحُ، وبـادروا الجنـدَ الأماميَّ بـالحربِ، فقـابلهم الجندُ الإماميُّ بمثلِه، وجرتْ بينَ الفـريقين معركةٌ كبرى وملحمةٌ عظمى، أظهرَ فيهـا الفريقـان كلَّ مقدورٍ مـن الاستبسالِ والشجـاعةِ وحسنِ الصبرِ، وكـادت الدائرةُ أنْ تكونَ على جندِ الحقِّ، فأدركهم اللهُ بعصـابةٍ كبيرةٍ من الجندِ الإماميّ، وصلتْ إليهم، وهم على تلك الحالِ، وقـد حَمِيَ الـوطيسُ، وبُـذِلَتْ في ميـادينِ النـزالِ الأنفسُ ، والنفيسُ، فصـوَّبَ الـواصلـون بنـادِقَهم إلى نحـورِ الأعـداءِ، وتعاونَ الجميعُ عليهم، فأسفرت المعركةُ عن هزيمةِ البُغاةِ، وتفرُّقِهم أيدي سبا،

....

....

وتركِ محلاتهم واحتـواء المجاهـدين على أموالهم وكانـت شيئاً عظيماً وقُتِلَ منهم عددٌ غيرُ يسيرٍ، واحتُزَّتْ رؤوسُ بعضِ القتلى. وكان من جملـةِ من فرَّ منهم السيدُ علي طـاهـر المذكـورُ وبعضُ أقـربـائِه لا يلـوون على شيء، ولا يهُمهم غيرُ النجاةِ،وكانت تلك العصابةُ قد أرسلهـا مولانا الإمامُ - عليه السلام - إلى زَبيد زيـادةً لمن هنـالك من الجنـودِ، ولم يكنْ لخلافِ المعـاصلةِ حينئـذٍ ذكـرٌ، فكـان إرسالُها ووصولُها على تلك الصفةِ [١... من جملةِ كراماتِ مولانا الإمامَ ...١]، وعنايةِ اللهِ تعـالى بإعـلاءِ كلمتِـه على الدوام. وبعـدَ فـرارِ القبيلـةِ المذكـورةِ على تلك الصورةِ، وذوقِهم الأمـرَّيْن راسلوا يطلبون الأمـانَ والعَوْدَ إلى الطاعـةِ، فأجابَهم عامـلُ زَبيد إلى ما أرادوه، وأسعفَهُـم بها التمسُوه، فعـادوا إلى ديارهم وعمَّـروا ما خرب منهـا، وصلحتْ أحوالُهم، ولم يبقَ منهم على فـرارِه إلا السيدُ علي طـاهر المذكورُ، فإنه التحقَ بأعـوانِ الضلالِ الإدريسي، وجالَ في أكنافِ / تُهامـةَ زماناً غيرَ يسيرٍ، ولما أعْيَتْـهُ المقـاديرُ طلـبَ الأمانَ، ووصلَ إلى حضرة مـولانـا الإمـام، فأُتحِفَ بالعفوِ عن زلاَّتِهِ، والعودِ مكرماً إلى جهاتِه. ٥٢ /

وفي أثنـاء شَهـرِ شـوال من هذه السنـةِ، انتقلَ مـولانـا الإمـامُ إلى محروسِ الرَّوْضَةِ، وأدركه هنالك عيدُ الأضحى السعيـد، وأتَتْه وفودُ القبائلِ من كلِّ جهةٍ للسلام، واستمدادِ دعوتِه المباركةِ، وشـوهدَ من الجَمْع في يومِ الغَديرِ ما لم يُعْهَدْ مثلُه، ووصلتْ إلى الإمامِ التهاني من الأدباءِ والأعيان.

[٢.. ومِمّن نظمَ في ذلكَ مُحرِّرُ هذه السطـورِ قصيدتَه الآتية، وقـد أثبتها بكمالِها حفاظاً لها من أيدي الذهاب، ومطلعُها:

[١-١] سقطت من س.

[٢ - ٢] من «وممن نظم في ذلك حتى الوقائع في هذا العام» سقطت من س.

[الطويل]

سَرَيْتُ وبي سَاري الغرامِ يسيرُ   أجوبُ فيافي هَجْرِهم وأدورُ

وأطلبُ من دهري إعادةَ فائتٍ   من الأنسِ ولىَّ والدهورُ دهورُ

ليالِيَ لا ربعُ الحبيب بنازحٍ   عليَّ ولا يُسْرُ الوصالِ عسيرُ

وأيامِ أُنسٍ يا سقى اللهُ عهدَها   تركْنا بها قلبَ الحسودِ يفورُ

جَرَرْنا بها ذيلَ التصابي وإنما   تَقَضَّتْ وأفلاكُ السرورِ تدورُ

وكانتْ هناءً ما علِمْنا، نهارُها   نميرُ تصافٍ والظلامُ سفورُ

إذا ما الدُّجى أرخى ستورَ ظلامه   رأينا مصابيحَ الوجوه تنيرُ

وإن أسفرَ الأصباحُ عن ضوِّ شمسِه   غَزَوْنا بِلَيْلِ الشعرِ وهو أميرُ

عفى اللهُ عّنا كلّما مرَّ ذِكْرُه   على القلبِ مرَّتْ أنّةٌ وزفيرُ

وثارَ لحرِّ الشوقِ بينَ جوانحي   سعيرٌ وحَرُّ الاشتياقِ يثورُ

وما خَطَرَتْ مِنْ جانبِ الغَوْرِ نفحةٌ   تُعَطِّرُ إلاّ والسلوُّ يفورُ

ولا أومضَ البرقُ الحجازيُّ موهنا   لعينيَّ إلاّ والفؤادُ يطيرُ

وقائلةٍ والسُّقْمُ قد غالَ منظري   وحالي إلى فرطِ الغرامِ تُشيرُ   / ٥٣

أَتَقْضي أسىً إنْ شطَّتِ الدارُ هائماً   ويلقاكَ منها مُنكرٌ ونكيرُ

فقلتُ: نعم في الحبِّ ما أنا باخلاً   بروحي وكلُّ العاشقين حسيرُ

ذريني وأحــداثَ الــزمــانِ فإنّها تنــــوبُ وفي طـيِّ الشرورِ سُرورُ

وقــد يلتقي الخلاّنُ بعــدَ تبـاعُـدٍ وتحْدُثُ مِنْ بعـــدِ الأَمــورِ أمــورُ

لَعَمْـرُ أبيك اليـومَ ما اللَّـوْمُ صـارِفي وعهـدُ الهوى مــا عشتُ ليسَ يخورُ

عليَّ لهمْ إرســالُ غيثِ مــدامعي غــديراً وإني بــالـوفــاء جـديــرُ

ولمّا جرى ذكـرُ الغـديـرِ تـذكَّـرَتْ غـديــراً ويـومــاً مـا ســواه شهيرُ

غـديـراً قضى فيـه الرسـولُ لصفـوِهِ وأَسْرابُ أمـــلاكِ السماءِ حُضــورُ

بصـوتٍ إلى الأسماعِ ما زال واصـلاً لــه فـوقَ مَتْنِ الكـائنـاتِ عبُـورُ

وَمَــدَّ إلى حُسنِ الــولايـةِ بـاعَــهُ وأكْـــرِمْ بمـــدٍّ لم تَحُزْهُ بُحـــورُ

وزَفَّ عـــروسَ الحقِّ فيـه إلى الــذي يــدورُ عليـه الحقُّ حيث يــدورُ

علي أبي السبطين نفسي فــــداؤهم جميعـــاً فهمْ للعـــاملين بـــدورُ

وهمْ عصمتي والذخرُ ما ضلَّ سبطُهم[1] ولا خـــابَ يــومَ الــراسيــات تمورُ

وفي أطلسِ الأبنـاءِ منهم كـواكبٌ لأنْـوارِهـم عنـدَ الخطـوبِ سفـورُ

إذا أفَلَتْ منهم نجــومُ هــدايـــةٍ تبَــدَّى ســواهـــا واستسرَّ غــرورُ

ومـا بــرحـوا -واللهِ- منجـاةَ لائذٍ وأمنَ مخوفٍ قـــد دهتْـــهُ شرورُ

حُماةً من البلـــوى دُعـــاةً إلى الهدى وفيهم لسيما الصـــالحين ظهـــورُ

/ ٥٤ تضيءُ من التقـوى عِـراصُ ديـارِهم ويكفي بهم للنُّسْكِ ثَمَّ قصـــورُ

---

[١] في الأصل، صبتهم.

ويـزدانُ وجهُ الـدينِ مـا مرَّ ذكـرُهمْ كما بـاتَ طـرفُ العَدْلِ وهـو قـريـرُ

همُ القومُ أربابُ الغايات[١] والأولى يتـــــوقُ إليهـم منبرٌ وسريــــــرُ

حَـوَتْ سُـوَرُ التنـزيـلِ جمَّ ثنائِهم فطــالَ لهمْ حـولُ العنــايـةِ سُــورُ

وخُصّــوا بأفــلاكِ الخلافــةِ إنّها عطيـــةُ خَـــلاَّقٍ عطـــاه وفيرُ

فما زالَ فيهم نـــورُهـــا أيَّ مشرقٍ وهلْ مثـلُ أنــوارِ الخلافــةِ نـــورُ

إلى أنْ حـوى الـلأْلاءَ منهـا بنهضـةٍ إمـــامٌ بأسرارِ الـــزمــــانِ خبيرُ

أبـــو أحمدٍ قـامــوسُ هَـذْي محمَّـدٍ إليـــه بحـــورُ العـــارفين نَصيرُ

إذا نضبتْ عنــدَ العــويصِ رأيتـه خصماً بعـــذبِ الاطــلاعِ يفـــورُ

لـــه المَدَدُ الــوهبـيُّ يقضي بأنَّ مـا حبــاهُ بها فــوقَ العقــولِ قــديـرُ

فإدراكـــــه فيـضُ الإلـــــه وسرُّه مهيبٌ وبــاعُ القـــولِ فيــه قصَيرُ

بـراهُ إلــهُ الخلقِ في العصرِ عصمـةً مِنَ الـــزيغِ والطغيـــانِ حيثُ يُنيرُ

وأحيـا بــه للـــديـنِ فينـا معــالماً مضى زمـنٌ فيهـــا يهولُ دثـــورُ

فجَـدَّد رسمَ الشرعِ بعـد انـدراسِـهِ فبــادَتْ طَــواغيتٌ وزالَ فجــورُ

وأجرى جـوارَ العدلِ في كـلِّ فسحةٍ من الأرضِ لا يُـوهي خُطـاه عُثـورُ

وكَفَّ أكفَّ الظلمِ فـانجـابَ ليلُـه وأسفـــرَ صُبْحُ الحقِّ وهـــو منيرُ

وأصبحَ روحُ الأمـنِ في كلِّ بلـــدةٍ يضـــوع وضــامُ المعتـــدين ثبــورُ

....

[١] هناك خلل عروضي، والأصوب «العنايات».

فلو شاءَ جَمْعَ الشاءِ والـذيبِ ما عدا | عليهـا ولا استقـوى بِهِنَّ نفـورُ
وأمـا جهـادُ الظـالمين فما لنـا | سبيـلٌ إلى تعـدادِه وشعـورُ
دعى، ولشانِ البغي في القطرِ صولةٌ | وشخصُ الهدى قـد غيَّبَتْـه قبـورُ
٥٥ / فمرَّتْ من الأعـوامِ عشرون أو دَنَتْ | إليهـا وفيهـا للجهـادِ نشـورُ
فلم يَخلُ عـامٌ مـن معـاركَ عـدةٍ | لِـرنَّتِهـا طـولَ الـزمـانِ صريـرُ
وفي بعضِ ما في العامِ هـذا ضخامةٌ | تنـازلَ عنهـا مـا حَـوَتْـهُ دُهُـورُ
مـواهبُ فيهـا للعنـايـةِ مظهـرٌ | ونصرٌ إلى نصرٍ يُـزَفُّ كبيرُ
ومـا يسَّرَ البـاري فتـوحـاً تتـابعتْ | لها غـررٌ وضّـاحـةٌ وسفـورُ
ولما طغى مَنْ في أصـابَ وجـاهـروا | ببغيٍ دهـاهم للحتـوفِ مثيرُ
فَسَلْ عنهُـمُ يـومَ انهزامِ جموعِهِمْ | وقـد قُطِعَتْ روسٌ وأُحْـرِقَ دورُ
وسَلْ عن حُبَيْشٍ حين زاغ عقـابُـه | فمالَتْ عليـه بـالـدّمـارِ صقـورُ
وطـارَ بمنْ سـاواه في البغي هـائماً | ومـا ضمَّـه بعـدَ البـوارِ ذكـورُ
دعى قـومَـه من حُمْقِـهِ لغـوايـةٍ | فقـالـوا أطَعْنـا والـدّبورُ حبُـورُ
فبـاءوا بإثمِ البغي بعـدَ نـدامـةٍ | وهبَّتْ عليهـم بـالهلاكِ دبـورُ
وفي شـانِ طغيـانِ المعـاصلـةِ التي | دعـاهـا نـداءُ الحقِّ وهـو جهيرُ
فصُمُّـوا إلى أنْ بـدَّدَ الجيشُ شملَهُمْ | فَـذُلُّـوا وقـالـوا: الانقيـاد مجيرُ
وفي حَيْسَ لما آثـروا سهـلَ الـرّدى | على السلمِ بـارَوْا حينَ عـزَّ نصيرُ

....

....

ومـــا صبروا لحربٍ قــد دكَّ أهلــه	بعيــداً ومَــا منهــم عليــه صبــورُ
جَنَــوْا ثمـرَ العدوانِ مُـرًّا وعـوجلـوا	بخسفٍ فجنـــــدُ الحقِّ فيــــه تغيرُ
وأمــــا فتـــــوحُ السّلـمِ فهي كثيرةٌ	تــوالَتْ وبـــالبـــاقي عـــلاهُ يُشيرُ
إمــامَ الهدى للـهِ مــوكبُك الــذي	بـه انشرحتْ يـومَ الغـديـرِ صـدورُ
جمعتَ بـه بنـودَ الكتـائب ضُمِّنَتْ	أســـوداً لها يـــومَ النـــزالِ زئيرُ
وقــد لَمعـتْ فيــه السيـــوفُ كأنها	كـــــواكبُ في ليلِ القَتـــامِ تهورُ
وهم ينظــرون البــدرَ وجهَك بينهم	منيراً وفيهم مـن سنــاك حبـــورُ
ومنـــزِلُك العـــالي الأشمُّ كأنّـــهُ	لشخصِك مِنْ فـرطِ المهابـةِ طـورُ
فأيّـامُـكَ الأعيـادُ للـدينِ والـدُّنـا	تتيـهُ بها طـولَ الـزمـانِ عصـورُ
تـــوالى دُعـاءُ الخَلْـقِ طُـرًّا بِجَعْلِهـا	مضـــاعفـــةً واليــومُ فيــه شهــورُ
وهـــاكَ أميرَ المؤمنين خــــريــــدةً	تجارتُها في المدحِ ليسَ تبـــــــورُ
تُهنيكَ بـالعيـد السعيـدِ وعامِـه الــ	جـديــدِ ويــومٍ بـــالسرور يميرُ
وتطلبُ منكَ اليـومَ إنجـازَ مـوعـدٍ	فعطـــــــــفُ أميرِ المؤمنين نميرُ
ومــــا بيَ إلحاحٌ ولكنَّ حـــــالتي	تقـــــولُ وربي بـــــالخفـيِّ خبيرُ
أدامكمُ البــــــاري مــــلاذاً ورحمةً	وغَـــوْثـــاً مـن الخطبِ المسيء يُجيرُ
وصلّى عليكم بعـــــدَ طــــه وآلِـــهِ	وقــــدرُك فيهـم للعلُــــوِّ ظهيرُ
وسلَّـم تسليماً يـــــدوم على المدى	ومـــا انهلَّ من فيضِ الغمامِ غـزيـرُ

/ ٥٦

....

....

ولا يخفى على ذوي الإنصافِ أنّ هذه القصيدةَ جديرةٌ بالإثبات، فإنها، وإنْ نزلَتْ رتبةُ جزالتِها عن قصيدةِ[1] الحسنِ بن هانىء في الخصيب[2]، عاملِ مصر، وقصيدةِ ابن درّاج القسطلي[3] في الحاجبِ المنصورِ بنِ أبي عامر المُعافري، صاحبِ الأندلس، فإنها تعلو عليهما بشرفِ الممدوحين، أهل البيت - عليهم السلام- ومولانا أميرِ المؤمنين - ضاعف اللهُ مدّته - وينضافُ إلى ذلك اشتمالُها على حقائقَ تاريخيةٍ، هي مجملُ ما سبق سَردُه من الوقائعِ في هذا العام.

ومما جرى في هذه السنةِ من الحوادثِ الغريبةِ في نوعها، أنَّ امرأةً يُقال لها، ابنة القاولي من أهلِ صنعاءَ، وهي في سنٍّ شبابها دخلتْ بيتَ رجلٍ يسمى محمد عصيد من أهلِ صنعاءَ وزوجتُه غائبة، ولم يكنْ فيه سوى ابنةٍ له في سنِّ

---

(١) الحسن بن هانىء هو أبو نواس وفي ديوانه خمس قصائد في مدح الخصيب، جاءت في ديوانه في الصفحات ٤٧٦، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٨٣، ٤٨٤ وقافية الراء، مطلعها:

يا منّةً إمتنَّها السُّكْرُ ... ما ينْقَضي مني لك الشُّكْرُ

وأخرى مطلعها:

أجارةَ بيتينا أبُوكِ غَيُورُ ... ومَيْسُورُ ما يُرْجَى لديْكَ عسِيرُ

(٢) والخصيب، هو الخصيب بن عبد الحميد، وفيه يقول أبو نواس:

أنت الخصيب وهذه مصرُ ... فتدفقا فكلاكما بحرُ

انظر، الوزراء والكتاب، ٢٥٥، وما يقصده مؤلفنا، القصيدة الأولى.

(٣) ابن درَّاج القَسْطَلّيّ هو، أحمد بن درَّاج القَسْطَلّيّ، أبو عمر، انظره، يتيمة الدهر، ١/ ١٠٤، وفيات الأعيان، ١/ ١٣٥، الوافي بالوفيات، ٨/ ٤٩، المطرب، ١٤٥، الذخيرة، ١/ ٥٩ أما القصيدة فمطلعُها:

ألم تَعْلَمي أنَّ الثَّواءَ هُوَ التّوَى ... وأنَّ بُيُوتَ العَاجِزِينَ قبورُ

انظر ديوان ابن درّاج، ٢٩٧-٣٠٤، نشرة محمود مكي، دمشق ١٩٦١م، والمنصور بن أبي عامر، المعروف بالحاجب المنصور حكم ما بين ٣٧١هـ - ٣٩٢هـ.

العاشرةِ، فأخـذتْ ابنةُ القاولي المذكـورةُ حليّ زوجةِ محمد عصيـد، وشعرتْ بها البنتُ الصغيرةُ فحـاولتْ منعَهـا، فتعمّـدَتْ ابنـةُ القـاولي المذكـورةُ قتلَ البنتِ الصغيرةِ، بأنْ ألقتها في بئـرِ ذلك البيتِ/ وفرّتْ، فـاهتدى أبـو البنتِ المذكورةِ إلى مكانِ ابنتهما، وأخـرجاهـا من البئرِ ميتـةً، وشكيا مصـابَهما إلى المولى الإمام - عليه السلامُ - فأمرَ مأمورَ الإجـراءِ حسينَ بنَ أحمد حنش، وله مهارةٌ في إيضاحِ أمثالِ هذه الحوادث، بالبحثِ عن الفاعلِ، فلم تمضِ غيرُ مدةٍ يسيرةٍ حتى كانَ القبضُ على ابنـة القاولي المذكـورة وإقـرارُها بإلقـاء البنت الصغيرة وسرق حليِّ أمها وتصميمُ الأبوين على طلبِ القصـاص، وبعدَ صدورِ الحكم بثبوتِ القتلِ المذكورِ وإجـراءِ القصاص، كان انفـاذُ القصاصِ [١... في ابنةِ القاولي المذكورةِ بضربِ عنقِها بمحضرِ الحاكمِ ومستحقي الاقتصاص...١].

فكـانَ لذلك أثـرٌ عظيمٌ في النفـوسِ من زجرِ ذوي الـدعـارةِ من الرجـالِ والنساء عن الاسترسالِ في الآثامِ والإقدامِ على المعاصي والإجرام.

وقبلَ هذه الحادثـةِ، كانتْ قـد تعدَّدَتْ شكاوي النـاسِ من اختطافِ الحليِّ من أعناقِ صغارِ البناتِ، وأنّ الإقدامَ على ذلـك من امرأةٍ مجهولة، وبعدَ ضربِ عُنُقِ المذكورةِ انتهتْ تلك الحوادثُ، فكأنَّ آخرَ حـادثةٍ جرتْ من المذكورةِ هي ما ذكـرناه من القتلِ [٢... والمعصيةِ تجري على المعـاصي حتى يمتلىء بها الصاعُ، وحينئذٍ ينتهكُ السترُ وينتقمُ الله ممَّنْ عصاه، ونعوذ باللهِ من سوءِ الخاتمة...٢].

وفي الخامس والعشرين من شهرِ صفر، توفي [٣... شيخُنا وشيخُ شيوخِنا ...٣] القـاضي العلامـةُ جمالُ الدين، عليُّ بنُ حسين المغـربي(١) - رحمه اللهُ - بمدينـةِ

(١) علي بن حسين بن حسن بن حسين المغـربي ت٢٥ صفـر ١٣٣٧هـ. عـلامّـة، محقق رئيس العلماء المفتي، تـولى القضاء في يَـريْم وذَمار والطـويلة وحَجَّة وصنعـاء، شغف بالتدريس، انتدب للسفر إلى استانبول مع الوفد اليمني الذي أرسله الإمام يحيى بناءً=

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س. [٣ - ٣] سقطت من س.

صنعاءَ، [١... وبها مولِدُه ومنشؤه، وأظنُّ وفاتَه وهو في عشرِ السبعين، وقد كان كُفَّ بصرُهُ في آخرِ عمرِه، واحتسب ذلك عندَ اللهِ عزَّ وجل، وواظبَ على حفظِ القرآن عن ظهرِ قلب بأنْ كان يحفظُ في كلِّ يوم الآياتِ التي تُقرى عليه في تفسيرِ الكشّاف[١] ويزيدُ عليها ما شاءَ اللهُ حتى أدركَتْهُ الوفاةُ وقد قاربَ من حفظِ النصفِ غيباً، وكان آيةً في سعةِ الإدراكِ، وقوةِ ملكةِ التعبيرِ وحياةِ العلمِ ووفورِ الإطلاعِ، ورسوخِ القدمِ في فنونِ الآلةِ والفروعِ والأصولِ والحديثِ، والانفرادِ بقوةِ الساعدِ في الإفتاءِ وحسنِ الاستنباطِ...١]، وأمضى عمرَهُ في وظيفةِ القضاءِ في أمصارٍ عديدةٍ كذمارَ وكوكبانَ وحجةَ ويريمَ والحَيْمةِ[٢] من جهةِ الأتراكِ، وكان مشكورَ السيرةِ، وحيثما توجَّهَ وأينما حلَّ لا يتركُ التدريسَ. وفي آخرِ مدَّته تولّى منصبَ الإفتاءِ، وهي وظيفةٌ تضارعُ معنى رئاسةِ العلماءِ في عهدِ الأتراكِ إلى أنْ حصلَ الائتلافُ المباركُ ما بينَ الإمامِ والحكومةِ العثمانيةِ، فأسندَ الإمامُ - عليه السلام - إليه وظيفةَ الحاكم الأوّلِ في صنعاءَ/ فتقلَّدها بكفايتِهِ المشهورةِ، وقام بها خيرَ قِيامٍ إلى أنْ كُفَّ بصرُه، وكانَ نقلُه إلى المحكمةِ الاستئنافيةِ عضواً فيها، إلى أنْ أدركَهُ الحِمامُ، وانتقلَ إلى جوارِ الملكِ العلاّمِ، نوَّر

/ ٥٨

= على دعوة السلطان عبد الحميد لبحث في مسألة اليمن، كف بصره في أواخر أيامه، ولد في الرَّوْضَة سنة ١٢٦١هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٣٢، حياة الأمير، ٥٧٢ .

(١) تفسير الكشاف: هو الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لمحمود بن عمر بن محمد الزمخشري جارالله ت٥٣٨هـ، انظر، فهرس مخطوطات المكتبة الغربية، ٢٤ .

(٢) الحَيْمَة: ناحية مشهورة إلى الغرب من صنعاء بمسافة ٣٧كم، وتنقسم إلى الحَيْمَة الداخلية والحَيْمَة الخارجية، ومركز الحَيْمَة الداخلية العِر، ومركز الحيمة الخارجية مَفْحَق، انظر، نزهة النظر، ١٤٤، طبق الحلوى، ٧٨، صفحات مجهولة، ٢٣٠، معالم الآثار، ٣٧، نشر العرف، ١/ ٢٥٢، حياة الأمير، ٦١٨ .

[١ - ١] من «وبها مولده حتى وحسن الاستنباط» سقطت من س، وجاءت في مكان آخر من الصفحة.

اللهُ ضريحَهُ وشيَّدَ في الجنّاتِ صروحَهُ. وقد رثاه جماعةٌ من العلماءِ والأدباءِ والأعيانِ، [١... ومن الجملةِ الحقيرُ سامحه اللهُ تعالى، ولم يحضُرْني حالَ رقمِ هذا شيءٌ حتى يكونَ إثباتُه، وله عليَّ المنةُ، فيه تخرجت، ومن أخلاقِ علومهِ أرتويت، كافاه اللهُ بالحسنى، وجزاه عنا أفضلَ الجزاءِ الأوفى ...١].

ودخلتْ سنةُ ثمانٍ وثلاثين وثلثمائةٍ بعدَ الألفِ.وأكثر جهاتِ اليمنِ مربوطةٌ بدولةِ مولانا الإمام، عليه السلامُ، وداخلةٌ تحتَ طاعتِه، كصَعْدَةَ وجميع بلادِها إلى بَاقم(١) والنَظَير(٢) من أطرافِ رَازِح ونواظِرِها[٢] : القاضي الصفيُّ أحمدُ بن علي السياغي(٣) ناظرُ السِنَّارة(٤)، وسيدي العلامةُ محمدُ بن

---

(١) باقم: ناحية من قضاء جُماعة وأعمال صَعْدَة، وهجرتها قُراض تبعد عن صَعْدَة في الشمال الغربي بنحو ٧٠كم، انظر، معجم المقحفي، ٦٠، هجر العلم، ١٣١، معجم الحجري، ١/ ١٠٢ .

(٢) النَظير: ورد في معجم الحجري ٢/ ٢٥٨، نظيري من الحلف لقبائل رازح، والنضير، بلد وجبل في رازح من محافظة صعدة، يشتهر بخصب تربته وزروعه الكثيرة وخاصة البن، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٧٤٢، معجم المقحفي، ٦٦٠ وهو المقصود، النضير.

(٣) أحمد بن علي بن عبد الكريم بن أحمد السيّاغي ت في ٣ شوال ١٣٣٨هـ بحصن السِنّارة، عالم فقيه، له معرفة بالطب، التحق بالإمام الهادي شرف الدين سنة ١٣٠٥هـ، تولى أعمالاً كثيرة، وتولى ناظرة الشام، ولد في هجرة العين، انظر هجر العلم، ١٥٣١ .

(٤) السِنّارة: في بلاد صَعْدَة، بها حصن، شرع الإمام الهادي في عمارته سنة ١٣٠٢هـ، والسِنَّارة، بلدة مشهورة من أعمال صَعْدَة فيها مركز ناحية سِحَار، انظر، سيرة الإمام الهادي، ٣٧، معجم الحجري، ٢/ ٤٣٢، معجم المقحفي، ٣٢٦ .

[١ - ١] سقطت من س.

[٢] في س، ونظارها.

حسـن الوادعي[1] ناظرُ ساقين[2]، والسيدُ الحسامُ محسنُ بنُ حسين العوامي[3] ناظـرُ رَازح، والجميعُ مربوطون بنظـرِ وإشراف سيدي العلامـةِ سيفِ الإسلام، محمـدِ بن الإمـام الهادي[4]، ومن جملـةِ النُظّـارِ في الشام السيـدُّ محمـدُ بنُ يحيى العزي[5]، نـاظرُ جُماعـةَ، وعـاملُ شُهـارةَ هو السيـدُ العـلامة محمـدُ بنُ محمـد

---

(١) محمـد بن حسن بن عبـدالله بن أحمد الوادعي، نـاظرة الشـام (أمير بلاد صَعْـدَة) ت بصنعاء في ذي القعـدة ١٣٦٩هـ، عـالم في كثير من العلـوم، تولى القضـاء في خمر سنة ١٣٢٧هـ، وكان عاملاً على بلاد خـوْلان بن عمرو في صعدة ومعاوناً لمحمد بن الهادي الملقب أبو نَيْب، وضبط البـلاد، كان ضمن الوفـد إلى ظهران اليمن لترسيم الحدود مع السعوديـة، تولى رئاسـة الاستئناف، ولـد في هجرة وادعـة سنة ١٢٩٢هــ، انظر، نـزهة النظر، ٥٦٠، تحفة الإخوان، ١١١، نيل الحسنيين، ٢٠٠٣، هجر العلم، ٢٣٨ .

(٢) سـاقَيْن: بلدة في الجهـة الغربيـة من صَعْـدَة على مسافـة ٤٥كم من قضاء خـوْلان بن عمرو، بها مـركز خَـوْلان انظر، هجـر العلم، ٩٣٤، صفة جـزيرة، ١٢٩، معـالم الآثار، ٧١، معجم المقحفي، ٢٩٨، معجم الحجري، ٢/ ٤١٠ .

(٣) محسن بن حسين العوامي ت برازح في المحـرم سنة ١٣٤٩هـ، عالم، أديب لـه مشاركة في الفقه رحل إلى صَعْدَة سنة ١٣٠٧هـ لطـرف الإمام المنصور بن يحيى حميد الدين، ثم تولى لـلإمام يحيى بلاد عَفَّار والسُّـوَدة ثم رازح، انظر، نزهة النظـر، ٦١١، هجر العلم، ١٦١ وفيهما محسن بن حسن.

(٤) محمـد بن الإمام الهادي شرف الـدين عِشَيْش، الملقب «أبـو نيْب، سيف الإسـلام. ت بالمدَان ٩ شـوال ١٣٦٢هـ عـالم جليل، قاد قـوات والده لمحاربـة الدولـة العثمانية في خوْلان العالية ثم أرحب وحـاشد، تولى ناظرة الشام (نـائب الإمام في بلاد صَعْدَة)، ثم أخمد حركة المعارض الحسن بن يحيى الضَّحياتي، وكـانت له قيادته في عهد الإمام يحيى حارب الادارسـة، لزم المدَان أواخـر أيامه، ولـد في السُّودة سنـة ١٢٨٤هـ، انظـر تحفة الإخوان، ١١٨، نيل الحُسنيين، ١٩٩، نزهة النظر، ٥٣٢، هجر العلم، ١٩٨٥ .

(٥) محمد بن يحيـى بن أحمد بن الهادي ت في ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٣٨هــ، عالم، أديب، التحق بالإمـام المنصور وتولى الكتـابة في ديوانه سنـة ١٣٠٧هـ، وقاد معـارك ضد=

الكِبْسي[1] صهـرُ مـولانا الإمـام، وعـاملُ ظُلَيْمَـة[2] السيـدُ عباسُ بنُ عبـدالله المؤيد[3]، وعـاملُ حجـور الشامِ القـاضي محمـدُ بنُ سعـد الشَّرْقي[4]، وعاملُ

= العثمانيين عين عـامـلاً على يـريم ثم سـاقين، وواصل عملـه في زمن الإمـام يحيى وخاصة في إعـادة أسرى دَعَّان من الأتراك، ولـد في المداير سنة ١٢٧٤هـ، انظـر، نزهة النظر، ٥٩٢، نيل الحسنيين، ٢٠٠ ائمة اليمن، ٢/ ٤٤، هجر العلم، ١٩٩٠ .

(١) محمد بن محمـد بن محمد بن اسماعيل بن محمد الكبسي ت قتلاً في الأيـام الأولى للثورة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، عـالم في عدة علوم تـولى القضاء في ناحيـة الحَيْمة وبلاد كَـوْكبان وبلاد قَعْطَبـة وقضاء حَجّـة، وحارب العثمانيين في آنس ومن ثم عُتُمـة، ولد في الكِبس سنة ١٢٦٧هـ (تزوج ابنة الإمام يحيى)، انظـر، نزهة النظر، ٥٧٩، أئمـة اليمن (الإمام يحيى)، ١/ ٨٧، هجر العلم، ١٧٩٤ .

(٢) ظُلَيْمَة: ناحية من قضاء شُهارة بالشمال الغربي من حجَّة من حاشد، ناحية واسعة تشمل بلدان كثيرة ومـزارع وأودية، مركـزها بلدة حَبُور، انظـر، صفة جزيـرة، ٣٢١، نشر العرف، ٢/ ٢٢٨، حياة الأمير، ٦٢٥ معجم المقحفي، ٤١٤، معجم الحجري، ٢/ ٥٦٨ .

(٣) عباس بن عبدالله بن عباس بن عبدالله بن يوسف المؤيد محمد بن المتوكل اسماعيل بن القاسم ت بـالجِراف في ١٣ رمضان، ١٣٧٠هـ، كـان من أعوان الإمام المنصـور محمد بن يحيى حميد الـدين ثم الإمام يحيى،، قاد عـدة معارك، تولى أعمال غُربـان من نواحي حاشد، انظر، هجر العلم، ٣٥٨-٣٥٩ .

(٤) محمد بن سعد بن محمد بن عبدالله بن قـاسم محمد الشّرْقي ت بحجور سنة، ١٣٥٢هـ، عالم محقق، نزيـه، رحل مع والده إلى القَفْلَة سنة ١٣٠٨هـ عند الإمـام المنصور بالله، تولى أعمال حجـور الشـام سنـة ١٣١٩هـ، وظل حتى تـوفي بها، كلفـه الإمـام يحيى بأعمال أخرى، خلال توليـه لحجور الشام، قبل موته أوصى بكل ما معـه لبيت المال، كما برّأ ذمة أهل حجور من أيـة واجبات، انظر، نـزهة النظر، ٥٣١، أئمـة اليمن (سيرة الإمام يحيى) أخبار ١٣٥٢، هجر العلم، ٢٢٢٢ (وفيه يقول القـاضي اسماعيل بن علي الأكوع، عرفته سنة ١٣٤٨هـ، في إب عندمـا جاء مرافقاً سيف الإسلام الحسن، لتقـرير زكاة إب وكان على جانب عظيم من الزهد والورع وحسن الأخلاق).

حجور اليمن والشَّرَفَيْن السيدُ العلامةُ محمدُ بنُ عبدِالله جَحَّاف[1]، وباقي اليمن الأعلا جميعُه وجميعُ اليمنِ الأسفلِ ما عدا الأطرافِ النائيةِ منه.

وقد مرَّ من حوادث السنةِ الماضيةِ ما يُستفادُ منه تعدادُ البلادِ التي دخلتْ تحتَ طاعةِ مولانا الإمامِ - عليه السلامُ - وفي جهةِ أبي عَريش وصَبْيا واللُّحَيَّة وما بينهما والزَيْدِيّة[2] وبعضِ حُجورٍ، السيد محمد بن علي الإدريسي وعمالِه، والانكليزُ في الحُدَيْدَةِ وعدن، وبعضُ الجهاتِ سائبةٌ لتردُّدِ أهلها فيمن ينتمون إليه. وعُمالُ الجهاتِ هم المذكورون فيما مضى من أخبارِ السنةِ الماضية في البلادِ الإماميةِ.

وفي أوائِلها استدعى مولانا الإمامُ السيِّد الأَجَلَّ عزَّ الدين محمدَ بنَ علي الشامي[3] من زِرَاجةَ، مركزِ عمالةِ الحدأ، وأمره باستنابة ولدهِ السيد العلامةِ عليّ

---

(١) محمد بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن مطهر جَحَّاف ت بالأهنوم في غرة صفر ١٣٥٩هـ، فقيه عالم، كان يسكن ظَفير حَجَّة ورحل عنه بعد محاصرته من قبل الوالي العثماني محمد عزت باشا سنة ١٣٠٠هـ، تولى للإمام يحيى أعمال بلاد الشَّرَفين، ولد بالظفير سنة ١٢٩٦هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٧٦، هجر العلم، ٤٢٩ .

(٢) الزَيْدِيَّة: مدينة في الجهة الشمالية الشرقية من الحُدَيْدَة بمسافة ٦٢كم وهي مركز قضاء الزَيْدِيَّة، ومن نواحيها، القناوص والضحى والمِغْلاف والمُنيرة، انظر، اليمن الكبرى، ٩٦، اليمن الخضراء، ١/ ٩٠، معجم المقحفي، ٢٩٦، معجم الحجري، / ٣٩٧ ١-٤٠٠ .

(٣) علي بن محمد بن علي بن أحمد الشامي ت في جحانة بتاريخ ذي الحجة ١٣٤٩هـ، عالم فقيه، أديب شاعر وكاتب، له خط جميل، أرسل بقوات لفك الحصار عن والده في رَيْمَة، ولد سنة ١٣١١هـ، انظر، هجر العلم، ٣٢٥-٣٢٦ .

بن محمد الشامي[1] على عمله هنالك. ولما وصلَ وجَّه إليه عمالةَ جبل رَيْمةَ وبلادِها وقلّد قضاءَها السيدَ العلامةَ محمدَ بنَ حسين الكِبسي[2]، والسيدَ الجمالي علي بن علي الشرفي[3] مأموراً على الأموال، وخلافَهم من عمالِ النواحي التابعةِ للقضاءِ المذكور كالسيدِ الجليل حمود بن غالب بن الإمام عاملاً على كُسْمَة والشيخَ علي بن المنتصر عاملاً على السَّلْفِيَّة[4] والسيدَ / محمودَ النهاري عاملاً على ناحيةِ الجَعْفَرِيَّة، وأصبحهَم بثُلةٍ من الجندِ الإمامي، فتوجه المذكورون إلى محلِّ أعمالِهم، ورفعَ الإمامُ من كان هنالك من العّمالِ السابقين كالشيخ نصيرِ الدين علي بن المقداد راجح، والسيدِ العلامةِ محمدِ بن يوسف الكِبْسي وغيرِهم ممن كان هنالك من الأتباع. وجرى ذلك بعدَ أنْ وفدَ إلى حضرةِ الإمامِ – عليه السلامُ –، كثيرٌ من مشايخِ تلك الجهةِ، ووقفوا مدةً كانت

59

---

(1) محمد بن علي بن أحمد بن عبدالله الشامي ت في ربيع الأولى ١٣٤٦هـ، في الحدأ، أديب، كاتب، قائد محنك، التحق بالإمام يحيى وأقام عنده بالقَفْلَة كاتباً، وعين عاملاً على الحدأ، وقاد حملات على رَيْمَة والبيضاء. (انظر نزهة النظر، ٥٦٧، هجر العلم، ٣٢٣ .

(2) محمد بن حسين بن علي غمضان الكبسي ت في ذي القعدة ١٣٥٨هـ، عالم في الفقه والفرائض، تولى في العهد العثماني نظارة الأوقاف، وتولى للإمام يحيى القضاء في ذَمار ثم في رَيْمَة فلواء الحُدَيْدَة وأخيراً في سنحان، ولد ١٢٧٧هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٢٢، هجر العلم، ١٧٩٨ .

(3) علي بن علي بن أحمد الشرفي ت سنة ١٣٨٥هـ، تولى أعمال الوقف ثم مالية قضاء رَيْمَة ثم أعمال بلاد مِلْحَان، وأخيراً أعمال مالية حراز، ولد بالرَوْضَة سنة ١٣٠٥هـ، انظر نزهة النظر، ٤٤٢ .

(4) السَّلْفِيَّة: ناحية من قضاء رَيْمَة، انظر، اليمن الكبرى، ٧٦، نشر العرف، ٢/ ٤١٥، معجم المقحفي، ٣٢٢، نيل الوطر، ١/ ٤٠٥، معجم الحجري، ٢/ ٤٣١، الثناء الحسن، ١٤٨ .

....

المراجعةُ في أثنائها بينهم وبين مولانا الإمام، وأسفرت المراجعةُ عما ذكرناه.

ولم يلبث السيدُ محمود النهـاري، عاملُ الجَعْفَرِيَّة، بعـدَ رجوعِه من الحضرةِ الشريفةِ إلا مدةً يسيرةً ووافتـه المنيةُ، وكان قد شاخَ ، وعلا سنُّـه، فنصبَ مولانا الإمامُ مكانَه في عمالةِ الجَعْفَرِيّةِ السيدَ محمدَ الكبير بن علي النهاري.

قلت: وبيتُ النهـاري في ناحيـة الجَعْفَـرِيَّة قـديمُ الـرئاسـةِ والكياسـةِ من أوائِلهم ممدوحو الشيخِ عبـدِالرحيم البُرعي، الشاعرِ المَشهـور، ولهم هنالك ثروةٌ واسعة إلى هـذا العهدِ، وتوجيهُ العمالـةِ إلى السيد محمد الكبير المذكـورِ كان من بابِ رعـايةِ مـا فيه المصلحـةُ لمكانِ نفـوذِ السادةِ المذكـورين هنالك، فـأطرافُ الناحيـة المذكورةِ متّصلـةٌ بقضاءِ بيتِ الفقيـهِ ابنِ عجيل[1]، ولم يكنْ أهلهُ من أهلِ الطاعةِ.

وفي أوائلِ هذا العام، ثار أهلُ مِلْحَانَ وأعلنوا الخلافَ وخرجوا عن الطاعةِ، وكـان حـاكمُ المحويت بينَ ظهـرانيهم فتحصَّنَ منهم في أحـدِ حصـونِ الجبلِ المذكور، وهُـرِع إليه مَنْ كـانَ هنالك من المجاهـدين، ووصلْت كتبُه إلى مـولانا الإمام طالبـاً للإنجادِ، وقمع أهلِ الفسادِ، فندبَ لهم مولانـا الإمامُ السيِّدَ الأميرَ والمجاهدَ الكبيرَ عبدَالله بنَ يحيى أبو منصر، وأرسل معـه جنداً كافياً من جيوشِ الحقِّ، مَدَداً لمنْ في مِلْحَان، فوصلَ المددُ إلى حُفـاش، واستقرَّ هنالك ريثما يكونُ إمعانُ النظـرِ فيما يلزمُ مـن التدبيرِ ومراسلـة المخالفين ونصحِهـم بالـرجوعِ إلى

---

(١) بيت الفقيه ابن عجيل: مـدينة تقع إلى الجنوب الشرقي من الحُدَيْـدَة، نسبت إلى الفقيه أحمد بن مـوسى ابن علي المعـروف بابن عُجَيْل ت ٦٩٠هــ، مـا بين زَبيد والحُدَيْـدَة في وسط بلاد الـزرانيق، مركـز قضاء بيت الفقيـه انظر، معجم الحجـري، ٢/ ٦٣٦، الثناء الحسن، ١١٨، أئمة اليمن ٢/ ٣٤، صفة جزيرة، ٢٦٣ .

الطاعةِ وإعذارهم وإنذارِهم، واستمالةِ من يُرى فيه اللين.

وفي أثنـاءِ محرم الحرام من هـذا العام، أعملَ الحيلـةَ الشيخُ عبـدُالله بشر من مشايخ صَعْفانَ على/ حـاكم مَتْوَح[1] السيدِ العـلامةِ محمدِ بنِ قـاسم الظفري، / ٦٠ فإنّـه لَمّا تعيَّن الحاكمُ المذكورُ بحكـومةِتلك النـاحيةِ، جُعلتْ أمـورُ الواجبـاتِ بنظرِه، فقـامَ بها، وبقيَ الشيخُ المذكـورُ على رئاستِه في تلك النـاحيةِ، فإنّـه كان شيخَ مشايخِهـا، وقد اعتادَ في أيـام الأتراكِ أنَّ أمـورَ الواجبات إليـه، ومَرَنَ على أخـذِ الكثيرِ منهـا لنفسِه، ودفعِ القليل مِنهـا إلى حكـومـةِ الأتراكِ. فخـالطَتْـهُ الكراهيةُ لـدولةِ الإمام حُبّاً في الحُطام، ولم يجْد لنفسِه وسيلـةً غيرَ تخويفِ الرعيةِ مِنْ مباشرةِ الحاكم لجمع الـواجباتِ، وترقّبَ الفُرصـةَ إلى أنْ رامَ الحاكمُ المذكورُ النزولَ من مركزِ النـاحيةِ إلى جبل مَدْوَل[2] والطرَف[3]، وهما من أطرافِ الناحيةِ المذكـورةِ فأوْعـزَ إلى أشرارِهم أن يخوّفـوا الحاكمَ، ومَنْ معـه من العسكـرِ بما يمنعُهُم من تحصيلِ الـواجبـاتِ، والاطـلاع على مـا لـه فيهـا من الخيـانـاتِ، فصادفَ مـرورُ الحاكمِ من طريقِ الـرحبةِ[4]، قاصـداً مَدْوَل، يـومَ اجتماعِ الناسِ بسوقِ وادي حـار[5]، فاجتمعَ مَـنْ هنالك من أهلِ مَدْوَل، وتبعـوا الحاكمَ ومَنْ

---

(١) مَتْوَح: حصن في رأس جبل صَعْفَـان من قضاء حـراز، به مركـز ناحية صَعْفَـان، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٦٨٨ .

(٢) مَدْوَل: حصن وعُزلة في صَعْفَان من بلاد حراز، انظر، معجم المقحفي، ٥٧٥ .

(٣) الطَرَف: بلدة في ناحية صَعْفَان في جبل حراز، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٥٥٨ .

(٤) الرحبة: من بلاد السودة، الواقعة في ذروة جبـل حجاج، بالشمال الغربي من عَمْران بمسافة ٤٤كم انظر، اليمن الكبرى، ٨١ البدر الطالع، ٢/ ١٠٣، نشر العرف ٢١/ ١٧٤ .

(٥) وادي حـار: عُزْلـة من نـاحيـة عنس بالغـرب من ذمـار، انظـر، صفة، ٢٠٩، ريـاض الرياحين، ٨٣، معجم المقحفي، ١٤١ .

معه إلى أنْ تقدّموا عليهم وباشروهم بـالحَرْب، فاستُشهِدَ من العسكرِ الذين مع الحاكمِ أحـدُهم، ودافع البـاقـون عن أنفسِهم ومعهم الحاكمُ إلى أنْ وصلـوا إلى صَعْفَانَ.

وفي يومِ هـذه الواقعـةِ، وردَ الخبرُ إلى مولانـا الإمامِ. بما كـان، فصدرَ الأمـرُ الشريفُ إلى عاملِ حَـرازِ بإرسالِ الغـارةِ إلى هنالك، واجتمعَ هنـالك مِنْ جند الحقّ مِن النظـام، ومن أهلِ حَـراز نحــوُ ألفِ رامٍ، ففـرقهم الحاكمُ في القـرى، وانعكسَ تـدبيرُ عبدِالله بشرٍ وبـالاً عليـه، وخـابَ ما أمَّلَـهُ، فـاستغاثَ حينئـذٍ بـالإمامِ؛ زاعماً أنَّ الـذي حصلَ كـان من الحاكمِ حصولَ التسبُّبِ فيـه، وطلبَ إرسالَ كـاشفٍ من الحضرةِ الشريفةِ - أيدهـا الله تعالى - فأسعَدَه الإمـامُ إلى ما رام، وأرسلَ حاكمَ العـرسيدي العـلامةَ إسماعيلَ بن إسماعيل[(١)] ناصر الدين[[١]] مع عصـابةٍ من جنـدِ الحقِّ أهلِ الحَيْمـةِ، وأمره بتحـرّي وسائلِ الصّـلاحِ ورفعِ أسبابِ الفسادِ والكفاح.

ولّما وصلَ إلى صَعْفانَ، بذلَ وسْعَـهُ في تهوينِ الواقعِ، ودفنِ الضغائنِ، ولبثَ شهراً كاملاً في محاولـةِ ذلك، حتى تمَّ قبضُ الرهائنِ ممن حصلَ منهم العدوانُ، والتزمَ السيّدُ محمدُ بنُ مسـاوي الأهدل، صاحبُ شويع[(٢)] بتحصيلِ الواجباتِ، وديةِ الشهيدِ من أهلِ مَدْوَل، وما يراه الإمامُ من الأدب، وأنْ/ يكونَ بقاءُ أربعين /٦١

(١) شـويع: عُزْلـة الشـويع من نـاحية حُفـاش وأعمال المحـويت، انظر معجم الحجـري ٢٥/ ٤٥٩، ٢/ ٦٩٢ (آل شُويع، من الاشراف الحمزات).

(٢) اسماعيل بن اسماعيل بن يحيـى بن قـاسم المروني ت بـالعـر، مـركـز نـاحيـة الحَيْمَـة الداخلية، ١٤ محرم سنة ١٣٦٦هـ. عالم في الفقه والفرائض، كان من أعيان دولة الإمام يحيى، وقبل ذلك والـده، حـارب العثمانيين، ولي أعمال الحَيْمَـةِ ثم عضـواً في محكمـة الاستئناف وتنقل في وظـائف كثيرة، ولد سنة ١٢٩٣هـ، انظر، نزهـة النظر، ١٧٨، نيل الحسنيين، ١٨٤، نشر العرف، ١/ ٣٤٧، هجر العلم، ٢٠٢٦ .

[١] في س، اسماعيل بن اسماعيل ناصر الدين المروني.

نفراً من الجندِ في مَـدْوَل، ورُفِعَ الأمرُ إلى مولانا الإمامِ، فكـانَ الجوابُ بالإسعاد، وتعلّق بالحسبان، أنّ الشرَّ قد زال أو كاد.

ولما استقرَّ العسكـرُ المذكورون في مَدْوَل والطَرَف، قصـدهم على غرةٍ عقيل الـزيلعي شيخُ بني مُـدَيْهن، وأحـاط بمن في بيتِ أحمد محسن الشعـايب، وأراد الفتكَ بهم، فمنعه الله منهم، ودافعوا عن أنفسِهم، ووجَّه الحاكمُ سهامَ لومِه إلى السيدِ محمدِ بنِ مساوي المذكور. وألزَمه بما أُلزِمَ به، فتوجَّه إلى المخالفين لكونِه[١] هجرتهم، وفكَّ عن العسكرِ الحصارَ، وعـادوا إلى صَعْفَانَ، وقد أطلقَ أهلُ مَدْول والطَرَف وبنـي سعد(١) على الخلافِ، وسلوكِ عقبـةِ الاعتساف، وكـان سعي[٢] السيدِ محمد بن مسـاوي آخرَ ما برئت به ذمةُ الإمـام من الإعذارِ والإنذار ورفع الأعذار، فصدرَ أمرُ الإمامِ - أيّدهُ اللهُ - إلى أميرِ الجيشِ الشريفِ المقدام عبدِالله بن محمد الضُمين بالعـزمِ لمحاربةِ الباغين مع عصـابةٍ كبيرةٍ من الجيشِ المنظّمِ فوقَ من هنالك.

وبعدَ اجتماع الجنـودِ في صَعْفَانَ، كـانَ قدومُهم على المخـالفين، وكانـوا قد رّتبـوا أطـرافَ البَلادِ، واجتمعـوا إليهـا من كلِّ جبلٍ وواد، فطـائفـةٌ من الجنـدِ الإمامي، وهم أهلُ الحَيْمـةِ وَخوْلانَ، قصدوا بني إسحق ووادي حـار من طريقِ القـرون، وطـائفـةٌ فيهم أميرُ الجيشِ ومن معـه من النظـامِ،، وأهلِ الحدأ ومعهم المدفعِ الإمامي قصدوا جبلَ بني عبدالرحمن.

وفي بضعِ سـويعاتٍ استولى المجـاهدون على بني اسحـق، ووادي حار، وولى الباغون منهزمين، وركنوا إلى الفـرارِ، واستُشْهدَ في ذلك اليومِ شهيدان لا غير، مع أنهم قد هاجموا الأعداء مهاجمة الأسودِ، وبذلوا نفوسَهم في مرضاةِ الربِّ المعبودِ.

(١) بنو سعد: ناحية تابعة إلى المحويت، انظر، معجم المقحفي، ٥٢٩ .

[١] في س، لكونهم سهام هجرتهم. [٢] سقطت من س.

وفي اليوم الثاني، باكرَ المجاهدون جماعةَ البغاةِ بالحربِ، وأذاقوهم مرارةَ الخوفِ والضرْبِ. فما كان أسرعَ من هزيمتِهم وفرارِهم بينَ أيدي المجاهدين واستيلاءِ جندِ الحقِّ على جبل مَدْول والطَرَفِ، وتسنُّمِه لذراه وانحدارِ البغاةِ إلى التهائم واستقرارِ الجندِ الإماميّ في الجبل المذكورِ وحواليه، يقتسمون الغنائمَ، وقد ذاقَ المخالفون من العذاب ما لمْ يكن لهم داخلاً في حساب، وتلك عاقبة البغي الذميمِ والمرتعِ الوخيمِ.

ولّما كانَ الضال[1] الإدريسي[2] صنيعةً من صنايعِ الإفرنج، سمحَ له الانكليزيون بالتخلي عن الحُدَيْدَةِ وفارقتها عساكِرُهُم، فدخلَها مصطفى الإدريسي(1)/ وأقامَ بها، ومدَّ يدَه إلى باجل(2)، فأطاعته قبائلُ القُحري(3) وغيرُها. / ٦٢

وكان هذا في أواخرِ العامِ المنصرمِ، وأوائلِ هذا العامِ، وإنما جرى ما ذُكر من الانكليزِ نكايةً بالإمام - عليه السلام - لأنَّ مولانا الإمامَ، تابعَ الاحتجاجَ عليهم في الاحتلالِ، وكانوا يجيبون بأنهم إنما نزلوها لأجلِ تلقيّ العساكرِ العثمانيةِ، الذين تعهّدوا أن يقبِضوا عليهم ويوصلوهم إلى مأمِنهم، فلم يصّح

(١) مصطفى بن علي الإدريسي ت ١٣٤٩هـ: أحد امراء الادارسة وقائد من قوادها، حارب الدولة العثمانية والإمام يحيى لصالح اخيه محمد بن علي الادريسي، اثر موت أخيه، وتولي ابنه الطفل علي، غادر إلى مصر واستقر بالاقصر حتى توفي فيه، انظر، الاعلام للزركلي، ٧/ ٢٣٧، هجر العلم، ١١٩١ .
(٢) بَاجِل: مدينة على بعد ٥٠كم شرقاً من الحُدَيْدَة، تطل عليها من الجنوب قلعة الشريف، أغلب الظن أنها بنيت بعد القرن الرابع الهجري انظر، اليمن الكبرى، ٩٥، معجم المقحفي، ٥٦، حياة الأمير، ٦١٠ .
(٣) القُحري: من بطون عك في تهامة من أعمال باجل ومن فروعهم، الحمادية وبنو خلف والخضارية والمجاردة وعزان والضوامرة انظر، معجم الحجري، ٢/ ٦٤٧، معجم المقحفي، ٥٦ .

[١] سقطت من س. [٢] في س، السيد محمد بن علي بن ادريس.

شيءٌ من ذلك، وانكشفَ أنَّ المرادَ هو التوطئةَ والتمهيدُ لتسليمها إلى الإدريسي، واللهُ من وراءِ الجميعِ محيط.

ولما وصلتْ حالةُ الضالِّ إلى ما وصفناه، وصارتْ حدودُ البلادِ التي إليه متصلةً بحدودِ بلادِ الإمامِ، وجرى على الناكثين من بني سَعْدٍ وجبل مَدْوَل والطَرَفِ ما جرى من خيبةِ الظنون، ولم تدفعْ عنهم حرارةُ القيظِ ولا مناعةُ الحصون، وانهزموا تلك الهزيمة، فصدوا أعوانَ الضالِّ إلى بَاجِل، وأرسلوا أَعيانَهم إلى هنالك مع الرهائنِ، فاغتنمَ الضالُّ وأعوانُه تلك الفرصةَ وأمّدوهم بالعُدَّةِ والعدد، وأرسلوا معهم جيشاً مؤلفاً من التهاميين ومن حَاشد، الذين استمالَهم الضالُّ بحطامِ الكافرِ الجاحدِ، ومعهم رؤساءُ من أشرافِ أبي عَريش وغيرِهم، وأصحبهم بمدفعٍ وخزنةٍ ومونةٍ من رصاصِ البنادقِ كثيرةٍ، وجعلوا محطّتَهم في الحمرةِ، وطلَع الأكثرُ منهم إلى خميس المخرط.

ولّما بلغ ذلك إلى مولانا الإمام، صدرَ الأمرُ الشريفُ إلى السيدِ الهمامِ المقدامِ الأسدِ[1]، عبدِالله بنِ يحيى أبو منصر، وهو إذْ ذاك في حُفاش يُعْمِلُ التدبيرَ في التقدمِّ على جبل مِلْحَان بتوجههِ من حُفاش مدداً لجيشِ حَراز؛ لتأديبِ بني سعد من جميع الجهات، فانتقلَ إلى قَيْهَمة(١) من أطرافِ حُفاش، وعلى مقربةٍ من حدودِ بني سعد، وراسل المخالفين، لعلّهم [٢ أن يكونوا٢] قد اعتبروا بما جرى على أهلِ مَدْوَل والطَرَفِ من النكالِ، فلم تنجعْ فيهم النصائحُ، اغتراراً بما وصل إليهم من إمدادِ أهلِ الضَّلال، فتقدَّم السيدُ عبدُالله بمن معه على بني علي(٢)، فاخذْتهم سيوفُ جندِ الحقِّ أخذةً رابيةً، وهجمت الأنصارُ على الوادي،

(١) قَيْهَمة: مركز ناحية بني سعد تابعة إلى المحويت، جبالها على طريق صنعاء - الحُدَيْدَة، وفي أسافلها تظهر أعالي واد سُرْدُد، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٦٥٩، معجم المقحفي، ٥٢٩ .
(٢) بنو علي: عُزلة من ناحية بني سَعْد وأعمال المحويت، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٦١٠ .

[١] في س، الأسد الهصور. [٢] سقطت من س.

ففـرَّ الشريفُ مقـدَّمُ جيش الإدريسي الضـالّ بقومِـهِ ومـدفعِـهِ إلى شريفِ بني سعـد[1] طـرفِ بنـي الشـويشي[2]، وغنم جيشُ أبـو منصر مـا لا يُحصى من الغنـائم، وتقـدّمَ جيـشُ مـولانـا الإمـام من بني مُـدَيْهن على بني الشـويشي، والقوازعَةِ[3]، ولم يكونـوا قد علموا بمكانِ مـددِ الإدريسي حتى باشرهم المدفعُ بالـرمي عليهم، فحملـوا عليه بأجمعِهم حملاتِ الأسـود، وهاجموا حماتَـه مهاجمةَ المشتاقِ إلى جناتِ الخلودِ، ففرَّ به حماتُه إلى المرقـوعِ، ودافعوا عنه مدافعةً عظيمةً وما بأسُ اللهِ عنهم بمدفـوعٍ. وتبعهم المجاهـدون. إلاّ أنهم لعـدمِ / خبرتِهم بالبـلادِ وطُرُقها لم يشعـروا بالطّريقِ التي سلكها الأعـداءُ إلى الوهادِ، ففـاتوهم. واشتملتْ هذه الـواقعةُ على قتلى كثيرين من الباغين والضالين، واستُشهِـدَ نفرٌ من جنـدِ الحقِّ، وجـلا بنـو سعـد عن ديـارِهم إلى تُهامـةَ مع المددِ الـذي وصلَ إليهم، ولم يجنـوا منـه غَيرَ ثمـرِ الهلَكَـةِ والندامـةِ، وحينئـذٍ كـان تفـريقُ الجيشِ الإمامي في بنـي سعد إلى مراتبَ عـديدةٍ لخلّـو البلادِ عن أهلِهـا من القرادعِ[4] طرفَ بني الشويشي إلى طـرفِ القوازعةِ فوقَ المرقـوع إلى الجمجمةِ، محلِّ السيدِ محمـد قـروش من بني الحمادي[5]، واتصلَ الجيشـان: جيشُ حَـراز وجيشُ حُفاش، وتفرّقَ شملُ الأعداءِ، وصار في تلك الحالِ إلى التلاشي، واجمعَ المقادِمةُ

/ ٦٣

(١) شريف بني سعد: المقصود دير الشريف، من ناحية بني سعد وأعمال المحويت، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٦٩٢، معجم المقحفي، ١/ ٤٥٢ .

(٢) بنو الشـويشي: عُزلـة من ناحيـة بني سعد وأعمال المحـويت انظر، معجـم الحجري، ٢/ ٤٥٩ .

(٣) القوازعة: عُزلة من ناحية بني سعد وأعمال المحويت، انظر، معجم الحجري، ٦٥٨ .

(٤) القـرادع: من قبـائل مـراد من ولـد جميل، انظـر، معجم الحجـري، ٢/ ٦٤٨، معجم المقحفي، ٢/ ٥١٠، ٥٧٩ .

(٥) بنو الحمادي: عُزْلة من ناحية بني سعد وأعمال المحويت، انظر، معجم المقحفي، ١٩٠ .

عن أمرِ مولانا الإمامِ - نصره اللهُ - إلى خميس المخرط للمراجعةِ وإعمالِ التدبيرِ فيما بقي وما فرط. فتم اتفاقُ الأمراءِ على رجوعِ السيدِ عبدِالله أبو منصر مع جيشِه إلى حُفَاش، وبقاءِ جيشِ حراز هنالك لإكمالِ أعمالِه في مواجهةِ الأعداءِ على مراتِبهم.

وفيها كان قدومُ السيّد عبدِالله أبو منصر بالجيش الإمامي على جبل مِلْحَان، فجرت هنالك حروبٌ، أمدَّ اللهُ سبحانه، جندَ الحقِّ فيها بالنصرِ العظيمِ، وتفريقِ جموعِ الباغين، وتعجيلِ أرواحِ مَنْ قُتِلَ منهم إلى الجحيم، والتفريج عن المحصورين، واستكمالِ جميعِ الجبلِ، فتحاً، وتأمينِ أهلِه بعدَ الفتحِ، ورجوعهم إلى أوطانِهم، وأخذ رهائنِ الطاعةِ وترتيبِ أعمالِه، وتمَّ ذلك على غايةِ ما يُرام ببركةِ مولانا الإمامِ - عليه السلام -.

قلتُ: وقد اشتملَ هذا الفتحُ على معاركَ أظهَرَ فيها جندُ الحقِّ من البسالةِ والإقدام والشجاعةِ عندَ الصِّدامِ ما قرَّتْ به العيونُ، وفزعَ به المخذولون، وتناقلتْ أحاديثَه الركبانُ، واستغرقَ سردُه مجالسَ الأعيانِ.

ومِنْ أغربِ ذلك تسلّقُ الجندِ الإماميّ وطلوعُه إلى أعالي ذرواتِ الجبلِ في طُرُقٍ يفزعُ منها الجان، بجراءَةٍ لم تُعْهَدْ، وإقدامٍ يذيبُ الجلْمَدَ مع عدم المبالاةِ بمنَ فيها قائماً بحمايتها من المخالفين، فإنهم قد كانوا تجمّعوا إلى تلك المضائقِ، فلم يُغْنِ عنهم تجمُّعُهم شيئاً، أمامَ نصرِ الربِّ الخالقِ، وألزمَ مولانا الإمامُ السيدَ عبدَالله أبو منصر بالبقاءِ هنالك قائماً بأعمالِها، وأمورِ جبايتها، فأدارها أحسنَ إدارةٍ بما عُهِدَ فيه من الكفاءةِ للإمارةِ، وبهذا يظهرُ للمتأمِّل أنهم، أعني أهلَ جبل مِلْحَان، لم يكنْ لهم داعٍ إلى ما ارتكبوه من المخالفةِ، وإنما كان منهم ذلك

....

....

متابعةً للشيطانِ ومناداةً[1] منهم على أنفسِهم بالخسرانِ وخرابِ الديارِ وضياعِ الأموالِ والتعرضِ / للهوانِ. ٦٤ /

وفيها استقدمَ مولانا الإمامُ الرجالَ من نِهم الحمراء، وجمَعَهم إلى نحوِ ثمانِ مئةِ رامٍ من ذوي البأسِ والشدّةِ، وأرسلَهم إلى سيّدي العماد يحيى بنِ محمد بنِ عباسٍ إلى النَّادرةِ، وضمَّ إليهم غيرَهُم من قبائلِ بَكيل وحَاشد حتى توّفر عددُ الجنودِ لدن الأميرِ المذكورِ، وكان ارسالُهم أرسالاً، فأمرَ الأميرُ المومى إليه عاملَ قَعْطبَةَ القاضي أحمدَ بنَ محمد الأنسي بعدَ أنْ أمدّه بثلّةٍ من الجنودِ بالقدوم على العُزلِ الشرقيةِ من ناحيةِ مَريس، فإن أهلَها امتنعوا عن الطاعةِ طوعاً، وسوَّلتْ لهم أنفسُهم أنهم بالامتناعِ، كما كانوا أيام الأتراك سيرومون السلامةَ قطعاً، فاجتمعوا، لّما علِموا بقوم العامل مع جنده، إلى الحصونِ، وجمعوا للفتنةِ من رجالِهم وأموالِهم ما يستطيعون، فلم يكنْ إلاّ يوماً وبعضَ يومٍ حتى ضايقَهم الجندُ الإماميُّ بإقدامِه، وأنزلَهم من شامخِ الحصون إلى الحضيضِ تحتَ أقدامه، وهاجَمهم إلى معاقِلهم، فرأوا أنها غيرُ مانعتِهم حصونُهم، ففرّوا فرارَ الثعالبِ من الأسودِ، وأُصيبَ منهم في الحربِ جماعةٌ فتُّوا في أعضادِهم، وغنِم منهم المجاهدون غنيمةً عظيمةً من القراشِ، وما تركوه من الأموالِ والحبوبِ، ودخلَ الهاربون إلى الشُعَيْب، ونادى العاملُ بالأمانِ، وراسلهم في الرجوعِ إلى الأوطانِ، ففرحوا بالسلامةِ، عادوا أفواجاً، وبذلوا ما طُلبَ منهم من الرهائنِ المختارةِ، ولم يرتفعْ عنهم العاملُ حتى ضربَ الصلاحُ في تلك الجهةِ خيامَه، ونشرَ على تلك الربوعِ أعلامَه، ولله الحمدُ والمنّة.

وفي أوائلِ هذه السنةِ أيضاً، غَدر أهلُ العَاقبةِ(١) من قضاءِ العُدَين بمنْ

---

(١) العاقبة: ما ورد، العاقبتين، عُزْلة من ناحية شَلِف وأعمال العُدَين، تطل على جبل راس وموقعها في أقاصي العُدَين الغربي الشمالي، معجم المقحفي، ٤١٨، حياة الأمير، ٦٢٥، معجم الحجري، ٢/ ٥٧٢ .

---

[١] في س، ومناؤة.

لديهم من المجاهدين، وأعلنوا الخلافَ. والعاقبةُ اسمٌ لعُزلةٍ من عزلِ العُدين[1] السفلى تشتملُ على قرى متعددة، وأهلُها أهـلُ مواشٍ. فوجّه أميرُ الجيشِ الأميرُ جمالُ الدين، علي بن عبـدالله الوزيـرُ جنداً من تعـز، وأمرَ عاملَ العُـدين الشيخَ حمودَ بنَ عبدِالـرب بالاجتماع معهم، فأذاقـوا المخالفين عـاقبةَ غـدرِهم، وشتّتوا شملَهم بحربٍ ضروسٍ، ويـوم عبوس، وأحرقوا عـدةً من قراهم، والتجأوا إلى الفـرارِ، ثم عادوا يطلبـون الأمـانَ، فأمَّنهم الأميرُ بعـد الإذنِ من الإمامِ - عليـه السلامُ - وأذاقهم من عفوهِ ما قلّبَ نارَ غدرِهم وفتنتِهم إلى بردٍ وسلامٍ، فرجعوا إلى أوطانِهم مغتبطين بأمانِهم، واشتملتْ هذه الـواقعةُ على قتلى من المجاهدين، رزقهُم اللهُ الشهادةَ، وكثيرٌ من البـاغين/ حصدتْهم بنادقُ الجنـدِ الأمامي، وقُلَلُ / ٥ مدافعِـه، حتى عادوا كأمسِ الدائر، وشبعتْ منهم الطيوُر الكـواسرُ، وكان ذلك عاقبـةَ من بغى وتعدّى وزاغَ عن منـاهجِ الاهتداءِ، وينبغي أن يُضـافَ إلى هذه الحادثـةِ ما كـان من عليّ بنِ عبدِالله جُبـاَح[2] في إحـدى العُزلِ السفلى من بلـدِ العُدَيْن وأعمالهِ. فإنـه في هذا العام تحرّكَ للخلافِ، وتـابعَ الشيطانَ، فركبَ متنَ الاعتسافِ، وجـاهرَ اللهَ بمعصيةِ النَكثِ على إمامِ زمـانِه، وجمعَ حولَهُ أصحـابَهُ، وبـايَنَ طريقـةَ أمانِـهِ وقطعَ الطريقَ وأخـافَ السبيلَ فبادَرَهُ الأميرُ جمالُ الـدين بإرسـالِ الجنـودِ المحشـودةِ والكتـائبِ المعدودةِ، فصبّحـوه في عقـر دارِهِ أسـوأَ صبـاحٍ، وأطعَمُـوه مـرارة الحربِ، وهي مُـرَّةُ المذاقِ تعافُهـا الأرواحُ، وكـانَ قـد

(١) العُدَيْن: مـدينة بالغرب من إب بمسافـة ٣٠كم، بها مركز ناحيـة العُدَين، وهي كبيرة وخصبـة، يتبع ناحيـة العُـدَين عـدد كبيرة من العُزل، انظـر، اليمن الكبرى، ٤٤، نشر العرف، ١/ ٧٢٠ معجم الحجري، ٢/ ٥٩٠ .

(٢) علي عبدالله جبـاح: كبير عُزلة جبـاح من ناحيـة العُدَيْن، كثير التمرد، تمرد أيضـاً سنة ١٣٥٧هـ ضد السيـف الحسن ونائبه، وكانت ابنتـه فارسة مقاتلـة، انظر، حياة الأمير، ٥٧٤ .

استعدَّ للجِلادِ، وجمعَ إليه مِنَ الرُّعاعِ أجناد، وتأهَّبَ لملاقاةِ جنودِ الحقِّ،ولكنه لم ينفعْهُ الاستعدادُ وخـذَله شيطانُه لمَّا انجلت الحربُ عن هزيمـةِ رُعاعِه، وتشتيتِ شملِهِم، وإحراقِ قُراهم وسقـوطِ العددِ الكثيرِ من شِرارِهم قتلى على الصعيدِ، فانحصرَ المذكورُ في دارِه الحصين، ونالَه من رصاصِ المدافعِ العذابُ المهين.

وفي النهايـةِ، فرَّ في جنـحِ الليلِ، وتحتَ أستارِ الظـلامِ، وتركَ دارَه ومـا جَمَعه نهباً لجنـدِ الإمامِ، وطـوتْـه الأرضُ، فلمْ يُعْـرَفْ حينئذٍ مقـرُّه،وأقبلَ أهلُ البـلادِ يلوذون بطلبِ العفـوِ والأمانِ، وبعـدَ الاستئذانِ من إمامِ الـزمانِ، أُجيبـوا إلى ما طلبـوا، وأُسْعِفوا بما فيـه رغبـوا، ورجعوا إلى ديـارِهم الخَرِبَـةِ ينـدُبون حظـوظَهُم النَّحِسةَ، ويـذُمُّون مَنْ أوقعهم في هذه المُعْضِلـةِ المُبْلِسةِ، وبعدَ حين مَنَّ مـولانا الإمامُ - عليه السـلامُ - على جُباحِ المذكورِ بالتأمينِ، ورجـوعِهِ إلى دارِه وبلدِهِ، وقدْ ذاقَ في اغترابِهِ ما لا يُوْصَفُ مِنَ الخزي المبين.

وفيها مالَ أهلُ بُرعِ إلى الخلافِ، والسببُ في خلافِهِـم هو ما ذكرناه أوّلاً من استيلاءِ الضـالِّ الإدريسي وأعوانِه على الحُدَيْدَةِ ومـاحولَها، وبَاجل ومـا إليه من قبـائلِ القُحري وغيرِهم، فصـارَ جبلُ بُـرعٍ محاطاً بأهلِ الخلافِ من كلِّ جـانبٍ، وتعلُّقُ أهلُ الجبلِ المذكـورِ بأهلِ التهـايمِ معلـومٌ حتى كـأنهم من أهلِ تُهامـةَ، فكانـوا يشوقونهم للخـلافِ، وانضمَّ إلى ذلك ماكان بينَ عـاملِ الجبلِ المذكورِ السيدِ عليِّ بنِ أحمدَ بن إبراهيمَ[1]، وحاكمِهِ القاضي عزى عطاء الله من التنافسِ والخصومةِ، إلى أن اقتضى الرأيُ الإماميُّ عزلَ الحاكمِ المذكورِ، لما نُسِبَ إليه من

(١) علي بن أحمد بن إبراهيم: (أمير الجيش) تـولى إمـارة الجيش خلفاً للشريف عبـدالله الضُمين، وظل في منصبه طيلـة فترة حكم الإمام يحيى والإمام أحمد وعزلـه الإمام البدر، سجن عند قيام الثورة ثم أطلق سراحه انظر، حياة الأمير، ٥٧١ .

التشويقِ على الخلافِ، وكان تعيينُ القـاضي عبدِالله الصائغ مكانَـهُ في حكومةِ الجبلِ المذكورِ، وصـادفَ في ذلك الحينِ حصولُ الإذنِ من مولانـا الإمام/ نصره الله للعاملِ المذكـورِ بالطلوعِ إلى صنعاءَ؛ لـزيارةِ أهلِه وأولادِه فاستنـابَ مكانَه أخـاه سيـدي حسين بن أحمدَ بنِ إبـراهيـم، فخفيَ عليـه مـا أجمعـوا عليـه من العصيان، وركوبِ غاربِ العدوانِ، إلى أنْ ثاروا في جميعِ الجبلِ، وحاصروا وكيلَ العاملِ ومَنْ معه من جندِ الإمامِ. / ٦٦

ولّما بلَغ الخُبر مسامعَ مولانـا الإمام، جهَّز سيدي، فخـر الإسلام،عبدَالله بنَ قاسم حميـد الدين بعصابَةٍ من جنـدِ الحَقِّ، وأصحَبَهُم إحدى المدافعِ مغيراً على من في الجبلِ المذكـورِ، وكـانت طـريقُهم من بيتِ القـابلي[1] إلى أنْ وصلـوا إلى الجبلِ المذكـورِ، وكـانت بينهم وبينَ المخـالفين حـروبٌ فـإنهم وقفـوا أمـامَ المجـاهدين وأميرِهـم لصدِّهم عن الـوصـولِ، وبذلـوا في ذلك كلَّ مجهـودِهم، ولكنَّ جندَ الحقِّ لم يبـالِ بهم فهزَمهم مـراراً، وهو سائرٌ في طـريقهِ، إلى أنْ وصلَ إلى رُقاب[2]، مركزِ عمالةِ الجبلِ المذكـورِ، وفرّج عن المحصورين، وأعلنَ الأمانَ لمنْ بـادَرَ إلى الطـاعـةِ، ولم يبقَ إلا اليسيرُ منهـم، فجـاءتهم أمـدادُ أعـوانِ أهلِ الضـلالِ من قبائلِ القُحـري وغيرِهـم، وسرعـانَ مـا عادوا إلى الخلافِ. وجـرتْ بينهم وبينَ جنـدِ الإمـامِ حـروبٌ عـديـدةٌ، إلى أن عـادَ الحصـارُ كما كـان، واللهُ المستعان، فكان من مولانا الإمامِ - عليـه السلام - تجهيزُ الأجنادِ الوفيرةِ العددِ

(١) بيت القابلي: من قرى حراز على مقربـة من وادي سهام انظر، نيل الوطر، ١٩٧، معجم الحجري، ٢/ ٦٤١، معجم المقحفي، ٥٠١ .

(٢) رُقـاب: مركـز ناحيـة رأس جبل بُـرع، من أعمال الحُدَيدة، المشرف على تُهامـة، يتصل بالجبل من الشمال وادي سهام الفاصل بينه وبين بلاد القحري من قضاء باجل، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٦٩، رياض الرياحين، ١١١، معجم المقحفي، ٢٧١ .

والكثيرةِ العُـدَدِ، وعيَّنَ لهم أميراً السيـدَ عليَّ بنَ أحمدَ بنِ إبـراهيم، عَـامِلَ بُـرَع، وخرج مولانا الإمامُ - نصره اللهُ - لـوداعِ الجيشِ المذكورِ إلى خارجِ بابِ القاع، غـربيّ صنعـاءَ، وأمـرَ الإمـامُ عـاملَ مَفْحقٍ(١) السيـدَ العماد يحيى بنَ أحمد[١] الكبسي(٢) بجمعِ عصابةٍ نافعةٍ أيضاً من أهل الحَيْمةِ الخارجية. [٢ وكانت طريقُ الجيشِ المذكـورِ من الحَيْمَةِ الخارجيـةِ، فاجتمـعَ الجندُ الإمـاميُّ كلُّه في أطـرافِ الحَيْمـةِ الخارجيـةِ٢]، وقـد اشتعلتْ نـارُ الخلافِ إلى بـابِ المِحْيَـام(٣)، فبـاشروا الأعـداءَ بـالحربِ، وساقـوهم أمـامَهم بعـزائمَ قـويةٍ، وفتكـاتٍ عنتريـةٍ، حتى أجْلَوْهُم عن الخبتِ وبني شَرْعَب وغيرِها فالشطبةِ(٤) وعطّار، وتسنّموا جبلَ بُرع حـربـاً، واستـولـوا على مـا في طـريقِهم من القـرى، إلى أنْ وصلـوا إلى رُقـاب، واجتمعوا با لمحصورين. وأزالوا عنهم الحصارَ وامتلأتْ أيديهم بالغنائمِ ولا قى منهم الأعـداءُ حرباً يشيـبُ منها الـوليدُ، ويلينُ لهولها الحديدُ، واشتملـتْ هذه الحروبُ على معـاركَ عديـدةٍ، كلُّهـا كان نصرُ اللهِ مصـاحبـاً/ فيها لجنـدِ الحقِّ، والخذلانُ في جـانبِ الضـلالِ الأشقِّ مع تـوالي[٣] الامـدادِ للباغين من تهامـةَ، / ٦٧

(١) مَفْحَقٍ بلد وحصن في ناحيـة الحَيْمَة الخارجية وأعمال صنعاء، انظـر، معالم الآثار، ٣٧، اليمن الكبرى، ٥٩، معجم الحجري، ٢/ ٧١٥ .

(٢) يحيى بن أحمد بن يحيى بن أحمد الهجوة الكبسي ت في ضُوران مـركز قضاء آنس في ٢٣ جمادي الآخرة ١٣٥٩ هـ سياسي، معروف بحبه للخير ونشر العلم، كـان عامل مَفْحَق ثم الزَّيْدِيَّة ثم النّادرة ثم آنس، انشأ المدارس، ومـدساقية من السيل الأعور إلى النّادرة، كان قريباً من الإمام البدر، ولد في صنعاء سنة ١٣١٤هـ، انظر، هجر العلم، ٢ ١٨٠ .

(٣) المِحْيَام: مـوضع بأقصى بلاد الحيمة الخارجيـة فيما بين أطراف بلاد رَيْمَة وبُـرَع، انظر، أئمة اليمن، ٢/ ١٢٢، معجم المقحفي، ٥٦٩ .

(٤) الشطبة: من قبائل حاشـد ثم من بني جُبَر من ناحية ذي بين، انظر، معجم المقحفي، ٣٥٥، معجم الحجري، ٢/ ٤٥٢ .

[١] في س، أحمد الهجوة الكبسي. [٢] سقطت من س. [٣] في س، توالي وصول المدد.

ولذلك أيسَ أهلُ الجبلِ من حصـولِهم على المرامِ الشيطاني، فمالوا إلى الطـاعةِ، وأقبلوا بعقـائرِهم إلى المقادمةِ، يبذلـون الطاعةَ، ويطلبون العفـوَ عنهم فيما أتَوْهُ من أعمالِ الفظاعةِ، فقابلهم أمراءُ الإمـامِ بصدورٍ رحبةٍ، وكادَ الصلاحُ أن يسودَ في تلك الـربوعِ، وأريجُهُ في تلك الأرجـاءِ أن يضـوعَ، إلاّ أنَّ الجيشَ قد امتـلأتْ أيديهم بـالغنائمِ، فكلُّهم يوُّدون الـرجوعَ، ويتمنون وجـودَ الوسيلةِ لـذلك، وقد كان أعوانُ الضـلالِ أعملوا الحيلةَ بعد انهزامِهم إلى تُهامـةَ في تلك الفينةِ، فإنهم أرسلـوا جمعاً عظيماً إلى عُبـال[1]، وأمـروُه بولـوجِ الخبتِ الموصلِ إلى جبل بُـرَع، ليقطعـوا طـريقَ الجبلِ، وكـانت تلك الجهـةُ خـاليـةً عن الحُماة، ولم يكنْ أمـامَ الأعداءِ من يمنعهُم عن الولوجِ فيهـا والاستيلاء عليها، فلم يشعرْ منْ في الجبلِ من الجنـودِ الإمـاميـةِ إلاّ وقـد قُطعت عليهم الطـريقُ مـن ورائِهم بـاستيـلاءِ التهاميين عليهـا، وتقرُّبهم من الشطبـةِ وعَطّار، وانضمَّ إلى ذلك، أنَّ شرذمـةً من الجندِ الإماميّ أُرسِلوا إلى بعضِ القُـرى في إحدى العُزَلِ التي لم يتمَّ صلاحُ أهلِها ودخولُهم في الطاعةِ، فاحدقَ عليهم جنـدُ البغاةِ وضايقوهم، وهم في مكانٍ غيرِ حصين، ولم يكنْ للجندِ الإمـامي علمٌ بما قد جرى، ولا استطـاعَ المحصورون أنْ يُـرسلوا إليهم خبراً، فتـدركُهم النجـدةُ، فـدامَ الحربُ عليهم يومين، واستُشْهِـد أكثُر رجـالِ تلك الشرذمةِ، بعدَ أنْ قتلوا من البغـاةِ أضعافَهم، والباقون خـرجوا بينَ رصـاصِ البنادقِ، ونَجَـوْا إلى المحطةِ، وبكلِّ تلك الأمـورِ، اضطربَ الجنـدُ الإماميُّ، وعَوَّل الكثيرُ منهم على العَـوْدِ من الجبلِ، بما معهم من الغنائمِ، إلى أنْ

---

(١) عُبَـال: شرق جنوب بـاجل بين الحَجَيْلة ومـدينة العبيـد، كانت محطة للمسافـر قبل الـدخول في صحـراء تهامة، من بـلاد القُحَرى، بـالقرب من وادي سهـام انظر، البـدر الطـالع، ١/ ٤٥٨، حيـاة الأمير، ٦٢٥، معجم المقحفي، ٤٢٢، معجم الحجـري، ٢/ ٥٧٣.

....

قلَّ عددُ الجنـدِ الإماميِّ، ولمْ يبقَ غيرُ أهلِ البصـائرِ والثباتِ، وتتـابعت الامدادُ من تهامةَ إلى الجبلِ، وكثـرت الغزواتُ منهم على جندِ الإمامِ، والمبـاكرةُ والمرواحةُ بالقتـالِ، فعاد الحصـارُ كما كان، واشتعلَ الجبلُ بنيرانِ المخـالفين والبُغاةِ إلاّ أنَّ الحصارَ لمْ يكنْ كسابِقِـهِ، والسببُ: وفورةُ عددِ الجندِ الإمـاميِّ المحصورِ، ووجودُ الأقواتِ وما يحتاجون إليه من الزاناتِ[1]، ولذلك لم يجسُرِ البغاةُ على الدنوِّ من رُقَاب، واكتفـوا بالإحـاطةِ بـه، وإكمالِ ما يلـزمُ لذلك مـن الأسبابِ والمنـاوشةِ بالحربِ من/ بُعد، وقد تعدَّد المقـادمةُ المحصورون، وحين بلغَ ذلك الخبرُ مولانا الإمامَ، جَهَّـزَ جيشاً جراراً لإنجـادِ المحصورين، والإنتقـامِ من الباغين، وجعلَ عليهم أميراً السيـدَ الأجلَّ أحمدَ بنَ يحيى الكبسي[2]، عـاملَ بـلادِ الـروس وبني بُهْلُول، ومعـه القاضي عبـدُالله بنُ أحمد العرشي مشاركـاً له في الإمـارة، وكان في الجيشِ نحـوُ خمسِ مئـةِ رام من حاشـد خـاصـة، فبادرَ المقـدميـان ومن معهما بـالمسيرِ، وكانت طـريقُهم طريقَ السـابقين، إلى أنْ لاقَوْا جموعَ البغـاةِ في الخبتِ الموصلِ إلى بُرع، فلـم يقفْ أمامَهم جمعٌ إلاّ حصدوه، ولم يعترضهـم من الباغين منعٌ إلاّ ردّوه وبدَّدوه، وتسلَّقوا الجبلَ بعدَ طعانٍ وضرابٍ وكفاحٍ وحزِّ رقابٍ، إلى أنْ وصلوا إلى رُقاب، وفكُّـوا الحصارَ، وأذاقوا الأعداءَ كؤوسَ الـدَّمار، وعلى كثرةِ من قُتَلَ من البغـاةِ وأعوانِ الضـالِ[1]، لم يحرز الشهـادةَ من جندِ الحقِّ إلاّ عـددٌ قليلٌ، وقد كـان جيشُ الضلالِ [2... استَعْدَّ وأعـدَّ...2] ووقفَ لهم بالمرصـاد، فلم

(١) الزانة: السلاح والذخيرة.

(٢) أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى الْمَجْوَة الكِبسي ت بصنعـاء في ٧ ذي الحجـة ١٣٤٥، سياسي اداري، تولى أعمالاً كثيرة، كـان عضواً في مجلس المبعوثان، ثم تـولى للإمام يحيى أعمال خَوْلان ثم بلاد الروس وبني بهلول، كلف بمقابلة أمين الريحاني ومحادثته حول ما جاء من أجلـه، ولد سنة ١٢٩٠هـ، انظر، ملوك العـرب، ١/ ١٧٣، أئمة اليمن (سيرة الإمام يحيى)، ٢/ ١٩٣، هجر العلم، ١٧٩٩ .

[١] في س، الضلال.   [٢ - ٢] في س، استعد وأعدّو .

ينفعْـه عددُه ولا أنجَـدَهُ مددُه، وكـادَ الخرابُ يعمُّ القرى التي على الطـريقِ إلى رُقاب، ومع ذلك فما زال الضـالُّ يجّهزُ الجيوشَ من تُهامةِ الشـام، علاوةً على من في تهامةِاليمنِ مـن الجموعِ، وجعلَ جبل بُـرع محّطاً ومجالاً لإدارةِ رحى الحروب، ومغالبـةِ اللهِ تعالى، واللهُ هو الغـالـبُ وليس با لمغلـوب. ولما زال الحصارُ اجتمعَ الجندُ الإمـاميُّ إلى رُقاب ومـا حولَـه، وكان إصلاحُ الجبلِ يحتـاجُ إلى التريُّثِ من الجندِ برهُـةً، وا لمخالفون يحتاجون إلى أنْ يكـونَ استئصالُ شأفتِهم بقطع الأمدادِ عنهم، ولكونِ الجندِ الإماميّ جَعلَ الوصولَ إلى رُقاب نصبَ عينيه، والأمرَ المهمَّ لـديـه، أخلَّ كسـابقِهِ في وضـعِ مَنْ يمنعُ وصـولَ الأمدادِ من عُبـال فـالشطبـة وعطّـار، وجعـلَ جيشُ الأعـداءِ كلّما لحِقَتْـهُ الهزائمُ في ذُرى الجبل ينخفضُ إلى تهامةَ، ويأتي إلى عُبـال، ومن هنالك يصلُ إلى مرادِهِ من زلـزلةِ مَنْ في الجبلِ، ولا يُنكَرُ ما كان من المقادمةِ من تقصيرٍ في توجيهِ عزائِمِهم إلى سدِّ هذا الخرقِ، وإن اعتـذروا بأنَّ ذلك لو التفتـوا إليه لأوجبَ استغـراقَ معظمِ ما معهم من الجنـدِ هنـالك، ويفـوتُ الغـرضُ من التمكّنِ من الإفـراجِ عـن المحصـورين، وعلى الجملـةِ فإنّـه لَمَ يحصلْ من هـذه الجيـوشِ الثلاثـةِ مـا يُـرادُ من إصـلاحِ الجبلِ المذكورِ، وإنْ كـان نصرُ الله مصاحباً لهم / في كـلِّ واقعةٍ على كثرتِها وتعـدُّدِها، / ٦٩ وقد أنـزلوا بالأعـداءِ ما لا يُستطاعُ وصفُه من النكـايةِ، وأبلوا بـلاءً حسناً، وبُلِيَ منهم الأعـداءُ بـالداهيـةِ، لـولا مـا كـان يأتيهم من الإمـدادِ المتواليةِ وإعـانـة النصارى للضّال[١] با لمهماتِ واللوازمِ التي يحتاجُ إليهـا الحربُ، وهو يفرقُّها على أعوانِهِ بغيرِ حسابٍ، وسيأتي قريبا - إنْ شاء اللهُ - بيانُ ما انتهى إليه الحالُ.

ولنـرجعْ إلى بيـانِ مـا كـان من الحروبِ في بني سعـد المقابلِ لهذه الجهـةِ، فنقـول: قد سبقَ بيـانُ ما انتهى إليـه حالُ جيشِ حَـراز ووقوفُـه في مراتبِـه بإزاءِ

[١] في س، الضال الادريسي.

جيوشِ الضال ومراتبِهم.

وفي إحدى الليالي، نزلتْ عصابةٌ من الجندِ الإماميِّ دونَ المئةِ، وهمْ من أهلِ الحَيْمـةِ، إلى وادي المرقـوعِ، لعلّهم يجدون فـرصــةً في جيشِ الأعـداءِ، فـالتقَـوْا بـالشريفِ حمود الـدايلي، رئيسِ جيشِ الإدريسي في تلك الجهـةِ، وأحمد حـزام، أحـدِ مشايخِ القُحـرَي، ومعهما ثُلَّة كبيرةٌ من أصحـابِهم ومن أهلِ البلادِ، وقـد كان المذكورون تعـاقدوا على غزوِ جندِ الإمامِ ليأخـذوا منهم الثارَ، ويغسلوا عن أنفسِهم عـارَ الفـرارِ، ففـوجئـوا من تلك العَصـابةِ الحَيْميـة بـالحربِ الـزؤامِ، والهجومِ عليهم بأيّما اقدام، فأصيبَ الشريفُ المذكـورُ، واستولى المجاهدون على فرسِـهِ، ورُميَتِ الفـرسُ الثانيـة، وفرَّ راكبُهـا، وانهزمَ الأعداءُ هـزيمةً فـاضحةً، وحملـوا شريفَهم مجروحــاً، وقـد تحقَّق مــوتُـه من تلك الجراحــةِ، ولم يسِلْ من المجاهديـن دمٌ في هذه الوقعةِ، وعـاد المجاهدون بالفـرسِ إلى المحطةِ، وما زال أهلُ البلادِ يوالون الغزوَ ليـلاً، على المراتبِ، والجندُ الإماميُّ يضعُ الغوائلَ لهم في طـرقِهِم التي يأتـون منها، فـلا يشعـرون بعـدَ توسُّطهم إلا بـالـرمي عليهم من أمامِهم ومن خلِفهم. ففي ليلتين حُـزَّتْ من الباغين خمسـةُ رؤوسٍ، فانقطعت آمالُهم من الغـزوِ على الجندِ الإمامي، وتـاهوا في التهـائمِ، وانحلّت منهم العُرى والعــزائم. ومـات الكثيرُ منهم في ذلـك الاغترابِ، وحفـروا لأنفسِهم حفــرةً تجرّعوا فيها مـرارةَ الأوصابِ، واستقرتْ مراتبُ جندِ الإمــامِ هنالك في الجمجمةِ من بني الحمادي، وجبلِ الطرواح[1]، وهو أحصنُ محلٍّ في بني سعد، إلاّ إنَّ الماءَ بعيدٌ منه. وفي طرفِ القــوازعةِ وفي القرداعِ[2] فوقَ وادي القصبةِ[3] بالقربِ من

(١) جبل الطـرواح: هـو الجبل الـذي بنى فيه الإمـام يحيى حصن الـزاهـر، انظـر، معجم الحجري، ٢/ ٣٨١، معالم الآثار، ٥٧ .

(٢) لغة في القرادعة.

(٢) وادي القصبة: شمال مسـار منه تمر الطريق الحديثة إلى صنعـاء، انظر، اليمن الكبرى، ٧٨ معجم المقحفي، ٥١٧ .

حـدودِ بني إسماعيل والعارضـة ومقـامِ المقـادمة، ومعهم المدفعُ في الشرف ومـا حولَه مع المحافظةِ على بقـاءِ رتبةِ مَدْوَلَ والطَرَفِ وبني جرين[1] ومراتبَ أخرى لحفظِ الطرقاتِ مع فرارِ أهلِ البلاد.

وكـان الجيشُ مستغـرقـاً في تلك المراتبِ لاتسـاعِ الأطـرافِ، والحربُ غيرُ منقطعٍ في المراتبِ/ ومن بإزائِهم من جندِ الضال. / ٧٠

وفي أثناءِ ذلك راسلَ مقادمةُ مولانا الإمام عن أمره - أيده الله - أهلَ البلادِ برجوعِهم إلى ديـارِهم وتأمينِهم مِنْ تعرُّضِ الأجنادِ في الأغـوارِ والأنجادِ، فرجعَ الأكثـرُ منهم لكـن خفيـةً من جنـدِ الأدريسي؛ لأنهم منعـوهـم من ذلك. ومَنْ وجدوه منهم راجعاً نهبوه وضبطوه، وأرسلوا به إلى جيزان.

وهـذه عاقبـةٌ من اسـوأ العواقـبِ، وحقيقةٌ فيهـا مجالُ العبرةِ واسعٌ لحاضرٍ وغائبٍ. فالمذكورون نادوا على أنفسِهم بـالهلاكِ باستقدامِهم أعوانَ الضلالِ إلى بلادِهم، وأرادوا المكرَ بجندِ الحقِّ فمكرَ اللهُ بهم وأذاقهم وبالَ عنادِهم.

وفيها أشعلَ الضالُّ نارَ فتنتِهِ في جميعِ تُهامةَ، وجمعَ كلَّ شريرٍ إليه، وأرسلَهُم إلى المحطّـاتِ، وضمَّ إليهم مَنْ خـذلَهم اللهُ مـن حَـاشـد وبَكيل أهلِ الأطماع، والكلُّ هَمَجٌ رُعـاع فتكـاثـرت جموعهم في أطـراف تُهامـة بإزاء المجـاهـدين، وتعدَّدَتْ محطاتهم من الحمرة إلى عُبال، وما كيدُ الكافرين إلاّ في الضّلالِ، وكانَ الحربُ سجـالاً بينهم وبينَ المجـاهـدين على صفـةِ المغـازي من سمهـر[2] إلى المرقوع، وكـانَ من الأعداءِ ثلةٌ كبيرةٌ في حصنِ المقفل فـوقَ الحمرةِ، وعليهم علي

(١) بنو جرين: عُزْلة من ناحية صَعْفـان من حراز من أقسام مَتْوَح، انظر، معجم الحجري، ١/ ٢٥٤، معجم المقحفي، ١٦٤ .

(٢) سمهر: الاسم القديم لمدينة الزهراء التي اتخذها الادريسي، انظر ص١٩ من المخطوط .

دحّـان الأحمر، والسيدُ حسين النـزيلي من أصحابِ الضـال، فدبَّـرَ حاكمُ العـرِّ وأميرُ الجيشِ أمْرَ كشفِهِم وطرْدَهُم من ذلك الحصنِ، فجّهزوا عليهم السيدَ أحمدَ بنَ علي الصَعْدي ومعـه أهلُ الحَيْمَةِ عنوةً من جهةِ العـدِن والغرب، ومن جيشِ النظام بلوكان معهم ضباطُهم عنوةً من طريق الوادي على أنْ يكونَ مرورُهم من الـوادي وصعّودهم إلى عـرضِ قَيْهمة شرقيَّ المقفل، فتقـامرت خطى البلـوكين عن اجتيـازِ الوادي إلى عرضِ قَيْهمـةَ، وأمدَّ أهـلُ الضّلالِ أصحابَهم مـن محطةِ الحمـرةِ، وارتقوا إلى المحلِّ الـذي قصرت عنـه النظام، ومنعـوا أهلَ الحَيْمـةِ من الـوصـولِ إلى الماءِ، واستمَّـر الحربُ بينَ الفـريقين إلى أنْ غـابت شمسُ ذلك اليومِ، وكـان يومـاً عظيماً ابتُلِيَ المجاهـدون فيه بـالعطشِ، ثم عـادوا إلى المحطةِ سالِمَين، وأُصيب يـومئذٍ السيدُ حسن شرف مـن أهلِ الحَيْمَةِ برصـاصتين في قعرِ الـوادي، إحداهما في صـدرِه، ولم يصلْ إليه أصحـابُـه مع مشاهـدتِهم مصابَـه، فأيسـوا منـه، وأخبروا الحاكمَ باستشهـادِه، وبعـد يـومين وصلَ ببنـدقِه مـاشيـاً والجراحـاتُ على ما هي عليـه وقتَ الإصابـة، فأخبرَ أنّه تحاملَ نفسَـه إلى كهفٍ صغيرٍ عليه شجرةٌ، وكرَّرَ تلاوةَ سورةِ يسن، وبعدَ رجوعِ المجاهدين إلى المحطةِ مضى جماعـةٌ من الأعـداءِ على بابِ الكهفِ، فأعمى اللهُ أبصـارَهم عن رؤيتِـهِ، وهو يسمعُ حـديثَهم، وأفادَ أنه سمعهم يقولـون: إنَّ قتلاهم وجرحاهم ثـلاثون نفراً.

وفي الليلِ خـرجَ إلى وادي سُرْدُد[1] وشربَ منـه ثم رقى عـرضَ الجبلِ الـذي

(١) وادي سُرْدُد: أشهر وديـان اليمن، ينبع من الهضبة الفاصلـة بين جبال الحَيْمة الـداخلية وبـلاد الطويلـة ثم يلتقي مع مصبات جبلي حُفـاش ومِلْحَان وينتهي في البحـر الأحمر، ويسقي بلاد الزيدية والمهجم، انظر، البلدان اليمانية، ١٤٨، معجم الحجري، ٢/ ٤١٩، معجم المقحفي، ٣١٣.

كان فيـه/ المجاهدون وبـات فيه إلى الصباحِ، وانحـدرَ إلى أنْ وجدَ راعيَ غنمٍ، / ٧١
فسقاه ذلك الراعي من ألبـانِ غنمِهِ حتى روي، وحمَلَهُ الرعي إلى معـزابه، وباتَ عنـدَه ليلةً، وتـوصَّل في اليـوم الثالث إلى الـوصولِ إلى حـاكم العـرّ بسلاحِـهِ، فأرسَلَه إلى مَنَاخةَ للتداوي، [١ورزقَه اللهُ الشّفاء١]، مَنْ جراحِهِ التي قلَّ أنْ يعيشَ بعدها في العادةِ من أُصيبَ بها، وإنما ذكرنا قصَّته لما تضمَّنَتْ مِن الكرامةِ لمولانا الإمـامِ - عليه السـلام - وظهـورِهـا في بعضِ أفرادِ جنـدِه، وسَتْرِهِ عن أبصـارِ الأعداءِ، ولله المنّة.

ولما طـالَ بقاءُ الأجنـادِ في مراتِبِهم، عـاتبَ الإمـامُ - نصره اللهُ - مقادمتَـهُ، ونسبَ إليهم التـوانيَ وعدمَ تـرقُّبِ الفُرصِ، واقتضى الحالُ بعـدَ ظهورِ تبـاينِ إفاداتِ المقادمةِ إرسـالَ كاشفٍ عن الأحوالِ، فأمَرَ مولانـا الإمامُ سيدي عباسَ بنَ علي بن اسحَق، فتوجَّه إلى هنالـك، وطاف مراتبَ الأجنادِ، وفحصَ عما قيلَ من التـواني، فلم يتقـرّرْ من ذلك مـا يتحقَّقُ بـه ثبـوتُ الإسنـادِ، ولكنَّ اتسـاعَ الأطرافِ، وتـوزُّعَ الجيشِ إلى مراتبَ بحسبِ حـالِ العدوِّ، كانَ أعظمَ مـوجباتِ تأخرِّ الوقعـاتِ الحاسمةِ، وصادفَ في ذلك الحين وصولُ السيدِ العـلامةِ عبدِالله بنِ أحمد الوزير إلى الحضرةِ الشريفةِ زائراً.

فأمره مولانا الإمامُ بالعزم إلى تلـك الجهةِ، ووّلاه رئاسةَ المقادمةِ وأمدَّه بجندٍ كثيفٍ، وتابعَ إرسالَ الامدادِ إليه، حتى كُثَـر الجندُ الإماميُّ هنالك، وصارَ عدَدُهُ يربو على ثلاثةِ آلافِ مقاتلٍ، فاستقر السيدُ عبدُالله الوزير في بيتِ المشرقي(١) من جبل الطَرَفِ، وهنالك اجتمعَ إليه المقادمةُ السابقون، وأعملوا الرأيَ في مناجزةِ

---

(١) بيت المشرقي: عُـزْلة في جبل الطَـرَف، في نـاحية صَعْفَـان في جبل حراز، انظـر، معجم المقحفي، ٤٠٢ .

[١ - ١] في س، وشفي.

الأعـداءِ، واستقـرَّ الـرأيُ على أن تكـونَ عنـوةُ أميرِ الجيشِ الشريـفِ عبـدالله الضُمين، ومن معه من النظامِ قصدَ محطةِ المرقـوع، ومَنْ فيها، وحاكم العرِّ ومعه أهلُ الحَيْمـةِ محطـةَ بـابِ العينِ، والسيـد عبدالله الـوزيـر، وبـاقي الجَيش بـابَ القارة[1] ومناجـزةُ الأعداءِ في يـومٍ واحدٍ من جميـع الأمراء. وكان ذلـك في شهرِ جمادى الأولى من هذه السنةِ، فقامَ الجميعُ بما انتُدِبـوا له، واستقر السيدُ عبدُالله الوزير في جبل يـابس، وقَدِم مَنْ معه من حاشد وبكيل إلى بـابِ القَارة وجرى بينهم وبينَ الأعداءِ حـربٌ مهولةٌ، وشرعَ الأعداءُ في الانهزامِ، فتداركتهـم طائفةٌ من جندِ الضلالِ [1] خرجوا من عُبال، وجـاءوا من وراءِ ظهورِهم، وكان السيدُ عبـدُالله الوزيـر ومن معه قـد تركـوا من يصـدُّ الغارةَ من عُبـال عنهم، فحصلَ الضررُ من أولئك، ولم يسعِ الجيشَ المتقـدمَ إلى بـابِ القَارةِ إلا التأخـرُ إلى جبلِ يابس بـانتظامٍ، وهنالك كـانت محطةُ السيـدِ عبدِالله الوزيـر، ووقع من الطرفين قتلى وجـرحى، واستُشهِدَ يـومئذٍ النقيبُ صـالحُ بنُ أحمد ردْمان رحمه الله وأمـا/ /٧٢ حاكمُ العـرّ ومنْ معه من أهلِ الحَيْمةِ، فإنها هـاجت الحربُ بينهم وبينَ الأعداء في جبل سُـوَيْـد[2] ووادي الحارث[2]، فهـزم اللهُ جنـدَ الضـلالِ، وتبعهم المجاهدون، واستـولوا على محطةِ العينِ وما فيها من جبخانـةِ مدفعِ العدوِّ وغيرِ ذلك، ولم يقفوا هنـالك بل تبعوا الأعداءَ إلى قـربِ البَحيح، وبقيَ الحاكمُ ومعه نحـوُ عشرةٍ في وادي الحارثِ، فلـمْ يشعـر الحاكمُ إلا بتقـرّبِ جيشِ الأعـداءِ

(١) القـارة: من مخلاف جبل الشِّرق وأعمال آنس، والقـارة لغة الأكمـة، والقـارة في اليمن كثير، انظر، هجر العلم، ١٦٤٣، معجم المقحفي، ٥٠١، معجم الحجري، ٢/ ٦٤١ .
(٢) جبل سُـوَيْد: بلد مـن آنس، وبنو سُـوَيد من قبـائل جُماعة وأعمال صعـدة، والمقصود العُـزلة من مخلاف بني حـاتم وأعمال ضُـوران آنس انظر، معجم الحجـري، ٢/ ٤٣٥، معجم المقحفي، ٣٣٥ .

[١] في س، الضال. [١] في س، الحرث.

الـذين خرجـوا من عُبال، ومن كـان في القـارة من الوادي، فـارتفع الحاكمُ من مكانِـه إلى حزةِ الجبلِ، وقـد داخله كـربٌ عظيمٌ ووجَلٌ على المجاهديـن الذين توغّلوا في متابعةِ الأعداءِ إلى قرب البُحيح، ولكنَّ اللهَ ثبَّتَ المجاهدين بما وضعوه وراءَ ظهـورِهم من الرتبِ في الآكـامِ التي اجتـازوا بها، فحين تقربَ الآتـون من عُبال إلى الـوادي، صدَّتْهم تلك التعـاقب عن ولوجِ الـوادي والتمّكنِ من قطعِ الطريقِ على المجاهدين ودافعوهم مُدافعةً حسنة، وردّوهم على أعقابِهم ، وحين شاهدوا الحريقَ بالقربِ من البُحَيْح، وجهوا عنانَ قصدِهم إلى تلك الجهةِ، وقد ثنى المجاهـدون أعنَّةَ عـزمِهِم على الرجوعِ إلى بـابِ العينِ، وباتـوا هنالك على سلامةِ خواطرَ وقرارةِ عين.

وأما أميرُ الجيشِ ومَنْ معـه من النظام، فإنّهم تقّـدموا على المرقـوعِ، وهاجموا مِنْ فيه مهـاجمةَ الأسودِ بكلِّ قلبٍ غير مروَّعٍ، فهـزموهم منه، وطردوهم وسـاقوا خلفَهم واستولوا على المرقوعِ، وما حـوله من الجبالِ، وتوّغلوا في الخبتِ، ولكنّهم لم يجدوا بُدًّا من العَوْدِ بمـدفعِ الإمام إلى محلٍّ يتحصّنون فيه، فإنـه لم يكنْ هنالك محلٌّ ولا معقلٌ يُـؤْمَنُ فيه مِنْ غـدرِ العدوِّ ومخاتلتِه، ولا في وقـتِ سكونِ الحربِ والهدوء.

وفي ثاني يـومِ هذه المعـاركِ، أقبلَ الجيش من تُهامـةَ خيلاً ورجـلاً، وقصدوا مَنْ في بابِ العينِ مِن جنـدِ الإمام بكليةِ[1] قواهم، وجَـرَتْ بينَ الفريقين حربٌ عظيمةٌ تأخر المجاهـدون في آخرها إلى حصنِ حَماطةَ(1)، وما زالت الحربُ بينَهم ثائرةً، وهم ثابتون كلَّما هجم الأعـداءُ عليهم ردُّهم على أعقابِهم بصفقةٍ خاسرةٍ، وكذلك من سـواهم من طوائفِ الجندِ الإمامي، إلاّ أنَّ الشـدَّةَ كانت على مَنْ في

(١) حصن حَمَاطـة: عُزلـة من ناحيـة حُفَـاش وأعمال المحويت، انظـر، نيل الوطـر، ٢٧٣، معجم المقحفي، ١٩٠ .

[١] في ص، قلي.

حصنِ حَماطةَ.

وفي هذه الأثناءِ، كانت المراجعةُ بينَ المقادمةِ ورئيسِهم، وإعمالُ الرأيِ فيما يكونُ ترجيحُه من تدبيرٍ وإحباطِ مساعي جندِ الضلالِ الواصلِ إليه المددُ الكثيرُ/ فترجَّحَ لَدُنْ رئيسِ المقادمةِ توجيهُ العزائمِ على عُبال وبابِ القارةِ، ٧٣ / والعاملُ القويُّ في ذلك، رجاؤه أنْ يُدْرِكَ منهم ثأرَه، وخالَفه أميرُ الجيشِ في رأيه، وقال: الصوابُ الآن المحافظةُ على رأسِ المالِ بحفظِ ما في أيدينا من الجبالِ، ويكونُ تكرارُ الغزوِ على مَنْ في الحدودِ والظهرُ محفوظٌ، فصمَّمَ الرئيسُ على رأيه وتابَعَهُ الآخرون امتثالاً، فرَتَّبَ الجبالَ من مَدْوَل إلى الزَّغْلا السفلى[1] بالأكثَرِ من حَاشد وَبكيل وفي بني سَعْد الشيخُ ناصر بن حسين الأحلسي، ومعه مئةُ رامٍ من أهلِ الشرقي في جبلِ الطَرواح والشرفِ والسيدُ محمد بن حسن القاسمي، ومعه عصابةٌ من الحَيْمةِ وبني الخَيَّاط[2] في الجمجمةِ من بني الحمادي، وتقدَّمَ أهلُ الحَيْمَةِ من الزَّغْلا على الكُرد[3] وسمهر ومعهم نظام سَنْحانْ نحو المئةِ، فرزقهم اللهُ الظفرَ على العدوِّ، وطردوا من في المرتبين المذكورين ورتبوهما، وتوجهوا إلى عُبَال وهم نحوُ ثلاثمائة رام، ومن في عُبال من الأعداء مشايخُ القُحرى، وسبعُ مئة رام، فهزموهم بإذن اللهِ، واستولوا على عُبال في الساعةِ الخامسةِ من تلك الليلةِ وغنموا ما في عُبال مِنَ الأموالِ. وقدْ

---

(١) الزَّغْلا السُّفلى: عُزْلة من مخلاف الشعر وأعمال النَّادِرة انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٩٥، والزَّغْلا، قرية من صَعْفَان من مخلاف الشِعر، انظر أيضاً، البلدان اليمانية، ١٤١.

(٢) بنو الخَيَّاط: بلدة في الطويلة، وبنو الخَيَّاط من أهالي جِبْلَة، انظر، الضوء اللامع، ٧/ ١٩٤، معجم الحجري، ٢/ ٥٥٩.

(٣) الكُرْد: من قبائل العَبْسِيّة في ناحية المراوعة من تُهامة شرقي الحديدة، انظر، معجم المقحفي، ٥٣٦.

أذهلتِ الأعداءِ تلك الـوقائعُ وبهرَهُمْ ما لا قَوْه في المعـامعِ، ووصلَ إلى عُبَال في صباحِ تلك الليلـةِ حاكمُ العزِّ، وهُنِّي المجـاهدون بما نالوه من نصرِ اللهِ العـزيزِ، وحفظِهِ الحريز.

ولما شـاعَ أخذُ عُبَـال في تهامةَ، قـامتْ على أعـوانِ الضالِ القيـامةُ، وشنّـوا الغاراتِ في طلبِ الرجالِ من الجرابحِ[1] والقُحرى والعَبْسِيّة[2] وغيرِهم، مع ما يتوالى وصولُه مـن لَدُنْ الضالِ من الامَدادِ برجالِ تُهامةِ الشـام، فوصلت الامدادُ أفـواجـاً إلى حـولِ عُبـال وتـوسّمـوا لقـدومِهم وقتَ الظَهيرةِ، لعلِمِهم أنَّ المجاهدين لا يصبرون على حرّ تهامةَ، فانهالتْ منهم على من في عُبال الرصاصُ كالمطرِ، فخرجَ إليهم المجاهدون من عُبال، ووثبوا إليهم كأنهم الأسودُ الضواري وطـاردوهم في تلك البراري، وحسبوا حـرارةَ الشمس ظلاً، وكثُـر عَدَدُهم قِـلاً، وساقـوا خلفَهُمْ إلى أنْ أوصلوهـم بابَ القارةِ ، ولاستيـلاء الرعبِ، كـان ممن في محطةِ بابِ القـارة الفرارُ مع المنهزمين، وثبت المجاهـدون في بابِ القَارةِ، وكفى اللهُ بأعمالِهم مـا كـان موكـولاً إلى غيرِهم من الاستيـلاءِ على بـابِ القَارةِ، فكـان ترتيبُها بهم، وترتيبُ الجبلِ الذي فوقَها با لمجاهدين من حاشد.

وفي اليومِ الثـاني من تلك الوقعـةِ، قصدَ الأعـداءُ الجبلَ الذي رُتِّبَ بـرجالِ حاشـد، فانجَلَوْا عنـه سريعاً، ولم ينتبهوا رتبـةَ بابِ القارة بما فعلـوا/ من البوارِ / ٧٤

(١) الجرابح: قبيلـة من تُهامـة، مـواطنهم في الضِحِى، شمالي الـزيدية، انظـر، نشر الثناء الحسن، ٣٣ معجم المقحفي، ١١٤ .

(٢) العَبْسِيَّة: نـاحية واسعة من تهامـة مركزهـا المراوعة، وهي من قبائل عك وبـلادها من سفح جبل بُرَع إلى ساحل البحر الأحمر، تتصـل بها من شمـاليها بلاد القحرى من أعمال بـاجل ومن جنوبيهـا بـلاد الراميـة والمنافـرة من قضـاء بيت الفقيه ابن عُجَيْل، انظـر معجم الحجري، ٢/ ٥٧٤ .

والمكائدِ، واللهُ العليمُ بمن في خلدهِ القلبُ السليمُ.

ولما ترك الحاشـديون الجبلَ، رقاه الأعـداءُ وزحفوا على من تحتهم في المراتب من الحَيْمَـة وسَنْحَان وأحـاطـوا على سَنْحَـانَ من كلِّ جانـب، فاستُشْهِـد منهم سبعةٌ رحمهم اللهُ تعـالى وأُلبِسَ العارَ كلُّ ماكـرٍ وعائب، ورجعوا بعـدَ أهوالٍ إلى عُبَال.

وفي اليوم الثـاني قصدَ الباغون عُبَـال، وفيه المجاهدون فبـادروهم بالحربِ، ولاقـوهم بقلوبٍ مشتـاقةٍ إلى الطعنِ والضربِ، فـانكسروا أمامَهم، وكـان ذلك الانكسـارُ خديعـةً منهم واستـدراجـاً؛ لأنهم كانـوا قـد أبـرموا أمـرَ خـداعِهم وحيلتِهم بأن وجَّهـوا أكثـرَ الجيـوشِ منهم إلى سهـام، وجعلـوهم كمينـاً للمجاهدين يأتـونهم من وراءِ ظهورِهم متى استدرجوا المَجاهـدين وأخرجوهم من عُبـال، فتمَّ لهم مـا أعملـوه من الحيلـةِ، وخـرج الكمينُ بعـدَ انفصـالِ المجاهدين عن عُبـال وانقسمَ إلى طائفتين: طائفةٍ منهم، حالـوا بينَ المجاهدين وبينَ الرجـوعِ إلى عُبال، وطائفةٍ مـرّوا على شفير سهام[1] إلى الجانبِ العدني من عُبَال، وأقلُّ الطائفتين نحوُ خمسِ مئـةِ رام، ولما عرَفَ ذلك من بقيَ في عُبال من المجـاهدين، وأنـه قد جيلَ بينهم وبينَ أصحـابِهم، ارتفعوا إلى الشُّـويع، أسفلَ بني جرين، ولم يظفـرْ منهم أعداءُ الله بما تقـرُّبهِ العينُ، وأما الـذين انفصلوا عن عُبَـال، فإنهم تـراجعـوا إلى أميرِ الجيش وهـو مع المدفعِ نـازلٌ على شفير الجبلِ المشرفِ على قاعِ سمهر، وقُتِلَ من أهلِ الحَيْمَةِ في حربِ عُبَال ثلاثةٌ.

---

(١) وادي سهام: يأتي من مشارف خَـوْلان العالية الغربية ووِعْلان وسَـامِك وعافِش وفَرْش آنس، وتنضم إليه السيـول من شمال آنس وجنوب بني مطـر وجنوب الحَيْمـة وجنوب حـرَاز وشمال جبـال رَيْمـة ويمـر بشمال جبل بُـرع، فيسقـي أرض المراوعـة والقَطِيع ويصب في البحر جنوب الحُدَيْدَة، انظر، اليمن الكبرى، ٣٩.

وفي خـلال ذلك، تقـدَّم جيشُ الضـالِّ الـذين في الحمـرةِ والمقفلِ وفيهم الشقيُّ علي دحـان الأحمر، وجمعَ من ألفافِ حـاشدٍ وغيرهم وبنـو سَعْد البـاقون على فرارِهـم، وقصدوا مراتبَ جنـدِ الإمامِ، فلم يثبـتْ قدامَهم أهلُ حـراز وبنو الخَيَّـاط، بل انكشفـوا عنهم بـدونِ ضرورةٍ، وارتفعـوا عن بني سعـد إلى بيتِ المشرقي، وصـادفَ وصـولُهم وقتَ وصولِ أميرِ الجيشِ إلى هنـالك ومعـه المدفعُ من جبلِ الطَـرَفِ، وحصـلَ من التخـاذلِ والتسـابقِ إلى الفـرارِ مـا لم يكنْ في الحسبانِ، ولم يظهْـر لذلك سببٌ سوى مـا يُظنُّ من إعجـابِ النفسِ الأمّـارةِ بـالكثرةِ، ومـا النصرُ إلاّ مِنْ عندِ اللهِ، ولا حـولَ ولا قوةَ إلا بـهِ، وانقشعَ الجيشُ اللّهامُ إلى صَعْفَانَ، وأخلَوْا جميعَ تلك المراتبِ في أسرعِ آنٍ واللهُ المستعان.

ومن كـراماتِ[١] مولانـا الإمام - عليـه السلامُ - لمّا ارتفعـت الجيوشُ على تلك الحالِ، وخـلَا منهم تلك البقاعُ والجبـالُ، تشوّق الأعـداءُ لمهاجهـةِ مَنْ مع المدفع الإمـامي، ولم يبقَ سـوى أمير الجيـشِ وبعضِ العـرائفِ، فثبتَ هنـالك، ودافعَ الأعداءَ بنفسِه ومعه الشيخ عون الدين أحمد مساعد الحُسيني[٢] / والشيخُ حسين القاسمي والسيـدُ أحمدُ بنُ علي الصعدي وآخرون، فَحَملـوا على الأعداءِ حتى هـزموهم إلى أطـرافِ بني مُـدَيْهن، وعـادوا إلى المدفعِ فحملوه وآلاتـهِ على الجمال، ومرُّوا من طـرقٍ لا يسلُكُها الحُفاةُ إلا على خطرٍ لصعـوبتِها، وذلك من عونِ الربِّ المتعالِ، وقد ذكرنا ارتفاعَ أهل الحَيْمَةِ مع حاكمِ العرّ إلى بني جرَين، فإنه استقرَّ هنالكَ، ورتَّب قـرى بني جرين من حصنِ الهادي الذي بقي فيه إلى حصنِ شلول، وطلـبَ مَنْ كان في صَعْفَانَ مـن مجاهدي أهلِ الحيمةِ إليـه، فلم يمهِلْهُم جيشُ الضالِ سـوى يومين، وتقدَّمَ منه نحـوُ الألفِ رامٍ من عُبال إلى

/ ٧٥

....

[١] في س، سعادة. [٢] الرجا في س.

أنْ وصلـوا وادي حـار تحتَ حصنِ الهادي، بحيثُ تَصِلُ رصـاصُ بنـادقِ المجـاهديـن إليهم، فمنعهم الحاكمُ من الـرّمي، وتقدّم البغـاةُ إلى نحـوِ نصفِ المسـافةِ التي بينَ السـوقِ والحصنِ، ووقفـوا عنـدها ولم يجسُروا على التقـدمُّ، بل باشروا عمارةَ متـاريسَ لهم، فانتخـب حاكمُ العرِّ ممـن عنده خمسةً مـن الضباطِ لرميهم فقتلوا منهم ثلاثةَ أشخـاصٍ، وجرحوا اثنين، فتراجعوا إلى السوقِ، وبقوا فيه إلى أولِ الليلِ وانسلّـوا هاربين إلى عُبَال، وكفى اللهُ المؤمنين القتـالَ، واستقرَّ الحاكمُ بمن معه هنالك، مرتباً لهم إلى المقـربةِ، والباقون من المقادمةِ والجيشُ في صَعْفَانَ.

وفي أواخـرِ شهرِ رجب من هـذه السنـةِ توالـت الأمدادُ إلى مَنْ في بُـرَع من جيشِ الضـالِ، ومعهم أهلُ الجبلِ وتضعضعَ حـالُ الجنـدِ الإمـامي هنـالك بما ذكرنـاه من عدمِ تـرُّيثِهم وزعمِهم أنهم إنما نزلـوا للغارةِ على المحصـورين، وقد أجروا مـا عليهم من ذلك، فتتابعت على من بقيَ منهم هنـالك الغاراتُ، إلى أنْ عادَ الحصارُ على رُقاب، وفيه جميعُ منْ ذكرنا من السادةِ الأعلام، فانتدبَ مولانا الإمـامُ المولى العلامـةَ سيفَ الإسـلام، أحمدَ بنَ قـاسم بنِ عبدالله حميد الـدين للعزمِ إلى هنالك والتفريجِ عن المحصـورين، وأصْحَبَهُ بجيشٍ كثيفٍ ينوفُ على ألفٍ وخمسِ مئـةٍ رامٍ، فيهم من الشجعـانِ الأبطـالِ عـددٌ وفيرٌ، وجمعٌ غيرُ يسيرٍ، وكلُّهم من بلادِ البستانِ وبني مطر تحتَ قيـادةِ الشيخِ محمد بن حسن الرماح[1] وغيرِهِ من المشايخ، ووفَّر الإمامُ – نصره اللهُ – للجيشِ المذكورِ ما يحتاج إليهِ من المهمّاتِ الحربيـةِ والأقواتِ، فجـرتْ بينهم وبينَ البُغـاةِ معـاركُ وحروبٌ تُـذهِلُ الألبـابَ، وأصْلَـوْا الأعداءَ مِـنْ نيرانِ عزائِمِهم مـا تـركهم بينَ قتيلٍ ومسلـوبٍ

(١) بنو الـرمّاح: من مشايخ بـلاد البيضاء وغيرهم بنو الرمّـاح من مشايخ ناحيـة البُستان انظر، معجم المقحفي، ١/ ٣٧٠.

وجريـح ومنهوبٍ إلى أن تسنموا ذروةَ الجبلِ، وفكّـوا الحصارَ عن المحصـورين، وطردوا أعـداءَ اللهِ أيّما طردٍ، وشتّتـوهم في/ الجبلِ والـوهدِ، واستـولوا على مجرى / ٧٦ مدفعِ الإدريسي في حصنِ بني الخُزَاعي(١)، وكثرت في الأعـداءِ القتلى حتى كانَ ممَّنْ أُصيبَ محمد زيد، صاحبُ القُحـرى، وكانَ صاحبَ هذه الحروبِ والمتقلدَ لزعامةِ هـذه الخطوبِ في جيشِ الضلالِ وماتَ على أثرِ ما أصـابَهُ من الجراحةِ، وكانَ هـلاكُهُ مصاباً عظيماً ورُزءاً أليماً عنـدَ الضالِ، وأعوانِـه. إلاّ أنّ هذا الجيشَ على فتكاتِه الصارمةِ وحملاتِه المروِّعـةِ الحاسمةِ أحسنَ فيما ابتدأ به وصنعَ، ثم ما سلِمَ حتى وَدَّع، واعتذر الشيخُ محمـدُ الرماح بأنـه لا يتمكّنُ من ضبطِ العسكرِ وإجبـارِهم على البقاءِ، لأنّ مـولانا الإمـامَ لمْ يأمـرْهُم بالبقـاءِ، وإنما طلبَ منهم التفريجَ عن المحصورين، وصمَّم على ذلك المقالِ، ولم يتدَبّر العاقبةَ والمآل.

ولما رأى المولى سيفُ الإسلام، وهو باقٍ في الجمام، زُمَـرَ المجاهدين من بلادِ البُستانِ يتسللون من الجبلِ عائدين إلى أوطانِهم بدونِ[1] ترخيصٍ ولا استئذانٍ، رفَعَ بجليةِ الخبرِ إلى حضرةِ مـولانا الإمامِ، فأمـرَ الإمامُ - عليه السـلامُ - حاكمَ العرِّ، وهو حينئذٍ في بني جـرين، بانتقالِهِ هو ومَنْ معه مـن جندِ الخَيْمةِ إلى جهة بُـرع مـدداً لمن فيـه على جهـةِ الفـوز، فـاسرع في الامتثـالِ وجمع رجـالِ الخَيْمَـةِ الموجودين في صَعْفَانَ، وهـم نحوُ خمسِ مئةِ مقاتلٍ من أهلِ الثباتِ والإقدام عندَ التنـاضلِ، فتوجَّـه بمنْ معه إلى الحَجَيْلـةِ، وبقيَ هنـالك خمسةَ أيـام في الاهتمامِ بجلبِ ما يحتـاجُ إليه المجـاهدون من الأقـواتِ والمهمّاتِ، وتوجَّـه قاصـداً بُرَع، وكانت طريقُه من جبـلِ جِراش وبيتِ المنامةِ(٢)، وقد كان الأعداءُ رتّبوا له ولمنْ

(١) حصن بني الخُزَاعي: عُزلـة من ناحيـة بُرَع وأعمال المحويت، انظـر، طرفـة الأصحاب ٢٩٠، اللباب، ١/ ٤٣٩، عجالة المبتدي: ٥٤ .

(٢) بيت المنامة: حصن المنامة أمام جبل بُرَع، انظر، معجم الحجري، ١/ ١٢٧ .

[١] في س، دون.

معه الكُمنـاءَ، فما توغّلوا في الطـريقِ حتى ظهرَ عليهم أولُ كمين، وقذفـوا ما في بطونِ بنـادقِهم إليهم فبادَرَهُم المجاهدون بـالرمي المتتابعِ وسبقـوهم إلى ترتيبِ جبلِ جراش، وكسروا منْ بإزائِهم، فـانهزمَ الأعداءُ إلى هجب[(١)]، ولم يُصَبْ أحدٌ من المجاهدين بجراحٍ ،لا سالَ منهم دمٌ، وذلك من عنايةِ اللهِ تعالى بهم، وباتوا في بيتِ المنامةِ وما حـوْلَهُ، وتقدّموا في غدِهم إلى عَطّار، وانتظـروا وصولَ الحمولةِ من بيتِ القـابلي، فغـزاهـم جمعٌ من الأعـداءِ إلى عَطَّـار، وكـان بينَهم وبينَ المجاهدين حربٌ اسْفَـرَت عن انهزامِ العدوِّ الغازي[١]، وتبعهم المجاهدون إلى مـا تحتَ بيتِ الحداد[(٢)]، ثم صعـد الحَاكمُ بجنـدِه إلى رُقـاب، وكـانَ منـه نصحُ المشـايخِ والعرائفِ بما يلـزمُ عليهم من الطـاعةِ والامتثـالِ وما في تفـرُّقِهم من/ ٧٧ / جلبِ الـوهنِ واغضـابَ ذي الجلالِ، وأنَّ اللازمَ استئصـالُ شأفـةِ مَنْ بقيَ من جندِ الضالِّ لما هُمْ عليـه من الخبالِ، فكانتْ منهم المساعدةُ إلى ما رامـه ظاهراً، وإجماعُ الرأيِ على اقتسـامِ الجندِ الإمامي إلى ثـلاثةِ أقسـام، يقومُ كلُّ قسم منهم بعنوةٍ، فأهلُ بـلادِ البستانَ يقصـدون من جهةِ الغرب النشّـةَ وما فـوقها، وأهلُ الحَيْمةِ يتوجهون إلى الجرن والحصنِ شرقاً، وخـولانُ الشامِ وأهلُ جبلِ عيال يزيد يحيطون بالأكمةِ لمنعِ الغارةِ، وبعدَ أخذِ المحلاّتِ المحيطةِ، يكونُ هجومُ الجميعِ على الأكمةِ، فتقاعدَ من عداءِ أهلِ الحيمة عن عنوتِهم.

وكان من أهـلِ الحيمةِ الهجومُ على محلِّ الجرنِ، واجتمعَ الأعـداءُ عليهم من كلِّ جـانبٍ، واستُشْهِـدَ منهم اثنـان، وخرجَ جماعـةٌ، ولم يبـدُ من الآخـرين أقلُّ

---

(١) هجب: مـا ورد في المعاجم حجب وهِجّـان، وادٍ أسفل جبل حـراز متصل بالحَجَيْلـة من بلاد القُحري وأعمال بَاجل وفي العُدين حجب انظر خريطة العُدَيْن من كتاب حياة الأمير، ١٠٤ .

(٢) بيت الحدادة: عُزْلة من الجَبَى، انظر، معجم الجري، ١/ ٣٧٨ .

---

[١] في س، الغاوي.

حـراك. ،ظهـرَ بـذلك أنّهم أرادوا كسرَ جنـاحِ أهلِ الحَيْمَـةِ ليـوافقـوهم على الانسحـابِ من ربوعِ الجبلِ، وتلك وصمـةٌ فادحـةٌ فيمن ارتكبَ إثمَها وهفـوةٌ ممن شيَّـدَ رسْمَهـا، وكَـانَ منهم - بعـدَ ذلك - التسـابقُ على الخروجِ من الجبلِ والأعداءُ فيـه في تلكَ الحالِ في ضعفٍ وقلةٍ وخبلٍ، وكـان الخروجُ من الجبلِ ليلةَ النصفِ من شعبان هذا العـام بعدَ تدارُكِ إخراجِ مـدفعِ الإمامِ والخزنةِ إلى بيت القابلي. وإذا تأمَّل المنصـفُ ما سردناه من أحـوالِ حروبِ هـذا الجبلِ، يجدُ فيه حقيقةً واضحةً، دالّة على ما يتطلبُّـهُ مَنْ فيهم، سرَّ توالي الحروبِ وعدمَ انتاجِها للمطلوب مع تبيُّنِ أنَّ النصرَ لم يَزَلْ حليفَ المجـاهدين، ولم يُهْزم لهم جيشٌ قط، ولله الأمرُ وحدَه.

وفي هـذه السنةِ، كـان توجُّـه سيدي عمادِ الـدين يحيى بنِ محمد بن عبـاس بجموعتِـهِ، التي توّفر عددُهـا، وتتابعَ مددُها - كما سبق ذكـره - من النّادرة إلى قَعْطَبَةَ، بعدَ أن صدَرَ إليه الأمرُ الشريفُ، فقَصَـد ما حوالي قَعْطبةَ من البلادِ إلى الجليلةِ[1]، وجرتْ بينَهُ وبينَ أهلِ البلادِ المذكورةِ حربٌ، أسفرتْ عن انهزامِ مَنْ تجَمَّعَ من البغـاةِ، وظَفَرِ المجـاهـدين واستيـلائِهم على الغنائم العظيمـةِ، ونقلَ الأميرُ عمادُ الـدين محطَّتَه إلى الجَلِيْلَـةِ، واستأمن إليـه من عـائذ، فقابلهم ببـذلِ الأمانِ مقـابلةً جميلـة، وأعادَهم إلى أوطـانِهم ومنعَ الأجنادَ من التعـرُّضِ إليهم، فـاستقرَّت أحـوالُهم وأسْفَـرَ صباحُ سكـونِهم وزال اختـلالُهم، وأخَذَ ممَّنْ/ يلـزِمُ رهائنَ الطاعـةِ، وكانت هذه الوقعةُ في بـلادِ الشاعري[2]، ولما عرفَ العقلاءُ مِنْ

/ ٧٨

(١) الجليلة: من الضالع، تقع على الجانب الشرقي من الكبار، شرق مدينة الضالع، وتكون فوق اخدود يمتد من جبل شحذ، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٨٩ .

(٢) الشـاعري: من قبـائل الضالع في منطقـة رد فـان على بعد ٩٦ ميـلاً من عدن، انظـر، معجم المقحفي، ٣٩٣، تاريخ القبائل اليمنية، ٨٧ .

أهلِ الضالعِ، وجبلِ جُحاف[1]، تصميمَ الأميرِ عمادِ الدين على قصدِ بلادِهم بِمَنْ معه مِنْ الأجنادِ، والعاقلُ منهم يعلمُ أنَّ أحوالَهم أحوالُ فوضى وفساد، وأنَّ بقاءَهم على تلك الحالِ لا يرضى به ذو سدادٍ، شرعوا في مراسلةِ الأميرِ يبذلون الطاعةَ، ويستقدمونه ليتمَّ لهم الانتظامُ في سلكِ الجماعةِ والخروجُ من دعاوي أهلِ الإلحادِ، بأنهم ممَّنْ دخلَ بموجبِ ما جرى بينَ الأتراكِ والانكليزِ من تمييزِ الحدودِ في عدادِ المنتمين إليهم. وقد كانتْ وصلتْ من كثيرٍ منهم كتبُ الموالاةِ إلى مولانا الإمامِ، عليه السلام، وفي أثناء استقرارِ جنودِ الأتراكِ في لَحجْ وصل إلى مقامِ مولانا الإمامِ وهو بالسُّودةِ المحروسةِ الأميرُ نصرُ بنُ شايف[2]، وانتمى إلى الإمامِ، وأعطى رهينةَ الطاعةِ، ولكنَّ المذكورَ لشقاوتِهِ واستخفافِهِ بالدينِ، رجَّحَ لهُ الشيطانُ الغويُّ نكْثَ العهودِ والعودَ إلى الانتماءِ إلى ذوي الجحودِ، ودخلَ عدن، واستمدَّ منهم الإغاثةَ على دفعِ جندِ الإمامِ، فأمدُّوه بما رامَ، وظنَّ أنَّ ذلك سينفعُهُ ويمنعُ عنه غضبَ مولاه ذي الانتقامِ. فحشد جموعَهُ من ألفافِ القبائلِ للقتالِ، وصالَ وجالَ فراسلَه الأميرُ ناصحاً برعايةِ العهودِ، والتوقّفِ على ما لها من الحدودِ، وحذَّره من بطشِ الرّبِ المعبودِ وذكرَ نعمةَ الأئمةِ السابقين على آبائِهِ الماضين، فإنَّ إمارتَهم على الضالعِ مستفادةٌ من برِّهم ومغترفةٌ من بحرِهم، مع أنَّ جدَّه الأعلى كان مملوكاً لبعضِ الأئمةِ، أمّره على هذه البلادِ، أو جعلَه فيها محافظاً دافعاً لذوي الافسادِ، فلم تنجحْ فيه السائلُ، ولا روَّعَتْه تلك الرسائلُ، وحكمَ على نفسِه بأنّه مِمَّنْ لا ينفعُ

---

(١) جبل جُحاف: جبل مشهور من أعمال الضالع جنوبي قَعْطَبَة، انظر، معجم الحجري، ١/ ١٧٩، معجم المقحفي، ١١٢، تاريخ القبائل اليمنية، ٩٠ .

(٢) حول نصر بن شايف سيف أمير الضالع وحروبه وتعاونه أو مناؤاته مع بريطانيا، انظر تاريخ القبائل اليمانية، ١٢٠، حياة الأمير، ٦٠٣ .

فيه غيرُ السيفِ والمدفع، ولا يزجُرُه إلا تقويمُ اعـوجاجِه بالكتائبِ التي يجبنُ بها لمِثله المصرعُ، فـوجَّه الأميرُ الأجنـادَ تلوَ الأجنـادِ، وأحكمَ تدبيرَ العملِ ومنـاجزةَ الطاغي المرقـومِ، فالتقى الجشيان ونصبا ميزانَ الضرابِ والطِّعـانِ، وكانت بينَ الفريقين حربٌ، أسفـرتْ عنْ هزيمتِه هو ومَنْ معـه، وتقدَّم الجيشُ الإماميُّ إلى الضالع فـاستولى على مدينـةِ الضالع[1] وحواليه، وصـانَ الأميرُ بيوتَ من عَرَفَ منهم التمسُّكَ بـا لموالاةِ، وأقبلتْ إلى الأميرِ قبـائلُ تلك الجهةِ أفـواجـاً يبذلـون الطاعةَ، فضبطَ البـلادَ وساسَ أحوالَ أهلِها وَفْقَ المرادِ، وقد كـان السيدُ على طه شيخُ جبلِ جُحَاف قـدْ وصلَ إليه وانتمى إلى الإمامِ ودخلَ الجبلَ/ بدخـولِه في الطاعةِ، وانقـادَ أهلوه، وسلِموا من هَوْلِ الأراعـة، وحصلَ بمنِّ اللهِ تعالى ضبطُ تلك الأطرافِ، وأخذُ الرهائنِ المختارةِ، وأرسل مولانا الإمامُ السيدَ الأجل محمد بن محمد بن أحمد الشامي[2] عامـلاً على بلادِ الضالعِ وبـلادِه، فباشرَ الأعمالَ، وأعانَ الأميرَ على ما بـه يكون إصلاحُ الأحوالِ، ووجّـه الأميرُ همته إلى إكمالِ فتح الأطرافِ فراسلَ أهلَهـا، ودعاهم إلى الطاعةِ، فأجابـوه، وكان المخذولُ نصرُ بنُ شـايف نازلاً بـالقـربِ من جبلِ حريـر[3]، فأزاحه عـن ذلك الطرفِ، وشرَّده تشريـدَ النَعـام، ولم يمهِلْـه حتـى يستطيعَ مجاولـةَ الصـدامِ، وأقبلَ أهلُ الجبلِ

/ ٧٩

---

(١) مدينـة الضالع: مـركز منطقة الضـالع وعاصمتها انظـر، تاريخ القبـائل اليمنية، ٩٧، اليمن الخضراء، ١/ ١٣٢، صفة جزيرة، ١٢٧ .

(٢) محمد بن محمد بن أحمد الشامي: عامل الضـالع، شهد حرب الطائرات البريطانية على الضالع وهو عامل عليها وهزم في المعـركة ت ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩ في مكة حاجاً، انظر، رياح التغيير، ٤٢ .

(٣) جبل حـرير: إلى الشرق من سهل الضـالع، يتصل بجبل العـوابل في الشعيب وجنوبـاً بجبل عبيرة في حالمين، في أعلاه من الشرق قريـة الفقهاء، تاريخ القبائل اليمنية، ٩٤، صفة جزيرة، ١٤٧، الاكليل، ٨/ ١٥٧ .

المذكور بعدَ فرارِه، يريدون ولوجَ بابِ السلامةِ بالطاعةِ. وفي أوجزِ مدةٍ تمّ ضبطُ جبلِ حرير وأطرافِهِ، وإصلاحُ المختلّ من أحوالِهِ وإزاحةُ انحرافِهِ. [١ثم راسلَ الأميرُ أهلَ بلادِ المفلحي(١)، فاستقاموا وبالحقِّ هاموا، ولم يبق١] في تلك الجهةِ ما يريبُ، بعدَ ضبطِ الأشرارِ وسوقِهم إلى الحبوس، وقطع دابرِ قطّاعِ الطريق. وجَعْلِ حظِّهم الحظَّ المنحوس، وأقرَّ المخالفُ والموالفُ بأنَّ أعمالَ الأميرِ المومى إليه، مقرونةٌ بالسَّدادِ والرشادِ، ومقيمةٌ لواضحِ البرهانِ على ما له من الكياسةِ وحسنِ السياسةِ في محوِ الأنكادِ، ودفعِ الفسادِ، وحزمِ أطرافِ البلادِ، وتأمينِ السبلِ في الأغوارِ والأنجاد.

ثم أمرَ مولانا الإمامُ، أميرَه المومى إليه بمراسلةِ أهلِ الشعيبَ(٢)، وادخالِهم إلى حظيرةِ الطاعةِ المنزّهةِ عن العيب، فافترقوا إلى فرقتين، فرقةٍ قابلت الرسالةَ بالإجابةِ وحسنِ الإنابةِ، وفرقةٍ أجابتْ داعيَ الشيطانِ، ومالتْ إلى جانبِ العصيانِ.

وكان الشُّعَيْبُ في زمنِهِ الأخيرِ يتحكّمُ عليه سلاطينُ يافع(٣) ومشايخهُم، ويعدّونه مرعىً لأذوادِ طمعِهم المبير، فهم يَجْبُون منه الأموالَ، ويتحكمون في أهلِهِ بما لا يرضاه الرَبُّ المتعال، فاستنفر المائلون عن الطاعةِ من أهلِ الشُعَيْب

---

(١) المفلحي: من قبائل اليمن الأسفل، من يافع ومركزها مدينة خَلَّة، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ١٨٣، ٢١١-٢١٥ .

(٢) الشُعَيْب: جنوب غرب الضالع، تقع بين المفلحي شرقاً والضالع غرباً، وحالمين والضالع من الجنوب، عاصمتها العوابل، انظر، اليمن الكبرى، ١٧٤، حياة الأمير، ٦٢٢، تاريخ القبائل اليمنية، ٢١٧ .

(٣) يافع: قبيلة وبلاد تتصل شمالاً ببلاد رداع وغرباً بوادي ينا النافذ إلى أبين، وهي قسمان، انظر، معجم الحجري، ٧٠٥، تاريخ القبائل اليمنية، ١٦٩ .

[١ - ١] سقطت من س.

سلاطين يافعَ وقبائلَها، وصادفَ ذلك ما قدْ داخَلَهم من تخوُّفِ هجوم الجندِ الإماميّ إلى ديارِهم، فأقبلوا وهم كالسيل المتدافعِ يؤمون حصنَ شُكُع[1]، فدخلوه ورتّبوه، وتتابعت كتائبُهم إلى هنالك، فكانوا جمعاً كثيرَ كالعددِ، وفيرَ المددِ، ولما بلغ أمرُهم وما أجمعوا عليه إلى الأمير عمادِ الدين، وجَّه إليهم اهتمامَه، وشهَر عليهم من عزمِه حُسامَه، وعلمَ أنَّ استقرار تلك الجهاتِ على الطاعةِ/ / ٨٠ لا يكونُ بدونِ ضربةٍ حاسمةٍ لشرِّ جموعِ أولئك البغاةِ، فراسلهم لعلَّهم يرجعون عن غيِّهم نعموا وصموا وستكبروا وعلَى العدوانِ أصرُّوا، فساقَ إليهم جنودَ الحقِّ يحضهم اليُمْنُ والسُّعود ويصاحبُهم عونُ الربِّ المعبودِ، ولّما تلاقى الجيشان، جرى الحربُ بين الفريقين، ودام يومين، في نهايتِه منحَ اللهُ الجندَ الإماميَّ نصرَه، ودفع عنهم شرَّ العدوِّ ومكْرَه، ولم يُغْنِ عنهم تحصُّنُهم بشُكُعٍ المنيع، ولا نفعَهم اقدامُهم المريع، ولم يقْوَوْا على ردِّ هجماتِ المجاهدين، فأخرجوهم من الحصنِ قسراً، وملأوا منهم الوهادَ الروابيَ قتلى، واستاقوا منهم العددَ الوفيرَ أسرى واستولوا على الحصنِ وهزموهم بإذن الله تعالى، فكان يوماً عظيماً ثبَّتَ اللهُ قواعدَ الطاعةِ في تلك الجهاتِ، وكسرَ به شوكةَ الباطلِ، وأوردَها حياضَ الشتاتِ وتردَّدَ صدى وقعتِه في آذانِ البغاةِ وأهلِ الإلحاد. واحتوى المجاهدون على الغنائم الواسعةِ، وشكروا اللهَ على ما منَحَهُم من النصرِ بعنايتِهِ الرافعة، وكان المظنونُ أنَّ يافع بذلك سيعتبرونه، وعن غَيِّهم سيرجعون، فمكثوا بعدَ الهزيمةِ حيناً، وعادوا إلى تجمعِهم وقد تعاهدوا على عدمِ الفرارِ، وأرادوا مغالبة الجبارَ، واستنفروا قبائلَ يافع النائيةَ، وأقبلوا بجموعهم إلى حصونِ

---

(١) شُكُع: بلد وحصن من بلاد المفلحي بيافع، تبعد عن الضالع بنحو ٢٣ كم، انظر معجم المقحفي، ٣٦٠.

القزعةِ(١)، وهي جبالٌ منيعةٌ بأطرافِ الشُعَيْبِ، وملؤها بالرجالِ والأبطالِ، وبذلوا كلَّ ما في وسعِهم من الاحتيالِ، فأقبلَ إليهم الجندُ الإماميُّ من كلِّ صوْبٍ، ونازلهم في تلك الحصونِ، وكان الأميرُ قد قدَّم الجيشَ أمامَه، وبقي في الضالعِ، ولما بلغه اشتدادُ أزمةِ الحربِ أقبلَ ممداً لمن سبقَ بجيشٍ وافرٍ، ومعه أحدُ المدافعِ، فدامت الحربُ بينَ الفريقين ثمانيةَ أيّام، وكان ذلك في شهرِ ربيع الثاني من هذه السنة. ولم تتخلَّلْها فاصلةٌ، وأظهر الجنُدُ الإماميُّ من ضروبِ الشجاعةِ والإقدامِ ما لم يُعْهَدْ مثلُه في سائر الأيام، وهاجمَ الأعداءَ مهاجمةً أذهلتْهم عن الصوابِ، وأعدمتْهم الألبابَ،وصبروا صبرَ الكرامِ، فجزاهم اللهُ خيراً عن الإسلام.

وبعد الثمانيةِ الأيام[١]، هبَّت ريحُ النصرِ للمجاهدين، وتمَّ لهم الظفرُ بأعداءِ الدين، فانهزموا لا يلْوُون على شيءٍ، وتفرقوا في كلِّ وادٍ بعدَ أنْ قتل/ من أعيانهم وسلاطينهم وأفرادِهم عدداً ينوفُ على السبعين، وأُسِرَ قريبٌ من هذا العددِ، وطلبوا الأمانَ على نفوسِهم من القتلِ واستسلموا. وفيهم أكثرُ كبرائِهم ومشايخهم، فسيقوا في السلاسل والأغلالِ، ونزل بهذه الحروبِ على يافع أليمُ النكالِ، وأطفأ اللهُ نارَ فسادِهم، وفلَّ حدَّ عنادِهم، ولم يبقَ له بعدَ ذلك تجمُّعٌ مرهوبٌ ولا غزوٌ مرقوب بل كانت قُصارى آمالهم وأعمالِهم الانكماشَ في داخلِ بلادِهم، والرهبةَ من لحوقِ جُندِ الإمامِ، واتّباعِه لهم، إلى أماكنِ رُقادِهم، وواجهتْ عقيبَ ذلك قبائلَ الشُعَيْبِ جميعاً. ودخلتْ في الطاعةِ، وأمِنَ الأميرُ جميعَهم، وأخذَ منهم الرهائنَ وضبطَ الأشرارَ وأزالَ عن الضعفاءِ ما كانوا يلاقونه من الأضرارِ، وصلحت البلادُ، وطُهِّرتْ من أدرانِ الفسادِ. وعادَ الأميرُ إلى مدينةِ الضالع، بعدَ أنْ أبقى طائفةً من الجُندِ في الشُّعَيْب لحمايتِه، وترتيبِ ما يحتاجُ إلى الرُتْبَةِ من أطرَافِهِ.

(١) نسبة إلى سهم القزاعي من قبائل الشُعَيْب، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٢١٧ (القبائل تقسم إلى أسهم).

[١] في س، أيام.

وعلى الإجمالِ، فإنـه تمَّ بعـونِ اللهِ استفتـاحُ هـذه الجهـات كـاملـةً في مـدّةٍ وجيـزةٍ. وتجلّى في هذه الحروبِ مـن كرامـاتِ[1] مـولانـا الإمام، وقـوةِ سعـودِهِ الخارقـةِ ما كـان يقـوّي عزائمَ الأنصـارِ، ويـزيدُ في تيقُّنِهم بإدراكِ المأمـولِ من الانتصارِ، ويغـريهم على اقتحامِ لَهَبِ الأخطـارِ. وكان الجنـدُ الإماميُّ مـؤلفاً من رجالِ نِهم وخَوْلانَ وجبلِ عيال يـزيد وبني عَبْد(١) وغيرهم. ولم يقصِّرْ أحدٌ منهم في أداءِ واجبِـهِ، وظهرتْ فيـه الشجـاعةُ بأتمِّ مظـاهـرِهـا لأُناسٍ معـدودين من الأنصـارِ، بـذلوا نفـوسَهم في سبيلِ اللهِ وجـدُّوا واجتَهـدّوا، ومنهم من رَزَقَـهُ اللهُ الشهادةَ، ونالَ رتبةَ السعادةِ.

ولما اشتُهِرَتْ هـذه الوقعةُ، ونكَّسَ اللهُ رايةَ الضّـلالِ في تلك البقعةِ، أقبلت الوفـودُ إلى الأميرِ عمادِ الدين مـن الأَجَعُود(٢)، وأطاعـوا وطردوا نصرَ بنَ شـايف من بـلادِهم، وانتمـوا إلى الإمـام، ورَاسلَ الأميرُ سِـوَاهُم يبـذلـونَ من أنفسِهم الانقيادَ، مثلَ شيخِ بـلادِ العلويّ(٣)، ومثلَ صاحـبِ جبلِ رَدْفَان(٤)، وهذان بعدَ

---

(١) بنـو عَبْـد: من قبائل بَكيـل بجوار عيـال يـزيـد وأعمال عَمْرَان، انظـر، نشر العـرف، ١/ ٣١٩، معجم المقحفي ٤٢٤، البدر الطالع، ١/ ١٣٣ .

(٢) الأجْعُود: قبـائل رَدْفَان تعـرف بالأجَعْـود ومفردهـا جَعْدي، ومنطقتهـا على مقربـةٍ من الضـالع وقَعْطَبَة من آل قُطَيْب، بها جبل ردفان، انظر، الاكليل، ٢/ ٦٥، تاريخ القبائل اليمنيـة، ١٣٧ (تضم قبائل، القُطيبي والعِبْدلي والبَكري والمحْلأى والداعِري والمزاحمي والذيباني وأهل الشيخ).

(٣) العلـوي: قبائل وبـلاد يحدهـا جنوبـاً وغربـاً منطقـة الحَوْشبي وشرقاً جبـال الضنبري ومركزها القشعـة الواقعة في سيلة حردبة، انظـر، تاريخ القبائل اليمنية ٢٢٣٠، معجم المقحفي، ٤٦٠ .

(٤) رِدْفـان: (وبفتح) جبل جنوبي قَعْطَبَـة، انظـر، معجم المقحفي، ٢٦٦، تاريخ القبـائل اليمنية، ١٣٧ .

---

[١] في س، سعادة.

وصولِهما إلى الأميرِ توجها إلى حضرةِ الإمامِ - عليه السلامُ - بقصدِ الزيارةِ، وتلقّاهما الإمامُ أحسنَ تلقٍّ وعادا مكرمينَ/ إلى بلادِهما، واستقرَّ الأميرُ في الضّالعِ مقصودَ الجنابِ من جميعِ الأطرافِ، مُحيياً لما اندرسَ من معالمِ الشريعةِ، ومَاحياً لكل بدعةٍ شنيعةٍ.

/ ٨٢

ووجّه مولانا الإمامُ عُمالةَ الشّعَيْبِ إلى السّيدِ الأجلِّ محمدِ بنِ علي بنِ أحمدَ بنِ إسحقَ[١] فقصدَ محلَّ عملِه، وقامَ به خيرَ قيام.

وفي أثناءِ ذلك، كان استيلاءُ جندِ الإمامِ المنصورِ على حصنِ حَالمين[٢] وما حوله من القُرى، وضبطُ أمورِ تلك الجهةِ، وأَخذُ رهائنِ الطاعةِ.

ولقد حكى غيرُ واحدٍ، أنَّ مقدارَ الجيشِ الذي اجتمعَ من يافع في حروبِ القزعةِ ينوفُ على خمسةِ آلافِ مُقاتلٍ، ولم يكن الجيشُ الإماميُّ على كثرتِه مثلَ نصفِ جيشِ الأعداءِ، ولكنَّ عونَ اللهِ تعالى رفيقُ حزبِ الحقِّ. والأعجبُ من هذا كلِّه قلةُ عددِ شهداءِ المجاهدين في جميعِ هذه الحروبِ، مع أنَّ الغالبَ عليهم في مواطِنِها ظهورُهم للعدوِّ وتحصُّنُ العدوِّ واستتارِه في معاقلِه وإقدامِ المجاهدين في تسلُّقِهم إلى الجبالِ، لولا وقايةُ الربِّ المتعالِ. وكلُّ ذلك من مظانِّ كثرةِ الشهداءِ، وقلةِ قتلى الأعداءِ، فانعكاسُ القضيةِ ليسَ إلا كرامةً من كرامةِ مولانا الإمامِ - نصره الله تعالى -.

---

(١) محمد بن علي بن أحمد بن اسحاق. تولى القضاء في بلاد الرؤّس وبني بُهْلول سنة ١٣٣٤هـ، ثم عين في بلاد الشُّعَيْب من نواحي قَعْطَبَة ثم تعين في مأرب وبعدها عُين في رَيْدَة البَوْن وفيها توفي في صفر ١٣٧٩هـ، ومولده بالجراف في شعبان ١٣٠٥هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٣، هجر العلم، ٣٥٨.

(٢) حالمين: من أراضي الضالع، انظر، حياة الأمير ٦١٦ بلد وقبائل.

وفيها كـان تجمُّعُ ألفافٍ من الأَشرارِ حـولَ نصرِ بن شايفٍ[1] المخذولِ في أطرافِ بـلادِ الضالـع، بعدَ عودِ الأميرِ عمادِ الـدينِ إلى النَّـادرةِ، وإعانـةِ محمدِ صالح القُطَيْبي، صاحبِ بني قُطَيْب[2]. وكانَ ذلك بعدَ مراجعةٍ بينَ المذكورين وبينَ الافرنجِ الـذين بعدن[۱]، وامدادِهم لهم بـالمالِ والسلاحِ، وتحريضِ غيرِهم من المجاوريـن لهم على إعانتِهم، فكثرَ جمعُهم، وحصـلَ الإرجافُ بهم من ذوي النفوسِ المريضةِ. وكـان المظنونُ أنهم سيجعلون قصدَهُم ومـوضعَ نزالِهم جبلَ حرير، فوجَّه عاملُ الضالع اهتمامَه إلى الجبلِ المذكورِ، وقوّى مَنْ فيه من الرُّتَبِ، فـانكشفَ خلافُ ذلك؛ لأنّهم سـاقوا جموعَهم إلى الضَـالع والجليلةِ، وقصـدوا الاستيـلاءَ عليهما، فأما الـذين تـوجهوا إلى الضَـالع، فـدخلوا المدينـةَ على حينِ غفلةٍ، واستولوا على بعضِ دورِها، واستيقظَ المجـاهدون لهم، فدافعوهم مدافعةَ الأبطالِ وأوقفوهم في الجهةِ التي دخلوا منها، ووقفَ عاملُ الضَالعِ، ومَنْ معه في الجهـةِ الأخـرى، واشتعلت نارُ الحربِ بينَ الفـريقين، ولم يظفـروا بمـرادِهم من غدرِ المجاهدين. وأما الذين توجّهوا إلى الجليلةِ، فكادوا أن يستولوا عليها، وقد مـلأوا القُرى التي بينهـا وبينَ الضـالعِ بجمـوعِهم، وناهَضَهـم الجندُ الإمـاميُّ مناهضةً، أبطلت سحرَ مكـرِهم، وقلَّلَت مصابَ غدرِهم/ فأمدّهم الأميرُ عمادُ الدينَ بكتـائبِ جندِ الحقِّ المنصورِ، وجـرتْ بينَ الفريقين حروبٌ عظيمـةٌ حولَ / ٨٣

(١) نصر بن شايف بن سيف: أمير الضالع؛ ابن أخ علي مقبل الذي توفي سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م وخلفه شايف بن نصر الـذي فرض العشور وخاصة على منطقـة وادي حَرْدَبَة ثـــــم خلفه سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م نصر بن شايف بن سيف انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ١٣٩ .

(٢) بنـو قُطيب. من قبائل رِدْفـان (الأجعـود)، جنوبي قَعْطَبـة ومن فـروعها، أهل الأخـرم، وأهـــل وَحَّدَة، العَبْسري وأَصْحَفي والمسعودي والغزالي والعيساني، انظر تاريخ القبائل اليمنية، ١٥٢ .

[١] في س، في عدن.

الجليلةِ ومـا وراءَها إلى الضَالعِ، ومنحَ اللهُ المؤمنين النصرَ العظيمَ. فـانهزمَ أعوانُ الكُفّار، وولوا الأدبـارَ، وقد تركوا قتلاهم في تلـك القفارِ تأكلُ لحومَهم الكلابُ، وتتردَّد عليهـا الـذئابُ. وكان عـددُهم كثيراً، ولم يستقِرُّوا إلاّ في المحـلاتِ التي خـارجَ الحدود. وفـرَّ نصرُ بنُ شـايـف إلى محلٍّ غيرِ معلـوم، وغنم المجـاهـدون أثقالَهم، وقبلَ هذا بيسيرٍظهرَ من بني أحمد[1]، والأزارقِ[2] تهاونٌ بالطاعةِ، وتبيّنَ أنّ مِنْ أسبـابِ ذلك قـدومَ أميرِ الحواشبِ إليهم ومراسلتَـه لهم بأنهم من جملـةِ بلادِ الحَوَاشب[3] ومن الراجعين إليها، مع أنهم مـن مخلافِ جبلِ جحاف وإليه ينتمون، وفي عدادِ سكّانِه يعدون، فـراسلَ مشايخَهم عاملُ الضَالع، واستقدمهم إليـه، فوصلـوا وحـذَّرهم فانقـادوا، وتبّرؤوا من الحَوْشبي، وأفـاقوا من نـومتِهم ورهنوا. وبطلتْ مكيدة أميرِ الحَواشب.

ووجّه عـاملُ الضالع همَّتَه إلى ترتيبِ مـا يلزمُ من الجبلِ، وأهمُّ ذلك حصنُ المعفاري[4] الحصين، وكانَ ذلك الحصنُ مطمحَ آمـالِ المعتدين، وانقضتْ هذه

---

(١) بنو أحمد: من قبـائل الضالع، الأميري، يسكنون مـدينة الضالع وبـلاد الشراف وزُبَيْد وفي نواحي الخوارج في الطفـواء ووادي حَرْدَبة وخَـرْفة وفي وادي الضبب، انظـر، تاريخ القبائل اليمنية، ١٠٦ .

(٢) الأزارق: عُزلة من نـاحية السَيَّاني وأعمال ذي سُفال، انظـر، معالم الآثار، ١٠٩، معجم المقحفي، ٢٦ .

(٣) الحواشب: قبيلة وبـلاد تجاور قبائل الفضلي وقبائل الصبيحي ورِدْفـان والضالع، وبها النـواحي التاليـة، الراحـة والحرور والدُرَيْجَة والمسيمير وجـول مدرم والمِلاح، مـركزهـا المسيمير انظر، ملوك العرب، ١/ ٤٥٢، تاريخ القبائل اليمنية، ٦٥ .

(٤) آل المعفاري: أصـلاً من قبائل حاشد وبكيل، يعيشـون في عُزْلة بني هـديان بين جبل المعفاري وجبل جحـاف، من أفخاذهم، بنـو هديان وبنـو جلال وبنـو شمس الدين انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ١٠٩-١١٠، معجم المقحفي، ٦١١ .

الحادثةُ بسلامٍ وخابَ فيها كيدُ أعداءِ اللهِ اللئام.

وفي أثناءِ شهرِ شعبانَ من هذه السنةِ، وصلَ إلى حضرةِ مولانا الإمامِ الشريفُ ناصرُ بنُ شكر[1]، مِنْ أشرافِ مكةَ المكرّمةَ، قادماً بكتبٍ من الشريفِ الحسين بنِ عليّ بنِ محمد بن عون إلى مولانا الإمام - أيّده الله - فحلَّ ضيفاً لدن مولانا الإمام، وقابلَه بما هو فوقَ مأمولِهِ مِنَ البرِّ والإكرام، ومكث هنالك إلى أنْ انقضى شهرُ الصيام، وكانت بينَه وبينَ الإمامِ مراجعاتٌ، وتحرَّرَتْ معه الجواباتُ، وتلخّصَتْ مطالبُ الشريفِ الحسينِ في خطبةِ ودِّ الإمام، والاتفاقِ، وجواباتُ مولانا الإمام حاويةٌ للرغبةِ في ذلك الطلبِ، وأنّ سلامةَ البلادِ والعبادِ من العطبِ متفقةٌ على إبرَام مثلِ ذلك، وسلوكِ هذه المسالك، ثم قفلَ المذكورُ راجعاً إلى الحجازِ، وقد ظفِرَ بمأمولِه من رحلتِه على جهةِ الايجاز.

وفي شهرِ رجبٍ من هذا العامِ، تحرّكَ الشيخُ عوضُ بنُ علي زربه، شيخُ مشايخِ الرُّكْبِ[2] من قضاءِ زَبيد، وذو النفوذِ القوي في وصابِ السافلِ، والمذكورُ ممن بادرَ إلى الطاعةِ عندَ دخولِ جندِ الإمامِ إلى القضاءِ المذكورِ، ولوحظ فيه شخصُ الناصحِ الصادقِ، ولكنّها كذبْت فيه المخيلةُ، وانقلبَ على عقبِهِ، وظهرَ بمظهرِ الغاشِّ المنافقِ، فاعتدى على الطريقِ المسبَّلةِ، ونهبَ أموالَ التجارِ، وأعلنَ الخِلافَ، وسوَّلَ له الشيطانُ أن يكونَ من ذوي الاعتسافِ، وحملَ أصحابُه أهلُ الرُّكْبِ غاربَ العدوانِ، وظنَّ أنه لن يُقْدرَ عليه، وأنَّ غيرهَ من أهلِ قضاءِ زَبيد/ سيتابعونَه على هواهُ، فيشتعلُ بذلك قضاءُ زَبيدٍ ناراً، ويتعذَّرُ / ٨٤

(١) ناصر بن شكر: أحد أعضاء مجلس الشيوخ الذي شكله الشريف حسين في ٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٤هـ، اكتوبر ١٩١٦ انظر، أسرار الثورة العربية لأمين سعيد، ١٢٨ .

(٢) الرُّكْب: جبال تطل على زَبيد من الشرق، تسكنها قبيلة الرُّكب، انظر، اليمن الكبرى، ١٦٩، المدارس الإسلامية، ٩٣، العقود اللؤلؤية، ١/ ٩٣ .

الإصـلاحُ والتأديبُ له ولأمثـالِهِ تـراخياٍ وبـداراً، وراسله عـاملُ زَبيد ونصَحـه، ووكَّل باستصـلاحِهِ حـاكمَ قضاءِ زَبيـد، لما كانَ مـا بينهما من الصحبةِ والمودةِ، فخرج إليه الحاكمُ وعذلَهُ. وبالغَ في استنزالِـهِ عن هواه، وعادَ خائباً، فرفعَ عاملُ زَبيدَ حقيقـةَ الواقعِ إلى حضرةِ مولانا الإمـام - عليه السلامُ - حاثـاً على إرسالِ المددِ. قبلَ أنْ يتّسعَ الخرقُ على الراقعِ، فأرسلَ مـولانا الإمامُ الأجنادَ المتتـابعةَ إلى وُصَاب العـالي. وقد كـان الخلافُ انتشر إلى أكثرِ وُصابِ السـافلِ، وأمر مـولانا الإمامُ السيّـدَ العلامـةَ، عبدَالله بنَ أحمدَ الوزيـرَ أنْ يُرسلَ جنـداً من البلادِ التي بنظرهِ، فامتثلَ الأمرِ وساقَ جنـداً من البلادِ العُتُميةِ وعَنْس إلى وُصَاب السافل. وصـدرَ الأمـرُ الشريفُ إلى الأميرِ السيـدِ جمالِ الـدين عليّ بنِ عبـدِالله الـوزيـرِ بتجهيزِ الأجنـادِ من تعز إلى زَبيـدان ليكونَ اجتماعُهم مع مَنْ في زَبيـد من الجندِ الإمامي، وليـأتوا جميعاً بـلادَ الرُّكْبِ من الجهـةِ المذكورةِ. فـاستنفرَ الأميرُ جمالُ الدين القبـائلَ، وجمعَ الأجنادَ الوافرةَ ممن لـديه من العسكرِ الإمـاميةِ، ومن أهلِ البـلادِ، وجهّزهم إلى زَبيـد تحتَ قيـادةِ الشيخ حمود عبـد الرب عـاملِ العُـدَيْنِ والشيخ حميد بنِ علي بـاشا[1] من مشايخِ العُـدَيْن، والسيدِ عبـاسِ بنِ محمد بن المنصور[2] والسيـدِ محمـدِ بن مفضل الـوزيـر ولما اجتمعت الأجنـادُ واستكملَ امراؤُه جمعَ مـا يلزم للجندِ من الزادِ والـزّنادِ، تقدّمَ الجيشُ الإمـاميُّ من زَبيد إلى أنْ وصلَ قـربَ الرُّكْبِ. وكذلـك كان تقدُّم الجيـشِ الإمامي من وُصَـاب العالي نحوَ وُصَاب الأسفلِ تحتَ قيادةِ حـاكمِ وُصَاب السيدِ هاشمِ بنِ يحيى المرتضى،

---

(١) حميد بن علي باشا ت ٣ رجب ١٣٤٦هـ حـاول الانفصال في زَبيد وإقامة دولة، وعين نفسه وزيـراً للخارجيـة، من أقطاب مشـايخ اليمن الأسفل، عينـه الإمام علي مـاوية، انظر، حياة الأمير، ٥٥٠ .

(٢) عباس بن محمد المنصور، حوله انظر، حياة الأمير، ٥٥٦، ١١٩ .

وعاملِ وُصَاب السافل،الفقيـهِ سعيدِ بن أبي بكر معوضة[1]، وجرت حروبٌ بين الفريقين في الجهتين، فيها كلُّها كانت الـدائرةُ على البُغاةِ، ولاقَوْا من جندِ الإمامِ بطشاً أحـرمَ كلاً منهم مُنـاه، ونفى عنه لـذيذ كراه، وهجمـتْ عليهم المصائبُ هجـومَ الليثِ المواثبِ، وقُتِلَ من البـاغين في إحـدى المعـارك نحـوُ الخمسين، وانتهى حالُ عـوض علي زربه إلى فـرارِه بعد أنْ هلكَ حزبُـه، وجرَّعهم الكـربةَ بعدَ الكربةِ، واستولى المجاهدون على حصنِ عَـوَض علي، وما فيه، وأخربوا بيوتَه وأحرقوا قرى عديدةً، وكـذلك كان حالُ الجيشِ المتقدّم من وُصَاب، فإنّه بطشَ بـا لمخـالفين، وأذاقهـم مـرارةَ الحربِ العـوانِ والعـذابِ المهين إلى أنْ التقى الجيشـان في الرُّكْبِ، وقـد ذُلّل كلُّ صعب، وكانت الغنـائمُ عظيمةً والمنـةُ بهذا النصرِ جسيمةً، وبعـد ذلك نودي بالأمـان/ لمن عادَ من الفـارين إلى الأوطانِ. / ٨٥ فأقبلَ أهلُ تلك الجهةِ إلى الطاعةِ سراعاً، ورتّـب عاملُ زَبيد حصنَ الرُّكْبِ بثلةٍ من جنـدِ الحقِّ، وعيَّن مولانـا الإمـامُ أميراً على الرُّكْـبِ سيدي زيـدَ بنَ علي بنِ الإمـام المتوكل، وارتفعت الأجنـادُ بأمرِ الإمـام من هنـالك، وعاد كلُّ فـريقٍ إلى بلادِهِ، وقد أحرزُوا الذِكْرَ الحسنَ، وفازوا بما قدّموه من السعي المستحسن.

وفي أثناءِ ذلـك، تزلزلَ الأمنُ، واضطـربَ في جبلِ راس، وكان عـاملُ جبلِ راس الشيخُ الجنيـدُ بنُ عبدِالله النـور، قـد رتَّب بعضَ جهـاتِ الجبلِ، ومقابلـةُ الشيخِ مقبلِ عبـدالعليم. وقـد جرى قبلَ الاختـلالِ اغتيـالُ بعضِ المجاهـدين وقتلُهم، فـوَّجه عـاملُ زَبيـد القاضي فتحَ اللهِ بنَ عبـدالـوهاب المحبشي، ومعـه طـائفةٌ من الجنـدِ الإمـامي، فلبث الحربُ بينهم وبينَ أهلِ الفسـادِ ثمانيةَ أيـامٍ،

(١) سعيـد بن أبي بكـر بن محمـد بن الحسن بـن علي بن سعيـد معـوضـة اليمني العُتُمي الشـافعي ت في صنعاء ١٣٣٧هـ، كـان صالحاً أديباً، وقد تـولى أعمال نـاحية عُتُمـة وغيرها، انظر، نزهة النظر، ٤٥ .

وأُصيبَ من المفسدين جماعةٌ كانوا أهلاً لكلِّ إراعةٍ، وقُتِلَ عددٌ من المجاهدين، ثم مالَ المخالفون إلى الطاعةِ، وندموا على ما فعلوا. وتداركوا لأنفسِهم رمقَ السلامةِ بذلك الانقيادِ، وفارقوا الرّقاعةَ، ورهنَ الشيخُ مقبلُ المذكورُ ولدَهُ، وزال الضّررُ واندفعَ الشرُّ، ولم يبقَ في قضاءِ زَبِيد ما يريبُ، وصلحت الأحوالُ بعونِ ذي الجلال الرقيب.

ولما توجّه أكثرُ الجندِ من تعز إلى زَبيد، بقيَ الأميرُ في قلةٍ من العسكرِ، ولم يكن حينئذٍ إحساسٌ لأقلِّ شرٍّ، فاغتنمَ ذوو النّفاق فرصةَ تلك الحالِ، وأوحوا إلى شياطينِهم ما أوحوا من شرِّ الأقوال، فلم يشعر الأميرُ وهو بتعز مقيم، إلاّ بما كانَ من أهلِ صنمات[1] من البغي والعدوانِ ومتابعةِ الشيطانِ[1]، وإقدامِهم إلى اغتيالِ العسكر، الذين وصلُوا إليهْم مرسَلين من السيدِ حسين جبالة[2]، وإليه في تلك المدةِ جمعُ واجباتِ الجبلِ أعني جبلَ صَبر، وكانوا نحوَ الأربعين نفراً، فإنها سَوَّلت لهم أنفسهم الشيطانية الإقدامَ على العسكرِ المذكورين واغتيالَهم أقبحَ اغتيالٍ، والتمثيلَ بهم بعدَ التالي منهم على ذلك، وكانتْ فتكةً شنيعةً اضطربَ بها حبلُ الأمنِ في جبلِ صَبرٍ جميعِه لا في صنمات فقط، وتحيَّر الأميرُ جمالُ الدين لقلةِ مَنْ لديهِ من الجندِ، وخطر الحالُ وما رآه من الجدِّ، وقد أظهرَ أولو النفاقِ ما في ضمائِرِهم من الإفسادِ، وأكثروا الإرجافَ والإبراقَ والإرعادَ، فلم تكنْ لديه مِنْ وسائلِ الدفاعِ غيرُ الفزعِ إلى اللهِ تعالى، والابتهالِ إليه في حفظِ بيضةِ الإيمانِ بكمالِ الانقطاعِ، فأرشدَه اللهُ إلى توجيهِ مَنْ لديهِ من الجندِ، وهم

---

(١) صنمات: في جبل صبر، تقع بين أدود وحَدْنان ومَشْرَعة، انظر، معجم المقحفي، ٣٧٨، حياة الأمير، ١١٩ .

(٢) حسين محمد جبالة، عامل صبر، بعد موقعة صنمات عين عاملاً لشَرْعَب، وتولى عدة عمالات ت بماوية بعد سنة ١٣٦٠هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٤٧ .

---

[١] سقطت من س.

عصابةٌ غيرُ كافيةٍ، وساقَ معهم أحـدَ المدافعِ السريعةِ فارتقوا سنامَ الجبلِ إلى أنْ وصلوا / المحطـةَ التي كان فيها السيدُ حسينَ جبـاله، وبوصولِ تلك العصـابةِ / ٨٦ إلى المحطـةِ تـوقّفَ الاختلالُ وانحصرَ على صنعاء. وأمـرَ الأميرُ جمالُ الـدين، عـاملَ إب، بإرسـالِ الرجـالِ من هنـالك. فلم يمضِ غيرُ أيـام قلائلَ إلاّ وقـدْ وصلتْ إلى تعز الجنودُ من إب وسواهـا، وكلّما وصلتْ طائفةٌ أرسلَها الأميرُ مدداً للسـابقين، فاجتمعت العسـاكـرُ في الجبلِ، ووجّـهَ الأميرُ همّتَه إلى امـدادِهم بما يحتـاجون إليـه من الذخـائرِ والأزوادِ، وأنـاطَ كلَّ طائفـةٍ بأميرٍ وأحكمِ في ذلك التدبيرَ، ثم أمـرَ الجيشَ بالتقـدُّمِ من جهاتٍ متعـددةٍ على صنعاء والبـاغـون قد تحصّنوا في محلاّتِهم، وهي في غايةِ الحصانةِ والمنـاعةِ وأبنيتُها تناطحُ النجومَ رفعةً، وتماثلُ الجبالَ تشييداً و إحكـاماً،وقد استعدَّ المخالفون، وجمعوا كـلَّ ما يحتاجون إليه من الأقـواتِ، وحدّثوا أنفُسَهم بأنهم سيُـدافعون الجندَ الإمـاميَّ سنةً، إذا لم يقدروا على صدِّهم وطردِهم عنهم، ولمتانةِ البناءِ في بيوتِهم كانوا يَرَوْنَ أنَّ المدافعَ لا تؤثِّر فيها، فأقبلَ إليهم الجنـدُ الإماميُّ كالسيلِ المتدافعِ، وفتحَ الحربَ عليهم، وضُربَتْ دورَهم بالمدافعِ، فهـدمتْ منها المشيَّدَ وأسمعَتْهُم من أصـواتِها صوتَ الصواعقِ المبيـد. وبادرتهم الجنـودُ كالعقبـانِ الكواسرِ بـالهجومِ، لا يُبـالون بما يمطرونه عليهم من رصـاصِ بنادقِهم ولا بما يرسلونـه من الأحجارِ إلى أنْ قبضوا بعضَ الدورِ، وأجلوا مَنْ فيها، وانحصر الباقون في باقيها، فعلموا حينئذٍ أنهم لا طاقةَ لهم بـالصبرِ على هذه الحربِ الضروس، ولا بملاقاةِ هجماتِ المجـاهدين، وقد أنزلـوا بهم كلَّ بؤس، وقتلوا منهم عدّة، وأخذوا منهم بثـارِ مَنْ قتلوهم غيلةً في أوجز مـدة، فدافعوا عن أنفسِهم إلى أنْ أسبـلَ الليلُ أستارَ ظلامِـه، وانسلّوا من طرقٍ لا يعرفُها سـواهـم، وقد ذاقوا مرارةَ الندامةِ ولاذوا بـالفرارِ وتركوا المالَ

....

....

والدّارَ، وتفرّقوا شَذَرَ مذَر، وهكذا عاقبةُ من بغى وفجر، وفعل ما لا يفعَلُه من جحدٍ وكفر، واحتوى المجاهدون على أموالِهم وأرضِهم وقراهم، واستأذنوا الأميرَ في قلعِ قاتِهم وهو شيءٌ كثيرٌ فاستأذنَ الأميرُ من مولانا الإمامِ، وورد الإذنُ بذلك مبالغةً في النكايةِ وزجراً لغيرِهم عن مثلِ ما ارتكبوه من العمايةِ،/ ٨٧ / فقلعوه من أصولِهِ، ثم أمرَ مولانا الإمامُ بهدمِ دورِهم التي كان بها جرأتُهم على العصيانِ، وفعل ما يغضبُ الرحمن، وشدَّدَ الإمامُ في ذلك، فمكثت أيدي الخرابِ تعملُ في تلك المباني مدةً غيرَ قصيرةٍ إلى أنْ أُلحِقَتْ بالعدمِ، وطويتْ من صحيفةِ الوجودِ الأتمّ. وبعدَ فرارِهم، ظنّوا أنهم سيتمكّنونَ من إنزالِ الضّررِ على المجاهدين بالطروقِ ليلاً، والتردُّدِ في تلك الأطرافِ، فضُبطت الأطرافُ، ولفظتهم الأطرافُ[١] جميعُها، فلمْ يتوصلوا إلى شيءٍ [٢... مما أمّلوا...٢]، وتيقّظوا أنْ لانجاةَ لهم بدونِ الاستسلامِ للحقِّ،؛ فراسلوا يطلبون الأمان، وقد عزَّ لديهم السّلوان، واقتضى رأيُ الإمامِ - عليه السلامُ - اسعافَهم وتأمينهَم، فرجعوا إلى دِيَارِهم، وقد صارتْ بلاقعَ، وعرَفوا أنهم صاحوا على أنفسِهم صيحةَ الدمارِ الفاجع، ونبذوا النعمةَ بطراً، وجلبوا الشرَّ إليهم أشراً[٣].

وأذِن مولانا الإمامُ لهم بعمارةِ مساكنَ لهم تليقُ بهم، وانقضْت فتنُهم التي أحرقَتْهُم، وصلحت الأحوالُ، وعادَتِ الأمورُ إلى مجاريها بفضلِ الربِّ المتعال.

وفيها صدرَ الأمرُ من مولانا الإمام إلى الأميرِ جمالِ الدين بتشكيل آلاي من النظامِ في تعز، يكونُ جمعُهم من سكانِ لواءِ تعز، والالاي أربعةُ طوابيرَ والطابوُر تشتملُ على أربعةِ بلوكات، والبلوكُ عبارةٌ عن مئةٍ. وهذه الأسماءُ من مصطلحاتِ الأتراكِ، كما أنّ اسمَ النظامِ منقولٌ عنهم، وإن كانَ لفظُه عربياً،

---

[١] في س، الجهات. [٢ - ٢] سقطت من س. [٣] في س، أثراً.

فقد أُطلِقَ وأُريدَ به غيرُ معناه الأصلي، ونُقِلَ إلى معنى التجنيدِ على صفةٍ مخصوصةٍ، تشتملُ على إلزامِ الجندي بتمرينٍ بدني يُكْسِبُه قوةً في بدنِه ومهارةً وتدريباً على القتالِ قبلَ حضورِه ومشاهدتِه لمعاركِ الحروب، وبتعلُّمِه ضوابطَ كليةً فيما يجبُ عليه لأمرِه ومغزاها حسنُ الامتثال، وفَهْمُ أصواتِ النفيرِ الكبيرةِ وما تشتملُ عليه من الإشاراتِ، وفائدةُ ذلك إبلاغُ الأمرِ المرادِ إلى أسماعِ الطائفةِ الكبيرةِ بدونِ تعبٍ ولا استغراقِ وقتٍ، ولا يخفى ما في ذلك من الفوائدِ العظامِ في حالِ الحروب، وتمكُّنُ مديرِ دَّفةِ الحربِ من إفهامِ الفيلقِ العظيمِ مرادَه في أسرعِ وقتٍ، وفوقَ ذلك أنه يبقى الجنديُّ النظاميّ مُرابطاً دائماً، فيمكنُ تجهيزُ الألفِ منهم في سُويعاتٍ لأنهم على أهبةِ العزمِ دائماً. ولما في ذلك من الفوائدِ العظيمةِ أقبل مولانا الإمامُ على تزييد / عددِ النظامِ، وتعميمِ ذلك في البلادِ الإماميةِ، فباشرَ الأميرُ جمالُ الدين جمعَ النظامِ، ودخلَ فيه عددٌ من أبناءِ الأعيانِ. ولم تمضِ برهةٌ وجيزةٌ إلاّ وقد انتظمَ المرادُ، وتألَّفَ الجهدُ المطلوب المستجاد. ورأينا منهم بلوكاتٍ في صنعاءَ من خيرةِ الرجالِ يؤدّون وظائفَهم على غايةِ ما يُرام. وكان ذلك المنظر أوّلَ ما وقعت العيونُ على مثلِه منذ مئاتٍ من السنين، لأنه لم يعهدْ ظفرُ العيون برؤيةِ جندٍ في صنعاءَ وجهاتِها، أفرادُه من جبلِ صَبِر والعُدين والحُجرية، وأمثالِ هذه البلادِ، ،كلُّ ذلك من تمكينِ اللهِ سبحانه لمولانا الإمام واعانتِه على ما حمّلَهُ من المحافظةِ على ديارِ الإسلامِ، وكذلك صدرَ الأمرُ الشريفُ إلى السيدِ الأميرِ[١] فخرِ الدين عبدِالله بنِ أحمدَ الوزيرِ في تأليفِ جيشٍ نظامي من سكانِ الجهاتِ التي بنظرِه وتحتَ إمارتِه، وتمَّ ذلك بعونِ اللهِ سبحانه وحسنِ تيسيرِه.

/ ٨٨

وفيها أمرَ مولانا الإمامُ باعتقالِ السيدِ العمادِ يحيى بنِ ناصر

....

[١] في س، العلامة.

شيبان[1] وإيداعه إلى دارِ الأدبِ بالقصرِ السعيد، وكان ذلك بعد أنْ طلبه الإمامُ إلى حضرتِه الشريفةِ، وألزمه بالمحاسبةِ على ما تولاّه من الواجباتِ، وكانت البلادُ التي تحتَ نظرِهِ حَجَّةَ وبلادَها جميعاً وكُحْلاَن تاج الدين وبلادَه، وقضاءَ كَوْكَبان ما عدا شِبَام، وما إليه، فاظهر التلكُّؤَ عن ذلك، معتذراً بعدم وجودِ دفاترِ الحسابِ لديه، وأنّها في مكانِ عملِه بحجَّةَ، فلم يأذنْ له الإمامُ بالعزمِ قبلَ إجراءِ الحسابِ، ومضت أشهرٌ، وهو يحسب عدمَ الإذنِ له عذراً. ومولانا الإمامُ يرى أنَّ ذلك اعتذارٌ غيرُ ناهضٍ لتمكنه من جلبِ الدفاتر إليه، وعدم احتياجِه بالذات إلى العزمِ لإيصالِها بنفسِه، فكان ما ذكرناه من اعتقالِه. ولما بلَغَ إلى أخيه السيدِ محسنِ بنِ ناصر شيبان باعتقالِ أخيه، وكان أخوه قد استنابَه على عملِه، وهو مقيمٌ بحَجَّةَ، حَمَلَهُ النزقُ وعدمُ التجربةِ للأمورِ على إعلانِ العصيان، والخروجِ عن طاعةِ أمامِه. وصادفَ ذلك تجمُّعُ ألفافٍ من حَاشد أشهرُ من يُعْرَفُ فيهم الشيخُ محمدُ بنُ غالب القديمي، وهم نحوُ أربعِ مئةٍ، وقد توجّهوا قاصدين النزولَ إلى تُهامةَ، للوصولِ إلى الضال الإدريسي ناجم تهامة، والانضمامِ إلى جنده تهاوناً منهم بالدينِ، ورغبةً فيما يبذلُه لهم الضال من الحطامِ، فكانوا على مقربةٍ من حَجَّةَ، ولذلك دعاهم السيدُ محسن إلى نصرتِه / ٨٩ /

---

(١) يحيى بن ناصر بن أحمد بن ناصر بن اسماعيل الملقب، شيبان: ت ١٣٤٤هـ، كان أميراً على حَجَّة، وتصدر للتدريس في كُحلان، كلفه الإمام سنة ١٣٢٣ بتحصيل زكاة بلاد حَجَّة وكُحلان والمَحْويت وبلاد كَوْكَبان، طلبه الإمام للمحاسبة فاعتذر بأسباب غير مقبولة، فحجزه الإمام حتى يتم الحساب، إلا أن أخاه محسن استولى برجاله على بعض حصون وقلاع حَجّة، وبرغم وساطة عبد الوهاب الشماحي استمرت الفتنة حتى قضى عليها سيف الإسلام، أحمد، ولد في ظفير حَجّة سنة ١٢٩٨، انظر، نزهة النظر، ٦٤٧، ائمة اليمن، سيرة الإمام يحيى، ٢/ ٦٠، هجر العلم، ١٣٣٥ .

ومكَّنهم من مـدينةِ حَجَّـةَ ونعمانها وذخيرةِ الإمام ومـدافعِه، وأظهـرَ الانتماءَ إلى الأدريسي الضـال، وقصدَ بـذلك المسكينُ الانتقامَ مـن مولانـا الإمام؛ لإيـداعِ أخيه دارَ الاعتقـالِ، ولم يكن الظنُّ به أنْ يتجاوزَ حَـدَّ الطاعةِ والانقيـادِ إلى كُفرِ نعمـةِ مـولاه،والدخـولِ في زُمـرةِ أهلِ الفسـاد، ولا كـانَ ذلك مما يُـرضي أخـاه المعتقل. وهـو يعلمُ أنـه في قبضتِه الإمـام ولا ينجيـه من الاعتقالِ إلا استرضـاءُ مولاه لا اسخـاطُه وجفاه. ومن المعلومِ أنَّ خَطْبَ أخيـه كان يسيراً، فلم يُعتقلْ إلا لأجلِ الحسابِ لا لذنبٍ جناه - فيما نعلُم - يسلبُ النعمةَ ويجلبُ العقاب، ولكنَّ المذكـورَ بفعلِه القبيحِ عَظَّم ذنبَـه، وكـاد أنْ يغلقَ عليه لـدنَ الإمام بـابَ التوبة، وجلبَ على نفسِه وذويه نكباتِ الـزمانِ وطوارقَ الحدثان. فإنه لما بَلغَ إلى مسامعِ مـولانا الإمـامِ ما جرى، وتيقَّن أنَّ الـرعاعَ من حَاشـد قد ملكـوا معقلَه وذخيرتَـه، وصـاروا يعبثون بـأموالِ اللهِ، اهتمَّ لـذلك اهتمامـاً عظيماً، وجهَّـز إلى حَجَّـةَ جيشاً أصحبهم المدفعَ الأبـوسَ، وأَمَّرَ على الجيشِ المذكـور عزَّ الإسـلامِ محمـدَ بن[1] محمـد زبـارة(1). ورافقـه عن أمـرِ الإمـام الشيخُ حـزامُ بنُ عبـدِالله الصعر. فتوجّه الجيشُ المذكورُ إلى حَجَّـةَ، ونهضَ مولانا سيفُ الإسلام، أحمدُ بنُ الإمام بجنـدٍ عظيمٍ من شهارةَ، وأقبلَ مسرعـاً للغارة، فالتقى الجيشـانَ هنالك، وأحـاطا بِحَجَّـةَ ونعمانها(2) إحـاطةَ الهالـةِ بالقمـر، وجرتْ بينهم وبين البـاغين

(1) محمـد بـن محمـد بن يحيى بن عبـدالله زبـارة ت 16 ذي الحجـة 1380هـ، المؤرخ المعروف، فقيـه، عالم، تـولى للإمـام يحيى العديـد من الأعمال، كالقضاء ومـأمور قبض الزكاة وسفيراً مندوباً عن الإمام، طبعت مؤلفـاته مبكراً، وتنقل وسافر كثيراً، وهو أشهر من أن يُعرف، ولد بصنعاء في رمضان 1301هـ، انظـر مؤلفاته وأعماله التي تفيض بها المكتبة العربية.

(2) حصن نُعْمان: من حصون حَجَّـة المنيعة، على ربوة بـالجنوب من المدينـة، انظر، معجم المقحفي، 158، 669، معجم الحجري، 2/ 734، اليمن الكبرى، 119-120 .

[1] في س، محمد بن محمد بن يحيى زبارة.

حروبٌ في نهايتِها كانَ التوسُّطُ على خروجِ القديمي(١) أو السيدِ محسن شيبان ومن معهم من البلادِ، وتسليمِ ما في يد السيدِ محسن من الأموالِ والذخائر إلى يدِ مولانا ابنِ الإمامِ. وتمَّ ذلك بعونِ الربِّ العلاّم.

وأمرَ مولانا سيفُ الإسلامِ، بهدمِ بيتِ السيدِ العمادِ يحيى بنِ ناصر شيبان في مُبْيَن(٢)، فدُكَّ إلى القرارِ، وعَفَّى آثارَ الإمارةِ[١] الشيبانية. وقد كانتْ شامخةَ البناءِ في تلك الجهاتِ، قائمةً على أساسٍ متين من المعالي، وحُسنِ الثباتِ مدةً طويلةً، تناهزُ العشرين من السنين، ولم يكنْ لذلك سببٌ سوى ما ذكرنا من هفوةِ السيدِ محسن وحماقتِه، فهي التي جرَّت هذه المصيبات.

واستقرَّ مولانا سيفُ الإسلام بِحَجَّةَ[٢]، وجُعلت بنظره، فوطِئَ أكنافَها ومهَّدَ أمورَها، وحزَم أطرافَها، وأذلَّ المتعجرفين، وقمعَ ببأسِه وكياستِه صولةَ/ ٩٠ المنحرفين، وانتصفَ للمظلومين من الظالمين، وعاقبَ من تظاهرَ بنزولِ تُهامةَ من القبائلِ[٣] وغيرِهم، وكان مَنْ قبلَه يتساهلون في ذلك، والتساهلُ مجلبةُ الازديادِ. وما انفكَّ ساهراً في افتقادِ الأحوال، ورفع كلِّ اختلال.

وكان مولانا سيفُ الإسلامِ، أحمدُ بنُ أميرِ المؤمنين - حفظه الله - قد استنابَ في شُهارةَ للقيامِ بأعمالِها سيدي عزَّ الدين، محمدَ بنَ محمد الكبسي، صهرَ مولانا الإمامِ، فقام بذلك خيرَ قيامٍ، [٤وحُمِدَتْ سيرتُه، واشتُهِرَتْ يقظتُه٤]،

(١) المقصود شيخ قرية القنابع من الضامر من نسل أحمد القديمي الحسيني التُهامي، وهو محمد بن غالب القديمي.

(٢) مُبْيَن: جبل مَبْين فرع من جبل مَسْور، والمدينة مشهورة، معجم المقحفي، ١٥٨، اليمن الكبرى، ١٢١، معجم الحجري، ٢/ ٦٨٨ .

[١] في س، العمارة.
[٢] في س، في حجة.
[٣] في س، النقائل.
[٤ - ٤] سقطت من س.

فأقرّه مولانا الإمامُ على ذلك العملِ، وثبَّت فيه قدمَه ثبوتاً وافق الأمل.

وفي هذه السنةِ كملتْ عمارةُ دارِ الفتوحِ بمحروسِ بئرِ العزب، وأرَّخ إكمالَ عمارتِها سيدي العلامةُ عليُّ بنُ حسينِ بنِ عبدِالله الشامي صهرُ مولانا الإمامِ بقوله:

[الخفيف]

نعمت الدارُ هذه أنَّ منها	نشرُ عدلٍ بطيِّ دفعِ الشرورِ
دارُ نصرٍ تزيَّنَتْ بإمامِ النا	سِ أبقاهُ ربُّنا في حبورِ
فهوُ شمسٌ مزيلُ ديجورِ ظلمٍ	وأعاديه في عَذابِ السّعيرِ
قدْ تسامتْ إذْ كانَ تاريخُها دَ	ارَ فتوحٍ بنعمةٍ وسرور[1]

وفيها قُبَيْلَ شهرِ رمضانَ، كرَّر مقادمةُ مولانا الإمامِ الذين بصَعْفَانَ، طلبَ الإذنِ لهم بزيارةِ أولادِهم، فأذِنَ لهم جميعاً ما عدا السيدَ الأميرَ عبدَالله بن أحمد الوزير، فإنه بقيَ في صَعْفَانَ امتثالاً لأمرِ مولانا الإمامِ.

وفي ذلك التاريخ، وصلَ إلى الحضرةِ الشريفةِ الشيخُ عبدُالله بشر مراجعاً في أمورِ ناحيةِ مَتْوَح، وشاكياً من حاكمِها السيدِ محمدِ بنِ قاسم الظفري وناسباً إليه تنفيرَ الرعايا، وعدمَ ملائمةِ أحوالِ الناحيةِ لما هو عليه من السجايا، فمكثَ زماناً في المقامِ حليفَ إكرام، وأسفرتِ المراجعةُ بينَه وبينَ مولانا الإمام عن إسعافِه بتعيينِ سيدي عباسِ بنِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ إسحقَ عاملاً(1) وحاكماً

---

(1) عباس بن علي بن أحمد بن محمد بن اسحاق: عالم، شاعر، أديب، تولى للإمام يحيى أعمالاً كثيرة كان مساعداً للعلامة أحمد بن يحيى عامر في بلاد خوْلان ثم تولاها وامتد نفوذه إلى سَنْحان وبلاد الرَّؤس وبني بُهْلول وذَمار ويَرَيْم، تولى قيادة جند الإمام سنة ١٣٢٩هـ لمحاربة الأتراك، وبعد صلح دَعّان، عمل كاتباً عند الإمام يحيى ثم عاملاً مع حراز، توفي بَعْدن سنة ١٣٦٥هـ، ولد سنة ١٣٠٧هـ. انظر نزهة النظر، ٣٢٧، هجر العلم، ٣٥٧-٣٥٨ .

---

[1] دار فتوح بنعمة وسرور هي ١٣٣٨ بحساب الجمل.

على ناحيـةِ صَعْفَانَ، وعيَّن معه كـاتباً الحاجَّ علي صلاح الـدين، وتوجَّـهَ العاملُ المذكورُ بصحبةِ الشيخِ عبدِالله بشر إلى صَعْفَانَ.

وهنـالك قامَ السيّـدُ العباسُ بنشرِ العـدلِ، والتزام سهـولةِ الحجـابِ ولينِ الجانب، وإرشادِ النـاسِ بالمواعظِ الناصحـةِ إلى الطريقةِ الراجحـةِ، وأُنيطتْ بهِ جميعُ أمورِ النـاحيةِ: أعمالُها وإمـارةُ من فيها من الجندِ الإمـامي. وبوصـولِه إلى الناحيةِ كانَ الإذنُ للأميرِ سيدي عبدِالله الوزير، فقوَّض خيامَ الإقامةِ من هنالك قاصداً/ حضرةَ مولانـا الإمامِ، ومنها توجَّه عائداً إلى محلِّ عملِه، بعـدَ لبْثِه أياماً، زوَّده مولانا الإمامُ في أوقاتِها ما يجبُ عليه أتّباعُه فيما بنظرِه من الأعمال. / ٩١

وقبلَ عـزْمِهِ من صَعْفَـانَ، قـد كان مـن الشيخِ عبدِالله بشر التماسُ تفـريقِ العسكرِ في جميعِ صَعْفَـانَ معلِّلاً ذلك بـالتخفيفِ على الناسِ ورعـايةِ التسـويةِ بينهم. فكانَ من السيدين اسعافُ المذكورِ إلى ما أراد، ولم يعلما بما قد أظهرَه من الخداعِ والإفسادِ، وسيأتي - إن شـاء الله - بيانُ مـا انطوى عليـه الشيخُ المذكورُ من الخَبثِ والدهاء.

وفيها كان تعيينُ النقيبِ أحمدَ بنِ يحيى حبيش عـاملاً على المَحْويت وبلادِه، وجبلِ حُفاش وما إليه، وتعيينُ القاضي لطفِ بنِ محمد الحيمي[1] لحكومةِ حُفاش.

وفي أوائلها أيضـاً صار تعيينُ الفقيـهِ محمدِ بنِ عبـدِالله الشامي عـاملاً على ناحيـةِ حَيْس، والقاضي محمودِ بنِ محمـدِ الزبيري[2] لحكومتها، وتعيينُ القاضي

(١) لطف بن محمـد بن حسين بن أحمد بن نـاصر الحَيْمي ت في شعبان ١٣٧٩هـ، درَّس بجـامع صنعاء وكـان قـاضيـاً في عَمْرَان، ثم حـاكماً على حُفـاش، ولـد بصنعاء سنـة ١٢٩٤هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٩٠، حياة الأمير، ٥٨٤ .

(٢) محمـود بن محمد بن أحمد بن لطف البـاري الـزبيري ت ١٣٤٧هـ، تـولى للإمـام يحيى القضـاء في بلاد حَيْس والمخا، وتـولى بعض أعمال التجـارة وعين كـاتباً في المحكمـة الأولى لصنعاء، ولد بصنعاء ١٣٠٢هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٨٧، حياة الأمير، ٦٠٠ .

عبدِالرحمنِ بنِ أحمد المعلمي[1] الشافعي حاكماً لناحيةِ شَرْعَب.

وفيها أيضاً وفَد إلى الحضرةِ الشريفةِ الشيخُ قايد صالح مقبل[2] ابن أخي الشيخ محمد ناصر مقبل، مراجعاً للإمام في تقريرِ أمورِ قضاءِ القماعِرةِ وأعمالِهِ وبعدَ مفاوضةٍ طويلةٍ استقدمَ مولانا الإمامُ سيدي شرفَ الإسلام، حسنَ بنَ عبدالوهاب الوريثَ[3] من ذمار إلى صنعاءَ، ووجَّهَ الإمامُ - عليه السلامُ -، إلى عهدتِه حكومة القضاءِ المذكورِ والإشرافَ على واجباتِه، وأقرَّ الشيخَ محمد ناصر مقبل على العمالةِ، وكان قد طعَنَ في السَّنِّ، ووصلَ في شيخوختِه إلى حدِّ الهَرَم، وأسندَ الإمامُ عمالةَ جبلِ الحُشا إلى الشيخِ قايد صالح المذكور، وعمالةَ ناحيةِ سَّبْرَة[4] إلى القاضي عبدِالله يونس[5]، وحكومَتها إلى السيدِ يحيى بنِ حسن الوريث، وقصدَ المذكورون أعمالهم.

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن محمد المعلمي العُتُمي ت سنة ١٣٤٠هـ، عالم، شاعر، أديب، تولى القضاء في بلاد الحُجَرِيَّة وإب وحراز ورداع وحَبيش وعُتُمة في العهد العثماني، وزار استانبول مرتين تولى القضاء في عهد الإمام يحيى في المخَا وشَرْعَب، ولد بعُتُمة سنة ١٢٨٦هـ، انظر نزهة النظر، ٣٣٣ .

(٢) قايد مقبل صالح الصراري: ت ١٣٤٢هـ، عُين على قضاء ماوية حاكماً، قتله آل هريش انظر، حياة الأمير، ٥٨٣ .

(٣) حسن عبد الوهاب الوريث: ولد جمادى ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م، عالم، شغل عدة محاكم في رداع، وعين سنة ١٣٣٧هـ عين لقضاء القماعرة، ١٣٣٨هـ، ثم إب وتوفي في ذَمار، ٢٢ ذو القعدة سنة ١٣٥٣هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٤٣ .

(٤) السَّبْرَة: ناحية من نواحي قضاء القماعرة ثم من ذي السُفال، آخر نواحي اللواء التعزي شمالاً بشرق، انظر، معجم المقحفي، ٣٠٣، حياة الأمير، ٦٢١، معجم الحجري، ٢/ ٤١٥ .

(٥) عبد الله بن محمد يونس، علامة، أديب، شاعر، حاكم حُبَيْش ثم حاكم المَخا ثم لواء تعز، انظر حياة الأمير، ٥٦٧ .

وفيها وفدَ إلى الحضرةِ الشريفةِ جماعةٌ من أعيان لواء تعز، منهم القاضي عبدُالرحمن بن علي الحداد[1]، وأخوه القاضي أبو بكر بنُ علي الحداد[2]، والسيدُ أحمدُ بنُ علي عبدالجبار[3]، والقاضي عبدُالعزيز بنُ يحيى المجاهد، فتلقّاهم الإمامُ - عليه السلام - أحسنَ تلقٍّ، وقابلَهم بالجميلِ الأوفق. وكان الخوضُ بينه وبينَ الإمامِ فيما يكونُ به الصلاح. ويستطيلُ به نورُ الفلاح، وأسفرَ ذلك عن تعيينِ القاضي عبدِالرحمن حاكماً على تعز، وتشكيل مجلسِ تدقيقٍ للأحكام هنالك، قوامُه من القاضي المذكورِ رئيساً، ومن القاضي عبدالدائم السادة[4] والقاضي محمدِ بن عليٍّ بن عبدالكريم المجاهد[5]، والقاضي اسماعيلَ بن

---

(١) عبد الرحمن بن علي بن ناجي الحداد ت ١٣٤٠هـ، تصدر للافتاء في إب، ثم حاكماً على تعز، سافر مع وفد العلماء إلى اليمن سنة ١٣٢٥هـ، حارب مع العثمانيين، عينه الإمام قضاء تعز ثم رئاسة محكمة الاستئناف، من مؤلفاته، «الارشاد في الحث على الجهاد» ابطل فيه دعوة الادريسي للجهاد، وتحفة الأصفياء في إثبات كرامة الأولياء، ونظم الاختيارات الأمامية المتوكلية، انظر نزهة النظر، ٣٤٧.

(٢) أبو بكر بن علي بن ناجي الحداد ت ١٣٥١هـ، عالم كبير، تولى منصب الافتاء في قضاء إب، وحاكماً شرعياً لمحكمة تعز إلى عام ١٣٤٧هـ، ثم الحُدَيْدَة، ولد عام ١٣٠٧هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٢٦، نزهة النظر، ٣٩.

(٣) أحمد بن علي بن عبد الكريم عبد الجبار المجاهد ت ١٢ ربيع الأول ١٣٦٧هـ، تولى القضاء في سنة مبكرة، مدير المدرسة العلمية في تعز، حارب مع العثمانيين في عَدن، ولد سنة ١٣١١، انظر، هجر العلم، ١١٧٨.

(٤) عبد الدائم بن محمد بن عبدالله بن يوسف السادة، عالم فاضل، كان يسكن الذراع، كان حياً سنة ١٣٥٧هـ، انظر، نشر العرف، ١/ ٨٠٦، هجر العلم، ٧١٠.

(٥) محمد بن علي بن عبد الكريم بن عبد الجبار بن محيي الدين المجاهد ت ١٣٨٧هـ، عالم في الفقه والأصول واللغة، تولى القضاء في قضاء الحُجرية، ثم قضاء تعز، ثم مفتياً للواء تعز، ولد سنة ١٣٠٣هـ، انظر، هجر العلم، ١١٧٧.

عبدالرحمن الـذيبني والقاضي حسنِ بن علي المغربي[1] أعضاء، وتعيين القاضي عبدِالعـزيزِ المجاهـد عاملاً على جبل صبر والقـاضي/ أبو بكر مفتيـاً في قضاء إب، ورَّتب لهم مولانـا الإمام المقررات الشهرية. / ٩٢

وفيها أيضـاً كـان تعيينُ السيـد محمدُ بنُ عبـد الله بنِ الإمام مـن ذريةِ المولى علي بن المتوكل على الله إسماعيل[1] الساكنين في جِبْلَـة، حاكماً على جبل صبر.

وفيها أيضـاً كان تعيينُ الشيخ محمدِ بن حسـان عاملاً على نـاحيةِ شَرَعَب، والشيخ عبد الله عثمان عاملاً على ناحيـةِ مَقْبَنَةَ من أعمال لواء تعز. وتعيين السيد ناصر الدرة[2] حاكماً لنـاحيةِ وصَاب السافل، والقـاضي أبي الخير المزجاجي[3]، مفتي الحنفية سابقاً، وأحدِ علماء زَبيد حاكماً في جبل راس.

وفيهـا ظهـرَ الاختلالُ في بـلادِ الطَّعَـامِ[4] من أعمال جبلِ رَيْمةَ، وأعلنَ في

---

(١) حسن بن علي بن حسين المغـربي، نـاب عن والـده بمحكمـة الاستئنـاف الشرعيـة بصنعـاء، ودرس في مسجد الفليحـي، نصبه الإمـام للتـدقيق في عمـوم أحكام البـلاد التعزية، ولد بصنعاء سنة ١٣٠٨هـ، انظر، نزهة النظر، ٢٣٣ .

(٢) ناصر بـن حسن بن ناصر بن حسن الـدرة ت ١٣٧٦هـ، نشأ بمـدينة عمـران، وتولى حـاكماً لنـاحيـة وصـاب السـافل ثـم قضـاء عَمْـران ثم في جبل بُـرَع وعين في محكمـة الاستئناف، انظر، نزهة النظر، ٦١٧ .

(٣) أبو الخير المزجاجي، عبد الرحمن بن عبدالله الصديق بن الزين المزجاجي، تولى القضاء في العهد العثماني في بيت الفقيه ثم يَريم، ثم عضـواً في محكمة الاستئناف بصنعاء وتولى القضاء في اللحية والافتاء في الحديدة، انظر، هجر العلم، ٢٠٢٩ .

(٤) بلاد الطَّعَـام: ناحيـة من رَيْمَة، يتبـع ادارياً محافظة صنعـاء، وبلاد الطَّعَـام تلحق بها عشرة عُزل منها، عُزلة بني حسن وبني وقيـد والعساكرة، انظر معالم الآثار، ٣٧، اليمن الكبرى، ٥٧، صفـة جـزيـرة، ٢٠٥، ٢٠٨، ١١٩، صفحـات مجهـولـة، ٢٢، معجم المقحفي، ٢٨٣ .

---

[١] في س، اسماعيل بن القاسم.

الضـالع كبيرُ شيوخهـا الخلاف، وجلبَ بغاةَ تُهامـةَ إليه، وطـارَ شرُّ الخلافِ إلى جميعِ عزلِ بلاد الطَّعـام. ولم يكنْ في رَيْمةَ جندٌ يقومُ بـدفعِ هذا الحادث، ويرفع خطبَه الكارث، فـاستمد عاملُ رَيْمةَ السيدُ الهمام محمد بن علي الشـامي مولانا الإمامَ، فأمدَّه بجندٍ كثيفٍ.

ولما وصلَ إليه الجندُ، بـادرَ إلى المخالفين بالإعذارِ والإنذار، فالتـزموا جانبَ الإصرار، وانقادوا للأشرار، فباشر حـربَهُمْ وجرَّدَ همَّتَه لتنكيلهم وضربهم، وجعلَ قصدَه ديـارَ مَنْ تـولّى كبرَ الخلافِ، وساقَ قـومَه وأصحـابَه إلى حفـرِ الاتلافِ، فجرتْ بينَ الفـريقين حربٌ ضروسٌ، هـاجمَ فيها المجاهـدون الحصونَ، وأنـزلوا بالمخالفين ريبَ المنون، واستولَوْا على البلادِ وطهَّروها من ذوي الفسادِ، وأحرقوا بعضَ قراهـا نكايةً بـالأعداءِ، واحتـوَوْا على غنائمَ كثيرةٍ، وفر البـاغون من تلك الديار، وندموا ندامةَ الفرزدقِ حينَ طلَّق النوار.

ثم راسلهم عـاملُ رَيْمَةَ بـالرجـوع إلى الطـاعةِ، فأسرعـوا إليها منقـادين في أقرب مدةٍ، وأدركـوا بذلك ما يرومون من الفرجِ بعـدَ الشدةِ، وكانت القتلى من الفـريقين غيرَ قليلـةٍ، إلا أنها من الباغين أكثـر. ولم يحملهم على الخلافِ سـوى أنهم بـالقربِ من بُـرَع وبـلادهم متصلـة به، فسـوَّلتْ لهم أنفُسُهم نكْثَ عهـدِ الطـاعـةِ والخروجَ عن سننِ الجماعـــةِ، فلم يظفــروا بما أرادوا، وخيَّبَ اللهُ منهم الآمال. وعادت الأحوالُ إلى ما كانت عليه مِنْ قبلِ الاختلال.

وفيهـا وصلَ إلى حضرة مـولانـا الإمام عليـه السـلام السيـدُ الأجلُّ عليُّ بنُ حسين بن الإمـام من سـادات جِبْلَةَ زائراً، فـاقتضى رأيُ مـولانـا الإمام اسنـادَ حكومةِ ناحيةِ جِبلةَ إلى عهدتِه، لمكانِ كفايتِه وأهليّتِه، فحُمِدَ فيها منابُه، وارتفع

....

....

بذلك جنابُه.

وفيهـا أيضـاً كـان تعيينُ القاضي محمـدِ بنِ علي الصـديق حـاكماً بنـاحيـةِ المخَادِر/ وفيهـا، في شهر ذي القعدةِ الحرام، ظهرتْ مكيـدةُ الشيخ عبد الله بشر إلى حيّـز الوجـودِ، وطُوِّق مـذَّمتَهـا إلى يوم النشـور[1]. فقـد ذكرنـا ما كـان من الإحسـان إليـه من الإمـامِ واسعافـهِ بكلِّ مـرامٍ، وذلك لظنٍّ أنَّ مـرادَه صـلاحُ الأحوالِ والتخفيفُ على الرعايا في تخطيط الجنـدِ، ولم يكنْ مرادُه ذلك، ولكنّه قد عرفَ استيحـاش حاكم صَعْفَـانَ منه، وكـذلك عامـل حرَاز أنهما قدْ أخـذا من أعمالِهِ الحذرَ، وكـان ذلك دأْبَهما، وعلم بذلك، أنه لا يتمُّ له مع أشرافهما مـا دبَّره من الغدرِ والمكايـد فسعى، في ما ذكرناه، من التبـديلِ وتعيين سيدي عباسِ بنِ علي وإنـاطةِ الأمـور به حقيرهـا والجليلِ، ولم يكنْ سيـدي عباسٌ بـالغرِّ الـذي ينطلي عليه زخرفُ الخداع والتمويه، لـولا أنّه عرفَ أنَّ المرادَ من تعيينهِ الإصلاحُ وتركُ الشدّةِ واستعمالُ اللّين، فكان ما ذكرناه من تفريقِ الأجنادِ في جميع صَعْفَانَ بعلّةِ التهـوينِ والتسويةِ بينَ الرعيّـة في الخطاط، وعقيبَ ذلك، كان التمـويه من المذكورِ بقصدِ إخفاءِ ما يجري بينَهُ وبينَ محمـد طاهر، رئيسِ أصحابِ الضالِ[2] من المكاتبـةِ بأنْ حسَّنَ للعاملِ إجراءَ المكاتبـةِ بينَه وبينَ محمد طاهـر المرقومِ في مـوادَّ من الصّـلاحِ، فظفـرَ الشيخُ المذكور بمـرادِه من سترِ مكـائدِه، وإخفـاءِ شبكاتِ مصائدِه، وكانت المكاتبةُ تجري بـواسطةِ السيدِ مساوي بن عبد الرب، ولا علمَ لـديـه بها في خلَـدِ القومِ مـن الغوائلِ، ومـا قـدْ نصبُـوه للمسلمين من الحبائل.

وأمّا السيـدُ محمد مسـاوي، صاحبُ شويع، فلم يكنْ بـريئاً من المشـاركة،

---

[1] في ص، الشهود.   [2] في س، الضال ابن ادريس.

واللهُ العـالمُ بـالسرائر، ومـا أخفَتْـهُ الضمائرُ، ولما أجمعـوا على الغـدرِ واستكملـوا أسبابه، أضرموا تلك النار الدفينة، وأعلنوا ما في قلوبهم من الغدرةِ اللعينة، فلمْ يشعرْ من في القرون[1] من الرتبةِ إلا بهجـومِ الأعداء عليهم، وهم لا يشعرون بما أجمعـوا عليه من الـوثبـةِ، فأمدّهم العـاملُ بعصـابةٍ من النظـام، وكتَب إلى بني جـرين بالأمـدادِ لهم، فأجابـوه أنَّ طـائفةً من الأعـداءِ قد وصلـوا إليهم، وأهل العارضةِ[2]، ومنَ الأعداءِ طـائفة قد اغتالـوا من في حصنِ غراس[3] وأسروهم، وهم ثمانيةٌ وعشرون نظـامياً، وظهرَ حينئـذٍ، أنّ قد اجتمعَ بنو سعـد وأهلُ مَدْوَل والطَرَفِ والعـارضَةِ وبنـو جرين وبنـو إسحق وكثيرٌ من قبائل القُحـري، ومن أرسلهم محمد طاهـر قائدُ الإدريسي من بَاجل من قبـائل المسارحةِ[4]، وحاشد وبُرَع إلى نحـوستهِ آلافِ مقاتل، وأقبلـوا إلى صَعْفَانَ، فغشـوه من كلِّ جانبٍ في يومٍ واحدٍ.

وعنـد الصِّدامِ قـابلهم أهلُ صَعْفَـانَ بـالاندمـاجِ فيهم، وأعلنـوا الخلافَ، وأظهروا الانتماءَ إليهم، وأشعلوا نيرانَ الفتنـةِ، ووثَبَ جميعُهم على الأنصارِ، فنجا

---

(١) قرون: من صَعْفَان.

(٢) العَـارِضْـة: في اليمن كثير منهـا عُزلـة من مخلاف العَـوْد وأعمال النَّـادِرة، وأخـرى من حُبَيْش وأعمال إب، وعُـزلـة من مخلاف صُهبـان وأعمال ذي السُفـال، وعُـزلـة من بني سرحة من ناحيـة المَخَادِر، وقرية في جبل كَوْكبـان، انظر، نشر العرف، ٢/ ٢٨٤، ٣٦٨، ٤١١، معجم المقحفي، ٤٧٨ .

(٣) الغِراس: جبل ونـاحية من بني حِشَيْش، تابعـة لقضاء صنعاء، في سفح ذي مرمر انظر تاريخ اليمن الثقافي، ٢/ ١٠٨، اليمن الكبرى، ٧٢، معجم الحجري، ٢/ ٦٢٢ .

(٤) المسارحة: من قبائل تُهامة في نـاحية أبي عريش، انظر، معجم المقحفي، ٥٩٠، معجم الحجري، ٢/ ٧٠٧ .

العـاملُ ومنْ معـه إلى حصنِ مَتْوَح، وكـان الشيخ عـونُ الـدين أحمد مساعـد، والشيخ حسين بن عبـدالله الصعـر والشيخُ حسين بن نـاصر الغـزي في بيتِ الشيخِ عبدالله بشر، ومعهم عصـابةٌ من أصحابِهم، فنصحهم بـالخروجِ من بيتهِ والالتحاقِ بمن في مَتْوَح.

/ ولما خرجـوا من بيته، ووصلـوا إلى طرفِ المحلِّ، وثَبَ عليهم أهلُ الجبّـانةِ / ٩٤ مع مَنْ وصَل إليهم من الطّغـاةِ، وكانت الحربُ بينَ الفـريقين بينَ أشجارِ البنِّ، فقبضَ الأعـداءُ على الغـزي وعشرةٍ من أصحاب الصعـرِ، ونجـا الشيخُ حسين الصعر بنفسه هو والشيخُ عون الديـن ورفقته، وأسرَ الأعداءُ ثلاثةَ عشرَ نفراً من النظـام وخَـوْلانِ الشامِ في حصنِ أعتـام، ومن في بني جـرين من أنصـار الحقِّ تحيروا إلى المغـاربِ بعـد حـربٍ بينهم وبينَ أهلِ البـلادِ وغيرهـم من الـواصلين إليهم، وتقدَّم أهلُ القُحري وبنو جرين إلى ربعِ المغارب، وطمعوا في استيلائهم على مدفع الإمام، وكانَ في أكمةِ خليفة(١)، وقد وصل وقتئذٍ من لَدُن عاملِ حَراز أولُ غارةٍ مـؤلفةٍ من الشيخِ ناصرِ بن حسين الأحلسي والشيخِ محمـدِ بنِ غالب خليلٍ وعصـابةٍ من أهلِ حَـراز، فلم تكنْ بالنـافعةِ، ولم تـزد القومَ إلا خبـالا، بل غايـةُ ما حصلَ منهم الاعانةُ لمن بقـيَ عندَ مدفعِ الإمامِ على إطـلاعِه إلى حصنِ القاهرة.

وقد كان من الشيخ محمد بن علي الرمـاح ومن بقي معه من أصحابه النظام المدافعةِ عنه بأتم جـدٍ ثم فرَّ الأكثر من النظامِ وجميعُ أهلِ حـراز إلى مَناخَة، إلا الشيخَ نـاصرَ بنَ حسين الأحلسي، فبقي لـدُنَّ العـاملِ في مَتْـوَح، واجتمعَ أهلُ صَعْفَـانَ مع الجيوشِ البـاغيةِ التهـاميةِ، وظنّـوا أنهم قد عُصِمـوا[١] من طـوفانِ الدولةِ العلويةِ، وأنَّ مددَ الكافرِ سيحولُ بينهم وبين سيفِ اللهِ الباترِ لكلِّ غادرٍ

(١) أكمة خليفة: أكمة لآل خليفة من رَدَاع، انظر، اليمن الكبرى، ٦٦ .

[١] في س، عصموا أنفسهم.

وماكـر. ونزل الشقيُّ عبدالله بشر بستَّ عشرةَ رهينة إلى بـاجل، وضعها في المدفعِ ولوازمِـه، وأطلعه إلى محلّ الجرواح(1)، ورمى به يـوماً واحـداً إلى القاهـرة ومَتْوَح، وأخبرَ بعضَ منِ حضرَ لـديهم من أهـلِ صَعْفَـانَ، أنَّ عبـدالله بشر كـان يعطي الطبشية على كلِّ ضربةٍ خمسـةَ ريالاتٍ بغشيشاً، ووصلَ رئيسُ جيش الأدريسي الشريفُ حسن مُصـادم ومعـه العـزي عطـا إلى الجرواح، وكـان معظمُ جيشِ الأعـداء في محطةِ الشرفِ الأعلى، ومعهم بنـو جـرين، والبغـوي وأصحابـه من القحري في جبلِ شُعْيَب، وهـم نحوُ ألفٍ، وأكثرُ القُرى مملوءة من العساكِر.

وفي أثناءِ ذلك أجمعَ رأيُهم على منازلةِ حصنِ مسار(2)، فأرسلوا لذلك الأمرِ أهلَ العـارضةِ وبني سعد والطَـرَف، وكثيراً من أهلِ صَعْفانَ مـع عقّالِهم: أحمدَ محمد بشر وصالح علي الـوصابي وإبراهم أحمد عاقل بـلادَ الطَرَف، وأحمد ثابت عاقل العـارضة، وإنما قوي طمعُهم في مسارِ مـا حصل من انخداع[1] علي فقيه صـاحبِ سيفٍ من مَسَـار، ومحمـد عمـر عـاقل بيت شمـران(3) وأخيـه، فإنهم قصـدوا جيزانَ وطلبـوا إرسالَ جيشٍ معهم، والتـزموا للطـاغي بالحصن، وأمـر الإدريسي مَنْ بصَعْفان[2] بإسعاف المذكـورين، فكان ما ذكرنـاه من إرسالِ أهلِ صَعْفَانَ ومَنْ إليهـم، فهاجموا ستَّ قُرى مـن غربي مسار، وهي مـن بني حجاج إلى المعاجلـةِ[4] إلى أكمةِ شيبـانَ، وانتهبوا مـا في / المعاجلـةِ، وطمِعَ الأعداءُ في قطعِ الطريقِ الموصلـةِ إلى مَتْوَح، وأخذِ الحصن أو[3] حصارِ مَنْ فيـه، ولاختلاف

/ ٩٥

(١) الجرواح: بلد من ناحية صَعْفَـان وأعمال حراز انظر، معجم الحجري، ١/ ١٨٣، ٢٥٤ ووردت الجِرْوَح .

(٢) حصن مَسَار: غـرب شيام عَمَّـره علي بن محمد الصليحي، في جبل حَـراز، مَسَار عُـزْلة وناحية انظر صفة، ١٣٣، قرة العيون، ٢٤٣، اليمن الكبرى، ٥٩، المدارس الإسلامية، ١٠٥، معالم الآثار، ٧٧، الصليحيون، ٧٦، معجم الحجري، ١/ ٢٥٤ .

(٣) بيت شمران: من قرى عُزلة مَسَار، انظر معجم المقحفي، ٥٨٩ .

[١] في س، الخداع. [٢] في س، من في صعفان. [٣] في س، وحصار.

[٤] لعلها المعاصلة.

المذاهبِ في حَراز حصلَ الزلزالُ وأرجفَ بعضُهم على بعضٍ با لمقال.

ولما بلغَ هـذا الخبرُ إلى الإمام -عليـه السلام- وقـدْ جعلَ اللهُ الأقدارَ طـوعَ يمينِه، وكتبَ على عدوِّه النَّكالَ مَن وقتِ انحرافِة وجنبه[١]، بادرَ إلى تجهيزِ أميرِ الجيشِ المظفرِ الشريفِ عبـدالله بنِ محمد الضُمين، وخمسةِ بلوكـات من النظام، وأمرَ حاكمَ العرِّ بالعزمِ فوراً إلى محلِّ الحادثةِ معَ مَنْ يجتمعُ معه من أهلِ الحَيْمَةِ، فأعلنَ للنـاسِ نفيرَهُمْ للجهادِ، وبـادروا إليه من الأغـوارِ والأنجادِ، وتـوجّه إلى حَراز، ومِنْ هنالـك عزمَ هو والأميرُ على البدارِ إلى رفعِ الحصارِ عـن مَسَار، فإنه كان من العدوِّ قبـلَ ذلك مضايقةُ مَنْ فيه من الـرتبةِ والمتابعةُ عليهم بـالوثبةِ في أثرِ الـوثبةِ، ولم يظفروا منهم بطائلٍ، بل عـادوا بالخيبةِ حتى إنَّ الرتبـة تمكنوا من قطعِ بعضِ رؤوس المهاجمين وإذاقتِهم مـرارةَ العذابِ المبينِ، ولما وصل الأميران إلى حـولِ مَسَـار، رأياً أنْ يكـونَ من أميرِ الجيشِ ومـن معه تـوجيـهُ الهممِ لـرفعِ الحصارِ عن مَتْوَح، وحاكمُ العرِّ ومَنْ معه يقومون بدفعِ مَنْ في مَسَار.

فتقدَّمَ كلٌّ منهما إلى عنوتِه، وما وصلَ حاكمُ العرِّ إلى أكمةِ شيبانَ إلا وقدْ فرَّ المخـذولُ علي فقيـه السنفي، ومن أجلبَ بهم ليـلاً إلى الجيَّارى وأكمـةِ عـاصم وحصنِ أعفـاد، فتقـدّم أهلُ الحَيْمَـةِ عليهم، وجـرت الحربُ بينَ الفـريقين، واستمرَّت إلى آخـرِ النهار، ثمَّ هجم المجاهـدون على المحلاتِ فأخذوهـا عنوةً، وفرَّ الأعداءُ منهـا، وانحدروا إلى الوادي، وغنِمَ المجاهـدون منها كثيراً من البقرِ والغنمِ والحبوب، وأبقى المقدّمي رتبةً في الجيَّاري[٢]، وجمعَ أصحابَهُ في المَعَاجلةِ، وأحرقَ القـرى الآخرة. وأمـا أميرُ الجيشِ والنظامِ، فإنـه نهضَ إلى الأعداءِ إلى أنْ وصلَ إلى المربا. ومن هنالك تقـدّم على محطةِ الشَرفِ الأعلى، وناهضَ منْ فيها،

....

[١] في س، وحينه. [٢] الحبارى.

وقد علمتُ أنَّ مَنْ فيهـا هم حماةُ جيشِ الإدريسي وأبطالُه، فتـابعَ النظامُ عليهم الهجومَ، وزلزلوهم بإقدامِهم المعلـوم، ولكنهم دافعوا عن أنفسِهم، فرجع النظام إلى المربا، وقد أُصيبَ منهم عددٌ من الجرحى.

قال حاكم العرِّ –حفظة اللهُ– إنه في تلك الفينةِ، وهو يعملُ الفكرةَ مع أمير الجيشِ فيما يكونُ بـه زلزلـةُ جيشِ الإدريسي، وضعضعةُ عـدوانِ أهلِ البلاد، إذ وصلَ إليه تلغرافٌ من الإمامِ، ومن جملةِ ما فيـه: أنّ الحربَ خدعةٌ خدعةٌ خدعةٌ ثـلاثاً، فقـالَ: اللهمَّ يسِّرْ ليَ الخدعـةَ. وأرسلَ حينئـذٍ الحاجَّ المجاهـدَ محمـدَ بن عبـدالله السريحي والشيخَ أحمدَ بنَ محمـد مداعس/ مـع سبعين رامياً سريـةً إلى النوبةِ، وهي قـريةٌ تحتَ الشرفِ الأعلى من الجهةِ القبليةِ، وفيهـا منَ الأعداء مئةٌ وخمسون راميـاً، فحينَ أحسوا بالسرية، بـادروها بالـرَّمْي، فلم يُجِبْهُم من السريةِ أحدٌ، بل استمـروا في سيرِهم وتسلُّقِهم تلك الحيودَ، وهم صامتـونَ إلى أنْ وصلوا قريباً من النـوبةِ، واجتمعوا ورموا بها في أجوافِ بنادِقهم دفعـةً واحدةً. وهجموا على القريةِ، وأكثروا من الضـوضـاء، بمثل: «أضبطوهم[١] لا يفلتُ منهم أحدٌ»، فخـارتْ قوى مَنْ فيهـا من الأعداءِ، وداخلهم من الفشلِ عُضـالُ الداءِ، ففـروا على وجوههم جميعـاً، واستولى المجاهـدون على القريـةِ، وكانت أوّلَ الفتحِ، فإنَّ الأعـداءَ علموا بـذلك، أنَّ مـدةَ إقامتِهم قصيرةٌ وقـوَّتَهم لا تقـومُ بما يرمـون من الخطةِ العسيرة.

٩٦ /

وفي اليومِ الثاني، تقدمَ حاكمُ العرِّ بمَنْ بقي معه من طائفةِ الحَيْمَةِ إلى شرقي مَتْـوَح، وخطَّطَ أصحابَـه في الهجرةِ ومـالَ إليها، ووصلَ بنفسِـه إلى أمير الجيشِ للمراجعـةِ في الرأي إلى المربا، ونـزلَ للمبيت في الهجرةِ أيضـاً، فسمع رجلاً من

....

[١] سقطت من س.

المكارمةِ يقـول: لو تكونُ الخالفةُ مـن المرزمة لظهورِها على قـرى صَعْفَانَ، فقال الحاكمُ: رميـةٌ من غيرِ رام. وبعدَ الاستخارةِ، انتـدبَ الشيخَ المجاهـدَ أحمدَ بنَ حسين السلامي، وعريفَه الأجوبَ هـادي صلاح مريط ومعهما نحوُ تسعين نفراً لا غيرَ ويسَّرَ اللهُ منْ دلَّهم على الطريق، فـوصلوا المرزمـةَ بعد العشا، وقـد تدلَّتْ أستارُ الظـلام وشملَهم من عنايةِ اللهِ وألطافِـه تحيةٌ وسلامٌ، ففـاجأوا أهلها ومنْ عندَهم من الأعـداءِ بالحربِ بغتةً، ورمـوا بالبنادق من شـوارع المحلِّ، فهامَ مَنْ فيها على وجوهِهم، وكـانوا عصابةً يسيرةً، لأنَّ أكثـر القوم الذين كانـوا فيها قد طلعوا شُعيبَ، ومـا فوقَه لحصارِ حصنِ القـاهرةِ التي فيها المدفعُ، ومن القـريةِ المذكـورة يُسـاق إليهم الـزادُ والماءُ، وتيسَّر للمجـاهـدين الصعـودُ إلى سطـوح البيـوتِ، فرمـوا إلى كلِّ جهـةٍ من جهاتِ صَعْفَـانَ لظهـورِها من هنـالك، فعنْ يسارِهم المغاربُ وعن اليمينِ الزَّعـلا والجرواح، وبقيةُ القرى بينَ ذلك، وصاحوا بأصواتِهم العاليةِ. وصـادَف في تلك الحالِ كثرةُ رمي الشهبِ في السماء إلى جهةِ الغـربِ كثيراً، وحكى أهلُ الهجـرةِ وهـوزان[1] أنَّهم سمعـوا الأصـواتَ في تلك الليلـةِ، والمنـاداة بلفظِ: يـا متـوكِّـلاه! ولم يكن الصـوتُ يُسمَعُ من هنـالِك إلى جهتِهم، ورأى قبلَ تلك الليلـةِ الفقيـهُ الفاضلُ عبـدُ الخالق بنُ غـالبِ بنِ علي القانص في منـامِهِ أنـه خرَّ نجمٌ من السماء، فلمّا وصلَ إلى قـربِ محلِّهم، انقلبَ ذلك النجمُ في صورة رجل شـابٍ، قال: فسألته: من تكونُ أيها الـرجلُ؟ قال: أنـا النصرُ، قـال: وأين تذهـبُ؟ قال: مع سيـدي إسماعيل يعني حـاكمَ العِـزِّ، وهذه الرؤيا وما/ قبلها معدودةٌ من كراماتِ مولانا الإمام -[1]عليه السلام- وما له عنـدَ الله من المكانةِ، وعلـوِّ المقام[1]، وقد تقـدَّمَ بيانُ مقـدارِ جموعِ الباغين في / ٩٧

---

(١) هَوْزان: مـا ورد هَوْزَن، من مخاليف حراز، انظـر، معجم المقحفي، ٦٨٥، صفة، ١٢٣، معجم الحجري، ٢/ ٧٦٠، الاكليل، ٢/ ٢٤٥ .

[١ - ١] سقطت من س.

هذه الثـورةِ، وأنهم يناهـزون ستةَ آلافِ مقاتلٍ، وأنهم اجتمعـوا في ظرفِ ثـلاثةِ أيـام، لأنّـه انكشفَ حصـول التمالـؤِ على الفسادِ، ومجانبـةُ طـريقِ الـرشـادِ من البـاغي بشر وأهلِ البـلادِ من قبـلِ نـزولِـه من صنعـاءَ، وطلـوعِـه إلى الحضرةِ الشريفة، إنما كـان مقدمـةً لذلك العملِ، وشروعـاً فيما قصدوه من الـزللِ، وقد سبق أيضـاً أنَّ هذا الجيشَ المعتـدي كان مفـرّقـاً في قرى صَعْفَـانَ، وله محطـاتٌ متعددةٌ، فلما شاهـدوا الرميَ من المرزمةِ واشعال النيران ظنـوا جميعاً في كلِّ محطةٍ أنَّ القدومَ عليهم خاصـة. وكثَّرَ اللهُ المجاهدين في أعينهِم، ولم يعـرفوا مع ظلمةِ الليلِ قدرَ عَـدَدِهـم، وقد رافقهم نصرُ اللهِ، ﴿**وكَمْ مِنْ فئةٍ قليلـةٍ غلبتْ فئةً كثيرةً بإذنِ الله**﴾[1]. فأمـا المحيطـون بحصنِ القـاهـرةِ منَ الأعـداءِ، فلمْ يبقَ لهم غيرُ الهربِ في جنح الليلِ خشيـةً مِنَ انقطـاعِ الطـريقِ وحصـول التعـويقِ، فخـرجَ المجـاهدون المحصـورون من الحصنِ: محمدُ بنُ علي الـرماح، ومحمـدُ بن حسن البروي، وبعضُ الـرتبـةِ من بني مطـر وتبعـوهـم، وقبضـوا في تلك الحالِ محلَّ العيَّان(١). وأمّا مَنْ في القـرى، فصاروا كلُّهم يرمون إلى جهـة المرزمةِ حتى بقيت أصـواتُ البنادقِ لعـدمِ انفصالها مثـلَ صوتِ دورانِ الـرّحى، وانضمَّ إلى ذلك صياحُ الـرجالِ وبكـاءُ النساءِ والأطفـالِ، فكانت ليلـةً يُساقُ إليهـا الحديثُ لم يُشَاهَدْ مثلُها في القـديم والحديثِ هَرَجاً ومَرَجاً، ونيراناً وسُرجـاً وجولانا ورهجاً. ولم يكنْ همُّ الجميعِ مِنْ أهـلِ البـلادِ وجيش الأعـداءِ غيرَ النجـاةِ،والخروجَ من المعاقل إلى الفـلاةِ، ورأى المجاهدون الفوانيسَ والمشـاعلَ من كلِّ محلٍّ منحدرةً في ذلك الظلامِ، وصـارَ الجيشُ وأهلُ البلادِ يتسـابقون في الطرقِ على غـايةٍ من الازدحامِ، ويقصـدون وادي حار ومَدْوَل وبني جـرين والحجيْلَةَ، والمجـاهدون

(١) عيَّـان: قـرية من عُـزلـة الثلث، بجبل حـراز، انظـر، غايـة الأمـاني، ٢/ ٧٧٣، معجم المقحفي، ٤٧٥ ووردت العيَّانة.

[١] سورة: البقرة، ٢٤٩ .

يصوّبـون رصاص بنادقِهم إلى تلك المنارات، وهـم يسمعـون من رهج أولئك ما تذهلُ لـه العقول، وقد عمَّهم الرعـبُ، فكلٌّ يريدُ أن يكونَ هـو الأولَ في فرارِه، فأصبحت القـرى خـاليةً، وقـد حلَّ أهلُهـا في الفيـوشِ، لم ينجهم من بأسِ اللهِ مـدافعُ الكفرِ ولا الجيـوش، والعزةُ للـهِ ولرسـولِهِ وللمـؤمنين، وما بقي للخـائنِ الغـادرِ في مواردِ الهلاكِ من قـوةٍ ولا نـاصر، وأما الشيـخُ عبدالله بشر فإنـه بقي مضطرباً في أمرِهِ إلى أنْ طلعَ ابنُ ذُكا، وخرجَ من بيتِه يتوكأُ الله على العصا مشيَّعاً بالبكاء، ولم يخلصْ من أيدي المجاهـدين/ إلا بمدافعةِ حسين الغزي عنه، لأنه / ٩٨ لمّا أسره الأعـداءُ يومَ وصـولِهم إلى صَعْفَانَ أبقـاه الشيخُ المذكـورُ عندَه، فكـافأة حسينٌ الغزي بـا لمدافعةِ عنه ومحاربةِ المجـاهدين عند هجومهم عليـه حتى نجا بنفسه وأهلـه، ولا يحيقُ المكرُ السيءُ إلا بأهلِه، وكـانت عاقبـةُ أهلِ صَعْفَانَ مع بشرأسوأ عاقبـةٍ، وهلْ جزاءُ البغي إلا مثلُ ما أصابهم بقوةِ الله الغالبـةِ، فإنه بعدَ خـروجِهم مِنْ بيـوتِهم المشيـدةِ، ونـزوحِهم عن جنـانِهم النَّضِرَةِ وعـروشِهم الممَّهـدَةِ إلى خبـوت[١] تهامـةَ وفيـافيهـا، واضطجـاعِهم على الصعيـدِ الحارقي موانيهـا، صدقَ عليهـم قولـه تعالى: ﴿**فأخرجنـاهم من جنّاتٍ وعيـون، ومقام كريم، ونعمةٍ كـانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قـوماً آخرين**﴾[٢]. وكانَ بعدَ هذا الجلاءِ دخـولُ المجاهدين، ومَنْ وردَ مِنْ أهلِ حِرَاز تلك القـرى والحصون، وفتحـوا مِنَ المنـازلِ كلَّ مقفلٍ مصون، وانتهبـوا مـا فيهـا من الأمتعـةِ والخبايـا المنوّعـة، وامتلأت الطـرقاتُ من صَعْفَانَ إلى منـاخةَ للغـادي والرائح، وشبعت الطيورُ والوحـوشُ من الطوائح[٣]، واشتغلَ القومُ بتلك الغنـائِم بعدَ أن بدَّدَتْ أيدي النوى والبغي أهلَها في خبـوتِ التهائم، ولم ينجُ من الهربِ والانتهابِ إلا

---

[١] في س، جنوب. [٢] سورة الشعراء، ٥٧ .

[٣] في س، الطوابخ.

الشيخُ عبدةُ بنُ حسن قاسم وأصحابُه سكانُ جبلِ بني عرَّاف[1]؛ لأنَّه لم ينخدع للأعداءِ اختياراً بل داراهم اضطراراً، ولم يرهَنْ أَحدَ أولادِه، ولما أحسَّ منهم بالانهزام، أمرَ أولادَه وأهلَ محلِّه بإغلاقِ الحصنِ والبيوتِ وبكَّر بالعقيرِ إلى مَتْوَح، ملتمساً رأيَ الأمان، فاسعفه المقادمةُ إلى ذلك، وأرسلوا معه رتبةً إلى محلِّه من أصهارِه بني القانص[2]، ودلّ على سلامةِ طويتهِ أنّ في أثناء الخلافِ أخذَ مكوَّناً من المجاهدين، والتزم للأعداءِ بحفظِه، فعالجه وقام بكفايتِهِ حتى عافاه اللهُ، وسلَّمه إلى المقادمة، ولو بقيَ أهلُ القرى في محلاتهم لكان إسعافُهم بالأمانِ من حضرةِ مولانا، أمامِ الزمانِ، ولتمكنّوا من صيانةِ أموالِهم وبلادِهم، وتخفيفِ ما ذاقوه من الهوانِ، لكنْ ذنوبُهم سبقتْ، وجرأتُهم على حزبِ الحقِّ أوبقتْ ونعمةٌ بطروها فأبقت، وهم في غفلتِهم نائمون، ﴿**وما كان ربُّك مهلك القُرى إلا وأهلُها ظالمون**﴾.

ومما كانَ به لديهم مضاعفةُ الندمِ، وجلبُ الجمعِ الغفيرِ إلى بلادهم على الساقِ والقدمِ مصادفةُ زمنِ/ فرارِهم قربَ حصولِ ثمرةِ البن، فدخل المجاهدون البلادَ والثمارُ قد حان أوانُ قطافها، وهي دانيةُ الجنانِ لمن يريدُ اقتطافَها، فأقبلَ الناسُ إليها من كلِّ صوب، وشرعوا في أخذها، لكنَّ مولانا الإمام، لما بلغَ إليه ذلك الحالُ صدَّرَ أوامرَه بمنعِ الناسِ عنها والمحافظة عليها، والمناداةِ بأنَّ مَنْ عادَ من الرعية إلى دارِه وأطاعَ، كان تسليمُ أموالِه إليه بلا نزاع، ومنْ بقيَ على إصرارِه وفرارِه كانَ جمعُ ما يحصلُ من ثمرةِ بنِّه لبيت المال، فهو

٩٩ /

---

(١) بنو عرّاف: عُزلة من ناحية صَعْفَان وأعمال حراز، انظر، معجم الحجري، معجم المقحفي، ٤٣٦ .

(٢) بنو القانص: قرية في جبل مَسَار بحراز في رأس نقيل وَسِل، انظر، معجم الحجري، ٥٠٤، معجم الحجري، ٢/ ٦٤٥ .

أحقُّ بـذلك وأولى من الأهـدار وعلى هـذا المنـوال كـان العملُ، ورجعَ بـذلك الأكثرُ من الـرعيّةِ، واستبـدّوا بأموالِهم، وجُمعَ من تلك الأمـوالِ لبيتِ المالِ حظٌّ وفير، والذي تناولَتْـه الأيدي كان كثيراً، وقد حكى غيرُ واحـدٍ من أهلِ صَعْفَانَ، أنَّ ثمرةَ هذا العامِ، كانت مما لم يعتادوه في الكثرةِ والإصلاح منذ أربعين سنة.

وعلى الجملةِ، إنها تضاعفت على أولئك الحمقى المحنـةُ بما جنتْهُ أيديهم من الخروج عن طاعة الحقّ وايثارِ إثارةِ الفتنة.

ولما انجلت حقيقـةُ الحالِ للأعـداءِ، وعلموا مقـدار الجيش الإمامي الـذي فرُّوا من أمامِهِ، وخرجوا من أماكنِ رُقادِهم خيفةً من هجومِهِ وإقدامِه، تيقّنوا أنَّ ذلك الرُّعْبَ الذي نزلَ بهم من بأسِ اللهِ وانتقامِه، وعضوا على نواجذِهم تأسُّفاً، وقرعـوا سنَّ الندامـةِ تلهفاً، ووصلتْ إليهم أوامـرُ الضال الأدريسي بـالعَوْدِ إلى صَعْفَانَ، وأمـدّهم بما أُمدَّ بـهِ مِنْ عَبدَةِ الصلبـانِ، فتحشدوا[١] وتجمعوا وأعادوا الكرَّةَ بعـدَ الكرّة، وتقدَّمـوا على المغاربِ مـرَّةً بعد أخرى، وكلّما تقـدموا إلى محلٍّ ثبت لهم المجاهدون، فتكونُ الـدائرةُ عليهم وينهزمون وبلغتْ عدةُ القتلى منهم في هـذه الحروب الأخيرة في المغـاربِ نحو مئـةِ قتيل، وفي أكمـة خليفـة قُطعتْ رؤوسُ عشرةٍ منهم، وأُسِر منهم في قريةِ الذباح ثلاثةٌ من المسارحةِ.

واستُشْهِـدَ من الأنصـارِ أهلِ الحَيْمَـة الشيخُ مبـارك بن حسين السـلامي، وآخرون، رحمهم الله تعالى. ثـم تقدّم المجاهدون على بني جريـن وطردوا الأعداء منها، وأحـرقوا أكثـرَها وعادوا إلى المغـاربِ، وداخلَ الأعداءَ عظيمُ الـوهنِ بعدَ تلك المضارب.

وأنجزَ اللهُ وعـدَهُ، فحِزبُ اللهِ هـو الغالبُ، وفشـا الموتُ فيمن بقيَ في تُهامةَ

....

[١] في أ، فتجمعوا.

/ ١٠٠ من أهل صَعْفَانَ/ ومَدْوَل والطَرَفِ ومن إليهم، وأهلَك اللهُ الشقيَّ عبدَ الله بشر وابنَه الصغير في تلك الأيام بباجِل، وانتقم اللهُ منه، فأتلفَ نفسَه وأموالَه [١ وعدواً من أهله ١]، ونعوذُ باللهِ من سوءِ الخاتمةِ، والوقوف بين يدي الجبار بنفوس ظالمة.

وفيها كانت حادثةُ الأزارق، وخلاصتها: أنَّ الأزارقَ عُزلةٌ كبيرةٌ كانت من قبلُ مضافةً إلى أعمالِ ناحيةِ ذي شراق(١)، فلما قوي ساعدُ الشيخ محمدِ بنِ ناصر مقبل في أيام الحكومةِ العثمانيةِ، ضمَّها إلى أعمال القماعرةِ، وأقبلتْ دولةُ الإمام وهي كذلك، وقد ضعفت صَوْلةُ الشيخ محمد ناصر مقبل، فمالَ أهلُها، لأمرٍ ما، إلى النقيبِ حسن بن قاسم أبو راس(٢)، وأرادوا الانفصالَ عن قضاءِ القماعرةِ، ولما كان عملُهم هذا مما لا موجبَ له، لاستواءِ الحال بينَ أن يكونوا من قضاءِ القماعرةِ. أو من ناحية ذي سُفال، وكانَ السكوتُ عن أمثال هذه النزعاتِ داعياً إلى رجوع تسلُّطِ ذوي النفوذِ على الضعفاءِ أمرَ مولانا الإمام بمنعِ النقيبِ حسن بن قاسم من الخوضِ في هذا الموضوع، وإبقاءِ العزلةِ المذكورةِ منوطةً بالقماعرةِ، فلم يكنْ من آلِ أبوراس الاذعانُ، وقاموا بالترتيبِ في محلاتٍ شتى، وأحاطوا بالعزلةِ المذكورةِ، وعُدَّتْ هذه الحركةُ من آل أبو راس كمبادٍ للخلافِ، وسلوكِ غيرِ محجةِ الإنصاف، وصدرَ الأمرُ من الإمامِ بتأديبهم إن لم يُقْلِعوا، فساقَ الأميرُ جمالُ الدين[٢] عليهم الجيوشَ من كلِّ جانب، ونهض حاكمُ القماعرةِ إلى الأزارق بعصابةٍ وافرةٍ من الجندِ، فرتبها جميعاً، ولم يكنْ بينَ الفريقين حربٌ، بل استمرت المراسلةُ، بينَ الأميرِ وآلِ أبو

---

(١) الشراقي: عُزلة في وصاب العالي، انظر معجم المقحفي، ٣٤٩، والشراقي من حَجّة، انظر، معجم المقحفي، ٢/ ٤٤٩ .

(٢) حسن قاسم أبو راس: من كبار مشايخ بَكيل، كان يسكن الحورى من اليمن الأسفل، كان عاملاً لخدير، تزوج علي بن عبدالله الوزير ربيبته فاطمة، انظر، حياة الأمير، ٥٤٤ .

[١ - ١] سقطت من س. [٢] في س، الجمال علي بن عبدالله الوزير.

راس أياماً، وهم يغالطون ويتهيبون الاقدام إلى الحرب ومنها يتخوفون، وفي النهايةِ أرسلَ الأميرُ جمالُ الدين عصابةً كبيرةً من الجند الإمامي تحتَ إمرةِ السيد حسين جبالة، وكانَ في ذي سُفال، فتوجَّه بهم إلى الحوري[1] محلِّ أبو راس، واستولى عليه بدونِ حربٍ، وحين علموا بذلك أُسقطَ في أيديهم، ورفعوا رتبهم وانقادوا للحقِّ، وامتثلوا بما أمرهم به مولانا الإمامُ، وانحسمت هذه الحادثةُ بسلامٍ، وكانت قدْ تطاولتْ إلى إثارةِ نارِها أعناقُ ذوي النفاقِ والخصام.

قلت: وقد تمَّ بما سردناه من الوقائع العظامِ بيانُ ما حصلَ في خلالِ هذا العامِ.

وكانت تَرِدُ إلى المولى الإمام في كثيرٍ من الحوادثِ الأشعارُ ما بين تهانٍ حسانٍ، [١وتسلية عند وقوعِ شيء مِن طوارقِ الحدَثان، ومدائحُ مقبولةٌ لدى الأعيانِ، إلا/ أنَّ بعضَها استولت عليه أيدي الضّياع، وبعضَها، وإن كان جليلاً برفعةِ شأنِ منْ سِيقَ إليه، ليس بحريّ بالإيداع، ومما وقفتُ عليه للفقيه الذكي أحمد بن صالح الجلال[2] قوله مادحاً للإمام -عليه السلام- من قصيدةٍ طويلةٍ مطلعُها: / ١٠١

- الرمل -

أَلُجَيْنٌ خالصٌ لم يشِبِ ... أم قضيبٌ حَسَنٌ من ذَهَبِ
أم رياضٌ ضحكتْ أزهارُها ... وغَدَتْ أغصانُها في لَعِبِ

ومنها واصفاً للقهوةِ المشهورةِ المتخذةِ من قشرِ البن، وقد تخلّص بذلك إلى المديح لمولانا الإمام:

---

(١) الحورى: موضع في الجهة الجنوبية لمدينة ذي سُفَال انظر، معجم المقمض، ٢٠٠ .

(٢) أحمد بن صالح بن سعيد الجلال البهلولي ت بصنعاء ١٣٥٥، فقيه شاعر، هاجر إلى الإمام المنصور بالله سنة ١٣٠٩هـ، وتولى قبض الزكوات من بني بهلول، مادح، يتكسب بشعره، ولد بصنعاء سنة ١٢٨٥هـ، انظر، نزهة النظر، ٧٧ .

[١ - ١] من عبارة «وتسلية عند وقوع شيء حتى عبارة وتوفي بهذه السنة» سقطت من س أي حوالي أربع ورقات.

عُـذبَتْ ذوقـاً وراقَتْ فَلَهَـا نفحـةُ المسـكِ وطعمُ العنبِ
أذكـرتْني كلمـا أذكـرهـا ذكـرَ ذي العليـا رفيعِ الـرتبِ

ثم ساق في مديحها إلى أنّ قال، ونِعْمَ ما قال:

كلّما قمـتُ على منبرِهِ خـاطباً طبتُ وطـابتْ خُطبي
يـا ابن أربابِ المعـالي والتقى وابنَ خيرِ الخَلْقِ يـاسينَ النبي
أنت مَنْ أهَّلَـهُ اللهُ لكـلِّ جميلٍ فـادنُ منـه وأقـرُبِ
أنت أولى النـاسِ بـالنـاسِ من الظالمِ الجائرِ ذي الجهلِ الغبي
أفَمَنْ كـان على بيِّنـةٍ من هُدى كـالحائرِ المضطربِ
حسبُك اللهُ الـذي أودعَ فيـ ك من الأسرارِ مـا لم يُحْجَبِ

وهي طويلـة جداً، ولـه من قصيدةٍ أخـرى مادحاً بها مـولانا الإمـام -عليه السلام- مطلعُها: - مجزوء الخفيف -

يا بني المصطفى الذي صـارَ للـوحي واعيـا
فضلُكم غيرُ غـامضٍ إنْ سألْنـا المثـانيـا
مـا بَـرِحتُـمْ من العلو مِ جبـالاً رواسيـا
كلُّكـم آلَ أحمدٍ صـارَ للمجـد حـاويـا
فيكـمُ الخيرُ كلُّـه إنْ غـدا الخيرُ نـائيـا

ومنها في مديح مولانا خاصة:

يـا كـريماً بفضلـهِ أصبـحَ الفضلُ دانيـا
يـا إمـاماً بعـدلِـهِ أصبح الجورُ عـافيـا
بكَ طـابَتْ حَيْـواتنـا وشَرُفْنـا نـواصيـا
بك طـالتْ رقـابُنـا وغَلَبْنـا الأعـاديـا
وغـزوْنـا عـدوَّنـا ونَصَرنـا مغـازيـا
قـرَّ عينـاً فلنْ تـرى لك في الأرضِ عـاصيـا

/ ١٠٢

....

وهي طـويلـة، ولـه مِنْ قصيـدةٍ أخـرى قدّمهـا إلى حضرةِ الإمـام – عليـه السلام– في أثناءِ هذا العامِ، وفيها نـوعٌ من العتابِ لعدم الإذن له من الحجاب، ومطلعها: -الكامل-

مـالي وقفتُ ببـابِ عـالي البـابِ　　متحيراً لم أدرِ أيـنَ جـــوابي

ومنها في المديح:

النـــاسُ قِشْرٌ والإمـامُ لبـابُـه　　كـمْ بينَ قشرٍ هَيِّنٍ ولبــــابِ
حازَ الفخـارَ فماله في العصرِ من　　ثــــانٍ حماهُ اللهُ مـن أوّابِ
وحوى الكمالَ فحـدَّثَتْ بكمالِهِ الأ　　يـامُ نـاطقـةً بكلِّ عُجـاب
مـــا زال ذا خلقٍ عظيم قـــائماً　　بالعدلِ معـروفاً بحسنِ خطابِ

وله من قصيـدةٍ أخرى طويلـةٍ، مدحَ بها مولانـا الإمام في هذه السنـة، جاء من مديحها قوله: -السريع-

الطيِّبُ الطـــاهـرُ يحيى إمـــا　　مَ الحقِّ يـا يحيى وُقيتَ الـرَّدى
يـا بنَ رسـولِ اللهِ خيرَ الـورى　　طُـراً لقـد طلتَ بـه سـؤددا
يـــا ابـنَ عليّ خيرِ أهلِ المُعلّى　　وخيرِ ذي فضلٍ بـــه يُقتـدى
فضلُك لا ينكـــرُه مُنكـــرٌ　　في منتهى الأمـــرِ وفي الابتـدا
أبـــوك ســادَ النـاسَ في عصرِهِ　　ولم تَـــزلْ من بعـــدِه سيِّـــدا
يـا بضعـةً من جسـدِ المصطفى　　ولحمِـهِ الطـاهـرِ نفسي الفـدا
السِّرُّ لا يبرحُ في أهلِـــــــــه　　والفـرعُ بـالأصـلِ شبيهـا غـدا
كم صـالح جـاءَ بـه صـالحٌ　　وفـاسـدٍ من فـاسـدٍ أوجـدا
ولاّك مـولاك أمـورَ الـورى　　لم يـدَعِ النـاسَ تعـالى سُـدا
ملكتَهـا شرقـاً وغـربـاً معـاً　　كُـرهاً على رغـمِ أنوفِ العَدى

....

....

/١٠٥ / وهي طويلة، والمنتقى منها ما ذكرتُه، والغالبُ على شعرِ الفقيهِ أحمد الجلال الإحسان، إلا أنه كما قال بعضهم، بعرِّه ودرِّه وياقوتِه يجنيها أجره.

وفي هذا العام أدركَ مولانا الإمامَ عيدُ الأضحى السعيد، وهو مقيمٌ برَّوْضَةِ حاتم، وأيامُه أيامُ سرورٍ نواضرُ بواسم، وأسفرَ يومُ عيدِ الغديرِ وهو هنالك، وكان يوماً عظيماً، اجتمع فيه من الناسِ عددٌ عظيمٌ، وجرى له من الاحتفالِ ما تحدَّث به الظاعنُ والمقيمُ، ووصلتْ إلى الإمام فيه التهاني.

وممن هنأ الإمام -عليه السلام- محرِّر هذه السطور بالقصيدة الآتية وهي:
- الرمل -

قسماً والحبُّ فيك حَـــلا	مـا فـؤادُ الصّبِّ عنكَ سـلا
عـدمَ السلـوانَ منْ سلكتْ	روحُـه سبُلَ الهوى ذُلـلا
وسقـاه الحبُّ خمرتَـهُ	فـاستطـابَ العلَّ والنَّهـلا
يـا عـذولي لستَ من تُغْـري	أنـا لا أُصغـي لمنْ عَـذلا
طبعـتُ نفسي على خُلُـقٍ	لم تكـنْ عنـه لتنتقـلا
فـاطِّرحْ لـومي وقُلْ سـدَدا	يُـرشـد المُغْـري لما انتحـلا
أنـا ذيّـاك الـذي أَلِفَتْ	مقلتـاه السُّهْـدَ فـاتصـلا
لا أبـالي في الغـرامِ بِمنْ	نصرَ العُشـاقَ أو خـذَلا
يـا رفيقي مِـنْ بني وطنـي	إنَّ لي في رفقِـك الأمـلا
هـاتِ مـن ذاك الحديثِ مُنىً	مهجتي وارفـع بـه عِلَـلا
مـا تـراني كلَّما خطـرتْ	نسمـةٌ أهفـو بها عَجِـلا
أوشرى بـرقٌ بكـاظمـةٍ	لاحَ مثلَ السيفِ قـد صُقـلا
لم أطِقْ سرَّ الـولـوعِ ومَنْ	شـاقَـهُ[١] بـرقُ الحِمى اختبـلا

....

[١] في الأصل: شاقه.

أيــه يــا بـرقُ اسْتعِـرْفلـدى مهجتي شــــوقٌ بها اشتعـــلا
واهـدِ يـا سـاري الصّبـا نفَسـاً لشـــذا الأطيـابِ مُشْتمِـــلا / ١٠٤
تُنعـشُ الأرواحُ هَبَّتَـــــــهُ وينيلُ النفـسَ مـــا حَـــمَلا
فكلمْ أحْسَسْـتُ في كبـــدي بَـــرْدَه قـــد أطفأ الغُلَـــلا
إنــــــه في روضِ رَبعهِـمُ صـــافحَ الأزهـــارَ وانتقـــلا
يـا سَقَى تلك الـريـاضِ حَبـاً مغـــدقٌ ينهـلَّ منهمـــــلا
وإذا مـــا الغيثُ أخلفَهـــا جـــادَهَـــا ومعي بها هَطـــلا
فلقـــد مَـــرَّ الـــزمـــانُ بها مُسرعـــاً لا يعـــرفُ المهـــلا
بينَ قـــربٍ غـابَ حـاسـدُه مكــرهـاً والعيـبُ عنـه خـــلا
واتصـــــالٍ لا رقيـبَ بــــه راقَ فيـــه الأنسَ متّصـــلا
مثلَ مـــا راقَ الثنـــا وحَـوى بـأميرِ المـــــؤمنين عُــــــلا
بـأمينِ اللهِ عصمتُـــــــــه حُجـــةُ البـــاري لمنْ عَقَـــلا
صاحبُ الطورِ الذي انتصرتْ فيـــه آيـــاتُ الهدى عَمَـــلا
وانبرتْ تُتْلى كما نـــــزلتْ أيُ متلـــــوّ كما نَـــــزَلَا
والعنـايـاتُ العظـامُ ومـا ضـاقَ عنـه الكـونُ مشتمـلا
مِنْ أمـــانٍ لا يُقـــاسُ بـــه حجـــرَ العـــدوانِ واعتقـــلا
وانتصـافٍ للضعيـفِ سطـا سيفُـــه واستأصـلَ الحيـــلا
وانتصـــارٍ عـــزَّ نـــاصِرُه طـــاولَ الأطـــوارَ والقُلـــلا
حـــرسَ الـــدينَ الحنيفَ كما هـــدمَ الأضـلالَ والخَطَـــلا
فـــربـــوعُ الـــدينِ عـــامِـرةٌ شـــادَهـــا الإيمانُ واحتفـــلا
وريـــاضُ الهدى بـــاسمـــةٌ زادَهـــا سلطـــانُـــه جـــذلا
وديـــارُ البغي دارســــةٌ لا تـــرى في أرضِهـــا طَلـــلا / ١٠٥

....

....

ووجـــــوهُ الظـــــالمينَ بها … سُـــوّدت لم تلـقَ مُــدَّخَــــلا

كلُّ حينٍ مـن كتــــائبــــهِ … وقعــةٌ فيهـــا غَـدَتْ مثــــلا

صبحتَهُم بـــــا لمنـــــونِ فما … ركبـــوا غيرَ الـــذي قتــــلا

رُبَّ بغي جــــرَّ بـــــائقـــةً … واغترابٍ أورثَ الــــزَّلَـــــلا

وافتنـــــانٍ جُنَّ حــــاملُـــه … وهــــولا يــــدري بما حَمَلا

ســـــاقَهم داعـي الهوانِ إلى … حتفهِم يــــا بئسَ مـــا فعـــلا

وأتَـــــوْا من جَهْلِهم عمــــلاً … شبَّ فيــــه الغـيُّ واكتهــــلا

إنّهم ضلَّـــــوا السبيلَ ومـن … ضـلَّ لم يفلـحْ بما بــــــذلا

وهم العــــــادون إذْ نكثــــوا … عهــــدَ أولي القــــائمين ولا

الإمــــــامُ ابـنُ النبـي إذا … سَرَدَ الأنســـــابَ مَـنْ نَقَــــلا

تــاجُ هــامِ المجـدِ والخلفــا … من بنيـــــه العترةُ الفُضــــلا

قـــرنــاءُ الـــوحي يعــرفُهُمْ … كلُّ فـــردٍ للكتــابِ تــــلا

وهُـمْ سفُنُ النّجــــــاةِ لمن … رامَ جنــاتِ الـــرِّضــا نُــزُلا

مـــا عسى المثنى يقـــولُ وفي … سُــوَرِ التنــزيـلِ مــا سألا

كـــلُّ فضــلٍ غيرَ فضلِهـــم … كقشـــورِ اللبِّ قـــد حَصَـلا

يـــــا إمـــــامَ الحقِّ في زمـنٍ … أنتَ فيـــه غـــوثُ كلِّ مَــلا

إنَّ عصْراً أنــت قــــائمُـــــهُ … هـــو في الأعصــارِ كـابـنٍ جـلا

غــرةٌ في الــدهــرِ شــادخــةٌ … مــلأت جيـدَ الـزمـانِ حُلى

ليس بــالأمــر الغـريبِ إذا … بـك بـــاهـى الأعصرَ الأوَلا

وخليقٌ بـــا لملـــوكِ مُنـىً … أكثـــروا في نعلِك القُبُـــلا

أنـت عبـــــدُ المؤمنين إذا … كـــانَ في تشخيصِـه رَجُــلا

كم منحـتَ العـــــالمين هَنيً … مـــا رأوا مـن بعــدِه وَجَـــلا

/١٠٦

ورفعتَ الضَّيْمَ عن مــلإٍ	مُلِئَتْ أقطــارُهم غِيــلا
ولعمـري مـا الهنـاءُ سوى	أنْ نـراكَ الـدَّهْـرَ مكتفـلا
طـابَ عيـدٌ أنتَ فيـه كما	نـزلتْ شمسُ الضحى أكمـلا
ونشـورٍ قـد نَشَرْتَ بـه	مـا أمـاتَ الغيَّ حينَ غَـلا
إنـه يـومُ الغـديـر ومـا	يـومُـه عـن فكـرتي غَفـلا
سكنـتْ قلبي محبَّتُـه	وسكـونُ القلبِ فيـه ولا
وجـرتْ ذكـراه في خَلَـدي	وفمـي لم أقترِفْ مَلَـلا
يـا لـه يـومـاً حوى عجبـاً	لم يـزَلْ للمجـدِ معتقـلا
البسَ الهادي أخـاه بـه	خلعـةً لم تشبـه الحُلَـلا
خلعـةُ اللهِ التي عظُمَـتْ	خطـراً فيـه الهدى مَثَـلا
هـي ظلُّ اللهِ مَـدَّ بـه	فـوقَ أرجـاءِ العُلى ظلـلا
كلُّ مـدحٍ في الـوصيِّ وإن	طـالَ لم يُلْمِمْ بما فَضُـلا
حَيّرى يـا فكـرتي مـدحـاً	فيـه أني ذقتُـه عَسَـلا
وارفعي صـوتـاً يـدوم صـدى	رجعُـه في المدحِ مـرتجلا
يـا أمين اللهِ هـاكَ ثنـا	أمـرهُ أغـرى بي الخجـلا
إن يكـنْ دونَ المرامِ فما	أَملي عَـنْ سترِهِ انفصـلا
إنـه جهـدُ المقلِّ ومَـنْ	بـذلَ المقـدورَ مـا بخـلا
أبـدَلُـوا بـالعطفِ مـرتجلي	لأحـوزَ العطفَ والبـذلا
وصلـوني بـالقبـولِ لـه	إنَّ خيرَ النظمِ مـا قُبِـلا
لا عـدا عليـا كمـو مـددٌ	بعـزيـزِ النصرِ قـد وُصِـلا
وحجـابُ اللهِ دونكمـو	يـدفعُ الأحـداثَ والخلـلا
وصـلاةٌ روحُهـا عطـرٌ	وسـلامٌ مثلهـا جَـزُلا

/ ١٠٧

....

....

يبلغـان المصطفى سنـدَ الخلق　　أرقـى المرسلين عُـــــــــلا
وعلى الآلِ الكــــــــرامِ وفي　　روضِهم منـكَ الهوى اعتــدلا
مـــا شــدَتْ ورقـــا على فَنَنٍ　　أو دعى الـــدَّاعـي بحيَّ على

تمت

قلت: وقد طالت هـذه القصيدةُ، وعذري في نقلها كـاملةً إرادةُ حفظِها من غِيَرِ الزمانِ، لأنها غيرُ مثبتـةٍ في ديوان، والتبرُّكُ بمنْ قيلت فيهم، على أنها لم تكنْ من الهذيان، ولا من هُـراءِ القولِ، وإنْ نزلتْ عن رتبةِ الإجـادةِ والإحسان، وفيها إلمامٌ ببيانِ العذرِ، وأنّه جهدُ المقلِّ، ومن بذَلَه ما تحيل أو بخلَ.

وتوفي بهذه السنةِ في ثامنَ عشر شهرِ صفر السيـدُ الأجلُّ الوجيه عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن شرف الدين بن أحمد بن محمد بن ا لحسين الكوكباني أصلاً ووطناً، والصنعـاني نشأةً وإقامـةً، وهو في سنِّ الكهـولةِ. وكان المومـى إليه ممن انتظمَ في سلكِ المأمـورين أيـامَ الحكـومةِ العثمانيـة، ووليَ لهم أعمالاً جليلـةً في صنفِ المالية، وانفرد بـالوقوفِ التامِ على تلك الأعمال، ولا يخفى مـا تحتاج إليه أمور الجباية من المهارةِ والكمال.

ولما أقبلتْ دولةُ مولانا الإمام، أُنيطت بـه رئاسةُ دائرةِ المحاسبات، فقامَ بها خيرَ قيام، وبذلَ مـا في وسعه لإيصالها إلى درجةِ الانتظـام، وبقي كذلك إلى أن انتقلَ إلىّ جوار الملكِ العـلاَّم، ووافاه حادي الحمام، وبه حَسُنَ لـه الختام، أسبلَ اللهُ عليه سحائب الغفـرانِ وبَلَّ ثراه بواكفِ الإحسان، وقـد سبق لنا الإلمام في/ ١٠٨ / أثناءِ بيانِ حـوداثِ السنةِ الأولى، ذكرُ بعضِ الحوادثِ الواقعـةِ في بعضِ الأقاليم بمناسبـاتٍ اقتضت ذلك، والحديثُ شجون، فـرأيتُ اتماماً للفائدة أنْ أذكـرَ ما خطر على البالِ عند تحريرَ هذا المقال:

....

....

فأقول: إنها جرتْ حوادثُ عظيمةٌ في أطـراف القطرِ اليماني منها، ما كان في بـلادِ عسير، فإنَّ الأميرَ حسنَ بنَ عليٍّ بن محمـدِ بن عايض، لما انفصلَ الأتـراكُ من تلك الجهـاتِ، وخلتْ عنهـم مـدنُها والقُـرى، وكـانَ الأميرُ المذكـورُ قـائماً بوظيفةِ معاونٍ متصرفٍ، والمتصرفُ هـو رئيس الإمارة في مثلِ تلك الجهةِ، نهضَ الأميرُ المذكـورُ للقيـام بإمـارةِ قطـرِ عسير، وضبطَ أطـرافَهـا[1] وحـزمَ أكنافَهـا وساعـده على إدراكِ الأمنيةِ ما تـركه محيي الدين باشـا حين عزمِهِ مع عسـاكرِه، من السـلاحِ والمدافعِ والذخـائرِ الحربية، فـإنّه سلّمهـا إليه، فقـوّى بها ساعـدَه وتقهقرَ بها عن معارضَـةِ حاسدُه، واستمّر على ذلك زمانـاً إلى أن كان بينه وبينَ قحطان(١) وقبائلِ رُفيـدة(٢) خصـامٌ بسببِ عدّةٍ لهم من عسير، وهم يَـرون أنهم ينتمـون إلى ابن سعود، أميرِ نجـدٍ وصـاحبِ الريـاض، فأرسلَ على المذكـورين جُنداً تحتَ قيادةِ بعضِ أقاربه، فكانت بينهم حروبٌ، أسفرتْ عن استيلاءِ جندِ الأميرِ عليهم، وفـزع بعضُهم إلى ابنِ سعـود، فأمـدَّهم بجنـدٍ تحتَ قيـادةِ أحـدِ أولادِه، وجرى بين الفـريقين حربٌ تهول، انهزمَ فيهـا جندُ أمير عسير، ثـم ساقَ جيشُ ابنِ سعود وراءهم إلى أنْ دخلَ أبها(٣)، واستباح أمـوالَ أهلِها ودمـاءَهـم. وكان الحادثُ يروعُ ويدفعُ في الأكبادِ من هوله الصدوعَ، وفرَّ الأميرُ حسن، ومدَّ ابنُ سعود باعَه على تلك الأطرافِ، وأدخلَها تحتَ حوزتِهِ.

ومنها، أنـه لما تقـرَّبَ ابـنُ سعود من أطـرافِ هذا القطـرِ، وكان بـينَ ابـنِ

---

(١) قحطان: احـدى قبائل ثـلاثة موطنهـا عسير وهي قحطان، ألمع، ويـام، وقحطان من قبائل عسير، ومن قبائلها رُفيدة وبني بشر وسنحان الحباب وعبده ورادع والشريف.

(٢) رُفَيدة: قبيلة من قحطان – مواطنها شرق أبها، على بعد ٢٥كم من خميس مشيط.

(٣) أبهـا: تقع في رأس وادي ضلع، في مـرتفعات السروات على ارتفـاع ٢٢٠٠م، على بعد ٢٨٠كم من صعدة.

---

[١] في س، أفرادها.

دليم[1] من قحطانَ وبينَ قبـائلِ يام حزازاتٌ ومجادلاتٌ حَسّنَ لأهلِ نجـدٍ قَصدَ قبائل يـام، وكانت رؤوسـاءُ يام في حـالةِ تفرقٍ في الآراء، فقصـدهم جمعٌ عظيمٌ من النجديين، وانضمَّ إليهم غيرُهم من القحطـانيين، وقبائلِ الدواسرِ[2] وداهمَ بلادَ يـام، وتوغّل فيهـا إلى أنْ وصلَ مدينـةَ بدر[3] على حين غفلةٍ. وأوقعَ جيشُ النجديين بمن صـادَفَه من يـام، وقتلَ كلَّ من لَقِيَهُ منهم، وحـاصَرَ نحوَ سبعين شخصاً من رجالِ يام فيم عددٌ من عقّالِهم، فاستسلموهم بالأمان.

ولما خـرجوا إليهم وقبضـوا أسلحتهم قتلـوهم جميعـاً، وفرَّ الـداعي علي بن محسن شبـام بعـد جهدٍ ومشقـة، وقـد كـادَ أنْ يقعَ في قبضتِهم، ثمَّ عـاد الجيشُ النجديُّ من حيث جاء، وقد أنزلَ بيـام كلَّ داءٍ، وكانتْ تلك عادتَه، فمن شأنِه الغزوُ والغـارةُ، فإن وجدَ أمامَه صبراً وثبـاتاً لم يلبثْ أنْ يعودَ ناكصـاً على عقبيه، وإلا فعلَ الأفاعيلَ وعاثَ وبادرَ/ بالخروجِ إنْ لم يكنْ من قصدِه سوى الولوج. / ١٠٩

ومنها مـا كان في القطـرِ الشامي، فقـد سبقَ أن الشريفَ فيصلَ بن الحسين بن علي، دخل دمشقَ الشامِ وسواها من مـدنِ ذلك القطرِ فاتحاً، ومعه الإنجليزُ والفرنساويون، ولما وضعت الحربُ أوزارَهـا ظهرتْ أطماعُ دولِ الأفرنج، وتزاحموا على الغنيمةِ التي زحزحوا عنها الأتراك، وكان مما تقرّر من المعاهدة بينَ الإنجليز والفـرانسة؛ أنَّ القطـر الشـامي يكـونُ لهم، والشريفُ الحسين وأولاده غافلـون، ويظنّون أنَّ المواعيدَ التي كان الإفـرنجُ يعدونهم بها في زمنِ الاحتياج إليهم أمورٌ

(١) المقصود محمد بن دليم أبو لعثة، صاحب قحطان، انظر، نزهة النظر، ٤٨١ .

(٢) الدَّواسِر: مـن القبائل النجـدية منازلها مـن وادي الدَّواسِر إلى الحوطـة جنوبي الـرياض انظر قلب جزيرة العرب، ١٤٩، ملوك العرب، ٢/ ١١، تاريخ سينا لنعوم شقير، ٦٧٠ .

(٣) بـدر: من قرى نجـران فيه مـركـز يتبعه قـرى ومناهـل للباديـة، انظر، معجم البلـدان السعودية لحمد الجاسر، ١/ ١٤٧ .

مبرمـةٌ، وحقائقُ ثـابتةٌ، فإنهم كـانـوا يقولـون لهم، أنْ لا مرامَ لهم في الاستيـلاء، وليسَ لهم غـرضٌ سـوى رفعِ سلطـةِ الأتراكِ عنهم، فـانكشفتْ حقـائقُ مـا في الضمائر، وأظهر الفرانسيون ما كان مكتوماً في الحفائر، وقالوا: هذا الشامُ لنا، ولم يهنْ ذلك على الانجليز، فتظـاهروا للشاميين، ومعهـم الشريف فيصل بالميل إلى ما يـرومون من الاستقلال، ولم يكنْ منهم ذلك عطفاً عليهم، بل رغبـةً في مزاحمةِ الفرانسيين على الشـام، فمكثوا يموجـون، وكلٌّ يريـدُ الوصولَ إلى مـا يروم، وفي النهايـة، أثمر تشجيعُ الإنجليـز للشاميين أنْ أجمعَ رأيُهم على المنـاداةِ بالشريفِ فيصل ملكاً عليهم، وشكّلوا لأنفسهم حكـومةً، قوامُها من رجـالِ الشامِ الذين كانوا أمراءَ مـع حكومة الأتراك، وأعلنوا الاستقلالَ وهـو في عُرفِ هذه العصورِ الأخيرةِ عبارةٌ عن صفةٍ مـن صفاتِ الدولِ يكونُ من شأنِ الـدولةِ المتصفةِ بها، أنها حرةٌ لا يـدَ ولا مداخلـةَ لأيِّ دولةٍ أخـرى في بلادهـا، وأظهروا بـذلك مناوأةَ الفرانسةِ، وحشـدوا لهم جيشاً للدفاع، ولكنَّ الفرانسويين لم يمهلـوهم، فقدِموا بجيوشِهم إليهم، وكـان جيشُ الشاميين قـد أعدَّ له مـوقعاً للمدافعـةِ، فجرت بينهم حـربٌ يسيرةٌ، انهزمَ فيهـا أهلُ الشـام، وتفـرّقـوا وفـرّ الشريفُ فيصلٌ من دمشقَ، وتبدد ذلـك الجمعُ، واحتلَّ الفرانسيـون جميعَ مدنِ الشام وقـراه، وتمكّن الفرانسيون من تفريق كلمةِ أهلِ الشامِ وتوزيعهم وتمزيقهم إلى سبعِ حكوماتٍ، يديـرُ دفَّتَها أناسٌ منهم، ودرجَ ذلك القَطرُ الشامي تحت سلطةِ العَدوِّ الكـافر، وإذا تأملَ اللبيبُ في تطـورِ هـذا الحادثِ المريب أمكنه الجزمَ بـأنَّ هذه النتـائجَ الوخيمـةَ مقدمـاتها منحصرةٌ في الإخلالِ بما نهى اللهُ عنـه من الركـونِ إلى الذين ظلمـوا، والوثـوقِ بوعـودِهم وتسويفـاتِهم الكاذبـةِ، نسألُ الله السلامـة./ من الخذلانِ، والوقوعِ في شبكةِ الاغترارِ بأحزاب الشيطان. / ١١٠

....

....

ومنها وثوبُ الانجليز على حصَّتِهم من الغنيمةِ، وهي القطرُ العراقي جميعُه، وهو ولايةُ بغدادَ وولايةُ البصرةِ وولايةُ المَوْصلِ واحتلالُها بجيوشِهِم، والعزمُ على إبقائِها تحتَ سلطتِهم مباشرةً، والحيلولةُ بين سكانِها وبينَ ما أرادوه من الاستقلالِ الذي منّوهم به، وبين تشكيل أيِّ حكومةٍ، ولوتحتَ الحمايةِ. ولكنهم لم يخضعوا لإرادةِ الإنجليز، بل هبّوا للثورةِ، وتكلَّفَ الانجليزُ لإبقاءِ نحو ستين ألفَ مقاتلٍ من جنودِه في تلك الجهاتِ، وجرتْ بينه وبينَ أهلِ العراقِ القاطنين خارجَ مدنِها حروبٌ، إلا أنها لم تكنْ بمقابلةِ جيشٍ لجيش، بل عبارةٌ عن قطعِ طُرقٍ على الإنجليز، وقتلِ من انفردَ منهم ونحوِ هذا.

وسيأتي إنْ شاء اللهُ بيانُ ما آلت إليه أحوالُهم.

ومن الحوادثِ، ما آلتْ إليه أحوالُ الأتراكِ، فإنّ دولَ الإفرنج الظافرةَ في الحربِ العامّةِ، التي أشرنا إلى طرفٍ من أحوالها فيما سبق، عقدوا فيما بينهم وبينَ الأتراك هدنةً مدتها ثلاثةُ أشهرٍ، وتحكموا فيها على الأتراك غايةَ التحكم، إذ شرطوا أن تحتلَّ جيوشُهم أكثرَ مدنِ الأناضول، وهو البقيةُ الباقيةُ من الممالكِ التي كانت تحت حوزةِ العثمانيين. ولما انقضى أَمَدُ الهدنةِ ظلوا كما كانوا قبلَ انقضائِها ولم يسعدوهم إلى الدخولِ في مفاوضةِ الصلح إلى أنْ مرّت مدةٌ تناهزُ السنتين.

وفي أثناءِ هذه، دَعَوْهم إلى محلٍّ يسمى سيفر[1]، وعقدوا معاهدة صلح،

---

(١) معاهدة الصلح في سيفَر: عقدت في ١٠ أغسطس ١٩٢٠ بين الحلفاء والدولة العثمانية، تنازلت بموجبها الدول العثمانية عن جميع السكان غير الأتراك ووافقت على تدويل المضائق وتشكيل لجان للنظر في التعويضات ونظام الامتيازات واعادة الصفة الشرعية للامتيازات.

أذلّوا بها الأتراك، وأجبروهم على توقيعها، كان منها: فصلُ ولاية أدرنة عن العثمانيين واعطاؤها لدولة اليونان، وتمكينُ اليونانِ أيضاً من ولايةِ أزمير[1] وإعطاءُ الفرانسةِ ولاية أضنة[2]، وهي إقليمٌ واسعٌ اشتهرَ في الصدرِ الأولِ من المسلمين باسم قالى قلا معرّباً عن لفظِ كليكيا، وجعلُ مضائقِ الاستانةِ تحت سلطتِهم، وهذه المضائقُ هي المسماة قديماً بخليجِ القسطنطينية وغيرُ ذلك من شروط الصلحِ الثقيلةِ، كتحديدِ جندِهم وسلاحهم.

وفي النهاية احتلوا بجنودهم مدينة الأستانة، وذلك عندما فرَّ بعضُ قوادِ الأتراك من الأستانةِ والتجأوا إلى طرف الأناضول في ولاية انقرة، وأعلنوا مباينتهم لدولتهم ودعوا جميعَ الأناضولِ إليهم/ فلم تمضِ غيرُ برهةٍ يسيرةٍ / ١ حتى تمكّنوا من صرفِ أعنّةِ أقطارِ الأناضول إليهم، وإدخالِه تحت حوزتِهم، وقطع علاقتهم مع حكومة الاستانة، وأظهروا أنهم غيرُ راضين بما جرى من المصالحة، وأنهم لا يقبلونها، وكان المتولي لزعامةِ هؤلاء قائداً من قوادِ الأتراكِ اسمُه مصطفى كمال باشا[3]، وقد جرَتْ بينَ هؤلاء الثائرين وبينَ حكومةِ الأستانةِ وساطتهم والميلُ إليهم والرضا بحركاتهم، ومنعها ومنعهم عن الاتصالِ

---

(١) ازمير: مدينة تركية تقع على ساحل بحر ايجة، ميناء هام، اليوم هي مركز ولاية.

(٢) أضنة: مدينة تركية على ساحل البحر المتوسط، كانت طريقاً تجارياً مهماً، عاصمة لولاية أضنة.

(٣) مصطفى كمال باشا ١٩٣٨، مؤسس جمهورية تركية الحديثة، ولد في سلانيك سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠ والده على رضا افندي، قاد المعارك في الأناضول وانتصر على اليونان، ألغى الخلافة الإسلامية وجعل تركيا علمانية، صُنِفت عدة كتب عند انتصاره في الأناضول منها كتاب، انتصار الاتراك في الأناضول تأليف حنا مينا مطر طبعة ١٩٢٢م وسيرة مصطفى كمال باشا وتاريخ الحركة التركية الوطنية في الأناضول لأمين محمد سعيد وكريم ثابت، ط مصر ١٩٢٢ .

ما في الأستانـةِ من جيوشِ الاحتلال، وانقضى هذا العـامُ وأمورهم على ما بلغ، كما سردناه من الضعفِ والاختلالِ، والأمرُ لله وحدَه.

هذا وقد بقيَ من أحـوالِ الكونِ والأقطارِ الإسلامية، مـا كان من الإنجليز في فلسطين وبيتِ المقـدسِ، فإنهم لما استـولـوا على تلك الجهـةِ، وهي واسعـةُ الأطـراف، رتبـوا فيها حكـومـةً جعلـوا رئيسها يهوديـاً من يهودِ الإنجليـز تحت إشرافهم وحمايتهم.

وقـد كانـوا في أثنـاء الحربِ وعدوا اليهـودَ أن يعتبروا فلسطين وطنـاً قوميـاً لليهـود، ومعنى هذا أنـه متى اجتمع اليهـودُ من أقطار الأرض إلى تلك البـلاد، وكثـروا على من فيهـا من المسلمين والمسيحيين، أمكنَ لهم أن يقيموا فيهـا دولـةً يهوديةً، وأوحوا إلى اليهودِ أن يؤلّفوا لهم جميعاتٍ لدعوة اليهود من أقطارِ الأرضِ إلى سكنى فلسطين، وقـد ظهرتْ آثارُ هـذه الدعـوة في يهود اليمن، فكثيرٌ منهم قصدوا بيت المقدسِ بعيالاتهم[١] خلافَ العادةِ، والمسلمون والمسيحيون هنالك لا يزالـون يحتجونَ على الإنجليـز، ولم يظفروا من الإنجليـزِ بالاعترافِ بـأنهم قدْ أبطلوا اعتبار فلسطين وطناً قومياً لليهود.

وقد كـانَ من الإنجليزِ أيضاً، الاستيـلاءُ على الأردن وبادية الشـام، وجعلوا فيها إمـارةً أسندوا رئاستها إلى الشريف عبـدالله بن الحسين بن علي بن محمد بن عون ومدَّوا عليها حمايتَهم، لا قوةَ إلا بالله.

وإنما ذكرتُ هـذه الحوادث ليعتبرَ الناظـرُ بما صارتْ إليـه أحوالُ المسلمين من الشتاتِ، وكيف كـان وثوبُ الكفّـارِ على تلك الجهاتِ، فيعلمَ أنـه لولا منَّ الله تعـالى على هذا القطـرِ بـوجـود مولانـا الإمـام[٢] لكان نصيبُـه مثلَ نصيبِ

---

[١] في س، بعائلاتهم.
[٢] في س، الإمام المتوكل.

الأقطار، والعياذُ بالله والحمد لله وحدَه.

ودخلت سنةُ تسعٍ وثلاثين وثلثمائةٍ وألف، وعمّالُ مولانا الإمام وحكّامُه في / ١١٢ الجهاتِ هم المذكورونَ في السنة الماضية، والأحوال كما سردناه، ومولانا الإمام -أيده الله- مقيمٌ بالرَّوْضَة.

وفي محرّمِ المحرمِ، صدرَ الأمرُ الشريفُ بتوجيهِ عمالةِ بلادِ البستانِ إلى السيدِ الأجلِ المقدام عليِّ بن علي السراجي[1] والمَومى إليه من أشهرِ أعوانِ الإمام السابقين إلى الهجرة والمناصرة، فتوجّه إلى محلِّ عملِه، وباشرَ الأعمالَ وقامَ بها خيرَ قيامٍ، فحُمِدَ مثابُه، وفاضَ في أوديةِ الحزمِ عبابُه.

وفيها كانَ انتفاضُ سكانِ جبلِ رَيْمَةَ وملحقاتِه، وخروجُهم عن الطاعةِ، ثم إصلاحُ تلك الجهةِ وكانت مبادي الخلافِ في أواخرِ السنةِ السابقة، وإنما أخَّرناها إلى حوادث هذه السنةِ؛ ليتصّلَ بيانُ الانتفاضِ والإصلاح، وخلاصةُ الأمرِ أنه لما ارتفعَ جيشُ بُرَع مع المقادمةِ، وخلّى الجبلُ من جندِ الإمام، وكانَ ما سردناه من خلافِ أهلِ صَعْفَان، وسريانِ الافتتانِ إلى بعضِ مَسَار، وما جرى من الحوادثِ في بلادِ الطَّعَام، تزايدَ أطماعُ ذوي القلوبِ المريضةِ في الوصولِ إلى مآربهم، وظنّوا حصولَ النُّجْح فيما يتعلقون به من أسبابهم، ومِنْ أولئك الشيخُ محمد أمين بنُ محمد أحمد، كان أبوه شيخَ مشايخِ رَيْمَةَ، ومكثَ زماناً طويلاً قائمقامَ القضاءِ المذكور، وإليه الحلُّ والعقدُ مع حكومةِ الأتراكِ إلى أنْ توفِيَ، وابنُه هذا صغيرُ السن، فتقدمَ مكانَه قريبُه الشيخُ علي يحيى، وقام بها كان

---

(١) علي بن علي السراجي ت ١٣٣٩هـ، أحد قادة الإمام البارزين، بعد صلح دَعَّان عيَّنَهُ الأتراك على بلاد البستان، ثم عينه الإمام يحيى على نفس المنطقة، انظر، حياة الأمير، ٥٧٥.

إلى عمِّه من الأعمال.

ولما انقضتْ أيامُ الأتراكِ، وأقبلتْ دولةُ الإمامِ، كان الشيخُ علي يحيى المذكورُ فمن بادرَ إلى الطاعةِ وأظهر النصحَ، فبقيَ على تصدُّرِهِ في ناحيةِ الجَبى، وخفي مكانُ محمد أمين المذكورِ، فسَّول له جهلُه وحبُّ المنافسةِ لابنِ عمه أن يركبَ هذا المركبَ الصعبَ من الخلافِ، ويسلكَ طريقَ الخيانةِ والاعتساف، فبيَّتَ أمرَهُ وراسلَ إلى بَاجل، فوعدَهُ مَنْ هنالك ومنُّوه، وبما فازَ بِهِ من الميلِ إلى الضلالِ هَنُّوه، وكانتْ أيدي الأشرارِ تعملُ في إدخالِ كراهيةِ دولةِ الحقِّ إلى قلوبِ الناسِ، لانقطاعِ ما كانوا يألفونه من الفتنةِ، وغلِّ أيديهم عن أموالِ الضعفاء وأعراضِهم ودمائهم، وكانتْ قدْ عمَّتْ منهم المحنةُ فخرجَ محمد أمين متخفياً من الجَبَى إلى أنْ وصلَ إلى/ أطرافِ بلادِ الطَّعام، وقد جمعَ حولَه من الأشرارِ عصابةً، إلى زمرةِ الضلالِ منجذبةٌ غيرُ هَيَّابة، وأعلن الخلافَ، ووصلتْ إليه من بَاجِل وعُبال الأمدادُ، فنازلَ بمنْ معه الجُمام[1]، وفيه رتبةٌ من الجندِ الإمامي لأنه قفل بلادَ الطَّعام، واجتمع إليه أهلُ البلاد، فحاصروا من في الجُمام، وصبرتْ لهم الرتبةُ صبرَ الكرام، وأذاقوا الباغين مرارةَ الصّدام، فجرعوا كثيراً كأسَ الحمام، ولكنهم لانقطاعِ المَدِ عنهم بانقطاعِ الطريقِ مكثوا يدافعون إلى أنْ رزقهم اللهُ الشهادة، وأنالهم درجةَ السعادةِ، وعندها استعرتْ نارُ الخلافِ في جميع بلادِ الطَّعَام، وأقبلتْ إلى البغي جموعُ الطّغامِ من كلِّ حدبٍ وصوب، وتتابع عليهم المددُ من قائدِ الجيوشِ الأدريسيةِ محمد طاهر رضوان، إلى أنْ صارَ جمعُهم نحوَ ثلاثةِ آلافِ مقاتلٍ، ونهضوا إلى مرتّبِ الشامةِ[2]، وفيه عصابةٌ

/ ١١٣

---

(١) الجمام: وادي الجمام المعروم بوادي جاحف، شرق شمال مدينة زَبيد، انظر، اليمن الكبرى، ٧٧، معجم المقحفي، ٢٧٧، أما الجمام، فلم أعثر عليه.
(٢) الشامة: من قرى بلاد الطَرَف في جبل بُرَع، انظر، معجم المقحفي، ٧٥ .

من جنـدِ الحقِّ، عليهم النقيبُ نـاصر العَسَل الأرحبي المرهبـي، والفقيـهُ أحمدُ الأكـوع، فكانَ بين الفـريقين حربٌ تهولُ، واستمـرّ يومـاً كامـلاً، وتدانَـوْا حتى اختلطوا، وأسفـرَ الحربُ عن استشهادِ النقيبِ ناجي بن نـاصر العسل، والفقيهِ أحمدَ الأكوع وبعضِ المجاهدين، وقُتِلَ من المخـالفين عدةُ قتلى، وارتفع الباقون من المجاهدين.

وفي اليـوم الثاني، تقـدم الباغـون على مـركزِ الضّـالعِ بقضِّهم وقضيضِهم، وبـاشروا مَنْ فيـه بـالحربِ، وصبر المجـاهـدون لهم صبرَ الكـرام، ورزقهم اللهُ الثبـاتَ، فكـانَ ذلك اليومُ يـومـاً مهـولاً، اشتمل على حـربٍ عظيمةٍ ومعـركـةٍ جسيمـةٍ، وحـارب فيه المجـاهـدون الـذين بـالضالعِ إلى أنْ نفـذتْ مـؤونتهم، فخرجوا من أماكنِهم وخالطوا الأعـداءَ طعناً بجنابيهم ورجماً بالأحجارِ، ومدَّ اللهُ عليهم حجابَ سترِه، فلم يكنْ منهم غيرُ شهيدٍ وثمانيةُ جرحى.

وقـد كان الشيخُ علي عمـر المقداد وهـو بالحصنِ حين رأى اشتـدادَ الحرب على الضالـع، أمدَّهم بعصابـةٍ، ولكنهم لم يقدروا على دفع سيـلِ جموعِ الباغين، ومع ذلك فالـزيادةُ والمدُ إليهم في تـوالٍ وتتابعٍ، وانتشر الحربُ حينئـذٍ في عمومِ المراتبِ إلى الحصنِ وغيرِهِ، واشتعلـتْ الأرضُ نـاراً، وحـاول كلُّ فـريـقٍ من المجاهدين أنْ يمدَّ الآخرَ لاشتدادِ الحربِ في كلِّ مرتب، لكنَّ ثباتَ المجاهدينَ كـان يحملُهم على الاعتقـادِ، أنَّ الحربَ لـدن الفـريقِ الآخـر أشـدُّ بحسب المشاهدةِ، وقـد تعذّر التواصلُ بين المجاهدين لحيلولـةِ الأعداءِ بينهم بكثرتِهم، / وانتشارِهم في تلك الجهاتِ، وهنالك حَمِيَ الـوطيسُ، وطاشت الأحلامُ، ونفقتْ سلعُ الأرواحِ في أسـواقِ الصدامِ، ولـولا ما منّ اللهُ بـه على المجاهـدين لكانـوا / ١١٤

....

....

فريسةً للأعداءِ، فإنّ اللهَ رزقهم الثباتَ، ودفعَ عنهم بعنـايتِهِ ما تابعهُ الأعداءُ من الهجماتِ، ومـا زالَ الحربُ في ازديـادٍ ولم يمنعْهم عن إدامتِـه هجـومُ الظـلام، واصطباغُ الأفقِ بالسواد.

وفي أثنائِهـا وجّه الشيخُ علي عمر المقـداد همّتَه إلى جمعِ جرحى المجـاهدين وشهدائِهـم، وتيسّر له ذلك على مـا في الحالِ من الصعوبـةِ، ومقابلتِهـا بنفوسٍ مكروبة.

وفي أوّلِ نهارِ ذلك اليـوم، ولى المجاهـدون من عُتُمـةَ ووصَاب نحـوَ الجَبَى وفرّوا إليـه. وقبيلَ نصفِ الليلِ من هـذا اليومِ تلقَى المجـاهدون الأمرَ مـن لدُنِ العاملِ بارتفاعِ المحاطِ إلى مركزِ الجَبَى خشيةً من وقوعِ مَنْ في الحصنِ، وما إليه تحتَ الحصار، فارتفعوا إلى الجَبَى وقدْ جرّعوا الأعداءَ مُرَّ النكايةِ، فالمقاتيلُ منهم تجاوزَ عددُهم ستين، ولم يكنْ شهداءُ المجاهدين مثلَ سُدْسِ هذا العددِ.

ولما وصلَ المجـاهدون في جنحِ الليلِ إلى الجَبَى كـان ترتيبُهم أحكمَ تـرتيبٍ وتفريقُهم في جهاتِـه، لعدمِ الثقةِ بأهل البلادِ، وقد كـانَ في أوائلِ هذا الاختلالِ وجّه مـولانا الإمـام -عليه السـلام- السيدَ أحمدَ بنَ علي المنصور مـع نحوِ سبع مئةٍ من حاشد وأرحبَ مدداً لمن في رَيْمةَ من الجندِ، وحثّهُمْ على المسيرِ من جهةِ السَّلْفِيَّـةِ، فدخلـوا إلى ناحيـةِ السَّلْفيَّـةِ ولم يتجاوزوهـا بعدَ أنْ كـانَ بينهم وبينَ المخـالفين حربٌ كـانت فيهـا الـدائرةُ على المخالفين، ثم اعترى المددَ المذكـورَ الفشلُ، وتفرّق بعدَ أنْ كـان لبثُه برهةً في أطرافِ السَّلْفِيَّة، ولم يتيسرْ لـه الوصولُ إلى الجَبَى، وقـد لامَ مـولانا الإمـام -عليـه السـلام- منْ وصلَ منهم بعـدَ ذلك بدونِ فسحٍ ولا إذن، وتـركَ إخوانَه في الحصـار، وجلبَ عليهم الوهنَ، ولا يخفى

قبحُ ذلك عندَ كلِّ عاقلٍ، فضلاً عن زواجرِ الدين ووعيدِ ربِّ العالمين.

ولما انتقلَ المجاهدون إلى عُزلة الجَبَى واحكموا ترتيبها استحكمتْ حلقاتُ الحصارِ عليهم من كلِّ جهـةٍ، وأطبقَ أهلُ قضاءِ رَيْمة على الخلافِ، وكثُر عددُ قوادِ الإدريسي الـذين وصلوا إليهم وشايَعُهم أهلُ البـلادِ وذوو النفوذِ، ولم يبقَ على الطاعةِ غيرُ عامـلِ الجَعْفَرِيَّةِ السيد محمد بنِ علي النهاري وأخـويه، وأما بنو عمِّه ومنهم ولدُ السيـدُ محمود النهاري العاملُ السـابقُ، فكلُّهم جالَ في ميادينِ الخلافِ، وركبَ متونَ الاعتسـافِ، ونبذوا ما في أعناقِهم من الأيْمانِ، ونـزلوا عن درجـاتِ/ أهل الإيمانِ، وثارَ أهلُ كُسْمَـةَ بعـامِلِهم ومَنْ معـه من المجاهـدين، / ١١٥ وانضمَّ إليهم بغاةُ تهامـةَ، فلمْ يجد العاملُ ومَنْ معه بُداً من مخابـرةِ الأعداءِ على أنْ يكـونَ خـروجُهم بسلاحِهـم ويذهبـوا حيثُ أرادوا، فأظهـروا إسعـادَهم إلى ذلك، ولّما خـرجوا إليهم غـدروا بهم وأخذوهم أسـارى، وكانَ العـاملُ في ذلك التـاريخ في كُسْمَةَ السيـدَ الهمامَ عليَّ بن حمود بن غـالـب، وليهـا بعـدَ وفاةِ أخيـه السّيدِ عبـدِ الله بن حمود عامِلها قبله، وكـانتْ حالةُ المحصـورين في الجَبَى تنذرُ بـالخطرِ لكثـرةِ الجموعِ المحيطـةِ عليهم من كلِّ جانبٍ، وانقطـاعِ الموادِّ عنهم، وهمْ جمعٌ غيرُ يسيرٍ، وربما داخلهم الفشلُ والمللُ مـن حصـارِ الأعـداءِ، فحصلَ مِنْ بعضِ المجـاهـدين، وهم مـن بني الحارثِ تـركُ مـرتّبِهـم، وأرادوا الفـرارَ والنجاةَ بأنفسِهـم ظانين بأنَّ الأعداءَ لا يعترضـوهم فلما خلصوا إليهم تلقَّـوْهم بالقتلِ والضربِ وأنـواعِ الهوانِ والعذابِ، وبلغ ذلك إلى المجاهدين، فتعـاقدوا على الثباتِ وأصـدقوا العزائم ووطّنـوا أنفسهم على المدافعةِ حتى المماتِ. وذلك في الحقيقةِ من ألطافِ اللهِ تعالى بهم وبِمنْ في المحطةِ الإماميةِ من الأعيانِ، فلولا ذلك لتساهلَ الجندُ الأماميُّ في الركونِ إلى الفرارِ دفعاً لما بهم من حرجِ الحصار.

وقد جرتْ في أثناءِ الحصارِ بين الجندِ الإماميِّ والبغاةِ معاركُ وحروبٌ وأهوالٌ وخطوبٌ، فيها كلُّها كانَ النصرُ للمجاهدين، وهو الذين بمنِّ اللهِ تعالى أنعشَ منهم النفوسَ، وخفَّف ويلاتِ النحوس، ولم ينقطعِ الحربُ يوماً واحداً، إلا أنه كان من الأعداءِ تجري كلَّ يومِ سبتٍ للتقدم العام منهم والهجوم على المجاهدين، عملاً بإرشادِ بعض المنجِّمين لهم إلى ذلك، فإنه أضلّهم بإرشادِه ووعدهم أنَّ النصرَ لهم كلَّما كانَ منهم القدومُ يومَ السبتِ، ولم يزدْهم التنجيمُ إلا خبالاً وإضلالاً، فما تقدّموا من جهةٍ إلا رجعوا خائبين، وانهزموا عنها مغلوبين، وأصابَ منهم المجاهدون، وغنموا مما أجلبوا به عليهم وقتلوا منهم.

ومن أشهرِ تلك الحروبِ حربُ بابِ الثلوث[1]، حين تجمع الأعداءُ إلى تلك الجهةِ، وتقدّموا حتى لم يبقَ بينهم وبينَ الوصولِ إلى الجَبى غيرُ مسافةٍ قصيرةٍ، وكان الحربُ ثائراً من جميعِ الجهاتِ فلم يشعرْ من في الجَبَى إلا بتقربِ الأعداءِ من الجهةِ المذكورةِ، فخرجَ إليهم الشيخُ علي عمر المقداد وعصابةٌ من المجاهدين/ نافعةٌ تقوّي بأسَ مَنْ في المتارسِ، وأصدقَ هو ومن معه عزائمَهم في جلادِ الأعداءِ ومنازلتِهم، وأذاقوهم مرارةَ الإقدام، فانقلبوا على أعقابِهم خاسرين، وانهزموا هزيمةً فاضحةً وتركوا قتلاهم، فاحتُزَّتْ رؤوسُهم وغنموا من سلاحِهم، وعادوا مرةً أخرى على تلك الجهةِ، فأصيبوا بما أُصيبوا به في المرةِ الأولى، وهاجموا من في الجهةِ الغربيةِ من الجَبَى، وفيها من المجاهدين أهلُ الحدا عصابةٌ نافعةٌ، فخرجوا إلى أولئك المهاجمين وقابلوهم بهجومٍ أشدَّ من هجومِهم، وردّوهم على أعقابِهم وقتلوا منهم جماعةً، ولم يكتفوا بذلك بل طاردوهم إلى أنْ وصلوا إلى بعضِ القرى التي للمخالفين، وأخرجوهم منها،

/ ١١٦

(١) الثِلث: عُزلة من ناحية البستان (بني مطر)، والثِلث، عُزلة من بلاد حرازَ، وعُزلة من مخلاف بني بحر في ناحية عُتُمة، انظر، معجم الحجري، ١/ ١٦٨ .

وغنموا ما فيها، وعادوا والنصرُ يحفُّهم والعنايةُ تزفُّهم.

ومن الوقائعِ التي جرتْ بينَ الفريقين أثناءَ الحصارِ، أنَّ الأعداءَ أجمعَ رأيُهم على القدومِ من الجهةِ الشرقيةِ بقبلة، وكان الرباطُ مرتباً بالمجاهدين، وهو مرتّبُ الجهةَ التي قصدوها، وكان المنتدبون لذلك قد وعدوا مقادمةَ الضالِّ[1] بأنهم سيستولون على الجَبَى في ظرفِ أربعٍ وعشرين ساعةً، وقوّى عزائِمَهم أبو الهادي من أعوانِ الضالِّ بأنهم سينالونَ ذلك على قاعدتِهم في إدّعاءِ الإطلاعِ على المغيّباتِ، والافتراءِ على جبارِ الأرضين والسمواتِ، فتقدّموا كتائبَ متعددةً، والتزمَ كلُّ فريقٍ بعنوتِه، وأعانهم مدفعُ الضال. فلّما شرعوا في إجراءِ ما أبرموه جاءَهم من قدرِ اللهِ ما لم يحسبوه، وانتقضَ المبرمُ، وحيلَ بينهم وبينَ ما يشتهون؛ إذْ صَوَّبَتْ عنايةُ اللهِ، رصاصةَ بندقِ أحدِ المجاهدين على أميرِهم الشيخ أحمد عبده الحسيني فوقَ المدفع، فقتلتْه في الحالِ، وأوردته حياضَ الوبالِ، فاعتراهم الفشلُ، وأمدَّ مَنْ في تلك الجهةِ الشيخَ علي عمر المقداد مع أصحابِه وجماعةٍ من أرْحَب وبادروا بالهجوم على الأعداء، فانهزموا وتبعهم المجاهدون فغنموا منهم ما غنموا حتى أخرجوهم من محلِّ البيضاء(1) بحربٍ شديدٍ، وجلادٍ ما عليه من مزيد، واستولى المجاهدون عليه، وكانوا قد تحصّنوا فيها.

ووصلَ الشيخُ يحيى الضَلعي وأصحابُه مدداً للمجاهدين آخرَ نهارِ ذلك اليومِ، وقد زالت/ سَوْرةُ الحربِ، وخفَّتْ وطأتُها، فاستُشهدَ رحمه اللهُ، وكان بعدَ / ١١٧ ذلكَ رجوعُ المجاهدينَ منصورين إلى مراتِبهم، ولم يجسرِ الأعداءُ على القدومِ

---

(1) البيضاء: بلدة مشهورة من بلاد المشرق، فيها مركز الناحية، شرق جنوب صنعاء والبيضاء قرية من بلاد حيس في تُهامة انظر، معجم الحجري، 1/ 133 .

---

[1] في س، الضال ابن ادريس.

واكتفوا بالحصارِ والرمي بالمدافع على جهةِ الاستمرارِ، ولما بلغ إلى مولانا الإمام -عليه السلام- حالُ الأجنادِ الإماميةِ في رَيْمةَ، صدرَ أمرُه الشريفُ إلى عاملِ الحدأ، واستنهضَ همَّتَه بجمعِ الأقوامِ النافعةِ ومبادرتِه، مغيراً على أبيه عامل رَيْمَةَ ومنْ معه، وكان ذلك قُبيلَ عيدِ الأضحى الماضي، فاستنفرَ قبائلَ الحدأ وبطونَها وأقبلوا إليه من كلِّ حدْبٍ، وجمعَ منهم زهاءَ ألفٍ وخمسِ مئةِ رامٍ فيهم أعيانُهم ورؤساؤهم مثلُ الشيخ ناجي بن صالح القوسي ومحمد ناصر البخيتي وغيرهما، وسارَ بهم مُجدّاً وأدركه عيدُ الأضحى، وهو في بعض الطريق، ودخلَ مع الجيشِ الإمامي بلادَ رَيْمَةَ، فأَنزلَ على الباغين عذابَ الهون، وأتاهم من صرامتِه ريبُ المنونِ بفَتكاتٍ علويةٍ وشجاعةٍ قَسْورَيّة، وهمةٍ لا ترضى بالدونِ، ولا يهمُّها تكاثرُ الأعداءِ ولا ما يعدُّون، وكانت بينَ الفريقين معاركُ يطولُ شرحُها وتعدادُها، ولم يُعرِّج على الجَبى بجيوشِه، بلْ قصدَ الأعداءَ إلى محطاتِهم، وأماكنِ استعدادِهم وجهاتِهم، فنازلَهم بجيوشِه، وأنزلَ العزيزَ منهم عن عروشِه، ولم يَسَعْهُم غيرُ الفرارِ والانحدارِ إلى أطرافِ تِهامةَ، واستولى الجيشُ المنصورعلى حصونِ تلكَ الجهةِ، وهي المنيعةُ، في سويعاتٍ أو سويعةٍ مثلُ حصنِ مشحم[1] وحصنِ مسعود وبني أبي الضيف[2] وبني الضبيبي[3]، وقطعَ الجيشُ المسافةَ الطويلةَ في ظرفِ يومٍ واحدٍ يقتلُ ويحرقُ ويبدِّدُ ويمزِّقُ كالسيلِ الجارفِ والبرقِ الخاطفِ، وبهذا الفتحِ العظيمِ والنصرِ الفخيمِ انفكَّ الحصارُ على مَنْ في الجَبَى، وزالَ الخوفُ عن الشائبِ والكهلِ والشابِ والصبي.

ولم يستقرَّ الجيشُ الإماميُّ هنالك إلاّ برهةً، ووصلَ إليه المددُ العظيمُ من

---

(١) حصن مشحم: حصن عُزْلة من الجَبَى، انظر معجم الحجري، ١/ ١١٧ .

(٢) بنو أبي الضيف: عُزلة من ناحية الجَبَى من رَيْمَة، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٧٨ .

(٣) بنو الضبيبي: عُزلة من ناحية الجَبَى، انظر معجم الحجري، ١/ ١١٧ .

مـولانا الإمـام -عليـه السلام- بقبـائلِ خَـوْلان، وكـان جيشاً عظيماً، فـاجتمع الجيشـان وقد دوَّخـا مـا وراءهما ونادى أميرُه بـالأمـان، وتقـدّما على محطـةِ بني نـاحت[1]. وفيهـا من جموعِ البـاغين جنـدٌ كبيرٌ فصبّحـوهم بقـارعـةٍ جعلتْهم كأمسِ الداثـر، وتفرّقوا في كلِّ جهةٍ، وسـاقوا خلفَ البغاةِ إلى الحصنِ، فاستـولوا عليه بعـدَ حربٍ شديـد،/ وامتلأتْ أيدي المجـاهدين من الغنـائمِ، وكانت لا تُحْصَرُ ولا تُقَـدَّرُ، لأنَّ الجيوشَ الإمـاميـةَ أعجلتهم تهريبُ[1] أمـوالِهم، وكان مـا جرى عليهم بعضُ ما يستحقّونه من نكالِهم فقـد خانوا أو نكثوا العهودَ، وعقروا الصلاحَ كما عقَـر الناقةَ أشقى ثمود، ولم يـرقبوا في المجاهدين إلاً ولا ذمّـةً، وأتوا من بغيهم وعنـادِهم كلَّ مــذمـة. ثم تقـدمَ الجيشُ المنصـورُ إلى بني الطِلَيْلي[2] وابتدأهـم الأميرُ بالمراسلةِ، وطلـبَ عودَهم إلى الطاعـةِ، وحذّرهم مـن المصابِ بمثلِ ما أُصيبَ بـه الجماعةُ، فأظهـروا اللينَ، ولم يقربُوا، ومكثـوا أيامـاً يماطلون، والأميرُ يـوالي لهم النصائحَ ويـرشـدهم إلى ما فيـه السـلامةُ من الهولِ الفـادح، فكأنهم ظنـوا أنَّ حصونَهم مانعتُهـم من الله. فلم يقبلوا العـافيةَ. والشقـاوةُ تزجُّ بصـاحِبها إلى حفـرةِ[1] رداه. فحزمَ الأميرُ جنـدَه وكلَّفهم بالقـدومِ عليهم إلى شامخاتِ جبـالِهم، فتقدّموا إليهم بنيّـاتٍ صادقةٍ وهـاجموهم، ولم يبالوا بصعـوبةِ الطلوعِ إلى تلك الجبـالِ، وهي لا طُرقَ فيهـا إلا للواحـدِ تلوَ الـواحدِ، فـارتقوا إليها تحتَ أستارِ الظـلامِ، وأعانتهم عنايةُ اللهِ حتى تسنمـوا ذُراها كأنهم يمرُّون في سهيل من السهـولِ، وجاءَ البـاغين ما يـوعدون واستعجلـوا يوم القيـامة[2]، وخـابت منهم الظنون، وانتهبَ الجنـدُ الأماميُّ مـا جمعوه، وتفـرّقوا في الشعـابِ

118 /

(1) نـاحت عُزلـة في بـلاد رَيْمَـة من ناحيـة الجُبين، انظـر معجم المقحفي، 651، معجم الحجري، 2/ 727 .

(2) الطِلَيْلي: عُزلة من بلاد رَيْمة من أعمال كُسْمة، انظر، معجم المقحفي، 282، 404 .

[1] في س، حضر. [2] في ص، النقمة.

والأوديةِ متجرّعين لكأسِ الندامةِ.

ثم نادى الأميرُ بـالأمانِ، فتراجعوا إلى ديـارِهم وقد خربَ معظمُهـا، وبعدَه كانَ القدومُ على كُسْمَـةَ، وتدويخ أقطارِها، والتفتَ العاملُ وابنُـه إلى اصلاح ما تمّ فتحُه مـن البلادِ وتقريـرِ أحوالِها، وتـرتيبِ ما يحتـاج إلى ترتيبٍ من معـاقِلها واسترجاعِ أهلِها، وتمَّ ذلك في أقربِ مـدةٍ بعونِ اللهِ تعالى، ومَنَّ الإمامُ على جميعِ الثائرينَ من رؤساءِ أهلِ البلدِ بالعفـو، وقد كان كثيرٌ منهم فرّوا إلى تهامةَ بأهلِهم وأولادِهم، وأقاموا فيها لا يؤملون الإذنَ لهم بـالعودةِ لما جنته أيديهم الأثيمةُ من الـذنبِ العظيمِ، والتسبُّب في خـرابِ البـلادِ، وإزعـاجِ الظـاعنِ والمقيمِ، وقـد قُدِّرت القتلى من أهلِ رَيْمَةَ، ومن البالغين بها ينوفُ على الألفِ، وأما محمد أمين فإنَّـه فرَّ إلى بَـاجل، ومنه تـوجَّه إلى الضـالّ[1] إلى جيـزان، ولبث مدةً ولم تسعْـه الأقطارُ اليمنيـةُ فذهـبَ إلى مصوّع(١)، ثم عـاد/ واعتُقِل في بَاجل، وكـان ذلك بعضَ جزائِه فهو الذي سبَّب هـذه الحروبَ، وجلب الكروبَ والعيوبَ، ولم يزل ابنُ عمِّـه الشيخُ علي يحيى، ثابتَ القـدمِ على الموالاة، وكان للمنـاصرين للحقِّ أثنـاءَ أيـام الحصار، وقـامَ بمعـاضـدةِ العـاملِ أتمَّ قيـام، فرعى الإمـامُ -عليـه السلام- وأعوانُه لـه تلك المزية وسوّغوه من الرعايةِ كلَّ أمنيـة، والوفاءُ من شأنِه أنْ يدني صـاحبَهُ من الخيراتِ، ويدفعُ عنـه كوارثَ النكبات. وقد أتينـا بما كان من رَيْمَةَ من الفسـادِ والإصلاح، وأوردتُها متتابعـةً، لأنَّ ذلك أشفى للنفسِ من الإيتانِ بها متفرقةً.

١١٩ /

وفي هذه الأمورِ مجال للاعتبارِ بما يجني البـاغي من بغيه الذميمِ وما يتحملُه

(١) مصـوع: جزيـرة في البحـر الأحمر، يربطهـا بالبر جسر طـولـه ١٨٠٠م وعرضـه ١٠م، وعمرت مـدينة ميناء ارتيريا، مـركز محافظة مصـوع، قربها جزيرة دَهْلَك، انظـر تاريخ السودان القديم وجغرافيته لنعوم شقير، ط مصر، ١٩٠٣م، ١٠٦ .

[١] في س، الضال الادريسي.

من الأوزارِ والعارِ والخطبِ الجسيم - نسألُ اللهَ تعـالى الوقايـة من غدرِ الهوى، وما يقودُ إلى الدمارِ والردى.

وفيها دارت المراجعـةُ بينَ مولانا الإمام والـوالي محمود نديم، وكـان المذكورُ مقيماً في صنعاءَ، ومـولانا الإمامُ يُجري لـه الكفايات الفـاضلةَ، وخلاصـةُ ما دارَ من المراجعةِ ينحصرُ في التفكّـرِ والتدبُّرِ فيما يكونُ به حسـمُ الشرِّ الذي استطالَ شره في أطرافِ حَـراز، وما قابَلَـهُ من تُهامةَ والتوصلُ إلى استمالـةِ أولئك القبائلِ بواسطـةِ سادةِ تُهامـةَ من بني الأهدل(١)، لعلَّ في ذلك ما يـدفعُ الشرورَ ويجلبُ السكونَ والحبورَ، فيرجعُ لدن مولانا الإمام -عليه السلام- إرسالُ المومى إليه إلى حَـراز لمكاتبـةِ رؤساءِ تهامـةَ ومناصبهـا، ونصح الجميع بسلوكِ السبيلِ السـويّ ومنابـذةِ الضال[١] الغوي، ووقعَ الاختيـارُ على الوالي المومي إليـه لمكانِ معـرفتِه بهم، وأنهم يعـرفون حقَّـه، ويميلون إليـه ويقبلون كـلامـه، فتوجَّـه إلى مَناخـةَ، ومكثَ هنـالك تدورُ بينَـه وبينَ المذكـورين الرسـائلُ كافلـةً[٢] [٣]لما فيه أفضلُ الوسائلِ، فلم تجدْ تلك الـرسائلُ نفعاً[٣] ولا وجَدَ مِنْ أولئك ما كـان يطلبُه أفراداً وجمعاً، ونسَـوْا ما بينهم مـن التعارفِ ووسائلِ التعـاطفِ، وعرض الـوالي المومي إليه تلك النتيجةَ، الصادقُ عليها، عدمُ الإنتـاج، وأفادَ بأنه ما لداء[٤] أنجعُ من دواءِ السيفِ وهو أنفعُ عـلاج، وحنيئذٍ أمرَ مـولانا الإمـامُ حاكمَ العزِّ بـالنزولِ والتوجّـهِ إلى مناخَـةَ وكان الإمـامُ قد أذن لـه بالقفـولِ قبلَ أشهرٍ لما ألمَّ/ بـه من الأسقـام، وأرسل مولانـا الإمـامُ جنداً كثيفـاً من حـاشد وبكيل زيـادةً على من / ١٢٠

(١) بنو الأهدل: من علماء تُهامة، أول من لقب بهذا الاسم الصوفي علي بن عمر الأهدل ت بعـد ٦٠٠هــ، في المراوعـة من قـرى سهـام، انظـر، معجم الحجـري، ١/ ٩٤، معجم المقحفي، ٥١.

[١] في س، الضال الادريسي.
[٢] في س، معاً.
[٣ - ٣] سقطت من س.
[٤] في س، لداء اولئك.

هنالك، وأمرَ جميعَ رؤساءِ المقادمةِ بالاجتماعِ إلى مَنَاخةَ وإعمالِ التدبيرِ النافعِ ومداولةِ الآراءِ في ذلك مع الوالي وعاملِ حَرَاز، فواصلَ أميرُ الجيشِ من صَعْفَانَ وغيره، وكان الإجماعُ[1] وعلى تفريقِ الجندِ الإمامي إلى طوائفَ، ويكونُ تقدّمُ كلِّ طائفةٍ على جهةٍ من جهاتِ الأعداءِ، فحاكمُ العرِّ مع حاشد، وأهلُ جبل عيالِ يزيد، تكونُ طريقُهم من بني إسماعيلَ لأخذِ حصونِ غِراس، والعارضةُ ثمَّ مَدْوَل من جهةِ القبلةِ، وعلى طريقِ الحَنكةِ، وأميرُ الجيشِ مع جيشِ النظام، والأهنومُ وظُلَيْمَةُ ومعهم المدفعُ يقصدون مَدْوَلَ من جهةِ الشرقِ، والعدنُ والسيدُ أحمدُ بنُ علي الصعدي والشيخُ علي بن أحمد قطيع وأهلُ الحَيْمةِ على بني جرين ووادي حار وبني إسحق، وعاملُ حَراز القاضي علي بن عبدالله الأكوعُ والأميرُ صمصام توفيق مملوك(1) مولانا الإمام، ومعهما عصابةٌ نافعةٌ من الجيشِ، وما يجتمعُ من أهلِ البلادِ، يقصدان ضامر لهاب فوقَ الحَجَيْلةِ، لمنعِ مَنْ في الحَجَيْلةِ من الأعداءِ من الامدادِ لمن بوادي حار منهم، عند مهاجمةِ الجندِ الامامي إياهم، والوالي محمود نديم بك مقيم[2] بمناخةَ لتلقّي وإرسالِ مؤنِ الجيشِ من دقيقٍ وجبخانةٍ ومؤنهٍ إلى كلِّ محطةٍ بقدرِ احتياجها، وتوجَّه الجميعُ من مَنَاخةَ في شهر ربيع الأول من هذه السنةِ، وقصدوا الجهاتِ التي عُيِّنتْ لهم، وباتَ حاكمُ العرِّ في الصافيةِ(2)، وجمعَ مَنْ معه من القومِ من حاشد وبكيل فكانوا تسعَ مئةِ مقاتل.

---

(1) صمصام توفيق العتيق، كان يدعى بالأمير صمصام، عالماً وادارياً، ولي عماله المَخا ثم عين مديراً للورشة الإيطالية بعد التعاون بين الإمام وإطاليا، انظر، حياة الأمير، ٥٥٤ .

(2) الصافية: الصافية في اليمن كثير، منها صافية صنعاء، الجزء الجنوبي من صنعاء، الصافية العدنية ومنها صافية، دَمْت وجُبى، الجَيْشِيَّة، رَدَاع، وشحة، ثلأ، ذَمار، سهام، عُتُمة، صعدة، مَقْبَنَة، الطور، الجوف، انظر، معجم المقحفي، ٣٧٢، تاريخ مدينة صنعاء، ٥٦٦، رياض الرياحين، ٦٩، مذكرات المؤيد بالله، ٣٦ .

---

[1] في س، الاجتماع. [2] في س، يقيم.

وفي اليومِ الثاني، قدّمَ الحاكمُ جماعةً من عكَفَتِهِ طليعةً لتعرُّفِ الطريقِ، ودفعِ منْ فيها، فدخلوا بعدَ حربٍ يسيرٍ إلى العَارِضةِ، وفرَّ منْ فيها من الأعداءِ نحوَ طريقِ بني سعد، وقد كانَ الحاكمُ أمرَ أكثرَ مَنْ معه بالمبيتِ في قريةِ دعوة[1]، وأنْ يكونَ نهوضُهم في اليومِ الثاني إلى العَارِضةِ، والاجتماعِ هنالك لتدبيرِ العملِ، فلما شاهدوا تلك الطليعةَ قد استولت على العَارِضةِ قبلَ خروجِهم من دعوة، عرجوا عن قصد العارضةِ ومرُّوا من طريقِ القصبةِ التي إلى بني سعد ومَدْوَل وتقدموا إلى وادي الحَنَكَةِ[2]، وهو وادٍ بين بني سعد ومَدْوَل وبني مُدَيْهِن وكانوا يظنون أنَّ أميرَ الجيشِ[1] سيتقدّمُ في ذلك اليومِ من عدني مَدْوَلَ فانكشفَ تأخرُّه واعتذارُه بفرارِ بعضِ النظامِ لينفي عنه الملامَ/ فاجتمعت عليهم طوائفُ الأعداءِ من كلِّ جانبٍ، وهم في الحَنَكةِ، / ١٢١ وليس لهم محلٌّ يأوون إليه، ولا جبالٌ يعتصمون بها، والأعداءُ مشرفون عليهم، فاضطربوا، وإنْ كان رائدهُم الثبات، واعترتهم الحيرةُ، ولم يجدوا بُدّاً من الرجوعِ إلى العَارِضةِ، وقد أصيب منهم ثلاثةُ شُهداءَ، وعددٌ من الجرحى، وأكثرُ من ذلك ما حصلَ من الأعداءِ، وأمَدَّهم مَنْ في العَارِضة عند اقترابهم من العارِضة، فأخمدوا ما بالأعداء من نار الطموح، وأوقفوا بعزائِمِهم جوادَ بغيِهم الطَّموح، وأرسلَ الحاكمُ يومئذٍ عصابةً من أهل الجبلِ إلى شرقي مَدْوَل فلمْ يظفروا، وانقطعَ مِنْ أصحابِهم اثنا عشر نفراً عنهم، حالَ عن رجوعِهم حصارُ

(١) دعوة: ما ورد في معجم الحجري، دنوه وهي عُزْلة من ناحية الجُبَى من رَيْمَة، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٧٨ .

(٢) الحَنَكَة: بلد في الشمال من رداع، وهي قرية عامرة في وادي السرِّين ثُمن الأبناء من بني حِشَيْش، شمال شرق صنعاء على مسافة ٣٢كم، انظر، صفة ١٧٣، معجم المقحفي، ١٩٦، هجر العلم، ٤٨٧، والحَنَكَة، قرية عامرة في أعلى وادي عاشر من بني سِحَام من خَوْلان الطيال في مشارق صنعاء، انظر، هجر العلم، ٤٨٨ .

[١] في س، الشريف عبدالله الضمين.

الأعداءِ إياهم في محلٍّ صغير يسمى اللبخة، فتداركهم اللهُ تعالى بوصولِ الشيخ أحمدَ بن حسين السلامي، والسيد هادي بن يحيى الكُحْلاني، وعصابةٍ من الأهنوم والنظام فشمّر الشيخُ الصفيُّ أحمدُ بنُ [1] حسين إلى طردِ الأعداءِ عنهم، فرفع عنهم الحصارَ، وتمكّنوا من اللِّحاقِ بأصحابهم إلى العَارضةِ، ثم تقدَّم الشيخُ أحمدُ بنُ حسين إلى حصن مَدْوَل والقرية، فأُصيب برصاصةٍ في فخذِه، فرجع، وأما السيدُ هادي والأهنوم، فتقدَّموا إلى الرايس(1) واستولوا عليه وباتوا هنالك.

وفي اليوم الثاني والثالث، اجتمع النظامُ والسيدُ هادي ومن معه، ونهضوا جميعاً على حصن مَدْوَل، وهو قريتان في رأس الجبل فأخذوهما عنوةً، وطردوا الأعداء، ووصل أهلُ الجبلِ قاصدين الوثوبَ على قريةِ بني السعود، فأعانهم اللهُ تعالى على ما راموا، واستولى عليها الجندُ الإمامي، وتضايق مجالُ إقامةِ الأعداءِ في جبل مَدْوَل، فانهزموا إلى بيت المشرقي وبني مُدَيْهَن ورايم(2) والزَّعلا. والتفت الحاكمُ إلى تنظيم الرُّتَبِ ما بين مَدْوَل وصَعْفَان فرتّبها النقيبُ حسينُ بن محمد حبيش وأصحابُه، وهم نحوُ المئة في شرقِ بِشْر(3) وما تحته من القُرى، فكان هذا العملُ جالباً لثباتِ من في مَدْوَل من الجندِ الإمامي، وأَمانِهم على ما وراء ظهورهم، وتوجَّه حاكمُ العزِّ إلى مقوارة عَجَب، لملاقاةِ أميرِ الجيش والمدفع، وطلع الجميعُ مَدْوَلَ، وأَبقوا ثقلَهم في العارضةِ وعليها السيدُ محمدُ بنُ حسن القاسمي، وحاشدَ وبعضُ أهلِ الحَيْمَة حُماة من حادث غدر، ثم أجمعَ رَأيُ المقادمةِ على التقدمِ من الجميع في يومٍ واحد، كلُّ طائفةٍ على مَنْ في جهتِها

---

(1) الرايس: بلدة بالقرب من لؤلؤة من هَمْدان صنعاء، انظر، البلدان اليمانية، ٨٨ .

(2) رايم: عُزْلة من كُسْمَة من رَيْمَة، معجم الحجري، ١/ ٣٧٩ .

(3) بِشْر: قبيل من حراز، انظر، معجم المقحفي، ٧٩ .

---

[1] في س، حسين.

من الأعـداء، فتقدّم من مَـدْوَل/ على بيتِ المشرقي وبني مُـدَيْهِن ومعهم المدفعُ / ١٢٢ والمتراليوز(١) ، فحاربوا الأعداءَ وهاجموهم الأبطالِ وضربوهم با لمدفعِ والمتراليوز، فكثُرَ القتـلُ في الأعداءِ حالَ الفـرارِ، ولم يبقَ لهم هنـالك مَفَرٌّ ولا قَـرار. واستولى المجاهدون على ما قصدوه، ودخلوا[١] الأهنومَ وظُلَيْمَةَ إلى بني مُدَيْهِن مع السيد هادي بن يحيى الكُحْلاَني، وتقدم[٢] حاشدَ الذين بالعَارِضةِ إلى محلّ القرداع من أطرافِ بني سعد. ونهض السيـدُ محمد القاسمي ومن معه من الحَيْمَـةِ بالأثقالِ إلى مَغْرِبـة مَدْوَل، ورتبـوا عليها الحُماةَ للمحـافظة عليهـا. ولما مرضَ أكثـرُ أهل الحَيْمَة الـذين في مغارب صَعْفَـانَ وتأخروا عـن القدوم على وادي حار أمَّـدهم الإمامُ - عليه السلامُ - بالسيـدِ العلم قاسم بن حسن الوادعي. ومعه كَتيبةٌ من حَاشد، فـافترقوا إلى طائفتين. طائفةِ حاشـد، قصدوا حصنَ الهادي وشويع من بني جرين، وأهلُ الحِيْمَة قصـدوا محطة وادي حار، فرزهم اللهُ النصر في الجهتين، وانهزَم الأعـداءُ إلى عُبال، وقـد طـرقَهم طارقُ الخزي والنكـال، ولكنْ، كـانَ من حاشَد عدمُ التدبُّر والنظـرِ في العواقبِ، فأحرقوا حصنَ الهادي وشويع وغيرَهما من قرى بني جرين، ورجعوا إلى صَعْفَـان، وكان الصوابُ الإبقاءَ على المحلاتِ المذكورةِ وتـرتيبَها من طـرفِ المجاهـدين لحفظِ الحدود ردءاً لتكون لغيرهـا من محطات الجنـودِ الإماميّـةِ في مَدْوَل والطَـرَفِ ومحطاتِ جيشِ بُـرع الآتي ذكرهُ، إنْ شـاءَ اللهُ، في المَنامـةِ(٢) والشطَبَةِ، وعَطّـار(٣) لأنَّ ذلك الإحراقَ منـعَ من إمكانِ البقاءِ فيها بعد ذلك. وكان المجاهـدون كلما تقدموا عليها عادوا إلى صَعْفَان ولم يتمكنوا من البقاء، وصارت ميداناً لتردُّد الأعـداءِ فيها، وتلك الحالةُ كانت سبباً

(١) المتراليوز: سلاح اوتوماتيكي بريطاني الصنع.

(٢) المنامة: أمام جبل بُرع، وبيت المنامة، سبق التعريف به.

(٣) عَتَّارة: قـرية من بلاد حـراز، وبها حصن، وهي على الطريق بين مَناخَـة والحَجّيْلَة، وبها طائفة من بني أسعد، انظر، معجم المقحفي، ٢/ ٥٧٧، ومؤرخنا يكتبها بالطاء .

[١] في س، أهل الأهنوم. [٢] في س، أهل حاشد.

لتعويقِ أكثر أعمال المحطات في تلك الجهات. وأمـا أهل الحَيْمَة فكان منهم، بعدَ الاستيـلاءِ على وادي حار وإذاقـة منْ بهِ كـاسَ الدوارِ، النهـوضُ إلى جبل الطَرَفِ بأمـرِ حاكمِ العـرِّ، وتقـدَّموا على حصـن الزَّعـلا، فأخـذوه عنوةٍ بحـولِ ذي الحولِ والقوّة، وثبَّتَ أقدامَهم هنالك، وصار حظَّ الأعداءِ أمامَهم، أي أسودَ حالك.

وفي أثناءِ هذه الحروبِ نُدِب عـاملُ حَراز الأميرَ صمصام توفيق[1] بعصابةٍ نافعةٍ للهجـوم على الحَجَيْلةِ/ فهاجمَ مَنْ فيها بمنْ معه وطردهَم عنهـا وأحرَقها حيثُ أنه لا يتمكَّنُ من البقاءِ فيها لعدمِ مناعتِها، وعادَ بمَنْ معه إلى الضامرِ[2]، ولبثَ عاملُ حراز هنالك مدَّةً ثم عادَ إلى مركز القضاءِ، مناخة.

١٢٣ /

وبقيَ الأميرُ صمصام في الضـامرِ مع جندٍ وافـر، ولم يكونـوا مِنْ أهل حَراز، تارةً يمُـدُّ جيشَ بُرع، وتـارةً جيشَ صَعْفَـانَ، إلى أنْ كان ارتفاعُ جيـشِ بُرع الآتي ذكرُه، فأمره الإمامُ بالانضمام إلى السيدِ العلم[١] قاسم بن حسن الوادعي لضبطِ حدودِ صَعْفَان، لظهـورِ الاستغناءِ عن محطةِ الضامرِ ومظنـةِ الانتفاعِ به، وبمَنْ معه في الجانبِ الآخـر، وقد سبق بيـانُ قدومِ المجـاهدين من حـاشدَ على محلِّل القرادع[3] من بني سعد[4] واستيـلائِهم عليـه، وطردِ الاعـداءِ منـه، ولكنهم لم

(١) صمصام توفيق بن عبدالله، العتيق: كان عبداً للإمام يحيى فأعتقه، وصار يدعى الأمير صمصـام، كان عـلامة، ومـذاكـراً وادارياً، تـولى قيادة حـروب المخَا ثم عمالتها، ولـه مشاركة في حـروب اليمن الاسفل، عينه الإمام مديراً للورشـة التي جاءت محركاتها من إيطاليا، انظر، حياة الأمير، ٥٥٤ .

(٢) الضامر: جبل في بلاد القُحْري وأعمال باجل، انظر معجم المقحفي، ٢/ ٣٥٢ .

(٣) القـرادع: من قبـائل مـراد، منهم علي نـاصر القـردعـي من ولـد جميل، انظـر، معجم المقحفي، ٥١٠، تاريخ اليمن العسكـري، ١٠٥، معجم الحجري، ٢/ ٦٤٨ وقد سبق التعريف بها.

(٤) بنو سعد: ناحية من أعمال المحويت في حِداد حراز، بها قلعة الزاهر انظر، معالم الآثار، ٥٧، معجم المقحفي، ٣١٥ .

[١] سقطت من س.

يقفوا فيه سوى يوم واحدٍ، ثم تركوه لا عَنْ حربٍ وطعانٍ وضرب، وارتفعوا إلى مَدْوَل، فطمع الأعداءُ الذين في بني سعد بذلك، وهم ألفافُ من الأشرافِ أهل الزاهر وغيرِهم، ومن ذي غَيْلان[1] باعوا دينَهم بدنيا غيرهم وانخدعوا للأطماع فحاربوا اللهَ بِشرِّهم، وجمعوا معهم من بني سعد جماعةً غير يسيرةٍ، وتقدموا لمنازلةِ السيد هادي بن يحيى الكُحْلاني، ومن مَعَهُ من المجاهدين في بني مُدَيْهن، وقائدهُم الشريفُ محمدُ بنُ علي مكرم، وقد تكاثرَ جمعُ الأعداءِ. وفي بني مُدَيْهن محلاتٌ كثيرةٌ غيرُ صالحةٍ للحربِ وضَبْطُ جميعها يتعسَّرُ على مثلِ تلك العصابةِ، فالتحم الحربُ بينَ الفريقين، وكانت ملحمةً كبرى، تخلَّص في نهايتها السيدُ هادي ومن معه، وارتفعوا إلى بيتِ المشرقي، وتفرقَ جيشُ الأعداءِ في جميعِ قرى بني مُدَيْهن، وقد كانَ من في مَدْوَل من المجاهدين أمدُّوا السيد هادي ومن معه بعصابةٍ من المجاهدين، فرجعوا معهم إلى مَدْوَل، وازداد الشريفُ المذكورُ وجموعُ البغاةِ عُتُوًّا ونفوراً، وبما كان وتمَّ لهم في بني مُدَيْهن فرحاً وحبوراً، فناهضوا مَنْ في بيتِ المشرقي من جندِ الحقِّ، وفيهم الأبطالُ الكُماةُ والرجالُ الحُماةُ والأُسْدُ الرماةُ إلى أنْ وصلوا إلى مسافةٍ قريبةٍ من المحلِّ، وحينئذٍ كان من الشريفِ المذكورِ مخاطبةُ المجاهدين بأنْ يلحقوا بالأولين منهم، فأجابوه بكلام فيه لين،، فصاحَ على أصحابِه بالهجوم، وتقدَّمهم بنفسِهِ، وكان ذلك دَلَيلاً والليلة مقمِرَةٌ، وثيابُه مبيضةٌ، فرماه المجاهدون بثلاثِ رصاصٍ في الصلبة المتصلةِ بالبيوت، أثبتوه بها، فخرَّ صريعاً، وزهقت روحُه إلى عذابِ ذي الجبروت، ثم خرجَ إليهم المجاهدون،

---

(١) ذَوغَيْلان: من قبائل وهم محمدي وحسيني، وبنو غيلان من أهل آنس، وغيلان قرية وجبل في بلاد صَعْدَة، انظر، صفة، ١٢٩، الاكليل، ١/ ٢٣٦، معجم الحجري، ٢/ ٦٢٧.

/ ١٢٤ / وقد اعترى جميعَ المخذولين الفشلُ، ونزلَ بهم مِنْ بأسِ اللهِ ما نزل، فهزموهم بإذنِ اللهِ تعالى، وأثخنوهم قتلاً وجُرحاً، فانحدروا سراعاً إلى بني سعد، ولم يتمكن الأعداءُ من حملِ قتيلهم وأميرهم، بل اقتصروا على أخذِ بندقِه، فأخذَ بعضُ المجاهدين سلبَه واحتزَّ رأسَه، وبعد برهةٍ، تجمَّعَ الأعداءُ في سَمْهَر وعُبال، ووصلت إليهم الامدادُ من الضالّ[1]، وتقدّموا على مَنْ في رايم والزَّعلا. وتقدم منهم الجيشُ الذي في بني سعد على بيت المشرقي، واستمرَّ الحربُ بينَ الفريقين من وقتِ الفجر إلى آخر النهارِ، واشتغلت كلُّ طائفةٍ بمقاتلة مَنْ بإزائها من العدوِّ، ونفذت المؤنةُ على من في الزّعلا من الأنصارَ فشهروا جنابيَّهم، وخرجوا من مراتبِهم لمطاعنة الأعداءِ، فلم يقفوا أمامَهم وانهزموا عنهم إلى فوقِ سَمْهَر، ولكنَّ المجاهدين تغيّظوا من عدم إمدادِهم، وخشوا من الكرَّةِ عليهم، وهم بلا زادٍ ولا زنادٍ، والبقاءُ على تلك الحالةِ خارجٌ عن دائرة المعتاد، فتركوا الزّعلا وأمُّوا مَدْوَل، وكان وراء الزّعلا بيتُ إبراهيم أحمد، وفيه من المجاهدين تسعةٌ وثلاثون رامياً من نظام هَمْدَان، والشيخ محسن العلي والبوني من الجبلِ وأصحابها. ولما رأوا مَنْ في الزّعلا قد تركوها همُّوا باللحاقِ بهم، فخاطبهم العلي بكلامٍ أثارَ حفائظهم، فرجعوا إلى البيتِ المذكور.

ولما علم الأعداءُ بخلوِّ الزعلا من المجاهدين كرُّوا عائدين، فدخلوا الزّعلا من دونِ ممانع، وحالوا بينَ مَنْ في بيت إبراهيم أحمد وبين إمكان الخلاص، وقطعوا عليهم الطريق، ويومئذٍ أقبلَ إبراهيم أحمد وأصحابُه من وادي عُرافة(١)، فلما وصلَ إلى باب بيتِه الصغير اثبته المجاهدون برصاصةٍ قتلتْهُ في الحال، وقُتِلَ أيضاً معه واحدٌ من أصحابه، فتوارى الباقون عن عيونِ المجاهدين، وتظاهروا في اليوم الثاني، فقتلَ المجاهدون منهم اثنين، فتفرقوا بعدَ ذلك، وهابوا الدنوَّ من

(١) وادي عرّافة: عُزلة من ناحية صَعْفَان وأعمال حراز، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٥٩٧ ما ورَد في الأصل غُرابة.

[١] في س، ابن ادريس الضال.

المجاهدين، والبيتُ الـذي حوصروا فيه، ولكنَّه اشتـدَّ عليهم الحصارُ من بعيدٍ، وأثـارَ طمعَ الأعادي في الاستيـلاءِ عليهم تكـاثـرُ جموعِ الباغين، ولا سيما بعـدَ ارتفـاعِ مَنْ في/ بيت المشرقيّ وحواليـه من المجاهـدين إلى مَدْوَل، فإنـه تكاثَـر / ١٢٥ الجمعُ من الأعـداءِ، ومـلأوا القُـرى ونهضوا الى مَنْ في قبلي مَـدْوَل وغـربِّيـه من الأنصـارِ، وكرَّرُوا محاربتهم بقصـدِ تعويقهم عـن إمدادِ المحصـورين، وإحالـة الإفراج عنهـم، فلم يُعرفْ حالهُم إلاّ بصـوتِ النفيرِ، وكلّما أرسلَ المقدّمـي مدداً للمحصورين، باشرهم بالحربِ جمعُ العدُّو القـريبُ منهم، واستمرَّ الأمرُ خمسةَ أيامٍ وعزائمُ المجاهدين متقـاصرةٌ عن إنقاذِ أولئك، حتى مرضَ الحاكمُ تأثراً من تقاصرِ خُطى القـوم، وعزم على القـدومِ بنفسِه لـدفعِ العارِ واللَّـومِ، فشمَّر أهلُ الحَيْمَة عـن ساقِ الهمـةِ الساميةِ، وصمَّمـوا على الوصـول إلى المحصوريـن ولو كانت القاضيـة، وأمرَ حاكمُ العِزِّ وأميرُ الجيشِ بقيةَ المجاهـدين بمحاربةِ مَنْ في بيتِ المشرقي ليصرفـوا نظَرهُم عن طـريقِ عنوةِ الحَيْمَـة، لإنهم نزلـوا إلى الوادي وطلعـوا من طريقِـه إلى المحلةِ المتـوسطة بينَ بيتِ المشرقي وبيتِ إبـراهيم أحمد والـزَّعلا، ففـاجئوا منَ في تلك القـرى مفاجأةً، وهجمـوا عليهم بلا مبـالاةٍ ولا مُداجاةٍ، فهـزموهـم جميعاً بإذنِ اللهِ، وحقَّق اللهُ ظنونَهم، فـوصلوا إلى المحصورين في ثلثِ الليل، واشعلوا النارَ في سطح البيتِ الذي كـان فيه المحصورون إعلاماً للمجـاهـدين بما تمَّ لهم من الظفـرِ وإدراك البغيـة والـوطر، وكـانـوا في حـالِ سلـوكهم قد رتّبـوا طريقَهم بأكثـرِهم، لأنّ وراءهم بيتَ المشرقي، وبيتُ المزادةِ والزعلا لم يكن من الأعـداء تخليتُها، فجعلوا الرَتبَ وقـايةً من العذرِ، ولم يحصلْ من الآخـرين اشغـالُهم عنهم، ثم عـادوا ومعهم من كـان محصـوراً إلى محطـةِ المجاهـدين لم يشاكوا شـوكةً، ولا سالَ منهـم دم، وذلك من عناية الله سبحـانه

....

....

با لمجـاهدين إظهاراً لمزيـة الإخلاصِ في الأعمال المرضيةِ لـذي القُدرةِ والجلال. وقـد كـان الأعـداءُ ورؤسـاؤهـم تمدّحـوا بها فَعَلـوا، وكتَبـوا إلى قـائد الجيـوشِ الإدريسيـة، ببَاجـل يطلبون منـه الإفـادةَ في كيفية تقسيمِ سـلاحِ المحصـورين، وعلى أيِّ صفةٍ يكـون إيصالُهم إليه، فخيَّبَ اللهُ ظنونَهم وردّهم بغيظِهم لم ينـالوا خيراً/ والحمـدُ للهِ كثيراً، وبعـدَ أسبـوعٍ من فـكِّ الحصـارِ والإفـراجِ عنهم بِمَنِّ الجبـار، كـرَّ المجـاهـدون على الأعـداءِ، وجـدّوا في محارِبَتهم فطـردهـم من تلك القرى، واستـولوا عليها مرة أخـرى. ونزل حاكمُ العـرِّ في بيت إبراهيم أحمد، ولم يجْد بُداً من بقـائِهِ هنالك لتقـويةِ عـزائم المجاهدين، وتثبيت أقـدامهم في تلك المواقع، لأنَّ حالتَهـا كانت حـائلةً بين بَقاء المجـاهدين فيهـا، واستمرارهم على ذلك من شدةِ الـوقتِ لعدم الماء للشربِ والصلاةِ، فلم يصبر المجـاهدون على البقـاء هنـالـك إلاّ بعـد معـرفتهم أَنَّ أميرَهم نـازلٌ ومقيمٌ في أطـرفِ المراتبِ، فصبروا على الشـدائدِ صبرَ الكـرامِ، إلى أنْ أغـاث اللهُ البـلادَ بـواكف الغمامِ، وذُبالةُ الحربِ مشتعلةٌ في أكثر الأيام.

/ ١٢٦

ورأى حاكمُ العـرِّ أنَّ مقابلةَ رمي العـدوِّ بالـرمي من المجاهدين، لا يـزيدُ الأعداءَ إلاّ جُـرأة على تكرار الغـزوِ ليلاً والقـدوم نهاراً، فأُمِرَ المجـاهدونَ بتركِ الرمي، إلاّ إذا وصل الأعـداُ إلى أفناء[١] البيوت، فكـان ذلك أضرَّ على الأعداءِ من طردِهـم إلى الخبوت(١)، لأنهم كـانوا أشبـهَ حالاً بـالقرود، يهربـون كلما رأوا المجـاهـدين عـادينَ عليهم، بـادروا بـالفـرارِ، ويعـودون من فـرارِهم إذا عـاد المجاهدون من مطـاردتهم، وتلك عادةُ القرودِ لا عادةُ الجنـود، فكانَ الإعراضُ

(١) الخبت: يقع في نـاحية المحـويت، وينقسم إلى عُـدة عُزل منهـا، بنو عمارة وبنـو جبع والظـاهر وعنس وغيرهـا، يحده المحويت غـرباً ومِلْحَـان جنوبـاً ولاعة والطـور شمالاً، انظر، حياة الأمير، ٦١٨.

[١] في س، أثناء.

عنهم أشدَّ عليهم من المحاربة والمطاردةِ، ولم يجسروا على التقدُّم إلى حَيِّز المشاهدةِ، وسيأتي، إن شاء اللهُ تعالى، بيانُ ما تجدَّدَ في هذه الجهة[١] من الحروبِ[٢] بعد إكمالِ [٣ما كان في بُرَع بهذا العامِ لترتبِ ذلك على الحركاتِ الجهادية هنالك٣].

وفيها جَهَّز مولانا الإمامُ - عليه السلامُ - الشيخَ نصيرَ الدين عليَّ بن المقداد راجح بجندٍ كثيفٍ، كاملَ العدّةِ لقصد بُرَع وأطرافِ بلادِ رَيْمَة.

وأمر مولانا الإمامُ السيدَ جمالَ الدين علي بن محمد الشامي أن يقومَ بجنودِه لاستفتاح ما بقيَ من بلادِ رَيْمَةَ حتى يكونَ التقاءُ الجيشين، وقصدُ بُرَع من الجهتين، فتوجَّه الشيخُ نصيرُ الدين بِمن معه من الجنودِ من طريقِ بيت القابلي، وشرعَ في مناجزةِ الظالمين، ومنازلةِ مَنْ في طريقِه من/ الباغين، وجرتْ بينه وبينَ الأعداءِ هنالك حروبٌ وخطوبٌ أسفرتْ عن انهزام الأعادي وجلائِهم عن أطرافِ بلادِ الطَّعام، واستقرَّ الشيخُ نصيرُ الدين في حصن المنامةِ أمامَ جبلِ بُرَعَ، وقد نكلّ بالبغاةِ، وأذاقَ جموعَهم زؤامَ الحربِ ورداه، وواصلَ الاهتمام في ترتيبِ جنودِه وحمايةِ كلِّ جمعٍ منهم لأطرافِه وحدودِه. / ١٢٧

وأما جيشُ ريمةَ فإنه تقدَّم من تلك الجهةِ على الحَضَنِ والزَّعلا، وزحفَ تحت قيادةِ أميرهِ السيدِ جمالِ الدين علي بن محمد الشامي، وكان مؤلفاً من أهل الحِدّأ وحَوْلانَ وحاشد وجبل عيال يزيد، فاستولى على الحَضَن(١) والزَّعلا وما وراءهما غرباً، وما كان إلى جهةِ القِبلةِ من الحَضَنِ إلى جُمعةِ المسخن بعد حَروبٍ

(١) الحَضَن: غرب مدينة ذمار ومن أعمالها، والحضَنَ، من أخصب وديان نجران، انظر صفة جزيرة العرب، ٢٢٧ .

[١] في س، الجهات. [٢] في س، الحرب.
[٣ - ٣] سقطت من س.

ضروس، جـرت بينهم وبينَ الأعداءِ، أسفـرتْ عن هزيمـةِ المخالفين، وانتصـارِ المجاهـدين، واستولى المجاهـدون على عزلة ذَرْحَـان، وجبل الزَّعلا ومـا إليه من بني[1] الحوت(١). وبلغ بعضُ أوائل الجيـش إلي بني وقيــد(٢) والمسخن، وغنم المجاهـدون مالا يُحْصَرُ، وكانت القتلى والجرحى من بـلاد الطَّعَام كثيرةً والأسرى منهم كذلك، واحتُزَّت رؤوسُ جماعةٍ منهم، فـأرسلها أميرُ الجيشِ إلى أبيه، عامل رَيْمةَ، وطيفَ بها في البلاد.

وفي اليوم الثاني من القدوم، أقبلَ بنو حسن(٣) بعقائرِ الطاعةِ، وكذلك شيخُ ذَرْحَان(٤) ورتب الأميُر ما وراءه كـالحَضَنِ والزَّعـلا. ثم زحفَ بجنودِه على بني وقيـد(٢) وبني شَرْعَب والجمام والمسخن، فـدخلهـا الجيشُ عنـوةً بمعـونـةِ الله سبحانه، وأنزل بأهلِها، ومَنْ كان لـديهم من البغاةِ مُرَّ النكالِ وعظائمَ الأهوالِ. فانهزموا أقبحَ هزيمةٍ، ولاذوا بالفـرارِ وعدّوه أكبر غنيمةٍ، ولم يستقرَّ لهم لعظم ما قاسَـوْه من صَوْلـةِ المجاهدين هنـالك قرارٌ فأصبحت البـلادُ عن أهلِها خـاليةً خَـاويـةً ولعظيم ذنـوبهم وطغيـانهم نـاعيـة، وطـا لما جعلـوا العتّـو لهم شعـاراً واستحلوا مـرارةَ البغي وردّوا حيـاضَه استكباراً، ولم يقبلـوا نصيحةَ نـاصحٍ، ولا ارتـدعـوا عن منكـراتِ القبـائحِ، بل جعلـوا ديـارَهم للبـاغين مأوى للغـادي

---

(١) بني أبـو الحوت: عُزلـة من ناحيـة الجَبَى من رَيْمَة الأشـابط، انظر، معجم الحجـري، ١/ ٣٧٨.

(٢) بنو وَقيد: عُـزلة من ناحية بلاد الطَّعَام وأعمال رَيْمَـة الأشابط، انظر، معجم المقحفي، ٧٠٣، معجم الحجري، ٣٧٩.

(٣) بنو حسن: عُـزلة من نـاحية بـلاد الطَّعَام من رَيْمـة الأشابط، انظـر، معجم الحجري، ٣٧٩.

(٤) ذَرْحان: قرية من ناحية هَمْدَان صنعاء من عُزْلة حاتم، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٤٠، معجم المقحفي، ٢٥٠.

---

[١] في س، الخون.

والرائح، واشرعوا رماحَهم إلى صدور المجاهـدين/ وبذلوا كلَّ ما في طاقتِهم في / ١٢٨
سبيل إعانـة أحزابِ الطغيان على حزبِ الـرحمنِ، فأذاقهم اللهُ عذابَ الخزي في الحيـاة الدنيـا، وأراهم في أنفسهم وأمـوالهم مـا يكرهـون. وبهذه الأعمال تمَّ بين الجيشين الاتصالُ، وأجمعَ رَأيُ المقـادمةِ على قصـدِ الجبلِ، ومنازلـةِ مَنْ فيه بكلِّ بطلٍ فقصـده الجيشـان من الجهتين، وجـرَتْ بينَ الأعـداءِ وبينَهم معـارِكُ وخطوبٌ، كـان النصرُ فيها، والظفرُ حليفَ المجـاهدين والخذلانُ والهزائمُ حظَّ المخالفين، واستـولى الشيخُ نصير الدين وجنودُه على الشطبةِ وعطَّـار، وارتقوا[١] إلى الجبالِ حـرباً، وجرَّعـوا الأعداء مِنْ كؤوسِ طعـانِهم أهوالاً وكربـاً. وكذلك كـانَ الحالُ لـدن الجيش الآخـر، فإنهم حـاربـوا مَنْ في جهتهم وأجلَـوْهم عن أمـامهم، وتسنموا ذرى الجبلِ لا يخالطُهم تهيُّبٌ ولا فشلٌ. وجـاء الباغين مـا لا قِبَلَ لهم به، فـولّوا على أعقابهم منهزمين، وأرسلوا صريخَهم إلى تهامـةَ مستمدّين، ولم يـواجِهِ المجـاهدين أحـدٌ من أهل الجبلِ بـالطاعـةِ، بل فرُّوا وعلى عصيـانهم أصرَّوا، فكـانت جميعُ مؤن الجيشِ من الـزادِ تُنْقَلُ إليهم من حصنِ المنامـة ومن رَيْمَـةَ، وفي ذلك من الصعـوبـةِ مـا لا يخفـى إلى أن مَلَّ من ارتقى الجبلَ [٢ من الجيش٢] الإقـامةَ في مـراتِبهم، وتسلَّلَ بعضُهم من هنـالك، وأزمع على الفـرارِ، وصـادفَ ما كـان من خَورِ العـزائم إقبالُ الجيـوشِ من التهائمِ من عُبـال على العادة.

ولكنَّ الشيخَ نصيرَ الدين لم يفـارقْ حصنَ المنامةِ، فإنه جعلَـه مقراً لمحطَّتِهِ ومعه عصابـةٌ نافعةٌ من ذو غيلان وغيرِهم، فقصـدَه الجيشُ القادمُ، وجرى بين الفريقين حربٌ عظيمة كان بها كسرُ حـدةِ الجيش المهاجم ورجوعُه إلى ما وراءه غيرَ ظـافـرٍ ولا هـازم، وعنـدمـا بلغَ إلى مَنْ بـالجبلِ مـا حصل من الغـاراتِ

....

[١] في س، وارتفعوا. [٢] سقطت من س.

اضطربوا، ولم يثبتوا، وخرجوا عن طاعةِ أمرائهم فتشتتوا وجرى عليهم ما جرى على السابقين، وارتفع جيشُ رَيْمَةَ من الجبلِ راجعاً إلى أطراف رَيْمَةَ، وتبعه الشيخُ نصيرُ الدين ومَنْ معه، وداخلَ الجميعَ الفشلُ وحسبَ الكلُّ أنَّ البقاءَ هنالك نوعٌ من الزللِ فركبوا مُتونَ الخطلِ، وتفرَّق الجيشُ بأجمعِه لمّا اعتراه مِنَ المَلَلِ، ولم يأتِ بالفائدةِ المطلوبةِ ولا أكملَ ما ابتدىء به من/ الأعمالِ المرغوبةِ، ولم يبالِ بما أدخلَ من الوهن، ولما ارتفعت المحاطُ عن جبلِ بُرَع تَنَمَّر المخالفون، وعادتْ أطرافُ بلادِ الطَّعَام إلى الخلافِ، وكادَ الخللُ أن يسريَ إلى ما فوقَها من بلادِ رَيْمَةَ، ولكنَّ عاملَ رَيْمَةَ وولدَه شمَّرا عن ساقِ الهمَّةِ في حفظ الأطرافِ وإطفاءِ نيرانِ الخلافِ، ومنع سَريَانِ ذلك الداءِ، ولم يعد الشيخُ نصيرُ الدين إلى حضرة الإمام -عليه السلام- بل قصدَ دارَه، وبقيَ فيها، وقد اعترتْهُ الأمراضُ والأسقامُ إلى أنْ دعاه منادي الحِمامِ في التاريخ الآتي ذكرُه، وانتقلَ إلى جوار الربِّ العلاّم. ولما تمَّ للبغاة ما أرادوه في هذه الجهةِ، وكانت جموعُهم قد تكاثفَتْ، وأمدَّهم الضالُ الإدريسي من لديه بأجنادٍ ومهمّاتٍ، تزايدت وتكاثَرَتْ، انتفخت منهم الأوداجُ وثمِلوا بخمرةِ بغيِهم، فأكثروا في ميدانِ تشّوقِهم إلى القتالِ من البكور والرّواح والإدلاجِ، ونهضَ الشقيُّ محمد طاهر رضوان قائدُهم الكبيرُ إلى عُبال، وذلك في أواخرِ شعبانَ من هذا العام، وجمعَ إليه رؤساءَ جيوشِ الضال[1] الذين كانوا في بُرَع، ومنْ في جوارِ صَعْفَانَ وما إليه، وجمَع أيضاً قبائلَ القُحْري وبني سَعدَ ومدْوَل والطَرَفِ وبني جرين، حتى بلغَ جمعُهم زهاءَ ستةِ آلافِ مقاتلٍ ففَرّق بينهم الزاناتِ وأمرهم بالتقدُّمِ على أصحابِ الإمام ومراتِبهم من جميعِ الجهات، وكانت محاطُ أنصارِ الحقِّ متصلةً من مغاربِ صَعْفَانَ إلى بيتِ إبراهيم أحمد في مَدْوَل، وألزَمَهم أنْ يكونَ قدومُهم

/ ١٢٩

....

[١] في س، الضال الأدريسي.

في يومٍ واحدٍ، فتقدَّموا في غرة شهـرِ رمضانَ، وقد عنى كلَّ فريقٍ منهـم بجهةٍ من الجهاتِ، فطائفةٌ تقدموا من الحَجَيْلةِ على المقـربةِ وأكمة خليفة، وطائفةٌ قصدوا من بني جرين المغارب، ومن وادي حار، عدني مَـدْوَل والمشبه، وطائفةٌ من جهة سَمْهَـر، قصدوا الـزَّعـلا، ومن جهـةِ غرابـة بيت إبـراهيم أحمد وأخـرى من بني مُدَيْهن، وجمعوا عزمَهم على بيت المشرقي، وفـريقٌ كبيرٌ يمَّمُوا الحَنكَةَ، وقصدُهم قبلي مَـدْوَل، وكانت أكبرَ الطّـوائِفِ عـدداً، ومدداً، التـي من الحَجَيْلةِ والحَنكَـةِ وسَمْهَر، فـوقَع بينَ الفريقين حربٌ عظيمٌ، ثبـتَ فيه المجاهـدون أكملَ الثّبات، وصبروا صبرَ الكرام، وحـاربوا محاربـةَ الأبطالِ الاثبـاتِ، ووقفوا في مـراتِبهم لم يـزحزحهم عنهـا كثرةُ جموعِ الأعـداءِ ولا إقـدامُهم إليهم إقدامَ الأشـداءِ/ وبلغَ / ١٣٠ الأعـداءُ القادمـون من الحَجَيْلة إلى المقـربـة، فالتقـاهم الشيخُ مقبل بن حسين هراش وأصحابُه من حَـاشد بعد خروجه من أكمة، وفيهـا مدفعُ الإمام، يعينُهم بـالضربِ على الأعداءِ وإصـلائِهم[١] نـارَ البِلَى، فمال المجاهـدون عليهم أيَّ ميلـةٍ، وكسروهم بعـونِ اللهِ إلى الحَجَيْلةِ، بعـد قتلٍ ذريع، وفتكٍ مـريع، متتـابعٍ سريع، والقـومُ الآتـون من الحَنكَةِ بلغـوا إلى قـربِ قـريةِ مَـدْوَل، فـدافعهم من هنـالك منَ النظـامِ وطلعَ أميرُ الجيشِ ممـدّداً لهم بنفسِـه، ومعـه الضبـاط، ومَنْ عنده من العسكـرِ، مع المدفعِ والمتراليوز، فهزَموهم بإذنِ اللهِ إلى بني سعـد، بعدَ أنْ قتلَ منهم سبعةً، واستُشْهِدَ من المجـاهدين واحدٌ فقط، وطائفةُ الـزَّعلا بلغوا قريباً منهـا وصاروا ما بينها وبينَ بيت إبراهيم بن أحمد، فخـرجتْ عليهم طائفةٌ من أهلِ الحَيْمةِ كـانوا في بيتِ إبراهيم المذكور من ورائِهم، وكـادوا يُحيطون بهم همْ ومن في الـزَّعلا، فبـادرَ الأعداءُ إلى فـوقِ سَمْهَر بـالانكسارِ ولاذوا بـالفرارِ، وظهرَ مِنْ قتلاهم أربعةٌ وعدةٌ من الجرحى، وسـائرُ الطوائف من الأعداء ناوشوا

---

[١] في س، وأصلاهم.

من بـازائهم من مراتبِ الأنصـار، ثم كـانَ حظهُّم من قدومهم حظَّ الآخـرين، فانهزمـوا جميعاً آخرَ النهـار، وعادوا بالخيبـةِ والفشلِ لم ينالـوا خيراً ولا دفعوا عن أنفسهم ضيراً.

وفي هذه الأثنـاءِ بعدَ رجوعِهم من قـدومِهم بتلك الأرزاء جمع محمد طـاهر إليـه منهم الـرؤسـاءَ ، ودارت بينهم المراجعـةُ على تـرتيب أطـراف تُهامـةَ وبني سعـد، وتقويـةِ محطةِ عُبَـال وسَمْهَـر، واقتصروا على ذلك لما علموه من عجـزِهم وخورِ عـزائمهم عن القيامِ بدفعِ المجـاهدين، فضلاً عمّا هُمْ مكلَّفـون من لدن الضالِّ من الاستيـلاءِ على ما تحتَ أيديهم من المحال،. وشرعـوا في طلَبِ الهدنةِ مدةَ شهر الصيـام، فأسعدهـم المقادمةُ إلى ذلك، لما فيـه من المصلحة، واستأذن الإمامَ أميرُ الجيشِ في الطلوعِ إلى حضرة الإمامِ، وزيارةِ أولادِه، فأذنَ له الإمامُ - عليـه السـلامُ - ورُفِعَت المَتـارسُ بعـد المهادنـة منَ الطـرفين ببركـةِ شهـرِالله، رمضـان الكـريم، وارتفع حـاكمُ العـرِّ إلى المنصبـة، ووكّلَ الشيخُ علي بن أحمد قطيع على المجـاهدين غير النظـامِ وعلى سعيـد بك، قومنـدان[1] النظام، وإلى الحاكمِ مراجعتُهما في الإقدام والإحجام.

وفيها، في أوائِلها كـان توجيهُ أعمالِ قضاءِ رَدَاع ونواحيـه وقبضُ واجباتِهِ إلى عهدةِ السيـدِ العلاَّمـة يحيى بن علي الذاري، فتَوجَّـه إلى محلِّ عملِه وقـامَ به خيرَ قيـام، وحَصَّـل الـواجبـاتِ وضبط الأشرارَ، وخـابـرَ مَنْ في السَّـواديـه[2] من المخـالفين/ واستمالهم فلمْ يبعـدوا عن الانقيـادِ، وكـان ذلك مقـدِّمـةً لأعمالِ الجهادِ الآتيةِ في العام المقبلِ وتوطئة وتمهيداً لها. / ١٣١

---

(١) قومندان: قائد أو أمير جند.

(٢) السَّوادية: قضاء من لواء البيضاء، شرقي ذَمار بمسافة ١٥٠كم، انظر، اليمن الكبرى، ٦٦، معجم المقحفي، ٣٣١ .

وفيها، في أثناءِ إقامتِـه هنالك تمالأ بنوعمر(١) من (....)[١] على قتلِ الشيخ سعيـد المرقب مـن مشـائخ تلك الجهـة، فضُبِطَ المعتـدون أيَّما ضبطٍ، ورُبطـوا أحسنَ ربطٍ وسيقـوا في السلاسلِ والأغـلالِ إلى حضرةِ مولانـا الأمام، وأُودعـوا داراً لاعتقـالِ، وفُرَضَتْ على المتمالينَ الآدابُ لبيتِ المال ولحقهم بعـدوانِهم أشرُّ النكالِ، وكـذلك كان العـدوانُ مِنْ بعضِ آل محسن يزيـدُ من قَيْفَة(٢)، وهمْ من أتباعِ الشيخ عليّ بنِ أحمد بـن جرعون على بعضِ المجـاهدين النـافدين عليهم، وقتلوا واحـداً منهم، وقتلَ منهم المجاهـدون، ونالـوا منهم، وأرسلَ شيخُهم علي بن أحمد بن جرعون إلى مقـام مولانا الإمام وأحيلَ الطرفان إلى المحـاكمةِ لتداعي الطرفين بأنَّ المعتدي هو الآخر.

وظهرَ في خلال ذلك من الشيخ محمد بـن علي الجهمي نوعُ تهاونٍ بالعاملِ، فحـاول ضبطَـه ففـرَّ المذكورُ إلى حضرة الإمـام، واقتضى الحالُ إرسـالَ سيـدي جمالِ الإسلام عليّ بن حسين الشامي(٣) كاشفاً إلى هنالك، فَحَقَّقَ الأحوالَ، وما رُفع من الأقـوالِ، وتبيَّن من تحقيقِه سلـوكُ الشيخ محمـدِ بنِ علي الجهمي في غير محجةِ الصلاح، فأُودِعَ دارَ الأدبِ بالقصرِ السعيد[٢].

---

(١) بنو عُمَر: أهل ذي ناعم من البيضاء، انظر، معجم المقحفي، ٤٦٤ .

(٢) قَيْفَة: من قبائل رَداع، وهي بطن من مراد، انظر، صفة، ١٥٢، معجم المقحفي، ٥٢٨ .

(٣) علي بن حسين بن عبـدالله بن حسين الشـامي ت ربيع الأول ١٣٧٢هـ، عـالم مبرز في كثير من العلوم ولا سيما العربيـة، شاعراً أديباً، ولـه مشاركة في علم التفسير والحديث، كـان الإمام يحيى يشهـد له بسعـة علمه، تـولى القضاء في مَقْبَنـة ورَدَاع وذَمار وحـراز، وعضـواً في محكمـة الاستئنـاف بصنعـاء، ولـد بصنعـاء سنـة ١٣٠٢هـ، ثم انتقل إلى جحانة ورحـل إلى الأهنوم ١٣١٦هـ، حيث درس في هِجرَه، انظـر، تحفة الاخوان، ٩٨، نزهة النظر، ٤٢٧، هجر العلم، ٣٢٥ .

---

[١] بياض في النسختين.

[٢ - ٢] من عبارة «ومما يحسن ايراده ههنا إلى عبارة ومن ذلك الأبيات إلخ» سقطت من س.

وممـا يَحْسُن إيـرادُه ههنـا نفثةٌ أرسلهـا سيـدي العمادُ يحيى بنُ علي الـذاري -عافاه الله- أثناءَ إقـامتِه هنالك إلى مولانا الإمامِ، وهي نفثـةٌ أخذت حظَّها من الإجادة والإحسانِ، ودلَّتْ على طول باعهِ في البيانِ، وهي:

[السريع]

عمـــري لقـــد أحَسَنَ يحيى بمَا ... أبَـــدْاه للفضـلِ بنظمٍ غــــريبْ

انصبْ نهاراً في طـــلاب العـــلا ... واصبرْ على فقـــد لقـــاءِ الحبيب

لكنـــه لـــو قـــالَ والليلُ لا ... تهملْـــه بـــاللَّهْـــوِ وفعـل المعيب

وســامــر الأسفـارَ يـا حبـذا لأ ... سفـــارُ فيهـــا طـبُّ داءِ الكئيب

وصِـلْ ورداً لا تكـنْ وانيــــاً ... وادعُ إلى الله بقلــــبٍ مُنيــــب

وابك ذنـــوبـــاً منكَ قـــد اثقَلَتْ ... ظهــراً وأحصـاهــا عبــدُ رقيب

واتلُ كتـــابَ اللهِ يــــا ذا النهى ... فهـــو ضيـــاءُ نـــورِه لا يغيبْ

قلتُ أنـــا مـــا قلتُ مستــدركـاً ... والنصحُ مـن شأنِ الأديـبِ الأريب

والقـــولُ منّي خـــالَـفَ الفعلَ يـــا ... لَهفـــي على نفسي بماذا أجيـــب

لا تعجبـــوا إنْ هِمْتُ في وجهتـي ... وبُحتُ جَهْــراً بـالبكـا والنحيب

كم بـثَّ في أسرِ الهوى مـــوثقــاً ... مـذْ كنتُ في بُـردِ الشبابِ القشيب

واليـومَ مـا عُـذري وهـا قـدْ دَنَتْ ... خمســـون مني واستنـــار المشيب

يـــا ربِّ إني مـــذنبٌ خـــائفٌ ... راجٍ وظنـــي أننـــي لا أخيـــب

بـالخمســةِ الأطهـارِ أهـلِ الكسا ... مَنْ لي بِهِمْ في الـــودِّ أغلى نصيـب

هبْ لي مـن التـوفيقِ يـــا ذا العُلى ... حظـاً يقيني هـــولَ يـومٍ عصيب

واحفظْ أمـامَ العصـرِ وأمـدُدْه بالـــ ... ـفتحِ وبالنصـر المبـينِ القـريـــب

/ ١٣٢

....

....

قلتُ، وهي كما تراها جميلةٌ موضوعاً ومقصداً، مفيدةٌ في النهايةِ والابتداءِ، وقد انتقدَ النظامَ بها ما حكاه غيرُ واحدٍ من المؤرخين، أنه وردَ بريدُ خراسان على الرشيدِ، وكان يحيى بن خالدِ بن برمك بين يديه، فرمى إليه بطاقةً فيها أنَّ الفضلَ بن يَحيى تشاغلَ عن مصالح العبادِ، بالصيّد والقَنَص، وكان عاملاً على خُراسان من قِبَل الرشيد، فكتبَ يحيى بنُ خالد على ظهرها يلومُ ابنَه على إهمال مصالِح أعماله. ومن ذلك، الأبياتُ انصَبْ نهاراً في طلابِ العُلى...الخ.

وفيها صدرَ الأمرُ الشريفُ من مولانا الإمام -عليه السلام- بعزلِ السيدِ الأجلِّ محمد بن علي الذاري[1] ، ورفعِه من عمالةِ زَبيد بعدَ طلوعِ جماعةٍ من تجارِ زبيد يشكون من مطالبةِ العاملِ لهم بالزكاةِ الباطنة، وأنَّ الهيئةَ التي كلَّفها تقريرُ ما على كلِّ واحدٍ منهم جازفوا فيما وضعوه عليهم، وحملوهم ما لم يكن لديهم، فانتهى أمرُ شكواهم إلى قبولِ أيْمانهم فيما يلزمُهم من الزكاةِ، وتعيين السيد محمد بن محمد بن أحمد غمضان الكبسي كاشفاً يكون عزمُه صحبتَهم لتقرير أحوالهم، ورفعِ ما يشكونه من عدمِ رعايتهم، وعزموا جميعاً إلى هنالك واقتضى الرأيُ الشريفُ بعدَ ذلك إناطةَ قضاءِ زَبيد وواجباتِه إلى السيد فخرِ الدين، عبدِالله بنِ أحمد الوزير من جملةِ البلادِ التي تحت نظرِه، وكذلك أُضيف إلى ما بيدِه من الأعمالِ واجباتُ قضاءِ إب جميعِه، جِبْلَةَ وبلادِها ومخلافِ الشوافي[2]

---

(١) محمد بن علي بن أحمد الذاري ت٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤هـ، عالم عارف بالفقه والفرائض، تولى أعمال خبان ثم النَّادرة فعُتُمة ثم زَبيد، وقد عزله الإمام بعد ارتفاع الشكوى منه، فعاد إلى الذاري، وتولى أعمال ناحيتها، ولد في رمضان ١٢٨٧هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٩، ائمة اليمن (سيرة الإمام يحيى)، ٢/ ١٣٢، هجر العلم، ٦٦١ .

(٢) مخلاف الشوافي: ناحية كبيرة، شمال غرب إب بنحو ميلين ويشمل عدة عُزل انظر، صفة جزيرة، ١٤٩، ٣٢١، معجم الحجري، ١/ ٤٩-٥٠، قرة العيون، ٣٣٧ .

ومِخلاف بَعْدَان وناحيةِ المخادر، وكذلك ناحيةُ حُبَيْش مِنْ أعمالِ قضاء العُدين، فاتسعت الأعمالُ التي بنظرِه، وصارت معظمَ البلاد.

وكان المومى اليه حرياً بهذه الثقة من مولانا الإمامِ، فإنَّه اتصفَ بالتحّري على العدلِ فيما هو بنظرِه، وضبط أمورِ الواجبات، وتقريرِها على أحسنِ منوال، وأجملِ حال واستحصالٍ[1].

/ ١٣٣ / وعيَّن مولانا الإمامُ لعمالةِ زَبِيد الفقيهَ محمدَ بنَ عبدالله الشامي، عامل حَيْس، حيثُ حُمِدَ منابُ المذكور في قيامِه بأعمالِ ناحية حَيْس، فكانَ في عملِه الأخير مشكورَ السيرةِ، مشهوراً بالعفةِ والاستقامةِ، وطيبِ السريرةِ، فحزم أمورَ تلك الجهةِ، وضبطَها أحسنَ ضبطٍ، [2ولم يُنْسَبْ إليه تقصير2]، ورضي به هنالك العامةُ والخاصةُ.

وأما السيدُ فخرُ الدين، عبدُالله بنُ أحمد الوزير، فإنه بعد توجيه الأعمالِ إلى نظرِه نهضَ من ذَمار وأقام في إب أشهراً يرتِّب أمورَ جبايتِها وأحوالِها، واستمدَّ من مولانا الإمامِ تعيينَ الفقيهِ محمدِ بن يحيى بن مداعس مأموراً للماليةِ، فأُسعدَ إلى ذلك. ولما أكملَ ما يحتاجُ إليه ذلك القضاء انتقل من إب إلى زَبيد، وأقامَ فيها زماناً رتَّب فيه قواعده، وأقام فيه شواهدَه، ثم قفل راجعاً إلى ذَمار، وقد بثَّ في تلك الجهاتِ ما رامَ من الأنظارِ ونتائجِ الافكار.

وفيها تحرَّكَ عاملُ الجشع والجزع في النصارى الذين في عدن، فأوحوا إلى شياطينِهم بما في أفكارِهم من الانزعاج من جيوشِ مولانا الإمامِ، وتقدُّمِهم في تلك الأصقاع، ودبّروا الحيلةَ في ما تكونُ به الغيلةُ، وكاتبوا رؤساء يافع

[١] سقطت من س.   [٢ - ٢] سقطت من س.

وصديقَهم الخبيثَ، نصرَ بن شـايف، وسلطانَ المكلاّ القطيعي[1]، والجميعُ إليهم ينتمون، وفي نصرانيّتِهم يعمهون، وبـذلوا لهم النقودَ الواسعة، والـذخائرَ الحربيةَ، حتى الدنميت الـذي من شأنه أنَّ القطعة منه تنسفُ الـدار العظيمةَ، إذا ألقيت فيه، وأمروهم بمحاربة أصحابِ الإمامِ، والعزمِ على ذلك بأقدامٍ واهتمامٍ، فمضى نصرُ بنُ شـايـف نحـوَ الأَجْعُـود، وشـوَّقهـم على الخلاف، والانضمام إلى مَنْ قـدْ جمعهم من الأجـلافِ، فثـاروا بمن لديهم من المجـاهـدين، واغتـالوا جماعـةً من المجاهـدين والأنصار، رزقهم اللهُ الشهادةَ، وكتبَ لهم السعـادة، وتجمَّع أهلُ يافع عن بكـرةِ أبيهم، وانقسموا إلى طـائفتين منهم، وهم معظمُهم قصـدوا الشُّعَيْبَ، وهـو من البلادِ الإمـاميـة، وفيه عـاملُهُ السيـدُ محمـدُ بنُ علي بن إسحاق، ومعـه عُصـابـةٌ من الأنصـار، وكـان القـاصـدُون للشُّعَيْب لا ينقصـون عن ستـةِ آلافِ مقاتلٍ، وقيل ثمانية آلاف، منهم: أبوبكر بنُ علي النقيب، والسلطانُ فضل محمد، والحضارم والمفـالحة[2] وأهلُ المَوْسَطـة وغير هؤلاء، وأمـــا الطائفـةُ الثانيـــةُ، فمنهم السلطـــان الخائنُ النـاكثُ، صـــالحُ بنُ عمـــر البكـــري والـــداؤوي[3]

---

(١) غالـب بن عوض بن محمـد بن عمر اليـافعي ت ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢، سلطـان المكلا والشِحـر، كان لين الجانب، تـولى بعـد وفاة أبيـه سنـة ١٣٢٨هـ، ضم إلى بـلاده وادي دوعن الشمالي والجنـوبي ووادي حجر وميفع والـريدة وبـالحاف، عقد معاهـدة مع آل كثير، توسط سنـة ١٣٣٧هـ بالصلح بين يافع وإمـام اليمن، أكثر إقامته في حيـدر أباد الدكن، توفي بها أنظر، تـاريخ حضرموت السياسي، ٢/ ٢٨، ٣٥، ٤٥، ملوك المسلمين المعاصرين، ٢/ ٤٢٨، الإعلام، ٥/ ١١٤ .

(٢) المفـالحة (المفلحي): ومنه قبـائل السليماني والد هـرشي والذرحـاني وأهل مسلم وأهل خلَّة وغيرهم، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٢١١-٢١٥ .

(٣) الـداؤوي من قبائل يـافع العليا من أهل الحَدْ والتي تسمى العِنـاق قديماً، ويسكنـون الجناب والحمراء والخلقة وأهل ماحوم، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٢٠٤ .

....

والأبعوس[1] والعِناق وغيرهُم، فجعلوا قصدَهم جُبن[2] وما إليها، واتفقوا على أنْ يكـونَ تقدم / القـاصـدين للشُعَيْب، وبعـدَ أخذهِم الأهبـةَ، تقـدّموا نحـوَ الشُعَيْبِ والشيطـانُ يقودُهم ويُغويهم، وطبّقـوا أنحاءَ الشُعَيْب وغشيَهـا جيشُ الباغين، وحاصروا العاملَ ومَنْ معه، وضَّيقوا عليهم الحصارَ وحسبوهم أنهم قد صـاروا تحتَ مخالِبهم وبـراثينهم، وكـانَ أميرُ الجيشِ سيـدي يحيى بنُ محمـد بن عباس في قَعْطَبَة حينئـذٍ، وقد أحدقتْ به الأخطارُ من كلِّ مكـانٍ، فبادرَ بإرسالِ مَنْ لديه من الجندِ نحوَ الضـالع، وأمرَ عاملَ الضالع أن يعزمَ بهم، ومَنْ لديه من الجندِ نحـوَ الأَجعود، والشقِّي نصر بن شـائف، فتقدم[1] إلى البغاةِ والمخـالفين وواقَعَهم في أطرافِ الأَجعود، وأسكنَ كثيراً منهم بطـونَ اللحود، وفرَّقهم وشَّتت شملَهم، وفرَّ نصرُ بـنُ شايف معَ مَنْ معه مـن النصارى، وكفى اللهُ المؤمنين شرَّ تلك الجهةِ، وقـد كان أهلُ يـافعَ قربـوا من جبل حريـر، وأرادوا ترتيبَـه منعاً لمن يريدُ الإعانـةَ للمجاهدين، ووصولِ المددِ إليهم من الضالع، وأمـدَّ مولانا الإمامُ - عليـه السـلام - سيـدي عمادَ الـدين بأسـودِ القتـالِ، وأبطـالِ النـزالِ من المجاهدين مرةً بعد أخرى، وأمـرَ الامامُ النقيبَ المجاهدَ قائدَ بن راجح الخولاني بـالعزمِ مجدداً من بَعْـدَان، ومعـه جماعـةُ كبيرةٌ من أصحابِـه، ومن أهلِ بَعْـدان، وكـذلكَ جمعَ الأميرُ جمعـاً عظيماً من الشِعـرِ وعمّار والعَـوْد، ووجَّـه الجميعَ إلى الشُعَيْب، وأمـرهم بمُنازلـةِ أهل الإفكِ والريبِ، ومنـاجزتهم على جهـة البدار، والتفريجِ عَمَّنْ تحتَ الحصار خشيةً مـن استسلامِهم للعدوِّ الملازمِ لهم بالحرب في الرواحِ والغـدوِّ، فبادروا بالمسيرِ إلى أنْ وصلـوا إلى أطرافِ الجهـةِ التي استولى

---

(١) الأبعوس (البُعْسي)، من قبائل يافع العليـا منها الحَوْرى والسيلي، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٢٠٩ .

(٢) جُبَن: مدينة من قضاء رَدَاع، انظر، صفة جزيرة، ٣١٥، معالم الآثار، ٩٣ .

---

[١] في س، متقدم.

عليهـا الأعـداءُ، وفعلـوا بها كلَّ قضيـةٍ شنعـاءَ، فـلا تسَلْ عمَّا داهَم البغـاةَ من الجِلادِ، وحـرِّ الوخـزِ بـالأسنـةِ الحدادِ، وكيفَ عـادتْ جموعُ كثرتِهم إلى القلـةِ، وبـدَّلوا من كِبْرهـم بأقبح ذِلّـة، فإنَّ المجـاهدين أقـدمـوا عليهم إقدامَ الأسـود، وهاجموهم مهـاجمةً تتصدّعُ بها الأكبادُ قبلَ الجلود، ولمْ يقتصروا على تبـادلِ الرمي بـالبنـادقِ والمدافـع، بل تنـاولـوا جميَع أصنـافِ الطّعــان، وأرَوْهم من صنـوف الشجاعـةِ ألواناً وأيَّ ألوان، فكـانتْ ملحمةً كبرى، ويومـاً من أيامِ اللهِ التي لا يزالُ يتردَّد لها في العالمين ذكرى، أسفرَ عن إنزالِ الله نصرَه على المؤمنين، وهزيـمة الباغين والمتفـرنجين، ومنح المجاهـدين أكتافهم، فطفقـوا يقتلون ويأسرون من الأعـداءِ، ويطـاردونهم في تلك البقـاعِ، وهمْ يفـرّون فـرارَ الشـاةِ عـدتْ عليهـا الـذئابُ في البيـداء، لا يلوي الأخُ علىَ أخيـه، ولا يهمُّهم غيرُ النجـاةِ بأنفسهِم، وإنْ تـركَ الشجـاعُ منهم ذويـه وبنيه وأهليـه/ ومـزَّقهم اللهُ شرَّ ممـزق، وشبعت السباعُ من لحومِ قتلاهم، وامتلأت منها البقـاعُ، فقيل: إنَّ قتلاهم تجاوزَ عددُها المئةَ، وفيهـم مِنْ أعيانِهم كثيرٌ كـالسلطانِ فضل محمد وولـدِ الشيخ أبوبكـر بن علي النقيب، والشيخ محمـد بن زيد الحُريبي وغيرهم، وأُسر أيضاً مـن رؤسائِهم وأعيانِهم جماعـةٌ، وانقشعوا عن الشُعَيْبِ كلِّه، ولم يستقـرُّوا إلاّ في بلادِهم، وكفى اللهُ المؤمنينَ شرَّهـم، وانتهب المجـاهـدون مـا وجـدوه من أمـوالِهم ومهمَّاتِهم، وتعدّى النهبُ إلى أموالِ أهلِ الشُعَيْب.

٣٥ /

ولما كان الأميرُ يعلمُ أنَّهم مُكْرَهون من البغـاةِ على مسالمتِهم، أمرَ مَنْ في يدهِ من شيءٍ من أموالهم بردِّها فردوها، وصادفَ نهوضُ الطائفةِ الأخرى من الباغين وقتَ فرارِهم من الشُعَيْب، وقـد وصلوا إلى الدركِ الأسفلِ من الوبـال والدمار، فرجعوا معهم وشاركوهم في الفرارِ، وبطلَ ما أجمعوا عليه من الأضرارِ، وكفى اللهُ

....

....

مَنْ في جُبنَ شرَّهم بدونِ قتالٍ ولا مقاساةِ نزال.

وقد كـان حاكمُ جبُن ومن معه مـن الرتبة في تلك الجهـة تحيّروا في أمورهم، واضطربوا، فأتاهم من الفرجِ ما لم يحتسبوا، وأمدَّهم اللهُ بعنايتِه وألطافِه، فستروا وحجبوا، وتمَّ في كلتـا الجهتينَ ما يُرامُ من الإصلاحِ، وإعـادةِ الأمورِ إلى مجاريها وتقرير أحوالِها، والمنّةُ للهِ وحدَه.

ولا يخفى أنَّ عاملَ الشُعَيْب ومنْ معه ثبتوا ثبـاتاً عظيماً، وأبلوا في هذه الفتنةِ بـلاءً جسيماً، وصَبَروا صبرَ الكِـرام، ولم يبالـوا بما داهَمَهُم من الجيـوشِ الكثيرةِ، والخطوب الكبيرةِ إلى أنْ أدركهم الفرجُ، وذلك من تثبيت اللهِ تعالى ببركةِ مولانا الإمـامِ، وأعجبُ من ذلـك أنَّ أميرَ الجيشِ سيـدي العمادَ، أرسلَ قبلَ قـدومِ البـاغينَ على الشُعَيْبِ وهجـومهِم ثلاثين نفـراً من النظـام إلى عـامل الشُعَيْب، فتأخروا في طريقهم، وبـاتوا في محلٍّ يسمى أرضة بالقربِ من الضـالع، فباكرهم جيشُ العدوِّ صباحاً، وبـاشرهم بالرمي، وقـد تهيئوا للخـروج إلى حيث أُرسلوا فعادوا إلى البيوت، ودافعـوا عن أنفسهم، وطمَّهم موجُ الأعداء، فلمْ ينل منهم، ولم يقْـدِرْ على إخراجهم. ولما علمَ أميرُ الجيشِ بحـالِ أولئك النظامِ، أرسلَ ممـدّاً لهم بعصابةٍ من جندِ الحقِّ، وتيسَّر لتلك العصابة التفريجُ عن المحصورين/ ولم يصابوا بأذى، فما هابوا تلك الجموعَ، ولا نالهم منه خطبٌ يروع، وقايةُ اللهِ أغنتْ عن مضاعفةٍ من الدروع وعن عالٍ من الأطم. /١٣٦

هذا، وقـد ذكرنا مـا كان في الأجْعودِ وأنهم - أعني الأعـداءَ والمخالفين - لم يظفروا بمـرام، وكان حظّهم ذلك الحظُّ المشؤوم، ولما تـألّبتْ جموعُ يافعَ وبلغهَم ما عزمـوا عليه من القدوم، تراجعت إليهم أبعاضُ الآمـال، وكادوا أن يعودوا لما

....

....

كانوا عليه من الضلالِ، ولكنَّ الأمير لم يتركْ امـدادَ عاملِ الضالع، ولم تنسه مَنْ في هـذه المحطة خطـوب تلك المعـامع، فثبتَ عـاملُ الضالع، ومـن لديـه من الجنـودِ، وجـرى بينهـم وبينَ البغـاةِ عـراكٌ وحـروبٌ. فيهـا كلُّها كـان النصرُ للمجاهدين والخذلان، نصيبَ أعداءِ الدين.

ولما انقشعتْ غمامةُ فتنةِ يافع، وجَّه الأميرُ هَّمتَـه لتقوية تلك المحطة، وتقدّم المجاهدون على بقيةِ أهلِ الخِلاف، لم يكن منهـم إلاّ المدافعةُ التي لا تُذْكرُ حتى لاذوا بـالفرار، وخلت منهم الـديارَ، وبعـدَهـا واجهَ أهلُ الأجْعـودِ وبذلـوا من أنفسهم الطاعةَ، وسلّموا ما اشتُرِط عليهم من الرهائن، وكذلك أهلُ عبدالله[1]. ثم نهض الجيشُ إلى جبلِ رِدْفـان وهـو إلى محمـد بن صـالح القُطَيبي، وقـد جمع جُموعـاً، فكانتْ بينهـم وبينَ المجاهـدين محاربـاتٌ ومجادلات، كان النصرُ فيهـا لجندِ الحقِّ، واستولوا على معظم الجبل، ولم يبقَ لمحمـد صالح وجموعِه طاقةٌ على المقـاومــةِ واعتراهم الفشلُ، فتبـدَّد جمعُهم وخلى منهم، رَبعُهم، واهتـمَّ عـاملُ الضالعِ بتثبيت المراتبِ في تلك الحدودِ وتقـويتِها، وأعرضَ عن التـوغُّلِ لمّا أمره الإمـامُ بـذلك لما رآه من المصالحِ العـامـة، الجديـرة با لملاحظةِ والاعتبـارِ وإن خفيت على كثيرٍ من ذوي الأنظـار، واستقـرت بعـدَ ذلك الأحـوالُ في تلك الجهاتِ وطهّرها من أدران البغيِ والنجاسات.

وفي أوائل هذا العام، بعدَ أن كان من النجديين طائفةُ ابن السعود ما سردنا وقوعَـه، على قبائل يام منهم كثر الإرجـافُ بغزوِهِم بينَ قبائلِ خَوْلان بن عـامر، ودارتْ من أجلِ ذلك مــراجعـاتٌ بين علماء صَعْـدَةَ وجهــاتِها، وبينَ رؤسـاءِ قبائِلِها، وأجمع أمرُهم على الاستعدادِ للمقاومة والمدافعةِ، إنْ قصدهم بأقوامِهِ[1]،

---

(١) آل عبدالله علي في ذي الهجيرة مـن قبائل القُطيبي من الأجعـود (ردفان)، انظر تـاريخ القبائل اليمانية، ١٥٢ .

وترتيبِ أطرافِ البلاد إذا ظهرتْ آثارُ أقدامِهِ.

/ ١٣٧ وأجمعَ رأيُهم أيضاً/ على أنّهم لا يحتاجون إلى مددٍ من غيرهم، لما هم عليه من كثرةِ العددِ، وقوةِ الجَلَد، والتمكّن من صدِّ غاراتِ النجودِ وغيرهم، وإنما الذي يحتاجون إليه هو المَدَدُ بالسلاحِ ومؤنة وإجراءِ الكفايات، ووجودُ رئيسٍ يجمعُ كلمتَهم، ويكونون تحتَ قيادتِهِ يدبِّر أمرَهم، وحصروا آمالَهم في التعويل على المولى سيف الإسلام، محمد بن الامام الهادي[٢]، وأنه لا يقومُ غيرُه مقامَه، ولا ينوبُ منابَهُ، وراسلوا مولانا الإمامَ - عليه السلام - بما أجمعوا عليه، وكان المولى سيفُ الإسلام في تلك الأيام مقيماً في جبلِ الأهنوم بدارِهِ في المَدَان(١)، فأرسلوا إليه عدداً منهم يحوي نفراً من السادة والعُقّال، ولم يُسْعِدْهم إلى ما راموا معتذراً بأعذار، وكان في تلك الفينةِ عاكفاً على العبادةِ، ومطالعةِ الأسفار لشدّة شغفِهِ بالعلومِ، وارتشافِ رحيقِها المختومِ، فطلبوا من مولانا الإمامِ الزامَه بالإسعادِ إلى ذلك المَراد.

وقبلَ هذا الحادثِ كانت الظنونُ في أهل الشامِ مختلفةً، فمِنْ قائلٍ أن أهلَ الشامِ إذا شاموا وسيلةً للخلافِ فلا بدَّ من إهراعِهم إليها، لأنهم لم يدخلوا في الطاعةِ إلاّ رهبةً بعدَ أنْ طال الحربُ بينهم وبينَ الإمام نحو اثنتي عشرةَ سنةً، أولاً في فتنة القاسمي(٢)، ثمّ في فتنة الإدريسي، ولم يكمُلْ إصلاحُ تلك الجهاتِ وإزالةُ الخلاف إلاّ بعدَ أن انضمَّ إلى جندِ الإمامِ جندُ الاتراكِ الذين دخلوا إلى

---

(١) المدان: مدينة في جبل الأهنوم، بها مركز ناحية شُهارة، إحدى نواحي محافظة حَجّة، انظر، البلدان اليمانية، ٢٥٤، معجم المقحفي، ٥٧٣ .

(٢) المقصود حسن بن يحيى القاسمي الضحياني ت في ٥ جمادي الأولى ١٣٤٣هـ، عارض الإمام يحيى، ولد بضحيان سنة ١٢٨٠هـ، انظر، نزهة النظر، ٢٤١، هجر العلم، ١٣١ .

---

[١] في س، بقومه.

[٢] في س، الهادي لدين الله، شرف الدين.

بـلاد خَوْلان بن عـامـر مدداً لأنصـارِ الإمـامِ، وقد خلتْ منهم تلك الجهـاتُ، فظهورُ مـا يستندون إليه بـاعثٌ لهم إلى العَوْدِ إلى مـا كانوا عليـه ولا يخفى ما في هذا النظرِ من قوةِ الاستدلال.

ومن قـائلٍ، قـد زالَ مـا في الصـدور، وصلحت أحـوالُ الجمهـور، وثبتتْ أقدامُهم على الطـاعة، فمن البعيـد ميلُهم إلى الخروجِ عن الجماعةِ، ولا سيّما إلى مثلِ هذا الغريـب، وهذا كما لا يخفى نظرٌ مغزاه، الحملُ على السـلامةِ، لا سوى لتقدم ميلهم إلى الإدريسي وهـو غريبٌ، وعلى مـا نراه ممـا ذكرنا مـن مراسلتهم، وما أجمعوا عليه، نجدُ أنَّ الواقعَ قـد حقَّقَ الرأيَ الأخيرَ العاريَ عن الدليل، وما ذاك إلاّ من جملةِ سعـودِ مولانا الإمـامِ الخارقةِ، وما عـوَّده اللهُ تعالى من عنايـاتِه وكفايتِـه لمهماتِ الحوادثِ السابقة، فكَمْ خطبٍ جَلَلٍ ظنَّه أهلُ العقـول مما يهولُ قـد عـادَ كأنْ لم يكنْ ببركتِـه - عليـه السـلام - وانـدفعَ بأيسرِ مشقـةٍ وانقضى بسلامٍ، وكفى اللهُ الإمامَ شرَّه، وكثيراً ما تكونُ الخطوبُ في تناهيها بعونِ الله تعالى لمولانا الإمام منقلبـةً إلى ما فيه صلاحُ المسلمين والإسلام، وكـاشفةً عن حصولِ ما لا يمكن الوصولُ إليه/ بالسيوف والأقلام. / ١٣٨

ولما وصلت منهم هذه المراسلةُ، كان الأخذُ بـالحزمِ هو الذي عليه التعويلُ لدن مولانا الإمـام. وقد كان من المنقول عن جماعة النجودِ الـذين وصلوا إلى يام ودخلوا بـدراً من نجران، أنهم كانوا يـرتجزون بقولهم: (قد أرجفت صنعـا وبدراً دين). تـرجَّح لدى مـولانـا الإمام - أيـده اللهُ - إرسالُ المولى، سيفِ الإسـلام، أحمدَ بن قاسم حميـدالدين، والمولى القـاضي عليّ بن علي اليماني، شيخ الإسلام،

....

....

والسيد العلم قاسم بن حسين أبوطالب(1)، ناظرِ الأوقاف الصنعانيةِ إلى المولى، سيفِ الاسلام، محمدِ بن الإمام الهادي إلى الأهنوم للمراجعةِ في هذا الشأن، وإلزامِه الحجةَ بدخولِه إلى بلادِ صَعْدَةَ، وقيامِه بما عوّلوا عليه فيه، إذا ظهر من النجديِّ العدوانُ، وقصدَ بلادَ الإمامِ بما له من الأجنادِ الذين يسميهم بالإخوان، فتوجَّه المذكورونَ إلى تلك الجهةِ، ونزلوا في الأهنوم، ودارت بينهم وبين المولى، سيفِ الإسلام، محمد بن الامام المراجعةُ، وفي نهايتها كان منه امتثالُ ما أمر به مولانا الإمامُ، وصَرفَ اللهُ شرَّ أولئك النجود، فلمْ يكن منهم أقلُّ تعرُّض على بلادِ الشام أو المام. وانحصرت فائدةُ هذا الاضطراب في بيانِ ثبوتِ أقدام سكانِ تلك الجهات على الطاعةِ وحسنِ نيّاتِهم فيما التزموه من البقاءِ مع الجماعة، وهي فائدةٌ كبرى، أدخلتْ إلى قلوبِ المؤمنين السرورَ، وضاعفت الحبورَ، وعمَّتْ بها البشرى ولله الحمدُ.

وفي هذه السنةِ، شرع مولانا الإمامُ ببناءِ دارِه السعيدة في بستانِ المتوكل[1] بعد أن شرى[2] البستانَ وما حولَه من بيتِ المال. وكان الأتراكُ لما أخربوا ما كان فيه من العمارة، بنوا مكانَها بناءً فخياً، وجَعَلوه مستشفى للجنود، فنقض مولانا الإمامُ كثيراً من المستشفى وعمَّر في مكانِ الجانبِ الغربي من المستشفى دارَه السعيدة.

---

(1) قاسم بن حسين بن محمد بن أبي طالب، ت محرم ١٣٨٠هـ، المعروف بالقاسم العزي، أبو طالب، مصلح، عالم أديب مشهور، واحد من الذين توسطوا في عقد صلح دَعَّان بين الدولة العثمانية والإمام يحيى، عينّه الإمام يحيى سنة ١٣٣٠هـ لنظارة الأوقاف الداخلية، وأرسل سنة ١٣٣١هـ ضمن وفد لمراجعة محمد بن الأدريسي لحقن الدماء، كما أرسل في عدة مهمات للتهدئة، وقام بأدوار في اصلاح ما بين القبائل من منازعات، ولد بالروضة في شهر رمضان ١٢٩١هـ، انظر نزهة النظر، ٤٧٦، حياة الأمير، ٥٨٢ (من مؤلفاته، بلوغ غاية الأشواق في ذكر السفر إلى العراق، مخطوط مكتبة أوقاف صنعاء، رقم ٦٩٥).

---

[١] في س، قاسم بن حسين. [٢] في س، اشترى.

وفيها لما انقضت الهدنةُ بينَ المجاهدين الذين في صَعْفَانَ وما إليه، وبينَ أعوانِ الضال[1]، جهَّز محمد طاهر رضوان من بَاجل جيشاً ومعهما[2] مدفعان من مدافعِ الضالِّ، فاجتمع إليه أهلُ الحدود، وتقدَّم الجميعُ على بيتِ إبراهيم أحمد من جِهتين، فطائفةٌ ومعهم مدفعٌ قصدوه من الجهةِ القبليةِ من تحت حَماطة، والطائفة الأخرى ومعهم المدفعُ الآخرُ قصدوه من الجهة العدنية/ من المحلّة التي فوقَ سمهر، وباشروا البيتَ المذكورَ بالرمي من المدفعين، ومكثوا يرمون عليه بهما يوماً كاملاً، فلم تُصِبِ البيتَ رصاصةٌ واحدةٌ، وأَعَجَزهُم اللهُ تعالى عن ذلك، فخارت قواهم وخمدت جمرتُهم، وكانَ في البيتِ المذكورِ من المجاهدين عليّ بن أحمد الخمري، والنقيبُ حسن بن حسن الحداد، ونحوُ مئةِ رامٍ من النظام وغيرهم، فانقسموا إلى طائفتين، وخرجوا إلى الأعداءِ، فطردوهم بمدفعَيهم عن مكانِهم، وأنزلوهم إلى البيداء، وأرجعوا المدفعين إلى باجل، وعادوا إلى الترتيبِ كما كان وأيسوا بعدَ أنْ بذلوا كلَّ جدٍّ وإمكان، وما النصرُ إلاّ مِنْ عندِالله العزيز المنان. ١٣٩ /

وفي خلالِ هذه المدةِ، كانت المراجعةُ من السيدِ مساوي بنِ عبدالرب الساكن في دهو الدار، وقد مرَّ ذكرُه فيما سبق بالصُّلح بين مقادمة الإمامِ وبين محمد طاهر المذكور، وسعى في ذلك أتمَّ سعي، وعضَدَهُ في مَسْعَاه منصبُ المراوعةِ(١) السيد عبدالقادر بن أحمد الأهدل، وحاصل سعيهما قصدُ إصلاحِ أهلِ الحدود الذين خربت ديارُهم، وسُلِبتْ أموالُهم بأن يكونَ من الطرفينِ تهجيرُ تلك الحدود بارتفاعِ قومِ الإمامِ إلى صَعْفَانَ، وانخفاضُ جيشِ الإدريسي

(١) المرَاوعة: مدينة تُهامية شرقي الحديدة بمسافة ٣٥كم، يعود تاريخ عمارتها إلى القرن الثالث الهجري انظر، فرجة الهموم، ٣٢٠، اليمن الخضراء، ١/ ٨٩، المفيد، ١٥٦ معجم المقحفي، ٥٨١ .

[١] في س، الضال الادريسي. [٢] في س، ومعه.

إلى باجل، والتـزما التزامـاً مكتوماً لمقـادمة الإمـامِ بإصلاحِ أهلِ الحدودِ من بني سعد إلى بني جريْن متى رجعوا إلى ديارِهم وعمّـروها، وادخالِهم حظيرةَ الطاعةَ، لأنهما قد علما وعلمَ أهلُ البلادِ أيضاً بأنه لا نجـاةَ لهم من المهالكِ إلاّ بالدخولِ تحتَ طـاعةِ الإمـام. ولكنهم لا يتمكنون من الـرجـوعِ إلى ديارِهم وبـلادِهم بما معهم في تُهامـةَ من القُـراشِ[1] والمتـاعِ إلاّ بـاسمِ الصلحِ، لأنهم ممنـوعـون عن الرجوعِ من جهةِ محمـد طاهر وأعوانه، فرفع مقـادمةُ الإمامِ إلى الحضرةِ الشريفة حقيقـةَ ما دارَ من المراجعـةِ، فلمْ يحصلْ من الإمامِ الإسعـادُ [1-إلى رفعِ-1] مراتبِ الجهـادِ خشيـةً من الغـدرِ، وحثَّ الامـامُ على تـأمينِ مَنْ عـادَ إلى بيتـه من أهل البلاد، ولمّا لمْ يحصلْ مـرامُ السيدين، استأذنَ السيـدُ مساوي المذكـور من محمد طاهـر في طلوعِه إلى حضرةِ الإمامِ، والتماسِ الإسعـادِ إلى ذلك المرامِ، وكان من قبلُ يستأذنُه ولا يأذن به.

وفي هـذه الأونة بعـدَ الإيـاس رضيَ لـه بذلك، فـوصلَ إلى حضرةِ الإمـام، وقابلَه بكلِّ برٍ وإكرام، وحرَّر بيـدِهِ الأوامرَ الشريفة بتأمين الناسِ وأصدقَه أنْ لا محيصَ لهم من الطاعـةِ والانقيادِ، وأنه لا يمكنُ رفعُ المراتبِ، وعـادَ المذكورُ من المقامِ الشريفِ بما معـه من الأوامر/ الشريفة الامـامية شـاكراً لما تلقاه بـه الإمامُ من البرِّ والإكرامِ والإرشـادِ إلى ما به يعمُّ نفـعُ الأنام، ويكفيهم هولَ مـا ارتكبوه من الشرور والآثام. / ١٤٠

ولما عـاد السيـدُ بما زوَّده الإمـامُ بـه، وبـثَّ ذلك في أهل الحدودِ مـالـوا إلى المسالمةِ، وقـد بلغتْ أرواحهم إلى التراقي من أهوال ما لاقَـوْه من المشاقِّ، وتلف منهم العددُ الـذي لا يُحصرُ في فيافي تهامةَ، فعادوا سراعـاً إلى أوطانهم، واقتضى

(١) القراش: الحيوانات التي تعيش في المنزل مـا عدا الكلاب والقطط، والبعض يراها إنما تقصر على حيوانات الركوب، الحمار والبغل والحصان، والتعبير شائع في اليمن.

[١ - ١] في س، برفع.

الحالُ تخفيف المراتبِ وتقليل الجنودِ للاستغناء عنهم، وأذِنَ مولانا الإمامُ لحاكم العزّ بالارتفاع، وقد مكثَ هنالك هو والمجاهدون من أهل الحَيْمَةِ سنةً وعشرةَ أشهرٍ، وأمر الإمامُ أميرَ الجيشِ الشريفَ عبدَالله بن محمد الضُمين بالعزم إلى مَدْوَل، واستقرَّ هنالك، ولم يبقَ بعدَ ذلك حادثٌ يستحقُّ الذكرَ والتدوين، وخاب أملُ الشيطانِ اللعين، وأنت أيُّها الناظر المتأمّلُ، إذا تأملت ما سردْناه من حوادثِ تلك الجهة، وما كان فيها من[1] المعاركِ والخطوبِ والنكباتِ والكروبِ تجدُها نتيجة مساعي ذلك الشقيِّ عبدِالله بشرْ واغتنامه ما عليه حالُ أهلِ البلادِ من الجهلِ البسيط والمركّبِ، فحملهم على ركوب ذلك المَرْكَبِ الأصعبِ، وبدَّلهم من أمنِهم خوفاً. ومن هنائِهم جوراً وحيفاً. ولم يحملْه على هذا السعي الخبيثِ غيرُ ما ظنه من المدافعةِ بذلك عن أطماعِه التي كان يعتادُها أيامَ الأتراكِ، وطلبِ الاستمرار على ذلك في أيام دولةِ الإمام، فجلبَ المحنةَ بإيقاظِ الفتنة، وأتلف تلك البلادَ وأهلَها وأموالَهم، وجرى من عدلِ الله تعالى أن اجتاحت النوائبُ الشقيَّ المذكورَ وولدَهَ وأكثرَ أهلِهِ وأموالَه فيمن اجتاحت، فلم يصلْ إلى مأرب، وباء بسوء المنقلب. وإنما أوردتُ هذه النبذةَ جلباً للاعتبار بما يجري في هذه الدارِ، وأنَّ الأطماعَ من شأنِها جلبُ البوارِ، وإنزالُ صاحبِها إلى دَرَكِ الدمارِ، نسألُ اللهَ العافيةَ والوقايةَ من كلِّ داهية.

وفي هذه السنة كملت عمارةُ البئرِ العظيم [2]والبناءِ الخالد الفخيم والإحسان الذي فات الأوائل، وكانت أمنيةً كلِّ فاضل، وهو البئر المباركةُ العظيمةُ[2] التي شادَها مولانا الإمامُ - عليه السلام - للجامع الكبير في صنعاءَ المحروسةِ، [3]والذي بعث همَّةَ مولانا الإمام إلى هذا الخيرِ المشكورِ والعملِ

---

[1] في س، من الفساد والمعارك والخطوب. [٢ - ٢] سقطت من س.

[٣ - ٣] سقطت من س.

النافع المبرور، أنَّ الجامع الكبيرَ على ما هو عليـه من الشهرةِ وعظم القدر وقِدَمِ العهدِ، وعموم الانتفاع[١]، لم[1] يكنْ موجـوداً به ماءٌ حلوٌ، بل مـاؤه كثيرُ الملوحةِ وكثيراً مـا هَجَـرَ الـوضـوءَ في مطـاهيرِهِ المصلـون، ولا سيما في زمن الشتـاء حين تشتـدُّ/ يبوسـةُ الهواءِ ويبردُ الماءُ فاستعمال مثلِ مـاءِ الجامعِ الكبيرِ يجلبُ تشقُّقَ الأقدامِ، ولم يهتـدِ أحدٌ من الأئمـةِ والملوكِ والسـلاطين، على كثرة عـددهِم منذ كـانَ عمارةُ الجامعِ المذكورِ، إلى هـذا العهـد لإزالـة هذا النقصـانِ، [2]فقيّضَ اللهُ مولانـا الإمامَ لحفرِ البئرِ المذكـورةِ في طرفِ بستانِ الجامعِ، وكـان الشروعُ بحفرِ بئـرٍ صغيرةٍ حتى جرى اختبـارُ الماءِ في تلـك البئـر الصغيرة، ووجُـدَ حُلـواً لا ملوحةَ فيه، وحينئذٍ أمر مولانـا الإمامُ - عليه السلام - في توسيع البئرِ المذكورةِ إلى المقدارِ الذي تحقَّقَ الاحتيـاجُ إليه وإجراءُ طوايتها وجَعْلُها مـرتفعةً من فوقِ سطحِ الأرض ارتفـاعاً يمكنُ بـه وصـولُ الماءِ منهـا إلى الجامع، ثم صارَ إجـراءُ الحفـرِ فيما بين البئر ومطـاهير الجامعِ، وشُيّدَتِ السـاقيةُ من البئـر الجامع[1] في قساطير[2] تحت الأرض، وطُمَّتْ بعـدَ تشييدِهـا بالتراب. وعمَّـر مولانـا الإمامُ منهـلاً فوقَ حـارة الأبهرِ[3] ليستقيَ منـه أهلُ تلك الحاراتِ، فعمَّ بـه الانتفـاعُ لاحتيـاجِ أهلِ تلك الحارات إليـه، وعلى الإجمالِ، إنَّ هـذا الأثـرَ الكبيرَ عُـدَّ من

١٤١ /

---

(١) حول البئر والسبيل، انظر، مساجد صنعاء، ٧ .

(٢) القَساطير: جمع قسطار وهو الميزاب أو ما يشبهه، انظر، وصف صنعاء، ١٠١ .

(٣) حارة الأبهر: نسبـة إلى مسجد الأبهر التي عمرتـه فاطمة بنت الأمير الأسـد بن إبراهيم بن أبي الهيجـاء الكـردي سنـة ٧٧٦هـ، يعـرف قـديماً بمسجـد بنت الأمير، في الجهـة الجنوبيـة عدني الطريق النافـذة من السايلة إلى جـامع صنعاء، انظر مساجـد صنعاء، ٥-٧، معجم الحجري، ٢/ ٥٤١ .

---

[١] في س، فلم.

[٢ - جاءت هذه الفقـرةُ مبتورةً في س حيث جاء «فحفرها في طـرف بستان الجامع الكبير، ووجد الماء حلواً، وأوصله إلى الجامع بواسطة ساقية من البئر إلى الجامع في قساطير تحت الأرض.

حسناتِ مولانا الإمامِ التي تأخّر منهـا الزمانُ، وتقدَّمتْ في باب البرِّ والإحسان، ولم تعلَقْ بها خـواطـرُ الأقـدمين، و،لم يـوازِنْها مـا تعـاظَمَ من أعمال السـابقين، ورُفعتْ إلى مـولانـا الإمـامِ التهـاني بـإكمالها كما ارتفعتْ من الخاصّـة والعـامّـةِ الأدعيةُ المقبولةُ بمنِّ الله إلى الربِّ ذي الجلال، بإثـابةِ مولانا الإمام أفضلَ ثوابٍ كـوفِيَ بـه مَنْ قـامَ بجليل الأعمالِ، وقـد أرَّخَ إكمالَ عمارةِ البئـرِ والسبيلِ السيـدُ الأديبُ محمدُ بنُ عبدالرحمن شرفُ الدين[1] بقوله:

[المتقارب]

إمـــامُ الأنـــامِ سليلُ الكـــرامِ ... وهـادي البرايـا سبيل الـرشـاد

أشـــادَ لجامعِ صنعـــا الكبيرَ ... بئـراً فيـا نعـمَ مـا قَـدْ أشـاد

وأجـرى لـه العَـذبَ من مـائِهـا ... فأكمـلَ رونَقَـــه المُسْتَجـــاد

تـــرى الماءَ يجري إليـــه كما ... يـدبُّ الكـرى في حليف السُّهـاد

فقــد صــار جـامعُنـا روضــةً ... ومـــال إليـــه جميعُ العبـــاد

فلِلّـــهِ بئـــرٌ بنـــاهـا الإمـــامُ ... لجامِعِنــــا والسبيـلُ المُشـــاد

إذا قيـلَ أرِّخْهُما نـــــــاظماً ... فقـــدْ بلغَ النـــاسُ أقصى المراد

فتـــاريخُهـــا مثلُ تـــاريخِهِ ... وتـــاريخهُ ذا سبيلُ الـرشـــاد[2]

سنة ١٣٣٩

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد شرف الـدين ت ١٣٦٢ هـ، عالم، أديب، شاعر، التحق بـالعمل لـدى الإمام أحمد منـذ ولايتـه للعهـد، حين قاد الحمـلات لاستعـادة المنـاطق التي استولى عليهـا جيش عبـد العزيـز آل سعود في صَعْـدَة، ولد في صنعـاء ١٣٠٨ هــ، كتب البرق المتألق في رحلة سيف الإسـلام إلى المشرق، انظر، نـزهة النظـر، ٥٣٣، هجر العلم، ١٩١٩ .

/ ١٤٢ / [١ وينضمُّ إلى هذا الأثرِ الجليـلِ ما أمر به مولانـا الإمامُ من تحويلِ المنبر في الجامعِ المذكور١]، فإنّه كـان المنبرُ موضـوعاً على صفةٍ تمنـعُ من اتّصالِ الصفِّ الأولِ لحيلولةِ المنبرِ عن ذلك، ونحن معاشرَ الهدويةِ(١) من مذهبنا أنَّ الاتصالَ في الصفِّ الأولِ واجبٌ، وإلاّ بطلتْ صـلاةُ المنقطعين عنه، المُوازين لِمَنْ خلفَ الإمامِ من أهلِ الصفِّ الأولِ، فأمـر مولانا الإمامُ بإدارةِ استطـالةِ المنبرِ إلى جهةِ الشرقِ أو الغربِ، وأمكنَ بعدَ ذلك اتصالُ الصفِّ الأولِ كما يُرام.

و[٢هذا، وإنْ كانَ أمـراً يسيراً في بابِه، إلاّ أنّ فائدتَهُ كـانت عظيمةَ والاهتداءُ إليه مع مرور الأجيالِ، وهو على ما كان عليه من سابق الحال، دليلٌ على الفكرةِ السليمةِ.٢].

وفيهـا أمرَ مـولانـا الإمـامُ قبيلةَ هَمْدانَ بأنْ يجمعـوا مِنْ مقـاتلتهِم[٣] عدداً معلومـاً يكونون من جُملة النظـامِ أسوةً بإخوانهم من القبائل المجـاورةِ لصنعاءَ، فأظهروا الامتثـال، ثم سلكوا سبيلَ المماطلةِ والتسـويفِ، وشوَّقَهُمْ على ذلك من لا خيرَ فيه من ذوي الجهـلِ المُركّبِ، بأنْ صوّروا ذلك الطلبَ والقيـامَ والمبادرةَ إلى الانقياد لـه نوعـاً من الإذلال، وصادَفَ في ذلك الحين، وعـاملُ همدانَ السيدُ الجليلُ حسينُ بنُ علي الحيفي مُصَـابٌ بالمرض، وقد أبِـلَ منه، [٤ولكن اعتراهُ ما هـو شبيه بـالمالنخـوليـا فهو معتـزلٌ لـلأعمال٤]، فأكثروا مـن التجمع وإعلانِ الظواهـرِ بأنهم لا يـرضون بما ذُكر. وفي تلـك البرهةِ رأي مـولانا الإمـامُ – عليه السلامُ – تعيينَ السيدِ الجليل محمدِ بنِ قـاسم الظفري عاملاً على هَمْدانَ، وأمره بالخروجِ إلى الناحيـةِ ومباشرة أعمالِها، وأصحبَه بعصابةٍ من الجند لإجـراءِ ما أمَرَ

---

(١) الهادوية: اسم يطلق على اتبـاع المذهب الزيدي، نسبة إلى الهادي إلى الحق الـذي ركز دعائم المذهب في اليمن.

[١ – ١] في س ورد «وفيها أمر الإمام تحويل المنبر في الجامع».

[٢ – ٢] سقطت من س. [٣] في س، مقاتليهم. [٤ – ٤] سقطت من س.

به الإمامُ من جمع النظامِ وتحصيلِ الواجبات.

فخرجَ العاملُ الجديدُ مع أصحابِه وتوجّه إلى لؤلؤة[1]، وقد كان اجتماعُ عدد غير يسيرٍ من جُشم[2] وغيرهم كالهائمين لا يدرون ما مغبـةُ تلك الحركاتِ في سوق بيتِ أنعم[3]، ومنها توجّهوا إلى جهةِ لؤلـؤة، فرأى العاملُ أنّ المقامَ هنالك ربما أدّى إلى حدوثِ فتنةٍ وهي غير مُرادِه للطرفين، فنزلَ بِمنْ معه إلى ضُلاع[4]، ومِنْ هنالِك بادرَ بالعزم ليلاً بنفسِه والوصولِ إلى حضرةِ الإمام موضّحاً للحالِ ومستمداً لما يأمرهُ به الإمامُ من مقابلـةِ أولئك بالحربِ أو الاعتزال، فرجَّح مولانا الإمـامُ دخولَـه مع أصحـابِه إلى صنعـاءَ، دفعـاً للفتنةِ التي هي غيرُ مقصـودةٍ، وانتظـاراً لما يـؤولُ إليـه أمـرُ أولئك المجتمعين من الإصرارِ أو النـدم وسردِ الاعتذارِ.

وفي صباحِ ذلك اليوم، وصلَ جماعةٌ من عُقّالِ هَمْدَانَ واعتذروا ونسبوا ذلك إلى/ السفهاء منهم والجهّال، وطلبوا العفوَ من الإمامِ والإغماضَ عنهم، لأنّهم لم يقصدوا بذلك مقاتلةَ جنـدِ الإمامِ، فقبلَ الإمامُ عُذرَهم، وتفرّق ذلك الجمعُ من / ٤٣

(١) لؤلؤة هَمْدَان: قرية وواد من ناحية هَمْدَان صنعـاء على مقربة من رَيْعَان، وهو واحد من متنزهات صنعاء الشمالية الغـربية، انظر، اليمن الكبرى، ٧٥، قرة العيون، ٣٠٠ معجم المقحفي، ٥٥١ .

(٢) جُشَم: قبيلة من حمير، منـازلها في بعْدان ورَيْمان وعروان وحملان بلواء إب وكـذا سَعْوان وشعوب بضواحي صنعاء المشالية انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ١/ ٨٦ .

(٣) بيت أنعَمَ: قرية في أعلى وادي ضهـر من عُزْلة الربع من أعمال نـاحية هَمْدَان، على بُعد ١٤كم شمال غـرب صنعـاء، انظر، السيرة المنصـوريـة لابن دِعثم، ١/ ٢٠٨، ريـاض الرياحين، ٨٦، صفحات مجهولة، ٨٨ .

(٤) ضُلاع: بلـدة في الشمال الغربي من صنعـاء بمسافـة ٨كم، وهي من الوديـان الخصبة المشهورة بزراعة القات، انظر، معجم المقحفي، ٣٩٦ .

ذاتِ نفسِه، واهتمّ مولانا الإمامُ بالبحثِ عَمَّنْ تظاهر بمخالفةِ ما أمَرَ به الإمامُ، وحثَّ الناسَ على الاجتماع والتهاونِ بالطاعةِ، فأرسلَ مَنْ ضَبَطَهُم وأودَعَهم دارَ الاعتقال، ثم أنفذَ الإمـامُ - عليه السلام - أمرَه فيهم من أجـل النظام، وانقادوا لما أُلزِموا به. ولم يُهملِ الامامُ ما كان منهم من التجمُّع، فأمرَ عاملَ هَمْدَانَ السيّدَ حسين الحَيْفي، وقـد شفـاه اللهُ ممـا ألمَّ بـه من الأسقـام، بـالبحثِ عمّا يُـزْرَعُ من القَضَب على المطـرِ ويسمُّونه بـالقَضَب[1] العقر، فلمْ تخلُ عنـه قريـةٌ من قرى هَمْدَان، فأمرَ الإمـامُ عاملَه باستحصـالِ واجبَه منهم لما مضى من السنين، وعيَّن على كلِّ قريـةٍ مقداراً من المالِ في مقابل ذلك، ولم يُرِدِ الإمـامُ سوى تأديبِهم على ما كان منهم، وزجرِهم عن العَوْدِ إلى مثلِ ذلك، فأنفـذَ العاملُ ما أمرَ به الإمامُ، وصلحتْ من أولئك الأحوالِ، فلم يَبْدُرْ منهم ما يكونُ داعياً للانتقام.

وفيها أسندَ مولانا الإمـامُ عُمالةَ الطويلة[2] وبلادها إلى عهدةِ الشيخ راجح بن راجح بن سعد بن صـالح وأبوه هو الشيخُ ظهيرُ الدين، أحـدُ أعوانِ الإمام المشهورين بـالوفاءِ والإخـلاص في الطاعة، وكان مـولانا الإمامُ قـد أمر الشيخَ راجح بن راجح المذكـورَ قبلَ تـوظيفـه في العُمالـةِ بخَرْص الـواجبـاتِ في تلك الجهـةِ، فقامَ بـذلك قيـاماً رفَعَـهُ إلى صفِّ العّمالِ، والنظـر إليه من الإمـامُ بعين الكمالِ، وصادفَ في تـاريخ تعيينه أنَّ أحدَ أقاربِ النقيبِ محمـدِ بن علي ردمان

---

(١) القَضَب: هو البرسيم عند غير أهل اليمن، انظر، مذكرات المؤيد بالله، ١٨٠ .

(٢) الطَويلة: مدينـة بالغرب من كوْكبَان بمسافة ٢٥كـم، في سفح جبل القرانع، بها مركز قضـاء الطويلـة المطل على بـلاد المحويت من الغـرب، وإلى الجنـوب على بلاد حـراز والحَيْمَـة، انظـر، صفحات مجهـولـة، ٧٢، اليمن الكبرى، ٦٣، طبق الحلـوى، ٢٠١، معجم المقحفي، ٤٠٦، هجر العلم، ١٢٧٢ .

تعدّى عليه سفيـهٌ من بني النويرة[1]، أهل الخبتِ[2]، فقتلَه، فجيء بالقاتلِ إلى حضرةِ مولانا الإمـام مكبلاً وأودعه القصر السعيدَ، وأفهمَ الإمـامُ النقيبَ محمداً المذكـورَ وهو المطـالِبُ عن ورثةِ القتيلِ، بـاختيارِ أحـدِ الأمرين القصـاص أو الديّة، فكـانَ ميلُ النقيبِ إلى الطرف الثاني، ولكنّه لم يقنعْ بما يلـزمُ شرعاً بل عنّ له أن يشتطَّ في الطلب زاعماً أنَّ المقتـولَ نقيبٌ والقتلَ غيلةٌ، فهو يزيـدُ مضاعفةَ الدّيةِ عملاً بما يعتادُه أرْحَبَ من طريقةِ طاغوتهم الممقوت، فأقنعه الإمامُ عما لا يلـزَمُ شرعـاً، فخرجَ مـن حضرةِ الإمام مغاضبـاً، وكاتَبَ قبـائلَ حاشـد وبكيل مستنجداً الهممَ على أهلِ الخبـتِ وزاعماً بأنه سيغزوهم بمنْ سيجتمـعُ إليه، فلم يرَ الإمامُ بقاءَ مثل الطـويلةِ وبلادِها خاليةً من العامل/ فـانتخبَ مولانا الإمامُ / ١٤٤ راجحَ للعُمالةِ المذكـورةِ وأصدر أوامرَه الشريفة إلى الجهاتِ التي يـؤملُ أنْ يكونَ مرورُ أصحـابَ ردمانَ منهـا، ومن سيجيبُه مـن رُعاع القبـائلِ بمحافظـةِ أهلِها لحدودهم، ثم زال ذلك الإبـراقُ والإرعـادُ، ولم يجِبْـه أحـدٌ إلى الفسـادِ والعنـادِ، فانقـادَ لأمرِ الإمـامِ، ولم ينلْ من ذلك سـوى تسويـدِ الصحيفةِ، وتكديـرِ رونقِ أعمالِـه في الجهادِ، فقـدْ كـانَ محمدٌ المذكـورُ من أحسنِ أنصـارِ الإمامِ واستفـادَ بحسنِ منـاصرتِـهِ جاهـاً وقبـولاً لما يقـولُه لـدن قبـائلِـه أرحبَ وغيرِهم، ولم يعلم المسكينُ أنَّ سرَّ ذلك هو حسنُ طاعتِـه للإمام، ولّما جرَّب نفسه في ضـدِّها خابتْ ظنونُـه، ولم يجدْ لداعي شرِّهِ قبولاً ولا مجيبـاً، ولَم يصفُ له يومٌ بعـدَ ذلك، فإنه ابتُلي بالمرض، وما زالَ ملازماً له إلى أنْ فارقَ الحياةَ، وانتقلَ إلى ساحةِ الوفاة.

---

(١) بنـو النويـرة: من سكان قُـرْوى بخوْلان الطيـال بالجنـوب الشرقي من صنعاء، انظـر، معجم المقحفي، ٥١٣ .

(٢) الخبت: يقع في ناحيـة المحويت، يحده المحـويت غرباً ومِلْحَـان جنوباً ولاعـة والطور شمالاً، انظر، حياة الأمير، ٦١٨ .

وفيها عيَّن مولانا الإمامُ القاضيَ أحمدَ بنَ محمد الأنسي(١)، عاملَ قَعْطَبَة رئيساً لماليةِ تعز، وأناطَ به ترتيبَ أمورها وضبطِها على أحسن منوالٍ، وعيّن مكانَه في عمالةِ قَعْطَبَة أخاه القاضيَ عليَّ بنَ محمد الأنسي فتوجها إلى محلَّيْ أعمالها[١] وقاما بما عُهِد إليهما.

وفيها توفي الشيخُ محمدُ ناصر مقبل[٢]، عاملُ القماعرةِ، وأسند وصيّتَه إلى مولانا الإمامِ بثلث تركتِه، فوجَّه الأمامُ، عمالةَ القضاءِ المذكورِ إلى ابنِ أخيه الشيخ قايدِ بنِ صالح مقبل لمكانِ كفاءَتِه على القيامِ بالأعمال، فلمْ يؤثَرْ عنه تقصيرٌ أو إخلال.

وفيها وصلَ إلى مقامِ مولانا الإمامِ الشريفِ ناصرُ بنُ شكر مرةً ثانية بكتب من الشريفِ حسين بن علي بن محمد بن عون تتضمَّنُ عينَ ما في الكتب الأولى والخوضَ في ذلك الموضوع، فمكثَ برهةً في حضرةِ الإمامِ ثم قفلَ راجعاً إلى مُرْسِلِه مزوَّداً بالجواباتِ اللاّزمةِ والإفاداتِ الهامة.

وفيها ظهرَ من بعضِ السادةِ آل النعمي سكانِ الشرفِ الميلُ إلى ناجم تهامة[٣]، ونزل بعضُهم الى مِيْدِي(١)، ودارت بينه وبينَ أعوانِ الضال[٤] مراجعاتٌ، وعادَ من هنالك وقد وصلوه بالحظ البخسِ من الحُطامِ، ووعدوه

---

(١) أحمد بن محمد الأنسي: ت في شعبان ١٣٤٦هـ، كان رئيساً لمالية تعز ثم نائباً لأمير لواء تعز، حمل رسائل من الإمام يحيى لمصطفى كمال، وعين ناظراً للمعارف عند تشكيلها ١٣٤٦هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٣٤ .

(١) مِيْدِي: مدينة على ساحل البحر الأحمر غربي حَرَض بمسافة ٣٠كم، من قبائلها بنو مروان، تتبع اداريا محافظة حَجّة، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٩، معجم المقحفي، ٦٤٩ .

---

[١] في س، عمليهما. [٢] في س، مقبل باشا.

[٣] في س، تهامة ابن ادريس. [٤] في س، الادريسي.

بالمَدَدِ والمعونـةِ وعهدوا إليه بإفسادِ قبائلِ الشرفين، وأعطَوْه مـا طلبَه من المؤنةِ، وكـان مـولانـا الإمـامُ يثقُ بـالسـادةِ بني النعمي كلِّهم، ولهم هنـالك حظٌّ كبيرٌ وكلمتُهم مقبـولةٌ لدَن الصغير والكبيرِ خصـوصاً السيـد/ علي بن يحيى بن علي / ١٤٥ النعمي فهـو من ذوي العـرفانِ، وممن شـاركَ مـولانا الإمـامَ في أيـام الطلب في القراءةِ، وهـو يتولّى عن أمـرِ الإمامِ أكثرَ وظـائف الحكومـةِ في تلك الجهةِ، فلم يكنْ يَخطـرُ على بـالِ أحـدٍ أن يظْهـرَ مِنْ أحـدٍ منهم الميلُ عن الحقِّ إلى جـانب الضـــلال والسعـي فيما يُغضِبُ ذي الجلالِ ويجلبُ الخزيَ والـــوبـــالَ، فشرعَ النـازلون إلى تُهامـةَ بعدَ رجـوعِهم في إفسـادِ تلك الجهةِ، وتمَّ لهم مـا أرادوه من استمالتهم إلى ما يرومون، وشرعوا في إعمالِ الحيلـةِ للاستيلاءِ على حصنِ كُحلان الشرف، وفيـه عاملُ الإمـام السيـدُ محمـدُ بنُ محمد حَجّـاف[1]، فتيَّقظَ العاملُ المذكورُ، وشعـر بما قد حصلَ من التمالُؤِ على المكرِ والخديعـةِ، وأخذ من أعمالِهم الحذَر فلمْ يتمَّ لهمُ ما دبَّـروه من الاحتيال والمكـرِ والاغتيال، وظهـرَ الخفيُّ وبانَ وتميَّز مَنْ كانَ قدْ مالَ إلى المباينـةِ وأغواه الشيطانُ، وجرَتْ مصادماتٌ ووقعاتٌ، وأمدَّ مـولانا الأمامُ عاملَـه بجندٍ من ذوي الثَّباتِ وحسنِ النّيات، فتضـاءَل أمرُ الفتنـةِ، واختفى شبحُ المحنةِ، وفـرَّ مَنْ مالَ إلى الفسـاد، وأعلنَ المباينـةَ، وأقصرَ عن الاسترسـالِ في ميدانِ الغـوايةِ مَنْ لم يكـنْ قدْ أبـدى الجفاءَ، وجـاهرَ بعـدم الوفـاءِ، وتنصَّل عمّا قامَ بـه المجاهِـرون، وأظهروا البراءَة منهم ومـنْ أعمالِهم، وما دبَّروه مِنَ الخديعـةِ والإفسادِ ومحقِ الصّلاحِ المنشورِ لـواؤُه في البلادِ، ووصل إلى

---

(١) محمد بن محمد بن عبـدالله بن أحمد بن مطهر جحّاف ت صفر ١٣٥٩هـ، عالم، فقيه، رحل من ظفير حَجَّة سنة ١٣٠٠هـ، حين قصفه الـوالي العثماني محمد عزت بالمدفعية، تولى للإمام يحيى بلاد الحَيْمَة وبـلاد الشرفين، ثم عاد إلى الأهنوم، مولده في ظفير حَجَّة سنة ١٢٩٦هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٧٦، هجر العلم، ١٣٣٢ .

حضرةِ مولانا الإمامِ السيدُ عليُّ بنُ يحيى النعمي متنصِّلاً مما نُسِب إليه من الرضا بأعمالِ سفهاءِ ذويه، وشاكياً من أعمالِ العاملِ، وأنّه هو المسبِّبُ لما ظهرَ من الاختلالِ، وبعد ذلك لم تمضِ مدةٌ وجيزةٌ إلاّ وقدْ عادت الأمورُ إلى مجاريها كما كانت من قبلُ وزالَ ما حدث من الاختلالِ وَجَلَّ.

وفي شهر شوالَ من سنة ثمانٍ وثلاثين كانتْ وفاةُ القاضي أحمدَ بن علي السياغيِ[1]، ناظرِ السِنَّارةِ بمحروسِ حصن السِنَّارة، وكان حازماً هماماً وفاضلاً حساماً، وعُقَيْبَ وفاتِه وجَّه مولانا الإمامُ ما كان بنظرهِ مِنَ الأعمالِ إلى السيد الهمامِ أحمدَ بنِ عبدالكريم حجر[2]، فقام بالأعمال خيرَ قيامٍ وحسُنتْ نيابتُه كما يرام.

وفيها أيضاً في التاسع والعشرين مِنْ شهرِ جمادى الأولى كانت وفاةُ القاضي إسحقَ بنِ عبدِالله المجاهد[3] بمحروس حصنِ كُحْلان تاج الدين، وقبرُه قريبٌ من

---

(١) أحمد بن علي بن عبد الكريم بن أحدم السيَّاغي ت شوال ١٣٣٨هـ، عالم في الفقه، حافظ، له معرفة بالطب، هاجر إلى صَعْدَة سنة ١٣٠٥هـ، والتحق بالإمام الهادي شرف الدين تولى أعمالاً كثيرة منها ناظرة الشام بالنيابة، انظر، هجر العلم، ١٥٣١ .

(٢) أحمد بن عبد الكريم بن حسن حجر ت ١٣٦٢هـ، تولى ووالده قبض الزكوات في بلاد أرحب، ثم وكيلاً لبيت المال في صعدة ثم نظارة صَعْدَة سنة ١٣٣٨، كان وكيل بيت المال والصرف للجيش الذي أخضع يريم، ولد بصنعاء ١٢٨٨هـ، انظر، نزهة النظر، ٩٢، حياة الأمير، ٥٣٠ .

(٣) اسحق بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله المجاهد ت ٢٩ جمادى الأولى ١٣٣٨هـ، عالم محقق في الفقه وأصوله، تولى حكومة سنحان ثم انتقل سنة ١٣٣٦هـ بتكليف من الإمام يحيى إلى كُحْلاَن عَفَّار للتدريس فيه وبقي حتى توفي، انظر، نزهة النظر، ١٧٣، ائمة اليمن، ٢/ ٤٦، هجر العلم ١١٧٦، حياة الأمير، ٦٠، ٥٣٧ .

جامعِ كُحْـلانَ في الجهةِ القبليـةِ، وكان مولانـا الإمامُ أمـره بالعـزم إلى/ هنالك / ١٤٦
للقيامِ بتدريس العلم الشريفِ، فـامتثلَ أمرَ مولانا الإمـامِ، ومكثَ هنالك مدةَ
قائماً بما أُمِرَ بهِ، ثم اعترتْه الأسقامُ إلى أنْ وافاه الحِمامُ، [١وهو من بيتٍ اشتُهر بهم
العلمُ واشتهـروا به، ومكَّنـوا من غـوامِضِـه جميعَ طلابِـه، ولم يـزلْ هذا القـاضي
ملازمـاً للتدريسِ من عهد شبـابِه إلى أنْ شاخَ، وطبعُـه يميلُ إلى الانقباضِ عن
مخالطةِ الناسِ في جميع أحيـانِه، وإذا حضر مجلساً لزمَ السكـوتَ إلاّ جواباً، ومع
ذلك١] فقد وليَ حكـومةَ سَنْحـانَ في زمنِ الحكـومةِ العثمانيـة مدةً طـويلةً. ولما
جرى الائتلافُ كان مِمَّن عُيِّن شاهداً لدنَ الحاكم الأولِ في صنعاءَ، واستمرَّ على
ذلك إلى أن أُلغي توظيفُ الشهودِ لدن الحكـامِ، وعُين حيث ذُكرنا، إلى أنْ تُوفيِّ،
رحمه اللهُ، [٢وإنما أدرجتُ ذكرَ وفاتِه ووفاةِ عـاملِ السِنَّارةِ ههنا للسَّهْو عن إدراجِ
ذلك في حوادثِ السنة الماضيةِ ووفاتُهما حريّةٌ بالتقييدِ، فأثبتُّ ذلك لمن يريد٢].

في أوائل سنة تسع وثلاثين، والإمام - عليه السلام - مقيمٌ في الرَّوْضَةِ كان
من مولانـا الإمامِ تكليفُ أهل الغَـوْلة(١) وبيت الذيب(٢) بما كُلِّفَ به إخوانهم
من بني الحارث من النظـامِ والانقيادِ والامتثال بكلِّ مـا يأمُرهم بـه والمذكورون،
لكونِ محلّيهم بالقربِ من مساكنِ قبيلةِ أرحب، قدْ كانوا حالفوا أرحبَ في زمنِ
الأتراكِ للتخلُّص من مطالبِ الأتـراك ولأُمورٍ اقتضت ذلك، فأرادوا الاستمرار
على تلك الحالِ مع وجود الفـرقِ بين الزّمانين والحالَيْن، وَجَـدَّ عليهم الإمامُ فيما
طلبَ منهم، والمذكـورون قـد سَـوَّل لهم بعضُ عُقّـال أرحبَ تحسينَ الامتنـاعِ،
فأنفذَ عليهـم الإمامُ عصابـةً من حاشـد، وأوصلوا عُقّـالَهم وأعيانهم إلى حضرةِ

---

(١) الغولـة، قريـة في أرحب، وأخرى في بني الحارث، انظـر اليمن الكبرى، ١٨٦، معجم المقحفي، ٤٨٦ .

(٢) بنو الذِيب: قرية من بلاد بني مطر (البُستان)، انظر معجم المقحفي، ٢٥٤ .

[١ - ١] سقطت من س.   [٢ - ٢] سقطت من س.

الإمامِ وأودعَ بعضهُم الحبسَ.

وفي أثنـاء ذلك وصلَ جماعـةٌ من عُقّـالِ أرْحَبَ يـراجعـون من أجلِهم، فأقنعَهُم الإمـامُ أنْ لا محيصَ لأولئك عن الامتثـالِ لما أُمـروا بـه، وانقضتْ تلك الحادثةُ، ولم يجرِ ما يكـدِّرُ صفوَ السكونِ، وبعدَ أنْ ظهـرَ التحزُّبُ لهم من بعضِ السُّفهاء، وأرادوا بـذلك إشعالَ نارِ الفتنـةِ، فصدَمَهُم الجِدُّ من الإمـام، وألزمهم السكوتَ والإقـلاعَ عن تلك الأحـلامِ، وفيها في شهـرِ شوال، رَفَع إلى مـولانا - عليه السلامُ -.

١٤٧ / / السيدُ النبيـهُ محمدُ بنُ عبدالـرحمن بنِ أحمد شرف الدين تهنئةً بعيـدِ الفطرِ السعيد [1] حريةٌ بالإثباتِ، ومطلعها: [الطويل]

هلالٌ لشهـرِ العيدِ بـاليُمْنِ قَـدْ بدا	حكى زَوْرقـاً في لُجَّةِ البحرِ عَسْجَـدا
أم العيــدُ وافــانـا بكلِّ مسرّةٍ	على رغمِ أنفِ الحاسدين مع العدى
أم السَّحْـرُ لا - استغفرُ اللهَ - إنـه	حرامٌ وسحرُ النظم سحرُ من اهتدى
أم الـروضُ إنَّ الروضَ تـزهو زهـورُه	زمـانـاً وزهـرُ النّظْمِ يـزهـو مـؤبَّـدا
ألا إنّـــه نظمٌ تخيَّرْتُـــه لِمَنْ	دعـانـا إلى البـاري تعـالى وأرشـدا
يُهنّيـه بـالعيـدِ السعيـد وبـالعُلى	وبـالعـزِّ والمجـدِ الأثيلِ وبـالنّـدى
ولا غـرو أنْ ازرى نظـامـي بـالبهـا	وبـــالبحتري والحاجـــريّ وأحمدا
فما زانَـه حتى على الشمسِ قدْ عـلا	سوى مـدحِ من ندعوهُ مـوليً وسيدا
إمــامُ الهدى يحيى سليلُ محمــدٍ	ومَنْ بخصــالِ الفخـرِ طُـراً تفـرَّدا
لـــه همةٌ تمحــو دُجى كـلِّ مشكلٍ	لـه خُلُقٌ يجلو عـن المهجةِ الصـدى
ولا عيبَ فيـــه غيرَ أنَّ عــدوَّهُ	إذا جـاءَه أسْقـاه كأسـاً من الـردى
أيـا روضـةَ الإيمانِ يـا نـزهـةَ التُّقى	ويـا منبعَ الآدابِ والفضلِ والهدى

....

[١ - سقطت من س، من عبارة «حرية بالاثبات ومطلعها حتى ونفى عنها الغلواء».

تقبَّلْ من المملوكِ جوهرَ مدحِهِ تخيَّرْتُه واسْمَحْ فنفسي لكَ الفدى
وعُذراً فإنَّ القلبَ في غيرِ بُرجِهِ ومِنْ أجلِ ذا نجمُ البلاغةِ ما بدا
أطالَ إلهُ العالمين بقاكَ يا حيوةَ الهُدى والمكرماتِ وأيّدا
ولا زلتَ بدراً في سماءِ هدايةٍ لشملِ ظلامِ المعتدين مُبدِّدا
ولا زالَ شِعري في امتداحِك جيداً ونجمُ ذكائي هكذا متوقِّدا

ولهذه القصيدة بقيةٌ تركتُ إثباتَها لعدم إشتمالها على ما يبعث إلى ذلك من محاسن البيانِ وحسن الافتتان، وقد سردَ الناظمُ عذرَه في دعواه، وعلوِّ شعرِه على من ذكَرَه من الفحولِ، بأنَّ ذلك لعلوِّ/ قدرِ ممدوحِه - عليه السلام - وهو عذرٌ مقبولٌ أزالَ غرابةَ الدعوى، ونفى عنها الغلواء. / ١٤٨

وفيها كان استفتاحُ القسم الأعظم من ناحيةِ المقاطِرة، وهذه الناحيةُ معدودةٌ من قضاءِ الحُجَرِيَّةِ، إلاّ أنها ما زالت بكراً إلى قبل هذا التاريخ، واشتُهِرَتْ قلعتُها بالمناعةِ والحصانةِ وعدمِ النظيرِ في الارتفاعِ، وانتفاءِ المضادِد، وانضمَّ إلي ذلك ما قيل أنَّ المشيرَ مصطفى عاصم باشا، ووقتُه هو الوقتُ الباسم، والفائقُ على سواه من أزمنة ولاةِ الأتراك، عادَ عن هذه الناحيةِ خائباً، ولم يظفرْ منها بطائلٍ، قيل عن جيشِه إنه هُزِمَ، فطارَ صيتُ تلك الجهةِ في الآفاقِ، واشتُهِرَ بأنها مما لا تُؤْخَذُ عُنوةً، ولا يوجَدُ مثلُ رجالِها في القتالِ والنزالِ، ولا يبعُدُ أنْ يكونَ من المتولّين من بني علي سعد[1] في أيام الحكومةِ العثمانيةِ إلى اتخاذِ مخالفةِ أهلِ المقاطرةِ وتمرّدِهم وسيلةً للإبقاء عليهم، وإحالةِ أمورِ قضاءِ الحُجَرِيَّة إليهم وبياناً لمزيةِ إطاعتهم، ومنذ دخول أعمالِ الحُجَرِيَّة تحتَ ولايةِ مولانا الإمامِ مكثوا على ديدنهم المعلومِ، وقد أفرطوا في عُتوِّهم في آخر أيام دولةِ

(١) بني علي سعد: أسرة حكمت الحُجَرِيَّة، وهم من بني الجماعي، يسمون أهل الأصيلع، انظر، حياة الأمير، ١٤١ .

الأتراكِ حتى أنَّ منهم من قتلَ الشيخَ أحمد نعمان[1] قائمقام الحُجَرِيَّة، وهو في خيمتِه وحولَه أصحابُه وعساكرُ الأتـراكِ الموصوفون بالحزم وعدم الإخلال بنظامِ الحراسـةِ والتعبئـةِ وفـرَّ مِنْ بينهِم، ومـا زالـوا على إصرارِهم واستكبـارهِم، والمجـاورون لَهم من أهلِ الطاعـةِ يشكـون منهم دوامَ العدوانِ، ومع ذلك فقـدْ تهاوَنوا بأمـورِ الدين حتى لم يبقَ لديهم منـةٌ ومِنْ تعاليمِهِ ما يُعَـدُّون به من أهل الإسـلام، إلى حدٍّ إهمالِهم لعقـودِ الأنكحـةِ وتركِ الصـلاةِ وخـرابِ المساجـدِ. وسـاعَـدهُم على مـا هُمْ عليـه والازدياد منـه جعلُ قبلـةِ أعيـاشهم وانتفـاعهم دخـولَهم بكثرةٍ إلى بلـدانِ الأجانبِ وبقـاءهم خُدَّامـاً لديهم، فمن أعـذرَ منهـم بـادرَ مسرعـاً إلى النصـارى، وشبَّ وشابَ لـديهم، فـرفعَ جليـةَ الحالِ وحقيقـةَ الواقعِ من أمـرِهم، أميرُ الجيشِ سيدي جمالُ الـدين، عليُّ بنُ عبدِالله الـوزير إلى مسامعِ مـولانا الإمـامِ، وأسعد[1] الإذنَ له بـإصلاحِ تلك الجهـةِ وإدخالِهم إلى حظيرةِ الطاعـةِ وتجديدِ ما انـدرسَ من رسومِ الدينِ وتعـاليمهِ هنالك/ فألـزمه مـولانا الأمـامُ - عليـه السلامُ - بـأخذِ الأهبـةِ والاستعـدادِ، ووالى إليه إرسـالَ الأجنادِ، وأمره بمـراسلةِ أهل الناحيةِ المذكـورةِ، وهي عُزل مخاليفَ جمّةٍ منبثّةٍ في تلك الأصقـاعِ، وفي جبل المقاطِـرةِ المذكورةِ ودعائِهـم إلى اللهِ تعالى والانضمامِ إلى الموحّـدين وأحـزابِ التقوى واليقين، فلمْ تعملْ فيهـم وسائلُ الصّـلاحِ ولاَ أثمرتْ بالمُرادِ من النّجـاحِ، وحينئذٍ أصدرَ أميرُ الجيشِ أمرَه إلى عـاملِ الحُجَرِيَّة بالـوصول إلى تعـز، فوصلَ إليـه مبادرةً، وطـالـت بينـه وبينَ الأميرِ المراجعةُ فيها

149 /

---

(1) أحمد نعمان ت١٣٣٣هـ، كـان قائم مقام قضاء الحُجَـرِّية، زار استانبـول مع عدد من زعماء لواء تعز قتل في قرية الزُّمْلية في عُـزْلة الزعازع، وهو يجهز جنوداً لارسالهم إلى لحج للمشاركـة في حملة سعيـد باشا، القـائد العثماني، على الانجليز في عـدن خلال الحرب الكونية الأولى، انظر، هجر العلم، ٦٩٠ .

---

[1] في ص، واستمد.

يكونُ البناءُ عليه من عزمِ الأميرِ بنفسهِ وتولّيه لقيادةِ جيوشِه أو استنابةُ مَنْ يقومُ مقامَه في تولي زعامةِ الإصلاحِ ومباشرةِ الكفاح، فاستقرَّ الرأيُ الأخيرُ على بقاءِ الأميرِ بتعز، وتوجيهِ قيادةِ الجيوش [١إلى عاملِ الحُجَرِيَّة الشيخ عبدِالوهاب نعمان مع معاضدةِ أخيه الشيخ عبدِالواسع بن نعمان[١]، واستمدَّ الأميرُ من مولانا الإمامِ توجيهَ عمالةِ ناحيةِ المقاطِرة إلى عهدةِ الشيخ عبدالواسع نعمان١]، فصدرَ الأمرُ الشريفُ بذلكَ، وعندها جمعَ الأميرُ الأجنادَ، وانتخبَ حماة الأبطالِ وسراةَ الجهادِ، واستكملَ ما يلزُم لهم من المُهِّماتِ وذخائرِ الحربِ والأقواتِ وحَمَلها على الجمالِ، وعرضَ الأميرُ ذلك الجيشَ مع قائدِه، وزوَّد الجميعَ ما يلزمُ من النصائحِ وألزمَ الكلَّ الإعراضَ عن القبائحِ وصيانةَ الرعيةَ والاستعانةَ باللهِ تعالى على العدوِّ، وعدمَ الاغترارِ بالكثرةِ وكمالِ العدةِ، فتوجهّ الجيشُ إلى يَفْرُس[٢] وباتَ بها.

وفي اليوم الثاني كان مبيتُه بمركز قضاءِ الحُجَرِيَّةِ، ومنه فرقعَ استصوابُ مناجزةِ أهلِ عزلة الاكاحلة[٣]، إذ هي أقربُ العُزَلِ من سائرِ البلادِ، وسكانُها أخبثُ مِنْ غيرِهم جراءةً وعدواناً لقُربِهم من بلادِ أهلِ الطاعةِ، فقسَّمَ العاملُ الجيشَ إلى طوائفَ للإحداقِ بالعُزْلةِ المذكورةِ من جميعِ جهاتِها، فتقدَّم عليهم من الجهةِ الشرقيةِ الشيخُ محمدُ بنُ أحمد نعمان[٤] مع أهلِ أرْحَبَ وغيرِهم، وهم

---

(١) عبد الواسع أحمد نعمان ت ١٣٣٩هـ، عُين عاملاً على المقاطرة قبل إخضاعها، إلا أنه مات أثناء المعارك، انظر، حياة الأمير، ٥٦٩ .

(٢) يَفْرُس: مدينة كبيرة في الحُجَرِيَّة بالغرب الجنوبي من تعز بمسافة ٣٠كم، انظر، اليمن الكبرى، ٣٤، معجم المقحفي، ٧١٥ .

(٣) الأكاحلة: من عُزل المقاطِرة، في الجنوب الشرقي من قلعتها، انظر، حياة الأمير، ٦١٠ .

(٤) محمد بن أحمد نعمان : ت ٢٥ ربيع الآخر ١٣٨٧هـ، إداري قدير، كان مساعداً للوالي العثماني محمود نديم، وتولى قيادة الحملات على لحج، وكان عاملاً على القَبَّيْطَة ومَقْبَنَة=

[١ - ١] سقطت من س.

جيشٌ كثيرٌ معهم أحدُ المدافعِ، ومن الجهةِ العدنيةِ الشيخُ عبدُالواسع نعمان، ومعه ثلةُ النظامِ وغيرُهم من ذوي الإقدامِ، ومن الجهة القبليةِ الشيخُ محمدُ بنُ هاشم المذحجي، وقائدُ الجيشِ وباقي المجاهدين ومعهم مدفعان من جهةٍ، وجرتْ بين الفريقين حروبٌ عظيمةٌ في كلِّ جهةٍ من الجهاتِ، واستمرَّ الحربُ طولَ النهارِ/ إلى أنْ غَرُبَتِ الشمسُ، وقُتِلَ من الباغين جماعةٌ وأُسِر منهم عدةٌ من أهلِ الشجاعةِ، واستولى المجاهدون على كثيرٍ من محلاتِ تلك العزلةِ، ولم يبقَ غيرُ الحصونِ المنيعةِ فيها، وقد أحدقَ عليها المجاهدون، واستُشْهِدَ في ذلك اليوم عبدُالواسع نعمان، وخُتِمَ له بالحسنى، وهي خيرُ الحسانِ، وبات كلُّ فريقٍ من المجاهدين على تعبئتهم في المحلاتِ التي قد استولوا عليها. / ١٥٠

وفي اليوم الثاني، تقدَّم المجاهدون، كلُّ طائفةٍ على جهتِها، فرزَقَهم اللهُ الظفرَ بالأعداءِ وتمزيقَ شملِهم في ذلك الفضاءِ، واستولوا على جميعِ الحصونِ، وغنموا من الأعداءِ ما لا يُحصى، واحتزّوا رؤوس كثيرٍ من قتلاهم، وحملها الأسارى وسيقوا إلى مركزِ اللواءِ ومقام أميرِ الجيشِ، وكانت شهداءُ أنصارِ الحقِّ في هذه الواقعةِ قليلةً بالنسبة إلى مَنْ قُتِلَ من البغاةِ وأهلِ العنادِ، وبعد الرفع إلى الأميرِ بصفة ما جرى وبلوغِ ذلك إلى مسامعِ الإمامِ، صدرَ الأمرُ الشريفُ من مولانا الإمامِ بهدمِ بيوتِ شاهر[1] وحصونِهم فأُلْحِقَتْ بالعَدَم وسُوِّيَتْ بالهدم إلى القرار.

= والمخا، نجح وعبد الجليل بن أحمد باشا في صد القوات الإيطالية عن المخا، ولد سنة ١٢٩٩هـ، انظر، هجر العلم، ٦٩٣، حياة الأمير، ٥٨٧ .

(١) هو شاهر بن قائد، قاتل الشيخ عبد الواسع بن نعمان، وحصون شاهر تقع في قرى دكة والأكام والمسيجد وهي حصون شاهر بن سمان بن عبدالله المكابري، انظر، حياة الأمير، ٦١٨، ١٤٣ .

وصدرَ الأمـرُ الشريفُ بتوجيهِ عمالةِ المقـاطِرةِ إلى الشيخِ عبدالعـزيز[1] بن عبدالواسع نعمان مكـانَ أبيه الشهيد، واستمدَّ عاملُ الحُجَـرِيَّةِ من الأميرِ زيادةَ المَدَدِ، فأمدَّه الأميرُ بما رامَ من الأقوام.

وفي أواخرِ شهرِ ذي القعدة الحـرام من هذه السنـة، باشَر عامـلُ الحُجَرِيَّـةِ تقديمَ المراتبِ وتجهيـزَ طوائفِ الجنـودِ مِنْ طَرَفِه إلى جهـةِ الأَحْكُوم[2] وحدودِ الأشبوط[3]، وقصـدَ بـذلك أنْ تـزحفَ الجنـودُ على العُزَلِ الشرقيـةِ مـــن قلعـةِ المقاطرةِ وهي، الزعيمةُ[4] والمدجرةُ والاشبوطُ والزعازعُ[5].

فلما وصلَ الجندُ الأمـاميُّ إلى حدودِ الأشبوطَ، طلب أهلُها الأمـانَ، وفتحوا بلادَهم بدونِ حربٍ للمجاهدين، وسلِمـوا بذلك من المعرَّة والسقوطِ في حُفَرِ الهلاكِ والمضرّة، وزحفتْ طائفةٌ أخرى من المجاهدين على عُزلةِ المُسَيْجد[6] وما إليها وهي في الجهـةِ القِبْليةِ فطلبوا الأمانَ حين عاينـوا صولةَ الجندِ الأمـاميّ قد غَشِيَتْهم، وفرَّ عنهم الشيطان.

وفي أوائلِ شهرِ ذي الحجةِ الحرامِ تقدَّم الجندُ الإماميُّ من الأشبوطِ، وجرى

---

(١) عبد العـزيز بن عبـد الواسع نعمان: عُين قائداً لحملـة القَبَّيْطَة ثم عـامل المقاطـرة بعد موت والده، انظر، حياة الأمير، ٥٥٩ .

(٢) الأَحْكُوم: عُـزْلة في نـاحية الشُّماتين من قضـاء الحُجَرِيـة، في الجانب الشرقي من جبل المقاطِرة، انظر، حياة الأمير، ٦٠٩، اليمن الكبرى، ٥٠ .

(٣) الأشبوط: عُـزْلة من ناحية المقـاطِرة وأعمال الحُجَرِيَّـة، تقع في الجانب الشرقي من قلعة المقاطِرة، انظر، حياة الأمير، ٦١٠، معجم الحجري، ١/ ٨٠ .

(٤) الزعيمة: عُزلة تقع شرق جبل المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦٢١ .

(٥) الزعازع: عُزلة شرق جبل المقاطهرة، انظر، حياة الأمير، ٦٢١ .

(٦) المُسَيْجد: عُزلة من المقاطِرة، تقع قرب قلعة المقاطِرة المشهورة، انظر، حياة الأمير، ٦٣٠ .

بينهم وبينَ الزعازعِ والزعيمةِ حربٌ عظيمٌ أسفرَ عن نصرِالله للمجاهدين، وحلولِ مكرِ اللهِ على الباغين، وانهزامِهم هزيمةً فاضحةً بقلوبٍ مسوَّدةٍ ووجوهٍ كالحةٍ بعدَ قتلِ كثيرٍ من غُواتِهم والإثخانِ في طغاتِهم، وتقدَّم المجاهدون الذين في عزلة المُسَيْجد على باقي،/ العزلِ الشرقيةِ فاستولوا عليها بعدَ حربٍ شديدٍ، حتى اتفقوا بالذين من الأشبوطِ، واستولوا على الزعازعِ والزعيمةِ بعنايةِ اللهِ العظيمةِ، وأما الجهةُ الغربيةُ من الجبلِ المذكورِ فلما شاهد سكانُها ما أصابَ سكانَ الجهةِ الشرقيةِ من النكالِ، وما كانت عليه الحالُ فيمن طلبَ منهم الأمانَ وتركَ القتالِ، وصلَ جماعةٌ من أهل السودِ، وهي من الطرفِ الغربيّ، وطلبوا الأمانَ، وبذلوا فتحَ بلادِهم للمجاهدين، فأرسلَ قائدُ الجيشِ إلى ذلك الطرفِ ثلةً من المجاهدين، فرتّبوه إلى حدود المكابرةِ، وسيقَ أحدُ المدافع إلى شرفِ الجاهلي[1] من شَرْجَب، فكان الرميُ به على عُزْلةِ الدهمشةِ[2]، والهويشة[3]، فرأوا ما لم يخطرْ لهم على بالٍ من أليمِ النكالِ، ولم يجدوا منجاةً مما داهمهم من الوبالِ غيرَ الالتجاءِ إلى الطاعةِ، والدخولِ في سلكِ أهلِها وهو أربحُ بضاعةٍ، وهنالك أمرَ العاملُ بالتوقفِ عن القدوم، وأعادَ نظرَه إلى أحوالِ الأجنادِ، وتقويةِ مراتبها الكائنةِ في الأغوارِ والأنجادِ، وأخذِ الأهبةِ والاستعدادِ لجلبِ ما لا بدَّ منه من المؤن اللازمة للجهاد.

/ ١٥١

وفي سادس[1] شهرِ ذي الحجة الحرام، جهَّزَ الأميرُ مَدداً لمن في تلك الجهةِ

---

(١) شرف الجاهلي. حصن في شَرْجَب ويطل على قلعة المقاطِرة الشرقية، انظر، الاكليل، ١٠/ ٨٦، نشر العرف، ١/ ٥٨، معجم المقحفي، ٣٥٢، ٣٤٩ .

(٢) الدهمشة: عُزلة من المقاطِرة، وتقع غربي القلعة، انظر، حياة الأمير، ٦٢٠، معجم المقحفي، ٢٤٢ .

(٣) الهويشة: عُزْلة من المقاطرة، تقع في الناحية الغربية من جبل الفلق، انظر، حياة الأمير، ٦٣٢ .

---

[١] في س، سادس عشر.

من الجنـودِ، السيدَ المقـدامَ حسنَ بنَ قاسم بن عبـدالله عثمان الوزيـر[1]، ومعه جيشٌ واسعٌ من أهلِ العُـدين وأهلِ الجبلِ والنقيبَ عبـدَالله بنَ سعيـد الجبري، ومعـه أصحابُـه بنو جبر، وأرسلَ معهم الأميرُ أحـدَ المدافع، وما يلـزمُ من المؤنِ والمهماتِ، وأمـرهم بـأن تكـون طـريقُهم على جهـةِ خَـدِيـر[2] ثم القَبَّيْطَـة[3] فالمفـاليس[4] ليكـونوا زيـادةً لمن في المراتبِ الشرقيةِ. وجَهَّـز أيضاً كتيبـةً تحت قيـادةِ السيـدِ عليٍّ بن عبـدالله الشُهـاري، وبمعيْتـهِ جماعـةٌ من رؤسـاءِ العُـدين ومشـايخهـا، وجهَّـز على أثـرِ هـؤلاء عـاملَ جبل حَبَشي في جيشٍ كبيرٍ، واجتمع المددُ إلى مركـزِ قضاء الحُجَـرِيَّة، وكَمُلَ بـه نصابُ التقدم على الفـرقة الغـويّة، فكـان الإجماعُ على قصـدِ استكمالِ الجهـةِ الغـربيـة، وفيهـا عُـزلـةُ الـزَّرَّيْقَـة[5]

---

(١) حسن بن قاسم بن محمـد عبدالله عثمان الوزيـر ت، شارك في فتح المقاطرة، تـولى عدة عمالات في لواء تعز، ثم عاملاً على جبل راس ومات بها، انظر، حياة الأمير، ٥٤٥ .

(٢) خَـدِير: تقع بـالجنـوب الغربي من مـاويـة بمسافـة ٤٢كم يطل عليهـا جبل صبر من الغرب، مـركزهـا، الدمنـة، أشهر أسـواقها الـراهدة، انظر، حيـاة الأمير، ٦١٩، اليمن الكبرى، ٥٠، معجم المقحفي، ٢١٣، (تعـرف اليوم بخَـدِير السلمي نسبـة إلى حيدرة بن اسماعيل السلمي عاش في القرن ١١هـ.

(٣) القَبَّيْطَة: من ناحية قضاء الحُجَرِيَّة، مـركزها حيفان، وهي بالشرق من التربة، وعلى بعد ٣٠كـم منهـا، من أسـواقها المفـاليس على بعـد ٢٠كم من حيفـان، انظر حيـاة الأمير، ٦٢٨، اليمن الكبرى، ٣٠، معجم المقحفي، ٥٠٦ .

(٤) المفاليس: سـوق وناحيـة القَبَّيْطَة، يقع على بعد ٢٠كم، جنـوب حيفان من الحُجَـرِيَّة انظر، حياة الأمير، ٦٣١، معجم الحجري، ٦١٦، اليمن الكبرى، ٥٠ .

(٥) الزَّرَّيْقَـة: عُزلـة كبيرة تقع في أقصى غـرب المقاطِـرة على حدود الـوازعية، انظـر، حياة الأمير، ٦٢١ (بالجنوب من مدينة التُربة الواقعـة إلى الجنوب من مدينة تعز)، انظر أيضاً معجم المقحَفي، ٢٩٠ .

والنَجيشة[1] والصواحة[2] والمكابرة[3] وواديهم.

فَقُسِّم الجيشُ بعد تقويةِ المراتبِ إلى طائفتين، طائفةٍ، يكونُ قصدُها الزَّرَّيْقة وما إليها، وطائفةٍ يكونُ نزولُها وادي المكابرة لتقويةِ تلك الجهة.

ثم يكون قصدُها النَجيشةَ، وأمرّ على الطائفتين أميرين، وأرسلَ أيضاً ثُلّةً[1] كبيرةً لقصدِ الصواحة/ والنَجيشة، فتوجهت الطوائف إلى الجهاتِ تزفُّها العنايات، فأما المكلّفون بالقدومِ على الزَّرَّيْقَةِ وما والاها، فقصدوا أولئك الأقوامَ ونازلوهم في عقرِ دارِهم، وجرتْ بينهم حروبٌ شديدةٌ وخطوبٌ عنيدةٌ، كانت فيها الدائرةُ على الأعداءِ بعدَ قتلى منهم عديدة، وجرحى، وانهزموا وانقشعوا إلى جبلِ مُنيف[4]، وهو مشهورٌ في تلك الجهةِ بالحصانةِ والمناعةِ، فتبعهم المجاهدون وأحدقوا بالحصنِ المذكورِ إحداقَ الهالةِ بالقمرِ، ووثبوا عليه من كلِّ جهةٍ، فلم يَسَع البغاةَ غيرُ الفرارِ والخروج منه قبل البوار. واستولى المجاهدون بذلك على جميعِ بلادِ الزَّرَّيْقَةِ وغنموا مما فيها أموالاً جمة، وكان الشهداءُ من المجاهدين يُعَدُّون بالأصابع في هذه الواقعة. وذلك من وقايةِ اللهِ وحسن عنايتِه.

١٥٢ /

(١) النجيشة: عُزلة من المقاطِرة تقع في الناحية الغربية من جبل القلعة، انظر، حياة الأمير، ٦٣٢ .

(٢) الصوحة: تقع بالقرب من جبل المقاطِرة، هي والنجيشة والزريقة والمكابرة تسمى بالعزل الغربية، انظر، حياة الأمير، ٦٢٤، معجم المقحفي، ٣٨٩ .

(٣) المكابرة: عُزلة من المقاطِرة، تقع في غرب قلعتها، وهي واسعة، بها وادٍ يسمى باسمها، ويقع وادي أديم في أسفلها، انظر، حياة الأمير، ٦٣١ .

(٤) جبل مُنيف: يقع في الضالع ما بين الزَّرَّيْقَة والمقاطرة وهو من جبال ناحية المقاطِرة، انظر، حياة الأمير، ٦١٥، معجم الحجري، ٢/ ٧٢٢ .

[١] في س، بضاعة.

وفي اليوم الـرابع والعشرين من هذا الشهـر، تقدمَ المجـاهدون الـذين أُمِروا بقصدِ النجيشةِ والصولحةِ على تلك الجهـة، وقد تجمّعوا وانضم إليهم فلولٌ من أهل البلادِ التي قد استولى عليها أنصارُ الحقِّ، فلما التقى الجمعان، تحركتْ على البـاغين من الطائفتين المدفعـان، وقذفـا عليهم صـواعقَ القُلل، وهجم عليهم المجاهـدون من الغَوْرِ والجبلِ وضـايقوهم وأحـاطوا بهم من جميع الجهـاتِ، ثم ألجأوهم إلى الفـرار، فـولّـوا الأدبـارَ لا يصدقـون بـالنجـاة، وقـد خـابَ منهم المسعى، وتعـاظم الخسرانُ وكثُـرَ القتلُ فيهـم، وشبعت من لحومِهم النســورُ والعقبان، واستولى المجاهدون على جميـع النجيشة والصولحة، واستُشهد في هذه الحرب أنفارٌ من المجاهدين، رزقهم اللهُ الشهـادةَ، وهي درجةُ الحسنى والزيادة، وكانت الغنائمُ في هذه الجهةِ كثيرةً، نال منها المجاهدون حظوظهم الوفيرة.

ولما رفع قائدُ هـذه الجيوشُ إلى الأميرِ خبرَ مـا مَنَّ اللهُ به من النصر على أهل الجهادِ، وما جرى من العذابِ على ذوي البغي والفسـادِ، وما هم عليه بعدَ ذلك من الإصرارِ على العنادِ، ومـا بقي تحتَ أيديهم من البلادِ نحو اثنتي عشرة عـزلةً من العُـزَلِ المجـاورةِ للقلعـةِ وحصونها، وأنَّ أكثـرَ الجيش قـد تبـدَّد في المراتبِ لاتساع الأطراف، ولزوم ترتيبها وقايةً للمجاهدين من غدرِ ذوي الاعتسافِ فلا بـدَّ من المددِ اقتضى رأيَ/ لـزوم نهوضهِ بـالـذات، وإقبـالهِ إلى هـذا المرامِ على أكمل صورِ الثبات، فاستقرَّ مَنْ في جهات اللـواءِ التعزي من المقاتلةِ والرجال، ونشرَ رسائِلَـه إلى جميعِ الأعمالِ، ورتّب مكانَـه في تعز مأمـور المالِ القاضي أحمدَ بنَ محمـد الآنسي، وأعانَـهُ بعاملِ البـلاد التعزيـةِ السيدُ محمـدُ بن أحمد بن علي عبدالجبـار، وجلبَ مَنْ في القضـوات من الأجنادِ البـاقيةِ، فاجتمـع لدن الأميرِ جيشٌ عظيمٌ، رؤساؤه أبطالُ القتـالِ، وفرسانُ ميدانِ النـزالِ مثل حاكمِ العُدين

/ ١٥٣

السيدِ حمود بن محمد[1]، والسيد عبدالجليلِ بنِ أحمدِ بن علي عبدالجبار[2]، والشيخ عبدِالله بن يحيى عبدالجليل. واثنان من أولاد علي بن عبدالله بن سعيد[3] وعبدُالله عثمان[4]، وأحمدُ بنُ عبدالعزيز المجاهد وغيرهم فتجهَّز الأميرُ للمسيرِ واستصحبَ كلَّ لازمٍ من المهماتِ، وذخائرِ الحرب، ومن الجملة المدفعُ السريعُ، ذو الطلقاتِ المتعددة في الوقتِ القصيرِ ومتراليوز، ولم يأتِ سابع وعشرون شهرِ ذي الحجة الحرام، إلاّ وقدْ وصلَ الأميرُ بجمعِهِ الغفيرِ وجيشِه الكبيرِ إلى مركزِ قضاءِ الحُجَرِيَّة[5]، وهنالك كانَ إجراءُ التدبيرِ في ما يكونُ عليه التعويلُ. واستصوبَ الأميرُ إعادةَ إرسالِ الرسائلِ إلى أولئك المخالفين لعلَّهم ينقادون فانقضى ما بقي من أيام العامِ قبلَ إكمالِ العملِ الموافق للمرام. ولذلك كان تأخيرُ بيانِه إلى سياقِ حوادثِ سنةِ أربعين، لوقوعِهِ، في أول شهورِه، وسيأتي إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

---

(١) حمود بن محمد بن أحمد بن محمد بن الإمام (الدولة) ت ١٣٨٥هـ، صاحب كتاب زورق الحلوى في سيرة قائد الجيوش وأمير اللوا منه نسختان مخطوطتان في مكتبة الجامع الكبير رقم ١٠٢ تاريخ و٨٨ مجاميع، انظر فهرس مخطوطات المكتبة الغربية ١١٧ .
كان شاعراً، جزلاً فصيحاً، عُين سنة ١٣٣٨ حاكماً لبلاد العُدَيْن، ولد بذمار ١٣٠٥هـ. انظر، حياة الأمير، ٥٤٩، نزهة النظر، ٢٩٤ .

(٢) عبد الجليل بن أحمد بن علي عبد الجليل باشا، شقيق عامل تعز محمد بن أحمد، كان عاملاً لناحية مَقْبَنَة ثم المخَا، توفي بعدن، انظر حياة الأمير، ٥٥٦ .

(٣) المقصود علي بن عبدالله سعيد باشا، أحد كبار مشاريخ العُدين.

(٤) عبدالله عثمان: تولى أيام الأتراك مَقْبَنَة، شارك في حملة المقاطِرة، أثر التآمر على قتل علي بن عبدالله الوزير هرب إلى الادريسي وحارب معه في بُرَع ومن ثم عاد إلى تعز، في زمن الإمام أحمد، تولى عمالة صنعاء، ثم الطويلة والمحويت، انظر حياة الأمير، ٥٦٤ .

(٥) مركز قضاء الحُجَرية، تربة ذُبحان على بعد ٧٠كم من تعز، انظر اليمن الكبرى، ٥٠ .

وفي أثناءِ هـذه السنةِ، قبلَ الذي ذكرنـاه من غزوةِ المِقاطرة جـرى في قضاءِ القَمَاعِرةِ حادثٌ مهـولٌ وحربٌ يطولُ، وسببهُ فيما بلغَ، أنه لما اسندَ مـولانا الإمامُ عُمالة القضاءِ المذكورِ إلى الشيخ قـايد صالح(١)، كانَ محمد عبـدالسلام كاتبُ الشيخُ محمـد ناصر، اليـه في الحقيقة الحلُّ والعقـدُ، لا سيما في أواخر أيـامه. فلما أُسندت العمالةُ إلى الشيخ قـايد صالح، وكان الجوُّ بينه وبينَ محمـد عبدالسلام غيرَ صافٍ، انعزلَ عن الأعمال، وهجرَ عـن المراجعةِ في جميعِ الأقوالِ والأفعالِ، فقيل إنـه الذي شـوَّقَ أهلَ حُـمَر(٢)، وهم مخلافٌ عظيمٌ، وأهلُ قـوةٍ وشكيمةٍ وجراءةٍ وإقـدام، وهؤلاء هم في الحقيقةِ رجالُ محمـد ناصر الدين كـان يغزو بهم سائرَ الأقوامِ، ويناضل بهم من ناوأه من الانام، وصادف هذا التشويقُ هوىً في نفـوسِهم من قـايد صـالح، لأنهم كـانوا لا يـودُّونـه، فثـاروا للخلافِ، ونـادوا بـالعصيان، وسلكـوا مسالك الطغيـانِ، فلم يشعـرْ مَنْ في ماويـه، وهي مركـزُ القضاء، إلاّ بالـرمي إلى المركزِ، من المخالفين، لأنَّ قراهم ممتدةٌ إلى قـرب ماوية، وكان الأميرُ جمالُ الدين[١] قد عـرفَ/ من حالِ أهلِ اليمنِ الأسفلِ، أنَّ شرارةَ / ١٥٤ الخلافِ من أهلِـه إذا تُـرِكَتْ بدونِ إطفـاءٍ استطـار لهيبهـا إلى أن يملأ الفضـاءَ فيستحيلَ الإخمادُ، ويتعـذر محوُ الفســاد، فلـذلك جعلَ همَّه عنـد ظهـورِ أقلِّ خلافٍ المبـادرةَ إلى إزالتهِ قبل اتساع الخرقِ، ومتـابعةَ إرسالِ الجنـود إليه إلى أن ينقضي، وذلك من تـوفيق الله تعـالى للأمير، ومنْ بـركـةِ دعاءِ مـولانـا الإمامِ لـه بـالتشديـد، فلما شبَّتْ نارُ الخلافِ من أهل مخلاف حُمر، وهم كما وصفنـاهم من

(١) قايد صالح الصراري: هو قريب الشيخ محمد نـاصر مقبل صاحب ماوية، كان عامل ماوية بعد وفـاة محمد ناصر مقبل، قتله آل هريش في ماوية سنـة عام ١٣٤٢هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٨٣ .

(٢) حُمَر: عُـزْلـة من بـلاد مـاويـة وأعمال تعز، انظـر، معجم الحجـري، ١/ ٢٨١، معجم القحفي، ١٩١ .

[١] في س، جمال الدين، علي الوزير.

الشدّةِ والإقـدام، بادرَ الأميرُ بارسـالِ الجنودِ من تعـز، وهـم كثيرٌ وَعيَّن لهم جهةً من الجهـاتِ المتصلـةِ بـا لمخـلاف المذكـورِ، وأرسلَ من جهـةٍ ثـانيـةٍ السيـدَ عبـدَالجليل بنَ أحمد بن علي عبدالجبـار، ومعـه جيشٌ واسعٌ، ومن جهةٍ أخـرى، عبدَالله بن يحيى عبدالجليل ومعه أصحـابُه، ومن جهةٍ صَبرَ أهلُ صَبرٍ بعاملِهم. ولما كثرت الجموعُ وتـلاحقتْ بالأصولِ والفروعِ، أمـرهم الأميرُ بالتقدُّمِ من كلِّ جهـةٍ على أهل الخلافِ، وذلك المخـلاف، فـاحـدقـوا بهم من كلِّ جهـةٍ، وأصـدقـوهم في الحربِ، فلم يمضِ غيرُ يـومٍ أو يـومين حتـى تبـدَّد جمعُ أهل الخلافِ، وتمزقوا وتفرقوا في الأطـرافِ والأكنافِ، وألمَّ بهم كلُّ ما يُخافُ، وانتُهِبَتْ أموالُهم، وقُتِلَ منهم كثيرٌ ولم ينفعهُمْ إقدامُهم ولا ما كـانوا عليه من الجراءةِ عند اتصافِهم بـالبغي المشؤوم، لأن البـاغيَ بسيفِ الحقِّ مهزوم، وامتـلأت بهم بلادُ الحَواشِبِ وغيرُهـا. ودخلَ بعضُهم إلى عـدن، وأرادوا الانتصارَ بـالإفـرنج، فلم يسمعوا منهـم لأنهم لا يسمعون، ويصغـون إلاّ لمن عرَفوا منـه تمكُّنَه مـن القيام بـالفتنةِ، لا لمن قـد أسْلَمَتْهُ، ذنـوبُه. فغـرقَ في بحر المحنـة، ولما أَيسوا من فُـرَجِ البغي وشعوبِـه بادروا إلى طرْقِ بـابِ الفرجِ، بأعـلانِ كلِّ منهم لإنابتِه وتـوبتِه، وطلبوا الأمـانَ والإذنَ لهم بالعودِ إلى الأوطـان. فأسعِفوا بما أرادوا ورجعـوا، وقد طـارتْ سكرةُ الجراءةِ من أدمغتِهم، فلـزموا السكـونَ وطَردوا عن أنفسِهم سـوءَ الظنونِ، ومـا هو من قبيل الجنونِ، وكان مـا وقعَ عبرةً لغيرِهـم جالبةَ للانـزجار، ومحذِّرةً من الوقوعِ في محاذير الأخطار.

وفي هذه السنةِ وقعَ انفصالُ الوالي على عدن من قبل الانجليز، ووصلَ غيرُه خلفاً له[1]، وكان الأولُ قـد سلكَ بازاءِ دولةِ الإمـام مسلَكَ المعاداةِ، وكلهُّم -

---

(١) المقصود ولاة عدن مـن طرف الانجليز، J.M. Stwart وL.N. Beatty القائم بأعمال المفوض السياسي في عدن والآخر هو T.E. Scott.

أعني الانجليزَ - أعداءً، ولكنّ منهم من يُخفي ذلك مؤمِّلاً/ أن يجنيَ من وراءِ / ١٥٥ خطتهِ فائدةً لحكومتِه وبني قومه، والإنجليزُ قومٌ اشتُهِروا من بين طوائفِ أممِ الافرنج بالاحتيالِ والتضليلِ والتمويهِ بأساليبَ يدِقُّ فهمُها على اللبيبِ، فكم غَرُّوا بمظاهرِ سِلْمِهِم طوائفَ الأمم، وقد نصبوا تحت تلك المظاهرِ شباكَ الاصطيادِ، وقادوا مَنْ لم يتيقَّظْ لمهاوي مغاريهم، فأوقعوه في حفيرة الإنكادِ. وقد كان الوالي السابقُ جسَّ نبضَ الإمام ببعضِ المكاتبة[1]، فوجد الإمامَ ممن لا ينخدعُ ولا تروجُ لديه التمويهاتُ والأضاليلُ، فتركَ المكاتبة.

ولما وصلَ خلَفُه إلى عدن، عدَلَ عن تلك الخطة، وخابرَ الإمامَ - عليه السلامُ - بأنَّ مرامَهُ ومرامَ دولتِه أنْ لا يكونَ بينَ الإمامِ وبينَ الإنجليزِ الخصامُ، وأنه مأمورٌ بتنظيم مصالحةٍ تتضَمَّنُ تحسينَ علائقِ الجِوارِ، وضمانَ حقوقِ مَنْ يصلُ من رعيةِ الإمامِ إلى عدن وتلك الديارِ، واستمدَّ مِنَ الإمامِ إرسالَ مندوبٍ من طرفِه للمراجعة في ذلك الموضوع، ولاقتضاء المصلحةِ العامةِ ملاحظةُ مثلِ هذه الأمور ودفعُ الشرور، وترَّجح لدن مولانا الأمام انتدابُ القاضي عبدِالله بنِ أحمدَ العَرَشي[2] الخولاني، فتوجَّه إلى عدن، وأقامَ هنالك عن أمرِ الإمام، ولم يذهبْ إلى ذلك الساحلِ إلاّ مزوداً بالوصايا من الإمامِ، وأهمُّ ما هنالك أنْ لا يكونَ منه ابداءَ أيِّ شأنٍ أو الخوضِ فيه إلاّ بعد الإذنِ من الإمام توقياً من مكر الكافرين، وقد بلغَ إلى الإمامِ أنَّ مندوبَه المذكور قوبلَ بحُسْنِ التلقّي، ولوحِظ ملاحظةً تليقُ بمخدومِهِ العظيمِ ومرسِلِه الكريم.

وأقول ههنا، وقف شواطُ القلمِ في بيانِ ما جرى بهذه السنة[1] من الحوادثِ

---

(١) الموفد البريطاني هو هورلد جيكوب، ومندوب الإمام في عدن عبدالله العرشي.

(٢) عبدالله بن أحمد العَرَشي الخولاني، ضابط الاتصال بين الإمام وبريطانيا، انظر، حياة الأمير، ٥٦٠.

---

[١] في س، سنة ١٣٣٩.

المستحقَّةِ للتدوين، دونَ ما عداها من صغارِ الحوادثِ التي لا تتضمَّنُ بيان الغايةِ الحاصلةِ من موضوعِ التاريخ، ومما وقعتُ عليه من المدائح المرفوعة إلى مقام مولانا الإمامِ في التهنئةِ بعيد الأضحى السعيد، ما قاله السَيدُ الأديبُ محمدُ بنُ عبدالرحمن بن أحمد شرفُ الدين الذي سلف ذكرُه، فإنه هنأَ الإمامَ بقصيدةٍ مطلعها: [الطويل]

رويداً بقلبِ الصَّبِّ يا برقَ نعمانِ ... لقدْ زِدْتَني شوقاً وهيَّجْتَ أشجاني

/١٥٦ وبالغتَ في تذكيرِ قلبي أحبَّةً ... أذاقوا فؤادي كاسَ صدٍّ وهجران

أردتَ بهذا الومضِ تحكي ثغورَهم ... إذا ابتسموا كالوردِ في شهرِ نيسان

حكيت ولكن فاتك الشبُّ الذي ... يرينا إذا ما لاح دُراً بمرجانِ

أُفِقْ أيّها البرقُ الخفوقُ فإنَّ لي ... فؤاداً خفوقاً مثل لمعك سيانِ

ولي مَنْ رمتني مقلتاه بأسهمٍ ... مفوّقةٍ من قوسِ حاجبِ أعيانِ

هو البدرُ إلاّ أنّه غيرُ منصفٍ ... يخافُ من الإنصافِ إظهارَ نقصانِ

ولا عيبَ فيه غيرَ أنَّ عيونَه ... سقيمةُ أجفانٍ ضعيفةُ أركانِ

أثارَ غيومَ الغمِّ فوجُ صدودِهِ ... فجادتْ بودْقٍ من كروبٍ وأحزانِ

فوا حرباً إنْ كان ذا اللفظُ نافعي ... إذا قلتُها والدمعُ يجرحُ أجفاني

ويا أسفي من هجرِ يوسفَ عصرَه ... فقد أحرقَ القلبَ الكئيبَ بنيرانِ

ولا طابَ لي عيشي ولا سفحُ مربعي ... ولا الروضةُ الغناءُ ولا شِعْبُ بوَّانِ

ولم تُذْهِبِ الكربَ الشديدَ من الجفا ... معتّقةٌ من عهدِ موسى بن عمرانِ

فلا خيرَ في عمرٍ تقضّى ببُعدِهِ ... وكثرةِ أموالٍ وصحّةِ أبدانِ

ولا خيرَ في شعرٍ رقيقٍ ولم يكُنْ ... به مدحُ خيرِ الناسِ أفضلِ إنسانِ

إمامٌ نقيٌّ ألمعيٌّ مهذّبٌ ... أديبٌ نجيبٌ بحرُ علمٍ وإيمانِ

لـه خلُقٌ كـالــروضِ بلّلـه النّدى وأضحكَ فيــه زهـرةُ بـرقِ أمـزانِ
وكفٌّ يخافُ المالَ مَنْ سيفِ بــذِلها إذا مـا انتضـاه في معــامعِ إحسـانِ
إذا قلتَ مـا بينَ الــورى مثلُ ذاتـه صــدقتَ ولم تنطِقْ بــزورٍ وبهتــان
فصيحٌ إذا مــا راضَ أشقـرَ فكــرِه بميـدانِ ذاك الذهنِ أزرى بُسحبَانِ
ألا إنـــه يحيى إمـــامُ زمــانِنــا وأفضلُ ملْكٍ في البرايـا وسلطـانِ
إمامُ الهدى بحرُ الندى قامعُ العدى مـذيقُ الردى مـاحي دُجْنةِ طغيـانِ
وغـوثٌ لمن أسقـاه صرفُ زمـانِـه كؤوسَ خطـوبٍ كؤوسَ ابنـةِ الحانِ / ١٥٧
ونجمٌ إذا مـا انقضَّ في جـوِّ غـزوةٍ ليرجَم شيطـانـاً هـوى كلِّ شيطـانِ

ولها بقيةٌ، قال في آخرها، وقد فرغَ من المديحِ والنسيبِ:

فــدونَـك يـا مَنْ ألبسَ اللهُ ذاتَــه بـــرودَ سعـــاداتٍ وعلمٍ وايمانِ
نظــامـاً مِنَ الفكــرِ السليم كأنّــهُ أزاهـرُ روضٍ أو جــواهـرُ بستـانِ
تخَيَّرتُــه مـدحــاً لــذاتِك مـوقنــاً بأنيَ في ذا العصر أعجــزُ اخــواني
وصلِّ على طـــهِ الحبيبِ وآلِـــهِ وأصحــابِــه والتــابعين بإحسـانِ

وفيما وقفتُ عليه من شعرِ الفقيهِ الأديب أحمد الجلال مادحاً لمولانا الإمام – عليه السلامُ – في أثناءِ هذا العامِ قولُه من قصيدةٍ، مطلعُها:

[مجزوء الرمل]

أيُّها البــــــدرُ اليماني وأخــاً الآلِ الأطـــايب
والسراجُ النّيِّرُالــــــو هّــاجُ والجمُّ المنــاقب

....

....

والإمـــامُ الفـــاضـلُ الهادي إلى أهـــدى المذاهب
قمــرُ الأكـــوانِ عينُ الـــدهـــرِ ميمـــونُ المنـــاقب

يـــا شريفَ القـــدرِ عنك البـدرُ في الـدَّيْجورِ نـائب
طلْتَ بـــاعـــاً في المعـــالي تحتَـــه غـــرُّ الغـــرائب

ومنها:

يـا إمـــامَ اليمنِ الميمـونِ كـــلٌّ فيـــك راغـــب
وكما لِنْـتَ جنـــابـــاً لم يُجانِبْـــك مجانـــب
سالَـــمَتْكَ الأرضُ حتى سكَنَتْ منهـــا الضـوارب
جـــــاءَكَ النصرُ من اللهِ الـــــذي أَوْلى المواهـب
وأتـــاك النـــاسُ أفـــوا جاً على ظهــرِ النجـائب
لكَ مـــا بينَ يـــد الشر قِ ومـــا بينَ المغـــارب
مـــــا لها غيرك مهما رامَهـــا الغيرُ وكـــاذب
ورمى اللهُ أعـــاديـــــ ك من الحرب بحـــاسب

وهي طـويلـةٌ اقتصرتُ على هـذا القدرِ منهـا دلالـةً على مـا في البـاقي من الانسجام والسهولة وحسنِ المعنى، وله من قصيدةٍ أخرى غَدِيريةٍ مطلعها:

[مجزوء الكامل]

أضْربتُ عن ضَرْبِ القيـانِ وغَنيتُ عـن كلِّ الأغـــاني
وثنيـتُ طَـــــرْفي عـن جما لِ الخُرَّدِ البيضِ الحســـانِ
/١٥٨ ولَـــوَيْتُ عـن ظبي اللّـوى وبهاءِ غـــرَّتـــهِ عنـــاني
وجعلـتُ حبَّ محّمـــــدٍ ووصيـــةً مِمّـــا عنـــاني
يـــا حبّـــذا طــه أخـــو الـ قـــرآنِ والسَّبْع المثـــاني

....

....

وهـو الـذي شهِـدَتْ لـه ... بـالفضلِ أعيـانُ المعـاني
بـركـاتُـه عمَّتْ لَقَـدْ ... جَمَّت على قـاصٍ ودانِي
اللهُ أنقـذنـا بـه ... وبـهِ وقـانـا كلَّ شـاني
نطق الكتـابُ بمـدحِـهِ ... والـذكـرُ أفصحُ تـرجمانِ
وبِـذكْـرِهِ تصفـو القلـو ... بُ كما تُنـالُ بـهِ الأمـاني
وكـذا عليٌّ قـطُّ لمْ ... يأتِ الـزمـانُ لـه بثـاني
نَفَسُ النبـيِ وصنـوُه ... ووزيـرُه في كـلِّ شـانِ
مـا زال نـاصرَه وكـا ... شفَ كَـرْبِـهِ يـومَ الطِّعـانِ
ولاَّهُ خيرَ ولايـةٍ ... عـزا على قـاصٍ ودانِ
وغـدا لـه يـومُ الغـد ... يـر أغـرَّ يـومٍ ذي أذانِ

ومـا زال سـارداً من هـذا السهلِ اللطيف لكلِّ معنى ظـريف إلى أنْ قـال، ونعمَ ما قال:

وأُحِـبُّ آل محّمـدٍ ... لِـودادِهـم داعٍ دعـاني
فهمُ الأهلّـةُ والأدلَّـةُ والأخِلّـةُ في الـزّمـانِ
وهموا الأمـانُ لمن على ... الـدنيا ويـا لَكَ مِنْ زمـانِ
مـا إنْ سـألتُ اللهَ كـأ ... سَ ودادِهم إلاّ سقـاني
أو أرتجيـهِ بفضلهـم ... نَيْلَ الشفـا إلاّ شفـاني

ومنها في مدح مولانا الإمامِ - عليه السلام -

....

....

/١٥٩

يا سائلي عَنْ فضلِ جمِّ الـ ... فضـل عَمِـنَّ تسـألاني

أعنِ الإمـامِ أخي الفضـا ... ئل كلِّهـا تستفتيـاني

أعـرفتها مـن تسـألا ... ني عنـه أمْ لا تعـرفـانِ

مِنْ فضلِـهِ الجمِّ الغفير الـ ... جـزلِ مـاذا تنكـرانِ

يـا أيُّها البـدرُ الـذي ... يَهدي إلى نيـل الجنـانِ

أنتَ الإمـامُ ابنُ الإمـا ... م وصاحـبُ القطرِ اليماني

وأخـو المفـاخـرِ في الأوا ... خِـر والأمـانُ من الهوان

ولقـد كسوتَ الكـونَ نـو ... راً مـا كسـاه النَّيِّرانِ

لا ينكـراك إن قعـدت ... على السماك الفـرقـدانِ

وهي طويلة غالبها إلى شأوِ الإجادة مرفوعٌ، وفي قالب الحسنِ والسهولةِ مصوغٌ ومصنوعٌ. ومِمَّنْ نظمَ في هذا العام، وقد نظمه إلى تلك السُّدَّةِ السنيةِ مزاحماً لذوي النظام، محرِّرُ هذه السطورِ، المعترفُ بالقصورِ، وقد أثبتُّ ذلك جميعَه لما فيه من الإلمامِ بأكثرِ وقائعِ هذا العامِ، وسردِ مِنَنِ اللّهِ الجسامِ التي حصلتْ ببركةِ مولانا - عليه السلام - وهي غديرية، مطلعها:

[الطويل]

حديثُ الهوى حلوٌ ولا بدعَ أن يحلو ... فما زال لي نقـلاً يصحِّحـه النَقلُ

ومن خبري في الحبِّ وردتُـه ... نميراً فطابَ النّهلُ لي منه والعَلُّ

علقتُ الهوى طفلاً ومَنْ يصحبِ الهوى ... صبيّاً فَمِنْ فرضِ المحالاتِ أن يَسْلُو

وخضْتُ وحقِّ الحبِّ لُجَّتَـهُ التي ... أقـامَ بشاطيهـا المحبّـون مِنْ قبلُ

وقد علِم العُـذَّال أني ومسمعي ... رفيقـان لا ينسـابُ بينهما عـذلُ

....

....

إذا أجمعوا أمراً وساقوا جيوشَهُمْ … عليّ انثنَـوْا والجيشُ مِنْ عـذلِهِم فَلُّ

وكـمْ رَدَّدوا زوراً فـــرُدّوا بغيظهـم … ودُقَّ لبشرى النَّصْرِ في مسمعـي طبلُ

ومِنْ مـذهبي أني لِمَنْ أودعـوا الهوى … فؤادي وإنْ صدُّوا عن الوجدِ لا أخلو

حفظتُ لهم عَهْدي القديمَ ومرتعي الـ … جميمَ وإن جـاروا فَجَـوْرُهُمُ عَـدْلُ

وغـالَطْتُ جُلاّسي فلمْ يعملـوا بما … كتمتُ وبـابُ السرِّ عنـدي لـه قفلُ

يقـولـون يـا هـذا نحـولُـكَ مُفْـرِطٌ … وطـرفُك وكّـافٌ وجسمـكُ مفتلُ / ١٦٠

عـلامَ الضّنـا فـارِقْ بنفسِك إنها … تعـزُّ علينـا والفـراقُ لها ثكلُ

ولـو شربـوا مـاءَ الصّبـابـةِ والجوى … لما دارَ في الأفـواهِ ليتٌ ولا عَـلّ

جُعلتُ فـدىً للنـازحين وإنْ يكُنْ … فـؤادي لهم داراً وهلْ مثلُهمْ نـزل

همُ أوْثقـوا قلبي أسيراً وأطلقُـوا … دمـوعي وقالـوا في الهوى يحسُنُ القتلُ

وشَنّـوا على لبِّ المتيَّمِ غـارةً … فما رجَعَتْ إلاّ ومـنْ نهبِهـا العقلُ

أخِـلاّي إنَّ الـرَّمْلَ بعـدَ فـراقِكم … تنكَّـرَ في عيني وأوحشني الـرَّمْلُ

ومـا ربعُكُم لا أبعـدَ اللهُ عهـده … كما كـان والغيـدُ الحسـانُ لـه أهلُ

سقى عهـدَنـا فيـه مِنَ الغيثِ صيِّبٌ … يكـرِّرُ تقبيلَ الثّـرى حينَ ينهلُّ

ويـا منزلاً لم أعـرفِ المطْلَ عنـده … ولا غـابَ عني من أماني اللُّقـا وصلُ

إليك اشتيـاقـي والهوى يستفِـزُّني … عليكَ ومِنْ ذكـراك في كبِـدي مَهْلُ

لعلَّ لماضينـا بسفحِـك أوبـةً … كما عـادَ دينُ الحقِّ في أفُقِـهِ يعلـو

بِمَنْ سيفُـه سـمُّ المنـايـا وجـودُه … نميرُ العطـايـا لا يسـاجلهـا الـوبْلُ

ومنْ قَيّـضَ البـاري بيُمْنِ جهـادِه … منـاقبَ لـلإسـلام عـزّ لها مِثْلُ

إمـــامُ الهدى يحيى وللّـــهِ درُّهُ … إمـامـاً محا مـا شـاده البغيُ والجهلُ

ودكَّ صروحَ الكفرِ والشِّركِ بعـدَمـا … تطـاوَل عنقُ الملحـدين بها ضلُّـوا

فـأقصرَ عمَّا يشتهـي الغيَّ مبطـلٌ … تخطىَّ إليـه الحتفُ أو قـاده الغُلُّ

وأبصرَ من يـدعـو إلى الإفكِ إنما … دعى الخطبُ إذا زلَّت بأقـدامه النعلُ

ومـا خفَقَتْ أعـلامُـه وقلـوبُهم … بأقصر منهـا حيثُ عمَّتْهُـم الختلُ

/ ١٦١

وحين طغى فـرعـونُهم وقبيلُـهُ … وجـاءوا بـزَوْرِ القـولِ والأس مختل

طَمَى فـوقَهمْ بحرٌ مِنَ الجندِ مُغـرِقٌ … ومـا دبَّ لـلإيمان في طَبْعِهـمْ نَمْلُ

فَسَلْ زُمَـرَ الضّـلال أنّـى تـوجَّهـوا … عنِ الطّعَناتِ الحُمْـرِ تلكَ هي النُّجلُ

همُوا أدْرَكُـوا الأيَّـامَ سُـوداً ببيضـةٍ … فمطعمُهـم طعْـنٌ ومَلْبَسُهُـمْ ذُلُّ

وسَـائلٍ بـأقـوام دَعَـاهـمُ إلى الـرّدى … بِـرَميـةِ شيطـانٍ فَضَلَّتْ بهم سُبُلُ

وكـانُـوا على خَيْرٍ فلّما تـورَّطـوا … تَـلاطَمَ مـوجُ الشرِّ عنهـم وقـدْ زَلُّـوا

فَـذَاقـوا جَـزاءَ البغـي لما أَتَتْهُمُ … كتـائبُ مِنْ نصرِالإلـهِ لها كِفْلُ

فما صَـدَّهُمْ حصنٌ ولا ردَّ بـأسَهُمْ … جيوشٌ وهَـلْ تقوى على الأُسْـدِ البُزْلُ

وكمْ دوَّخـوا أقْطَـارَهـا بـوقـائعٍ … يـدلُّ على آثـارِهـا الحَزْنُ والسَّهْلُ

وصَعْفَانُ ما صَعْفَانُ خـانوا فعوجِلوا … فكانـوا كأمسِ الدَّابـرِ انحلَّ وانحلوا

وفي مَـدْوَلٍ دارتْ رحى الحربِ مُـدّةً … وَدالَ عليهم مِـنْ معـامِعِهـا خَبْلُ

وفي الطَّـرَفِ النـائي وأطْـرافِـه التي … يَطـولُ لها التَّعـدادُ بالحَتْفِ قـد أبْلُـوا

وفي بُـرعٍ أبْـدى الجنـودُ بَـرَاعـةً … أفـاقَ بها العَـاصي ومالَتْ بـه الـزُحَلُ

صـداهـاً مدى الأيـام يَبْقى وأمْـرُهـا … إليـه يُسـاقُ القـولُ والمنطقُ الجَزلُ

ومـا يَـافـعٌ لا سـدَّدَ اللهُ يـافعـاً … أُذيقوا الرَّدى فـالطفلُ مِنْ هولها كهْلُ

أتَـوْا بجمـوعٍ سـدَّ ألفَـافَهـا الفَضَـا ... فأفْضَـــوْا إلى حتفٍ وكُثْــرُهُـم قلُ

وجـاءوا وفيهم داءُ أَشْعبَ فــانْطَـوَوْا ... بأيدي العوالي في الشُعيبِ وقدْ ضلُّوا

فحطَّهُمُ حـطَّ الـذيـن تَعَـاقَـدُوا ... بأجعــودِهم لم يجرِ في محفهـم رَسُل

وفي حمرٍ حلُّــوا الــوقــائعَ إنهم ... رأوْا أحمرَ التنكيـل ليس لـــه مهـلُ

ولله مــا ذَاقَ الــزَعَــازعَ إذ رأوا ... زَعازعَ حربٍ شـابَ من هولِها الطفلُ / ١٦٢

كما ذاقَ سُكَّـانُ المِقـاطـرةِ الـردى ... وعـمَّ عليهم في معـــاقِلِهم عَقْـلُ

ولـو أنْصَفُـوا مَـا حـامَ طيرُ حِمامِهِم ... عليهم ولا دانـى تقــاطُـرُهـم غلَّ

وكمْ فتكـاتٍ ضمَّهـا العـامُ بعضَهَـا ... سَرَدتْ ومـا أهْمَلَـتْ بعــاضَـــهُ كلَّ

لقـدْ لبسَ الإسـلامُ خلعــةَ جـدِّه ... بها وهي نسجُ السيفِ لم يحوِهـا الغزْلُ

وردَّ لــــه عهـــدَ الشبــابِ كأنما ... تراجعَ عهدُ الـوحي إذ جاءَتِ الرُّسْلُ

وجلَّتْ بمـنِّ اللهِ فينـــا مـــواهِبٌ ... بـــدولتِــه الغــرّاءِ دامَ لها الظلُّ

أمـــانٌ وإيمَانٌ وخيرٌ وراحـــــةٌ ... ومحمـــودُ أحـوالٍ تجلّى بها العَــدْلُ

وتحكيمُ شرعِ اللهِ في كـلِّ حــــادثٍ ... وذاكَ أساسُ الأمـرِ في حُكْمِهِ الفَصْلُ

وحبٌّ لنشرِ العلمِ والبحــرُ عِلْمُــهُ ... تجمعَّ فيـــه الــوهْبُ والعقـلُ والنَّقْلُ

إمـــامَ الهُدى عُـــذراً فإني مُقصِّرٌ ... مـزايـاكَ لا تُحصـى وأيْسَرُهـا الفضْلُ

وأيـامُـك البيضـاءُ في الـدَّهـرِ غـرةٌ ... ومفـرَدُهــا عيـدٌ محاسنُــه تحلـو

وَطُـولُ بقَـاكَ اليَـوْم للـدين والـدُّنى ... هــو العيـدُ واليمـنُ المحصلُ والأملُ

وقدْ جاء عيدُ النَّحْـرِ فالاً على العِدى ... يُبَشِّرُ أنَّ النحــرَ فيهم هــو الشغل

ومن أَفضـلِ المرغــوبِ أنّي قــائل ... تَهَنَّ بـــه عِيـــداً وأمثــالُــه تَتْلــو

فكمْ مِنَـنٍ قَلَّــدتها فيـــه رَاغبــاً ... إلى اللهِ لا يـدنــو بمعشـارِهــا المَحْلُ

....

....

وللّهِ ذَاكَ الموكبُ الفخمُ إنّه ... أقرَّ لعينِ الدينِ فيما روى النبلُ

بَرَزْتَ، وقدْ ضاقَ الفضاءُ بِعَسْكرٍ[١] ... همُ الأُسْدُ لا نابو السلاح ولا عُزلُ

وَسِرْتَ بِهِم بعدَ الصَّلاةِ كأنما ... تلاطَمَ موجُ البحرِ فانتظم الحَفْلُ

١٦٣ / ولولاكَ ما قَرَّتْ عيونٌ وشاهدت ... عُلا الدين منها الكلُّ يَتْبَعُهُ الكلُّ

ولم أنسَ في يومِ الغدير مواكباً ... يُشَدُّ إلى إدراك بهجتِها الرَّحْلُ

تمثَّلَ فيه الاحتفالُ وطالَ مِنْ ... مناقِبهِ ما شادَهُ الفَرْعُ والأَصْلُ

هَوَ اليومُ نرجو مِنْ هواهُ وسيلةً ... يُزادُ بها منعٌ ويدنو بها بذلُ

فقدْ عَقَدَ المختارُ فيه لِصِنْوِهِ ... لواءَ ولاءٍ ما لِمُبْرَمِهِ حلُّ

إذا ما تلى رَدَّ الصَّدى كلَّ كائن ... بتحقيقه واهتزَّ شوقاً له الفِعْلُ

وما وَصْفُهُ سَهْلٌ وقدْ مارتِ الدُّنى ... به عِظَماً هَيْهاتَ مني لهُ حَمْلُ

وكمْ للوصيِّ المرتضى مِنْ مناقبٍ ... إذا عُدَّ منها لبعضٍ حَارَبهِ العَقْلُ

ومَنْ رامَ غَرْفَ البحرِ أَمْضى زمانَهُ ... على تَعَبٍ والبحرُ لم يدْرِ ما يبلو

وسَيَّانِ إطنابي وإيجازُ مدحتي ... لديهِ وفوزُ النَّفْسِ منهُ هو السُّؤْلُ

فيا مالكاً بزَّ الأئمةَ رُتْبةً ... ورأياً كانَ الغيبُ قدامَهُ يَجْلُو

إليك ثنائي أو هنائي كأنَّه ... جنانٌ سقاها الغيثُ فالدَّوْحُ مُخْضَلُّ

تَرَفَّعَ إخلاصاً ورَقَّ لطافةً ... وما فاتَه جِدٌّ ولا شانه هَزْلُ

فَدُمْ للورى غَوْثاً وغيثا ورحمةً ... وَطوْداً به تحيى الفرائضُ والنَّفْلُ

ولا زال صنعُ اللهِ في كلِّ حالةٍ ... نزيلُك يا مَنْ سَيْبُهُ الكَرَمُ الجَزْلُ

وفي خَتْمِها صلّى المهيمنُ سرمداً ... وسَلَّم تسليماً يَتِمُّ به الفَضْلُ

على المصطفى والآلِ ما لاحَ بارِقٌ ... وباكَرَ مِنْ فَيْضِ الغمامةِ مُنْهَلُّ

[١] في الأصل، بعساكر وهو خلل عروضي.

/ قلتُ: وقدْ سبقَ بيانُ العُذْر في زبرِ هذه القصيدةِ كاملةً، وهو ما اشتملتْ / ١٦٤
عليـه من سردِ حوادثِ هـذا العامِ، والإشـارة إلى ذلك على سبيل الإجمال، وهي حريّةٌ بالتقييدِ وصيانتِها عن تمزيقِ الزمانِ المُبيد.

وفي هـذه السنـةِ كانَ مِنْ أعـوانِ ابنِ سعـودٍ إعـادةُ الكرَّة والغـزوُ إلى يـام، وكـانت آراؤُهم قـد اتّفقتْ على مـدافعـةِ مِـنْ يطـرقُهم من تلكَ الجهـةِ، فحينَ بَلَغُهم إقبـالُ جيشِ ابنِ السعودِ بَـادرُوا إلى أطـرافِ بلادِهم وقـابلوهُ بـالحربِ، وتجمَّعوا عليه مِنْ كلِّ جانبٍ، فهزموه هزيمةً فاضحةً وصدّوه عن بِلادِهم، وقُتِل من الفريقين عددٌ كثير.

ومن جملـةِ القتلى أميرُ جيشِ ابنِ سعـود، فأدركـوا بهذه الـوقعـةِ ثـارَهم، وانتقموا من عدوِّهم الذي أثـخَنَ فيهم في العام الماضي، واحْتَوَوْا على ما أجْلبَ عليهم في هذه الحرب، والحربُ سجالٌ.

ومن الحوادثِ الـواقعة في العـراقِ، وقـد قدَّمْنـا أنهم في العامِ الماضي ثـاروا بالانجليزِ مطالبين بالاستقلال، ولم يخضعوا لإرادتِهِ وساعدهُمْ على ذلك ما كان يجري بينَ اليونـانِ والأتراكِ من الحروبِ والـوقائعِ العظامِ، وصـادفَ في خلالِ ذلك أن الشريفَ فيصلَ بنَ حسينِ بنِ علي بن محمـد بن عون، لما فـرَّ من الشَّامِ قصـدَ لَنْدن، دارِ مملكـةِ الانجليز وعـاصمِتهم، فاتفقـوا معه على تشكيل دولـةٍ عراقيةٍ تكونُ تحتَ حِمايتهم، ونَصَّبه ملكاً عليها، فعادَ مِنْ هنالَك إلى بغدادَ، وتمَّ بمعـرفتِهم نَصْبُه مَلِكـاً على العراقِ، وتشكيلُ حكـومةٍ للعـراقِ تحتَ حمايتهم، وخفَّ بذلك حِمْلُ الانجليزيين هنالك، إذْ قَلَّلُوا جيـوشَهم التي كانت مرابطةً في العـراق، وسكنت الأحوالُ بـالنسبـةِ إلى ما سبق، وبقـي من أهل العراقِ أفـرادٌ

فـارقـوا أوطـانَهم إلى غيرِهـا من البـلادِ غيرَ راضين بهذه الترضيـةِ، لعِلْمِهم بأنَّ الانجليـزَ بـاقٍ على تسلُّطِـهِ، وأنَّ فيصلَ بنَ حسين ليس إلاّ آلـةً لهم، مُنَفِّـذَةً لمآربِهم، وموصلةً لهم إلى مطالِبهم ورغائِبهم.

ومن الحوادثِ العظامِ في هـذا العام، ما جرى بينَ الأتراكِ الـذين تجمّعوا في الأناضول، وقدْ سبـقَ ذكرُها، صاروا إليه وبين اليونان، فـإنه جرى بينَ الفريقين حروبٌ عظيمةٌ.

وكان اليونانيون[1] قد احتلُّوا ولايةَ آيدين[2] التي مركزُها مدينةُ إزمير، وهي المدينةُ الثـانيةُ بعدَ الآستانـة في العظمِ وعمومِ المنفعةِ، وكان ذلك بـاتّفاقِ دولِ الإفرنجِ / ١٦٥ / الكبيرةِ على ذلك، فشَجَّعهم على التوغل في بـلادِ الأناضول الانجليز انتقاماً من الأتـراكِ المغاضبين، فاستولى على ولايةِ خـداوندكار[3] التي مركزُها مدينةُ بروسّة[4]، وهي مدينةٌ عظيمةٌ كانت مقر سلطنةِ آلِ عثمانَ، قبلَ استيلائِهم على أدَرْنة[5] والقسطنطينيةِ، وتجاوزَهـا بحروبٍ كان الأتـراكُ يتظاهرون أمـامَها

(١) الحرب اليونـانية، جـاءت أثر أزمات بين الـدولة العثمانية واليـونان منـذ سنة ١٨٨٢م وحتى اليوم، وتقوم بسبب الحدود الشمالية لليونان.

(٢) آيدين: تقع في غـرب الأناضـول، وهي مركز لـولاية باسمهـا، فتحها العثمانيـون سنة ١٤٢٦م.

(٣) خـداد وندكـار: كلمة فـارسية معنـاها الصـاحب أو الحاكم، كانت سنجق في العهـد العثماني فتحها العثمانيون زمن أورخان، ثم أصبحت ولاية منذ عام ١٨٦٧ .

(٤) بروسـة: تعرف باسم بـورصة، تبعد حـوالي ٢٢٠كم إلى الجنوب الغربي من استـانبول، على قمة جبال اولداغ، فتحها العمثانيون سنة ١٣٢٦م، وأصبحت أول عاصمة لهم .

(٥) أدرنة: مركز ولاية، تقع في القسم الأوروبي، غرب استانبول، تمتد حتى الحدود اليونانية والبلغاريـة، فتحها العثمانيون زمن السلطان مـراد الأول، وكانت العاصمة العسكـرية للفتوحات في أوروبا وحصار القسطنطينية.

بالانهزام، إلى أنْ وصلَ بجنودِه إلى ضفافِ نهرسقاريا[1] الكائن بالقربِ من مدينة أنقرة[2]، التي جعلَها الأتـراكُ مقراً لهم ولسلطنَتِهم الجديدةِ، وهنـالك كانتْ بينَ الفـريقين واقعةٌ عظمى استمـرَّ الحربُ فيها بـدونِ انفصالٍ نيِّفـاً وعشرين يومـاً، وتعاطـى الفريقـان فيها مِنْ كُـؤوس الطِّعانِ وفنـونِ القتالِ مـا يهولُ، وفي نهايتها انهزمَ اليونانيون، وقد تخضَّبَتْ تلك البقاعُ بـالدماءِ، وامتزجَ ماءُ النهرِ المذكورِ بها، وتراجعـوا إلى مدينـةِ اسكي شهر[3]، ومدينـة أفيون[4] قره حصار، وكـانتا محطّتين لجندِهم، وهُما في قلبِ الأنـاضول، وغنِمَ الأتراكُ منهم مـا لا يُحصى من الغنائمِ، والتي تقدَّرُ بالملايين من الجنيهات، فيها الأسلحة والمدافعُ والسياراتُ المدرَّعةُ.

[1قُلتُ: وهذه السيـاراتُ من مخترعاتِ الانجليـزِ، صنعوهـا في أثناء الحربِ العـامّــةِ الكبرى، ولم نشاهدها حتى الان، ولكنْ بلغَ من وصفِها، أنّها آلةٌ تسيرُ بقوةٍ بخاريةٍ، وقد جُعِلَتْ مُدَرَّعـةً بالحديدِ، وَوُضعَتْ عليها من آلاتِهم الجهنميّةِ عـدةُ مدافعَ ومترالـيـوز، [2فيكون المهـاجِمةُ بها، وظهر لها أثـرٌ عظيمٌ في الحروبِ التي كانت بينَ دولِ الإفرنجِ والألمان2].

(١) نهر صقاريا: يقع شمال غـرب الأناضول (انقرة)، كان يعـرف بماء أنقرة، وسمي باسم مدينة تقوم على النهر.
(٢) انقـرة: مـدينة في وسط الأنـاضـول، فتحهـا العثمانيون سنـة ١٣٥٦م، زمن السلطـان اورخـان، اشتهرت بقلعتهـا الحصينـة، هي عـاصمة الجمهـوريـة التركيـة منذ أعلنهـا مصطفى كمال منذ سنة ١٩٢٣م.
(٣) اسكي شهـر: مـدينــة تقع في الأنـاضـول الأوسط، وهي أول مــدينـة سقطت في يـد العثمانيين زمن عثمان الذي تنسب إليه الدولـة، وأصبحت عاصمة لهم، ومنها انطلقت القوات العثمانية توسع رقعة دولتهم إلى بورصة ونيقية، وهي اليوم مركز ولاية كبيرة.
(٤) أفيـون: مدينـة في الأناضـول، سميت بهذا الاسم لاشتهارهـا بزراعـة الخشخاش منـذ القرن الأول قبل الميلاد، والذي يؤخـذ الأفيون من زهرة، شكلت طريق تجاري مهم إلى جزر الهند الشرقية وإيران ومصر والصين، وبها قلعة حصينة.

[١ - ١] سقطت من س.   [٢ - ٢] سقطت من س.

وبعدَ أنْ تراجَعَ اليونـانُ إلى المدينتين المذكورتين، تقدَّم الأتراكَ إلى أنْ وقفوا بإزائهم، واستمـرَّ تبـادلُ الحربِ بينَ الفريقين طـولَ هـذا العـام، ولكنّه تبـادلُ مـوضعيٌّ، ومكَثَ كلُّ فريقٍ يستعـدُّ للآخـرِ، ودولُ الإفرنج مثلُ الانجليـز ومَنْ على شـاكلتِهم، يتوسّطـون في المصالحةِ بينَ الطـائفتين، ولم يُثْمِرْ مِنْ سعيِهم مـا يكـونُ بـه انتهـاءُ الحربِ، للخـلاف الحاصل منهم[1] بـالنّظرِ إلى اليـونـان، فـالإنجليزُ كـانـوا يمدُّون اليـونـان بكلِّ وسـائلِ الإمدادِ والإعـانـةِ، والفَرانسـةُ والطليان كانوا غير راضين بتـوسُّع دولةِ اليونان في البلادِ الأنـاضوليّةِ، ويودُّون إخراجَهم منها، ومن ههنـا ظَفِرَ الأتراكُ مِنَ الفريقِ المجانبِ لليـونانِ بمددٍ من الذخيرةِ ونحوهـا واتفقوا مع أهل انقرة على/ تخْليَةِ ولايـةِ أضنةَ من تحتِ أيدي الفرانسةِ[2] وتسليمها إلى الأتراكِ، وكانَ الفرانسويّـون قدْ وضَعوا أيديَهم عليها منـذُ عَقْـدِ الهدنةِ بينَهم وبينَ الأتـراكِ، ورفعـوا أيـديَهم عن القِسْم الشماليِّ، مِنْ ولايةِ حلبٍ(١) مثلِ مَرْعش(٢) وعينتاب(٣) وغيرهما بحجةِ أنَّ أكثـرَ سُكّانِها من الأتراكِ، وكذلك رفَع الطليانُ جيوشَه من مدينةِ أنطاكية(٤) وما جاورها، وكانتْ

/ ١٦٦

(١) ولاية حلب: خضعـت للحكم العثماني منذ زمن السلطـان سليم الأول سنة ١٥١٦م، وشكلت إحدى ولايات الشام المهمة، وامتـدت أراضيها عبر الأناضول، وبعد صدور قانون الولايات سنة ١٨٦٤م أصبحت تضم ألوية، حلب، الرّقة، عينتاب، كيليس.

(٢) مرعش: مدينـة تقع في جنوب الأناضول، مركز ولايـة، فتحها العثمانيون عام ١٤٤٩م زمن السلطان مراد الثالث على يد ولده محمد الفاتح، وشكلت مركزاً للصراع بين محمد علي والدولة العثمانية، أغلب سكانها من العرب.

(٣) عينتاب: في جنوب شرق منطقـة الأناضول، وهي مركز لولايـة، تقع على أحد فروع نهر الفرات، قـريبة من الحدود السوريـة، بها قلعة شهيرة فتحها العثمانيـون سنة ١٥١٦م، زمن السلطان سليم الأول، وهي مركز ولاية اليوم.

(٤) انطاكية: عـاصمة لواء الاسكندرونة، الجزء المسلوب من بـلاد الشام، وهي قضاء يتبع ولاية حلب، منذ سنة ١٦٣٧ احتلتها تركيا بالقوة وأصبحت تعرف بولاية خطاي.

[١] في س، بينهم. [٢] في س، الفرنسيس.

تحتَ أيديهم، ودخلَهـا الأتراكُ، وبظهورِ هذا الاختـلافِ بينَ دُولِ الإفرنج التي لا تزالُ تقـولُ، بأنّها متحالفـةٌ على العدوِ المشتركِ بينهـا، قويتْ عـزائمُ الأتراكِ وأطماعُهم في التمكُّن من طردِ اليـونانيين والانجليز من بـلادهم، وأمدَّهُم جميعُ العالمِ الاسلامي بالإعاناتِ المتتابعةِ من النقود وغيرها، والكلُّ يرجون أنْ يعودَ إلى الأتراكِ بعضُ مـا كانـوا عليه من التمكُّن والقوَّةِ ليكـونوا سـداً حائلاً بينَ دولِ الإفرنجِ وبينَ زيـادةِ تُمَكِّنُهُمْ من بقيةِ بلـدانِ الإسلامِ، فهذا مـا كان عليـه حالُ الأتراكِ في هذا العام.

ودخلتْ سنةُ أربعين بعدَ الثلاثِ المئين والألف.

والأحوالُ العـامةُ كما ذكرنـاها، وأحوالُ اليمنِ كما أسلفْنـاها ومولانـا الإمامْ مقيمٌ بـرَّوْضَـةِ حـاتمٍ لتمضيـةِ فصـلِ الخريف، ونـاجم التهـائم محمـد بن على الإدريسي بـاقٍ في صَبْيَـا(١)، وتحت تسلّطـهِ[١] الجهـاتُ التي أسلفنـا ذكـرَهـا، والحربُ لا يزالُ مستمـراً بينَ أعوانِه وبينَ جنـودِ الإمامِ في بـلادِ الطَّعام[٢]، وكلُّ فـريقٍ واقفٌ بإزاءِ الفـريقِ الآخرِ في مـراتِبـهِ، والرميُ بينَ الفـريقين غيرُ منقطعٍ والأحوالُ ساكنةٌ في بلادِ الشامِ، أعني صَعْدَةَ وبلادَها، والعُمالُ في جميعِ الجهاتِ مَنْ ذكرناهم في العام المنصرم.

وفي أوائلِ هـذا العـام، وصلَ إلى مـولانـا الإمـامِ مِـنْ سيِّـدي المولى سيفِ الإسلام، وبـدْرِ الآلِ الكرام، محمـد(٢) بن أمير المؤمنين المتوكـلِ على الله، إمامِ

---

(١) صَبْيَا: بلـدة عامـرة في المخلاف السليماني، شمال جازان بمسـافة ٦٥كم، انظـر هجر العلم، ١١٥٤ .

(٢) محمد بن يحيى بن محمد حميد الدين، سيف الإسلام، الأمير البدر، أمير لواء الحُدَيْدَة ت غرقاً في ١٦ ذي الحجـة ١٣٥٠هـ، عالم، أديب، شاعـر، ولاه الإمام يحيى أعمال قضاء=

---

[١] في س، سلطته.   [٢] في س، الطعام بريمة.

الـزمان، تهنئـةٌ غَـرَّاءُ، وقصيدةٌ عَصْماءُ جَمعتُ بينَ محاسنِ الاستعطـافِ، ولطيف العَتَب، وطلَبِ الاعتابِ والإتحافِ والمدحِ الرفيعِ والمعنى البـديع ولا غرو، فالدّرُّ لا يستخرجُ إلاّ من ذلك البحرِ العُباب، والبلاغةُ لم تقفْ إلاّ على تلك الأبوابِ، وهي كما تـراها، تأخـذُ بـالألبابِ، وتمتـزجُ بالأرواحِ، وتجلـبُ لسامِعِهـا لطافـةَ الانشراح ومطلَعُها[١]. [الطويل]

١٦٧ / نسيمَ الصَّبَا سَلْ في السُّرى بارقَ الجَرْعا ... عن الحيِّ هَلْ عهدُ الهوى عنـدَهُم يُرعى

وخَبِّرهُمو أنّي طلبتُ فَلَمْ أجِـــدْ ... لِعلَّـةِ قلبي في ســوى وَصْلِهِمْ نفعـا

أُهَيْلَ الحمى قـد طلَّق النـومُ مقلتي ... وأبْـدَلَها بـالـدمعِ عـن نفسِهِ خلعـا

أَسَرْتُم وأرسلتُم فـؤادي ومَـدْمَعي ... وذلك شيءٌ لمْ يكُـنْ منكُمُ بِـدْعـا

لَكُمْ في قلـوبِ العـاشقين مضـاربٌ ... إذا تمَّ فيهـا الاتصـالُ انتهتْ قطْعـا

تحيَّرَ أهلُ الحُسْـنِ في كُنْـهِ حُسْنِكُم ... وراحـوا وقـدْ صارَتْ محاسِنُهُمْ جُـدَعـا

إذا افترَقَـتْ أجــزاؤه في جميعهـم ... فقـدْ وجَـدَتْ في فـردِ ذاتِكم جَمعـا

لقـد فُتِنَتْ شمسُ الضُّحى بجمالِكُمْ ... وعـادَتْ وقـدْ صـارَ الغـرامُ لها طَبْعـا

فـأخبرت البـــدرَ المنيرَ بها رأتْ ... فهـامَ وأضحى وهـو ذو مهجـةٍ لَـوْعـا

ومـالَ بصهبـاءِ الهوى، فـانْبَرَتْ لـه ... وســامَتْـهُ قيـداً لا يَطيقُ لـه ضَلْعـا

وصــاغَتْـهُ خُلْخـالاً لإتحافِكُمْ بــهِ ... عسى أنَّها إنْ راسلت شُعِّبَتْ صـدعـا

= الشرفين من أعمال لـواء حَجَّـة، فـاتخذ المحـابشـة مقـراً لـه، ثم عين أميراً على لـواء الحُدَيدة في شعبـان ١٣٤٦هـ، اهتم بفتح المدارس ونشر المخطـوطات التراثيـة، ولد في القفلة في رمضان سنـة ١٣١٦هـ، انظر، تحفة الإخوان، ١٣٨، نزهـة النظر، ٥٩٨، ائمة اليمن، ٢/ ٢٩٠، وانظر الشوقيات، ٣/ ١٦٩، فقد رثاه أحمد شوقي بقصيدة مطلعها:

مضى الدهر يا ابـن امام اليمـن ... وأودى بزيـن شبـاب الزمـن

---

[١] ورد في س الأبيات الأربعة الأولى فقط.

وضمَّتْ أزاهيرَ النجــومِ قــلادةً   بحُسْنِ نظــامٍ لا شبيــهَ لــه قطعــا

وأهْــدَتْ إليكُمْ كلَّ ذاكَ تــودَّدا   هَـدِيَّـةَ صبٍّ صَبَّ مِنْ جَفنِـهِ الـدمعـا

قَــرا كُتْبَـهُ أهـلُ الغــرامِ فسلّمُــوا   وصَلُّــوا إلى محرابِـه الـوِتْـرَ والشَّفْعـا

رجــاءَ وصــالٍ بلْ رجــاءَ إجــابَـةٍ   عليهــا وخـوفــاً أنْ تَـرُدُّوا لـه المَنْعــا

أحبَّــةَ قلبي طــالَ واللهِ هجــرُكُمْ   ألاَ تُبْـدِلُـونـا بعـدَ خَفْضِ الجَفـا رَفْعـا

إذا أشفَقتْ شمسُ الضحى مِنْ جمالِكُمْ   وما قابلتْ في الفضلِ مِنْ نَعلِكُم شِسْعا

فما حيلتـي في وصلِكُــمْ أو وسيلتـي   وقـدْ ضِقْتُ فما نـالَ منّـي الجَفـا ذَرْعـا

أمــا تــرحموا جِسْماً نضــاه فــؤاده   وصـاغَ عليــه من عــذابِ القِلى دَرْعـا

وصَبَّ عليـه صوبَ حُــزْنٍ ولـوعـةً   وأوْدَعَــهُ بعــدَ العــذابِ فـمَ الأفعى

يُشِبُّ نسيـمُ الشرقِ نيرانَ صــدرِهِ   ويُبكيــه ضحكُ البرقِ مـا سَرَى لَمْعــا / ١٦٨

لــه في هــواكُمْ معجـزاتُ نبـوءةٍ   تحدّى بها العُشّــاقَ إذْ عـدَّهــا سَبْعــا

دَمُ مَــدِّهِ بحــرٌ ونــارٌ تـأجَّجَتْ   وشرعُ غـرامٍ قـدْ صُدِعْـتَ به صَـدْعـا

وريحُ الصّبــا في قبضتي إنْ تنسَّمَتْ   أثـرتَ عليهـا مِنْ جوى مهجتي نقعـا

وليلـةَ أسرى بي إلى عــرشِكُمْ غَـدَتْ   مــلائكـةُ العُشّــاقِ مِنْ هَيْبَتي صَرْعى

يُلينُ جــلاميــدُ الحديــدِ تنفّسي   وأفْهَمُ شـدوَ الـوُرْقِ إنْ رَقَّعت سَجْعـا

وكمْ ليَ في شرعِ الهوى مِـنْ قضيّــةٍ   تَـرَدَّدَ فيهــا كلُّ مَنْ يعـرفُ الشَّرْعــا

صِلوني صِلوني قـدْ حَجَجْتُ إليكمو   وفي سَوْحِكُم قد طُفْتُ سبعين لا سَبْعا

وإلاّ تــرِقّــوا لي رَفَعْـتُ شكّيتي   إلى ابنِ رســولِ اللهِ أفضلِ مـن يَسْعى

إلى ملكٍ لــو كــانَ بعــدَ محمــدٍ   نبيٌّ لكــانَ المصطفى بعـدَه قطعــا

إلى ملكٍ معنـى الفضــائلِ ذاتُــه   نما في العـلا والمجـدِ حتى عَـلا السَّبْعـا

إلى ملكٍ لـو سـابَقَ الغيثَ جـودُه … لأعجـزَه فخـراً وأتعبَـهُ صُنعـا
هـو العـامِرُ الـدينَ الحنيفيَّ بعـدَمـا … عفـا رسْمُـه واستظهـرتْ بِـدَعٌ شُنعـا
هـو المالىءُ الآفـاقَ عـدلاً وحكمـةً … وقد حكمتْ حكّامُها العسفَ والضلعا
خليفـةُ ربِّ العـالمين على الـورى … وأفضلُ من يُـرجى وأكـرمُ من يُـدعى
كـريمُ السّجـايـا والمُحَيَّـا بهيبـةٍ … تخرُّ مُنيراتُ النّجـومِ لها رَوْعـا
إمـامٌ يخافُ الـدَّهـرُ من صـولاتِـهِ … لقـدْ صيَّرَ الأيـامَ تجري لنـا طَـوْعـاً
هِـزَبـرٌ تـراهُ في الحروبِ غَضَنْفَـرا … إذا ضـاق فـرسـانُ الطِّعـانِ لها ذرعـا
يسوقُ الكماةَ الأُسْـدَ في حَلْبَةِ الـوغى … فشطـرهم كـالشـاءِ وهـوَ لَهُمْ يَـرْعى
لقــد أذعَن العــاصي وذَلّتْ وأقبَلَتْ … لِهَيْبَتِـهِ الأقيـالُ مسرعـةً هَطْعـا
١٦٩ / لَقَـدْ مـلأَ الأرضَ العـريضةَ فضلُـهُ … ولمْ يَبْقَ جنسـاً للمعـالي ولا نَـوْعـا
منـزَّهَـةٌ عنْ لَـوْ ولـولا صفـاتُـهُ … فما صِفـةٌ منهـا لِلَـوْلا ولـو تُـدْعى
تبـــارى بيمنــاه اليراعُ وسيفُـــهُ … فـذا كـاتبٌ فصلاً وذا كـاتبٌ قَطْعـا
إذا قـامَ دجّـالٌ بتمـويـهِ بـاطلٍ … تَلَقَّتْ لـه مـن عـزمِـهِ حيَّـةٌ تسعى
ومـا هــو إلاّ صـالـحٌ في ثمـودِهِ … فأشقى الـورى مـن في مناواتِـهِ يسعى
بـه اختـالَ هـذا الـدّينُ في بُـرْدِ عـزِّهِ … وَهُنِّيَ عُمْـراً بعـد أنْ كـادَ أنْ يُنْعى
إليـكَ أميرَ المؤمنين قصيـــدةً … نَظَمْتُ بها في سلكِ قـافيتي جَـزْعـا
إذا انخَفَضَتْ تحتَ الثرى فنظـامُهـا … بِـذِكْـرِكَ من فـوقِ الثّـريـا سمى رِفْعـا
وهيئتَ عـامـاً قـادمـاً بمسرةٍ … مقـاديـرُه فيما تـريـدُ بـه تسعى
وبـالفـالِ أرِّخْ نجم عـزِّك طـالعٌ … لـه الله يـا يحيى بتـوفيقـه يَـرعى[١]

سنة ١٣٤٠

---

[١] أي بحساب الجُمَّل ١٣٤٠ .

ولما دخلتْ هذه اللطائف إلى غرفِ الأسماعِ، ومثلتْ مثولَ الاستحسان لَدُن مولانا الإمامِ، وهو مليكُ البلاغةِ والإبداعِ، أجابَ نجلُه الكريمُ بنظامٍ يُخْجِلُ النسيمَ رقةً ولطافةً ويناطح الكواكبَ جزالةً وأناقةً ومطلعه:

[الطويل]

أمانـاً فمِنْ حقِّ المُتيَّمِ أَنْ يُرعى | وجوباً على المختالِ في حُسْنِهِ شرعا

[١]ومَن مديحِه الجزلِ:

همامٌ إذا عُدَّ الفحولُ وصارمٌ | يصولُ وبدرٌ طالَ إشراقُه لَمعا
لـه الهمـةُ القَعْساءُ تِرْبٌ وشانُـه | عظيمٌ وأسرارُ النُّهى فيه تُستَدْعى
وكـانَ بحمـدِ اللهِ أكملَ سيـدٍ | عَلا فوقَ هامِ النجمِ وانتعلَ الهقعا
وجلَّتْ معاليـه كما طابَ أصلُـه | حلالاً وطالَ المجدُ مِنْ نُبلِهِ فرْعا

/ ومنه: / ١٧٠

وقد جاءني منك النّظامُ كأنه | فواكهُ جنّاتٍ دَنَتْ وزَكَتْ يَنْعا
أنالَكَ ربُّ العرشِ طَوْدَ فضيلةٍ | وليس الذي أعنيه رضوى ولا سلْعا
وأبقاكَ محمودَ المساعي متوَّجاً | تُداني من الآمالِ أعظمَها مَسْعى
بجاهِ رسولِ اللهِ أفضلِ مَنْ مشى | وأسرى به الخلاّقُ فاخترقَ السَّبْعا
عليه صلاةُ اللهِ ثمّ سلامُهُ | معَ الآلِ ما صبَّ الحَيا صوبَهُ هَمْعا[١].

ومِمَّنْ رفعَ إلى مقامِ مولانا الإمامِ - عليه السلامُ - تهانيَهُ بقدوم هذا العام، سيّدي فخرُ الدين هُمام بني الرسول الأمين، المولى عبدُالله بنُ إبراهيمَ، بنُ الإمام(١)، وذلك قوله[٢]:

---

(١) عبدالله بن ابراهيم بن أحمد بن ابراهيم بن المهدي ت شعبان ١٣٤٩هـ، أديب، شاعر، كان له شأن في العهد العثماني، تولى القضاء ببلاد كَوْكبَان، هاجر إلى هجرة حوث، قاد حملة عسكرية على إب سنة ١٣٢٣هـ، وفتح المخادر وبعدان ومناطق واسعة من=

[١ - ١] سقطت القصيدة من س. [٢] سقطت من س، ولم يرد في س إلا مطلع القصيدة.

[المتقارب]

تفــرَّد بــالفخـــرِ قطـــرُ اليَمَنْ ... ونـــــالَ مِـنَ الله أسنـى المِنَنْ
بـه الأمْنُ قـدْ سـادَ حتى لَقَـدْ ... أمِنّـــا بـــهِ من ظَـــلام الفِتَنْ
ونِلْنـــا السعـــادَة واستحكَمْتْ ... عـــراهُ فأكْـــرِم بـــه مِـنْ وَطَنْ
سَقَـاهُ الإلـــهُ الشرابَ الطهـورَ ... وأســـدَى لـــه كلَّ فضـلٍ ومَنْ
وأحيَـــا بيحيى إمـــامِ الهدى ... سليـلِ الأئمـــــة محيي السُّنَنْ
منـــارَ الشريعـــةِ واختصَّـــه ... بتـأييـــــدِه فـأرانـــــا السنن
وأرشـــدَنـــا وحمى قُطْـــرَنـــا ... فما مسَّـــــه من كفـــــورٍ دَرَنْ
وقـــدْ حَـاولَ الكـــافـرون القضـا ... على القُطـرِ واستـدْرَجَـوا بـالشَّطَنْ
شيـــاطينُـــه تـــارةً جهّـــزوا ... بجـــازَانَ بعضَ البغـــاةِ الخَوَنْ
وأخـــرى استمالـــوا بأَمْـــوالِهِم ... ذَوِي الجهل اتبـاعَهم من عَـدَنْ
ولكنَّهُـمْ كلَّما أوقـــــــدوا ... على النـــارِ أطفأهـــا ذو المِنَنْ
بِغَيْـثٍ مـن النَّصْرِ مستـأصـلٍ ... لمن حـــــارَبَ الحقَّ منهم ومَـنْ
أعـــانَ ذوي البغي أهلَ الضـلالِ ... ومن كـــان مستخفيـــاً واستجَنْ
ولا تنسَ مـا كـــان مِنْ نجـدِهِمْ ... وأهـــلِ عسيرٍ وداعـي المِحَـــنْ
ونحن نبيتُ بـــراحـــاتِنـــا ... ونصبـــحُ في الأمْـــنِ لا نُمْتَهَـــنْ
وهـــذا الإمـــامُ التقـيُّ الــذي ... يُقـــاسي شـــدائدَ أهـلِ الإحَنْ
يـــواصلُ أيـامَـــهُ بـاللّيـــالِ ... لـــراحـاتِنـا مـــانعـاً لِلْـوَسَنْ
فيـــا قُطـرُ يَهنيكَ كَسْبُ الفَخَـــارِ ... بهذا الإمـــامِ فَطِـبْ واشكُـــرَنْ
ويـــا مَـنْ بـهِ قَـــدْ أقـــامَ احمدوا ... إلـــــهَكُمُ حَمْدَ أهـلِ القَطَنْ

/ ١٧١

= اليمن الأسفل ثم قـاد حملة على مطـرح ذيفان مـن غيال سُريح، كـان ضمن الوفـد الذي سافر إلى استانبول للمفاوضة حول اصلاح اليمن سنة ١٣٢٥هـ، وفتح يريم وله دور في مفاوضات صلح دَعّان، ولد في صنعاء سنة ١٢٧٨هـ، انظر، نزهة النظر، ٣٦٦ .

ولا تبخلــوا بــالــدُّعــا لــلإمــامِ بـأسرارِ أقـــــــوالِكُمْ والعَلَنْ
عَقيبَ الصــلاةِ وعنــد الصــلاةِ على جَـــــدِّه المصطفى المؤتَمَنْ
إمـــامَ الهدى ومُبيــــدَ الــرّدى وبحـــرَ النّــدى ومــلاذَ الــزَّمَنْ
إليك نظـــامَ الهنـــا صــادِحــاً بِشُكْـرِكَ فــالشُّكْــر سـامي الفَنَنْ
ينــاديك هـــذا زمــانُ الفتــوح وعـــامُ الهنـــا وانـــدفـــاع الحَزَنْ
وجـــاءَ بــــه الفـــال أرِّخْ سماً وبـــالفتح بشِّرْ إمـــامَ الــزمن
وإذْ جـــاءَ بــالخير أرخت جـــا تهنّي بعـــامِ انـــدفـــاع الفِتَنْ
وحّطَّ[١] عِـــــداكم بتـــاريخِهِ فـأبْشر عِـــــــداكَ بشرِّ العَطَـنْ
وأرِّخْ كمالَ جيـــوشِ الإمـــامِ أبـــــانَ لهمْ كلَّ نعـتٍ حَسَـنْ
سنة ١٣٤٠

[٢]ولا يخفى على الفَطِنِ اللّبيبِ ما في هـذه القصيدة مِنْ الأُسلـوبِ الغريب، والانطباعِ العجيبِ، وجلالـةُ قدرِ قائلها فـوقَ قدرِها، وله من بنـاتِ الأفكارِ ما يزاحِمُ شَمسَ النهارِ[٢] بهاءً وإشراقاً وعُلّواً/ واتّساقاً[٣]. / ١٧٢

وفي أوائل محرمِ الحرامِ من هــــذه السنـــةِ، وردتِ البُشرى مِـنْ أمير الجيشِ سيِّدي جمالِ الـدينِ، عليِّ بن عبدِالله الوزيـر باستيـلائِه على قلعةِ المقاطِـرةِ، وما حولها عنوةً، وتفصيلُ ما جرى هنـالك، أنّه لمّا وصلَ أميرُ الجيشِ إلى مركزِ قضاءِ الحُجَرِيَّةِ، وتمّ لـه ما أراد مِنْ جَمْعِ الأجنادِ، وما يحتاجُ إليـه من المؤنِ، بادرَ إلى ما ذَكرناه منْ مُرَاسلةِ الباغين، واستمالتهم إلى جانبِ الحقِّ، وتخويفهم مِنَ الأضرارِ الأشق. وقدْ كانَ قبلَ ذلك وصلَ إلى مقام الأميرِ شمسانُ(١) عبدالله من المكابرةِ سـاعيـاً في الإصـلاحِ، وطـالبـاً رفعَ الكفـاحِ، فأرسلَـه أيضـاً مع كتُبِـه، ودارت

(١) شَمْسَـان بن عبدالله المكـابـري: قائد حملـة التمرد في المكـابـرة، وكان يـدعمه شيـوخ المقاطِرة، ولده شاهر بن سيف انظر، حياة الأمير، ٥٥٣ .

[١] في الأصل، وحَظَّ. [٢ – ٢] سقطت من س. [٣ – ٣] سقطت من س.

المراجعةُ بينَ الأميرِ وبينَهـم، فانكشفَ من نهايتِهـا أنهم على العصيانِ مُصرّون، وبقلعتِهم ومـا حَوْلَها من الحصـونِ مُمْتَنِعون، وأنهم لا يرضَـوْن بتمكينِ الحقِّ مِنْ قلعتِهم، وظَهَـرَ منهم العـزمُ على غَدْرِ مـن كان قـدْ أرسلـه الأميرُ إليهم لقبضِ رهائِنِهم إنْ أطـاعوا، ولم ينجُ منهم إلاّ بـالاحترازِ من مكرهم ووسـائلِ غدرهِم. ولما تيقّنَ الأميرُ منهم ذلك، بادرَ بنقل محطّتِـهِ نحوَ تلك الجهةِ. فـاستقرَّ في محلٍّ قـريبٍ مِنْ محلاتِ البُغاةِ، وعبّأ الجنـودَ وقوّى المراتبَ، فجعلَ في الجهـةِ الغربيـةِ عاملَ الحُجَرِيَّة، والسيِّدَ عبدالجليل بنَ أحمد بن علي عبدالجبار[1]، ومعهم جيشٌ نافعٌ وأحدُ المدافع، وفي الجهةِ العدنيـة السيدُ يحيى بنُ محمد الوادعي[2] وجيشٌ وافـرٌ وأحد المدافع، وفي الجهـةِ الشرقيـة عددٌ كبيرٌ تحت قيـادةِ السيـدِ حسنِ بنِ محمد عثمان الوزير[3] ومعهم مدفعٌ أيضاً، ولم يبقَ سـوى الجهةِ القِبْليةِ وقدْ رُفِعَ إلى الأميرِ أنَّ منها يَمتـارُ البغاةُ، ولا يتمُّ حصارٌ بـدون ترتيبها ومضايقـةِ الأعداءِ من جهتِها، وترجَّح لَدُن الأمير أنَّ المهاجَمَةَ والأخـذ عنوةً هو أصوبُ من العُدولِ إلى الحصارِ وانتظـار ما يؤولُ إليه حـالُ البغاةِ من الاضطرارِ، لما في المنـاجزة من الاقترابِ إلى منح الـرَّبِّ الوهـابِ، ولم يرجِّـحْ ذلك إلاّ بعدَ الاستشـارةِ وتكريـر الاستخارةِ، والتقـرُّب إلى اللهِ تعالى بتفـريق الصَّدقـات وتلاوة كتـابِ اللهِ تعالى،

---

(١) شقيق محمـد بن أحمد باشـا، عُين عاملاً لنـاحية مَقْبَنَـة ثم المخا لأكثر من اثنتي عشر سنة، ولما أصيب بمـرض في عهد ولي العهد، فنقل إلى عـدن ومات هناك، انظـر، حياة الأمير، ٥٥٦ .

(٢) يحيى بن محمـد بن محسن الوادعي، مقـدام، شارك في حملات حُبَيْش وصَبر والمقـاطرة، أعتاد أن لا يفارق البندقية ولا لبس الطيار المليء بالذخيرة، انظر، حياة الأمير، ٦٠٦ .

(٣) ما ورد في حياة الأمير، ١٥٠ حسن بن قاسم عبدالله عثمان الوزير، ولد سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٦م، تولى عـدة عمالات بلواء تعـز، آخرها في عُمالـة، حَيْفَان، وعينـه الإمام عـاملاً بجبل راس حيث مات هناك.

استمداداً لتعجيلِ النّصرِ والظفرِ، وإعانةِ التالين بالأموال.

وفي خلال تلك وردَ/ على الأميرِ كتابٌ من حاكم جبلِ صَبر السيدِ عليِّ / ١٧٣ بن محمد بن أحمدَ، السابقِ ذِكْرُه، قدْ أَوْدَعَهُ نظماً بديعاً، فكان فالاً دالاً على النصرِ وقربِ الفتحِ، ومطلعه: [الطويل]

تقدّمْ فَقَدْ ثُلّتْ عروشُ الجبابرةْ ... ودُكّتْ رواسي بغيهم فهي صاغره

[١وشَبَّت بنارِ الحربِ مِنْ حَوْلِ جيشهم ... وثارَتْ عليهمْ في الوغى أيَّ ثائرةْ

فباءوا وقدْ باعوا من الكُفْرِ دينَهُمْ ... بصفقةِ ذَلٍ وهي لا شكَّ خاسرةْ

يظُنّون جَهْلاً مانِعَتْهُمْ حصونُهم ... مِن اللهِ كَلاَّ قُدرةُ اللهِ قادِره

وأنّى لهمْ أمنٌ وقدْ سار نحوهُمْ ... أميرُ اللّوا المشهورُ إنْ سَلَّ باتِرَهْ

سَتعلو ذُراهم أسْدُ حربٍ ضراغمٌ ... عطاشٌ إلى الهيجا وفيها مصابره

كأني بِهِمْ والحربُ قدْ اثختنهُمو ... أسارى وقَتْلى فيهم الطيرُ جازِرَهْ

كذا كلُّ باغٍ سوف يُجزى ببغيه ... على عَجَلٍ والنارُ أضْحَتْ مصائرِهْ

فقلْ لبغاةِ خالفوا الأمْرَ إنّها ... دوائرُ سوءٍ فيهمُ اليومَ دائِرهْ

ألمْ يعلموا ما أوْقعَ اللهُ سابقا ... من الخزي بالقوم العُتاة الجبابِرَه

وأنَّ أميرَ المؤمنين إمامُنا الـ ... ذي فَرَقَتْ منهُ الملوكُ الأكاسِرَهْ

ومنها:

فَدُمْ سيِّدي في موكبِ النَّصْر فاتحا ... معاقِلَها طُراً وليْسَتْ بنادِرَهْ

وتاريخُها حم[٢] إنَّ امامَنا ... سيملكُ جَبْلَ شمسانَ بعدَ المقاطِره

سنة ١٣٤٠

....

[١ - ١] سقطت من س.   [٢] حاميم

وجبلُ شَمْسان[١] الـذي ذكَرَهُ النـاظمُ وعنـاه، هو الجبلُ المُطِلُّ على عَـدنَ، ومن يملكُه يكونُ مالكاً لعدنَ، وهو مُراد الناظم[١].

ولما تمَّ للأميرِ ما ذكـرناه من ترتيبِ الجهاتِ الثلاثِ، انتـدبَ للجهةِ القِبْليةِ السيـدَ الأجلَّ حمودَ بنَ محمـد، حاكـمَ العُدَيْنِ مـعَ جندٍ كثيفٍ، فيـه من رؤسـاءِ المجاهـدين / جماعـةٌ من أهـلِ البصـائرِ والثّبـاتِ، وأصحبَهم المدفعَ السّريعَ، وألـزمَهم الأميرُ بـالمهاجمةِ وتـركِ الحصارِ، وعَيَّنَ لهم الجهـةَ المقصـودة، فبـادروا بالعزم وارتقـوا من محلِّ الجاهلي إلى المحلِّ المقصودِ، فقرّبوا بـذلك من الحصون الأربعة المسَمّاةِ بـاللِّيم[٢]، وهي أربعـة حصونٍ شـواهقُ لا يمكنُ الوصـولُ إلى القلعةِ وحصنِها المسمّى بالتميدني[٣] بدونِ الاستيلاءِ عليها، وقـد كان الأعداءُ حصّنوها تحصُّناً بـاهراً وعمّروا المتاريسَ في جوانِبها، وأوقفـوا فيها رجال القتال، وجميعُ هذه الحصونِ يحمي بعضُها البعضَ الآخر.

١٧٤ /

فلّما رأى الأعـداءُ طلائعَ المجـاهدين، بـادروهم بالحربِ ومتـابعةِ الـرَّمْي، وتـوقَّفَ المجـاهـدون إلى أن تكـامَلَتْ عـدَّتُهم ورتَّبهم قـائدُهم، فجـرى بين الفـريقين حربٌ عظيمٌ وصبرَ فيـه المجاهـدون صبرَ الحر الكريم، وأقـدموا فيـه إقدامَ الأسـودِ، وبذلـوا كلَّ مقدورٍ ومجهـود، وكانَ للمدفـعِ السريعِ أثرٌ كبيرٌ في تقويةِ القُلوبِ، وصبَّرها على تلك الكـروبِ والخطوبِ، فإنَّه نسفَ بعضَ نُوبَهم المستحكمةِ[١] وصـدَّ الغاراتِ، فلمْ تغـرُبْ شمسُ ذلك اليوم إلاّ وقـدْ يسَّرَ اللهُ

---

(١) شَمْسَان: جبل مشهور في الغرب الشمالي من مدينـة عَدن، ويطل عليها، انظر، معجم المقحفي، ٣٦٣، معجم الحجري، ٢/ ٤٥٧ .

(٢) الليم: مجموعـة من الحصون المتماسكة الطبيعية، تشكـل حراسة لقلعة المقـاطرة، وهي تقع شمالها وجنوبها، انظر، حياة الأمير، ٦٢٩ .

(٣) حصن التميدني: أحد الجبال المشهورة في جنوب قلعة المقاطِرة، انظر، حياة الأمير، ٦١٧ .

---

[١] في س، المتحكمة.

للمجاهدين الفتحَ وعظيمَ المَنح، باستيلائهمْ على الحصونِ المُسَمّاةِ باللِّيم، وألجأ مَنْ فيها منَ البغاةِ إلى التردي من شواهِقِها أو الاستسلامِ إلى أيدي المجاهدين، وعمَّ مَنْ فيها القتلُ والأسرُ والتردّي.

وفي ذلك اليوم، تقدَّم أيضاً المجاهدون الذين بالجهة الغربية على قريتي الخَزْفَار[(١)] والقاعدَة[(٢)]، وبعدَ حربٍ غير يسيرٍ استوْلى المجاهدون عليها، وفرَّ منها الأعداءُ، وتقدموا في تلك الجهةِ، إلى أنْ تيسَّر لهم الاتصالُ بالمجاهدين الذين استولَوْا على الليم.

ولم تمَّ لهاتين الطائفتين القيامُ بهذا العمل المبرورِ رفع أمراؤهما خَبر الفتحِ إلى الأميرِ وساقوا الأسارى إليه، فشحذَ الأميرُ عزائم الجنودِ الذين في الجهاتِ الباقيةِ، ونسبَ إليهم التواني، وألزَمَهُمْ بالبدارِ واللُّحوقِ بإخوانهم وقرُبَ بنفسِهِ من إحدى الجهاتِ.

وفي اليوم الثاني، تقدَّم جميعُ الجيشِ من جميع الجهاتِ على القلعةِ/ وحصنِ التميدني، وكان مَنْ فيهما من البغاةِ قد أجمعوا على عدم تسليمِها أو الموتِ دونَها ولم يَفُتَّ في أعضادِهم ما جرى على مَنْ في اللَّيم، لأنَّهم كانوا على غايةٍ من الجهلِ وضعف الأحلامِ، ومن ظنونهم الفاسدةِ أنهم[١] لا يقدرُ عليهم أحدٌ، ولا تؤخَذُ قلعتُهم عنوةً، ومن الغريبِ، أنَّ نساءَهم كُنَّ أكثرَ منهم جراءةً، فإنّهم في / ١٧٥

(١) الخَزْفَار: قرية صغيرة، واقعة غرب جبل قلعة المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦١٩، نُسب إليها الصوفي حميد الدين الخَزْفاري المشهور في بداية هذا القرن الميلادي، انظر أيضاً، معجم المقحفي، ٢١٤ .

(٢) القاعدة: من عُزل المقاطِرة، من عُزلة مكابرة الجبل، انظر، اليمن الخضراء، ١/ ٨٤، اليمن الكبرى، ٤٥، معجم المقحفي، ٥٠٤ .

[١] في س، انه.

أثناء الحربِ كانـوا يسمعون منهنَّ من التوبيخ والتقريـعِ ما يحملُهُمْ على معاودةِ الجدِّ في الحربِ، ودوامَ الإصرارَ والامتنـاعَ، فنهضَ إليهم المجـاهـدون بنيّـاتٍ صادقـةٍ، وأقدامٍ إلى الفـوزِ متسابقـةٍ، فاستمرَّ الحربُ نهارَ ذلك اليـوم من قُبَيلِ الفجرِ، وكان يـوماً مهولاً، أبلى فيه المجاهدون، ولم يهابـوا المنونَ، ولم يصدَّهُمْ عن الإقدامِ والتسابقِ في الارتقاء إلى تلك الشواهقِ ما كان يقذفُهُ عليهم الأعداءُ من الأحجـارِ ولا الصخـورِ التي أرسلوهـا على المجـاهـدين من مدقّـاتِ البـارود، وأعظمُ الأفعال كان لهذه الصخور والأحجار في هذه الحرب.

ومـا زالَ المجـاهدون في تقـدُّمِهم إلى أنْ دخلـوا القلعـةَ وحصنَ التميـدني عنوةً، وحينئـذٍ أيسَ الأعداءُ مـن الخلاصِ، إلاّ بالاستسلامِ والنـزولِ على حُكْمِ الأمير، وخابروا في ذلك مَنْ دخلَ إليهم، وأسكتوا بنـادقَهم، وخضعوا بعد الإباء الشـديـد والإصرار الأكيـدِ، فبادرَ الأُمـراءُ إلى إعـلامِ الأجنـادِ بـذلك، ووقفت الحربُ، وكـانَ إخراجُ النسـاء والأطفـال وإيداعُهم إلى محلِّ الصـونِ عمّا يشين، وجُمعَ الأسـارى، وقـد بلغـوا إلى مئتين وخمسين نفـراً، وبلغ عـددُ القتلى منهم في هذين اليومين إلى المئتين.

وأما شهـداءُ المجاهـدين فكانـوا عدداً غير كثيرٍ، وذلك من وقـاية اللّطيفِ الخبيرِ والغنائمُ التي ظفِرَ بها المجاهدون لا تُحصى.

وفي اليوم الثاني من الفتح، وصلَ الأميرُ إلى القلعةِ وحصونِها وطافَها، ورأى ما هي عليه من المنـاعةِ والحصانةِ، فكان أخـذُها عنوةً لديه بعـدَ المشاهدةِ، من غـرائبِ صنعِ الله وتيسيرهِ، ولمْ يـرجعْ منهـا إلاّ بعد/ ١٧٦ / تـرتيبهـا وتقـرير أُمـورِهـا وإصلاحِ أحوالها وأحـوال الناحيةِ المذكورةِ، وارتفع إلى مركزِ قضـاءِ الحجريةِ.

....

....

ووصلَ إليه أهلُ الزَعازِعِ مُذْعنين للطاعةِ والدخول في سلك الجماعةِ، فأمَرَهُمْ بعمارةِ المساجدِ وتشييدِ المعابد، وكانَ الفتحُ المذكورُ فتحاً عظيماً انتظمت به أحوال قضاء الحُجَرِيَّة وهابه البعيد والقريب، وتحدَّثَتْ به الركبانُ، وأذهلَ مَنْ في قلوبهم مرضُ ضعف الإيمانِ، وارتاعَ له مَنْ في عَدَنَ من عَبَدةِ الصُّلْبانِ، وقويَ به جانبُ الحقِّ، وانهدَّ به رُكْنُ الباطِلِ وانشقّ، ثمَّ كانَ مِنَ الأمير إرسالُ الأسارى[١] صحبةَ ثلّةٍ من عسكرِ النّظام، إلى حضرةِ مولانا الإمامِ - عليه السلام - فوصلوا إلى الحضرة الشريفةِ والإمامُ مقيمٌ بداره السعيدةِ بمحروسِ الرَّوْضَةِ، وقد عمَّهُم الخوفُ والفَرَقُ، واستولى عليهم الجَزَعُ وحلقَ، لما أسلفته أيديهم من الذنوب، فحينَ وقعتْ عينُ الإمامِ عليهم، بادرهم مولانا الإمامُ بما جُبِلَ عليه من مكارمِ الأخلاقِ، وأزال عنهم ما داخلهم من الفَزَعِ والإشفاقِ، وأمَّنَهُم وسكَّنَ رَوْعَهُمْ وأسمعَهُمْ من العتابِ اللّطيفِ ما أخذَ بمجامعِ قلوبهم، فدعوا للإمامِ واعتذروا مما جرى منهم بما كانَ يصلُ إليهم منَ التّخويفِ من ذوي الأغراض.

ثمَّ أمرَ مولانا الإمامُ في تلك الحال بفكِّ أغلالِهم وأطلقَهُم من عِقالِهم، وأمَر لَهُمْ بالكفاياتِ وكساهم جميعاً وأذِنَ لهم بالعَوْدِ إلى أوْطانِهم وديارِهم، فهبُّوا سِراعاً وكانوا قبلَ ذلك لا يُصَدِّقون بالنجاة، ولا يؤمِّلون الفكاكَ مما نسجتْهُ أيديهم على أنفُسِهِمْ من شباكِ الأسرِ وبَلْواه.

وبعدَ مدّةٍ، وصلَ أيضاً إلى مقام مولانا الإمامِ الشيخُ شمسانُ عبدُالله، ومعه جماعةٌ من أصحابه، وقدْ خاضَ أحشاء تهامة وغيرها هائماً على وجهِهِ، فقابَلَه مولانا الإمامُ بالتأمين وأسعفَه بمرادِهِ من الإذن له بالعودة إلى بلدِهِ، والأمرِ

....

[١] في س، الأسرى

برعايتِهِ والأغماضِ عمّا سلَفَ من ذنوبه.

وقد قيلَ في هذا الفتح من الأشعار وبنات الأفكارِ ما يناسبُ ما لَهُ من العِظَمِ وعلوِّ المقدار، [1فمن ذلك ما نظمه سيدي العلامةُ عبدُالوهاب[1] بن أحمدَ بن علي بن يحيى بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن عبدالله، بنُ الإمام المنصورِ بالله القاسمُ بنُ محمد - عليه السلام - وإنّما قدَّمتُ قطعتَهُ على غيرِها لجلالةِ قدرِ قائِلها من العِلْم والعَمَلِ والوَرَعِ الشحيح، وتحرّي مرضاةِ الربِّ، عزَّ وجلَّ، ووجَّه بها إلى سيّدي الأميرِ جمالِ الدين، حفظه اللهُ تعالى، وهي كما تراها/ ١٧٧ /

[الطويل]

نُهنِّي جمالَ الدين بالفتحِ إنّه	لَفَتْحٌ عظيمٌ موجِبٌ أعظمَ الشكرِ
نهضْتَ على اسمِ اللهِ واللهُ ناظِرُ	إليك فنِلْتَ الفتحَ بالسّيفِ والقهْرِ
وحظُّ إمامِ العصرِ في النّاس غالبٌ	حباهُ إلهُ الخَلْقِ مشتهرَ النصرِ
وأجنادُه منصورةٌ أيّن وُجِّهَتْ	وأعداؤه بالذُّلِّ باءَتْ وبالخُسْرِ
فأسألُ ربي أنْ يُطيلَ بقاءهُ	ويحرسُهُ مِنْ كلِّ سوءٍ ومِنْ مكْرِ

ومِمَّنْ نظمَ في هذا الفتح العظيم والمنح الجسيم القاضي إسماعيلُ بنُ عبدالرحمن الأكوعِ الذيبيني، وذلك قولُه من قصيدةٍ طويلةٍ مطلعُها:

---

(١) عبد الوهاب بن أحمد بن علي المعروف بعبد الوهاب بن أحمد الوريث ت شوال ١٣٥٠هـ، علاّمة، أديب، شاعر، هاجر سنة ١٣٠٩هـ إلى الحدأ مؤازراً للإمام المنصور محمد بن يحيى، تولى القضاء في يريم وبلادها، ولد سنة ١٢٨٧هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٠١.

[١ - ١] من عبارة «فمن ذلك ما نظمه إلى وفي هذه السنة السيد الأجل المقدام علي بن علي السراجي، سقطت من س.

[الطويل]

إلهي لك الحمدُ الذي أنتَ أهلُهُ ... بمنِّكَ والإحسانِ جُدْتَ بأفضالِ
على ملّةِ الإسلام بالنصر للذي ... به عزَّ اللهِ وانقمعَ القالي
وليُّ الرّقابِ الحائزُ الفضلَ عن يدٍ ... رضيعُ علوم الطيبيين من الآلِ
إمامُ الزّمانِ الفذِّ يحيى نصرْتَهُ ... وكنتَ له عَوْناً على محوِ إضلالِ
بمنِّكَ مولانا تسنَّم ذروةً ... منَ العزِّ والمجدِ الأثيلِ بإقبالِ
بإحسانِكَ اللَّهُمَّ قدْ طأْ طَأَتْ لهُ ... شوامخُ قدْ دُكَّتْ بكلكها العالي
بهمَّتِهِ العلياء في الذبِّ للعِدى ... عن الدينِ بالسُّمْرِ الجدادِ وبالمالِ
وإخلاصُه الأعمالَ للهِ لا سوى ... دلالةُ هذا فتحُ ذا المعقل العالي

ومنه في صددِ الثناء على أمير الجيش:

[الطويل]

تقدم عن أمر الامام وهمُّهُ ... رضا ربِّه حرباً وسلماً بأحوالِ
وأرقلَ نحوَ القوم بعدَ نصائح ... لهم منه والإنذارُ من قبل إرقالِ
فلمْ يسمعُوا نصحاً فأمضى عزائماً ... إلى أخذِه واللهُ عونٌ له كالي
وجالَ بميدانِ اللِّقا في جحافلٍ ... تسُدُّ الفضا كالأُسدِ أشبالِ أبطالِ
رقى ذروة الحصنِ المنيع بجيشِهِ ... فجرَّعَ منْ فيه مَرارةَ أهوالِ
فبعضُهُم أسرى ومنُهمْ إلى الردى ... تردَّى ومنهمْ مُجْفِلٌ أيَّ إجفالِ
ودوَّخ أقطارَ البلادِ ووأوْثَقَ الر ... هائن والأسرى بضْبطٍ وإغلالِ

/ ٧٨ب.

وهي طويلةٌ استغنيتُ عن إكمالها لما في المذكورِ من الدّلالة على الباقي، وما فيها نفثةُ فقيهٍ لا نفثةُ أديب.

....

....

ومِمَّنْ نظمَ في هذا الباب، وأتى بالعجابِ منْ محاسنِ الآداب السيدُ الجمالي عليُّ بنُ عبدِالله الشامي، وذلك قولُه من قصيدةٍ طويلةٍ الباع في نادي الفصاحةِ ومجالِ الاحسان والملاحة: [البسيط]

يا منزلَ الحيِّ إنَّ الوُرْقَ والبانا ... زَهَتْ قُدوراً وألحاناً وألوانا
وكلّما مرَّ مِنْ عصرِ الشبابِ فيا ... بُشرى لنا أنْ نرجِّيه ويَلْقانا
وإنَّ طالعَنا الميمونَ غايتُهُ ... عينُ السلُّو فبالإقبالِ آوانا
غصنٌ يُعَدُّ له لينُ القوامِ فإنْ ... هبَّ النسيمُ على أعطافِه لانا
شمسٌ إذا نشرَتْ جُنْحَ الظلامِ على ... صبحِ الجبين رأيْتُ الوردَ أوجانا
يا أيها الصبُّ إنَّ الحادثاتِ لها ... في النازحين تباريحاً وأشجانا

وما زال ناظمُ هذه الدُّررِ ساحباً ذيولَ النسيبِ والتشبيبِ حتى تخلَّصَ إلى مدحِ الأميرِ وما تمَّ على يدِه منَ الفتوحِ والخيرِ الممنوح، إلى أن قال: [البسيط]

ما للمقاطِرةِ الفيحاءِ هاجَ بها ... موجُ الضّلالِ فأبْدَتْ مِنْكَ عصيانا
وغرَّها منكَ بالجيدِ المطوِّقِ ما ... لا يستطيعُ إليه الطَّرْفُ إمْعانا
وأوْثَقَتْ أهلَها في عزٍّ منْعَتِها ... ولا يُعِزُّ رداءُ الكِبْرِ شيطانا
حتى دَعَتْكَ بجيشٍ ما قَصَدْتَ به ... إلاَّ تشيُّدَ للاسلامِ أركانا

ومنها: [البسيط]

إنَّ المقاطرة الفيحاء ما نَظَرتْ ... كُفْواً سواكَ ولا أوْلَتْهُ إمكانا
نَثَرْتَ في القيضِ هامَ المارقين لها ... درّاً ومنْ عَلَقِ الأوداجِ مُرجانا

/ ١٧٩ / قلتُ: ولها بقّيةٌ مفرغةٌ في هذا القالبِ البديع، والأسلوبِ الجامع لمحاسنِ البيانِ الرفيع. وممّا قاله الشيخُ الأديبُ اسماعيلُ بنُ أحمد بن قاسم بن يحيى علي

....

....

سعد الجماعي مهنئاً للأمير: [البسيط]

لله درُّ أميرِ الجيشِ إنســـانــا ولا يــزالُ لِعَيْنِ الــدَّهــرِ إنســانــا
بــه تــزيَّنتِ الأيــامُ وابتَهَجَتْ بعــد التعبُّسِ أزْمــانــاً فأزْمــانــا

ومنها بعد نظامٍ بديع:

قُلْ لِلْجَهولِ بأوصافِ الأميرِ أما أَغْنَتْ مضــاربُــه صُمّاً وعميــانــا
كَمْ فتكةٍ في العِدى جلَّتْ مواقعُها حتى أطــاعــوه إسراراً وإعــلانــا
ومــا المقــاطــرةُ القصــوى بقــاصيــةٍ عن بأسِه بل كساها الذلُّ قُمْصَانا
وهــا هــي اليــومَ في أبــوابِ دولتــهِ تُعلى الأذانَ لشكوى[1] مُرِّ مــا كانــا
مِنْ بعــدِ ما كــانتِ الأتــراكُ تاركــةً لها واخــلاطُهــا صيــداً وفــرســانــا

وهي طــويلــة: وقــد قيلَ في هــذا الفتــحِ من الأشعــارِ مــا لا تسُعُــه هــذه الصحائفُ المقصورةُ على سلوك جادةِ الاختصــار، وقد أثبتُّ منها مــا يدلَّ على جســامةِ هــذا الفتح المستجاد، وإنَّ الظنــونَ كــانتْ تحيلُ التمكُّنَ منه، وإبــدالَ صعــوبتِــه بالانقيــادِ والانخــراط في سلكِ مــا مَنَّ اللهُ بــه على مولانــا الإمــامِ منِ التمكين والإسعادِ، وعلى مقــدارِ ما كــان في النفوسِ للمقــاطِرةِ من الصعــوبةِ، وبعدِ المنــالِ، كان تأثيرُ صدى الفتح إعظــاماً له في قلوبِ الــرجالِ، ولا سيما في عَــدَن ومــا جــاورَه، فإنّــه أذعــرَ الإفــرنجَ ومَنْ والاهم، ودكَّ من آمــالِهم بنيــانها الشامخَ وأبلاهم، والله الحمدُ والمنة[1].

وفي هــذه السنــةِ، توفي السيــدُ الأجلُّ المقــدامُ عليُّ بن علي السراجي(١) بعدَ

(١) أحد القادة البارزين في عهد الإمام، عُين عــاملاً على بلاد البُستان بعد صلح دَعَّان من قبل الأتراك ومــن ثم عينه الإمام على نفس المنطقــة، له مشــاركة فعــالة في الــوقائع إلى جانب الإمام، انظر حياة الأمير، ٥٧٥ .

[١] في زورق الحلوى: تعلى الأذان وتشكى مُرَّ ما كــانا، والقصيدة وردت في زورق الحلوى في سيرة أمير الجيش، أمير اللوا للعلامة الأديب الملقب باسم حمود الدولة.

مرضٍ طـال، وكانت إليه عمالـةُ بلادِ البُستانِ، فوجّـه مولانا الإمـامُ عمالةَ تلك النـاحيةِ إلى عهـدةِ الشيخ عبـدِالله بنِ أحمد نـاصر الرمـاح من مشـايخها، فقـامَ بأعمالِها، وأجـالَ نظـرَه في متعـدِّد أحـوالِها [١] وجبي أمـوالِها، وكـانتْ بـواقي الواجباتِ فيهـا كثيرةً، فاشتُهِرَ بحسنِ النُّصْح والمسارعـةِ إلى الامتثالِ والقيامِ بما يؤمَرُ بإجـرائِهِ من الأعمالِ. وكانتْ هذه العمالَةُ قـد تطلَّعَ إليها كثيرٌ من الاعوانِ بعدَ وفاةِ عاملِها، فـانصرفَتْ إلى الشيخِ المذكورِ، وأعرضتْ عمَّنْ تطلَّعَ إليها من ذوي القدر المشهورِ لِما رآه الإمامُ - عليه السـلام/ من المصلحةِ العامةِ المرجِّحةِ لتعيين المذكورِ وتوليتِهِ [١].

/ ١٨٠

وفيها، في أواخر شهرِ صفر، وصلَ إلى حضرةِ مـولانا الإمامِ السيدُ علويُّ بنُ حسنٍ الجفري(١) أكبرُ أعـوانِ سلطانِ لحج عبـدالكريم بن فضل العِبْـدلي(٢)، والشيخُ صالح بنُ سعـد العبادي(٣) من رجالِ السلطـانِ المذكور ومعهم كتبٌ من حكومةِ عـدن مرسلةٌ معهم إلى مولانا الإمـام، ومعهم واحدةٌ من السيارات المسمّاة بالاتومبيل التي تسيرُ بإيقـادِ البنزين فيها، [٢] وهذا البنـزينُ نوعٌ من زيتِ البترولِ المسمى بـالقـاز، الـذي صارَ التعـويلُ عليـه في التسريجِ بهذه الأزمنـةِ المتأخـرةِ، إلاّ أنَّ البنـزينَ أرفعُ درجةً وقـوةً من القـاز [٢]، ووصلَ معهم مهندسٌ

---

(١) السيد علوي بن حسن الجفري: كان وزيـراً لسلطان لحج، قام بدور في المفاوضات مع الإمام ت١٣٧٥هـ/ ١٩٢٥م، انظر، حياة الأمير، ٥٧١ .

(٢) عبـد الكـريم بن فضل بن علي بن محسن العبـدلي ت ١٣٥٢هــ/ ١٩٣٣م، سلطـان لحج، منحته بريطانيـا لقب سير ونشان امبراطورية الهند من الـدرجة الثانية (KCIA)، ولـد في الحَوْطة، وتـولى بعد مقتل ابن عمـه علي بن أحمد سنـة ١٣٣٣هـ، انظـر، هديـة الزمن، ٢٣١، ملوك المسلمين المعاصرين، ٤١٠، الأعلام للزركلي، ٤/ ٥٤ .

(٣) صالح بن سعد بن سالم، أحد امراء لحج، كان مثل وزير للسلطنة، انظر، هدية الزمن، ٢٣٩ .

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س.

هنديٌّ اسمه أحمد خان لأجلِ تركيبِ أدواتِ السيارةِ المذكورة وآلاتِها، لأنها كانت محمولةً على الجمال قطعاً. وهذه السيارةُ أُرسلتْ لمولانا الإمامِ هديةً[1] من الانجليز. فلّما وصل المذكورون إلى حضرةِ الإمامِ، قابلهم بكلِّ برٍّ وإكرامٍ، وأنزلهم في دار ضيافتِه، وكان وصولُ المذكورين فيما ظهرَ لغرضين:

الأول: ما كان من تكليفِ حكومةِ عدن بذلك.

والثاني: بيانُ ما عليه حالُ سلطانِ لحج من الميلِ إلى جانبِ الإمامِ وتمسُّكُه بالموالاةِ، واستمدادِ جلبِ حسنِ النظرِ من الإمامِ إليه.

ولما جرى بين المذكورين وبينَ الإمام، الاتفاقُ، قدّمَ الشيخُ صالحُ بنُ سعد مِنْ نظمِهِ هذه القصيدةَ الآتية وهي: [الطويل]

إلى الركنِ مِنْ بيتِ الإمامةِ نرتمي ... أتَيْناهُ نسعى من محلّ ومُحرِمِ

نجاوِرُ مِنْ شُمِّ الجبالِ ونرتقي ... صعوداً ونُمضيها بجِدٍّ مصمِّمِ

تجشَّمْتُ للعلياءِ أصعبَ مركَبٍ ... وليسَ طِلابُ العزِّ موضوعَ مندمِ

ولذَّ رحيلي للمعالي وإنّني ... متى يدعُ داعٍ للتجَشُّمِ أسأمِ

هضابٌ ووديانٌ ركبتُ صعابَها ... ينشطني سيري إلى خيرِ مقدَمِ

ويُسعدني حبٌّ يجيشُ خواطري ... بترجيعهِ بالقلبِ طوراً وبالفمِ

أقولُ لغيشانِ النجيبِ تجلُّداً ... فإنّك مهما تُسْعَفِ اليومَ تُكّرَمِ

وإلاّ فسعياً ثم حبواً إلى العُلى ... وذاكَ قليلٌ في الشهامةِ فاعلمِ

نزورُ أميرَ المؤمنين لنتّقي ... بزورَتِهِ حرَّ اللّظى من جهَنَّمِ

ونحظى من الدّنيا برؤيةِ وجهِهِ ... ونُدْرِكَ للأدْواءِ أفضلَ مرهمِ

إمامٌ دعا الله والحقِّ جاهداً ... وأبرزَ حُكْمَ اللهِ لم يتكَتّمِ

/ ١٨١

---

(١) انظر حول الهدية والي عدن الجنرال استيورات كتاب، هدية الزمن، ٢٧٠ .

تـردَّى شعارَ الـدينِ والعلمِ والتّقى وقـامَ بأمـرٍ سـاسَـهُ الشرعُ مُحكَمِ
بِسمْتٍ على هَـدْي النبيِّ محمَّـدٍ وسيرٍ على خطِّ الـوصيِّ المكَـرَّمِ
لـه رهبـةٌ في قلـبِ كلِّ منـافقٍ وحبٌّ ثوى في القلبِ من كلِّ مسلم
تُعظِّمُـه كلُّ القلـوبِ وتنطـوي على شَغَفٍ أكـرمْ بـه مـن مُعَظَّمِ
يسـوسُ عبادَ اللهِ بـالـدين والحجى ويهدي إلى طـريـز من الحقِّ مُعْلَمِ
تلينُ لـه الشّمُّ الصّعـابُ وتنتهي بأفكـارِهِ أو بـانتضـا كلِّ لهذمِ
يـروحُ بلُقيـاه الموالي مُسَـوَّداً ويغدو بـه العاصـون في عِطرٍ مَنْشَمِ
رأيتُ بـلاداً أنتَ سُسْتَ نظـامَهـا تُعـدُّ بقـاكـم دائماً خيرَ مَغْنَمِ
إمـامَ الهدى جئنـا إليكـم بـرغبـةٍ وودٍّ سرى من قَبْلُ في اللحمِ والـدمِ
لنـا سَلَفٌ في حبِّكم متعِّمقٌ ونحن على تلك الطـريقـةِ نـرتمي
وإني لشيعيٌّ على كـلِّ حـالـةٍ أَخِفُّ إلى داعي الهدى غيرَ مُـرْغَمِ
ورثتَ بقـايـا مِـنْ محبـةِ مـالكٍ لآلِ عليٍّ لا لهنـدٍ وحنتمِ
وإنَّ لكُمْ في لحجَ فـرداً مشـايعـاً أبـا الفضل ذا ودٍّ عـريـقٍ مُسَلّمِ
يبـادِلُكُمْ من خـالصِ الـودِّ جهـدَهُ ويـوسعكم في الغيبِ شكـرَ متيَّمِ
ويـوليكمُ حُسْنَ النصيحـةِ عـالماً بـأنَّ لكمْ حقـاً على كلِّ مسلمِ
فعطفاً على عبـدِالكـريم إمـامَنـا فـإنَّ لـه فيكـم ولاءَ مُتَيَّـمِ[١]
لـه فيكمـو رأيٌ أكيـدٌ بحبِّـهِ وبيضُ أمـانٍ كـالطـراز المسَهَّمِ
وإنّ لـه حقـاً بطـارفِ ودِّه وتـالـدِهِ مـن كلِّ ودٍّ مقـدَّمِ
شهـادةُ حقٍّ لسْـتُ فيهـا بـزائغٍ ولا جـاليـاً قـولَ الكـذوبِ المذمَّمِ
ودُمْ سيّدي في مرسحِ[٢] العزِ رافلاً وبـاللُّطْفِ والتـأييـدِ والنصر تحتمي
وصلِّ على خيرِ البرايـا محّمـدٍ وأهلِ الكِسـا والآلِ كـلِّ مكـرَّمِ

/ ١٨٢

....

[١] في ص، متمم. [٢] في س، مسرح.

قلت: وقد أثبتُّ هذه القصيدةَ كاملةً، لما فيها من البيوتِ العامرةِ، والدلالة على مرادِ هذا الوفد الذي كان إيضاحُه قريباً.

وبعدَ أيـام رفع الشيخُ صالحُ بنُ سعد إلى مقامِ مـولانا الإمام أبياتـاً رائعةً، وقطعةً من النظْمِ فائقـةً، فاستحسنها مولانا الإمامُ، ولمْ أظفـرْ بها حالَ التحرير، فكـانَ الجوابُ عليهـا من الحضرة الشريفـة، بما تـراه، وهي من بحـر الأصل ورويِّه[١]:

[الرمل]

لا ومَنْ إنْ لاحَ جَـلاَّ الغيْهَبـا ... أو رآه كـامِلُ النُّسْكِ صَبـا

أو تبَـدَّى بـاسماً عـن لـؤلـؤٍ ... علَّم البرْقَ اللّمـوعَ الأشنَبـا

أو تـرامى فـوقَ أقـدام لـه ... شـافـعٌ من شعـرِه قـد حُجِّبا

وإذا مـا سَلَّ مـن ألحاظِـهِ ... سيفَهـا الهنـديَّ أبـدى عَجَبا

أو تثنّـى بقـوام غَنج ... رَاقـص القَلب مُجِداً وسَبَـا

يتهـادى في مُـلا بهْجتِـهِ ... فيـودُّ الحَفْـنُ لـو كـان رُبى

أو تجلَّى مُسْفِـراً عن قَمَـرٍ ... لاحَ من مطلعِـهِ أوجَ القبَـا

وبـواوِ الصَّدْغِ أوْ عقـربِـهِ ... وبخـالٍ زانَ خـداً مُـذْهَبـا

وبخمـرٍ مـن لَماه أَسْكَـرَتْ ... لم تجدْ في الكَـرْمِ أُمّـاً وأَبـا

/ ١٨٣

عُتِّقَتْ لكنّهـا مـا عُتِّقَتْ ... أوْ أتَتْ تتلـو علَينـا الحِقبـا

مـا سمِعْنـا مثـلَ نظم رائقٍ ... رَوْنَقُ الحُسْنِ إليـه انتسبـا

بَهَرَتْ أبيـاتُـه مـذْ سَحَـرتْ ... أيُّ سحرٍ منه ذو السحـر اختبا

مائلَ الـروضِ إذا الروض همى ... وابلُ السُّحْبِ بـهِ انْسَكَبـا

وأرانـا نُـزْهـةَ الطَّـرْفِ كما ... شـاءهُ الطَّـرْفُ جمالاً مُعْجِبـا

وانْبَرَتْ للسَّمْعِ منـه نغمـةٌ ... مـا لشحـرورِ الحمى منهـا نبـا

---

[١] هذه القصيدة من بحر الرمل وقصيدة صالح بن سعد من البحر الطويل فيقتضى التنبيه لذلك.

إنـــه قـــولُ أميرٍ مـــاجـــدٍ صـــالح سعـــدٍ نبيـــهٍ أنجبـــا
مَثَّلَتْ فطنتُـــهُ ذاتُ الّـــذكـــا ذلك النّـــورَ وقَـــدَّتْ حُجُبـــا
وأبـــانَتْ صِـــدْقَ مـــا أخبَرَه ذو الهوَى فيـــه وجَّلتْ سَبَبـــا
وهـــو مِنْ أخـــلاقِـــهِ زاهـــرةٌ غُصْنُـــهُ يحسُدُهـــا زهـــرُ الـــربى
وإلى آلِ عبـــــادي يمَّمَـــتْ في شراهـــا وتـــرقّـــتْ نَسَبـــا
فليقُلْ مـــا شَـــاءَ فيـــه نـــاطِقٌ إنّـــه بـــالصَّمْتِ أقـــوى مـــذهبـــا
يـــا أميرَ النَّظْـــمِ وافى نظمُكم ينشُرُ الميْتَ ويـــدعُـــو للصِّبـــا
هَـــزَّ مني عَـــامِـــلاً أعـــرِفُـــه سابقـــاً والشيـــبُ لم يأتِ الخِبـــا
فتكلَّفْتُ وعـــذري ظـــاهِـــرٌ إنْ أُكُنْ قـــابَلْتُـــه محتسبـــاً
لا عـــداكَ الخيرُ في الـــدهـــرِ ولا زالَ عنكَ الـــرشدُ ما هبَّـــتْ صَبا

ولما وصلَ إليه هـذا الجوابُ، وهزَّ منه أريَحيَّةَ الاعجاب، تحركَتْ منه عواملُ الثناءِ والإطـرابِ، وقد أخَـذَتْ بمجامعِ قلبِهِ مكـارمُ أخلاقِ الإمـامِ، وغرَق من لطفها في بحـرِ المحبّة والغـرام، فرفَع إلى مـولانا الإمامِ - عليـه السلام - جـواباً صـاغَه في هـذا القالبِ النفيسِ وأوْدَعـه من المعـاني ما هـو/ جديـرٌ بالإثبـاتِ والتّكْريس وهو[١]: [الرمل]

١٨٤ /

من تثّني عطفِهـــا نشْرُ الكبـــا وشميمُ المسكِ أو زهـــرُ الـــربى
ذاتُ حُسنٍ لم تفـارِقْ خِـدْرَهـا أخجَلتْ قلبـــاً تـــرامى فَصَبـــا
يـــا لَقـومي مِـنْ جمالٍ بـاهـــرٍ نـــاضرٍ أبْصَرْتُـــهُ دونَ الحبـــا
مَـــا دعـــاني الهوى إلاّ الهوى فِطْـرتي مِنْ وقتِ أيـــام الصّبـــا
غيرَ أني كـــاتمٌ مـــن لَـــوْعَتي كلَّما حـــرّكْتُ من دهـــري أبى
شرفُ الملـــوكِ عقـــدٌ بـــاهـــرٌ فـــارتقـى بـالنظمِ مِنـــه منصبـــا

[١] سقطت من س.

مــــن أميرِ المؤمنين المنتقــــي صفوةُ الأخيـارِ مـن أهلِ العَبَا
مِنْ حَميـدِ الدين مَـوْلانا الـذي حلَّ من عَلْيـا المعَـالي المنْكِبَـا
جَـدَّدَ الملكَ بجـدٍّ بـاهـرٍ وأعـادَ الـديـنَ نسْجاً أقْشَبـا
إنْ سمى لـلأمـرِ فيـه صالحٌ قـالـت العليـاءُ أهـلاً مـرحبا
أو تجلّى للعِــــدى في بأسِــــهِ سـامَهُمْ خسفـاً بعسَّالِ الضّبا
أو تحلّى بـالـرِّضـا عـن عبْدِهِ فـازَ بـالعطفِ ونـالَ المطْلَبا
كلُّـــــه خيرٌ وفضلٌ سَلْ بــــهِ فِعْلَـهُ تسْمَعْـهُ عَنْهُ مُعْـرَبـا
يأمَـنُ السَـالكُ في أقطـارِهِ مِنْ أقـاصيهـا إلى أرضِ سبـا
لا يخافُ الحيــفَ والجورَ ولا يــدرِكُ الخوفُ بــه قـد طنبـا
حبـذا المولى عيـاذا للـورى وإمـــامــاً إنْ تجلّى أعتبـــا
يا إمـامَ الوقـتِ والعصرِ الذي منحَ اللهُ بـــه خيرَ الجبـــا
رُبَّ يــوم في هــواكـم أبتغي أصعبُ الصعبِ لنفسي مَـرْكَبـا
عِشتمــو في بهجــةٍ لا تنتهي وسعــودٍ مشرقٍ لن يغـرِبــا / ١٨٥

قلتُ: وقد كـانَ من السيِّد محمـد بن [علوي][1] السقَّاف(١) المكي مـرافقةُ المذكـورين في السفـرِ من لحج إلى حضرةِ الإمـامِ. والمذكـورُ رسـولٌ قـادمٌ من الشريفِ حسينِ بنِ علي بن محمـد بن عون، ومنـدوبٌ من طرَفِـهِ للمراجعـةِ فيما قدِمَ لأجلِـه الشريـف ناصرُ بنُ شكر في السنـة السابقـةِ، ووصلَ ومعه كتبٌ من الشريفِ الحسين إلى حضرةِ الإمـامِ، فلبثوا بـرهـةً في الرَّوْضَـةِ حين كان الامـام مقيماً بها.

(١) محمد بن علـوي السقَّاف: أحد أعضـاء مجلس الشيوخ الـذي شكله الشريف الحسين بن علي بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٣٣٤هـ/ اكتوبر ١٩١٦م، انظر، أسرار الثـورة العربية الكبرى، ١٢٨ وورد اسمـه في عمـدة القـارىء محمـد بن أحمد السقـاف، والأول هـو الصحيح.

[١] بياض في النسختين والإضافة من أسرار الثورة العربية لأمين سعيد، ١٢٨ .

ولما قوّض مـولانا الإمامُ منها خيـامَ الإقامةِ، ارتحل المذكورون جميعـاً برحيلِ الإمامِ، وأقامـوا في صنعاءَ، ودارَتْ بينهم وبينَ الإمامِ مراجعـاتٌ، ثمَّ قفلَ السيد علويَ ورفيقُـه راجعَيْن إلى لحج، وقد حمدا زمنَ الإقـامةِ، ورأيـا بأعينهما وقلوبهما ضخامـةَ الإمامةِ، وبقي السيد محمـد السقاف ملحاً في إسعـافِ مولاه الشريف إلى مأمولِهِ، وإسعادِهِ إلى ما طلبَهُ من توثيق العُرى، والإقبالِ إلى مقبولِهِ، فترجَّحَ لَدُنْ مـولانا الإمام - عليـه السلامُ - انتـدابُ السيدِ [١]عزِّ الإسلام[١] محمدِ بن محمد زبارة وإرسالُـه إلى مكةَ مرافقاً للسيد محمد السقـاف للمراجعةِ فيما يرغبُ فيه الشريـف الحسين، وأصحبه مـولانا الإمامُ بما اقتضـاه الحالُ من البيـانِ، وما ينبغي التعويلُ عليه في هذا الشأن، فتـوجّه المومى إليهما إلى تلك البقاع، وكانت طريقُهما من لحج فعدن، ومن هنـالك ركبا على الوابورِ إلى جَـدَّةَ ومنهاَ إلى مكةَ، فاستُقْبل منـدوبُ مولانـا الإمامِ عنـدَ وصولِـه أجملَ استقبالٍ، وحلَّ ضيفـاً لدن الشريـف الحسين، وواجَـه هنالكَ رجـالَ مكةَ ومَنْ فيهـا من الرؤسـاء والعلماءِ . ولقد وَصَفَ من تعظيمهِم لـلإمام - عليه السـلام - ما يليقُ بمثلهِم من جيرانِ حرمِ اللهِ ولهجتُهم متحدةٌ في الدعاءِ لمولانـا الإمام، وبعد مكثِ المندوبِ هنالك برهةً واجتماعِـه مراتٍ متعددةً بالشريفِ، قفل راجعـاً إلى اليمنِ من طريق عدن إلى أنْ وصلَ إلى حضرة الإمـامِ، وأوْدَعَ ما حملَـهُ من تلك الجهاتِ مِنَ الإفـاداتِ، ورفعَها إلى مسامعِ مُرْسِلِه.

وقد كان مولانا الإمامُ أصحبَه عنـدَ عزمِه إلى تلك الأماكنِ المقدسةِ نصيحةً عامةً لإخوانِ الدينِ/ وهي مصدَّرةٌ بنثرٍ جاء نصُّه: / ١٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

أمـا بعـدَ حمدِ اللهِ الـذي أرسى قـواعـدَ الإسـلامِ، وأمـرَ أهلَـه بـالاجتماعِ،

....

[١ - ١] ورد في س، العلامة.

والتمسُّكِ بحبلِه والاعتصام به، وجعلَهم شهداءَ على الكافةِ وأوْطأهُمْ من العزِّ بحبوحتَهُ وأكنافَه، وحثَّهم على معالي الأمورِ، وفتحَ بماضي عزمِهِم الأقطارَ والثغورَ، وملّكَهُمْ بصدقِ النيّاتِ غُلْبَ الرقابِ، وجعلَهم الحكامَ بالسنةِ والكتاب، والصلاةُ والسلامُ على من أكملَ اللهُ به النعمةَ، وأرسلهَ للعالمين رحمةً، سيدِنا ومولانا محمدِ بنِ عبدالله، سيدِ العربِ والعجمِ وعلى آلِه وأصحابِه عصمِ الأممِ منارِ الظلمِ، فهذه نصيحةٌ جامعةٌ قائلةٌ بالحقِّ إنْ شاء اللهُ نافعةٌ داعيةٌ لإخوانِ الدينِ إلى الاجتماعِ والعملِ بالحقِّ والاتباعِ، فقد وَضُح السبيلُ واستنارَ الدليلُ، وأكْمَلَ اللهُ هذا الدينَ بما جاءَ في كتابِه المبين، وعلى لسانِ رسولِه الأمينِ، قال اللهُ سبحانَه وتعالى: ﴿**اليومَ أكملتُ لكمْ دينكُمْ، وأتمَمْتُ عليكم نعمتي، ورضيتُ لكم الإسلامَ دينا**﴾(1). وقال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وآلِه وسلم «ما تركتُ شيئاً يقُرِّبكُمْ إلى الجنةِ إلاّ وقد دَلَلْتُكمْ عليه، ولا شيئاً يباعدُكم عن النارِ إلاّ وقدْ حذَّرْتُكُم منه». وإنّ في كتاب اللهِ وسنةِ رسولِه، صلّى الله عليه وآلِه وسلم، كفايةٌ لمن وَعى وكتابُ اللهِ ناطقٌ بوجوبِ الاجتماعِ وعدم الافتراقِ، وفي أفكارِ ذوي الاستبصار ما يوضحُ المسالكَ لكلِّ ذي حَمِيّةٍ على نصرِ الدينِ مُتهالك: [المتقارب]

فما بالُنا الأمسِ أسْدُ العرينِ ... وما بالُنا اليومَ شاءَ النَّجَفْ
وفيناث السيوفُ تسوقُ الحُتوفَ ... وتُفْني الألوفَ وتنفي الصَّلَفْ
وفينا الرجالُ أسودُ النِّزالِ ... بِسُمْرٍ طوالٍ بها الدينُ دَفّ

جمعَ اللهُ شملَ المسلمين، وإخوانَ الدين، ووفّقنا جميعاً السلوكَ نهجَ الحقِّ المبين، وبصَّرنا طرقَ النجاةِ، وأخذَ بنواصينا إلى ما فيه رضاه، اللهمَّ آمينَ، [1وَصلّى اللهُ وسلّم على محمدٍ وآلِه1] وسلامٌ على المرسلين والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

---

(1) المائدة، آية، ٩٨ .

[١ - ١] سقطت من ص.

[الطويل]

١٨٧ / مُغَلْغَلَـةٌ منشـورةٌ في المحـافِلِ تهيمُ وتَـذري الـدمَ تهيـامَ ثـاكلِ
لِما حـالَ بينَ المسلمين وعـزِّهم وبينَ عُـلاهم مِنْ وبى التَّخـاذل
إلى بلـدِ اللهِ الحرام تـوجَّهَتْ إلى مَطْمَحِ الآمالِ مَرْقى الوسائلِ
إلى منبعِ الإسـلام مجمعِ أهلِـهِ مـلاذ هِمو عنـدَ احتـدامِ النُّـوازلِ
بأمِّ القـرى حطَّتْ ركـاباً وأنقـذتْ صـوارخهـا تغشى صُرومَ القبـائل
بإخـوانِ دينِ اللهِ أضحى هتـافُهـا بِبَـدْوٍ وحُضَّـارٍ مقيمٍ وراجـلِ
تُحَصِّـنْ جميعَ المسلمين حفيّـةٌ لقـاصٍ ودانٍ لا تُصيخ لِعـاذل
تنـادي بأسماعِ الحجيج بجمعِهِم وخيف منىً عند ازدحـامِ المحامل
وفي عرفـاتٍ موقفِ العُـرْفِ أضْرمَتْ بنـارِ حفـاظٍ مغليـاتِ المراجل
وعجَّتْ وشقَّـتْ جيبَ درعٍ وأَعلَنَتْ مكـرَّرَةً تـدعـو بصوتٍ مـواصِل
أمـا آن يـا قـومُ التفـاتٌ لما عَـرى وإجماعُ آراءٍ لـدفع غـوائل
هلّمـوا أفيقوا أخـوةَ الدينِ واحـذروا دواهيَ دَبَّتْ بـالسَّمـومَ القـواتلِ
وحـدُّ شفـارٍ جـرَّدَتْها يـدُ العُـدى لفَـرْيِ أديمِ الـدينِ تجريـدَ خـائل
فمالي أراكُـمْ غـافلين وأنْتُمـو أولُـو الحزمِ من كيـدِ العـدوِّ المماحلِ
ألا أيقظـوا أحـلامَكَمْ وتنبَّهُـوا لما مُـدَّ في سـاحـاتِكِمْ من حبـائلِ
ديـارُكُمـوا لا تُنْشِبُنَّ مخالبَ الـ عـداةِ بها تضحـوا فـريسـةَ آكلِ
وكـونـوا يـداً عنـدَ الشّـدائِد تـرتَقُـوا من العـزِّ أعلى شـامخاتِ المعـاقلِ
أميطوا ثيابَ العـارِ والخسفِ عنكُمو بنخـوةِ آبـاءٍ عن الضَّيْـم نـاكلِ
أيـا قـومُ هبُّـوا شمِّـروا وتعـاضَـدُوا وحـوطـوا ذِمارُ الـدينِ عنْ كلِّ مـائلِ
كما فعلتْ أصحـابُ طـه ومنْ تـلا هُمو قـافيـاً آثـارهُمْ مِنْ حـلاحلِ

....

....

همو فتحو أقصى البلادِ وحصَّنُوا ثغوراً تسامَتْ عن يدِ المُتَطاوِلِ /
همو كسَروا كِسْرى الملوكِ وقصَّرَتْ يَدَيْ قيصرٍ منهمْ جموعُ الجحافِلِ
هُمُو ربأُوا الإسلامَ وانتصروا له بعزْمٍ وإقدامٍ وشدَّةِ باسِلِ
وشادوا له قصْراً منيعاً وسوَّروا حِماهُ بأسيافٍ وسُمْرٍ ذوابلِ
همو نشروا للدينِ أغلى مطارفٍ همو نسجُوا أصفى برودِ الغلائلِ
هُمُو غرسوا دَوْحاتِهِ اللاّتِ أثْمَرتْ بأحلى جنىً للطّاعمِ المتناولِ
همو سَلَفُ الخيرِ الكرامِ وإنّكُمْ لَهُمْ خَلَفٌ فابنوا فخارَ الأوائلِ
ولا تصبحوا فوضى ولا تتفرَّقوا وذبُّوا عنِ الأعراضِ ذبَّ المُصاوِلِ
أطيعوا أولي الأمرِ الذين أُمِرْتُموا بطاعتهم في واضحاتِ الدّلائِلِ
تواصَوْا بصبرٍ وابذُلوا أنفُساً زَكَتْ لإحياءِ حقٍّ أو إماتةِ باطلِ
بهذا أُمِرتُم أيُّها القومُ فاعلموا ولا تغفَلُوا فاللهُ ليسَ بغافل
وهذا كتابُ اللهِ فينا ونورُه وبدرٌ هداهُ طالعٌ غيرُ آفِلِ
وسنّةُ خيرِ المرسَلين وبحرُها الـ عُبابُ نَميرُ الوردِ عذْبُ المناهِلِ
تأسَّوْا بطه أُمَّةَ الرُّشْدِ واعملوا بقولٍ وفعلٍ واقتفاءِ شمائِلِ
نبيٌّ له أيدي العنايةِ أُلْبِسَتْ منَ اللهِ أعلى سابغاتِ الفضائلِ
به نَسَخَ الأديانَ أظهَرَ دينَهُ وأيَّدَهُ بالمعجزاتِ الفواصلِ
وأُمَّتُهُ قد أصبحَتْ خيرَ أمّةٍ بُحِكْمِ إلهٍ نافذِ الحكمِ عادلِ
[١ فلا تهنُوا ولا تحزنوا قوم ابشروا[١] بنصرٍ وتأييدٍ مِنَ الله عاجلِ
إليكُمْ بني الإسلامِ منّا ألوكةً شذا عَرْفِها يُزْري بطيبِ المنادلِ
على أحمدٍ والآلِ والصَّحْبِ خَتْمُها أتمُّ صلاةٍ في الضّحى والأصائِلِ

تمت

[١ – ١] في البيت خلل عروضي ويستقيم إذا قُرِىء: فلا تهنوا يا قومُ أو تحزنوا أبشروا.

/ ١٨٩ / ولّما وَعَتْ أسماعُ سكـانِ بلـدِ اللهِ الحرام هـذه الرسـالـةَ، وقـامتْ بنشرِهـا جـريدةُ القِبْلَـةِ[١] التي في مكـةَ، كان لها في النفـوسِ أعظمُ تأثيرٍ، وأجملُ تعظيمٍ وتوقيرٍ، وهي جديـرةٌ بذلك، فقدْ أُوْدِعَـتْ من النصائحِ والتذكـيرِ ما يلينُ منه صمُّ الجلاميـدِ فضـلاً عن القلوب، وأبْرَزَتْ مِـنْ أساليبِ الفصاحـةِ والبلاغـةِ أبدعَ أسلـوبٍ، ولذلك انبرى الشيخُ فـؤاد الخطيب[٢]، وكيلُ خارجيـةِ حكومةِ الحجازِ للجواب عليها، والجوابُ المذكورُ بمكـانٍ من الإبداعِ ودرجةٍ رفيعةٍ من حسن الأسماعِ وإهداءِ النـافعِ إلى الأسماعِ، وهو ما تراه مـرسوماً وبأنامل الـرغبةِ مرقوماً:

---

(١) جريـدة القبلة: جـريدة الثورة العـربية الكبرى، صـدرت سنة ١٥ شـوال ١٣٣٤هـ، رئيس تحريرها فؤاد الخطيب.

(٢) هو فؤاد بن حسن بن يوسف الخطيب ت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، ولد في دمشق في قرية شحيم قـرب بيروت سنـة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م، ودرس في الجامعـة الأميركيـة ١٩٠٤، عمل مدرسـاً في المدرسة الأرثوذكسية في يافـا، ثم كلية غوردن بالخرطـوم، انضمَّ للثورة العـربية الكبرى ١٩١٦، وتـولى تحرير جـريدة القبلـة، وكان وكيل الخارجيـة للشريف حسين بن علي، حضر مؤتمر فرساي مع الشريـف فيصل وسمي أميناً للشؤون الخارجية في القصر الملكي بـدمشق ١٩١٩م، واستدعي إلى مكـة وكيلاً للخـارجية، وبعـد سنة ١٩٢٤، أصبح مستشـاراً للملك عبـدالله بلقب بـاشـا حتى ١٩٣٩م ومن ثم التحق بالعاهل السعودي عبـد العزيز بن عبد الرحمن، حيث عينه وزيراً مفـوضاً في افغانستان من ١٩٤٧م، له العديـد من المؤلفات والدواوين الشعريـة انظر، مجلة المجمع العلمي العـربي، ٣٢/ ٥٤٢-٥٤٤، ديـوان الخطيب ١٩٥٩م، آداب العصر، ٢١١، الأعـلام للزركلي، ٥/ ١٦٠ .

[الطويل]

دعوتَ وقد أسْمَعْتَ يا خيرَ قائِلِ ... مُغَلْغَلَةً ليستْ تصيخُ لعاذلِ

نَسَجْتَ لها مِنْ وشي صنعاءَ بُرْدَةً ... مُحَبَّرَةً أَزْرَتْ بوشي الخمائلِ

وما هي إلاّ صرفةٌ مِنْكَ أُنْشِرَتْ ... كنفحةِ إسرافيلَ ميْتَ الأوائلِ

أهَبْتَ بهم من سُدْفةِ الغيب فانْطَوتْ ... لصوتك أجيالُ المدى المُتطاوِلِ

فيا ابن الذي هزَّ الجزيرة بعدما ... هَوَتْ فَسَمَتْ فوقَ الذُّرى والمعاقلِ

ومدَّتْ على كسرى وقيصرَ ظلَّها ... بأبيضَ بتَّارٍ وأسْمرَ ذابلِ

وكانت منارَ العلمِ في كلِّ بقعةٍ ... من الأرضِ في ليلٍ من الغيِّ لائلِ

وفي البحرِ منْ أسطولِها كلُّ سابحٍ ... وفي البرِّ من أبطالِها كلُّ باسلِ

غَضِبْتَ لدينِ اللهِ غَضْبةَ صادقٍ ... ولستَ عنِ الدّاءِ الدفينِ بغافلِ

ومثلُك يا فرعَ النّبوّةِ للهُدى ... ومثلُكَ منْ يَقْتَصُّ منْ كلِّ باطلِ

شمائلُ كانتْ في أبيكَ وإنّها ... لأعرقُ ما في آلِهِ مِنْ شمائلِ

دلائلُ تعزوهم إليه وحسْبُهم ... على النّسَبِ الوضّاحِ غرُّ الدلائلِ

كفى حُزَناً ما بالجزيرةِ مِنْ جَوىً ... وما امتدَّ في أرجائِها من حبائِلِ

تحومُ كما قالَ ابنُ عبّاس رَخْبَةٌ ... ولم يَبْقَ منها غيرُ كفَّةِ حابلِ

أَيَنْجُمُ منها يومَ شدَّ صلاتَها ... مُسيلمةٌ يجتثُّها بالتّخاذُلِ

لئِنْ نالَ منها مغنماً كانَ مَغْرَماً ... فما هو إلاّ في يدِ المتناولِ / ١٩٠

بني عمِّنا هيهاتَ تبردُ عَبْرَةٌ ... إذا انْطَوَتِ الأعلامُ غلةَ ثاكلِ

بني عمِّنا منْ يَرْمِكُمْ يَرْمِنا معاً ... ويقضِ علينا مُمْعِنا في المَقاتلِ

بني عمِّنا ما أرْهَبَ العُرْبَ دولةٌ ... إذا اتَّحَدَتْ واستَمْسَكَتْ بالوسائلِ

بني عمِّنا ما أيْسَرَ المجدَ مَطْلَبَا ... إذا اجتمعتْ أشتاتُ تلك القبائلِ

....

....

بني عمِّنـا لا بـاركَ اللهُ بـالـذي ... يخونُ ويأبى غيرَ بثِّ الـدّخـائلِ

فـويحَ الذي يستنصِرُ البغيَ مُسْرِفاً ... ولمْ يصِلِ الأرحـامَ أوّلَ واصـلِ

حـذارِ فما لِلْعُـودِ غيرُ لحائِهِ ... وليسَ بِـوَاقٍ مستعـارُ الغـلائلِ

وقفتُ بَجَرْعـاءِ الجزيـرةِ مُطْـرِقاً ... أُكَفْكِفُ مِنْ غَرْبِ الـدُّموعِ الهَوامِلِ

طـوائفُ في طولِ البـلادِ وعرْضِهـا ... روازحُ تحتَ الضَّيْمِ نهبُ الغـوائلِ

فقلتُ وللتـاريخِ صيحـةُ زاجـرٍ ... أأنـدلسٌ أخـرى وطعمـةُ آكلِ

أكـارثـةٌ مـرَّتْ فكـرَّتْ مُغيرةً ... وكيف وفيهم كـلُّ كـافٍ وكـافِلِ

عفا اللهُ عنْ ماضٍ مـن الخُلْفِ غابرٍ ... وسُقْيـا ليـومٍ بـالبشـائرِ حـافلِ

تصـافَحَ فيـه المخلصـون وشمَّـرَتْ ... وفـودٌ وقـرَّتْ أعينٌ بـالتكـافُلِ

[١كأنك بـالجُرْدِ العتـاقِ تـلاحَقَتْ ... عـوابسُ تحتَ النَّقْعِ قبُّ الأبـاطلِ ١]

وبـالعلمِ فيّاضٌ وبـالمُلْك بـاذخٌ ... وبـالعَلَم المَعقُـودِ فـوقَ الجَحـافِلِ

وبـالعُـرْبِ كالبُنيـانِ تَنْـدقُّ دونَهُمْ ... رقـابُ عِـداهُم مـن مُشيحٍ وخـاتلِ

انتهى مـا سردَهُ المجيبُ، وقدْ أجـاد وأفـادَ، ودخلَ من بابِ الجزالـةِ وحسنِ الفخامـة إلى غُرَفِ القـولِ المُسْتَجادِ، وقد تـركْتُ من القصيدةِ أربعـة أبيات، لم تكُنْ على الشرطِ، فاهمَلْتُها من الإثبات.

وفي هـذا الجوابِ دلالـةٌ على مـا يسعى إليـه الشريفُ حسين وأعـوانُـه من الاتّحاد بينَ طوائِفِ العـربِ، على أنْ يكونَ توحيدُ كلمتِهم في الأمـورِ الخارجيةِ، وتبقى كلُّ طائفةٍ مستقلـةً بأمورِها الدّاخليةِ، ولكنّهم بينما هم يَسْعَـوْنَ نحوَ هذا المقصـدِ نجدهُم/ قـد أهملوا الـوسـائطَ الموصلة إليـه، فهم يمدُّون أيْـديَهم إلى مـولانا الإمـامِ، ويعرضـون عَمَّنْ يجاوِرُهم في الحجـازِ، وكيفَ يقبلُ إلى ذلك مَنْ ١٩١ /

[١ - ١] سقط من س.

عرَفَ أنّ الحجازَ لم ينتظمْ أمرُهُ والتعادي بينَ سكّانِه باقٍ على حالِه، نسألُ اللهَ تعالى للمسلمين توفيقاً يُوصِلُهم إلى التمكُّن من إعلاء كلمةِ اللهِ، ويدفعُ عنهم صولةَ أعدائِهم وهمْ أعداء. [1]وقد فاتَ على جامع هذه السطورِ أنْ يذكر ما رُفِعَ إلى مولانا الإمام عندَ وصولِ الوفدِ ومندوبِ الشريفِ إلى الحضرة الشريفةِ، وكان الظَّفَرُ حالَ تحرير هذا بقصيدةٍ للأخ الأديب القاضي محمد بن أحمد مطهر[1]، بليغةٍ في بابها، جديرةٍ بدخولِ شبح الإثباتِ إلى محرابها، ومطلعُها:

نادتْ على خوفٍ من الرُّقَباء ... هيفاءُ تخطرُ في بُرودٍ حَياء

ومنها، بعدَ أنْ سَرَدَ الناظمُ من النسيبِ ما يُبهِرُ اللبيبَ، ومن المديح ما يحيرُ الفصيحَ في صددِ ذكرِ الوفد: [الكامل]

جاءُوا إلى المولى الإمامِ عمادِنا ... حامي الأنامِ وملجإِ الضعفاءِ
يبغون عَقْدَ تَسالمٍ بتلطّفٍ ... يتطلّبون رضاهُ بالسُّفَراء
لا غروَ إنْ خَضَعَتْ كلُّ الورى ... حتى علا شأواً على العوّاءِ
فله على الإسلام أعظمُ مِنّةٍ ... لمّا حَماه بِعَزْمةٍ ومَضاءِ
واللهِ لولا سعْيُهُ وجهادُهُ ... لم يبقَ للإسلامِ مِنْ نُصَراءِ
ولأصبحَ الدينُ الحنيفُ بِغُرْبةٍ ... ولَقَامَ كلُّ الخُلْفِ في الرُّؤساءِ
وتفّرقوا فِرَقاً فكلُّ قبيلةٍ ... مع غيرِها في غارةٍ شَعْواءِ
فبفضل مولانا الإمامِ وسعيِهِ ... لم يبقَ شرٌ قطُّ في الأنحاءِ
فالأمنُ فينا ضاربٌ أطنابَهُ ... والدينُ في شَرَفٍ مع استعلاءِ
ولقدْ أعادَ له قديمَ فخارِهِ ... وأقامَ للإسلامِ خيرَ لواءِ

(١) محمد بن أحمد بن عبدالله مطّهر ت رمضان ١٣٨٦هـ، شقيق مؤرخنا، أديب شاعر، ناقد لاذع،، كان يجيد العثمانية، عمل كاتباً في ديوان الإمام، وكان خفيف الروح، مليح النادرة، ولد بصنعاء ١٣٠٦ انظر، هجر العلم، ٤٤١ .

[١ - ١] من عبارة: «وقد فات على جامع هذه السطور حتى عبارة ومن باب الوفاة ولجوا» سقطت من س. ي في الصفحة التالية.

/ ١٩٢

فاليومَ رايتُهُ على وجهِ البسيطةِ	رايةَ الإسلامِ والعَلْياءِ
ولقدْ غدا الإسلامُ في شَرَفٍ على	رغمِ الكَفورِ ومُدَّعي الشُّرَكاءِ
خابَتْ مساعي الكُفْرِ لمّا شاهدُوا	سعيَ الإمامِ علا على الحُكَماءِ
وتَزَعْزَعَتْ أرْكانُ كلِّ ضلالةٍ	لهمو بسيفٍ صادقِ الأنْحاءِ
واخْتلّتِ الأحوالُ فيهم بعدَما	كانوا زُهاةَ الناسِ في الغَبْراءِ
وقَفوا إزاءَ فِعالِه في حَيْرةٍ	يخشونَ بطشَهُ بيومِ لِقاءِ
إنَّ السعيدَ بعصرِنا مَنْ كانَ في	ظلِّ الإمامِ وأرضِهِ العَصْماءِ
أرضٌ وقاها اللهُ شرَّ عِداتِهِ	فتَطَهَّرَتْ مِنْهُمْ بدونِ مَراءِ
في حالِ ضعفِ المسلمين بأرْضِهِمْ	في الشامِ والأناضولِ والشَّهْباءِ
ولقد دهى الإسلامَ من أعدائِهِ	خَطْبٌ وراموا هدْمَ كلِّ بناءِ
لولا أيادٍ للإمامِ تداركَتْ	أرضاً لنا كُنّا بحالِ عَناءِ
وتَتابَعَتْ حِيَلٌ لهم بديارِنا	مثلُ الذي أجْرَوْه بالبلقاءِ
فالحمدُ للهِ الذي قد حاطَنا	وديارَنا بالذِّكْرِ والقُرَناءِ
والشُّكرُ حقٌّ للإمامِ على الورى	إذْ ذادَ عنّا ضُرَّ كلِّ بلاءِ
فاللّهُ أوْجَدَهُ لنُصْرَةِ دينِهِ	وحمايةِ الآباءِ والأبْناءِ
ولَقَدْ حَوى كلَّ البلادِ وحاطَها	من شرِّ كلِّ مَثلّثِ الإغْواءِ
حتى غدا عصرُ الفخار زمانُه	فالكلُّ في أمنٍ وفضلِ رخاءِ
يتلونَ أدْعيةً بطولِ بقائِهِ	فبفضلِهِ أَمِنُوا من الضَّراءِ
والكلُّ في نِعَمٍ وسَعْدٍ دائمٍ	والقطرُ منه مُعَطَّرُ الأرجاءِ
لا زالَ في نصرٍ وشأوِ سعادةٍ	وسيادةٍ وكرامةٍ وهناءِ

....

....

ولَعَمْري، لقدْ أجادَ الناظمُ فيما قال، ومـدحَ مولانا الإمامَ مدحاً أفصحَ عن حقـائقِ الأحوالِ، ولم يعـرِّجْ على كثبانِ تلك الجُملِ التي قـد ملَّتْها الأسماعُ، ومـا هنالك من الأكامِ والتلال، بل أبـانَ خبايا الحقيقة، على أجمل أسلوبٍ، وأحسنِ طـريقة، ولقـد صَدَقَ ، فلـولا منَّ اللهُ على العبـادِ بشوكـةِ مـولانا الإمـام لتمنى الأحياءُ أنهم قد درجوا، وانقضتْ أيامُهم، ومن بابِ الوفاةِ ولجوا[1].

/ وفيها تحرَّكَ بعضُ الأجْعودِ المتّصلين بَمِنْ ورائهـم من البلادِ الخارجةِ عن / ١٩٣ الطـاعةِ للخـلافِ ومبـاينةِ طـريقِ الحقِّ والإنصـافِ، وأعانهم الشيخُ محمـدُ بنُ صـالحِ القُطيبي وغيرُه شـايف بن نصر المخذول، وقـد كـانَ من مـولانا الإمـام متـابعةُ إرسـالِ الجنودِ إلى الأمير سيـدي[1] يحيى بن محمـد بن عباس قبلَ هـذا الحادثِ من النظام وغيرِهم، وإرسـالُهم من طرَفِ الأميرِ إلى عـاملِ الضالع مع غيرِهم من خَوْلانَ وسـواهم، وفيهم مِنْ أبطالِ الجهادِ جماعةٌ. كالنقيـبِ قايد بن راجح الخولاني والشيخِ علي بن مصلح العَبـدي وجماعتيهما، وتجَّمع المخـالفـون وغيرُهم من البغاةِ إلى جَبل ودنة(١)، وهو حصنٌ منيعٌ وانتشروا في جهاتِه.

واستقـرّتْ محطةُ المجـاهـدين وأنصـار الحقِّ في بلادِ البكـري، ورتّبـوا تلك الأطرافَ مثلَ جبل الخضراءِ(٢)، ولمّا تكاثف جمعُ البغـاةِ، قَصَدُوا جبلَ الخضراء، واغتيالَ من فيـه من المجاهدين، وقتَ صـلاةِ الجمعةِ، وكان فيه ثلـةٌ من النظام ومعهـم أحـدُ المدافع، فشعـروا بـالأعـداءِ، وجـرى بينهم وبينَ الأعـداءِ حـربٌ

(١) جبل ودنـة: جبل في رَدفـان يسكنـه من قبـائل ردفـان من السنـاني، أهل مثنى حسن وبيت مطهـر حسين من العطَّـافي وبيت حسين عبـد القادر من الحافي انظـر، تـاريخ القبائل اليمانية، ١٦١ .

(٢) جبل الخضراء: عُزلة من حُبيش وأعمال إب يطـل على السياني من الشرق، انظر، اليمن الكبرى، ٤٤، معالم الآثار، ٦٢، ٨٩، معجم المقحفي، ٢١٩ .

[١] في س، سيدي العماد.

شـديـدٌ، أسفرَ عـن انهزامِ البُغـاةِ ورجـوعهم خـائبين بعـد أن أثخنَ فيهم المجـاهـدون، وقتلُـوا منهم جمعـاً كثيراً، لأنهم غـامـروا بأنفسِهم، وظنـوا أنهم سيصيبـون من المجاهـدين غِرّةً بقصـدِهم في ذلك الـوقتِ، ورمى المجاهـدون بالمدفعِ إحـدى نُوبَ جبلٍ وَدنه فهدمـوها، فكانتْ هذه الـواقعةُ عليهم لا لهم، ومكَّن اللهُ المجاهدين منهم، فعادوا بالصفقةِ الخاسرةِ والسّلعةِ البائرة.

وبعدَ ستّـة أيام من تاريخِ الـوقعةِ الأولى أرادَ البغاةُ قصـدَ جبل الرّديف[1]، وهـو متّصلٌ بالمحطّـةِ، وكـانَ مـرتباً بعصـابـةٍ من خَـوْلانَ، فتقدّمـوا إلى الجبلِ المذكـورِ، وشرعوا في ارتقـائِه، فصـدَّتْهم الـرتبةُ عن الاستمـرار في طلـوع الجبلِ بحربٍ شديدٍ، وأمـدّهم مَنْ في المحطةِ ببلوك من النظامِ، فحميَ وطيسُ الحربِ وتـدانى الفريقـان، واشتـدَّ الطعانُ، فـانهزمَ الأعـداءُ راجعين على أعقابِهم بعـد سقـوطِ كثيرٍ منهم قتلى وجرحى، واستُشْهِـدَ من النظامِ واحـدٌ منهم، وذلك من عنايةِ اللهِ بالمجاهدين، ووقايتِه لهم من صداماتِ المعاندين.

وبعدَ بـرهةٍ يسيرةٍ أمر المقـدّميُّ، وهو عـاملُ الضالع، جنودَ الحقِّ بـالتقدُّمِ على / جبل حقلة[2]، وفيه جمعٌ من أهل الخلافِ، فقصدَه المجاهدون من النظامِ وأصحاب النقيبِ قـايد بن راجح الخَوْلاني ليـلاً، وارتقَوْا إليـه وعندَ اقترابِهم من مراتب البغاةِ، شعـروا بهم وبادَروا إليهم بالحربِ، فاستمـرَّ العراكُ بينَ الفريقين إلى أنْ طلَعَ الفجرُ، والحربُ في اشتداد، والمجـاهدون مستمرون على الارتقاءِ كلّما عنَّتْ لهم الفرصةُ، وبعدَ الفجرِ أجمعَ رأيُ عرفـاءِ المجاهدين وضباطِ النظامِ على

١٩٤ /

---

(١) جبل الرديف: متصل بجبل الخضراء، يسكنه أهل أحمد سريع من فروع الأصحفي من قبائل ردفان في الجنوب، انظر تاريخ القبائل اليمانية، ١٥٦ .

(٢) جبل حقلة: المقصود حقل .

الهجـوم، فأقـدمـوا على البُغاةِ إقـدامَ مَنْ لا يخافُ الموتَ، ولا يُبـالي بـالفـوتِ، وضايقوا مَنْ فيه، فاضطّروا إلى الفرارِ، وولوا الأدبارِ، واستولى الأنصارُ على ذرورةِ الجبلِ ورتّبوه ببلوك من النظامِ.

ولما تمَّ للمجاهـدين المرامُ مـن المواقع الحائلـةِ بينهم وبينَ الاستيـلاءِ على جبلِ ودنه، وهو المقصودُ وعليه معوَّل الباغين، أمرَهُم عاملُ الضالع بالاستعدادِ للاستيلاءِ عليه وأخذِه، وقَصَّدَهُمْ له من جميع جهاته. ووصلَ في تلكَ الحالِ إلى جميعِ منْ في المحطةِ من أميرٍ ومأمورٍ خطـابٌ من مولانا الإمام يحثُّ الجميعَ على القدوم إلى ودنه، وأخـذِه عنوةً وشحذَ الإمامُ عزائمهم على الإقـدام بدونِ تريُّثٍ وإحجـام، وذكَّرهُمْ بنصرِ اللهِ الـذي مكّن المجاهـدين مِنَ الاستيلاءِ عنـوةً على قلعةِ المقاطِـرةِ، وأنَّ ودنةَ ليس بأمنعَ منها، ولا المجاهـدون هنالك بأرغبَ منهم في ابتغاءِ ما أعدَّ اللهُ للمجاهدين من الأجـرِ والثوابِ، فكان هذا الخطابُ فاتحةَ النصرِ للمجاهـدين، فإنّهم قَوَّوْا عـزائمهم على الاستيـلاءِ والصعـودِ إلى الجبل المذكـورِ، وأجمع رأيُهم على تعـذُّرِ الارتقاءِ إليـه نهاراً، وتـرجيح قصـدِه ليـلاً من ثلاثِ جهـاتٍ، فمن الجهةِ الشرقيـةِ يكونُ النقيبُ قـايد راجح وأصحـابُه، ومن جهـة الجنوبِ الشيخُ عليُّ بنُ مصلح العبـدي وأصحابُـه بنوعبـد، وحاشـدُ من جهـةِ الشمالِ، والنظـامُ فـوقَ العبـديين، وتقـدّمـوا على الجبلِ المذكـورِ في ليلـةِ الجمعـة، تاسعَ عشر شهـرِ جمادي الآخرةِ مـن هذه السنـةِ، وعونُ اللهِ يُـرافقُهم، ووقـايتُـهُ تسـابقُهُمْ، واشتـدَّت الحربُ بينهم وبينَ الأعـداءِ من ثُلْثِ الليل إلى الثلثِ الأخيرِ، وأعـان اللهُ الأنصـارَ على النهـوضِ إلى أعلى الجبـل والاستيـلاءِ / عليه وطـردِ المخالفين بعدَ مصـادمةٍ شـديدةٍ وجلادٍ عنيفٍ ومصـابِ الأعداءِ بكثيرٍ من القتلى والجرحى، وسـلامـةِ المجاهـدين، إلاَّ عـدداً يسيراً منهم رزقهم   / ١٩٥

....

....

الشهادة، وأنالهم بذلك درجة السعادة.

وفي صباحِ ذلك اليـومِ وما بعـدَه، انبثَّ المجاهـدون فيما جاوَزَ ذلك الجبلَ من المحلاّتِ، وقدْ فـرّ البغاةُ منها، وتركوهـا خاليةً خاويةً، فاستـولَوْا على غنائم كثيرةٍ، وأحرقوا بعضَ البيوتِ، ورتّب المجاهدون جبلَ ودنةَ، وقد فازوا بما راموه بحـولِ اللهِ ومَنِّهِ، ولما انقشعَ المخـالفـون من تلك الأطرافِ تجمَّعـوا إلى جبلِ رَدْفـانَ، وتكـاثَـرْتْ هنـالك جموعُهـم، ووصلتْ إليهم الامـدادُ مِنْ النّصـارى، فأرادوا الانتقامَ من المجـاهدين، وأجمعـوا أمرَهُمْ على قصد جبلِ حقلـة بعدَ أنْ فرّقـوا طوائفَ منهم على سائر مـراتبِ المجاهدين وعلى المحطـةِ ليصدُّوهم عن الغارة والأمدادِ لمنْ في جبل حقلة، وكانت عدةُ القاصدين لجبلِ حقلةَ نحواً من ثمانِ مئةِ مقاتلٍ فقصـدوه ليلاً، وارتقَوْهُ إلى أنْ قاربـوا مراتب الحرسِ، وشعرَ بهم جنـدُ الإمامِ، فقـابلـوهم بالحربِ وهُمْ مستمـرون على هجـومهم، والمجاهـدون يُدافعون عنْ أنفسِهم مـدافعةَ الأبطالِ، إلى أنْ اختلطَ الرِّجالُ بالـرجالِ، واشتدَّ النِّزالُ، ولم يصِلْ إليهم المَدَدُ، فـاستُشْهِـدَ في تلك الليلـةِ ثمانيـةٌ من النظـامِ، واستولى الأعـداءُ على بعضِ المراتبِ، وانحـازَ الباقـون إلى مكانٍ قـد أعدوُّه لهمَ، ومنعوا الأعداءَ من الوصولِ إليه فحاصرهم فيه.

ومعَ هـذا، فقدْ كـانَ القتلُ في الأعـداءِ كثيراً في تلكَ الليلـةِ، فإنّه بلَغ عـددُ قتلاهم إلى الأربعين، فيهم من رؤسـائِهم وأشرارِهم جماعةٌ، ومكث المجـاهدون في الحصـارِ إلى قـريبِ نصفِ النهـارِ مِنْ ذلك اليـوم، فتمكّن أميرُ المحطـةِ من إرسـالِ المدد إليهم ورمي الأعـداءِ بالمدفـعِ، وحينَ أحسَّ المحصُورون بـوصـول المَدَدِ إليهم، خرجـوا من أماكنِ حصارِهم وهـاجموا الباغين، فوقَعُـوا بينَ نارين، وانهزموا هزيمةً فـاضحةً، تاركين لقتلاهم وجَرْحاهم وركنـوا إلى الفرارِ، فكانتْ

....

....

هذه الـوقعةُ مشتملـةً على نصرِ اللهِ للمجاهـدين، وتبديـدِ المعانـدين، وإدخالِ اليأسِ في قلوبِهم من زحـزحةِ الجندِ الإمـاميّ عند مواقِعِهم ومـراتبهم، وقد فَتَّ في أعضادِهم كثرةُ قتلاهم وجـرحاهم وتشتيتُ/ شَمْلِهم، وتوالي الهزائم عليهم، / ١٩٦
ولكنَّهم عادوا إلى رَدْفَـانَ واستمرُّوا على العصيانِ وموالاة الشيطـانِ، وصادفَ في ذلك الحين فـرارُ بعضِ النظـام مَلَـلاً مـن طـولِ الإقـامــةِ في المراتبِ، ووقفَ الفريقـان عن الحربِ، ووالى أميرُ الجيش سيدي عمادُ الدين إرسـالَ الأمدادِ إلى المجـاهـديـن بأهلِ الشعـرِ وعَمَّارٍ إلى نحـو ألفِ رام، ولم يتمكَّـنِ الأنصـارُ من التقـدُّم إلى جبل رَدْفَانَ ومنـاجزةِ مَـنْ فيه مِنَ الأعـداءِ اللِّئام، فـرأى الأميرُ عمادُ الدين أنَّ الصوابَ وصـولُه بالذاتِ وحضورُه لإكمالِ الأعمالِ على مـا يوافقُ مرادَ باري البرِّيـاتِ، فتوجَّـه إلى الضالِع. بجمع وفيرٍ من أبطـالِ المجاهـدين وأهلِ الثبات، ومنـه تقدَّمَ بمجمـوعِهِ إلى محطـةِ المجاهدين، وانضمَّ إلى مَـنْ فيها بِمَنْ معـه منَ الرِّجـالِ، ورَتَّبَ الأمورَ، وأزالَ مـوجبـاتِ التوقُّفِ عنـدْ مناجـزةِ ذوي البغي والفجورِ، وراسَلَ البغاةَ إعـذاراً وإنذاراً، وخوَّفَهُمْ عاقبةَ مـا استمرُّوا عليه عِنـاداً وإصراراً واستناداً إلى مـددِ الكـافرين واغتراراً، فلـم يرْجِعـوا عنْ غِيِّهم، وتمادَوْا على ضـلالِهم، وبغيِهم، وعوَّل على القـدوم ومبـادَأتِهم بالهجـوم، فقسَّم المجـاهــدين إلى كتـائبَ بحسبِ مـا اقتضـاهُ الحَالُ، ونهضَ إلى جبلِ رَدْفَـانَ، مستمّـداً لإعــانـةِ ذي الجلال، فجـرتْ بينَ الأنصـارِ وبينَ الأعــداءِ حـروبٌ وخطـوبٌ، أسْفَرَتْ عن إحـرازِ أنصـارِ الحقِّ علاَّم الغيـوبِ. ومصابِ الأعـداءِ بأمرِ الكُروبِ، واستظهارِ المجاهدين عليهم واستيلائهم على جبلِ رَدْفَانَ وطردِ الأعداءِ منه، وانهزامِهم إلى ما وراءَهُ من الخبوتِ والفيافي، وقد ضاقَ بهم الحالُ، وعجِـزوا عن التلاقـي وفرّ محمـد صـالح القُطَيْبي فيمَنْ فـرّ، ولم يبقَ له مُسْتَقَـرٌّ،

....

....

واستولى المجاهدون على ما جمعوه، ونزلَ بهم مِنَ البلاءِ ما لمْ يعرفوه.

ولما علِمَ الأميرُ بما صاروا إليـه من الكـروب وتجرّعـوه من الخطـوبِ، وأنّهم قرعـوا سنَّ الندامة، وأصبحوا يتمَنّـوْن الولوجَ إلى بابَ السّـلامةِ، شرعَ الأميرُ في مُراسلتِهم وتـرغيبِ محمد صالح القُطَيْبي، للدّخـول في الطاعة، فوجـدوا بذلك نسيمَ الفـرجِ والخلاصَ ممـا ضـاقـوا بـه ذرعـاً من الحَرَجِ، فأقبلـوا إلى الطـاعـةِ مهـرولين، وإلى أوطانهم مسرعين، وبـذلوا مـا طلبَ منهم من الـرهائنِ ووثـائقِ الطـاعةِ، وانقـادوا، فزالَتْ عنهم الأتـراح، وأمِنـوا من نوائبِ الكفـاح، ووصلَ الشيخُ محمـد صـالـح القطيبي، إلى مقـامِ الأميرِ، وقـوبلَ بـالتكـريم والاحترام، ورتَّبَ الأميرُ جبلَ رَدْفَـانَ وأصلحَ الأحـوالَ، وقلَعَ جـذورَ الضّـلالِ، وعـادَ إلى الضَالعَ محفوفاً بإسعادِ الربِّ الصانع، وقد هابَهُ القريبُ والبعيدُ، واعترى سكانَ تلك الأطـرافِ الخارجةِ عن الطـاعـةِ مزيـدُ الخوفِ الشديـدِ، وصـارتْ غايـةُ أمانيهم الظفرَ بـالسلامةِ من معرّةِ الجنودِ الأماميـةِ، والنجاةَ من أهوالِ الحروب ونـوائبِ الخطوبِ، ولـو تقدَّم المجـاهدون على أبْيَنَ لألجأوا أهلَهـا إلى الطاعـةِ، ولكنّـم توقّفوا عن التوغُّلِ لمّا وصلَ إليهم مِنَ الأوامرِ الإماميّةِ النّاهيةِ عن التوغُّلِ والقاضيةِ بلزوم التوقُّفِ لما يراهُ مولانـا الإمامُ من المصلحةِ العامة، ودفعِ المفاسدِ الجالبةِ لكلّ طـاقّة، وانقضتْ هـذه الحركاتُ الجهـاديةُ في تلك الجهـاتِ، ومُحَيّا أصباحِها مُسْفِرٌ عن فنونِ الصّـلاح، وإعزازِ دينِ اللهِ تعالى، وذلك بمنِّ الواهِبِ المنّاحِ.

وفي أوائلِ هذه السنةِ والى السيدُ الجليلُ عليُّ بنُ محمـد الشامي عاملُ رَيْمَةَ، نيـابةً عن أبيـه إلحاحَـهُ على مـولانا الإمـام بطلبِ الإذنِ لـه بـالعَوْدِ إلى وطنِـه، واللّحوقِ بـأبيه إلى مُسْتَقَـرِّ سَكَنِهِ، معتـذراً بطولِ مـدةِ الغيبة، وتكـاثُرِ الأعمالِ

وفنونها الغريبةِ من جهادٍ وجبايةٍ، ونظرٍ في أحوالِ الرعية بالرعايةِ، وتكاثرِ المحاطِ، فاسْعَدَهُ الإمامُ إلى المرادِ، وأذِنَ له بالوصولِ واقتضى رأيُ مولانا الإمام في هذه الأيام إناطةَ أعمالِ قضاءِ رَيْمةَ جميعِها إلى نظرِ القاضي أحمدَ بنِ أحمد الجرافي مضافةً إلى ما بيدِهِ من أعمالِ الجهةِ الآنسيةِ، وراعى مولانا الإمامُ في ذلك نقطةَ الإصلاحِ، لأنَّ أكثرَ المجاهدين في تلك الظروفِ الموجودين في جبلِ رَيْمَةَ من سكانِ الجهةِ الآنسية، وهم يتعاقبون في القيام بالمرابطةِ والجهادِ فريقاً بعدَ فريق على قاعدة مُحْكَمَةٍ في التداوُل والمناوبةِ وحسن المعاقبةِ، وكثيراً ما جرى الاختلافُ في شأنِ الجوامِكِ[1] المستحقَّةِ لهم بينَ العاملين.

ومع هذا فقد جُرِّبَتْ كفاءةُ القاضي الصفِّي أحمدَ الجرافي في القيامِ بالأعمال،/ على أسلوبٍ من الورعِ مستحسنٍ، ونهجٍ من التحرّي والإصلاحِ / ١٩٨ واضحِ السُّنَن، فأمره الإمامُ - عليه السلام - بالعَزْمِ إلى تلك الجهاتِ وإصلاحِ أحوالِها، وتنظيم أمورِ جباياتِها فتلكَّأ عن الإسعادِ معتذراً عن ذلك باشتغالِهِ بأعمالِ الجهةِ الآنسيةِ وجسامتِها، واحتياجِ قضاءِ رَيْمَةَ إلى مَنْ يقومُ بأعمالِ الجهادية وغيرِها على جهة الانفرادِ، وطالتْ بينَهُ وبينَ الإمامِ في ذلك المراجعةُ، ولمْ تنفعْه الأعذارُ، ولا قوبلتْ بالقبولِ والالتفاتِ السارِّ، ولمْ يجدْ بُداً من الامتثالِ، فعرضَ على مولانا الإمام ما يحتاجُ إليه من الأعوانِ على ما كلِّفَ به من الأمورِ، وما يراه مقدِّمةً لعزمِه إلى ذلك القضاء، وإصلاحِ ما به من الثُّغور، فأسعده الإمامُ - عليه السلام - إلى ما أرادَ، وصدَرَ الأمرُ الشَّريفُ بتوجيه عمالةِ ناحيةِ كُسْمَةَ إلى السيدِ الوجيهِ عبدِالكريم بنِ إسماعيلَ من بني[١] شمس الدين، أهلِ كَوْكَبانَ وشِبَام، وتوجيهِ عمالةِ بلادِ الطَّعام إلى عهدة الشيخِ المقدام عليِّ بنِ عمرَ المقداد مع الرياسةِ على مَنْ في تلك الجهةِ من الأجنادِ، وإناطةِ

---

(١) الجوامك: المخصصات أو المرتبات من الأموال.

---

[١] في س، آل.

تدبير أعمالِ الجهادِ إليه. وكان الحربُ بينَ جنودِ الإمامِ وأعوانِ الضالِّ الإدريسي الموجودين في أطرافِ بُرَع، وبلادِ الطَّعام مستمرةٍ، والمناوشةُ بينَ المراتبِ مستطيلةً على الدوام، وفي كلِّ حين، وبينَ أجنادِ الحقِّ وبينَ الطغام وقعةٌ والحربُ سجال، ولكنَّ أكثرَ الوقائع فيها النصرُ لجندِ الإمامِ، فلذلك اقتضى الرأيُ الشريفُ إفرادَ تلك الجهةِ بعاملٍ ليتمكَّنَ من إصلاحِها، وإزالةِ فسادِها، وعَيَّن مولانا الإمامُ الشيخَ علي عمر المذكور.

وتوجَّه العمالُ المذكورون جميعاً إلى أعمالِهم، ومعهم جندٌ من الإمام زيادةً على مَنْ هنالك، وبدلاً لمن قدْ طالتْ مدةُ إقامتِهم في تلك الأصقاعِ. ولما وصلَ القاضي الصفيُّ إلى جبل رَيْمَةَ، ارتفع السيِّدُ جمالُ الإسلام علي بن محمد الشامي من هنالك، وباشرَ العاملُ الجديدُ الأعمالَ وتحرّى ما فيه مرضاةَ ذي الجلال، وثبّتَ مراتبَ بلادِ الطَّعَام، وقوّى مركزَ العامل هنالك، وشرَعَ في استمالةِ مَنْ بقيَ على الخلافِ، فأقبلَ بعضُهم إلى الطاعةِ رغبةً ورهبةً، وقام عاملُ بلادِ الطَّعَام بما عُهِدَ إليه، وجرتْ بينَه وبينَ الأعداءِ حروبٌ يطولُ تعدادُها لاستمرارِها بطولِ هذا العام، حتّى إنه لم ينقضِ هذا العامُ إلاّ وقدْ /١٩٩ حصلَ المرامُ من إثخانِ الأعداءِ في تلك الجهات، واستكمالِ بلادِ الطَّعام، وإدخالِ أهلِها في سلكِ الطّاعةِ، والوقوفِ عليها[١] على أحسنِ ثباتٍ، وأصلحَ القاضي أحمدُ أيضاً أطرافَ ناحيةِ الجَعْفَريةِ واستمالَهُم وأعادهُمْ إلى الانقيادُ، وطهَّر جهاتِهِمْ من أدران الفسادِ وكفَّ أيديَ المشايخِ عن تسلُّطِهم عن الرعية، ومطالبتهِمْ بما لا يستحقّونه، فحمدَ الكلُّ منابَه، وشكَرَ الناسُ سيرتَهُ وانتدابَه.

وبعدَ لُبْثِهِ أكثرَ أيامِ هذا العامِ هنالك، عادَ إلى ضُوْرَانَ مركزِ عملِهِ القديم،

....

[١] سقطت من س.

لتفقُّـدِ أحوالِ آنس، واستنـابَ بإذن الإمام على الأعمالِ في رَيْمَـةَ عاملَ كُسْمَـةَ، واستقدَمَـهُ منها إلى الجَبَـى، فأقامَ عـاملُ كُسْمَةَ في المركـزِ، والمراجعةُ تـدورُ بينَه وبينَ القاضي أحمدَ الجرافي فيما لا بدَّ منه من أمور القضاءِ المذكورِ.

وفيها وجّـه مولانا الإمـامُ حكومةَ قضـاءِ المخَا إلى عهدةِ القـاضي محمود بن محمد الـزبيري، وكانَ المذكورُ قدْ قـدِمَ من حَيْس إلى حضرةِ الإمامِ للزيـارةِ بعدَ مكْثِهِ في حكـومةِ حَيْس منذ تعيينه فيهـا، وثَبَتَ حسنُ قيامِه بأمورِ الحكـومةِ في تلك النـاحيـة، واستقامتُـه ومبـاشرتُـه لكثير من أعمالِ الإصلاحِ التي منـاطُهـا بالعاملِ. وبعدَ نقلِ عاملِ الناحيـةِ المذكورةِ إلى عمالةِ زَبِيد، نابَ عن العاملِ في حَيْس، [١فحمد منـابه١]، فرأى مـولانا الإمامُ تـوجيه حكـومةِ المخَا إلى عُهْـدتِهِ ليقـومَ بـوظائفِ الحكـومـةِ في القضـاءِ المذكـورِ، ويُجري ما يلـزَم من الإصـلاحِ لأحوالِ قبائلِـه العديدةِ، ويزيلُ مـا كثرَ رفعُهُ إلى مسامعِ الإمـامِ من عَدَمِ توقُّفِ العاملِ على عثمان على ما هو مأمورٌ بهِ مِنْ مولانا الإمامِ، مِنْ نشْرِ العدلِ وتحكيم شريعةِ اللهِ سبحانَه في الأمورِ والحادثاتِ، فـامتَثَل القاضي المذكورُ ما أمرَه الإمامُ به، وبـادَرَ بالعـزْم إلى المخَا واستقرَّ فيهـا، وكانَ العـاملُ الشيخُ علي عثمان أكثرُ إقامتِه في مَوْزع[١]، فرأى الحاكمُ المذكورُ أنَّ العاملَ غيرُ جارٍ على السُّنَن المرضي، ولم ينتصحْ حينَ كـرَّر الحاكـمُ النُّصْحَ لـه بلـزوم السَّيْرِ على النهجِ السـويّ، واستشعرَ من نزولِ الحاكمِ ووجـودِهِ في المخَا ما ساقَه إليـه قبحُ الفعلِ من توهُّم أنَّ المرادَ إيقـاعُ النكايـةِ به ووجَّـه همَّتَهُ إلى إفسـادِ جندِ الإمـام، الذين في المخَـا وجهـاتِـه، واستمالِتهم إليـه واعـراضِهـم عن امتثـالِ أوامـرِ الحاكمِ/ المذكـورِ / ٢٠٠ والاستهانةِ بأوامره[٢]، وتزايدَت النَّفْرةُ منـه عن الحاكِم، وتفاقَم الحالُ وظهرَ من

(١) مَوْزَع: مـدينة بالجنوب الغـربي من تعز بمسافـة ٨٠٠كم، انظر، صفة جزيـرة العرب، ٩٥، معالم الآثار، ١١٥، قرة العيون، ٣٤٧، الاكليل، ٢/ ٩١، طبق الحلوى، ١٥٦ .

[١ - ١] سقطت من س. [٢] في س، بأمره.

المذكورِ إرادةُ النكْثِ والخروجِ عن الطاعةِ، فأرسل الأميرُ جمالُ الدين إلى العامل المذكورِ وأَمَرَهُ بالطلوعِ إليه إلى تعزْ، وطيَّبَ قلبَهُ وأمَّنَهُ، فوصلَ إليه. وقد كان أخوه الشيخُ عبدُالله عثمانَ عاملاً على ناحية مَقْبَنَةَ، وأعمالُه في تلك الناحيةِ على نحو أعمالِ أخيه في المخَا والشكوى منه متكاثرةٌ من [١أهالي الناحية المذكورةِ١] فطلبَه الأميرُ أيضاً ومكثا مدةً، ثم استأذنا الأميرَ في وصولِهما إلى دارِهما في جبل صَبر، فأذِنَ لهما بذلك، وخرجا من لديه على أنْ يعودَ إلى تعز، وقد أضمر الخلافَ وركوبَ أعمال الاعتسافِ، ولكنّهما لم يتمكنا من البقاءِ في محلِّ أعمالهما، لأنَّ القاضي محمود قبلَ فرارِهما قدْ تمكَّن من استجلابِ مشايخِ البلادِ وأعيانِها إليه، وأفْهمهُم بمقاصدِ الإمامِ وأميرِ الجيشِ وحسنِ نواياهما، وقبحِ أعمالِ المذكورَيْن، وما يُريدانِ مِنْ جلْبِ البلى على تلك الجهةِ، فلم يبقَ لهما من النفوذِ ما يتمكّنان بهِ من الامتناعِ، ففرّا إلى عدن.

ولمّا رفعَ المولى أميرُ الجيشِ - حفظه الله - حقيقةَ الحالِ إلى مولانا الإمام - عليه السلام - أمرَ الأميرَ جمالَ الدين بالاحتياطِ على دارِ المذكورين بصبرٍ والاهتمامِ بشأنِ فرارِهما، خشيةً مِنْ وقوعِ ما لا تُحْمَدُ عُقْباهُ من حوادثِ المكرِ والخداعِ، فأجرى الأميرُ أمرَ الإمامِ، ووجدَ معهما من المؤنةِ شيئاً غيرَ يسيرٍ، مما كتماه من ذخيرةِ الحكومةِ في دارهما وفي مَوْزع وبطّلَ سحرَهما، فلم يتمكنا إلاّ مِنَ الفرارِ، وحكما على أنفسِهما بالاغترابِ، واستبدالِ العزِّ بالهوانِ، ودوامِ الاضطرابِ، وتجوّلا في عدن ثم في مصوّع وغيرِهما، وعادا إلى جيزانَ، ثم نزلا بالحُدَيْدَةِ، وآواهما الضالُّ، وشوَّقَهُما على استجلاب طائفةٍ من أهلِ جبل صَبر وشرارِهم حالاً بهم في تِهامةَ، وكانا من جملةِ أعوانه.

....

[١ - ١] في س، مقبنة.

وفيها وصلَ إلى مقامِ مولانا الإمامِ الشيخُ علي بن يحيى الأصابع، أحدُ مشايخِ مِلْحَانَ، مراجِعاً في بعضِ أمورِ الجبلِ المذكورِ، ومريداً لتخفيفِ المحطةِ التي هنالك، وكان مولانا - عليه السلام - بعدَ طولِ إقامةِ السيدِ الأجلِ فخرِ الدين عبدِالله بن يحيى أبومنصر هنالك، وشكواه من ضياعِ الأعمالِ التي بنظرِه في ثُلا وبلادها، وأعمالِ السودِ وما إليه، لغيبتِهِ في جبلِ مِلْحَانَ.

/ فأذِنَ له بالعَوْدِ، واستنابةِ ولدِه السيدِ الهمامِ محمدِ بن عبدالله أبو منصر مكانَه، وأمرَ الإمامُ أيضاً النقيبَ أحمدَ بنَ يحيى حُبَيْش بالعزمِ إلى مِلْحَانَ، لما له من المعرفةِ السابقةِ بأحوالِ أهلِه، وهو مِمَّنْ حضرَ في الفتحِ السابقِ، فمكثَ النقيبُ هنالكَ إلى أنْ ملَّ الإقامةَ، وجرى في أثناءِ ذلك من بعضِ أهلِ الجبلِ ما يدلُّ على الميلِ إلى أهلِ تُهامةَ، وبلغَ إلى السيدِ محمدِ بنِ عبدالله أبو منصر أنها قدْ وصَلَتْ إليهم ذخيرةٌ من عندِ أعوانِ الضالِ، فتثبَّتَ فيما بَلغهُ إلى أنْ قويتْ قرائنُ الدّلالةِ على ذلك، وبحثَ عن الأفرادِ المتمالئين، ووثبَ عليهم وثوبَ الأسدِ الخادر، وحالَ بينَهم وبينَ ما يشتهون من العملِ الخاسر، وساقَ منهم كثيراً إلى الحبوسِ، وقوّى رهائنَ الطاعةِ من الجهةِ التي ظهرَ فيها التمالؤ، وأصرَّ الكثيرون منهم على أنّه لم يكنْ هنالِك ميلٌ إلى الخلافِ، ولكنّهم يتَّضجرّون مِنْ ثقلِ المحطةِ، لأنّه لم يَنْقُصْ عددُ المجاهدين في الجبلِ منذ الفتح عن ألفٍ، بلْ كانوا يزيدون على الألفِ بمئاتٍ، فدارتِ المراجعةُ في شأنِ تخفيفِ المحطةِ، وكانتْ قد حمَّلَتْ بيتَ المالِ عبئاً ثقيلاً مع قلّةِ واجباتِ الجبلِ المذكور. ووصلَ الشيخُ علي يحيى المذكورُ إلى حضرةِ الإمامِ من أجلِ هذا الأمرِ، مراجعاً في شأنِ تخفيفِ الرهائن، وشاكياً منَ السيدِ محمدِ بن عبدالله وقسوتِهِ، فأصغى الإمامُ إلى إفاداتِه، ورأى أنّه لا يتمُّ البناءُ على أمرٍ فيه الصلاحُ والفلاحُ إلا بوصولِ مشايخِ

/ ٢٠١

....

....

الجبلِ المذكورِ إلى الحضرةِ الشريفة.

فصدرَ الأمرُ الشريفُ بوصولِهم، فوصلـوا جميعاً، وأمرَ الإمامُ السيِّدَ الفخريَّ عبدَالله بنَ يحيى أبو منصّر، وهو إذْ ذاك مقيمٌ بالحضرةِ الشريفة، بالخوضِ معهم فيما ينبغي اعتمادُه، وأفْهَمَهُمْ الإمامُ بأنّه إذا حصلَ الوفاقُ على صَوْنِ الجبلِ من الأعداءِ، والتزموا بذلك، أمْكَنَ إسنادُ العمالةِ إلى كبيرِهم علي يحيى الأصابع، ويكونُ إبقاءُ رتبةٍ صالحةٍ في حصونِ الجبلِ المذكورِ مع أحدِ الأمراءِ، فكثرت المراجعةُ في هذا الشأن، وظهرَ من أحوالِ المشايخِ أنّهم لا يرْضَونَ بتصدُّرِ علي يحيى الأصابع.

وفي آخرِ الأمرِ، عادَ المشايخُ إلى مِلْحَانَ، وتمَّ الكلامُ على أنْ يكونَ نزولُ السيدِ الفخري عبدِالله بنِ يحيى إلى هنالك، وقيامُه بعمارةِ ما يحتاجُ إليه من الحصونِ، وتقريرُ الأحوالِ، وأخذُ الضّوابطِ من المشايخِ والرفعِ إلى حضرةِ الإمامِ عن مقدرِ ما يحتاجُ إليه الجبلُ من الرتبةِ، ولم يتيَّسَرْ للسيد عبدِالله أبو منصر العزمُ في تلك الأيام، بل كان إرسالُ السيدِ يحيى بن علي/ أبو منصر بدلاً /٢٠٢ عن السيدِ محمدِ بنِ عبدالله أبو منصّر، وتوجَّه مع علي يحيى الأصابع إلى مِلْحَانَ، فلم يتمَّ بينهما التوافقُ، ولم تثمِرْ تلك المساعي، وظهرَ من النقيبِ الرُّغوبُ في البقاءِ بمِلْحَانَ.

وفي تلك الأثناءِ، كان تعيينُ السيدِ أحمدَ بنِ علي الحيفي مأموراً للمالِ في الجبلِ المذكورِ، والقاضي محمدِ بنِ علي الحلالي كاتباً للعاملِ، ويكونُ بقاؤه بمعيةِ النَّقيبِ، فكانتْ حمولةُ الجبلِ المذكورِ فوقَ ما يستحقُّ، وبعدَ مدّةٍ، توجَّه السيد[1] فخر الدين عبدُ الله بنُ يحيى أبو منصر إلى هنالك؛ للقيامِ بما أُمِرَ بِهِ من

[١] في س، سيدي.

عمارةِ الحصونِ اللازمةِ، وشرَعَ في إجراءِ ما أمرهَ بـه مولانا الإمامُ متناولاً ومباشراً للأسبابِ التي يكونُ بها الوصولُ إلى مرغوبِ حضرةِ الإمام.

ومع هـذا الحالِ، فلمْ تزلِ الحربُ ثـائرةً في أطـرافِ الجبلِ من جهةِ تُهامـةَ، والـزيلعيُّ باقٍ على الخلافِ، والمغـربةُ تـارةً بأيـدي المجاهـدين، وتارةً بأيـدي المخـالفين، وقد صـار سكـانُ تلك الجهـةِ مشتّتين في بلادِ تُهامـةَ، وهنـالك في المنـوابِ وما فـوقَـه إلى حَدِّ بـلادِ الطـاعةِ جماعـةٌ من التهـاميين وأشرارِ حاشـدٍ المخذولين، وبينهم وبينَ المجاهدين في كلِّ حين وقعـاتٌ ومعاركُ وقتالٌ مستمرٌ والنّصرُ في جميعِ ذلك لجنـدِ الإمـامِ وحزبِ الأنصـارِ، ولم تخلُ هـذه الحروب مِنْ قتلى في كل معركةٍ من البغاة كثير وشهداءَ من الأنصار وخرجَ هذا العامَ والحالُ كذلك، ولكنَّ جانبَ الحقِّ في ظهورٍ، والأعداءُ في خذلانٍ وفتورٍ.

وفي شهـرِ شعبانَ مـن هذه السنـةِ، وصلَ إلى حضرةِ مـولانـا الإمام -وهـو بمحروس بئـرِ العَزَبِ- الفيلسـوفُ الشهيرُ أمين الريحاني[1] اللبناني العيسوي، ورفيقُه الـزعيم قسطنطين[2] يني البيروتي العيسـوي وافدَيْن، فأمّـا الأوّلُ منهما، فهو من المشهورين بالسَّعي في وحدةِ العربِ، وبكثرةِ الجَوَلانِ في بقاعِ الأرضِ من أمريكا، وغيرهـا من بلدانِ أوروبا، ونصارى الشـامِ كثيرو الإعجابِ به، وبما

(١) أمين بن فـارس بن انطون الريحاني ت ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م، كاتب، خطيـب، مؤرخ، لبناني الأصل، رحل إلى أميركـا، اشتغل بالتجارة والتمثيل، طاف البـلاد العربية حيث زار نجداً والحجاز واليمن والعراق وفلسطين والعراق ومصر والمغرب والأندلس، كتب الـريحانيات، أربعـة أجزاء وملـوك العـرب وتاريخ نجـد الحديث وفيصل الأول وقلب العراق وغيرها كثير، انظر الاعلام، ٢/ ١٨ المقتطف، ٤٠/ ١٩٣ .

(٢) قسطنـدي يني: لبنـاني شـاعـر خـدم عنـد الشريف الحسين بن علي، صـديق لأمين الـريحاني، كان قسطنـدي يني مرافقـاً لأمين الـريحاني في رحلته في البـلاد العربيـة التي بدأها في ٨ رجب ١٣٤٠هـ/ ٢٥ فبراير ١٩٢٢، انظر ملوك العرب، ١/ ٢٥ .

ينشُرُه من المقالاتِ الاجتماعيةِ. ونصارى الشـامِ في هذا العصرِ لكونِ لغتهم هي العربيـةَ يدَّعـون أنّهم من نصارى العربِ، وقـد أكثروا من التصـاريفِ في اللغةِ العربيـةِ، [١وأتَوْا بعجـائبَ تُسْتَحْسَنُ عندَ النُّقـادِ لما تحويه من المواضيـعِ الأدبيةِ وغيرها١]، /٢٠٣ [٢مما لا علاقةَ له بالدّيانةِ، ونشروها على الملأ في كتبٍ مطبوعةٍ. وهذا منهم تقليـدٌ لطـوائفِ الأفـرنج في التشيُّعِ للجنسيـةِ والوطنيـةِ، وتقـديمِهـا على الرابطةِ الدينية٢].

وأما الثاني فهـو كما ذكرنا بيروتيُّ الدارِ، ومنذ كانت الحروبُ العمـومية، وقيامُ الشريفِ حسين بن علي على الأتراكِ بـالثورة كما أسلفنـا، سكَنَ جدَّةَ وأفـادَ أنّه مستخْـدَمٌ في شعبـةِ الطيران بـاسم مـدير، وأوضحـا أنَّ مـرامَهُما من الـوصـولِ السياحةُ وخدمةُ العربِ، وحثُّهم على الاتفاقِ وجمعِ الكلمةِ والاتحادِ، ولّما وصلا أُنـزلهما مولانـا الإمـامُ في أحدِ البيـوتِ بمحـروسِ بئـرِ العَزَبِ، وأجـرى عليهما الكفايـةَ الفاضلـةَ، وحين أذِنَ مولانـا الإمامُ لهما بـالمثولِ في حضرتِـهِ الشريفةِ، دخـلا متأدِّبين، وقبلَ الإذنِ لهما بالجلـوسِ، استأذنَ قسطنطينُ المذكـورُ مولانـا الإمامَ في الإنشادِ لما قدْ نَظَمَه، فأذِنَ له مـولانا الإمام، وأملى قصيدَته الآتي ذكرُها قائماً ومطلعها: [الخفيف]

اخفِض الطَّـرْفَ رهبةً واحترامـا	وتكلَّمْ إذا ما استطعْتَ الكلاما
وتقـدَّمْ للعـرشِ واجثُ لـديـه	لتحيِّي عنِ الحجـازِ الإمـامـا

ثم سردَ من هـذا الكلامِ المملـوءِ فخـامةً وجـزالـةً مادحـاً لـلإمام -عليـه السـلامُ- وواصفاً مـا كـانت عليه حـالـةُ العـربِ مع الأتراكِ من الاضطهـادِ، ومستطرداً لما كـان فيه العـربُ في الأجيالِ الغابـرةِ من علوِّ الشـانِ والسيادةِ على

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] في س، بين يديه

المَمالكِ والبلدان، وما نتَجَ عن تفرُّقِ الكلمةِ من الانحطاطِ واستيلاءِ الأقوامِ الغربيةِ، أهلِ أوروبا على معظمِ البلادِ العربيةِ إلى أنْ قال:

هذه حالةُ البلادِ فخلِّصْها مِنَ الجَوْرِ وارحَمِ الأقْواما

يسألون الإمامَ عَطْفاً ويُلقو نَ عليه تحيةً وسلاما

إن أحلامَهُمْ معلَّقةٌ فيكَ فحقِّقْ بسعيِكَ الأحْلاما

وَحِّدِ العُرْبَ واجمعِ الشَّمْلَ وانهضْ لتُزيلَ النُّفورَ والإنقساما

قد دَنَتْ ساعةُ الخلاصِ فهيّا وانصُرِ العُرْبَ تنْصُرِ الإسْلاما

دُمْتَ ملجأً الضّعيفِ والنصرُ يمشي في لواءِ الإمامِ عاماً فعاما

/ ٢٠٤

قلتُ: ومكثَ المذكوران برهةً في الحضرةِ الإماميةِ، وجرتْ بينهما وبينَ الإمامِ مراجعاتٌ فيما يسعيانِ له، ثم قفلا راجعَيْن من طريقِ الحُدَيْدَةِ، ولقسطَنطينَ المذكورِ أشعارٌ حِسانٌ [١نَظَمَها في مواضيعَ شتى كمخاطبةٍ لقصرِ غمدانَ، ونحوِ ذلك١].

وفيها أمرَ مولانا الإمامُ بالاحتفالِ بختمِ سيدي مطهَّرِ بنِ الإمامِ لقراءةِ القرآنِ الكريمِ، وأقامَ وليمةً كبيرةً، دعا إليها الأفاضلَ والأعيانَ والعلماءَ وطلبةَ العلمِ الشريفِ بجامعِ صنعاءَ، وعدداً كثيراً من الفقراءِ، وتلقى مولانا الإمامُ في ذلك التهاني من الأدباءِ، [٢وممَّن نظمَ في ذلك جامعُ هذه السطورِ والتاريخ لسيدي العلامةِ فخرِ الدين، عبدِ الله بن إبراهيم، وأوّلُه:

[١ - ١] سقطت من س.

[٢ - ٢] من عبارة «وممن نظم في ذلك جامع السطور حتى عبارة وبالختم يبدأ نيل العُلى» سقطت من س.

[المتقارب]

لكَ الحمـــدُ نظمّتَ دُرَّ الحُلَى ... على جيـد عصر إمـام الملا
ويسَّرْتَ فيـه سنـاءَ الهنـاءِ ... وطيبَ المُنى وجمالَ الـولا
وأرسلتُ فيـه لشمسِ السُّعـودِ ... شعـاعـاً أنـارَ ونـورا عَـلا
ومكَّنْتَ فيـه إمـامَ الهدى ... بما شئـتَ مـن نصرِك المُجتلى
فصـانَ الثغـورَ وأجْـرى الأمـورَ ... وهـدَّ الكَفـورَ بنحسِ البلى
ومـدَّ الأمـانَ بِمـدِّ السِّنـانِ ... على كلِّ جـانٍ أرادَ القِـلا
وفـاضَتْ يـداه بمغنى العُفـاه ... وأجـرى حيـاهُ كَسَيْلِ الفَـلا
وفي كـلِّ وقتٍ لـه مِنَّـةٌ ... تقلَّـدهـا الخَلْقُ طـوقـاً حـلا
وآيُ السعـودِ وقـرآنُها ... أجـادَ روايتَهـا مَـنْ تـلا
ومـاذا يقـولُ مـريـدُ المديحِ ... بـراحِ الفصيحِ وعَـذْبِ الطِّـلا
وقـدّامَـهُ البحـرُ أمـواجُـه ... جبـالٌ تطـولُ فـلا تُعْتلَى
إمـامَ الهدى أنتَ من نَبْعـةٍ ... رسـولُ المليكِ بها يُجتلى
وأمّـا مقـامُك فهـو الـذي ... نـراه لنـا حَـرَمـاً أفْضَـلا
يطـوفُ بكعبتِـه الآملـون ... فيلْقَـوْن غيـثَ النَّدى مُـرْسَلا
ويسعى إليـه الفتى خـانَـهُ ... زمـانٌ فيـدركُ مـا أَمّـلا
ولِلّـهِ شأنُ بنيك الألُى ... همُ الأنجمُ الـزُّهْـرُ لنْ تأفـلا
عظـامُ الحلومِ كبـارُ الفهـومِ ... ولمْ يـدركِـوا الحُلُمَ الأكمـلا
بـدورٌ مطـالعُ إشراقِهـا ... سروجُ الخيـولِ وأوْجُ العُـلا
إذا ركبـوا خِلْتَهُم فـوقَهـا ... صقـوراً نـؤمُّ لها أجُـدلا
وإنْ نطقـوا أبـرزوا فِطْنَـةً ... تكـادُ مِنَ الفَهْـمِ أنْ تُشْعَـلا
همُو سنـدُ الأملِ المُرْتجى ... إذا أظلمَ الـدُّهْـرُ مستقبـلا

/ ٢٠٥

....

....

وهمْ للـــورى ســـادةٌ تـــارةً مصـــابيحُ تَلْقى بهم مـــوئلا
وأكْـــرِمْ بمَـــنْ كـــانَ مِنْ أجلِـــهِ إشـــادَةُ مـــا قـــدْ حَـــلا محفـــلا
بحُسنِ الختـــامِ يـــروقُ الكـــلامُ ويبـــدو النظـــامُ بـــه أمثـــلا
ولِمْ لا وفيـــــهِ شعـــــارُ الهُدى بأجمل أوْصـــافِـــهِ حصْبـــلا
فيـا مـوكبـاً مـا رأى النـاظـرونَ أَحْسَـنَ منـــــــه ولا أجملا
جلبتَ لَنـــا كَـــوْكَبـــاً نيّراً على ســـابـحٍ يسبق الشَّمْـألا
يسيرُ عليـــه مِـن أحـــداقنـــا نطـــاقٌ بتعـــويـــذِنـــا مُثُـــلا
بظلِّ البُنـــودِ ونـــورِ السُّعـــودِ وصفُّ الجنـــــودِ وجمْعِ الملا
لَعْمـري لقـدْ كـانَ هـذا الختامُ بـديعَ النِّظـــامِ حـــلا مَنْهـــلا
إمـامَ الهدى أنت غـوثُ الـورى وحصرُ صفـــاتِك لن يحصُـــلا
وأيـــامُك الغـــرُّ بَسَّـــامـــةٌ ومفـــرقُهـــا بـــالسَّنـــا كُلُـــلا
وربُّـك أوْلاكَ أفضـــالَـــــهُ فـــلا عَجَبٌ من هنـيءٍ أقبـــلا
ستنظـــرُ أنجـــالَك الأكـــرمينَ وقـــد شيَّـــدوا مجدَكَ الأطـــولا
سُراةُ الـــرّشـــادِ حماةُ العبـــادِ سيـــوفُ الجهـــادِ إذا أعَضُـــلا
مـلامـحُ مِنْ ضئضِيء المصطفى إذا أُدْرِكَـتْ بيَّنت مُجمـــــلا
وكمْ نطـقَ الفـــالُ في رمْـــزِهِ ببشرى سرى طيبُهـــا منـــدلا
ألمْ تَـــرَهُ قـــال أرِّخْ وطِـبْ وبـــالختمِ يبـــدأُ نيلُ العُلى

/ ٢٠٦

وفيهـا استمـرَّ الأميرُ الشريفُ عبـدالله بن محمـد الضمين في مَـدْوَل، وتلك الجهاتِ، ومعه من الجندِ النظام، عددٌ كافٍ لحماية تلك الأطراف، وما زال ساعياً في استمالـةِ مَنْ بقيَ من أهلِ تلك البـلادِ خارجاً عن الطاعـةِ ومقـرِّباً لهم إلى مـا يكفيهم هولَ ما هم فيه من الأراعـة إلى أنْ تمَّ بحميد سعيه المراد. وعادَ الشاردون

....

....

إلى مواطِنِهم وصلحَتْ تلك الجهـةُ، ولمْ يبقَ فيها للعـدوِّ مطمعُ اغتيالٍ ولا مطمحُ احتيال، وباركَ اللهُ لهم في الثّمارِ فعادوا إلى ما كانوا عليه من الرَّخاءِ وصلاح الأحوال.

وفيها في شهـر [....][1] تـوفي الشيخُ نصيرُ الـدين، عليُّ بنُ المقـداد راجح بدارِه في جبلِ الشرقِ،بعـدَ أنْ عادَ من حوالي بُرعٍ، والشيخُ المذكـورُ أشهرُ من أنْ يُـذْكَرَ فهـو الذي انفـردَ بـالسبقِ إلى الجهادِ والموالاةِ ومنـابذةِ الاتـراكِ في قلبِ البلادِ، وهي الجهةُ الآنسيـةُ والقيامِ والإعانةِ لمولانا الإمامِ المنصـور بالله، رضوانُ الله عليه، والاستمـرارِ على ذلك إلى أنْ توفي الإمـامُ المنصور، واستُشْهِـدَ من أهلِ بيتِهِ واخوتـهِ جماعةٌ في مواطنِ الجهادِ، وكـذلك مع إمام زمانِنـا –علية السلامُ– جرتْ بينَه وبينَ الأتراكِ حروبٌ وخطوبٌ، وقاسى من الشّدائدِ مالا يُوْصفُ.

ثمَّ توفي على فـراشِه، رحمه اللهُ، وكذلك في هـذا العام تـوفي ابنُ أخيه الشيخُ محمدُ بن أحمدَ المقداد أو بعدَ رجوعِـه/ من بُرعٍ؛ لأنّه كانَ لا يُفارِقُ الشيخَ نصيرَ الدين في سفَرِهِ وإقـامتِهِ، وما يتصدَّرُ لـه الشيخُ نصير الدين من الأعمال قامَ بها المذكـورُ مُعينـاً لعمِّـه، فقـاربَتْ وفـاتُها وآجـالُهما، ولم يخلِّفْ نصيرُ الـدين من الذكـورِ سوى ولـدِهِ مجاهد بن علي، وهـو الآن في سنِّ الشباب، وعليـه أماراتُ الصّلاحِ ظاهرةٌ بادية، وما زال مولانا الإمامُ يتعهَّدُه بالرِّعايةِ النامية.

/ ٢٠٧

وفيها وصلَ إلى الحضرةِ الشريفةِ مولانا سيـفُ الإسلام، وثاني أنجالِ الإمامِ محمد بن أمير المؤمنين قـادماً من حَجَّـةَ لزيارةِ والـدِه مولانـا أميرِ المؤمنين، بعدَ غيْبَتِـهِ عن الحضرة الشريفـةِ مدةً تنـاهـزُ السَّنتَيْن، فـاستقرَّ في الحضرةِ مشتغـلاً بدراسةِ الفنونِ عاكفاً على تحصيلِها، [2]وإكمالِ معارفِه الغزيزةِ بجدٍّ ودأْبٍ تقرُّبهِ العيونُ، ويُرْغِمُ به المبغضون[2].

....

[١] بياض في كل النسخ، ولم يذكر الشهر في كتب التراجم المعاصرة.

[٢ – ٢] سقطت من س.

وفيها كـان توسيعُ دائرةِ التعليم للفنـونِ العسكريةِ والمهـارةِ فيها، بتشكيلِ مكتبٍ لتعليمِ الـرَّمْي، وتعيينِ جماعـةٍ من ضبّـاطِ الأتـراكِ للقيـام بتعليم أفـرادِ النظامِ وتدريبهم على ذلك، ومن لـوحِظَ فيه وجودُ الكفاءَةِ والقـابليةِ لأنْ يكونَ من الضبّـاطِ أُدْخِلَ بعـدَ اكمالِ تحصيلِـه في المكتبِ المذكـور، ونُقِلَ إلى مكتبِ الضبّاطِ المسمَّى بالمكتبِ الحربي،[1 وقد زيدتْ فيـه مدةُ الطلبِ والتحصيلِ إلى سنواتٍ1]، وكذلك كـان تكثيرُ عددِ الجيـوشِ مِنَ النِّظام، حيثُ شـوهدَ مـا فيه من المنفعةِ العـامةِ والمصالح الهامّةِ، وقيـامِ النظام بجلائلِ الأعمالِ على غايـةِ ما يُرام [2مع توفُّرِ مزيدِ حسنِ الأمتثالِ والتوقُّفِ والثَّباتِ2].

وفيها بلغَ إلى مسـامعِ مولانـا الإمامِ أنَّ أيـدي أشرارِ الغواةِ من أعـوانِ الضالِّ الموجودين ببـاجل، قد امتدَّتْ إلى قبـائلِ الزرانيق(1) الشامي[3] باستمالةِ عُقّالِهم إلى الانضـام إلى الضـالِّ، وأنَّ مقصَـدَهُمْ من ذلك إزالـةُ الحواجـزِ الحائلـةِ بينَهم وبينَ زَبِيد، وأنَّهم قـد أخذوا كثيراً من الرهـائنِ، فاهتمَّ لـذلك مولانا الإمـامُ، ووالى إرسالَ الجنودَ إلى سيـدي الأميرِ عبدالله بنِ أحمد الـوزير لإرسـالها إلى زبيد، وأمـرَه بالعنـايةِ بمكاتبةِ مَنْ بقيَ من الـزرانيق غيرَ مائلٍ إلى الأدريسي مثلَ الشيخِ أحمد فتيني جنيد، وجميعِ قبائلِ الزرانيق اليماني[4] وتحذيرِهم من مكرِ الضـالين، وإمدادِهم بما يحتاجون إليـه من ذخيرةٍ في دفعِ أعـوانِ الضـالِّ عن بلادِهـم، فتيسَّرَ بمَنِّ الله تعالى وعـونـه

---

(1) الزرانيق: من أشهر قبـائل تُهامة ونسبهم في الأشاعرة، ومنهم قبائل المعـازبة وفروعهم، بنو محمـد وبنو مقبـول وبنو مشهـور وبنو الجنيـد والهباليـة والبهادرة وغيرهم والـذين جنـوب بيت الفقيـه يسمون أهل الطـرف اليماني ولمن في شمالها أهل الطـرف الشـامي والحسينيـة جنـوبها، انظـر، اليمن الكبرى، 134، معجـم المقحفي، 290، معجم الحجري، 1/ 394، 2/ 636 .

[1-1] سقطت من س.

[2-2] سقطت من س.

[3] في س، الشامية.

[4] في س، اليمانيين.

إبطـالُ حيلةِ الماكـرين في استمالـةِ الـزرانيق الباقين، وتـراجعَ أكثـرُ الأوّلين عن تمامِ الانقيادِ بعدَ هَرَجٍ ومَرَجٍ في قضـاءِ بيتِ الفقيهِ، ولم يتمكن الخاسرونَ من الوصولِ إلى الزرانيقِ فضلاً عن زَبيدٍ، وكفى اللهُ/ المؤمنين القتالَ وهو الوليُّ الحميد. / ٢٠٨

و[١]فيها في شهـر [ذي القعدة][٢] توفي القـاضي عبد الـرحمن بن علي الحداد الأبي الشافعي، حـاكمُ لواءِ تعـز، ورئيسُ مجلسِ تدقيقِ الأحكـام في مدينـةِ تعز وهـو كهلٌ، والمذكورُ من علماءِ مـدينـةِ إب، وأبـوه الفقيهُ عليُّ بنُ نـاجي الحداد مفتيها، اشتُهِرَ بالرسـوخِ في الفنونِ والتفوقِ على غيرِهِ من علماءِ تلك الجهةِ علماً وعمـلاً، واستمرَّ في الفتـوى إلى أنْ توفي، فخلَفَـه في منصِبِه ولـدُه القاضي عبـد الـرحمنِ هذا، وخـرجَ عن طريقـةِ أبيـه في الانقباضِ وعـدمِ المداخلةِ في الأمـورِ السلطانيةِ، فباشَر مالا تعلُّقَ له بـالفتوى، وزاحَم أربابَ المَناصبِ، إلى أنْ صارَ الـرجلَ المُشارَ إليـه في قضـاءِ إب في الحلِّ والعقدِ، وصـارَ مأمـورو الحكومـةِ في القضاءِ المذكورِ يعملـون بإشارتِه، وله قبولٌ عظيمٌ لَـدنَّ أُمراءِ الأتراكِ ثمَّ ارتقى به الحالُ إلى أنْ صارت الحكـومةُ العثمانيةُ تستعينُ بهِ في معضـلاتِ أمورِ اللواءِ جميعه: كالإصلاحِ بين المشايخِ، ودفعِ الفتن.

ولما وصلَ عـزَّتُ باشـا إلى صنعـاءَ، كان المُومى إليـه أكبرَ رجـالِ لواءِ تعـز الذين وصلوا لـزيارتِه، فاستحسنَ بإشارةِ الوالي محمـود نديم بك اسنادَ منصبِ القضـاء في لواء تعـز إلى عهـدتِهِ، فتـوجَّه إلى تعـز ومكثَ فيهـا، وعندَ أنْ صـارَ الحربُ العام، وكـانَ الأتراكُ من جملـةِ الدُّولِ المحـاربةِ لـلإنجليز، احتـاجوا إلى استدعـاءِ المتطوّعين للجهادِ من سكـانِ اللواء عندَ قـدومِهم على لحج، ومحاربةِ

....

[١-١] وقع سقط في س يصل إلى عشر صفحات من عبارة «وفيها في شهر» إلى عبارة، ولما بلغ إلى الأمير جمال الدين، صفحة ٢١٨ من الأصل.

[٢] الإضافة من نزهة النظر، ٣٤٨ .

سلاطينها، فكانَ المُومى إليه فِمَّن جَدَّ واجتهدَ في ذلك الحين، وأُطلقَ عليهِ لقبُ رئيسِ رؤساءِ المجاهـدين، ومنذ تعيينِه للقضاءِ في لـواءِ تعز إلى أنِ انقضت أيامُ الأتراكِ والمذكورُ في أغلبِ تلك المدّةِ وكيلُ متصرِّفِ اللواء.

وقد سَرَدْنا وصولَه إلى صنعاءَ عنـدَ تسليمِ الأتراكِ إلى الانجليزِ وما تمَّ بينَه وبينَ الإمامِ -عليـه السلامُ- ورفقائه من المراجعةِ. وكـان المذكورُ مِنْ قبلِ ذلك موصـوفاً بالانحـرافِ عن الإمامِ، ولحُسْن ما رآه مـن مولانا الإمـام من المقابلةِ الجميلـةِ تبدَّلَ لديـه الحالُ، وصارَ مـن جملةِ أشيـاعِ الحقِّ المنابذيـن للضّلالِ، وعيَّنـه مولانـا الإمامُ قاضياً في تعـز كما كان، فحمد منابَه، وكـانَ مِنْ قبلُ ومِنْ بعدُ موصوفاً بـالعفَّةِ وعدمِ قبولِ الرشوةِ، وما زال قاضياً في تعـز إلى أنْ توفيَ في التاريخِ المذكور، ورثاه جماعةٌ من الأعيانِ، ولم يحضُرْ لديَّ حالَ التحريرِ شيءٌ من ذلك، حتى يكونَ إثباتُه.

وقد كان المُومى إليه في أثناءِ سنةِ تسعٍ وثلاثين وثلثمائة نظمَ أرجوزةً فيما بلغ إليه من اختياراتِ مولانا الإمام التي/ ألزَمَ حكّامه أنْ يكونَ عملُهم بها، فيما حَوَتْهُ. / ٢٠٩

ثم شرحَ منظـومَتَهُ المذكـورةَ شرحـاً لطيفـاً، استظهرَ على تلك الاختيـاراتِ بـالأدِلَّةِ الـواضحـةِ، وبيَّن مع ذلك ما يقـوّي جـانبَها من أقـوالِ أهلِ المذاهبِ الأربعـةِ، وأرسلَ الشرحَ مع الأصلِ إلى مـولانـا الإمـامِ، فـانبرى الأفـاضلُ إلى تقريظِه، وأولُ منظومةِ المذكورِ:

الحمـــدُ للّـــهِ وصلّى اللهُ	على رســولــهِ ومصطفــاه
محمـــدٍ وآلِـــه وسلّماه	وبعــد قــد اجبت نظماً معلما
بما أتــانــا عن إمــام العصرِ	يحيى الـذي أرْعبَ أهلَ الكفـرِ
من اختياراتٍ لعمري إذْ غدَتْ	مسفـرةً أنــوارهـا قــد أشرقت
لعلــةٍ مع الــدليلِ الشــافي	لســالكِ محجَّـةِ الإنصــاف

وقال في آخرِها، وقد استوفى ما وَعَدَ به من النظمِ والبيانِ وإيضاحِ المراد لذوي العرفان:

ناظمُ هذا طالبُ الغفران — هو المسمى عابدَ الرحمن
نجلُ علي المشهورِ بالحداد — المرتجي من ربِّه الجواد
مغفرةً تُحيط بالذنوبِ — وتسترُ الجاني عن العيوبِ
بفضلِ طه سيِّدِ الأبرار — وآلِهِ وصحبِهِ الأخيارِ
صلّى عليهم ربُّنا وسلَّما — ما دامتِ الأرضُ ودامت السّما

والمسائل التي نظمها القاضي المذكورُ ثلاثَ عشرةَ، واختياراتُ مولانا الإمامِ أكثرُ من ذلك، ولكنَّه نظمَ ما بلَغ إليه:

أُولاها: لا هبةَ ولا وقْفَ لبعضِ الورثةِ دونَ بعضٍ لحديثِ النعمانِ بنِ بشير ولقولِهِ: «غيرُ مضارٍّ وصيةٌ من اللهِ، فمن خافَ من موصٍ جَنَفاً أو إثماً الآية ويستثنى من ذلك إذا كان الوارثُ ذا عاهةٍ تُعجزُه عن الكسبِ أو مِنَ الضعفاء الذين لا يملكون حيلةً ولا يهتدون سبيلا.

الثانية: لا وصيةَ لوارث.

الثالثة: الكفاءةُ غيرُ معتبرةٍ مع بلوغِ المرأةِ ورضاها.

الرابعة: لا تُقْبَلُ شهادةُ شهودِ المدَّعي بعدَ طلبِه ليمينِ المدَّعى عليه، وتحليفِهِ، لقولِه صلى الله عليه وعلى آلِه وسلّم:

/ ٢١٠ / شاهداك أو يمينُه، ولأنَّ المرادَ باليمينِ كفُّ الدعوى.

الخامسة: لا تُشْتَرَطُ الألفاظُ في البيعِ والإجارة، إذ المناطُ هو التراضي،

....

....

فكلّما دلَّ عليه نفذَ به البيعُ، إلا ما نُهِيَ عنه كالملامسةِ والمنابذة.

السادسة: ما باعه الفضوليُّ عن الصغيرِ للحاجةِ الماسةِ في سني الشدَّةِ فهو نافـذٌ من بابِ الصلاحيـةِ لتضييقِ الحادثةِ، لكن مع عدمِ الغُبْنِ في الثمنِ زمـاناً ومكاناً، ومصيرُ الثمنِ إلى الصغيرِ نفقةٌ ما على المحسنين من سبيلٍ وهو محسن.

السابعـة: المرأةُ التي غابَ عنها زوجُهـا، وليسَ له مـالٌ تستنفقُ منه، وليسَ لها أيضاً مـالٌ إذا جاوزتْ غيبةُ زوجِهـا ثلاثَ سنين، وجُهِلَ حالُـه أحيٌّ هو أم ميتٌ، وأرادت الفسخَ، فلهـا ذلك لحديثِ أبي هريـرة، وحديثِ امرأةِ ثـابت بنِ قيسِ بن شماس له دخلٌ في هذا البـابِ، ولقوله تعالى: ﴿**ولا تضارُّوهُنَّ لتضيقوا عليهن، فـابعثوا حكماً من أهلِهِ وحكماً مـن أهلها**﴾، ولقولِـه صلّى الله عليه وآلِـه وسلم في الرجلِ: لا يجدُ ما ينفقُ على امرأتِه يفرَّقُ بينهما.

الثامنة: الهبةُ والنذرةُ ونحـوهما الواقعةُ من البائعِ للمشتري لأجلِ الحيلةِ في إبطالِ الشُّفْعةِ لا اعتبارَ لها، لأنَّ ذلك لا يكونُ إلا بعدَ التواطؤ على ثمنِ الجميعِ ويكونُ التعبيرُ بلفظِ النـذرِ ونحوِه مجرّداً عن إرادةِ المعنى الـذي وُضِعَ له اللفظُ، ولو لم يتمَّ بينهما البيعُ لرجَعَ الناذرُ عما نذَرَ به على المشتري.

التـاسعـة: لا تأثيرَ للصُّرةِ المجهـولـةِ التـي تُضَمُّ إلى الثمنِ لأجلِ إبطـالِ الشفعةِ بجهالـةِ الثمن، لأنّها كالزيادة في الثمن، ولا تكونُ إلا بعـدَ التواطؤ بينَ المتبايعَيْن على قدرِ الثمنِ، وإذا فُرض كونُها من الثمـنِ حقيقةً، فالجهالةُ في مثلِ ذلك يسيرةٌ، ويُلزَمُ الشـافعُ قيمتَها؛ لأنَّ جهالتهـا دون جهالـةِ ما شُفعِ من مبيعٍ كثيرٍ ولا سببَ للشافعِ إلا في بعضِهِ.

....

....

العاشرة: شهادةُ المِثْلِ مقبولةٌ ما لم يُؤثَر عن الشاهدِ الزورُ والدخولُ في الكبائرِ التي تصمُّ وتعمي، وإذا قُبِلَتْ شهادةُ الكافرِ عندَ مظنةِ عدمِ وجودِ المسلمِ فبالأولى شهادةُ غيرِ العدلِ عندَ مظنةِ عَدَمِه.

الحادية عشرة: إجبارُ الزوجةِ على الرجوعِ إلى طاعةِ زوجِها ولو بالحبسِ أو حبسِ وليِّها إذا لمْ يتحقَّق الضِّرارُ من الزَّوْج، وهذا من مواضعِ النظرِ.

الثانية عشرة: ما بيعَ في سني المجاعةِ لا شفعةَ فيه لحاضرٍ لمْ يطلبِ الشفعةَ أو غائبٍ بطلبِ المعيشةِ أو صغيرٍ لا مصلحة له عندَ البيع.

الثالثة عشرة: الغالبُ أنَّه لا تحقُّقَ للأثمانِ في سني المجاعةِ لعدمِ استقرارِها.

٢١١/ / أقول: وقدْ حَوَتْ تقاريظُ الأعلام لمقطوعةِ القاضي المذكورِ قدْراً صالحاً من مديحِ مولانا الإمامِ وبيانِ بعضِ ما مَنَّ اللهُ بهِ على يديه من المننِ الجِسام، فاستحسنْتُ ايرادَها لأنَّها لا تخلو عما يُسْتَحْسَنُ من أقوالِ ذوي الفِطنِ، وهاكَ ما قاله المولى، شيخُ الإسلام القاضي العلامةُ عليُّ بن علي اليماني: [رجز]

أعقدُ دُرٍّ أمْ نظامُ جوهرِ ... أمْ درُّ ألفاظِ الوجيهِ الأشهرْ
نجلُ عليٍّ العالمُ الأديبُ ... الألمعيُّ المصقِعُ الأريبُ
حَوى منَ المسائلِ المختارَةْ ... ما شاع من أنظارقطب الدارَةْ
أعني الإمامَ بنَ الإمامِ الأعظمْ ... يحيِ أمير المؤمنين الافخم
كَلاه ربُّنا من الغوائلِ ... وكلِّ سوءٍ وقرينٍ باطل
ونسألُ اللهَ بلوغَ الأملِ ... والختم بالخير وحسن العمل
ونُتْبعُ الصّلاة بالسلام ... على النبي وآله الأعلام

....

....

وقال حاكمُ العُدَيْن الأجلُّ حمودُ بنُ محمد بن الإمام من السادةِ أهلِ ذَمار:

الحمـــدُ للـــهِ مفيضُ العلمِ ... وجاعـل الفضل لأهل العلم

مكُــرَّرُ الصـــلاةِ والســـلامْ ... على النبيِّ وآلِـــه الأعـــلام

حماةُ دينِ ربِّنـــا والحجَّـــة ... والسـالكين واضـح المحَجَّـة

بابيض السيف ومـاضي العزم ... ونيّرُ القـــولِ ســديــدُ الفهم

مجدِّدي الـــدين لما منـــه بـــلا ... وبهمّـــةٍ تعلـو على كل عـــلا

والعـــارفين صحـةَ الأقـــوالِ ... وَحَلَّ مـا فيهـا من الإشكـال

من جـاءَ تطيهرهمو في الـذكرِ ... وهم ولاة نهينـــا والامـــر

وأوجـب اللهُ بـــه ودادَهـم ... في محكم القـــرآن واعتمادهم

لأنهم سفينـــــةُ النجــــاةِ ... وقـــــادة الانـــــام والهداةِ

منهـــم أميرُ المؤمنين يحيـــى ... من جـدَّد الـديـنَ لنـاَ وأحيـا / ٢١٢

ومن أقـالَ عثـرةَ الشريعـة ... بمحــو كلِّ بــدعـةٍ شنيعــة

عـــوّده اللهُ عـــزيـــزَ النصرِ ... وفتحَ كـلِّ بنــدرٍ وثغـــرِ

وبعـــدُ فـا لمســائلُ المنفَّـذَة ... من الإمـام عنـدنـا معتمـدة

لأنـــه يلـــزمُنـا اجتهـــادُه ... بأمـــــرِهِ في الحكـم واعتمادُه

ولا تقـولُ فيـه مـا دليلُـه ... ولا على كيفَ بنـــاَ تعليُـــه

فهـــو الخبيرُ بـــالـــذي رَواهُ ... كصـــاحبِ البيتِ بما حَــواه

وقبلَـــه أئمـــةٌ قـــد قــرّروا ... مثلَ الـــذي قـــرَّره وحـــرَّروا

ومن يكُنْ لـلاجتهـادِ صـالحاً ... يعـرفُ فيه الاجتهـادَ واضحـا

وقـد أجـادَ نظمَهـا الـوجيـه ... القـــاضي العـلامــةُ النبيــه

ميسِّراً للطـــالبين ضبطَهـــا ... فهي لآلٍ والنظـــامُ سمطُهـــا

وحسنُهــا تمَّ مـع الإفــادة ... فــذوقُهــا يحلــو لمن أعــاده
وفَّقنَـــا اللهُ لما يـــرضـــاهُ ... مــلاطفـــاً لنــا بها قضــاهُ
ونــرتجي لــذنبنا غفــرانــا ... يــا ربَّنا حقِّق لنــا رجانــا
وصلِ يــا ربِّ وسلِّم أبــدا ... على النبي وآلــهِ أصلِ الهدى

وقال أحدُ تلامذةِ المولى العلامةِ إمـام السنةِ النبوية، وخاتمةِ الحفاظ للعلومِ النَّقْليةِ والعقليّـةِ القـاضي الحسينُ بنُ علي العمْـري، على لسـانِ المولى، شرف الإسلام.

الحمـــــدِ للهِ إلــــهِ الخلْـقِ ... هــادي العبـادِ لاتبـاع الحقِّ
حمداً يضـــوعُ نَشرُه المعطَّـــر ... ويمــلأ الكــونَ ثنــاه الأوفــرُ
وأشرفُ الســلامِ والصــلاةِ ... تستغـرقُ الأحيـانَ والسـاعـاتِ
على الــرســولِ السيـدِ العظيمِ ... وآلِــهِ سُفُنِ النّجـاةِ القُــرومِ
ورضيَ اللهُ عن الصّحـــابـــةِ ... أهلِ الــرشـادِ عُمدَ الإصـابَـه
مـاقــامَ لِلّــهِ إمــامٌ يـدعـو ... فمـــدَّه مـن نصرِه بــا لمرجــو
مثلُ إمـامِ الحقِّ مـولانـا المُهاب ... مـؤيـدُ الدين بـلالآءِ الصـواب
يحيـى أميرُ المؤمنين القـــائم ... ذخـرُ الـوجـودِ وغيـاثُ العـالَمْ
مـن خصَّـــهُ اللهُ بيمـنِ النَّصْرِ ... وغـــرّةٍ تحكي عمـودَ الفجـــرِ
ومِنَـح الأوهــــا لا تُحصَرُ ... وهي مـن الجسمِ الكثير أكثـــر
تضيق عن تعـدادِهـا الـدفـاتـر ... وتــزدهي بــذكـرِهـا المنـابـر
وهي التـي عـــادَ بها للـــدينِ ... شبـــابُــه النـــاضرَ عن يقينِ
وأوضحتْ منـــاهجَ الشريعـــة ... وشيَّـــدَتْ حصــونَها المنيعـــة
وأتصَفَتْ للحـــائر المظلـــومِ ... مـن كلِّ خـبٍّ معتـــدٍ أثيـم

/٢١٣

....

....

وزادَهــــا بفضلِـــه تحسينــــا ... مــا اختــارَه في هــديــهِ نبينــا
مســـائلٌ دليلُهــا مثلُ القمــرْ ... جـاءتْ بحسمِ الـداءِ في كلِّ نَظَـرْ
وسهَّلَتْ رفـعَ خصـامِ النــاسِ ... وأذهَبَتْ ضرَّ هــوى الألبـاسِ
وقــدْ أجــادَ نظمَهـا بيــانـا ... وزادَهــا بــرصْفِـه تبيــانــا
قــاضي تعـز الأوحــدُ الأجلُ ... لا زالَ بين الفــاضلين يعلــو
لله نظـمٌ جــــانــا بهيّـــا ... يحكي لنـا روضَ الهنى النَّديـا
وشَرحَ النفـس سنـــا التعليـقِ ... بما يـــروم طـــالـبُ التحقيقِ
فــازدادت البهجــةُ والإينــاسُ ... وانتظمـتْ وردتُــــه والآسُ
لا زال متخـــوِّفــاً من الخلاقِ ... بكلِّ خير هـــامـــرٍ دَفـــاق
ولا عـــدى المولى الامـــامَ نصرا ... يكفلُ بـــالفتحِ ويُفنى الكنــزا
مــا غــرَّد الحادي وغنّى القمـري ... ونسيـج النسيم درعُ النهـــــرِ

/ ٢١٤

وقد قرَّظ محرِّرُ هذه السطورِ تلك المنظومةَ مقتدياً بالأعلام، فقال:

سبحــانَ منْ تعنـو لــه الـوجـوهُ ... ولا إلهاً غيرَهُ نــــرجـــــو
أوْلى وَوالى منَّــــةُ التـــوفيـق ... وأسبغَ النعمـــةَ بـــالتحقيقْ
أحمدُه حمداً يطـــولُ مـــدا ... ويعجــزُ الحاسبُ عنــه عــدّا
ثـم صـــلاةُ اللهِ والســـلامْ ... على الـــذي لاحَ بــه الإسـلام
وآلِـــه الكـــواكبِ السيّـــارة ... وصحبِـه الصيـدِ ليـوثِ الغـاره
ما اطلعَ الانصـافُ في أفُقِ الفكرِ ... شمسَ هُدىً أنوارُهـا تجلو النظر
مثلَ اختبـاراتِ إمـــامِ الأمـــة ... بحـرِ العلومِ أوحـدِ الأئمـة
يحيـى أميرُ المؤمنين البـــــدرُ ... خليفـــــةُ اللهِ إمــــامُ العصرِ
والـرحمةُ العظمى لأهـل الـوقتِ ... ركنْ الهدايـاتِ وسعــدُ البختِ

....

....

/٢١٥

أوجــدَهُ بــاري العبادِ غــوثـا وسـاقَــه للمجـدِ بين غيثـا
فسـوَّر الـدينَ بسـورِ النّصرِ وصـانَــهُ عنْ منكـراتِ الكُفْـرِ
وذبَّ عنــه بــالجهـادِ المرتضى وسلَّ سيفَ الاجتهـادِ وانتصبـا
وشبَّ بينَ العــالمين عــدلُــه فـذادَ عن جسمِ الأمـانِ العلـة
واختــارَ مــارجحَ من مســائل بــرهـانُها من أوضحِ الـدلائل
حَلَّتْ مـن الـدينِ محلَّ البصر وطــارَدَتْ كلَّ ضروبِ الضَّرر
وزيَّنَتْ مفــارقَ الشريعــة وأوْضَحَتْ فـروقَهـا الـرَّفيعـة
وهي التـي قــالَ بها الأجلَّــة وشيــدوهــا بُعــلا الأدلــة
وانتصرتْ بكــلِّ نــصٍّ محكـم مصحـح مهــذبٍ مقــوَّم
لــذاكَ جــاء الخيرُ منهـا يترى في حسمِ كلِّ المعضلاتِ جهْرا
وظهـرت أحكــامها المصـونـة بقطعِ أسبـاب العنـا ضمينـة
وهكــذا الحقُّ لــه مــزايـا يهمـي بها النفعُ على البرايــا
وزادهــا مِـنْ راغبٍ تقـريبـا نظمٌ حـوى من السَّنـا عجيبـا
يَبْهــرُ منــه رونقٌ لطيفُ وحُسنُ رصيفِ سبْكُـه ظـريفُ
وتــزدهي بمثلِـه الـدفـاتـر كما عَلَتْ بنقلِـه المحــابــر
أحسنُ مــا شــاءَ بــه وزادا قـاضي تعـز الأوحـدُ انتقـادا
ذو الفطنـةِ السريعـةِ الـوقـاده والفكــرةِ الصـالحهِ المنقــادة
كمْ أظهــرتْ أراؤه المصيبــةَ شكلَ السـدادِ في الملا العجيبـة
وكم غــزا بفهمِــهِ عَـويصـا فجعلَ الحلَّ لــهُ قميصــا
شنشنــةٌ نعــرفهــا من أخـزم ومنحــةٌ تعلــو على التعلُّم
أمــا تَــراه شرحَ الصُّـــدورا بشرْحِــهِ واستــاقَــهُ ظهيرا
فجــاءَ تعليقــاً يحاكي الــذُّرا قــد زُيِّنَتْ بــه الحسانُ نحـرا

....

....

حـــرسَـــهُ اللهُ عن الأفـــولِ وجـــادَه بـــالعمـلِ المقبـــولِ
يـا ربِّ وانصرْ كـوكَبَ الإمـامـة أفضلَ مَنْ عـزَّتْ بـه الـزّعـامـة
إمـامُنـا الأعظمُ رئبـالُ الـزَّمن مـــؤَيِّـدُ الشرعِ ودَفّـــاعُ الفتن
بحقِّ مـا أنْـزَلْتَـهُ في الـذِّكْـرِ منْ سُـوَرٍ تُتلى بطـولِ الـدهـرِ

وأقول: إنَّ التقـاريظ التي من هـذا الأسلوبَ كثيرةٌ، وفيها أوردتُـه دلالةٌ على البـاقي منيرة، وإنّما سردْتُ هـذا البعضَ، وإنْ لم يكُنْ من مـوضـوعِ التـاريخ لما سَبَق من اشتمالِهِ على مـدحِ مولانا الإمامِ، وبيـانِ مزايا أياديـه الجسَامِ على جميعِ الأنام، وتوخّيه لما فيه مرضاةُ الربِّ العلامِ.

وفيهـا وجّه الأميرُ جمالُ الـدين عليُّ بنُ عبـدِالله الوزيـر همَّتَـه بموجِبِ أمـرِ مولانا الإمامِ إلى إصلاحِ أحوالِ ناحيةِ القَبَّيْطَةِ[1] من أعمالِ الحُجَريّةِ، بعدَ إكمالِ عملِ ناحيـةِ المقاطِرة، وكـانتْ أطرافُ النـاحيةِ المذكورةِ مهملـةً عن الإصلاحِ عريَّةً عن الضبطِ التام الضامِنِ للفـلاحِ، فوجَّه إليها الشيخَ محمدَ بن أحمد نعمانَ مع جندٍ وأصحبَه أحد المدافع.

/ فنكَّلَ بأهلِ الخلافِ، وألـزمهم الـوقـوفَ على رسمِ الطـاعـةِ، ومـا لها من الأوصافِ، وفر من عـاند إلى الصَّبَّيْحة[2]، وظنّوا أنَّ ذلكَ منحَ لهم من هوْلِ كلِّ / ٢١٦

---

(١) القَبِّيْطَة: على بعد ٣٠كم من التُّرْبَة، من نـاحية الحجرية، ومركز نـاحية القبيطة حيفان ومن أسواقها المَفَـاليس على بعد ٢٠كم جنوب حيفان، من توابعهـا، عُزْل، اليُوسفيين، الأعبـوس، الأعْـرُوق، الأغَـابرة، الأشـاور، الهجـر هـذلان، حيـاة الأمير، ٦٢ر٧، اليمن الكبرى، ٣٠.

(٢) الصَّبَيْحَـة: من القبـائل اليمانية في اليمن الأسفل، مـوطنهـا البقعـة الممتدة على طـول سـاحل بـاب المنـدب حتى رأس عَمْـرَان وفَقُم (بين بـاب المنـدب ونـافع)، متعـددة الأفخـاذ والفروع والبطـون، انظر، تـاريخ القبائل اليمنيـة، ٣٣، تاريخ اليمن الثقـافي، ١/ ٨٧، الاكليل، ٢/ ١٤٣.

صيحةٍ، فكاتبهم الشيخُ محمد بن أحمد نعمان، ونـادى أولئك الفارين، ومَنْ نزلوا لـديهم إلى العافيـة ودعـاهم إليهـا، فلم يقبلـوها، وأصروا على مـاهمْ عليـه من الضـلال، ودوامِ الاحتلالِ، وجـرَّأهم على ذلك بعـدَ العهدِ بـالطاعـةِ، وأنّهم لا يعرفـون لأحدٍ ولايـةً مع ما هم عليـه من البداوةِ، وشدةِ الجهـلِ والعبادةِ. ومع ذلك فلم يقتصروا على الفـرارِ بل شرعـوا همْ ومنْ نـزلـوا لـديهم في الغـزوِ على المجاهدين.

وقد كانَ الشيخُ محمدٌ ومَنْ معه من الجندِ اتخذوا معادن[1]، وهي أقصى حدِّ الناحيةِ محطـةً لهم، وأقاموا فيها، فرفع قـائدُ المحطةِ الخبرَ إلى الأميرِ جمالِ الدين، وبيّن مـا عليـه أولئك من التعصُّـب للفسـادِ والتحـزُّب للعنـادِ وأذيتِهم للمجـاهـدين، وانضمَّ إلى ذلك تعـرُّضُ أشرارٍ من الصَبَيْحَـةِ إلى السبيل، وقتلُ بعضِ المسافـرين ونهبُ أموالِهم، وبلوغُ الشكوى إلى الإمام، وصـدورُ الأمرِ من حضرةِ الإمـام بتأديبِ أولئك المعتدين، وقـد كانَ الأميرُ كتَبَ إلى سلطـانِ لحج بضبطِ أولئك الأشرارِ، فاعتذر بأنّهم لا ينقادون إلى طـاعةٍ وليس في وُسْعِهِ إلقاءُ القبضِ عليهم لتعصُّبِ رؤسـائهم لهم. فأمـرَ الأميرُ قائدَ محطـةِ معـادنَ بتأديبِ أولئك العصاةِ والشروعِ في ضَبْطِ مَنْ قـدَرَ عليه منهم، فامتثل الأمـرَ، وبادرَ إلى القـدومِ عليهـم إلى بعضِ محالّهم من بـلادِ الصَبَيْحَـةِ، ووالى عليهم غـاراتِـهِ، فتجمّعوا من أطرافِ بلادِهم، ولم يتوقفوا عن دفع إغارةِ المجاهدين عليهم، بل شرعوا في العدوانِ واستعـانوا بأهلِ القَبَيْطةِ على إفسادِ بعضِ أطـرافِ الناحية، وحين رأى قـائدُ محطـةِ معـادنَ أنَّ الشرَّ منهم قـد أحـدق بـه، رفعَ إلى الأميرِ

---

(١) معادن: واد فيه قرى تنسـاب فيه مياه الجبال، تكثر فيه الزراعـة، وأكثرية سكان من آل سفيان، أقصى حَدّ من ناحية الحجرية، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٣٤، ٤١ .

مستمداً إرسالَ الجنودِ إليه وتلافي الحالِ، فأسعده الأميرُ إلى ما أراد، وأرسلَ إليه الأجنادَ من كلِّ جهةٍ من أهلِ اللّواءِ وغيرِهم من حَاشدٍ وبَكيلَ حتى ضاقَ الفضاءُ بهم، وبلَغَتْ عدةُ جنودِ الحقِّ في ذلك الطرفِ إلى نحوِ خمسةِ آلافِ مقاتلٍ فيهم من المشاهيرِ كالشيخ عبدِالله بنِ يحيى عبدِ الجليل وابنِ أخيه الشيخ علي هَمَّام، وبعض أولاد علي بن عبدالله بن سعيد أهل العُديْن وحمود بن عبد الرب عاملِ العُدَيْن وغيرِهم، وكان المجاهدون من حَاشدٍ وبَكيل تحتَ قيادةِ السيدِ حسن بن قاسم عثمان الوزير، فتقدّم المجاهدون بعدَ اجتماعهم إلى وادي طفيح[1] من بلدِ الصَبَّيْحَةِ، وأجَلَوا مَنْ هنالِك بحرْبٍ شديدٍ، ووقف المجاهدون في الوادي المذكور وانبثوا/ في جهاته، ووقف المقدَّمي في الزيلةِ من محلاتِ الوادي المذكور، وطال البقاءُ منهم هنالك فعاتبهم الأميرُ جمالُ الدين، وحثَّهم على مناجزةِ الباقين من البُغاةِ، ولامَهُمْ على مرورِ الأيام بدونِ جدوى / ١٧ ولا طائل، وهو مع ذلك يُرادفُ إرسالَ الأجنادِ إليهم، وما يحتاجون إليه من الذخيرةِ والزادِ، فانتدَب لهم الشيخَ عبدَالله بن يحيى عبدَ الجليل وكافَّةَ جندِ الحقِ من أهلِ لواءِ تعز ورؤسائِهم، ومعهم المدفعُ، وتوغّلوا في خبوتِ الصَبَّيْحَةِ وطردوا جموعَ الباغين وأذواقوهم مرَّ النكالِ وعظائمَ الأهوالِ، واستولوا على أكثرِ القرى، ومنها مدينةُ الفرشةِ[2]، وهي أكبرُ محلاتِهم، ثم ساقوا جيوشَهم ونازلوا قلعةَ المنصوري، وقد اجتمعَ إليها رؤساءُ الصَبَّيْحَةِ ومقاتلتُهُمْ وصناديدُهم. وقد كان أهلُ الصَبَّيْحَةِ استمدّوا من الإفرنج أسلحتَهم ومؤنَتَها وأعطَوْهم من ذلك الكثيرَ، وكاتبوا أهلَ الأطرافِ بإعانتِهم كالحواشبِ وغيرِهم، وأمدُّوهم فدارَتْ

---

(١) وادي طفيح: من أرض الصَبَّيْحَة يسكنه فخذ الجروي من قبيلة الدبيني أنظر تاريخ القبائل اليمنية، ٣٨ .

(٢) الفرشة: من بلاد الصَبَّيْحَة.

رحى الحربِ بينَ الفريقين في حرارةِ القيظ، وصبرَ الفريقان صبراً عظيماً، ووالى جندُ الحقِّ الزحفَ على الأعداءِ، واستُشْهِدَ من المجاهدين جماعةٌ كالشيخ علي همّام، وطالَ الأمرُ والنضالُ، ولمْ تسفر الحالُ عن المرادِ، وتراجَع بعضُ المجاهدين إلى ورائِهم، وأعادَ الأعداءُ ما نصبُوه من الكمين على المجاهدين، فإنه أضعفَ هِمَمَ المجاهدين، فاضروا إلى الرجوعِ إلى الفرشةِ وباتوا بها، ورفعَ بالحقيقةِ رؤساءُ المجاهدين إلى الأميرِ وإلى السيدِ الأجلِّ حسن بنِ قاسم عثمان، وكان باقياً هو ومَنْ معه من الجندِ في وادي طفيح، فبادرَ الأميرُ إلى حثِّ الجندِ الإماميّ باللّحاقِ إلى الفَرْشةِ وتدارُكِ المجاهدين الذين هنالكِ، ومبادرةِ الجميع لمناجزةِ جموعِ الباغين، فبادرَ المقدّمي المذكورُ ووصلَ إلى الفرْشةِ، فوجدَ المجاهدين قد أعادوا الكرَّةَ على الأعداءِ، وشرعوا في مُناجزتِهم وأصْلَوْهم ناداً حاميةً وبدَّلوا سرّاهم بالضراءِ فحين وصلَ هذا المرادُ العظيمُ انقطعتْ آمالُ هذا العنادِ من القدرةِ على المقاومةِ وردِّ ذلك السيلِ الجسيمِ، ولكنّهم لم يتركُوا الحربَ، فطالَ العراكُ وعظُمَ الاشتباكُ، وحميَ الوطيسُ وتيسَّرَ للمجاهدين بعدَ أهوالِ اقتحام القلعة، وقد فرّ مَنْ فيها، ومزّقوا الأعداءَ شرَّ ممزَّقٍ، وتبدَّدَ جمْعُهم وتفرَّق، وكانت قتلاهم كثيرةً، ومِنَ الجملةِ أكثرُ رؤسائهم، وصاحبُ القلعةِ المذكورةِ وانحلَّ أمرُهم وبلغَ الفارّون إلى عدن ولحج، وامتلأتْ منهم الساحاتُ، وعمَّ الرعبُ والفَرَقُ كافّةَ مَنْ/ في تلك الجهاتِ، وغنِمَ المجاهدون من القلعةِ المذكورةِ غنائمَ كثيرةً، وبعدَ الاستيلاءِ عليها حطَّ الجيشُ أثقالَهُ في تلك النواحي، ومكَثَ مرابطاً هنالك امتثالاً لما أمرهم به الأميرُ وقاس منه وخامةِ هواءِ تلك البلاد أنواعاً. / ٢١٨

....

....

ولما بلغَ إلى الأميرِ جمالِ الدين[1] أنَّ جماعـةً من أهلِ الحواشبِ أجابـوا أهلَ الصَبَيْحَـةِ وحضروا معهم في وقائِعهم، وكـانـوا من أعظمِ الأسبـاب في صعوبـةِ الاستيـلاء على قلعـــةِ المنصـوري، أمـرَ الأميرُ الشيـخَ نـورَ الـدين بـنَ حسـان بـالذهـابِ إلى مـاويـةَ في خمسِ مئةِ رام من أهلِ جبـل حَبَشي، وقد كـانَ لهم في وقـائعِ المقاطِـرةِ أثـرٌ حسنٌ وإقدامٌ مُتْقَـنٌ، وأمرَ الأميرُ أيضـاً طـائفةً من الجنـدِ الإمامي باللِّحاقِ بهم، فذهبَ ذلك الجمعُ إلى ماويةَ، ومنه تقدَّمَ إلى الدُرَيْجَةِ(١)، ونـاوشوا الحواشبَ بـالحربِ، وانضمَّ إليهم عامـلُ الإمام الشيخُ قـايد صـالح، وداخلَ أهلَ الحواشبِ مِنَ الـرّعب والخوفِ مـا تركـوا بـه أوطـانَهُمْ وهامـوا على وجـوهِهِم، وبعضُهـم دخلـوا إلى لحجَ وعـدنَ، فغصَّتْ بِهِم وبـأهلِ الصَبَيْحَـةِ البقـاعُ، واضطـربَ الحالُ في عدن وحـواليـه وتـوالت الأفزاعُ، وكثُـرَ الإرجـافُ بـوصولِ الجنـدِ الإمامي، وتقـدُّمِه على تلك الأصقـاع، وكانَ لـلإفرنج محطـةٌ في دُكَيم(٢) بـالقـربِ مـن لحج، فيهـا جمعٌ من جنـودِ الإفـرنج، وجملـةٌ وافـرةٌ من مـدافِعِهم وآلاتِهم، فترقَّبَ الإفـرنجُ فـرصـةَ غفلـةِ مَنْ في الـدُرَيْجَةِ، وأمْنِهم من الخطرِ وأرسلوا طيـارتين من طياراتِهم الحاملةِ للمقذوفات الجهنَّميـة، وكانوا من قبلُ لا يـرمـون من الطيـاراتِ إذا طافـوا بها في تلك الأنحـاءِ، فحلَّق الطيـارون بطياراتِهم فوقَ الدُرَيْجَة، وخرج المجاهدون للتفرُّجِ عليهما، [١لكن ما عدا١] أهل جبل حَبَشي كانوا على احتزازٍ من مكرِ الأعداءِ.

---

(١) الدُرَيْجَة: قـرية مـا بين ماوية ولَحَجْ في منطقـة الصَبَيْحَةِ بجنـوب اليمن، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٣٠، حياة الأمير، ٦١٩ .

(٢) دُكَيم: محطـة للمسـافـرين إلى لحج، تقـع على ميـزاب تُبَن، سيل لحج، انظـر، معجم المقحفي، ٢٣٨ .

[١ - ١] في س، الا.

وأمـا أهلُ جبلِ حَبَشي فلم يحترِزوا بل اجتمعـوا فـوقَ الأكـامِ، وقعـدوا يتفرّجون على الطيـارتين المحلِّقتين عليهم، وهم غافلون عنْ مكرِهـم، فاغتنموا من أولئك الفـرصـةَ، وقـذفـوا عليهم من القُلَلِ التـي تحملُهـا الطيـاراتُ، ولما وصلتْ إليهم انفجَـرَتْ بينَهم، واستُشْهِـدَ من المجـاهـدين جماعـةٌ، وجُـرِحَتْ جماعةٌ، وبـادرَ الباقـون إلى الفرار إلى مـاويةَ وتبعهم غيرُهم من الجنـودِ، ولمْ يبقَ أحدٌ منهم في تلك الجهـةِ، وتمَّ للإفـرنج ما أرادوه من الإرهـابِ وتقويـةِ جانبِ أهلِ الحواشبِ وغيرِهم، وذلك مـن نتـائج إهمال/ الحزم والاحتيـاطِ من مكـرِ العـدُوِّ، واضطـرَّبَ الحالُ هنـالك، فلمْ يجِدْ الأميرُ جمالُ الـدين بـداً من تـلافي الأحوالِ، وتسكينِ ما طـرى من الاختلالِ والاعتلالِ، وكان حينئـذٍ مقيماً في تربةِ يَفْرس[1] رداً لمحطاتِ المجاهدين، فبادرَ إلى الانتقالِ منها قاصداً ماويةَ بجيوشٍ سدَّتْ الفضاءَ، وضاقَتْ بها الرّحابُ. / ٢١٩

ولّما وصلَ إلى تلك الجهـةِ أزالَ ما فيها مـن الاضطرابِ وأصْلَح ما فيهـا من الاعتلالِ، وأعـاد المراتبَ إلى ما كانتْ عليه من المَنَعـةِ، واقتضى الرأيُ الشريفُ الإمـاميُّ صـدورَ الأمرِ الشريـفِ لى الأميرِ جمالِ الدين بـالتـوقُّفِ عن التقـدّمِ لمصلحـةٍ رآها الإمـامُ، فبقيَ الأميرُ في مـاويةَ وأوامـره نـافذةٌ إلى جميعِ الأطـرافِ والأكناف.

وفي أثنـاءِ إقامتِـه، وصَلَ إليـه جماعـةٌ من أمراءِ لَحْج، وكـانتْ بينَهم وبينَـه المراجعةُ، ومكَثُوا لديه أياماً، ثم عادوا إلى لَحْج، وظهرَ مِنْ مراجعتِهم محاولةُ رفعِ الجيشِ من الصَبَيْحَةِ، وأنّهم قـدْ تابوا من العَوْدِ إلى التعـرُّضِ على أبناءِ السبيلِ، وأنهم راضون بما يحكُمُ عليهم في شانِ ما مضى منهم من هذا الفعلِ الوبيل.

(١) يَفْرس: أحد فروع جبل حبشي، بها جامع أثري، على بعد ٣٠كم في الجنوب الغربي من تعز، وفيها، قبر أحمد بن علوان. انظر، حياة الأمير، ٦٣٤ .

وقد كان المجاهدون الذين في الصَبَيَّحَةِ سئموا من طولِ الإقامةِ فيها، ولحقتهم فيها الأمراضُ، فترجَّح لدن مولانا الإمام بعدَ الرفع إليه بحقائقِ ما هنالك من المتاعبِ الجسام، صدورُ الأمرِ الشريفِ بارتفاع المُحاطِ من بلادِ الصَبَيَّحَةِ وبقاءِ الجندِ الكافي في معادن. ولم يرتفع الجندُ الإماميُّ من هنالك إلا بعدَ أنْ أخربَ قلعةَ المنصوريَّ إلى القرار، وذاق أهلُ الصَبَيَّحَةِ من الأهوالِ ما لم يخطرْ لهم على بالٍ ولا دارَ بالأفكارِ. وبعدَ لُبْثِ الأميرِ جمالِ الدين شهوراً في ماوية، عادَ إلى تعز، محفوفاً بالنصرِ وهيبةِ العزِّ.

وفيها رجَّحَ رأيُ مولانا الإمام -عليه السلام- إعادةَ السيدِ الأجلِّ علي بن محمد المطاع إلى رَدَاع، وأمرَهُ بالتوجُّهِ إليها للقيام بأعمالها، فتوجَّه إلى هنالك ومعه ثلةٌ من الأجنادِ، أهلِ الثباتِ زيادةً على من هنالِكَ من العسكرِ وبوصولِهِ إليها ارتفَع السيّدُ العلامةُ يحيى بنُ علي الذاري، وعادَ إلى المقامِ الإمامي فباشَر الأعمالَ وضبَطَ ما اختلَّ من الأحوالِ بالإصلاحِ النافي للاختلالِ والاعتلالِ.

وقد كانَ جرىَ في أواخرِ العام الماضي أنَّ العاملَ توجَّه إلى دَمْت[1] مريداً فصلَ المادةِ التي طالَ النزاعُ فيها ما بين قَيْفَة والمتصدرِ عليهم/ الشيخ محمد بن سعيد الذُهب، وبينَ صَبَاح[2] والمتصدرِ عليهم الشيخِ يحيى علي علاو، وذلك / ٢٢٠

(١) دَمْت: ناحية من قضاء النَّادرة، بالشرق الشمالي من إب على مسافة ١٣١كم انظر، معالم الآثار، ٩٣، اليمن الكبرى، ١٤٤، المدارس الإسلامية، ١٦٢، معجم الحجري، ١/ ٣٦٥ (بها قلعة حصينة، وبالقرب منها حمام طبيعي يقصده الناس من جهات شتى للاستشفاء به من الأمراض، بجانب الحمام وادي ثِرَيْد).

(٢) صَبَاح: من قرى ناحية ذي ناعم بالبيضاء من رَداع، وصَبَاح، قرية من ناحية الجَبَى انظر، اليمن الكبرى، ٤٤، معجم المقحفي، ٣٧٣، معجم الحجري ٢٠/ ٣٦٠، الاكليل، ١٠/ ٢٥٢ .

من أجلِ حصنِ قـرن الملح(١)، وهـو بينَ حدودِ الطـرفين، وكـان بيدِ أصحـابِ الذُهبِ، فغزا أهلُ قريةِ مَشْـوَرة من صَباح، وقُتِلَ من الفريقين عدةُ قتلى، وذلك بـزمنِ عمالةِ السيـد علي بن محمد المطـاع المرة الأولى، واستولى أهلُ صَبـاح على الحصنِ المذكور، فصدرَ الأمرُ من مولانـا الإمامِ بتأديبِ المعتدين، وساقَ عليهم العاملُ عصابـةً من الجندِ الإمامي في حينِه، فأخـرجوا أهلَ مَشْوَرَة(٢) ومَنْ معهم من الحصنِ المذكـور، وساقـوا أعيـانَ أهلِ مَشْـوَرَة في الأغلالِ، وضربَ العـاملُ عليهم بأمـرِ الإمـامِ أدبـاً لبيتِ المالِ على قـدرِ جُـرْمهم، وآلَ الأمـرُ إلى وصـولِ الشيخين المذكورينَ إلى حضرةِ الإمام والطّرفـان يدّعيان تملُّكَ الحصنِ المذكورِ، فمكثا مـدَّةً مديـدةً في محاكمةٍ، وصـدرَ في نهايتها الحكمُ الـذُّهبِ وأصحـابِه في الحصنِ المذكـور دونَ أكثرِ الأمـوالِ المحيطةِ بـه، فهي لأهل[1] صَبَاح، ولم يقنع الغـريمان، وتوفي في خـلالِ ذلك محمـد سعيد الـذُهب، وقـامَ ولدُه الشيخُ عبـدُ الولي بنُ محمدٍ مكانَهُ، فأمرَ مـولانا الإمامُ السيدَ العمادَ يحيى بن علي الذاري عند توجُّهِهِ، بأن يتـولّى إكمالَ فصلِ النزاع، فوصلَ في أثناءِ إقـامتِه هنالك إلى دَمْت، وحضر الشيخُ علاو والشيخ عبـد الولي الذُهـب إليه، فثارت بين يـدي العاملِ الفتنةُ عنـدَ أنْ أمر بحبسِ عبـدِ الوالي وقُتِلَ حينئـذٍ اثنان من الحاضريـن وجُرِحَ آخرُ، وكادَ الشرُّ أنْ يصـلَ إلى العاملِ لولا تيسَّرَ اطفاءُ الفتنة، فكـانَ ضبط علاو والذُهب وبعضِ أصحـابِها وإرسالُهم إلى حضرةِ الإمام، فأُودِعـا دارَ الاعتقالِ، وانضمَّ إلى ذلك الشيخُ عليُّ بنُ أحمد جُـرْعُـون، كـانَ في المقامِ أيضـاً، فـاقتضى

---

(١) قـرن الملح: حصن في جبل المِلْح بتهـامـة جنـوب اللُّحَيّـة، ومِلح، محلـة في نِهم، ودار ملح، من عُزْلة بـلاد غيل وأعمال المحويت والمُلَح، قرية في جبل بـاقم من قضاء جُمَاعة وأعمال صعدة، والمقصود جبل تُهامة، انظر، معجم المقحفي، ٦٢٨ .

(٢) مَشْوَرة: قرية في جبل المَشْـوَرة الواقع في الجنوب من جبل حُبَيْش، انظر، اليمن الكبرى، ٥٩٩ .

---

[١] في س، آل صباح

الحالُ حبُسه والجهميُّ كان محبـوساً أيضاً من العام الماضي، فكان تـوجيهُ السيدِ علي بن محمد المطـاع وأكثرُ مشـايخ جهة رَدَاع محبـوسين في القصرِ السعيدِ، ولا يخفى ما عليـه المشايخُ من الأطماعِ وحيلولتِهم محافظـةً على مواردِ أطماعِهم بين الرعيـة ودوامِ السكونِ، فكـان الحَبسُ للمذكورين ممـا أعانَ العـاملَ على القيامِ بأعمالِه على ما يرام.

ومِنْ أوّلِ أعمالِـه أنْ أنفـذَ مـا أمـره الإمـامُ بـه من هَـدْمِ حصنِ قـرن الملح المذكـورِ إلى القرارِ دفعـاً للخصـومـةِ بينَ الفريقين؛ لأنَّ تصلُّبَهما عليـه لم يكنْ لأجلِ كونِه بيتاً، بل لكونِهِ دركاً يتمكُنُ به ساكنُه مِنْ أذيَّةِ الأخر.

وفي خلالِ ذلك احتـالَ الشيخُ محمدُ بنُ علي الجهمي في فـرارِه من الحبسِ، فاهتمَّ مولانا الإمامُ -عليه السـلام- بأمرِه، وكتبَ التلغرافاتِ إلى سائرِ الجهاتِ بإلقاءِ القبضِ عليه، وأمرَ عاملَ رَدَاع بانفاذِ/ عصابةٍ من الجندِ إلى بيوتِ الشيخِ المذكورِ، وهي حصونٌ منيعةٌ مرتفعةٌ إذا وصلَ إليها الشيخُ المذكورُ، وأرادَ التمنّعَ وإيقـاظَ الفتنةِ، تيسَّرَ لـه ذلك، فأرسلَ العصـابـةَ المذكـورة، وقبضوا الحصـونَ المذكورةَ، وأمرهم مولانا الإمامُ بهدمِ أهمِّها مناعةً فهدموه. / ٢٢١

وبعـدَ أيامٍ، وقعَ الظَّفَـرُ بالشيخِ محمـد علي الجهمي في إحدى قـرى مخلاف عنس[1]، وسيقَ إلى ذَمار، ومن هنالك أُرسِلَ إلى حضرةِ الإمامِ وأُعيدَ إلى محبسِهِ، ولم يحصلْ على طائلٍ من فرارِه، بل جَلَب على نفسِه المحنةَ بخرابِ حصونِه.

إذا لم يكنْ عـونٌ مـن اللهِ للفتـى   فـأوَّلُ ما يجنـي عليـه اجتهادُه

ثم استمـدَّ العـاملُ المذكـورُ مِـنْ مـولانـا الإمـام إرسـالَ الجنـودَ الـلازمـةِ للاستيـلاءِ على ناحيـةِ السواديـةِ، وكانتْ متروكـةً مهمَلَةً منـذُ عادَ عنهـا سيفُ

(١) مخلاف عَنس: ناحية واسعة غربي ذَمار بمسافة ٤١كم، انظر، نيل الوطر، ٢/ ٣٤٠ .

الإسـلامِ المولى أحمدُ بنُ قاسم حميـد الدين، وكـانَ الشيخُ أحمدُ بنُ قايـد الجبري من مشايخها يتظاهـرون بالميل إلى دولةِ الإمام، ويودُّ الدخـولَ في الطاعةِ، ولكنَّهُ يعتذرُ بـامتناع من سـواه من المشائخ بالنـاحية وقبائلهـا عن الطاعـةِ، ويستمدُّ إرسالَ الجيشِ الإماميِّ لإخضـاع النافرين، ووعدَ بالمعـاونةِ، وطلبَ من العاملِ أنْ يُصانَ جانبُهُ، ويُـراعى حقُّهُ، فوعدَهُ العاملُ بما أرادَ ومراجعـةِ العامِلِ للإمامِ بأنْ يكـونَ نصَّبَهُ عـاملاً على البـلادِ، وقد سبقَ مـا هو قـريبٌ من هذا في العـامِ الماضي، مع العـاملِ السـابقِ، ولما تمَّ الـوفـاقُ على هـذا، ورفعَ العـاملُ حقيقـةَ الحالِ، والى مـولانا الإمـامُ متابعـةَ إرسـالِ الأجنادِ إلى رَدَاعَ إلى أنْ كَمُلَتْ العـدَّةُ المطلوبـةُ، وأمرَ مـولانا الإمامُ عـاملَ رَدَاع بجمع جيشٍ من بلادِ رَدَاع وقبـائِلها، فجمعَ من أهلِ النجـدةِ ثمانِ مئةِ رامٍ وزيـادةً، وانضموا إلى الجنودِ التـي أرسلها مولانـا الإمامُ، فبلغتْ عـدَّةُ الجيشِ المعيَّنِ للسواديـة ألفاً وثمانِ مئـةِ مقاتلٍ غيرَ الاتباع، فيهم من المشهورين بالرئاسةِ جماعةٌ كالنقيبِ محمدِ بن عبد الوهاب بن سنان الأرحبي وعلي غـانم بن مهدي وغيرِهم[١] من رؤساءِ أرْحبَ، ومن خَوْلانَ كثيرٌ من [٢عقَالِ بطوَنِها٢]، وكذلك من حاشـدٍ من بني صُرَيم وخَارِف ولما أخذَ الجيشُ أهبتَـة للعـزم، ومعه أحـدُ المدافع، وصلَ الشيخُ أحمدُ بنُ قـايـد الجبري وأخوه محمد بن قايد إلى رَدَاع وأوصلا أولادَهما إلى رَدَاع على ما كان به الوفاقُ بينَه وبينَ العاملِ، واعطاءُ العـاملِ إلى الشيخ أحمد الرأي[٣]، الشريفَ بالعمالةِ، وإلى أخيه أمرُ المشيخ وتوجّه الجيشُ من رَدَاع في سادسِ شهرِ ربيع الأول/ من السنةِ وقد عيَّن مولانا الإمامُ قائداً للجندِ الإمامي الشيخ صالح بن صالح الطيري[١]، شيخ مشايخ مخلاف العـرْشِ لمكانِ خبرتِهِ بالبلادِ، فبـاتَ الجيشُ في ذلك اليومِ

/ ٢٢٢

(١) صالـح بن صالح الطيري: من مشـاهير الرؤسـاء في اليمن، شيخ بلاد العـرش، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٦٣ .

[١] في س، وغيرهما. [٢ – ٢] في س، عقاها. [٣] في س، الأمر.

بأطرافِ البلادِ الإماميةِ.

وفي اليوم الثـاني، وصلَ إلى آل غُنَيْم[1] [1 من السُّـوَاديةِ[2]، وهم المنتمون إلى أولادِ قـايـد الجبري فتلقَّـوْهُمْ بـالترحيـبِ، وأضـافـوا الجيشَ كلَّـه، وحضرَ إلى قائدِهم كبارُ آل غُنَيم 1] من آلِ السلالِ وآلِ بصيْر وآل سرحـان وآلِ مَنْصُور ومن عَبْس[3] وشيخهُم ضيفُ الله علـوي ومن عَمِـدٍ وشيخُهم طـالبُ بنُ أحمد بعـدَ الأمـانِ للشيخين المذكـورين وجماعتِهما، وواجـهَ الجميـعَ بـالطـاعـةِ والإنقيـادِ والدخولِ في سلكِ حزبِ الرّشاد.

ثم انتقلَ الجيشُ من هنـالك متوغلاً في بـلادِ السُّواديـةِ، وقد هـربَ أهلُها، وكـذلك أهلُ عَفَّار وذَاهبـة[4] والطفَّةِ[5]، فاستقـرَّ في محلِّ الشيخ حسين حسن السُّوَادي، ومحلاتِ الشيخِ محمد عبده حسين، وأرسلَ العاملُ بالامانـاتِ اللازمةِ

---

(1) آل غُنَيْم: من آل ربيع من آل أحمد أصحاب الجَبْري، مساكنهم ما بين رَداع والسَوادية، وشيخهم الجبري، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٦٢، ٢/ ٦٢٦ .

(2) السَواديـة: ناحية من رَداع العرش في الجنـوب الشرقي من صنعاء شرقي ذمار بمسـافة ١٥٠كم، انظر، معجـم الحجري، ١/ ٣٦٠، معجم المقحفي، ١/ ٣٣١، من تـوابعها، العُـزَل التاليـة: بنـو وهب، بنو منصـور الملاقم، آل حسن، الطـاهريـة، الحراتيك، آل غشام الملاحم، رَدْمان آل عـوض، ذاهبية، حوران مشنير، حورات آل عامـر، السـادة، آل عـامـر، ذو القمـر آل عـوض، حـربـة آل عـوض، فـاقع آل عـوض، انظـر، معجم المقحفي، ٣٣١ .

(3) عَبْس: ناحية في تُهامـةَ، يقال لها عَبْس بن ثواب مركزها الـرّنَف من أعمال مِيْدِي، لواء حَجّة، انظر، معجم المقحفي، ٢/ ٥٧٤ .

(4) ذاهبة: من قبائل قيْفة غير القرشيين من رداع العرش، انظر معجم الحجري، ١/ ٣٦٤ .

(5) الطفَّة: قـرية من بلاد البيضـاء، وهي مركـز ناحية، انظـر، معجم الحجري، ٢/ ٥٨٨، معجم المقحفي، ٤٠٣ .

[١ - ١] سقطت من س.

إلى قائدِ الجيشِ والشيخِ أحمد الجبري، فعـادَ بالأمانِ سكـانُ وادي عَمِد[1]، وهي قـرى متعددةٌ، ثم أصحـاب حسين حسن ودخلوا في الطـاعةِ، وبعـدهم طلبَ الأمانَ أهلُ الطاهرية[2] وهي من المحلاتِ التي اتخذها الإمامُ المهدي[1] أحمد[3] بنُ الحسن عنـدَ دخولِه إلى المشرقِ محطـةً، وله فيهـا جامعٌ بـاقٍ إلى الآن، فكانَ تأمينُهم، ثم طلبَ الأمـانَ أيضـاً السلطـانُ علي بنُ حسن الـرصـاص وجماعتُـه فأمِّنـوا، وكـذلك أهل زهـرانَ وآلُ عواض طلبـوا الأمـانَ، ووصلَ مشـايخُهم إلى المحطةِ ثمّ سـلاطينُ أهلِ ذي خيرٍ[4] من آلِ بهجه، ووصل كبـارُهم إلى المحطةِ، ودخلوا في الطاعةِ رغبةً ورهبةً. وبإرشادِ عـاملِ القضاءِ كان الرميُ بالمدفعِ مراتٍ فسمعَ أهلُ تلك الجهةِ ما لم يعهـدوه وهابوا وارتاعوا، لأنهم لم يكونـوا قد سمِعوا أصواتَ المدافعِ، وكان السلطانُ صالحُ بنُ أحمد الرصاص قد أخربَ بيتين له في الزهيريـةِ وأبقى النوبةَ، واستعـدَّ للقتالِ، ومعه أخـوه السلطانُ حسين بن أحمد، وانضمَّ إليه الشيخُ سالم أبو بكـر، والشيخُ أحمد صلاح، وهما أهلُ حصونِ عفَّار، وكـذلك كبـارُ عفّارَ والطفَّـةِ جميعُهم، وشـايعَهُمْ الشيخُ عبـدالله الخضر من آلِ

(١) وادي عَمِد: عُزْلة فيها ثمان قرى من قبـائل قَيْفَة غير القرشيين، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٦٤.

(٢) الطاهـرية: نسبة إلى آل طـاهر، منهم السلاطين بنـو طاهـر بن معوضة بن تـاج الدين ملـوك اليمن بعد بنـي رسول، من قبـائل قيفـة غير القرشيين، انظـر معجم الحجـري، ١/ ٣٦٤.

(٣) المهـدي أحمد بن الحسن بن القـاسم ت بـا لمواهب سنة ١١٣٠هـ، تـولى الإمـامة سنـة ١٠٩٧هـ في زمنه أخضعت يـافع وجزيرة زيلع، واختط مدينـة الخضراء على مسافة ميل من رَدَاع انظـر، البـدر الطـالع، ٢/ ٩٧، فرجـة الهمـوم، ٢٢٢، نشر العـرف، ٢/ ٤٤٩، تاريخ المخلاف السليماني، ٣٨٤.

(٤) ذي خير: المقصود امارة آل خيرات على المخلاف السليماني.

[١] في س، المهدي لدين الله، أحمد بن الحسن الإمام القاسم.

غُنَيْم، فإنّه فرَّ من دورِه، وهي قـريبةٌ من عفَّار، فكانَ ترتيبُ دورِه بـا لمجاهدين، فاجتمع المذكـورون واستعدوا للقتالِ، وحشـدَ السلطانُ صـالح المذكورُ غيرَهم من الملاجِم وذي ناعم، فـراسَلَهُ عاملُ رَدَاع ونَصَحَـهُ فانقادَ ظـاهراً، ووصلَ إلى المحطةِ بالامانِ، وأرسل لـه العاملُ/ بالكسوةِ وأكْرَمَهُ غـايةَ الإكرام، وطلبَ منه الوصولَ إلى رَدَاع، فاعتذرَ، وطلبَ الإمهالَ ثمَّ عادَ إلى الزُهيريةِ، وتمسّكَ بالعنادِ، واتّفقَ مع الشيخِ سـالم أبو بكر، وأهـلِ عفَّار على تسليمِ الحصونِ إليـه، وظنَّ أنَّ منـاعَتَها ستحميـه من نيرانِ جيشِ الإمـامِ، وغـرَّه مـا هي عليه مـن قوةِ البنـاءِ وإحكامِه، فقد وُصِفَ من قوةِ بنائِها أنَّ عرَضَ الجدارِ من أبنيةِ الحصنِ المذكورِ نحوُ ثلاثـةِ أذرع، والحجرُ منه في ذلك المقدارِ نافذةٌ من وجـهِ البناءِ إلى الطرفِ الآخرِ منه. ولمّا لَمْ تنفعْهُ رسائلُ النصحِ، أمرَ مولانـا الإمامُ بمواقعتِهِ هو ومَنْ معه في تلكَ الحصونِ، فـرتَّبَ قائدُ الجيشِ جنـدَ الإمامِ، فجعلَ أرْحبَ مع المدفعِ في جهـةٍ، ومعهم المقـدّميُّ، وأهلُ رَدَاع يتقـدمـونَ إلى محلاتِ الطَّفَّـةِ من وراءِ الحصونِ؛ لمنعِ مددِ العدوِّ من جهةِ الشرقِ، وخَوْلانُ يتقدّمون إلى محلاتٍ معينةٍ، بقصدِ الحصارِ لمن في الحصونِ، فتقدَّمتْ كلُّ طائفةٍ إلى المحلاتِ التي أُمِرَتْ بها واستـولتْ عليهـا، واقتصرَ قائدُ الجيشِ على رميِ الحصـونِ بـالمدفعِ، وتمكَّنَ في خـلالِ ذلك من معرفـةِ الحصنِ الذي فيـه السلطـانُ صالح الـرصاص، فأمـرَ بالرمـايةِ عليه دونَ سواه، والترامي بين الفريقين مستمـرٌ، فتيسَّرَ برصاصِ المدفعِ إخرابُ جـانبٍ من الحصنِ الذي فيه السلطانُ المذكـورُ، وأيسَ مَنْ في الحصونِ من إمكـانِ وصولِ المَدَ إليهم من جهـةِ المشرقِ، وكـان الشيخُ أحمد صلاح قـد خرَجَ من حصنِهِ المنيعِ، وأبقى فيه جماعَه، وتخيَّرَ مكاناً يتمكَّنُ فيه من الرمي على مَنْ حولَ المدفعِ ومعه جماعةٌ، ولم يكن الجنـدُ الإماميُّ ولا قائده متوقعين حصولَ

/ ٢٢٣

....

....

ضررٍ من تلك الجهةِ، فلما تمكَّنَ مِنْ ذلك المكانِ هو أصحابُه، أطلقوا بنادقَهم على أصحابِ الإمامِ، فاستُشْهِدَ النقيبُ عبدُ الوهاب بنُ حسين أبو حليقة، وأحدُ الطبجيةِ، وآخرُ من رَدَاع، رحمهم الله، ولّما شعروا بهِ وبمكانِهِ، أقدَمَ عليه المجاهدون كالأسودِ وهاجموه إلى مكانِهِ، ففرَّ هو وَمنْ معه، فدامَ الحربُ على منْ في الحصونِ ثمانيةَ أيامٍ، وفي آخرِها ركَنوا إلى الفرارِ، ودخلَ المجاهدون إلى الحصونِ، واستولوا عليها، وأمرَ الإمامُ بإخراب الحصونِ، فوضعوا فيها الباروتَ وأشعلوه، ولم يؤثِّرْ فيها، ثم أُخربتْ بالأيدي، وبقيَ الجيشُ يعملُ في هدمِها أياماً، ثم عطفَ عاملُ رَدَاع نظرَهُ إلى أخذِ الرهائنِ من جميعِ قبائلِ السُّوَاديةِ فانقادوا، ولم يبقَ منهم بطنٌ بدونِ رهينةٍ، وضبَطَ الأمورَ ورتَّبها أحسنَ ترتيبٍ، واستأذنَ مولانا الإمامَ في عمارةِ حكومةٍ في مركزِ السُّوَاديّةِ، فأذِنَ له الإمامُ بذلك، وأمرَهُ باستمالةِ الرّصاص، ولما بينَه وبينَ الطيري من النفورِ، أمرَ قائدُ الجيشِ بالرجوع إلى رَدَاع، ثمَّ دارت المراسلةُ بواسطةِ الجبري بينه وبينَ الرّصاصِ، وتمَّ الأمرُ على أنْ يكونَ الرصاصُ عاملاً على البيضاءِ، بشرطِ رجوعِها إلى قبضتِهِ لأنها بيدِ الحميقاني، فجرى الحربُ بينهما، وفي أثنائِها،/ وقعَ قتلُ صالح الرصاص على يدِ الحميقاني، وصلحتْ أحوالُ السُّواديةِ جميعِها، ورجعَ الجندُ من هنالك، وبقيَ فيها حاكمُها وعاملُها.

/ ٢٢٤

[١] وفيها توفي السيدُ الفاضلُ محمدُ بنُ يحيى شريفٌ من علماءِ صعدةَ وأعيانِ سادتِها، وأدركته المنيةُ وهو في سنِّ الكهولةِ، وكان من العلم بمكانٍ، وإليهِ يُشارُ بالبنانِ، ويُقصَدُ لفصلِ الخصامِ وإصدارِ الأحكام، ولم يبلغْ إليّ مِنْ أحوالِهِ ما يكونُ كافلاً بالتعريفِ به وإيضاحِ ترجمتِه كما ينبغي حالُ التحرير، فلذلك

....

[١ - ١] سقطت من س.

كانَ منّي الاقتصارُ على هذا المقدارِ[١].

وفيهـــا أُنيطتْ أعمالُ الشَّرفَين وحجـور إلى المولى، سيفِ الإســـلامِ أحمدَ بنِ أميرِ المؤمنين، وانقضى هـذا العامُ وهـو مقيمٌ بحجَّةَ، وقـد أحكمَ جميعَ أمورِهـا وضَبَطَهـا الضبطَ التـام، وقـاسى في ذلـك متـاعبَ تجاوَزَهـا إلى المرامِ بصراحـةٍ واهتمامٍ؛ لأنَّ في تلك الأطرافِ كثيراً من النقـايلِ من حاشد وبكيل، ولم يكـونوا يخضعـون لمَنْ قبلَـه في التحـري على واجبـاتِهم وغيرِهـــا، فألـزَمَهُم المولى سيفُ الإسلامِ بأنْ يكونـوا من جملةِ أهلِ البلادِ، وأمرَ الخارصين للـواجباتِ أنْ يخرصوا أملاكَهم مثلَ غيرِهم، فكثُرَ منهم لأجلِ ذلك الاضطرابُ والاغتصابُ، ولمْ يبالِ بهم بل شدَّدَ العزيمة في إمضاءِ ذلك، وتمَّ له ما أرادَ مِنَ الضبطِ المستجاد.

وفي أواخرِ هذا العامِ، أمَرَ مولانـا الإمامُ جمالَ الإسلامِ عليَّ بنَ محمد الشامي بـالعـزمِ إلى رَيْمـةَ لاستـلامِ زمـام أعمالها وجهـادِهـا، كما كـان من قبلُ لإلحاحِ القـاضي أحمدَ بنِ أحمد الجرافي على مولانـا الإمـام في رفعِ التكليفِ بذلك عنـه، متعذراً بعـدمِ تمكُّنِهِ من القيام بأعمالِ الجهـة الأنسية ورَيْمَـة معاً، فتوجـه السيدُ جمالُ الإســلامِ إلى هنالـك، واستلمَ زمامَ الأعمالِ وارتفعَ بـوصـولِـه السيدُ عبـدُ الكـريمِ بنُ إسماعيلَ الكوكبـاني من هنالك، ووصلَ إلى حضرةِ مـولانا الإمـامِ. [١]وههنا وقفَ جوادُ القلمِ في بيانِ ما حصلَ في هذه السنةِ من الحوادثِ في البلادِ الإماميةِ. وممـا وقفْتُ عليه من أشعارِ الفقيهِ أحمدَ بنِ صـالح الجلال، التي رفعها إلى الحضرةِ الشريفةِ في أثناءِ هذا العام، قولُه من قصيدةٍ مطلعها:

....

[١ – ١] من عبارة «وههنا وقف جواد القلم حتى عبارة ودرر نحو الكعاب»، سقطت من س.

[الخفيف]

حيٍّ من طـالَ لـلأمـورِ مِراسـا ... ولِعِلْمِ الـرّسـولِ طابَ اقْتِبـاسـا
الإمـامَ الهمامَ مـنْ فـاقَ فهماً ... وصفـا فكـرةً وصـابَ حـواسـا
/٢٢٥ دوَّخَ الأرضَ فهـي تُجْبى إليـه ... عَنْ يـدٍ لا يخافُ منها انعكـاسـا
وأَتَتْـهُ الـوفـودُ قـومـاً فقـومـاً ... وأتـاهُ الـورى أُنـاسـاً أُنـاسـا
وتـولّى البـلادَ شرقـاً وغـربـاً ... فهـوَ خيرُ الـولاةِ عَيْنـاً وراسـا
كلُّ مَـنْ رامَ للخليفـةِ حـربـاً ... أتعسَ اللهُ خَـدَّهُ إتعـاسـا
هـو سرُّ الـوجـودِ طـابَ جَمالاً ... وجَـلالاً ولابسـاً ولبـاسـا
هـوَ بحـرٌ منَ العلـوم عميقٌ ... أوضحَ المشكـلاتِ والألتبـاسـا
التمِسْ فضْلَـه الجزيـلَ تَجِدْهُ ... حَسَنَ الفَضْلِ إنْ أَرَدْتَ التماسـا
وارتقِبْ بأسـهِ الشّـديـدِ لغـابنٍ ... صـاحبَ العزمِ أعظمَ النـاسِ باسـا
هـو للمـؤمنين قـرَّةُ عَيْنٍ ... أَنِسَ اللهُ ذاتَـه إينـاسـا
هـو للسـائلين كعبـةُ خيرٍ ... مَلَكَ الجودَ والـوجـودَ فـواسى

وهي طويلـةٌ، والمختارُ منها هـو ما نقلتُـه، وله أيضاً من قصيـدةٍ أخرى في مدحِ مولانا الإمامِ -عليه السلام- قولُه بعدَ مطلعٍ ونسيبٍ لم استحسنْ إثباتَهُ:

[الخفيف]

الإمـامُ الهمامُ بـدرُ الليـالي ... قمـرُ الكـونِ طيِّبُ الأغـراسِ
هـو نـورٌ ورحمةٌ وأمـانٌ ... وغِيـاثٌ ونعمـةٌ للنّـاسِ
قـامَ بـالقسطِ في العبـادِ وبـالعـد ... لِ قيـامـاً وزانَ بـالقِسْطـاس
رافَقَ الـرِّفْقَ فهـو خيرُ رفيقٍ ... ليسَ بـالفَظِّ والغليـظِ القـاسي
ولَقَـدْ فـاقَ مَنْ تقـدَّم سلطـا ... نـا وشـانـاً فما لـه مـن قيـاسِ
يـا إمـامَ الهُدى أنَـرْتَ الليـالي ... فتراءتْ في حلـةِ الإينـاس

....

....

أنـتَ مِنْ خيرِ معشرٍ وكـــرام　　شرَّفــوا في الــورى وخيرِ أنــاسِ / ٢٢٦
أنتَ مِنْ خَيْرِ مَنْ بِهِمْ عُـرِفَ الخيرُ　　ومَـنْ طُهِّــروا مِـنَ الأَدْنــاسِ
قـــرَّ عينــاً فـأنتَ خيرُ إمــام　　صحبَ الـدينَ صحبـةَ الأكيـاسِ
نحن في اليُمْنِ ما بقيـت أخا اليُمنِ　　فَلَسْنـــا نخــافُ من إبــلاسِ

وهي طويلةٌ أيضاً، وله من أخرى في مدح مولانا - عليه السلام-: [الرمل]

سيـدي مـا زلتَ بالفضلِ جـديـراً　　ومِـنَ الجَوْرِ مغيثـــــاً ونصيرا
أوْدعَ اللهُ تعـــــــالى سِرَّهُ　　فيكَ حتّى صِرْتَ لـــلأُمَّــةِ نــورا
أَنْـتَ سرُّ اللهِ في الخَلْـقِ ومــــا　　زالَ سرُّ اللهِ في الخَلْـــــقِ كبيرا
أنْتَ مَـنْ أصْبَحَ للـــدينِ يــداً　　ولســــانــاً وسِنـــانــاً وظهيرا
أَنْـتَ مِمَّنْ ظهَــــرَ الحقُّ بـــهِ　　وتجلَّى فحكى الشمسَ ظهـــوراً
يــا ابنَ يــاسينَ وطــه خيرِ مَنْ　　جــاءَ بــالحقِّ بشيراً ونـــذيــرا
يــا ابنَ ســاداتٍ كـرام سبقــوا　　مــا لَهُمْ واللهِ في الكـــوْن نظيرا
يــا ابنَ أرْبــابِ المعــاليَ والعُــلا　　وذوي الفضـلِ قـــديماً وأخيرا
يــا ابنَ قــومٍ لم يَــزَلْ قــائِمُهُمْ　　شـاهـرَ السَّيْفِ على الـدين غيـورا
ســادةٌ ســادوا فجــادوا وغـدَوْا　　كـالحيـا ومــا زالَ ربَّــاً طهــورا
همْ هـــداةٌ يهتــدي النــاسُ بِهِمْ　　ولِـــذا صــاروا نُجـومــاً وبُـدورا
حُجَـــجُ اللهِ على الخَلْـــقِ إذا　　مـا رَأَوْا يــومـاً عَبوسـاً قمطـريـرا
كـمْ أراني اللهُ منهـمْ سيِّـــــداً　　صــارَ في ســؤدَدِهِ الكــونُ حقيرا
أنِسوا بالحربِ لا بالإنْس واستَبْدَلوا　　بــــا لمنـــزلِ الأدنـى خطيرا
فـــازَ مَنْ والى بني الــزهــرا وان　　حُشِرَ القـــالــون يَصْلَــوْن سعيرا
يــا إمــامــاً أمــةَ الخيرِ ومــا　　زالَ للمـــؤمن نــوراً وسرورا / ٢٢٧

طـالَ مـا نِلْتَ من الفخـرِ ومـا بـزَّ مـولانـا على الفخـرِ فخـورا
زيَّنَ اللهُ بـكَ الـدُّنْيـا واعـــ طـاكَ مـولاكَ غـداً مُلْكـاً كبيرا

ولها بقيةٌ مفـرغةٌ في هذا القـالبِ الحَسَنِ، والانجسامِ المستحسنِ. ومِمَّنْ نظمَ في مدحِ مولانا الإمامِ في هذا العامِ، الأخُ الأديبُ القاضي محمدُ بنُ أحمد مطهر[1]، فإنّـه رفَعَ إلى الحضرةِ الشريفـةِ قصيـدةً غَديـريـةً[2]، حَـوَتْ لطيفَ الانسجـامِ وحسنَ الإفادةِ عن المرامِ، وهي: [الخفيف]

حـدِّثـاني عَنْ عيـدِ يومِ الغـديـرِ ودَعـا ذكـرَ زينـبَ والسَّـديـرِ
وأحـاديثَ عـزَّةٍ ولبُنـى وجميـلٍ وعـروةٍ وكثيرِ
واتـركَـا وَصْفَ حُسْـنِ عيـدٍ ومُـرْدٍ وجمالٍ وأيكـةٍ وسريـرِ
واشرحـا لي تلكَ الـولايـةَ بـاللهِ بقـولٍ مِـنَ البشيرِ النـذيـرِ
مُخبراً فيـه مُبْلغـاً عنْ إلـهِ العـرشِ أسنـى ولايـةٍ وطهـورِ
فيـه مُنبيتـاى غـايـةُ أنسي ووفـورُ الهنـا بشرحِ الصـدورِ
وهو أحلى عندي من المنِّ والسلوى وأوْفى ذخيرةٍ للنشـورِ
أيُّ مـنٍّ بـهِ أنـا لعليّ من إلـهِ الـورى وأيُّ سفـورِ
إذْ عـلا ربـوةً وقـالَ ألا مَنْ كنتُ مـولاهُ مُعْلِنـاً للحضـورِ
منحـةٌ خصَّهـا إلـهُ البرايـا فـاستقـامَتْ بها قنـاةُ الأمـورِ
ذلك الفخـرُ لا الفَخـارُ بملكٍ أو بمالٍ ومعقـلٍ وقصـورِ

/ ٢٢٨

---

(١) محمد بن أحمد بن عبدالله مُطَهَّـر: ت بصنعاء ١٣٨٦ هـ، أديب شاعر، فقيه، نـاقد، كان يجيد اللغة العثمانية ولـه معرفة بالفرنسية، من كَتَبَة الإمـام يحيى ولد بصنعاء ١٣٠٦، له نوادر وظرائف انظر، هجر العلم، ٤٤١ .

(٢) غَديـرية: أي بمنـاسبة عيـد الغديـر الذي يصـادف ١٨ ذي الحجة من كل عـام عند الشيعة.

فحظـوظُ الـدُنى تـزولُ ويبقى　كلُّ فخـرٍ مِنَ العليمِ القـديـرِ
ذاكَ يـومٌ بـه العنـايـةُ جلَّتْ　وتجلّـتْ بكـلِّ وصـفٍ منيرِ
سَحَبَتْ ذيلَهـا فخـاراً لـدى　الـدَّهْـرِ لآلِ الرسـولِ بـالتأميرِ
وكفـاهُـمْ مِنَ المنـاقبِ أن　جاء عـلاهم من المليك القـديـر
فهمـو في الـدُّنى هـداةُ البرايـا　وهـمُ للنّجـاةِ سُفْنُ بحـورِ
ينقضي سُـؤْدَدُ الأنـامِ ويمضي　وعُـلا مَجْدِهم جمالُ الـدهـورِ
ولهمْ واجبُ المودّةِ بـالنصِّ　مـنَ اللهِ في الكتـابِ المنيرِ
ورِثـوا تِلكُمُ الـولايـةَ حقّـاً　فهـي حـقٌّ لَهُمْ بغيرِ نكيرِ
وحَمُوا قصْرَهـا بِجـدٍّ المواضي　وبسعـي خَـلا عـن التقصيرِ
وأبـانـوا لنـا منـاهـجَ حقٍّ　تـدفعُ الكَرْبَ واختـلاجَ الضميرِ
وهَـدَوْنـا إلى صراطِ إلـهِ الخَلْـ　ـقِ نِعْمَ المفـازُ يـومَ النّشـورِ
فهمـوُ السـادةُ الميامينُ القـ　ـادة أهلُ اليقين والتـوقيرِ
سيما فخـرُهم إمـامُ البرايـا　سيّـدُ المسلمين، فخـرُ العصـورِ
درةُ التـاجِ نـورُ عينِ المعـالي　سَنَـدُ الخَلْقِ مُحْكَمُ التـدبيرِ
غَـوْثُ كـلِّ العبـادِ بـدرُ سماءِ المـ　ـجـدِ جـالي الكـروبِ خيرُ نصيرِ
مَنْ لَـهُ في الـوغـى عـزائمُ بأسٍ　هي أَمْضى مِنْ فتكِ ليثٍ هصـورِ
قَمَعَتْ صَـوْلَـةَ البُغـاةِ وأَرْدَتْ　مُفْسِـديهم إلى مهـاوي السَّعيرِ
ولَـهُ في العلـوم رتبـةُ عـزٍّ　وَقَفَتْ دونَها علـومُ الصُّـدور
وإنتقـادٌ سـاس البرايـا بـرأيٍ　ضَلَّلَ الـراي من دعَـاةِ الشرورِ
حـارَ منـه الملوكُ شرْقـاً وغـربـاً　فَغَـدَوْا يخبِطـونَ في دَيْجورِ
لمْ يَـرَوْاثغـرةً وقـدْ مَـدَّهُ اللهُ　بـرأيٍ حَمى جميعَ الثُّغـور

....

....

خابَ مسعاهُمُو فظلّوا حيارى … ينظرون المنى بطرقٍ حَسيرِ

يا أمامَ الورى ويا خيرَ داعٍ … قامَ بالأمرِ مالَهُ مِنْ نظيرِ

إنما أنتَ رحمةٌ منحَ اللهُ … بها الخَلْقَ في زمانِ الفتورِ

/٢٢٩ وَغَيَّاثٌ مِنْ كلِّ خَطْبٍ وويلٍ … وَمَلاذٌ والكهفُ للمستجيرِ

لم تقعْ في الدهورِ عَيْنٌ على مثـ … ـلك مِنْ أينَ ذا لباعِ الدهورِ

شُدْتَ للدينِ أيَّ ركنٍ منيعٍ … وحَمَيْتَ البلادَ عَنْ كلِّ ضيرِ

فهي مِنْ حزمِكَ المُجَدَّدِ في عـ … ـزٍّ وسعدٍ وبهجةٍ وحُبُورِ

والرّعايا في ظلِّ أمنٍ وخِصْبٍ … وسرورٍ ونعمةٍ وسفورِ

دُمْتَ للعالمين كهْفاً منيعاً … وغياثاً في مُدْلَهِمِّ الأمورِ

وإليكمْ مِنَ الفقيرِ نِظامٌ … كرياضٍ تضاحَكَتْ بالزهورِ

يُعْلِنُ الوُدَّ فيكم آلَ طهَ … فهو لي عُدةٌ ليومٍ عسيرِ

وصلاةٌ مشفوعةٌ بسَلامٍ … عنبريِّ الشميمِ ذاكي العبيرِ

تبلغُ المصطفى مع الآلِ طُرّاً … وعُلاكُمْ فيهمُ أجلُّ شهيرِ

ما شدا بُلْبلُ الرياضِ وغنّى … أوْ هَمَى وابِلٌ بقَطْرٍ غزيرِ

ولا يخفى على الفَطِنِ اللبيبِ ما في هذه القصيدةِ من الأبياتِ العامرةِ بالمحاسنِ، والينبوعِ المتدفقِ بماءِ الإجادةِ العذبِ لا الآسن، على أنّ مدحَ ذلك الجنابِ يُعلي قدرَ كلِّ خطابٍ ويُلْحِقُه بالدّراري، ودرر نحور الكعاب.

ومما جرى في هذا العامِ، أنَّ الأميرَ حسنَ بنَ علي بنِ محمد بن عايض[1]

---

(١) حسن بن محمد علي بن محمد بن عبد الرحمن عائض، آخر امراء آل عايض في عسير، تولى الامارة بعد أبيه ١٣٣٠هـ-١٣٤٢هـ، تعاون مع الإدريسي ومع الشريف الحسين بن عون وحارب عبد العزيز بن مساعد بن جلوي قائد القوات النجدية فأسر ثم اطلق وعاد مرة أخرى للمقاومة، فأخذ إلى الرياض، وبقي هناك حتى توفي، انظر تاريخ عسير للنعمي، ٢٢٧، الإعلام، ١/ ٢٠٧ .

صاحبَ عسير، تـرَّقبَ الفرصةَ لأعوانِ ابـنِ سعود، صاحبِ نجد، وكـانتْ بلادُ عسيرٍ في أيديهم منـذُ استيلائهـم عليها، كما بيَّناه فيما سلـف، فثارَ في أثنـاءِ هذا العـامِ بهم مع مَنْ انضمَّ إليـه من أهلِ عسيرٍ، وأذاقَهم الأهـوالَ وطَرَدَهُمْ منهـا، بعـدَ أَنِ اجتحفَ القتلُ غـالبَهُمْ، وهَدَمَ جـانِبَهُمْ، واستقـرَّ الأميرُ حسن في أبها، مدينـةِ عسيرٍ وعقيلة قراهـا، مستعداً لما يأتي من قِبَلِ صاحبِ نجـدٍ من الغارةِ، ومستمـداً لِمَنْ حـولَـهُ من أمراءِ الأطـرافِ بأنجـادِه ودفعِ مهـاجماتهم الضـارّةِ، وسيأتي بيانُ ما آلتْ إليه أحوالُهم في حوادثِ العامِ المُقبلِ/ إن شاءَ اللهُ تعالى. / ٢٣٠

[1]وفي فصلِ الربيـعِ مِنْ هذهِ السنةِ، نهضَ الأتـراكُ بعزائِمَ صـادقةٍ وصَـوْلةٍ خـارقـةٍ نحـوَ أعـدائهم اليـونـان، وأجنـادِهم المستـوليـةِ على الكثيرِ من بـلادِ الأناضول، وقد ذكَـرْنا في العامِ الماضي أن اليونانَ بعدَ انهزامِهـم، وقفوا في مدينةِ إسكي شهر ومدينةِ أفيون قره حصار، وبيدِهم ما وراءهما من البلدانِ، والحربُ لم يَـزَلْ مستمراً بينَ الجيشين بـدونِ تقـدُّمٍ مِنْ أحـدِهما، ولم يَـزَلِ الأتراكُ يُجْمِعـون قواهُمْ في خـلالِ ذلكَ، إلى أنْ ساعَدَهم الـزمانُ، وانقضى زمنُ الشتـاءِ، فأقبلوا على أعـدائِهم إقبـالَ السَّيْلِ مِنْ كلِّ جـانبٍ، وأقـدموا عليهـم إقدامَ مَنْ يـريـدُ الـوصولَ إلى أحـدِ الأمـرين: إمـا الظَّفَرُ أو الموتُ تحتَ أقـدامِ عـدوِّه. فلم يُطِقِ الجيشُ اليونـانيُّ الوقوفَ أمـامَ تلك الصدمـاتِ والحركاتِ على ما هـو عليه من الكثرةِ، فقـدْ قيل: إنَّ جيشَ اليـونانِ كان ينـوفُ على مئةٍ وخمسين ألفَ مقـاتلٍ، فولَّتْ جموعُهم مُدْبرةً، والأتراكُ يسوقـونَهم سوقَ الرّعاةِ للشاه، فأسروا منهم ما لا يُحصى، ومِن الجملـةِ قـوّادُهم وأُمراؤُهم، واستـولـوا على جميعِ مـا أعدُّوه، وهـو الشيءُ الجسيمُ الكثيرُ من المدافعِ والأسلحـةِ والذخـائرِ والدوابِ على اختـلافِ أنواعِهـا، والسياراتِ البريةِ والسيـاراتِ المدرعةِ، وساقـوا خلفَ مَنْ فرَّ منهم،

....

[١ - ١] من عبارة «وفي فصل الربيع حتى عبارة ذوي الاحاد، لا قـوة إلا بالله وله الأمر وحده» سقطت من س.

فاستـولوا على جميعِ مـا كانَ تحتَ أيـديهم من بلادِ الأنـاضول، وأخرجـوهم من مُدِنها وأمصـارِها وسـواحِلِها إلى أنْ قـذفوا بهم إلى البحـر، وكان هـذا عملاً غيرَ مُنْتَظرٍ ونصراً لم يَسبِقْ له مِثْلٌ ولا حَلُمَ به أحدٌ حتى الأتراكُ أنفسُهم.

ولما وصلوا من بعضِ الجهـاتِ إلى قربِ الأستانـةِ، هدَّدوا الأستانةَ بـالهجومِ عليها، وفيها جنودُ الحلفـاءِ الانكليز والفرانسةِ والطليانِ واليابـانِ، فقامَتْ قيامةُ رئيسِ وزراءِ الانجليـزِ في ذلك التـاريخ[1] ، ودعى قـومَـهُ لمحـاربـةِ الأتـراكِ، فعـارضه في ذلك شيـوخهم حتى أدّى الحالُ إلى اخراجِـهِ من الوزارةِ، وسقـوطِ أصحـابِـه مـن الـوزراءِ المعيّنيين على قـواعِـدِهم وتشكيـلِ حكـومتِهم وتعيينِ سـواهم، ثم كان بعـدَ هـذا عقدُ الهدنـةِ بينَ اليونـانِ والأتـراكِ، وكان من جملـةِ شروطِ الهدنـةِ: أنْ يؤجَّلَ خـروجُ عساكـرِ الحلفاءِ إلى أنْ يُعْقَـدَ الصُّلْحُ إلا أنّهم اشترطـوا أنْ يخرجَ اليونـانُ من تـراقيا/ وهي ولايـةُ أدرنـه، ويكونَ مِنَ الأتـراكِ استلامُها، وتمَّ الأمـرُ على هذا، وكانَ المؤمَّلُ أنه قدْ صَلُح الحالُ مـا بينَ حكومةِ أنقرةَ، التي قامَ جيشُها بهذه الحروبِ العظيمةِ، وبينَ حكومةِ الأستانةِ التي على رأسِها السلطانُ وحيد الدين[2] ابن عبد المجيد بن محمـود العثماني، فأظهرَ هذا الظفرُ ما في نيّـاتِ أهلِ أنقرةَ عليهم وعلى سلطانِهم، فإنهم أرسلوا أحـدَ قوّادِهم المسمّى رأفت باشا، فـدخلَ إلى الأستانةِ، وجنودُ الحلفاء فيها، وقصـدُه الوصولُ إلى أدرنـه لاستلامِهـا، فـرأى من إقبالِ النـاسِ هنـالكِ ما قطعَ بـه: أنَّ الكلَّ في

/ ٢٣١

---

(١) رئيس الوزراء آنـذاك ا. يونارلـو وكان قبله دافـد لويـد جورج وهو الـذي سقط وتولى بعده يونـارلو رئيساً للوزراء ثم ستانلي بلدون ١٩٢٣-١٩٢٤، انظر، تاريخ أوروبا في العصور الحديثة لفشر، ٧٤٠ .

(٢) السلطان محمد وحيد الدين بن السلطـان عبد المجيد (١٩١٨-١٩٢٢) هو السلطان السـادس والثـلاثـون من سـلاطين بنـي عثمان، تلقب بمحمـد السـادس، ولـد سنـة ١٨٦٠م وتوفي في سنة ١٩٢٦م.

قبضتِـه، وأنّـه مهما شـاءَ فعلَ، فأعملَ التـدبيرَ في القبْضِ على السلطـانِ وحيـدِ الديـنِ، ولكنَّ المذكورَ شعـرَ بما يُرادُ بـهِ، فنجا إلى بابـورِ الإنجليزِ، ومعـه بعضُ خـواصِّـه، تـاركـاً كلَّ شيءٍ في الأستانـةِ، وقصـورَهـا، وهـربَ إى بعضِ بلـدانِ النّصارى، ثـم وصلَ إلى مكةَ، فلم يَطِبْ لـه المقامُ فيهـا، فعادَ إلى إحـدى مُدنِ إيطاليـا، فسكنَ بها، ونصَّبَ الأتـراكُ السلطانَ عبـدَ المجيد[1] بن مراد بـن عبد المجيد، ولكنّهـم أبانوا مـا يُكنُّونَـه من الانخلاعِ عن تعـاليمِ الدين الإسـلامي، فشرطوا عليه مـا كانوا يزعُمونه في متأخـري سلاطينِ العثمانيين، من أنهم خلفاءُ على نحـوِ خلفـاءِ العباسيـةِ، والفـائدةُ من إيجادِه ذكـرُه في الخطبةِ ونحـوَ هـذا، وأعلنوا في مجلسِهم بأنقرةَ بأنهم قدْ فصلوا الدينَ عن السيـاسةِ، يعنون بالسياسةِ أمورَ المُلْكِ، وهذا الذي فعلوه تقليدٌ منهم لنصارى أوروبا، فإنهم ثاروا في وجوهِ أسـاقفتِهم وبطارقتِهم رؤسـاءِ الكنـائسِ، وكانَ الحَلُّ والعَقْـدُ بأيديهم في أمـورِ المُلْكِ، حتى كانـوا يُنَصِّبون الملـوكَ ويخلعونهم، فالملِكُ لابـدَّ أن يكونَ خـاضعاً لإرادةِ أهلِ الكنيسـة ولا يعملَ أمـراً بـدونِ استشـارتِهم، ففعلـوا مثلَ مـا فعلَ هؤلاءِ الأتراكُ، بأنْ منعوا رؤساءَ الـديانةِ من الخوضِ في أمورِ المُلْكِ، ورتبوا لهم شرائعَ في تـدبيرِ المُلْكِ، وفصلِ الحقـوقِ وإجـراء العقـوبـات على مـا يُـوافِقُ عقولَهم، وهـؤلاء الأتراكُ ظهـرَ أنَّ فئتَهُمْ هذه من أولئك الفريقِ، الـذين هم من الملاحِـدَةِ أقـربُ منهم إلى المسلمين، فأظهـروا مـا أرادوا حينَ خـلا لهم الجوُّ، وصفيَ من المعـارضين والمعـارضـةِ، وتمَّ ذلك، ولم ينتطحْ فيهـا عنـزان، وكـان المسلمون في أقطارِ الأرضِ هلّلوا لنصرتِهم وفرِحوا بذلك، ولكنَّهم/ لمّا عرفوا ما / ٢٣٢

(١)السلطـان عبد المجيـد بن مراد بن عبـد المجيد (خليفـة فقط، رئاسة دينيـة) أي فصل الدين عـن الدولة (١٩٢٢-١٩٢٤) ثم الغـاء الخلافة وإعـلان الجمهوريـة التركية في ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣، وأنها دولة علمانية.

يـدورُ في أفكـارِ أولئكَ منَ التخلّي عن التعـاليـم الإسـلاميـةِ والميلِ إلى تعـاليمِ الكافرين، خابَ فيهم الظنُّ، وتحقّقـوا أنهم فئةٌ، إذا دام تمكنُها محت الإسلامَ من قلوبِ الأتـراكِ ووضعتْهُم في صفِّ ذوي الإلحادِ[1]، لا قوةَ إلا بـاللهِ، وله الأمـرُ وحدَه[1].

ودخلتْ سنةُ أحدى وأربعين وثلثمائةٍ بعدَ الألف:

ومولانـا الإمامُ -عليه السـلامُ- مقيمٌ برَوْضَةِ حـاتمِ لتقضيةِ فصلِ الخريفِ هنالك، والأحوالُ كما وصفْنا، والعمّالُ في البلادِ الإمـاميةِ هم المذكورون في العام الماضي، وناجم التهائم مقيمٌ في صَبيَا وجيزانَ، وإليـه من البلادِ جميعُ التهائم ما عدا قضاءَ بيتِ الفقيه ابن عجيل، وقضاءِ زَبيد.

وقد كانَ منه عندَ هجـومِ النجديين على عسير مداراتُهم، والتوقّي منهم بتركِ ما كانَ تحتَ يدِه من بلادِ عسيرِ وهو قضاءُ رجالِ ألمع[2]، وبعضُ قضاءِ محائل[3]،

---

(١) من الذين تغنوا بانتصارات مصطفى كمال أتاتورك، نذكر على سبيل المثال، عبد القادر حمزة، عبـاس محمود العقـاد، صفية زغلـول، عمـر طوسـون، عبد الحميـد حمدي، أحمد شوقي، أمين محمد سعيـد ثابت، وكريم خليل. ثابت، وحول هـذه الأحداث انظر، سيرة مصطفى كمال بـاشا وتـاريخ الحركة التركيـة الوطنيـة في الأناضـول، أمين محمد سعيـد ثابت وكريم خليل ثابت، ط مجلة اللطائف المصورة، طبعة أولى سبتمبر ١٩٢٢م.

(٢) قضاء رجـال ألمع: من أقسام تُهامة الـرئيسية، ومن قبائلهـا، قيس وبنو ظالم وبنـو زيد وبنو قطبـة وآل صلب وبنـو جونة وشحـب والعوض والبنـا والبرك وقنا البحـر وميناء القحمة مرفأ لها، انظر أخبار عسير، ١٤ .

(٣) محايل: في الجنوب الشرقي من القُنفذة من عسير، من أقسام تُهامة الرئيسية، من قبائلها بارق وآل موسى وآل مشور وآل دوريب وآل الريش والمنجحة وآل جبلي وآل موسى بن علي وربيعة الطحـاحين وآل سباعي وحميضة وربيعـة مقاطرة، انظـر أخبار عسير، ١٣، جزيرة العرب، ٢١٤، في ربوع عسير، ١٠١ .

وتسليمُ أتـاوةٍ سنــويـةٍ إليهم فـوق ذلك إليهم، اختلفت الأقــوالُ المنقـولـةُ في مقـدارِهــا[1] من النقــودِ، ولكنّـه تحقَّق أنها مبلـغٌ كثيرٌ من المالِ، لما حصلَ من المذكورِ من مصادرةِ التجـارِ بأموالٍ كثيرةٍ مرةً بعدَ أخرى عنـدما يصلُ المعيّنون لاستلامِها منه.

وفي أوائلِ هـذه السنـةِ، اهتمَّ مـولانـا الإمـامُ، بإصـلاحِ مجاري غيل آلِ أبي طالب(١)، الذي يُسقى به في الرَّوْضَةِ، وكان قد انقطعَ، وقلَّ ماؤُه في منابعِهِ عدةَ سنين.

وكذلك غيلُ المهدي(٢) أحمدَ بنِ الحسن، وغيلُ مصطفى(٣)، واستمرَّ العملُ في غيلِ مصطفى أكثرَ أيامِ هذا العامِ، فتمَّ اصـلاحُها على غايةٍ ما يُرامُ، وحصلَ

---

(٢) غيل آل أبي طـالـب: يسقي الـرَّوْضَـة، مصـادره من شرق شعوب تحت قـريـة الخيف، أجـراه طغتكين بن أيـوب، والإمام القـاسم بن محمـد سماه بـاسم ولده أبي طـالـب أحمد بن القـاسم وجعله وقفاً لقـاطني بدر السلاطين في الرَّوْضَة، ولا زال جاريـاً حتى سنة ١٩٢٦م انظر، The Gyals of Sana, p.30.

(٣) غيل المهدي أحمد بن الحسن: أنشأة المهدي (١٠٧٨-١٠٩٢هـ)، ١٦٧٦م-١٦٨١م يسقـــــي الرَّوْضَة، وقف استحقاق لأهالي الرَّوْضَة، ينبع من منتصف شعوب، اصلحة الـوالي التركي محمـد عـزت ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤، واشتراه الشيخ علي البليلي منـه وقـام الإمام باصلاحه، انظر، نشر العرف، ٢/ ٣٠٣، رحلة أثرية، ٢٦٠ .

(٤) غيل مصطفى: ينسب إلى علي مصطفـى الـدمشقي المكي ت ١١٩٦هـــ/ ١٧٨٢م، ينبع من مصادر أعلى من مصـادر غيل المهدي والـذي أجراه إلى الرَّوْضَة، وقد قام أحمد فيضي الـوالي العثماني سنـة ١٦١٠هـ بترميمـه واصـلاحـه بعدمـا اشتراه الشيخ محمـد البليلي انظر،

Rgeant, R.B, Costa, Paolo, Lewcock, Ronald: The Ghayls of Sana, Sana, An Arabian Islamic City, pp. 30-31, . نزيه العظم، رحلة، ٢٦٠

---

[١] في س، قدرها

الانتفاعُ بها في سقي الأعنـابِ التي بقيتْ في الرَّوْضَةِ، وجـدَّدَتْ روحَ النشاطِ في غرسِ ما قدْ أُهْمِلَ منها.

وكانتْ قدْ وصلَتْ مدينةُ الرّوْضَةِ إلى حالةٍ تهولُ من الخرابِ والاضمحلالِ بعدَ حـوادثِ الحروبِ التي وقعتْ فيها، وما تعقَّبَ ذلك من قلةِ الميـاهِ وانقطاعِ الغيولِ.

وقدْ كـانَ عنَّ لمولانا الإمـامِ إصلاحُ الماءِ النـابعِ في أكامِ النميصـانِ بتوسيعِ المنابعِ، ثمَّ احداثُ سـواقٍ له، ليكونَ وصولُه إلى الرَّوْضَةِ، وبـذلَ في ذلك مولانا الإمـامُ مـالاً كثيراً، ولكنّـهُ تبيَّنَ بعـدَ ذلك أنَّ الماءَ المذكـورَ يسيرٌ ولا يُـؤمَّلُ فيـه الازديـادُ، فتُرِكَ مَنَ العملِ، فعادَ إلى مـا كانَ عليـه من انحصارِ النفعِ منـه، على أهلِ المواشي بسقي مـواشيهـم منـه، وانتفـاعِ أهلِ الأمـوالِ المجـاورةِ لـه على الاستقسـاءِ/ والشربِ منـه، ولكنْ لم تخلُ تلكَ الأعمالُ من تـوسيعِه وتـزييـدِ[١] الانتفاعِ به لمنْ ذكرْنا. / ٢٣٣

وفي أوائِلِهـا[٢] أيضـاً وصلَ إلى الحضرةِ الشريفـةِ ثـلاثـةُ أشخـاصٍ من النصارى، اثنـان منهم أمريكيـان والآخرُ فرنسـاوي، وكان غـرضُهـم العثورَ على المعادنِ، [٣]وأفادَ الأميريكيان أنهما من رجالِ شركةٍ أمـريكيةٍ راغبةٍ في الوفاقِ مع مـولانـا الإمـامِ على القيـامِ بمثلِ هـذه الأعمالِ[٣]، فلبثـوا أيـامـاً في صنعـاءَ، ثم أصْحَبَهُم الإمـامُ ببعضِ الأعوانِ للمـرورِ في بعضِ الجهـاتِ التي يؤمَّلُ وجـودُ المعادنِ فيها، وعادوا إلى عدن.

وفيهـا في شهـرِ صفر ثـارَ أهلُ خـوْلانَ الأربعـةُ من بلادِ حَجَّـةَ للخـلافِ،

---

[١] في س، وزيادة.
[٢] في س، وفي أوائل هذه السنة.
[٣ – ٣] سقطت من س.

وسلوكِ طـريقِ الغوايـةِ والانحراف، وأعـانَهم على ذلك بعضُ الأجـلافِ، وكادَ الخلافُ أنْ يتَّسِعَ ويسري إلى غيرهم، فأرسلَ عليهم مولانـا سيفُ الإسلام، أحمدُ بنُ أميرُ المؤمنين، الأجنـادَ، فنـازَلَتْهُمْ وانتصفَـتْ منهم، وتمَسَّكـوا بـالفِـرارِ والانحـدارِ إلى التهـائم وتلكَ الأغـوارِ، واستمـدُّوا مِمَّنْ جـاورَهم مـن أعـوانِ الضالِ، نـاجم تهامة، وغدروا ببعضِ أفرادٍ من الجُنْدِ الإماميِّ، وحينَ بلغَ ذلك إلى مسامعِ حضرةِ الإمـام، جهَّزَ نجلَـه الكريمَ المولى، سيفَ الإسـلامِ، محمدَ بنَ أمير المؤمنين في طـابورٍ من الجنـدِ النظـاميِّ، وعـددٍ غيرِ يسيرٍ من المجاهـدين، وكان المولى سيفُ الإسلامِ مقيماً في حضرةِ الإمامِ عاكفاً على القراءةِ.

وقد اختـارَ الإقامةَ في الـرَّوْضَةِ [١]ليَخْلُوَ لـه الجوُّ من حيلولةِ الأشغـالِ بينَه وين الذي أرادَ من الاقتصارِ على دراسـةِ العلوم، والانقطاعِ إليها[١] فلمْ يجدْ بدأً من الإمتثـالِ لما أَمَرَ بـه الإمـامُ، وسارعَ بـالعـزم بصحبـةِ الجَندِ المعينِ، فكـانتْ طـريقةُ من شِبـام كـوكبان، ولم يتـوجّهْ إلى حجّـةَ، بلْ قصـدَ بحيشِهِ المخـالفين وواقَعَهُمْ، فكَسَر منهم شوكةَ طغيانِهم،وزلزلَ أكنافَهُمْ، ونكَّلَ بهم وبمنْ أعانَهُمْ من ذوي الضّـلالِ وأجلى طغاتَهمْ، ومنْ صَمَّمَ وأصرَّ على دوام العـدوانِ. وأمَّنَ تـائِهَهُمْ وتائِبَهُمْ، وأعـادَهُمَ إلى أوطـانِهمْ وأصلح الأحوال ورتَّبَ الأطـرافَ، ثمَّ عادَ إلى مقامِ شقيقِـهِ المولى، سيفِ الإسلامِ، أحمدَ بنِ الإمام بحَجَّـةَ، فاستقرَّ بها، ولم يتيسَّرْ له العودُ إلى هذه الجهاتِ.

وفيهـا تمَّ رجوعُ بني سعـدٍ من حجورٍ إلى طـاعةِ الإمـام، ودخولُهم في زمـرةِ المستظلين برايـةِ الحقِّ والإسلام، وكان بنو سعـد هؤلاء قدْ/ أغـواهم الشيطانُ، ٢٣٤ فتابعـوا أهلَ الطُّغْيانِ، ومالـوا إلى ناجم تُهامـة، وشايعوا أهلَ الفسـادِ والملامةِ،

....

[١ - ١] سقطت من س.

ومكثـوا على ذلـك عـدةَ سنينٍ، وكلّما نـازَلهم جيـشُ الإمـامِ فـرُّوا مـن أوطـانِهِمْ واعتصموا بـالضالينِ، فأمدُّوهم بما يحتاجـون إليه من الذخـائرِ وغيرهاِ حتى إنَّ الضالَّ سلَّم إليهم أحدَ المدافعِ، وأبقاه لديهم.

ففي هذه السنـةِ، تبينَّ لهم الرشدُ من الغيّ، وأنّهم لمْ يحصُلـوا على طائلٍ من جنوحِهِـم إلى البغي، فأظهروا النـدمَ على ما كان منهـم من زلةِ القـدمِ، وأعلنوا التوبةَ والتخلي عن تلك الحوبةِ، وراجعوا عاملَ وَشْحَة[(١)] القاضي الفاضلَ محمدَ بنَ سعدٍ الشرقي[(٢)] وبيّنوا له مـرغوبَهُمْ في الانقيادِ، والعودِ إلى ما كـانوا عليه من الطاعةِ والرشـادِ، وسلّموا إليه المدفعَ الذي كانَ لديهم، وبذلوا الرهائنَ المختارةَ، وجـرى قبضُهـا منهم، فكملتْ طاعتُهُـمْ وحسُنَتْ توبَتُهمْ وأُمّنُـوا في أوطـانِهم، وكُبِتَ الأعداءُ بإذعانِهم وانتمائِهم.

وفيـه كَمُلَ بنـاءُ الدارِ السعيـدةِ [١]التي وقعَ الشروعُ فيهـا في التاريخِ الـذي سَبق[١]، وأكْملَ أيضاً عمارةُ ملحقاتِها من دائرةِ المقام الشريفِ ودائرةِ المحاسبةِ، ودائرةِ مأموري التلغـرافِ ودياوين عكفـة حضرةِ الإمامِ، فكـانت أجملَ بنيانٍ، رأتْه العيونُ، وأظـرفَ مُشيَّدٍ سُرَّ به المحبون، وغيظَ بِهِ الكـاشحون، وأُطلِقَ عليها اسمُ دارِ العزِّ، وانتقـلَ إليها مولانـا الإمامُ في أثنـاءِ شهرِ جمادي الآخـرةِ من هذا العامِ، فاستقـرَّ بها ملتحفاً بعنايةِ اللهِ التي شملتْهُ على الـدوامِ، ونَقَلَ أيضاً إليها

---

(١) وَشْحَة: بلـدة في أعلى جبل من بلاد حجور، بها مـركز نـاحية، يتبعها عُـزْل، الضاعن، وبني سعد وقارة وبني هني، انظر، معجم الحجري ٢/ ٧٦٧، معجم المقحفي، ٦٩٩ .

(٢) محمد بن سعد بـن محمد بن عبدالله بن قاسم الشَّرْقي ت شـوال ١٣٥٢هـ، عالم محقق في الفقه، رحل مع والده من صنعـاء سنة ١٣٠٨هـ إلى القَفلَة إلى عند الإمـام المنصور محمد بن يحيى، ولاه الإمام المنصور أعمال قضـاء حَجور الشام سنة ١٣١٩هـــ، وظل عاملاً بها حتى توفي، ولد في سناع سنة ١٢٨٢هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٣١، هجر العلم، ٢٢٢ .

[١ - ١] سقطت من س.

الأعـوانَ من المحـاسبين، ومأمــوري التلغـرافِ وغيرهم، فقـامـوا بـالأعمالِ في الأماكنِ والدوائرِ التي أُعِدَّتْ لهم، وكان محلُّها معَ البستانِ الذي يُنْسَبُ إليه من أمـلاكِ المولى الحسينِ بنِ الإمامِ القـاسم بن محمـد، عليهم السلام، جـدِّ حضرةِ مـولانا الإمـام، فلما عمَّر فيـه دورَه المتـوكلُ على الله، القاسمُ بنُ الحسين بنِ المهـدي أحمد بن الحسن[1] عُـرِفَ المكانُ المذكـور ببستانِ المتـوكّل ثمَّ كان من الأتـراكِ عمارةُ المستشفى العسكري فيهـا، فهدمَـه مولانـا الإمامُ كما سبق البيـانُ عنه، وعمَّـر فيه/ / ٢٣٥ هـذه الـدارَ السعيدةَ وملحقـاتِها، وإدراكُهـا من النـوبِ الجسيمـةِ والسورُ البـاهـرُ والمسجدُ الخاص، وتفصيلُ ما اشتملتْ عليه يطولُ تعدادُه، [2]ولا يظنُّ رائيها كاملةَ الإشادةِ إلا أنّها مع ملحقاتِها مما استغرقتْ عمارتُه الأعوامَ العديدة[2]، وقد أرَّخ مولانا الإمامُ إكمالَ عمارتِها بما هو منقوشٌ في أحدِ الأبوابِ، وهو: [الطويل]

أعيـذُ بنائي من عـدوٍّ وحاسـدٍ ... ومِنْ ظـالمٍ بـاللهِ جلَّ جـلالُـه
وأسألُـه عِمـرانَـه بـذوي التقى ... وبالعـدلِ حتى لا يُشـانَ جمالُهُ
وبشَّرني تـــاريخُه أنَّ مَنْ بـــهِ ... يُخْتَمُ في دارِ الســلامِ مــآلُـــهُ

سنة ١٣٤١

ولمولانا الإمـامِ أيضاً تاريخٌ آخرُ، وهو منقوشٌ على أحدِ الأبـوابِ الخارجيةِ بخطٍّ حسنٍ، وطرازٍ مستحسنٍ وهو: [مجزوء الرمل]

إنَّ قصراً قـــدْ تســـامى ... بـــالتُّقى دارُ الكـــرامـــة
نُظِّـم البنــــاءُ فيــــهِ ... مـا حـوى كلَّ الـوسـامـة
أجــــــزلَ اللهُ نعيماً ... لِـــذَويـــه وفخـــامـــة
هـــاكَ بيتـاً بعـــدَ هـــذا ... فيـــه أرَّخْنـا خِتـــامَـــه
ادخلــــوهُ بســـــلامٍ ... فَلَكَمْ فيـــهِ الكـــرامـــة

سنة ١٣٤١

....

[١] في س، المتوكل على الله، القاسم بن الحسين بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم.

[٢ - ٢] سقطت من س.

و[1]قد كـان مولانا الإمامُ -عليـه السلامُ- قدْ أرَّخ عمارةَ هذا الـدارِ في العامِ الماضي بقوله: [الطويل]

بنـاءٌ لـهُ الرّحمنُ حـام وحـارسٌ ... وعـامِـرُهُ يرجـو منَ اللهِ غُفْـرانـا
تأسَّسَ بالتَّقْـوى، فقلْتُ مؤرِّخاً ... يشيدُ بطـولِ اللهِ للشرعِ أركانـا

سنة ١٣٤١

وقال سيدي فخرُ الدين، عبدُ اللهِ بنُ إبـراهيمُ بنِ الإمام، مؤرخاً لها في العامِ الماضي قبلَ إكمالِها: [الطويل]

بنـــاءٌ بحمــدِ الله عـــزَّ مثـالُــهُ ... يُشـادُ لنصرِ الـدينِ فهــو كَمالُــهُ
ولمْ يـــرتفـعْ للخفـــرِ أو لِتَكَبُّرٍ ... ولا جـاوَزَ القَــدْرَ المُرادَ حـلالُــهُ
ولكنَّـهُ بـالعـدلِ للعــدلِ عـامِـرٌ ... وفي بـابِـه الإنصـافُ كلٌّ ينـالُــهُ
٢٣٦ / ومِنْ مَنِّ ذي الأفضالِ أضحى مؤرِّخاً ... بتقـــويمِ شرعِ اللهِ زَيْـنُ جمالِـــهِ

ولسيدي فخرِ الدينِ أيضاً تاريخٌ آخرُ، أوضحَ أنه تاريخُ التأسيسِ النفيس، وهو: [الوافر]

بـــدارِ العـــزِّ نصرٌ للشريعـــة ... وأركـــانٌ مُشَيَّـــدةٌ منيعـــة
فبُشرى حـارسَ الإسـلامِ بُشرى ... بنصرِ الله والمِنَنِ الـــوسيعـــة
وردَّ عِــداكَ في الأقطــارِ طُـراً ... بغيظٍ: خـاسرين وبـالـوضيعـة
أدامَ اللهُ في عــــزٍّ بقـــاكُـمُ ... دوامَ الشمسِ سـافـرةً مطيعـة
وقـوّى مــا تشيـدُ فـلا تُـداني ... مــزايـاهُ ورُتْبتُــهُ الـرفيعـة
وبـــوركَ من بنـاءٍ للمعـــالي ... بِــه والحقُّ مــرآةٌ بـــديعـــة
وفي التأسيـسِ أرَّخنــاه حـــالاً ... بـــدارِ العـــزِّ نصرٌ للشريعـــة

سنة ١٣٤١

[١ - ١] من عبارة «وقد كان مـولانا الإمام -عليه السلام- قد أرخ إلى عبـارة ، فقد صدق القضاء، إن الحقيق به أقام زماننـا، لا إمام زمانه، بارك الله في مدته وضـاعف أعوام دولته»، ويلاحظ بأن هناك اضافة لعلها من الناسخ، أحمد زبارة وهي: فقلت مؤرخاً «يشيد بعون الله للشرع أركانا».

والتواريخُ في هـذا الشأنِ من الأدباءِ، وذوي البيـانِ كثيرةٌ، وأعلاها ما قـاله الإمـامُ، فهـو إمـامُ الكـلام، وقـد هنأ مـولانـا الإمـامَ بإكمالِ عمارِه هـذه الـدارَ والانتقالِ إليهـا جماعةٌ من الأعلام بكثيرٍ من القصـائدِ الطنّانةِ، وأجملُهـا قصيدةُ المولى بدرِ الآلِ الأكـرمين، سيفِ الإسلام، محمـدِ بنِ أميرِ المؤمنين، وهي قصيدةٌ طنّانةٌ بها أجيـادُ الإجادةِ مُزادنةٌ، وقد أثَرْتُ نقلَهـا بكمالِها فهي جديرةٌ بأن تتحلّى هذه المجموعةُ بجمالِها وهي: [الطويل]

تـلاعَـبَ في روضِ المسَّرةِ غـزلانُ ... ومـالت بـه بـالتيهِ للسَّعْـد أغصـانُ
وعطَّـرَ أرجـاءَ البسيطـةِ نشرُه ... وضَمَّ بـه بـدرَ السعـادةِ كيـوانُ
وتمَّ لأهلِ الحبِّ مـا يطلبـونَـهُ ... فما منهم إلا طـروبٌ ونشـوانُ
ألمْ تنظـروا شمسَ البشـائرِ أقْبلَتْ ... تهادى وبـالشُّهْبِ المنيرةِ تـزدانُ
وقدْ صَبَغَتْ مِنْ حُنْدُسِ الليلِ حامياً ... يـزيـدُك حُسناً وهـو أسـودُ فَيْنـانُ
وسلَّتْ علينـا مصلتـات جفـونُها ... زُلالاً فكمْ قـدّتْ هنـالك أضغـانُ
وكمْ عَـذَّبَ الصَّبَّ المولـعَ طـرفُها ... وأسْهَـرَهُ في ليلِـه وهـو وسنـانُ / ٢٣٧
مهـددةٌ كـي لا يَـرى في خـدورِهـا ... من الشَّفَقِ القـاني المضرجِ ألـوانُ
ومنَ أسودِ الأعيانِ خـالٌ به خلا الـ ... ـسرورُ عَن المضُنى فها هُـوَ نَدْمـانُ
وَتَبسِمُ عـنْ بنيـانِ دُرّ وأرْضُـهُ ... عقيقٌ ويـاقـوتٌ وتبرٌ ومـرجـانُ
وفي ذلك البنيـانُ من سَلْسَبيلِهـا الـ ... ـرحيقُ حيوةٌ للّذي هَوَ وَلْهَانُ
يُـزاحُ بـهِ حُلْـمُ المشـوقِ وتـارةً ... يُـرَدُّ إليـهِ فهـوَ رَوْحٌ وريحانُ
نَعَمْ فاعَجبـوا في ثغرِ مُصْليَـةِ الورى ... جحيمَ الهوى الفردوسُ والطرف رضوانُ
على جيـدِ مـاسٍ قَلَّدَتْـهُ جـواهِـراً ... يَبيتُ لها بـدرُ الـدُّجى وهـو حَيرانُ
إذا ردَّد الـرائي إليـه لحاظَـهُ ... أصـابَتْـه مـن نـورِ المُقِلَّـةِ نيرانُ

....

....

وإن جالَ طرْفاً حوْلَهُ ضلَّ عقلُهُ ... لِطَلْسم قرطٍ فيه بالسِّحرِ إعلانُ

يجولُ على بيضِ السّوالفِ حينما ... يُلاعِبُ فيها عقربَ الصَّدْغ ثُعبانُ

وفي صدرِها مطر[١] من السحر صدْرُه ... فواكهُ أمّا الجرمُ منها فرُمَّانُ

لأهلِ الهوى في وصفِ ذاك مذاهِبٌ ... مقرَّرةٌ إيّاكَ يَعْرُوكَ نسيانُ

هُوَ العاجُ لكنْ فيهِ ليمونتانِ مِنْ ... لُجَيْنٍ عليه في الصّناعةِ عقْيانُ

ختامُهما من لازَوَرْدٍ طرازُه ... هَلُمُّوا فإني للمحاسنِ بُسْتانُ

وكمْ مالَ بالألبابِ إنْ ماسَ قدُّها ... على أنّه مِنْ بعدِ ذلك طعَّانُ

إذا صاحَ منه حينَ تمشي بريمها الـ ... ـفخيم صاحَتْ في فؤادِك أشجانُ

وأنساكَ إسحقَ النّديمِ ومعبداً ... وغنّى إلى ما للمحبِّين سلوانُ

تجورُ على العشّاقِ تسبى عقولَهُمْ ... وتقْتُلُهُمْ ما عندَها ذاكَ عُدوانُ

/ ٢٣٨ فجازاهُ منها الرَّدْفُ بالجَوْرِ مثلَها ... لَعَمْرُكَ إنَّ الرّدْفَ بالعدلِ دَيَّانُ

أتَتنا وحيَّتْ بالسلام فعادَ مِنْ ... هَوى الفضلِ فينا وهوَ بالحبِّ ثملانُ

فقُلْنا لها أهلاً وسهلاً ومرحباً ... قفي! نحنُ خدّامٌ لديك وغِلمانُ

قفي تجدي يا شمسُ ما تطلبينه ... وإن عزَّ ما فينا لذلك تَعبانُ

فقالَتْ: نعمْ لولا حبيبي فإنّني ... سأُهدي إليه حيثُ لي وله شأنُ

فقُلْنا ومَنْ هذا الحبيبُ فإنّه ... رئيسٌ على أهلِ الغرام وسلطانُ

فقالتْ: هو الدينُ الحنيفُ فإنّني ... أُزَفُّ إليه وهو نشوانُ جذلانُ

فقدْ عادَ بعدَ السُّخْطِ في قالبِ الرِّضا ... ولمْ يبقَ حتّى لحظةٍ وهوَ غضبانُ

وقدْ عادَ في ثوبِ الرفاهةِ رافلاً ... وقدْ عُطِّرَتْ من ذلك الثَّوْبِ أردانُ

وقدْ عادَ في عيشٍ خصيبٍ وراحةٍ ... يلوحُ له من طالعِ السَّعْدِ سعدانُ

وقدْ سكَنَ الدارَ التي شادَها له ... إمامُ الهُدى مَنْ لا يُساويه إنْسانُ

إمامُ الورى المُحيي لدينِ محمّدٍ ... وقدْ نُسِجتْ للدينِ مِنْ قبلُ أكفانُ

---

[١] في الأصل: سطر .

إمـــامُ البرايـا مَـنْ أقـرَّ بفضْلِــه الأ ... عادي وهلْ للنُّورِ في الشمسِ كُفرانُ

إمـامُ ذوي التّقْـوى ونـورُ ظـلامِهِم ... فلـولاه إن الطـالبي البر عميـانُ

هـو البحـرُ عِلْماً بـل هـو البُّر رأفـةً ... هـو الغيث جـوداً كم بكفَّيْـه أمـزانُ

هــو السيــدُ الهادي إلى دينِ أحمدٍ ... بـــه عَمَّ أهـلَ الأرض يمْنٌ وإيمانُ

هـو الغـوْثُ إنْ قيل المكـارهُ أقبَلَتْ ... هـو الكهفُ إنْ غَـمَّ المنيبينَ أحـزانُ

هو القطبُ لولاه رحـى الدينِ لم تَدُرْ ... ولا جـادَ في الأرضِ البسيطةِ هَتَّانُ

هـو الفـردُ فضـلاً والمُثنّى مـدائحـاً ... قصــاراه معـروفٌ وخيرٌ وإحســانُ

مليكٌ تـرى الأملاكَ مِنْ هولِ بـأسِهِ ... مــروّعـــةً إنَّ المُحِقَّ لـــه شـــانُ

بـه صـارَ هـذا القطـرُ في أوجِ رِفْعـةٍ ... تَقَـاصَر عنهـا أصفهـانٌ وجُرجـانُ / ٢٣٩

بهمّتِــهِ قــامَ القـــويمُ بســاقِــهِ ... وقُـدَّتْ لأربـابِ الضّـلالـةِ سيقـانُ

وأوْقَظَ أهلَ الـديـنِ من سُنّـةِ الهوى ... وطَـرْفُ المعــالي والمكـارمِ نعســانُ

وَعَدَّلَ بالسَّيْفِ الصَّدوقِ اعوجاجَهُمْ ... فلم يبـقَ في القُطْــرِ اليمانِيِّ فتّـــانُ

وكمْ رامَ بـــاغٍ أنْ ينــاوِيء عُلْـــوَهُ ... فعـاد ومثـواه انتقـاصٌ وحِـرمـانُ

ولا غــروَ مَنٌ كــانَ الإلـــهٌ نصيرَهُ ... نصيبُ أعــادِيـه خَســارٌ وخِـذلانُ

ولوْ رامَ سكَّانُ الـدُّنى وصْفَ فَضْلِهِ ... لعـادَ المُجَلّى وهـوَ لِلْعَجْـزِ خجـلانُ

فكـمْ لأميرِ المؤمنين محامــــــدٌ ... تجلّى بها فـوقَ السِّماكيْنِ عــدنــانُ

بنى للهُـدى والمجـدِ والعزِّ مَنْـزِلا ... وللفَضْلِ فيـــه للكــارِمِ أفْنــانُ

وشــادَ قُصـوراً للمفــاخـرِ والعُلى ... يُرى بعـدَها في قصرِ فـارسَ نقصانُ

وأحيى ريـاضـاً بـا لمحامِـدِ أثْمَـرَتْ ... ولِلْمَجْـدِ فيهـا أقحـوانٌ وسَـوْسـانُ

وورِدُ العُلى في سفحِهـا فـــاحَ نَشْرُهُ ... وخَـوْطُ التّقى فيهـا رطيبٌ وريّـانُ

وتملي أحــاديثَ الغـديـرِ وإن أبى ... عليهـا أبـو بكـرٍ وحفصٌ وعثمانُ

وتشدو على أغصانها وُرْقُ مَدْحِهِ   فكمْ أطرَبَتْ منها المسامعَ ألحانُ
وكمْ حارَ ذو العِرفانِ في وصْفِ حُسْنِها   فإنَّ لها تدنو دمشقٌ وبوَّانُ
بناها لإحياءِ الهُدى ولنشْرِهِ   إذا ما بُني للمُلْكِ والفخرِ بُنْيانُ
وشادَ بها الشرعَ الشريفَ فقدْ غدا   ومسكَنُه عرشٌ وصرْحٌ وإيوانُ
فقلْ لذوي البغضا طنينُ ذبابِهم   سَيُسْكِتُهُ مِنْ نَظْمِ ذِي الحبِّ طَنّانُ
ومنْ رامَ حَطّاً من عُلاها وقَدْرِها   فما للهُدى في قلبه قطُّ عمرانُ
إمامَ الهدى هُنِّيتَ داراً بَنيتَها   تُشيدُ بها للدينِ والمجدِ أركانُ
وعُمِّرتَ فيها لابساً ثوبَ عِزّةٍ   نصيراً وبشراً ما ترادَفَ أزمانُ

240/ وهاكَ نظاماً قلتُهُ عنْ مودَّةٍ   وماليَ في نظمِ الدّراريَ عِرْفانُ
ولا خبرةٍ بالشعرِ لكنْ تشُّوقٌ   لمدحِكَ ما همّي عروضٌ وأوزانُ
فإنّك مختارُ الإلهِ لدينِهِ   وها أنا في قوْلِ القصائدِ حَسَّانُ
لِئنْ كنتُ أدعى بالفهامةِ باقلاً   فإني بمدحي للخليفةِ سحْبانُ
وصلّى عليكَ اللهُ بعدَ محمّدٍ   وعترتِهِ ما جالَ في الحربِ فرسانُ
وسلَّمَ ما قطرُ السحابِ هَمَى وما   تلاعب في روضِ المسرّةِ غزلانُ

انتهت المنظومةُ الفريدةُ، والجُمانةُ النضيدةُ، وهي عاليةُ القدرِ في بابِ الإجادةِ والإحسانِ كعلوِّ قدرِ ناظِمها بينَ ذوي العرفانِ، تلاعبَ فيها بالمعاني تلاعبَ مُلاعبِ الأسنّةِ، وأوردَ فيها منْ جيِّدِ المنظومِ ورحيقِهِ المختومِ ما تصبو إليه الإنسُ والجنّةُ، وإنما اختارَ هذا البحرَ والرويَّ والمشروعَ المرويَّ ناسجاً على منوالِ القاضي علي بنِ محمدٍ العنسي[1]، رحمه اللهُ، فيما مدحَ به المتوكلَ على اللهِ،

(1) علي بن محمد بن أحمد العنسي ت ١١٣٩هـ، كان له علو في الشعر الحُميني، له ديوان مطبوع بعنوان وادي الدور، نسبة إلى وادي الدور الذي ينحدر إلى تُهامة من الجبال الغربية القريبة من قرية العُديْن، انظر شعر الغناء الصنعاني، ٣٦٤، نشر العرف، ٢/ ٧٢٩٠، ط السلفية.

القاسمَ بنَ الحسين[1] بعدَ عمارتِهِ لقصورِ هذا البستانِ[2]، وذلك في يومِ الغَديرِ بالقصيدةِ النونيةِ الشهيرة التي مطلعها:

[الطويل]

ثنـا الملكُ عطفاً فهـو نشوانُ جـذلانُ ... بـأروعَ زانَ المُلْكَ منــــه سليمانُ
أجلُّ إمـــامٍ كلّما ذُكِـــرَ اسمُــــهُ ... تتيـهُ وتـزهـو مـرهفـاتٌ ومُـزّانُ
مـلاحمُ جَفْـرٍ فيـه حـلَّ رمـوزَهـا ... مـلاحمُ حرْبٍ والأحـاديثُ أشجـانُ
أمـا قيلَ في البستـانِ وهــو بأهلِـهِ ... وبـالمُلْكِ سـامٍ لا يُـدانيـه غمْـدانُ
سيلبثُ حيّـاً مقفـراً عن منـــازلٍ ... بها نَعِمَتْ دهـــراً أسـودٌ وغِـــزلانُ
ويعمُـــرهُ منْ يَعْمُـر الـدينَ عـدلُـه ... ويحيى بـــه حيُّ الفخـارِ ويـــزدانُ
بـذا أخبرونـا وهـو بـالمُلْكِ أهلُـه ... وقـد شـادَهُ منْ لا يُـوازيـه إنسـانُ
فإنْ كذَبَ الأعـدا فقدْ صَـدَقَ القضا ... وإنْ صمتُـوا فقــدْ فــاهَ بـرهــانُ
على اليُمن فانـزلْ حيثُ شِئْتَ مُبَجَّلاً ... ليجــري بما تهوى السماكُ وكيــوانُ / ٢٤١
فإنْ زرتَ قصرَ صاحبك الهنا (الهنى) ... وحيَّـــاكَ في البستـــانِ رَوْحٌ وريحانُ
أعَـدْتَ رُواءَ المُلْكِ فيـه لقـدْنـرى ... سنــــاهُ وأنَّ النجْـمَ منـــه لغَيْرانُ
وذكَّـــرَهَ عهـــدَ الحُسَيْنِ سليلُـــهِ ... فـلا زالَ فينـا وهــو في العُمْرِ لقمانُ

---

(١) القاسم بن حسين بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم، المتوكل ت رمضان ١١٣٩هـ بصنعاء، دعوته ١١٢٨هـ، انظر، فرجة الهموم، ٥٧ .

(٢) بستان المتـوكل انشأه الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم، تـولى الإمامة بعد وفـاة أخيه محمد بن القـاسم ١٠٥٤هـ-١٠٨٧، انظر، الاعلام، ١/ ٣٢٢ (بنى فيـه الإمام المهدي عباس قصراً جميلاً، وبستـان المتوكل محاط بسور ترابي يفصل طرفاه بسـور المدينة وعليه أبراج كثيرة، يبعد الـواحد منها عن الآخر بمقدار ٥٠ متراً، انظر أيضـاً، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ٢٣١ .

وهي طويلةٌ بليغةٌ، ونَفَسُ القاضي عليِّ بن محمد العنسي ليسَ با لمجهولِ ولا المنسي، وما قالَه في المتوكل وبستانِه، فقدْ صَدَق القضاءُ أنَّ الحقيقَ به إمامُ زمانِنا لا إمامُ زمانِه، باركَ اللهُ في مدَّتِه وضاعَفَ أعوامَ دولتِه.

وقد كان مولانا الإمامُ جلبَ لهذهِ الدارِ السعيدةِ ماكينةَ الاكتريق من جيبوتي مع أسلاكِها وآلتِها، وتولىّ إحكامَ ترتيبِها المهندسُ جورج المجري وأعوانُه، الذين قد تخرّجوا عليه من أبناءِ البلادِ، ومُدَّتْ أسلاكُ النورِ إلى كلِّ مكانٍ من أماكنِ الدارِ السعيدةِ، ومجالسِ المقامِ، وسائرِ ملحقاتِها، وكان إنارتُها بذلك النورِ الآخذِ بالأبصارِ المعيدِ لحكم النهارِ، فتزايدَ بذلك بهاءُ الدارِ، ولّما كانَ مولانا الإمامُ - عليه السلام - تمرُّ عليه أكثرُ أوقاتِ الليلِ، وهو يقظانُ، عاكفٌ على إنجازِ أشغالِ العبادِ، والإجابةِ على ما يَرِدُ إليه من الأعمالِ والبلدانِ، فلا يدخلُ إلى دائرةِ المبيتِ إلاّ بعد فراغِهِ من الأشغالِ، والإحاطةِ بها. حلَّتْ هذه الإنارةُ من الإعانةِ محلاً رفيعاً، وقَوَّتْ روحَ النشاطِ في أعوانِ مولانا الإمامِ، وانتظمتْ في سلكِ المصالح العامةِ والمنافعِ الهامةِ.

وفي أوائلِ هذه السنةِ، استقدمَ مولانا الإمامُ إلى حضرته الشريفة سيدي قاسمَ الوجيه[1]، وأسندَ إليه نظر أعمالِ الجهةِ الرَّدَاعيةِ، واجباتِها وحكومتِها، وضمَّ إليه من الأعوانِ من يحتاجُ إليه، وكانَ ذلك بعدَ أن ألحَّ السيدُ الهمامُ عليُّ بنُ محمدٍ المطاع على مولانا الإمامِ في الإذنِ له بالوصولِ إلى صنعاءَ وإعفائِه منَ القيامِ بأعمالِ الجهةِ الرَّدَاعيةِ، معتلاً بانحرافِ المزاجِ، واضطرارِه إلى تركِ

---

(١) قاسم الوجيه بن عبدالله بن عبدالرحمن المتوكل ت ١٣٨١هـ، عالم محقق في الفقه والنحو والأصول والمعاني والبيان، دَرَّس في شُهارة ثم تولى القضاء في النَّادرة ثم عاملاً وحاكماً في رداع ثم تولى القضاء في صَعْدَة ونواحيها وصنعاء ثم ضُوْران، ولد في شُهارة في ذي الحجة ١٣٠٦، انظر، نزهة النظر، ٤٨٤، هجر العلم، ١١١٠.

الاشغـالِ بالأعمال، وإسعـافِه، بما أراد، ووصـولِه إلى صنعـاءَ مكلَّلَ الجبين، بما أدركَـهُ من النصرِ والظَّفرِ، وبلـوغِ الوطـرِ السُّوَّاديـة[1] وجهـاتِها، ونيلِه سعـودَ القَدرِ/ فاستقـرَّ في دارِه، وتوجَّه العَاملُ الجديدُ سيد العَلَم قـاسمُ بن الوجيهِ معَ / ٢٤٢ مَنْ تعيَّن من الأعـوانِ والأجنـادِ إلى رَدَاع، وباشرَ أعمالَ تلك الأصقـاعِ، فحُمِـدَ منابُه وحسُن انتدابُه.

وفيها شبَّتْ نارُ الفتنـةِ بينَ أهلِ قروي[2] وبين سحام[3] والسُهْمَان[4]، وهي بطونٌ من خَـوْلانَ، وكان ذلك بسببِ التنـازعِ بينهم على المراعي والحدودِ. ووقعَ من الفريقين قتلى.

وصـدرَ الأمـرُ الشريفُ إلى وكيلِ أميرِ الجيشِ سيّـدي عليِّ بن أحمدَ بن إبراهيمَ بالتـوجُّهِ إلى محلاتِ المذكورين مع طابورٍ من الجندِ النظـامي بمدافِعِه، فتـوجَّـه يـومئـذٍ مـعَ الجنـدِ، ولم يبِتْ إلاّ في محلاّتهم، وشَرَعَ في ضبطِ العُقّـالِ والمشايخ. وكان السيدُ محمدُ بنُ علي بن أحمدَ الوزير يومئذٍ في جبل اللّوزِ[5]، لأنَّ

---

(١) السُّوَّاديـة: ناحية واسعة من بـلاد البيضاء، شرقي ذَمار بمسافـة ١٠كم، انظر، معجم المقحفي، ٣٣١.

(٢) قَـرْوي: عُزلـة ووادٍ في خَـوْلان الطيال بـالجنوب الشرقـي من صنعاء، فيهـا سكن بني النويرة، انظر، معجم المقحفي، ٥١٣.

(٣) بنو سِحَام: عُزلة ووادٍ في خَوْلان العـالية متصلة بسنحان، بها جبل اللوز، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٤١٦، معجم المقحفي، ٣٠٥.

(٤) السُهْمان: من قبـائل خـولان العـاليـة ثـم من بني سِحَـام، انظـر، معجم الحجـري، ٢/ ٤٣٧، معجم المقحفي، ٣٣٠.

(٥) جبل اللـوز: من جبال خـوْلان الطيال من بني سِحَـام، شرق جنوب صنعـاء على بعد ٣٥كم، وهو ثالث أعلى جبل في اليمن، وتعمه الميـاه الجوفية، انظر، حياة الأمير، ٦١٤، معجم المقحفي، ٥٧٢، حوليات الجرافي، ١٥١.

قبْض واجباتِ الجبل كان بنظرِ أبيه، وهو ينوبُ عن أبيهِ، وقد اعترَتْـهُ لوثةٌ في ما ظهـرَ من الأعمالِ من جهتهِ، فشجَّعَ بعضَ عُقـالِ جبلِ اللَّوْزِ على الامتنـاع عن الإجـابةِ، ووعَـدُهم بالمدافعـةِ عنهم، إنْ تعـرَّض عليهم الجندُ الامـاميُّ، فأرسلَ وكيلُ الأميرِ على السيـدِ المذكـورِ، وعلى أولئـك المتمنعين عشرةً من الخيـالـةِ، ومثلَهم من مشاةِ النظامِ.

فلما عـرفَ السيدُ محمـدُ الجدَّ أنكـرَ مـا أرادَ، وخلَّى ما بين العسكـرِ وأولئك العُقَّالِ، فضبطوهم إلى محطة الجيشِ والسيد محمد عزم في وقتِه عائداً إلى السرِّ(١)، ولما تمَّ لِقـائدِ الجيشِ مرادَه من ضبطِ جميع المشـايخ والعقَّالِ أودعَهُم الأغـلالَ، وقد سكنت الفتنةُ، وارتفعَ معَ الجندِ عائداً إلى حضرةِ الإمام، ولمّا وصلَ بالعقّالِ والمشـايخ إلى حضرةِ الإمـام أمـره بإطلاقهِم، ويكـون بقـاءُ الجميع في صنْعـاءَ، فأصلحَ الإمامُ شأنَهُمْ وفكَّ نزاعَهُم.

وفيهـا فرَّ ثـلاثة من النظـام والتجأوا إلى بعضِ بطـونِ أرْحَب، فكتبَ اليهم الإمامُ نـاصحاً لهم من انتصابِهم للجـوارِ المذموم، وزاجـراً لهم عنْ هذا العملِ المشؤومِ ومبّيناً لهم ما فيه العواقبُ الوخيمةُ، فلمْ يَكُنْ منهم الإنصافُ.

وعلم مـولانا الإمـامُ أنـه إذا وقعَ التسهيلُ في ذلك، فسُـدَ انضباطُ النظـامِ، وتعسَّر تلافي الأمـر، فأصدَرَ مـولانا الإمامُ أمـرَهُ الشريفَ على وكيلِ أميرِ الجيشِ بالعـزمِ في عدةٍ من طـوابيرِ النظامِ إلى أطرافِ حـدودِ قبائلِ أرْحَبَ ومنـاجزتِهم بالحربِ، إنْ لم يحصلْ منهم الانقيـادُ والإنصافُ، فتوجَّه الجنـدُ الإماميُّ مع أميرِه

---

(١) السِرّ: وادٍ مشهـور بـالشمال الشرقي مـن صنعـاء بمسـافـة ٢٣كم، وهـو مـن نـاحيـة حشيش، يطل عليه حصن ذي مـرمر، كـان يُقال له سر ابن الـرويّة نسبـة إلى محمد بن أحمد الرويّة، انظر، صفـة، ١٧٦، اليمن الكبرى، ٧١، معالم الآثار، ١١٣، نشر العرف، ٢/ ٩٥، تاريخ الواسعي، ٣٠، الاكليل، ١٠/ ١٨١، معجم المقحفي، ٣١٠.

---

[١] سقطت من س.

إلى المحـلاتِ التي بين حدودِ بين الحارثِ وأرْحبَ، ولمّا عـرفـوا الجِدَّ من مولانـا الإمام، بادروا إلى تسليم الفـارّين، وأذعنوا للأمرِ والتزموا بعـدمِ قبولِ مَنْ فرَّ من النظـامِ، وحُسِمَتْ مادةُ تعليقِ الآمـالِ/ مِمَّنْ أغـواه الشيطانُ على أنَّ الفـرارَ إلى أرْحَبَ منجاةٌ لـه من الطلبِ، ومَيّسرٌ لرفعِ الخطابِ عنه، وعـادَ الأميرُ مع الجندِ إلى حضرةِ الإمامِ - عليه السلام -. / ٢٤٣

وفيها انتقلَ السيدُ محمدُ بنُ علي الوزير من بيتِ أبيهِ في السرِّ إلى جبل اللّوز عازمـاً على الخلافِ، والسعي بالفسادِ، وركـوبِ الاعتسافِ، وكـانَ المذكورُ مِنْ قبلِ ذلك يحاولُ أنْ يكونَ منْ جملةِ عُمّالِ مولانا الإمام، ويُلحُّ في وصولِهِ إلى تلك الأمنيةِ، ويتوسَّلُ بكلِّ وسيلةٍ في الحصولِ عليهـا، ويُغريه على ذلك ما يرى عليه ابنُ عمِّه السيّـدُ الجليلُ فخرُالدين، عبـدُالله بن أحمد الوزير، من الرئاسـةِ، وعلوِّ الكلمـةِ والجاهِ، واتّساعِ الأعمالِ التي بنظـرِه، وكذلك قـريبُه السيـدُ الأميرُ جمالُ الدين، عليُّ بن عبدالله الوزير، أميرُ لـواءِ تعز، وهو يحدّث نفسَهُ أنَّه قريبٌ منهما سناً ونسبـاً وكفاءةً فـلا أقلَّ منْ أنْ يتقلّدَ بعض الأعمالِ، ويـزاحمَها في الـرئاسةِ، وهي بعيدةُ المنالِ فلم تساعِـدْه الأقدارُ على بلوغ المرامِ، ولا ابتسمتْ له الأيامُ، وكانَ المذكورُ كلّما عرَضَ نفسَهُ على مولانا الإمامِ أمره بلزومِ المدارسِ والعكوفِ على القراءةِ الميّسرةِ للتصدُّرِ، وبلـوغِ مرام المنافسِ، فعكفَ زمـاناً على القراءةِ في الجامعِ الكبيرِ، ولتعلُّقِ نفسِه بـالإمارةِ، لم يطِبْ له البقاءُ على تلك الحالِ، فتـوجّه إلى السيـد الأمير جمالِ الديـن عليّ بن عبدالله الـوزيـر إلى تعـز، واستعانَ بـه في بعضِ الأعمالِ، ولم يُحْمَدْ منابُه، ومَلَّ الإقامةَ هنالك[1]، فعادَ إلى السِّـر ثم، قصدَ الأميرَ فخـرَ الدين، عبـدالله بن أحمد الوزيـر، وعوَّل عليـه في استنابتِـهِ في بعضِ الأعمالِ التي بنظرِه، واستأذنَ الأميرُ فخـرُ الدينِ، مـولانا الإمـامَ، من أجلِهِ فلمْ

[١] في س، تعز.

يأذنْ له، فبقيَ مدةً هنالك، ثمَّ عادَ إلى السرِّ، وقد أيسَ من الوصول إلى مطلوبه، وضاقَتْ الدنيـا في عينهِ تحسراً على فواتِ مرغوبِه، وقعـودِ الحظِّ بِهِ، عن مساواةِ قريبيه فيما نالاه، وحملتْهُ نفسُه على تجشّم العدوانِ والسعي فيما فيه حظُّ الشيطانِ وإغضـابُ الرحمن، فجمَعَ حـولَه في جبل اللـوزِ جماعةً من سفهـاءِ بني جبر[1] وخَوْلانَ وبني بُهْلُول[2]، وشرعَ في بثِّ رسائلَ سخيفـةِ الموضوعِ والمعـاني ركيكةَ المبـاني معترضاً بها على سيرةِ مـولانا الإمـامِ، وحجّةِ اللهِ في هـذا العصر على بني الأيام، وهـو مع ذلك يعرفُ من نفسِـهِ قِصَرَ الباعِ عنِ الـدخولِ في ميـادينِ هذا النضالِ، وأنَّ ما حصَّلَه لم يهذِّبْ نفسَهُ ويـؤهلْها لتقلُّدِهِ/ بعضَ الأعمالِ، فضلاً عن طموحهـا إلى الاعتراضِ على من تقدَّمَ على الجلةِ من أئمـةِ الآل، ومنحَهُ اللهُ من الخصـائصِ ما تفرَّق في كثيرٍ مـن الجهابذةِ، ذوي الكمال، وردَّدَتْ أحـاديثَ فضلِه ألسنةُ جلائلِ الأعمالِ، فكان المجدُّ في هذا القرنِ بلا نكيرٍ، والقائمَ بالحقِّ، الحقيق بكلِّ تعظيمٍ وتـوقيرٍ مـا شئتَ من ينبـوعٍ معين، يتـدفّقُ بنميرِ التحقيق في العلومِ العَقْليَّة والنَّقْليَّـةِ، ويقفُ عندَه ذوو التحقيقِ والتبحُّرِ مقرّينَ بـالعجزِ عنْ إدراكِ مرتبتِـه السنيّةِ، وأنْهضِيَّةٌ نـاطحت الكواكبَ علـواً وإشراقاً، ومدَّتْ بـاعَها فجعلتْ لها من الثريـا نطاقاً، وصرامـةٌ ذلَّ لها الأسودُ، وبدَّدَت العـادينَ، وما لهم من الجنـودِ، وطوَتْ مـا لهم من الألويـةِ والبنودِ، وأقامـتْ قناةَ الشريعـةِ وشيَّدتْ حصـونَها المنيعةَ، وخُلُـقٌ جُبِلَ على التواضعِ للضعيـف والمسكينِ والانتصافِ لـه ولو مِنْ نفسِه كما هو شأنُ جدِّه الصادقِ الأمين، وسيرةٌ نصبتْ قسطاسَ[١] العدْلِ

/ ٢٤٤

(١) بنـو جبر: من بطـون خـوْلان صنعـاء، انظـر، تـاريـخ اليمن الثقـافي، ١/ ٥٥، اليمن الكبرى، ١٦٦، معجم المقحفي، ٢٢٣.

(٢) بنو بُهْلُـول: من نواحي صنعاء في الشرق، على نصف مرحلـة، يفصل بين صنعاء وبين ناحية سنحـان، وفيها قرى كثيرة أشهرهـا غَيْمَان من بلدان حِمْيَر، انظر، مـذكرات المؤيد بالله محمد، ٥٠، معجم الحجري، ١/ ١٣١.

[١] في س، قسطاً من العدل.

بينَ العبـادِ، وأمَّنَت الحاضرَ والباد، وأعـادتْ زمانَ المرتضى، وأرَتْنـا ما سمعنـاه عن سيرةِ أعلم الأمـةِ بـالقضاءِ، ومحَتْ رسـومَ الجَوْرِ والإجحـافِ، ورفعتْ عنْ كاهل العبادِ، أثقالَ الاعتسافِ، وحفظتْ أموالَ اللهِ عن أيدي العبث والإفساد، وصرفَتْها حيثُ أمـرَ ربُّ العبادِ، وحزمٌ حاطَ دينَ اللهِ وبلادَه بسـورٍ، وصانَ جميعَ الثغـورِ وقمعَ الشرورَ، وأدخلَ على المؤمنين كـلَّ سرورٍ، ومنعَ الفتنَ ورفعَ المحنَ، وسدَّ أفـواهَ بنادقِ الاعتـداءِ، وأسكَتَ لسانَ الخنـاجرِ والسيـوفِ عن المناداةِ إلى الردى، ومنعها عن الـولوغ في الدماءِ المحرَّمة، والانـدلاعِ على النفوسِ المسلمة، وإقـدامٌ أحبطَ مسـاعي الكـافرين، وقـدْ أحـاطـوا بالقطـرِ من جميعِ نـواحيـه، وألجمهم عن نيل مـآربهم التي قد مـدُّوا إليها أعنـاق طمَعِهم وعواديـه. وزلزلَ البُغـاةَ ومالَهم من الأكنـافِ، وأنـزلهم إلى الدركِ الأسفـلِ من الأخوافِ، وبـذلَ النَّفْسَ والنفيسَ في مـرضاةِ الله تعـالى وإقامـةِ حـدودِه، وصيانـةِ شرعهِ القـويم وإعـزازِه بعدَ أنْ كـان قـدْ دُفِنَ في لحودِهِ، وأُهيلَ عليـه ترابُ أخـدودِه، واهتمامٌ بنشرِ العلوم يشفي الكلوم، ويـزيلُ الغمومَ ويطردُ الهمومَ وينيلُ الطـالبَ كلَّ ما يروم إلى يُمنِ نقيبةٍ، دفعَتْ كلَّ مصيبةٍ.

/ ٢٤٥ وأبـرزتْ إلى عالم الشهـودِ، حقـائقَ السّعـود، والسعي المحمودِ المقـرونِ بالنجـاحِ، وتيسير كلِّ صلاحٍ، ورفع قبابِ الفـلاحِ، وعنايـةً من اللهِ تعالى جلَّت مـواهبُها، وظهـرتْ ظهـورَ الشمسِ رغائبُهـا، واعتصـامٌ باللهِ وبشريعتِـه في كلِّ الأمورِ، ولـو تجشم المخوف[١]، وتعاظمَ المحـذورُ، فماذا عسى أنْ يقولَهُ مَنْ يـريدُ الاعتراضَ، ويرمي بنفسِـهِ إلى حضيضِ الأحماضِ، وحفرة الأسقـامِ، والأمراضِ، ونفسـهُ تكذّبُـهُ فيما يقـولُ، وترميـه بـالجنونِ فضْـلاً عن الفُضـولِ، وتزجُرُه عن ارتكابٍ ما لا يُقبَلُ من أعمالِ الذهولِ، ولـو سَرَدَتُ ما مَنَّ اللهُ بِهِ على مولانا من

....

[١] في س، الخوف.

الخصائصِ لاستغرقتْ مجلداتٍ قبلَ الوصولِ إلى درجةِ التمامِ وحسن الختام، ولم يكنْ هـذا مِنْ مـوضوعِ هـذا المجمـوعِ، وإنما حـداني إلى سردِ هذه النبذةِ مـا وصفتُ بـه تلك الرسـائلَ السخيفةَ من اشتمالها على الاعتراضِ، ووسمِهـا بأنها حَوتْ مـا يدلُّ على الامتعاضِ، فأزلتُ ما يسبقُ إلى الأوهـامِ من إمكان اشتمالِها على ما هو من صحيح الكلامِ، المعّبرِ عن الواقعِ لذوي الأفهام.

ولما بثَّ السيدُ محمدُ بنُ علي[١] رسائله ونشرَهـا في كلِّ جهةٍ، وبلغَ ذلك إلى مولانا الإمامِ بادرَ إلى نُصْحِه بالإقلاعِ عن طُـرقِ الغوايةِ، وإعلانِه بوخامةِ خطّتِهِ التي من شأنِها خـرقُ حُرْمةِ الـرعايـةِ، وكذلك نصَحَه كـلُّ عاقلٍ، ولا سيما ذوو قرابتِهِ، عارفُهم والجاهلُ، فأصرَّ على الاغترارِ، ومتـابعة هوى النفسِ، ومن الآثام الإصرارُ، وأعلنَ عن نفسِه الاحتسـابَ، ومدَّ يدَّه إلى أموالِ اللهِ التي بنظـرِه، ونظرِ أبيه، يفـرّقها على مَنْ لـه من الأصحاب، وكـادَ يستفحلُ منه الشرُّ، وقـدْ حصَلَ الإيـاسُ من إقلاعِـهِ عن أطماعِـه إلاّ إذا أُرْضِيَ بما يَسُـدُّ نهمتَهُ من إسنـادِ بعضِ الأعمالِ إليه، ومـولانا الإمامُ لمْ يكُنْ مِمَّنْ ينزلُ على حكمِ الهوى، ولـو دارتْ عليه الـدوائرُ، ولا يساعـدُ على مـا لا يرى فيـه المصلحةُ العـامـة، كيفما كانتْ عليـه الأحـوالُ من المظـاهـرِ، ولـذلك صَـدَرَ أمـرُه[٢] الشريفُ إلى وكيلِ أمير الجيشِ سيـدي علي بن أحمد بن إبـراهيم بعـزمِــه معَ جنـدٍ كثيفٍ من طـوابيرِ الجنـودِ النظـاميـة، ومنازلـةِ السيـد محمـد بن علي المذكـورِ في جبلِ اللَّوْزِ محلِّ إقـامتِـه والتنكيل به، وبمن أجتمعَ لـديه من السُّفهاءِ الأشرارِ/ فـامتثل الأميرُ وبادَر إلى إنفـاذِ ما أُمِـرَ به، وأَمـر الإمامُ - عليـه السـلام - بأنْ ينضمَّ إلى الجندِ النظـامي قــريبٌ من عـدَّتِهم مـن المجاهــدين، أهلِ الحدأ والأهنــوم وغيرهم، ومعهم مدفعان، فتـوجَّه الجندُ المذكورون مع أميرِهم قبيلَ المغـربِ من صنعاءَ، وأمرهم

/ ٢٤٦

---

[١] في س، محمد بن علي الوزير. [٢] في س، الأمر الشريف.

الإمامُ بـأنْ لا يقفوا قبلَ الـوصولِ إلى جبلِ اللَّـوْزِ والإحاطـةِ بالسيدِ محمـدٍ ومن معه.

وكانتْ تلك الليلـةُ شديدةَ البردِ والمسافـةُ طويلة[١]، فانقطع أكثرُ الجيشِ عن الوصول وألجأهم البردُ إلى المبيتِ في بعـضِ القرى، ووصلَ الأميرُ بمن رافقه إلى الجبلِ المذكـورِ عقيبَ شروقِ الشمسِ من صبـاحِ تلك الليلـةِ. فـرتَّبَ الأطـرافَ ببعضِ العسكـرِ ليكونَ منهـم منعُ منْ يريـدُ الفـرارَ من المذكـورين، وصعدَ إلى الجبل بمنْ بقي معـه. ولّما أحسَّ السيد محمد ومنْ معه بـوصول الجندِ الإمامي معَ الأميرِ، داخَلَهُم الفشـلُ، واستولى عليهم الجزعُ، وخارتْ فـركنوا إلى مبادرةِ الفرارِ قبلَ الإحـاطةِ بهم، وأسرعوا في إجفالِهِم، وتوليةِ الإدبـارِ، ونزلوا من الجبلِ مهرولين إلى بـلاد نِهم، وسلكوا الطريـقَ الشرقية المائلة إلى جهـة الجنوب، ولم يكن بها أحدٌ من الجنـدِ الإمامي، لأنَّ الأميرَ لم يَضَعْ فيها رتبةً لانقطـاعِ الجندِ عنه في الطريقِ، ووصولِه قبلَهُم ممتثلاً لما أمرَه بـهِ مولانا الإمامُ من عدم الوقوفِ، إلاّ في الجبلِ، وحين عاينَ الأميرُ ومَـنْ معه مزارَ السيـد محمد ومَنْ معـه تبعوهم فلمْ يُدركوهم، وكانتْ شدَّةُ البردِ منْ مـوجباتِ عدمِ الإمعانِ في اتّباعِ الفارّين، وعادَ الأميرُ ومنْ معـه، وتلاحَقَ بـه الجندُ الإمـاميُّ كلُّه، فنـزلَ في المحلاتِ التي أقـامَ بها السيـدُ محمـد وأصحـابـه، وقبض على من آواه مـن أهل جبلِ اللَّـوْزِ وأعيانهم وعقّالِهم، ورفعَ بالحقائقِ[٢] إلى مولانا الإمـامِ، فصدر الأمرُ من حضرةِ مولانا الإمامِ بإخراب[٣] البيوت التي نزلَ بها السيد محمد ومنْ معه، فهُدِمَتْ إلى القرارِ وكانَ في ذلك من التنكيل بمَنْ آوى المذكورَ وأصحابَـه ما تمَّ به الانزجارُ، وجلبُ مـزيـدِ الاعتبـارِ، ثم أرسلَ بـالـذين قبضَ عليهم إلى حضرةِ الإمـامِ. ولمّا وصلوا إليـه عاتبهم ولامهم على ما كان منهـم من الاتساع للمذكورِ، فـاعتذروا

[١] في س، بعيدة. [٢] في س، بالحقيقة. [٣]في س، بخراب.

بأنهم لم يميلوا عنِ الطاعةِ ولا صدّقوه فيما كان يُمليه عليهم من الرقاعةِ، وأنّه وصلَ إليهم على حسبِ العادةِ/ من نيابتِه عن أبيه في أعمالِ قبضِ الواجبِ من ذويه، ولم يتمكَّنوا بعدَ ذلك من دفعِه ورفعِه، فعذرَهم الإمامُ، وأمرَ قائدَ الجيشِ بالانتقالِ من جبل اللَّوْزِ إلى هجرةِ السرِّ ومسكنِ السادةِ بني الوزير[1] لإلزام أبيه بالوصولِ إلى الحضرةِ الشريفةِ هو وبعض أقاربه ومنْ يلزمُ من العقّال، فكان ذلك. / ٢٤٧

ولما وصلَ والدُه إلى الإمام عاتبه على ماجرى من ولدِه، فتنصَّلَ وأظهرَ عدمَ الرّضا بما كان من ابنِه، وخاضَ مع آخرين في مراجعةِ مولانا الإمامِ من أجلِ إسنادِ بعضِ الأعمالِ إليه، وأنه لا موجبَ لهذه الحركاتِ والسكناتِ سوى تعذُّرِ وصولِه إلى نيلِ المرادات[١]، فلمْ يقابلْهم الإمامُ بالردِّ الجالبِ للإياسِ والإبلاسِ، ولزومِ السكوتِ، وجلبِ الإخراسِ، بل ردَّ عليهم الردَّ الجميلَ وأنَّ اللاّزم أولاً مثولُه في المقامِ الجليلِ تائباً ممّا كانَ من التحرُّكِ الوبيل.

ومنذُ هروبِ السيّد محمد بمنْ معه من جبل اللَّوْزِ إلى بلادِ نِهم، مكثَ مختفياً ومحتجباً عن الظهور. ولمّا علِم بأنَّ أباه وجماعةً من أقاربه قدْ راجعوا مولانا الإمامَ مِنْ أجلِه عادَ إلى الظهور بمن معه من السفهاءِ والخروجِ بالمرافعِ، فتُرِكَ وشأنَهُ، فتنقَّلَ في بني جَبْر وبلاد نِهم، واطمأنَّ للوصولِ إلى بيتِ أبيه، واشتاق إلى زيارةِ أهلِه وذويه.

---

(١) هجرة آل الوزير: تقع في بني حشيش على بُعد ٣٠كم من صنعاء شرقاً بشمال، وهي ثلاثة البلد والجديدة وبني جاسر، انظر، حياة الأمير، ٦٣٢، ولهم بيت السَيِّد، هجرة مهجرة تقع في ثُمن الهِجْرَة ما بين ثُمن عيال مالك وثُمن الابناء في وادي السرِّ من ناحية بني حِشيْش تبعد عن صنعاء شمالاً بشرق بمسافة ٣٤كم، وسميت بيت السَيِّد نسبة إلى السيد عثمان بن علي الوزير، انظر حول بيت السَيِّد، هجر العلم، ١٧٦ - ١٧٧.

---

[١] في س، المراد.

وقـدْ كانَ الأمـرُ منْ مولانـا الإمامِ، إلى وكيل أميرِ الجيشِ بترصّـدِه ومراقبـةِ حركاتِـه، و إمكان اقتناصِه وتصيُّدِه، فَحينَ علِمَ وكيلُ أميرِ الجيشِ بـوصولِه إلى بيتِـه ونزولِـه ومبيتِه بـادَرَ تحتَ أستارِ الظـلام بإرسال ثلّـةٍ من النظام، وأمَـرَهم بالإحـاطة على أصحـابِه في البيوتِ التي نـزلوا بها، وعليـه في دارِ أبيه [١]وكناسِه وبينَ أناسِـه[١]، فبـادروا إلى ما أُمِـروا به، وقـاموا أتمّ قيـام بمطلوبِـهِ، وهو بـادرَ بعدَهـم بعصـابةٍ من الجنـودِ وعددٍ غيرِ يسيرٍ من ذوي الإقْـدامِ معَ المدافعِ، فلم تُشْرِقِ الشمسُ عليهم إلاّ وقدْ أحـاطوا بهم إحـاطةَ الهالةِ بـالقمرِ، وحـالوا بينَهم وبينَ الفِـرارِ وعلمـوا أنَّه قـدْ تعـذَّرَ، وحينئـذٍ نـاوشَ جماعةٌ المذكـورَ بـالحربِ، فدافعوا نحوَ ساعةٍ من النهارِ، لم يَسِلْ فيها دمٌ.

ثم أذعنوا لـلاستسلامِ والخروجِ إلى أيدي النظـامِ، وتمَّ إلقاءُ القبضِ عليهم معَ مـا معهم من الأسلحـةِ وفـرسِ السيـدِ محمد وبغلتِـه وأدواتِـه حتى أوراقِـه وأدواتِه، وفيها رسائلُ هذيانِه ومكاتباتِه إلى جميع أخدانه.

وفي اليوم الثاني وُجِّهَ الجندُ على السيـد محمد إلى دارِه، وشُرِّعَ المدافعُ إليه وهو معتصمٌ في البيتِ/ يحاولُ الامتنـاعَ وعدمَ الإقـلاعِ، ويأبى الخضـوعَ للاستسـلامِ / ٤٨ أ ويرجِّحُ الـدفاعَ، وقـائدُ الجيشِ يوجِّـهُ إليه النصـائح ويوالي إرسَـال أقاربِـه إليه لعذلِـه عنْ ما يرومُه من العـدولِ إلى غيرِ راجحٍ، واختيارِ إنزالِ الأفزاعِ بأرحـامِه وإسماعِهم أصواتَ المدافعِ، ففي النهاية بعدَ الامتناعِ لانَ منه الجانبُ، واستسلَمَ إلى يدِ الجيشِ المُطالبِ، وارتفعَ العسكـرُ مع الأميرِ، ومنْ في أيديهم من أصحابِ الأميرِ الأسيرِ. وعادوا إلى حضرة الإمـامِ، فأمر مـولانا الإمـامُ بإيداعِ السيـد محمد وأصحــابِـه دارَ الأدبِ، بــالقصرِ السعيـدِ، وانقضتْ هــذه الحادثـةُ بســلامٍ. واضمحلَّ ما علقَ بالأذهان من بعدِ انقضائِها وجعلِها منْ حوادثِ الأحلام.

....

[١ - ١] سقطت من س.

وكانَ هذا الـواقعُ من ألطافِ الله تعالى بالسيـد محمد حيث تيسَّر قبضُه قبلَ أنْ يتلطخَ من حركـاتِه بـالدمـاءِ، وإثارةِ الدهماء، وإجـراء ما يحجُب عنـه بابَ الإنابةِ، ويحولُ بينَه وبينَ العَوْدِ بالتوبةِ إلى صفِّ ذوي النجابةِ، وللهِ الحمدُ والمنّة.

وفيها في أوائلِ شهورِهـا، اجتمعَ لدنْ مولانا الإمـامِ كثيرٌ من الأجنادِ قصدوا حضرتَه الشريفةَ راجين إسعافَهم بإرسالِهم إلى محطاتِ الجهادِ. ومطارحِ الجلادِ، وكـانت المحطاتُ في أكثـر الجهـاتِ مملوءةً بـالعساكـرِ، فمكثـوا حيناً ينتظـرون صـدورَ الأمرِ من مـولانا الإمـامِ بإعزامِهم إلى حيث يـريدُ من الأصقـاعِ، وهم يزيدون بمَنْ يصلُ بعدَهم، وطالَت مـدةُ إقامتهم، وكانوا من قبائلَ شتى، وكثيرٌ منهم من حاشد وخَوْلان والحدأ وجبالِ عيال يزيد، فترجَّحَ لدنْ مولانا الإمامِ أنْ يـرمي بهم جبل بُـرَع، ومـا بقي من أطرافِ بـلادِ الطَّعـامِ، ومن فيهما من البغـاة الطَّغام.

وقد كـان مولانا الإمامُ قبلَ هـذا، وهو مقيمٌ بالرَّوْضَـةِ، وصلَ إليه جمعٌ كبيرٌ من رجالِ بني جَدِيلة[1] وبلادُهُم وخيمةُ الهواءِ، مماثلـةٌ لهواءِ أطرافِ بُرَع وبلادِ الطَّعَام، فـاستصْوَبَ إرسـالَهم إلى عامل رَيْمـة علي أن يكونَ إرسـالُهُمْ إلى عاملِ بلادِ الطَّعَامِ، وإقامتُهم في المحلاتِ التي طـا لما شكا غيرُهم من المجاهدين ضرَّ هوائِهـا، وعدمَ الطاقةِ على المقـام بها، وكان ذلك من أكبرِ أعذارِ مـا تعاقبَ من فشلِ الجنـدِ الإمـامي في تلك الأطـراف، ويسَّرَ لأهلِ بُـرَع السكـون والأمنَ ممـا يُخاف، فامتثلَ عـاملُ الإمام برَيْمـة ما أمَرَهُ بـه مولاه، وساقَهم إلى بـلادِ الطَّعَامِ، وتقدَّمُوا في السهولِ التي بينَ بُرَع وبيت القَـابلي، ودفعوا/ عنها الأعداءَ، وتمكّنوا / ٢٤٩

(١) بنو جَديلَة: قبيلة من بطون حاشد، مسـاكنهم شمال بلاد عَفار بمحافظة حَجَّة، انظر، طرفة الأصحاب، ٤٨، معجم المقحفي، ١١٤٤.

من الإقامةِ بها ظاهرينَ على العدوِّ، ومقاومين له في الرَّواح والغدُوِّ، وإذا أُسعِفوا بالأمدادِ من جهةِ بيتِ القَابلي أمكنَ لهم[١] تطهيرُ تلكَ البقاعِ من أدناسِ ذوي الضلالِ والأطماعِ، ولذلك ترجّح لدن مولانا الإمام إرسالُ من اجتمعَ إليه من الأجنادِ من تلك الجهةِ، وانتخَب لهم أميراً سيدي العمادَ يحيى بن علي الذاري، وعيَّن معه منْ يحتاجُ إليه من الأعوان والوكلاءِ والكتّابِ والمقادمةِ وعرائفِ الطوائفِ، وأمر - عليه السلام - بإعدادِ ما يلزُم لهم من الذخائرِ الحربيةِ والأقوات.

ولمّا تمّ[٢] ذلك برزَ لهم أميرُهم سيّدي العمادُ من حضرةِ الإمام ناهضاً إلى حيثُ أُمِرَ، وقدْ بلغتْ عدةُ منْ معهُ من الأقوام زهاءَ ألفَيْ مقاتلٍ، وكانتْ طريقُه من الخَيْمَةِ الخارجيةِ إلى بيت القَابِلي، وهناكَ وقفَ برهةً حتى اجتمعَ إليه الجيشُ، وهنالكَ رتَّبَ طوائفَهُ وعبّأهُمْ تعبئةَ الحربِ، وعيّن على كلِّ فريقٍ مقدّماً، وتقدَّم بهم إلى القاعِ والخبتِ الموصلِ إلى بيت المنامة، والتقاهم هنالك جمعُ البغاةِ، فكانت الحربُ بينَ الفريقين، وأسفرتْ عن انهزامِ الأعداءِ، وعدمِ اقتدارِهم على الوقوفِ أمامَ الجيشِ القادمِ فضلاً عن تمكُّنِهم من الوقوفِ بموقفِ المصادمِ، وما زالَ الجيشُ الإماميُّ سائراً في تلك الطريقِ مصوناً من حيل البغاةِ والتعويقِ في ظفرٍ تام وإسعادٍ كافل بالمرام إلى أنْ وصلَ إلى حصنِ المنَامةِ، فاستولى عليه وطَرَدَ منْ فيه، ومنْ في حواليه، فجعلَه الأميرُ سيّدي العمادُ مركزاً لتلك المحاط، وفرَّق الجيشَ في تلك الأطراف، وشرعَ في مراسلةِ منْ بُرَعِ من البغاةِ واستمالتهم، ونصحهم بالعدولِ عنْ خطتِهم المعوَجَّةِ، وصيانةِ ديارِهم من غرقها في كلِّ وقتٍ من جيوش الإمامِ في لُجّةِ البَوارِ وأيَّ لجةٍ،

....

[١] في س، أمكنهم. [٢] في س، تم لهم.

فأجابَ إليهِ أهلُ المقفّع(١)، وهمْ فريقٌ من السادةِ بني الأهدل، ووصلوا إلى المحطةِ مظهرين للطاعةِ ورُغوبَهم في دفعِ الهَوْلِ والأراعةِ، وبذلهم المجهودَ في استمالةِ منْ ورائِهم من سكانِ بُرَع، ووعدوه بوصولِ العقائرِ ممَّنْ أطاعَ، فلم تثمرْ تلك الأقاويلُ، ومرَّت الأيامُ بدونِ جدوى ولا طائل. وفشا في الجيش الإمامي الأمراض لوخامةِ تلك الجهةِ، وظهرَ منهم لذلك الفزعُ والفشلُ، فألزمَ الأميرُ عصابةً من الجندِ بالتقدّمِ إلى الشطبةِ وعَطَّار[١] والاستيلاءِ عليهما، فقاموا بما به أُمِروا توجّهوا إليها فظفِروا وتمكّنوا من ترتيبِهما ودفعِ الأعداءِ عنهما، ولكنَّ أحوالَ الجيشِ قدْ صارتْ غيرَ مُرْضِيةٍ/ لما لحِقَهم منَ الأمراضِ، وتسلَّلَ بعضُهم للفرارِ مَلَلاً من الإقامةِ وطولها. / ٢٥٠

وفي خلال ذلك تكاثرَ وصولُ أعوانِ الضالّ إلى جبلِ بُرَع من التهاميين وغيرِهم، وغصَّ بهم، فكانتْ تلك المخابراتُ والمراجعاتُ بينَ الأميرِ ومنْ وصلَ إليه من أهل بُرَع من نوعِ المخَادعةِ، وترقُّبِ الفرصةِ وانتظارِ إمداد التهاميين، فأعملَ الأميرُ رأيه في التدبيرِ، وقدْ صارَ في حيرةٍ مما ألمّ به من المصاعبِ والتعسيرِ، فجسَّ نبضَ الجيشِ بأَنْ أمرَ طائفةً منهم بالتقدُّمِ مَدداً لمنْ في عَطّار والشطبةِ، وأنْ يكونَ من السابقين ومددُهم النهوضَ إلى مغربةِ الخُزاعي(٢)، فتقدّمَ أولئك وقد ضعفتْ منهم العزائمُ، ولما انهلَّ عليهم مطرُ الرصاصِ من الأعداءِ رجعوا إلى الوراءِ، ولم يقفوا في الشطبةِ وعطّار، فلمْ يشعرِ الأميرُ ومنْ معَهُ إلا بعودِ بعضِهم إليه، وحينَ رأى الأعداءُ منهمْ هذا الفشلَ

---

(١) المقفع: من قرى بلاد الطَرَف، من ناحية بُرَع من أعمال محافظة الحُدَيْدة، انظر، معجم المقحفي، ٧٥، الاكليل، ٢/ ٣٨١، صفة جزيرة، ٢٠٥.
(٢) بنو الخُزاعي: عُزلة من ناحية بُرَع وأعمال الحُدَيْدَة، انظر، معجم المقحفي، ٧٤، طرفة الأصحاب، ٤٦، اللباب، ١/ ٤٣٩، معجم الحجري، ١/ ٣٠٧.

---

[١] هي عثارة وهو خطأ املائي.

داخَلُهمْ الطمعُ فيهم، فصـالوا وجـالـوا وتبِعوا المتقهقـرين إلى ما حـول حصنِ المنَامـةِ، فتفاقَمَ الحالُ وتـزايدَ الاضطـرابُ وانضمَّ إلى ذلك ما لمْ يكُـنْ داخلاً في الحسابِ من فرارِ الجماعـةِ تلوَ الجماعةِ لا خوفاً من الأعـداءِ، ولا اضطراراً وفراراً من وخـز الأسنـةِ والضبا ولا عن أعـوازٍ في الأقـواتِ والذخيرة، بـل تشوُّقـاً إلى الأوطـان، وتخوُّفاً من الأمـراضِ فاضطـرَّ الأميرُ إلى الانتقالِ من هنـالكَ ليجمعَ من معـه ويعـاودَ الهجـومَ، وأمرَ بعضَ الجيـشِ بالعـودِ إلى بيت القَـابِلي، وكـانَ انتقالُ الأمير إلى أطراف رَيْمَة، ثم لَمْ يتيسَّرْ لـهُ بعدَ ذلك النهوضُ على العدوِّ ولا اللحوقُ بمنْ في بيتِ القَـابِلي لتكلُّبِ الأعداءِ وانتشـارِهم في تلك الأنحاءِ، ومنْ تـوجَّهَ إلى بيتِ القَـابِلي تعرَّض لهم الأعـداءُ في القاع، وواقعـوهم فدفعـوهم عنْ طـريقِهِمْ مرّاتٍ إلى أنْ وصلـوا إلى بيت القَـابِلي واستقروا هنـالك، ووصلَ إليهمْ المددُ من مـولانا الإمـام، وتلَقَّوْا منْ مـولانا الإمـامِ الأمرَ بالبقـاءِ هنالـك، فلبثوا أياماً، ثم أُمِـرُوا باللّحاقِ إلى رَيْمَة بـالأمير، فاقتحموا القاعَ وهـزموا الأعداءَ، ولم يقدِروا على منعِهِمْ ولا النيل منهم، وتمَّ لهم اللحوقُ بـالأمير، وقدْ حصلَ الإياسُ من إمكـانِ إتمام العملِ بمنْ بقيَ مِنَ الجند وهم يـزيدون على الألفِ، فصـوَّبَ الأميرُ الانتقالَ لعدم الجدوى من البقاءِ، وتوَّجه نحـو رَيْمَة إلى مركزها، ومكثَ هنالك أيـاماً، ثم أمـره مولانـا الإمامُ بـالعودِ إلى حضرتـهِ، وإبقاءِ الجنـدِ الذين كانوا معه في رَيْمَة بنظرِ عـاملِها، وأمير جندِها السيدِ الأجل، جمال الإسلامِ عليِّ بن محمد الشامي، ولم يحصل المرامُ من حركـةِ هذا العامِ على مثل/ الذي جرى من الحركاتِ السـابقةِ التي شَمَلَتْها حـوادثُ ما سلفَ من الأعـوامِ، وأنفقَ فيها مولانا الإمامُ جزيلَ الأموالِ والنّفقات الجسام. / ٢٥١

وفيها وجّه مولانا الإمامُ عمالةَ ناحيةِ كُسْمَةً منْ أعمالِ رَيْمَةَ إلى عُهدةِ السيدِ

....

....

الأجلِّ عبدالله بن حسن الدَّيْلَمي، والمذكور من سادةِ بني الدَّيْلَمي القاطنين في ذَمار، ونشأ على سمتٍ من النجابةِ وعلـوِّ الهمةِ، فتولّى في أيام الأتراكِ أعمالاً لهمْ جليلـةً كالقـائمقـاميـةِ ونحوهـا، في عـدةِ قضوانٍ. ثمَّ مكـثَ في وطنِهِ إلى هـذا التاريخ، فـاستقدمَـه مولانا الإمـامُ من ذَمارَ وأسنـدَ إليه العملَ المذكـورَ، وأمرَه أيضاً أن يتـولّى عملَ الكشفِ على أعمالِ المأمورين في الماليـةِ هنالك، وكـانَ قد بلغَ إلى مولانا الإمامِ، أنَّ في الأعمالِ المذكورةِ اختـلالاً، فتوجَّه السيدُ المذكورُ إلى عملِـهِ، وقـامَ بـه خيرَ قيـامٍ، وبقيَ في مـركـز الجَبَى منظـوراً بعينِ الخبرةِ وحسنِ الاطلاعِ معيناً للعاملِ في كثيرٍ من الأعمالِ التي يعمُّ بها الانتفاعُ.

وفيها كان تعيينُ القاضي محمد بن حسين العيـزري من فقهاء ضُوْرَانَ حاكماً لناحيـةِ السَّلْفِيَّة من أعمال رَيْمَةَ، خلفـاً للسيدِ عليِّ بن أحمد الحملي[1]، وقدْ كان السيدُ عليٌّ المذكورُ لبثَ فيها مدةً تقاربُ العـامَ، ثم جرى بينَه وبينَ العاملِ نزاعٌ في بعضِ المسـائلِ أفضى إلى صـدورِ الأمـرِ الشريفِ بـرَفْعِـه عـنِ الحكـومـةِ المذكـورةِ، وانتقالِـه إلى الجَبَى، واسنـادِ حكـومـةِ بعضِ المخاليف مـن ناحيـةِ الجَعْفَريةِ إليه عن أمرِ الإمام - -عليه السلام-.

وفيها في شهـرِ جمادى الآخرة تمالأ جماعـةٌ من مشاهيرِ رجـالِ اليمنِ الأسفلِ على الغدرِ بـالأميرِ جمالِ الدين[2]، عليّ بن عبدِالله الـوزير، ولم يكنْ من المتمالين أحدٌ إلاَّ وهو ممنَ ينتمي إلى الإمام، ويتولّى بعضَ الأعمالِ، وبلَغ أنَّ الذين أجمعوا عليه فيما بينهم ورقموه في صحيفةٍ لهم، أنْ يكونَ الفتكُ بالأميرِ وقتلُه بعدَ صلاةِ

---

(١) علي بن أحمد الحملي ت ١٣٤٤هـ، تـولى عـدة منـاصب شرعيـة في الحَيْمـة الخارجيـة والحملي نسبة إلى هجرة جبل الحمل الواقعة جنوب صنعاء، انظر، حياة الأمير، ٥٧١.

(٢) رواية المؤامرة وتفصيلاتها جاءت مختلفة في كتاب حياة الأمير، ١٧٦ - ١٩٠.

الجمعـة، ثم يكـونُ منهم الاستيــلاءُ على الأعمالِ والخروجُ عن طـاعـةِ الإمـام، والـوقوفُ صفـاً واحـداً لمنع جندِ الإمـامِ من النـزولِ من سُمارة[1]، ونُسِبَ هذا التأليبُ أو التمالـؤ إلى جماعـةٍ مـن مشـاهيرهم: عـامل العُـدين الشيخ حمود عبدالـرب، وعاملِ الحُجَرِيَّـةِ الشيخ عبدالـوهاب بن نعمان مقبل، والشيخ أحمدَ بنِ حسن بن علي بـاشـا والشيخِ الجنيـد بن عبـدالله النـوَّر، عـاملِ جبل راس، والشيخ عبدِالله بن عبـدالجليل وبعضِ إخوانِـه وأولادِه وغير هؤلاء، وقد كـانوا شرعوا في مخابرةِ بعض العـرائف لإفسادِهم فوصلَ بعضُهم إلى الأميرِ وأخبَرَه بما قدْ أجمعـوا عليه ودعُوهُ/ إليه، ثم تَثَبَّتَ الأميرُ ممـا نُقِلَ إليه، فكَثُر النّـاقلون حتى / ٢٥٢ إنّه حضرَ إليـه بعضٌ مِمَّن كانَ انتمى إليهم، فأخبرَه بالقصةِ، وأنـه أشارَ بعضهُم أنْ القتلَ لا يحسُنُ وسيـؤدي إلى سفكِ دمـاءٍ كثيرةٍ والعـاقبةُ منـه غيرُ مأمـونـةٍ، ولكنـه يُحسنُ قتلُ الأميرِ بـالسُّمِّ، ووافق على هـذا الرأي أكثـرهُم، وقـد قيلَ: إنّ الذي أشارَ بهذا الـرأي هو الشيخ الجنيدُ بنُ عبدِالله، وصـادفَ في ذلك التاريخ اجتماعُ المذكورين بتعـز عن طلبٍ من الأمير لإجراءِ المحـاسبة فيما تولَّـوْا قبضَهُ من الـواجباتِ، وقـدْ طـالَ مكثُهم من أجل ذلك شهـوراً بمـدينة تعـز والأمير مشـدِّدٌ في إكمالِ الحسابِ والـوفاء منهم بما قبضـوه، ولمْ يجدوا بداً من الامتثـال. وقد كانَ من عـاملِ العُدَينْ قبل ظهورِ هذه المكيدةِ الارسـالُ لعصابةٍ كبيرةٍ من أهلِ العُدين، فـوصلوا إلى تعـز، ومن رآهم يظنُّ أنَّ الإرسالَ كـان عنْ أمرِ الأمير لإرسالِهم، إلى بعض الجهاتِ حسب العادةِ.

وفي بـاطنِ الأمـرِ المرادِ منْ وصـولِهم القيـامُ بما دَّبـروهُ مـن المكيـدةِ. وممَّنْ استمالـوه على مـا قيلَ جماعـةَ النظـام من اليمنِ الأسفلِ، وكـانَ الشيخُ عبـدُالله

---

(١) المقصود جبل سُمارة، وهـو جبل كبير يضم عدة مـرتفعات، أول اليمن الأسفل وطـرفه الشمالي بداية لليمن الأعلى، فيـه رأس جبل صَيْد قلعة، إليها ينسب نقيـل صَيْد، انظر معجم المقحفي، ٢٣، حياة الأمير، ٦١٥، ترجيح الأطيار، ٢٩٣.

عبدُالجليل قد بـاشرَ عمارةَ بيتٍ مقابلٍ لدارِ النصرِ التي بناها الأميرُ فـوقَ مدينةِ تعز، فقيلَ: إنّه لهذا المقصدِ، والحاصلُ أنّه ثبتَ لدن الأمير جمال الدينِ إجماعُهم على هـذا الغـدرِ والمكـرِ، فأعملَ الخيـانـةَ في إلقـاءِ القبضِ عليهم ودَبَّـر ذلك، فـزَّجهم إلى السجنِ، وفتَّش مـا في عيـابِهم[1] من الأوراقِ فعثـرَ على الصحيفـةِ التي أجمعوا عليهـا مع بعضِهم، ووجَد السمَّ مع أحـدهم، ولم يبق شكٌّ في ذلك الإجماع، وأقـرَّ بعضُهم بذلك، وادّعى أنّـه يقصُدُ اختبـارَ غيرِه، وما عنـدهم من النـوايَا، فكـانَ مِنْ عنـايـةِ اللهِ وألطافِـهِ افتضـاحُهم وبطـلانُ سحرِ مكيـدتِهم وغدرِهم ومعـاجلتِهم بالانتقـامِ قبلَ أنْ يُحدِثوا في جسمِ الـدينِ ما لا يُبرِىء من الآلامِ والأسقامِ ويتمكّنوا من هـذه القضيةِ الشنعاءِ، والغدرِ الـذي لو تمَّ لكانَ به سيلُ الـدماءِ، وفواتُ الآلافِ من النفـوسِ المصونةِ، وإثـارةُ الدهماءِ، وقلْبُ الأمـورِ ظهـراً على عقِب، وإزالـةُ مـا فيه العبـادُ من النعمـةِ والأمـان وإبـدالُها بـالخوفِ والخسرانِ، ومقاسـاةِ شـدائدِ/ الهوان، ولذلك قـابلَ النـاسُ جميعاً مـا كانـوا قدْ أجمعوا عليه بـالسخطِ والغضبِ والتبرُّءِ منهم، ومِنْ أعمالِهم، وتساوى في ذلك الأبـاعِدُ والأقـاربُ، وحَسُنَ مـوقعُ ما نـالـوه من العقابِ والهوانِ لـدن الجميع، وتَمَنَّـوْا لهم كلَّ هَـوْل مريـع، ولم يفضحْ سرَّهم سوى كفـرانِ الإحسـان، فإنهم كانوا أربابَ النُّهى والأمرِ المعدودين من خُلّصِ الأعوان.

٢٥٢ /

ولما رفعَ الأميرُ جمالُ الدين خبرَ هذه الحادثـةِ إلى حضرةِ الإمامِ، صدرَ الأمرُ من الإمـامِ باطـلاعِ المذكـورين إلى صَنْعـاءَ مع جماعةٍ مـن العسكرِ، فسيقـوا في الأغـلالِ من تعـز، ولما وصلـوا إلى صَنْعاءَ، صـارَ إيـداعُهم دارَ الأدبِ بـالقصرِ السعيـد، وقـد لاقَـوْا في طـريقهم منْ شتمِ كلِّ مَنْ رآهم أمـرَّ الهوانِ والعـذابِ

(١) عيـابهم: جمع عَيبَة وهي وعـاء من أدَم يكـون فيها المتـاع والجمع عِيـاب، انظر، لسـان العرب - مادة عيب - .

الشديد، وأمرَ مولانا الإمامُ بقبضِ دورهِم والاحتياط بما فيها، ليكونَ من ذلك تداركُ استلامِ ما في ذِمَمِهم من أموال اللهِ. كانَ في النهايةِ انعكاسُ ما دبّروه من اغتيالِ طائفةٍ من المسلمين، فيهم مِنْ أفاضل السادةِ جماعةٌ، إلى ما لا قَوْةُ من الوبال، وذاقوه من الأهوالِ وجرّوه إلى نفوسهم من سلبِ النعمةِ ومعاناةِ ذلِّ النعمةِ، وهذه عاقبةُ البغي، ونهايةُ عمل الغيّ.

ألمْ ترَ أنَّ البغيَ يصرعُ أهلَهُ ... وأنَّ على الباغي تدورُ الدوائر

وقدْ وصلَ إلى مقامِ الأميرِ جمال الدين كثيرٌ من أشعارِ ذوي الفِطَن، مناديةً باستنكارِ ما كان، ومهنئةً له بالنجاةِ من مكرِ مَنْ مالَ عن واضحِ السُّنَنِ، [1] ومن ذلك قصيدةٌ بليغةٌ جاء فيها من بديعِ النظامِ، وجزلِ الكلامِ، قولُه مادحاً لأمير الجيشِ سيدي جمال الدين: [الكامل]

مَا زِلْتَ تَخْتَلِبُ القُلوبَ بفطنَةٍ ... وَقَفَتْ على سرِّ الغُيوب المُبْهَمِ
ودرايةٍ تَدَعُ الضّمائرَ في الحجى ... عنْ حيزِ الكتمانِ ناطقةَ الفَمِ
عمّا نواهُ الخارجون عَنِ الهُدى ... مِنْ كلِّ متَّسِمٍ بِزِيِّ المُسْلِمِ
تبّاً لِرأيْ المَارقينَ فإنَّهُ ... رأيُ ابنِ مُلْجَمٍ في الإمامِ الأعظمِ
كادَ الزّمانُ يُواليَ الحدثانَ في ... تلك القضيةِ للسَّمِيِّ على السَّمي
ويجدِّدُ الخوفَ العظيمَ بِكَرْ بَلا ... وَجْداً بكُلِّ مُضَرَّجٍ ومُسَمَّمِ
يا للَصَّحيفةِ إنّهم رَسَموا بها ... ما في الصَّحيفةِ يومَ قَطْعِ الأرحُمِ
رسْمَاً بهِ رفْض الكِتابِ ودينِهِمْ ... والشرعِ رَفْضَ جبلّةَ بنَ الأيهمِ
أهْوِنْ برأيِهِم الذي كَسِبوا بهِ ... خِزْياً لكُلِّ مفلِّكٍ ومنجِّمِ
يا عُصْبَةَ النّارِ الذين أخاهُم ... مِنْ نَسْلِ عادٍ، أو بقيةِ جُرْهُمِ
أرأيتمو بالحَدْسِ أنَّ إلهَكُم ... يُخْلي الزّمانَ لدينِهِ عنْ قيِّمِ

/ ٢٥٤

....

[١ - ١] سقطت من س.

وَجَحَدْتُمو حقّاً لآلِ محمّدٍ بالنقْضِ للنَّصْرِ الجليِّ المُحْكَمِ
ومِنَّ الحديثِ بأنّهم سُفُن النجا نَصُّ البخاري في الصّحيح ومُسلِمِ
أجَهِلتُموا الرُّتَبَ التي رَفَعْتكُمو بالقَدْرِ موجبةً لشكرِ المُنعِمِ
إنْ لم تكونوا أهلَها فتفكَّروا بالرّأي أصَلُكُمو الذي لا ينتمي
أنَسيتمو الحَرْبَ التي أسْقتْكُمُو حدَّ المُشَطّبِ والقَنا المُتَحطِّمِ
إنَّ الذين ترجُونه مِنْ دونِهِ وخْزُ الأسِنَّةِ واجتذابُ المِخْذَمِ
وعزيمةُ المولى الإمامِ فإنّها حِرزُ العنايةِ عُرْوَةُ المُسْتَعْصِمِ

ومن أبيات قصيدةٍ أخرى في هذه الحادثةِ، وبينَها وبينَ الأولى بوْنٌ في إجادةِ البيانِ وحسنِ الإفصاحِ، والإتيان بما تميلُ إليه الأرواح: [الطويل]

كذا فليكُنْ أسْرُ البُغاةِ إذا سَعَتْ لشقِّ عصى الإسلامِ في البرِّ والبحرِ
يريدون غَدراً بالوزير أميرِنا شريفِ المساعي نافذِ النّهْيِ والأمرِ
أميرٌ يلوذُ القاصدون بعَدْلِه وقدْ سدَّ ثغراً للأنام عَنِ الكُفْرِ
وشتَّتَ شَمْلَ المُلحدين وردَّهُم مثالَ قُرودٍ في الجِبالِ من الذُّعْرِ
وقامَ بحقِّ اللهِ بالسيفِ فانثَنَتْ به حَوْزَةُ الإسلامِ ساميةَ القَدْرِ[1]

/٢٥٥ / وفيها اشتعلتْ نارُ الفتنةِ بينَ قبائلِ عيال سُرَيح مِنْ بكيلٍ وبينَ قبائلِ حاشد، وأصلُها، فيما بينَ سكانِ الحدودِ من الفريقين، ثم دعا كلُّ فريقٍ سائرَ البطونِ من القبيلتين، وجرى بينهم الحرب، وقُتِلَ من الطرفين جماعةٌ.

ولمّا بلغَ ذلك إلى مولانا الإمامِ وإلى إرسالَ النصائحِ إليهم، ونهاهم عمّا يرتبكونَهُ من القبائحِ وخوَّفَهم من غضَبِ اللهِ عليهم بسفْكِ الدماءِ، وفعلِ ما لا يرضاه ربُّ السماءِ، فلم ينتهوا عما نُهوا عنهُ، ولا انزَجَرُوْا وتمادَوْا على التحشُّدِ

....

....

والإقبـالِ إلى هذا المنكـرِ برغبـةٍ وتعمُّد، وكـلا الفريقين يعتقـدان أنَّ الآخرَ هـو البـاغي، فأعـرضَ عنهم الأمـامُ لما رآه من إذعـانِهِم للشيطـانِ، وإجابـةِ داعي غـوايتِـه، فتـزايدَتِ الجمـوعُ من الفـريقين، ولم يصلْ أحـدُهما إلى منـاه، فقـامَ رؤساؤهم بـاستنجادِ القبائلِ الآخـرِه ليحضروا معهم في هذه المواقف، فحـاشد دعـوا قبائل هَمْدَانَ، وعيـالَ سُرَيح دعـوا قبائلَ بَكيل، وكـاد الشرُّ أنْ يستفحل بينهم ولا سيّما إذا تمَّ هذا التداعي من سائر القبائل، وكان مولانا الإمام - عليه السلامُ - قدْ ألمَّ بـه بعضُ الأسقام، فانحـرفَ منه المزاج وهو يعانيـه بالتداوي، ولكنْ رغبتُه الشديدةُ في إصـلاحِ أحوالِ المسلمين، ودفع الشرورِ عنهم ووقايته لهم من الفتنة، حملتْ نفسَـهُ الكريمةَ على التـوجُّه إلى ديارِ الفـريقين لحسم هذا الداءِ، ومحوِ الاعتداءِ، فخرجَ مولانا الإمـامُ من صنعاءَ في سابع شهرِ شعبانَ من هذه السنـة، ومعه جماعـةٌ من الأعلام، كـالمولى فخرِالـدين، عبدالله بن إبـراهيم وسيـدي العلم، قاسم بنِ حسين أبـوطالب العـزى، وسيدي محمـدِ بنِ أحمد بن قـاسم حميـدِالـدين وسيـدي يحيى بن محمـد بن المتـوكل والسيـد أحمد بن يحيى الكبسي، وسيـدي علي بن حسين الشـامي، وسيـدي محمـــد بن محمـد بن يحيى زبارة والأخ القاضي حسين بن أحمد مطهر والقاضي أحمد بن محمد الآنسي، ومن النقباء والمشايخِ جماعةٌ، فباتَ في المَعْمَرِ[1] من قُرى هَمْدَان.

وفي اليـوم الثـاني بعَمْـرانَ، واليوم الثـالث، في هجـرةِ الصَّيَـد[2] من قـرى خَارِف، ودعـا رؤساءَ الفريقين إلى حضرتِـهِ ونصحَهم وحذَّرَهُم/ ووبخَّهم على / ٢٥٦ تهاوُنِهِمْ بالنّصـائِح وإقبالِهِم على ارتكابِ القبـائحِ، ولبثَ بينَ ظهرانيهم أيـاماً،

(١) المَعْمَـر: بلدة في الجنـوب الغربي من صنعـاء بمسافـة ٢٣كـم، في الطريق إلى عَمْـران، والمَعْمَر في اليمن كثير، انظر، معجم المقحفي، ٦١٢، معجم الحجري، ٢/ ٧١٤.

(٢) هجرة الصَّيَد: بلاد من حاشد من رَيْدَة من خَارِف، انظر، اليمن الكبرى، ١٧٩، صفة جزيرة، ١٢٣، معجم الحجري، ٢/ ٥٤٨.

وهمْ في غيِّهم يعمهون، ولكنَّهم قـد سكنّوا الحربَ، إجلالاً له - عليـه السلامُ - ثم انتقلَ إلى رَيْدَةَ[1]، وهنالك شدَّدَ عليهم الصرامـةَ، وأنذَرَهُم: إنْ لم ينقادوا أنْ يدوسَ بـلادَهُمْ بالأقـوام، ويذيقَهُمْ كـؤوسَ الإذلالِ والانتقامِ. وكـان الإمامُ - عليـه السـلام - يـراعي لهم حقَّ الإيـواءِ والمنـاصرةِ في الـزمنِ السـابق، فهـو يعـاملُهم باللّين والـرّفق، فلما شـاهـدوا منه الشّـدةَ خضعـوا لأوامِرِه، وانقـادُوا لزواجِـرِه، وتمَّ على يدِه وبجهدِ سعيـهِ عقدُ الصُّلحِ بينَ الطـرفين، ورفعُ المطارحِ من الجهتين، وإسكـاتُ صـوتِ الشرورِ، واشترطَ مـولانـا - عليـه السـلامُ - وصولَ منْ يلزمُ مِنَ الفريقين في أثنـاءِ مدةِ الصلحِ للخوضِ في حسْمِ المادةِ التي سبَّبَتْ فتحَ هذا الشرِ، وما ترتَّبَ عليهـا من القتولِ والنَّهْبِ، وما عمَّ من الإدراكِ الضارةِ بـالفريقين، وزالَ عملُ الشيطانِ ، وخابَ سعيُـه، ثم عادَ مولانـا الإمامُ إلى عَمْـران، ومنـه إلى صنعـاءَ مقـرِّ حضرتِهِ الشريفـةِ مقـرونـاً بـاليُمْنِ والجلالِ والنجاحِ والإقبـال، وقد مَنَحَهُ اللهُ المُرادَ من الشفـاءِ وزوالِ الدّاءِ بترياقِ العنـايةِ الإلهيّةِ، والوقايـةِ الصّمدانية، و[1 حيثُ كان إلمامُ الآلام بجسمِهِ الشريفِ، ناشباً من كثرةِ مقـاساةِ الأعمالِ، وتـولّيه لها بنفسِـهِ الشريفةِ، وإنهاكِ قـواه في أصنافِ المصالحِ العامةِ والمباشرةِ لجليلِها والحقيرِ، مع أنَّ الإبقاءَ على ذاتِهِ ربّما وصلَ حدَّ الوجـوبِ. رأى القاضي الضياء لطفُ بنُ محمـدٍ الزبيري حاكمُ سَنحـان، وأحدُ حكَّامِ الاستئنافِ مناسبةَ مراجعـةِ مولانا الإمامِ بشيءٍ من المنظومِ، يحثُّ حضرتَهُ الشريفـةَ على اجتنابِ مـا يورث الكُلـومَ، وتـرجيحِ جانبِ الاستعـانةِ بصـالحي الأعوانِ، والاستغنـاءِ بذلك عن معـاناةِ مـا يكونُ سبباً لـوقوعِ عـالمِ الإسلامِ في

---

(١) رَيْدَة: شمال غـرب صنعاء بمسافـة ٤٩كم، انظر، الاكليل، ١/ ٢٧٠، اليمن الكبرى، ٨١، ١٧٠، صفحـات مجهولـة، ١٩٠، قـرة العيـون، ٢٢٢، معالم الآثـار، ٦٤، معجم المقحفي، ٢٨٠.

[١ - ١] من عبارة «وحيث كان الآلام حتى عبارة، وفي اوائل شعبان» سقطت من س.

مهاوي الأحزانِ، فنظمَ القاضي الضياءُ أوائلَ ما تراه من النظامِ، وأكمَلَها جامعُ هذه السطورِ، وكان تقديمُها إلى حضرتِهِ الشريفةِ عقيبَ عودتِهِ من حَاشد، فحلَّتْ مِنَ الإمامِ بمكانِ الاستحسانِ والقبولِ أحسنَ حلولٍ، وهي:

[السريع]

إذا اشتكى المولى إمامُ الهُدى ... اشتكتِ الأرضُ وسكّانُها
لأنّه قلبُ الزّمانِ الذي ... قامَتْ به الذاتُ وأركانُها
وهلْ ترى الجسمَ صحيحاً إذا ... شِينَ بها القَلْبُ وبُنْيانُها
فَبُرْؤُه بُرْؤٌ لكلِّ الورى ... حقيقةٌ يَسْطَعُ بُرهانُها
وحاجةُ الأمّةِ فيها نرى ... طولُ بقاهُ فهو سلوانُها
وهيَ مُنى العالمِ طُرّاً فما ... خلا عن الأذهانِ عِرفانُها
أدْرَكَ حتى الطفلُ مقدارَها ... فشانُه المعني به شانُها
طابَتْ لها الرّيحُ وعامَتْ بها ... سُفُنُ البديهي وربّانُها
وهكذا الأفكارُ مِنْ شَأْنِها ... في مِثْلِهِ تنساقُ أوْزانُها
وكلُّ مَنْ شاهَدَ مولى الورى ... شاهَدَ حالاً قلَّ صنوانُها
متاعِبُ يعجزُ عَنْ حَمْلِها ... مِنَ الجبالِ الشمِّ ثهلانُها
وهمّةٍ فوْقَ نجوم السّما ... فاتَ عن الإدراك ميزانُها
لا يرهبُ الحادثَ إنْ كَشَّرَتْ ... أنيابُهُ أوْهالَ غيلانُها
أما تراها وجّهَتْ عزْمَها ... فرافقَ الإسعادَ ايمانُها
لِحَسْمِ داءِ الشرِّ في حاشدٍ ... حيثُ أضَلَّ القومَ شيطانُها
وفي بكَيلٍ إذ تنادى بها ... دعاهُ جهلٌ طالَ إيذانُها
فاستأصلَ الدّاءَ وعمَّتْ بهِ ... صنوفُ خيرٍ سالَ هَنآنُها

/ ٢٥٧

....

....

شبَّتْ بـه صلْحُ ومـاتَتْ بـه حــربٌ ضروسٌ شَبَّ نيرانها
وعـادَ بـالحَمْـدِ يـزِفُّ السّنـا مـواكبـاً قـدْ عـزَّ سُلطانُها
بِصَحْبِـهِ اليُمْنُ وإقبـالُـهُ هَـديـةُ العليـا وأحيـانُها
مولاي أنتَ اليـومَ روحُ الورى جـونـه بـل أنتَ جثمانُها
يـا سيِّدي رفقـاً بنفسٍ غـدا لها الفـدا العينُ وانسـانُها
كـذا طـريفٌ وتليـدٌ وسـا داتُ البرايـا بلْ وأعيـانُها
رفقـاً بها مـولايَ إنَّ الـدُّنى والـدينَ والإيمانَ ريعـانُها
جُـرْتُمْ عليهـا ببقـا عَـذْلِكُمْ تحلـو بـه الـدنيـا وبلـدانُها
حَـرَمْتُمـوهـا وهـي أولى بـه أعجـوبـةٌ واللهِ حـرمـانُها
ومـا خَلَتْ أفعـالُكُمْ كلُّهـا من حَسَنٍ والحمـدُ عنـوانُها
إلاّ الـذي عـزَّ على أنفسٍ في نفسِكُمْ قـد هَـدَّ حملانُها
فخفِّفـوا العِبءَ وجُـودُوا على كلِّ الـورى تنهـدُّ أحـزانُها
واتّخذوا الأعوانَ مَنْ قد صَفَتْ أسرارُهـا حَقّـاً وإعـلانُها
ففي النبـيِّ المصطفى أُسْـوَةٌ قـامت على القـدوةِ أركـانُها
عليكَ صلَّى اللهُ مِـنْ بعـدِهِ أسنى صـلاةً زادَ رُجْحـانُها
تعُـمُّ كـلَّ الآلِ أهـلِ التقـى فهمْ سَرَاةُ الخَلْقِ شُجعـانُهـا
ما أضحكَ الزهـرُ بكاءَ الحياءِ وارتقصتْ بـالوُرْقِ أغصـانُها

/٢٥٨

وفي أوائلِ شعبان من هذه السنةِ، مات نـاجمُ تهامةَ السيدُ محمدُ بنُ علي بن أحمد الإدريسي بصَبْيـا، ودُفِنَ بها، واتفقتْ كلمـةُ أعـوانِهِ بعـدَ اختـلافٍ جـرى بينَهم على نصبِ ابنـهِ السيـدِ علي بن محمد مكـانَ أبيـه، وكانَ سـنُّ ابنهِ هـذا لم يتجـاوز الخمسَ عشرةَ من الأعوامِ، ولم يتحلَّ بشيءٍ من العـرفانِ، ولكنَّ أعـوانَ أبيـه أرادوا حفظَ مكانـةِ سيطرتِهم وتحكُّمِهِم، ومـا لَهُمْ من المصالحِ والمطـامعِ،

....

....

فأظهروا نصبَ هذا الـولدِ ليكونَ آلةً بأيديهم، ونادوا بإمـامتِهِ عليهم، وخطبوا له على المنابر، واسكتوا كلَّ مكابرٍ. [الوافر]

أمـورٌ تُضحِـكُ السفهـاءَ منهـا ويَبْكـي مـن عواقِبِهـا الحليـمُ

وكان ابتداءُ ظهورِ أبيـه في أوائل سنةِ سبع وعشرينِ وثلاثِ مئةٍ، ومكثَ إلى هذا التاريخ مطّلعـاً للفتنةِ، وجالباً لكلِّ محنـةٍ، ورِدءاً للكافرين وشجىً في حلقِ المؤمنين، كلّما أوعزَ إليـه النصارى بالقيام على أهـلِ الإسلامِ، وأمدّوه بالـذّخائرِ والأموالِ وأنـواعِ الحُطام، بـادرَ إلى الإجابة وإنفـاذِ مالَهم من إرادةٍ غيرِ غـلاّبة، وأنزلَ بالمسلمينَ كـلَّ ضَرَّاء، وأسالَ الدماءَ أنهراً وأجرى، واشتملـت أعوامُ فتنتِه على معاركَ وخطـوبٍ، ونوائبَ مثلُها لا تنوب، وحـوادثَ خرقتْ حُرْمـةَ الدينِ وأضحكت/ ثغورَ الكافـرين، وشفَتْ فيهم الآلامَ، كما أحدثَتْ في جسم الدينِ الأسقـامَ، ولم يـراقبِ اللهَ تعالى فيمـن غرَّهُمْ مـن الجُهّالِ، وقـادهم إلى الضَّـلالِ واستهواهم بـالأموالِ، وقادهم إلى حُفَرِ الـوبالِ والذي وصلَ من آبـائِه إلى هذه الديـارِ هو السيـد أحمد الادريسي(١)، انتقلَ من صعيـدِ مصرَ إلى مكةَ المكـرمةِ، ولبثَ فيهـا زمانـاً، ناشراً لألـويةِ العلـوم واشتُهِرَ بـالرسـوخِ، [١]والظنُّ أنَّ بعضَ علمائنا من معاصريـه حينَ حجَّ استجازه فأجازه[١]، ثم انتقلَ من هنالكَ، وتردَّدَ في الأطرافِ إلى أنْ وصـلَ إلى صَبْيَا فاستطـابها ووجدَ أهلَهـا في غايـةٍ من الجهلِ

/ ٢٥٩

---

(١) أحمد بن إدريس المغربي: الجد الأول لـلأسرة الإدريسية بتُهـامة، ولد في بلـدة العرائش من أعمال القيروان، درس على الشيخ عبدالـوهاب التازي، وصل مكة سنـة ١٢١٤هـ وهناك اشتغـل بالعبـادة والتفسير والسنة النبويـة وصل إلى بوادي ونـواحي زبيـد سنة ١٢٤٥هـ ثم انتقل إلى صبيـا واستقر فيهـا حتى توفي في رجب ١٢٥٣ هــ، وقد صنف حسن بن أحمد عاكش في سيرتـه الكتاب الموسوم بحـدائق الزهر في ذكر أشيـاخ أعيان العصر، انظر، المخلاف السليماني، ٦٢٠.

[١ - ١] سقطت من س.

فراجَ حالُه، وثبتَ قدمُهُ بينَ ظهـرانينهم، ورفعوه إلى درجةِ الولايةِ، فبقيَ هنالك إلى أنْ توفي ودُفِنَ بها، وأُقيم على تـربتهِ[١] مشهدٌ، وخلَفَـهُ في مكانِهِ ولـدُه السيدُ عليُّ بنُ أحمد على طريقةِ أبيه في الاتسامِ بـالصلاحِ، وعدمِ مخالطةِ الناسِ، إلى أنْ توفِّي ودُفِنَ قـريباً من أبيه، ونشـأ ولدُه هذا محمـد بن علي، أسودَ اللّون حـالكَهُ، عظيمَ البنيةِ كأجسَم ما يكونُ من الرجـالِ طولاً وضخامةَ بنيةٍ، فذهبَ إلى مصر وصعيـدها وزار هنـالك قـرابَتَـهُ، ومكثَ على مـا قيلَ زمانـاً في الجامعِ الأزهـرِ، حصَّلَ فيه طَـرَفاً من العلـومِ، وتهذَّبَ تهذيباً مصرياً مشـوباً بـالشّطارةِ، وحُسْنِ الخبرة بأمورِ السّيـاسةِ والمهارَةِ في الخداعِ واجتـذابِ القلوب، وعـاد من هنالكَ وقدْ علِقَ بفكـرتِهِ إمكانُ الاستيلاءِ على صَبْيـا وما حولَها، وخامـره حُبُّ الإمارةِ، لأنَّ الأتـراكَ كـانـوا منـذ أمـدٍ بعيـد مقتصرين على ضبطِ جيـزان فحسب، ولا يعرفون من حـالِ صَبْيا وأبي عَريش شيئاً، فشرعَ في جـذب القلوبِ إليه، ووعظ النـاس حتى تم له جمعُ النـاسِ حـولَه في صَبْيـا، واستمـدَّ من النصارى أمـوالاً صرفها في التأليف، ولم يـدَعُ أحداً إلى منابذةِ قـوم أو مقاومةِ دولةٍ، فبعُـدَ صيته وانتشر الحديثُ عنـه، وأعـانـه على ذلك مـا مَهَّدَ لـه أبـوه وجـدُّه من شهـرتِهما بالصّلاح، فـأقبلتْ قبائلُ تُهامةَ الشاميـةُ إليه أفواجاً، وممّـا زادَ في تمكُّنِه أنَّ تُهامةَ الشام من أطـرافِ اللُّحْيَّةِ إلى حدودِ عسير لإهمال الأتراكِ لها صـارتْ فوضى، وعَمَّ التعادي بين سكّـانِها حتى أنها لا توجـد قريـةٌ من قراهـا إلاّ وهي مملوءةً بـالبغضاءِ فيما بينَ أهْلِهـا، وخُوِّف كـلُّ فريقٍ من الآخـر، وكـانوا قـد ملُّوا هـذه الحال، وصاروا في حالةِ احتياجٍ شديدٍ إلى مَنْ يحسِمُ داءَ فوضاهم ويزيلُ بلْواهم وضّراهم.

فلما ظهـر المذكورُ وجـدوا ما يتمنَّـوْن من السكـونِ مِنْ دونِ نظرٍ إلى كـونِ

[١] في س، قبره.

داعيهم من أهلِ الصـلاح، أو من ذوي المساعـي القباح أو كـونِهِ يقـودُهم إلى النارِ أو دارِ القـرار./ فانتظَم له حالُ قضـاءِ صَبْيا وأبي عَريش ومـا بين أطرافِ / ٢٦٠ اللُّحَيَّةِ وجَـازانَ، ودخلوا في طاعتِـه، وأظهرَ المسالمةَ لمولانـا الإمامِ، بل لم يقتصرْ على ذلك، فـزادَ إلى حـالـةٍ تشبهُ الانتماءَ، ومـدَّ يـدهُ إلى أطـرافِ عسير، فأدخلَ بعضَهـا في طاعتِـهِ، ثم ضايقَ الأتـراكَ في أبْها مـركزِ عسير، فـانتبه الأتـراكُ من غفلتِهِم ودفعـوُه عن بـلادِ عسير بحـرابِهِمْ، ثم التفتَ إلى قضـاءِ اللُّحَيَّـةِ، وأرادَ إدخالَهُ تحتَ حوزتِهِ، فأرسلَ الأتراكُ عليه الجنودَ من كلِّ جهةٍ، فتيسَّر له استمالةُ قائدِ تلك الجنودِ المسمّى سعيد باشا وسحره - بأنّه لا يريدُ الخروجَ على حكومةِ الأتراك، وإنّما هو مصلحٌ ولا يـريدُ أمراً، فانطلى عليـه سحرهُ، ورفعَ ذلك القائدُ إلى دولتِهِ بما اعتقدَهُ فيـه وتصوِّرِه أمرَهُ، وتفرَّقَتْ تلك الجنودُ عنـه، فعادَ إلى طَوْرِه الأول.

وفي سنة ١٣٣٠ سـوَّلَتْ له نفسُـه الاستيلاءَ على صَعْـدة وبلادِهـا، فأفسدَ جميعَ قبـائلِ خَوْلانَ بنِ عـامر، ومكَّنهم من سـلاحِ الكُفّارِ، فأعلنـوا الخلافَ على الإمام، ولم يبقَ بيدِ عمّالِ الإمامِ غيرُ الحصونِ، وجرى بسببِهِ الحروبُ والخطوبُ ما يطـولُ شرحُـه، ولم يتمكن الإمـامُ من إخضـاع قبائلِ الشـام إلاّ بعـدَ مصـاعبَ ومتـاعب، وحـوادثَ هي من كبـارِ النـوائبِ، حينَ وقعتِ الحربُ بينَ العثمانيين والطليان لاعتداءِ الطليان على طرابلس الغرب، أمدّه الطليانُ بالمدافعِ والسلاح والأموال، فنهضَ لمحـاربةِ الأتراكِ في تِهامة، وذاقـوا منه الأمَرَّيْن، وكـذلك كانَ حـالُه حينما وقعت الحربُ العـامّةُ، أمـدَّهُ الإنجليزُ مع حلفـائِهِ، بما لا يُحْصَرُ مِنَ الإعاناتِ المتنوّعةِ وحاربَ الأتـراكَ، فكان للأتراك في أثناءِ تلك الحرب محطّتان، إحداهما، محطةُ لَحْج والآخرةُ في أطرافِ اللُّحَيَّةِ في مقابلةِ الأدريسي وأعوانِهِ.

....

....

وقد مرَّ بك ما كان منه من الحروب والخطوب في مِلْحانَ وحَرازَ وبُرع ورَيْمة، ولم يقتصرْ على التُهاميين في الإضلال، بل مدَّ يدَ شروره[١] إلى قبائلِ حَاشد وبعضِ بِكيل، فكانَ يستميلهُم بأموالِ الكُفَّارِ، ويعطي من وصَلَ إليه العطاءَ الجمَّ على حسابِ النَّصارى.

وما زالَ على تلك الحالِ إلى أنْ أدركَتْهُ المنيَّةُ وفارقَ الحياةَ، وقدَّمَ ما قدَّم غيرَ مُلابسٍ لتوبةٍ وندم، وغيرَ غريبٍ ما كان منه، فما زالت الدنيا تتلاعبُ بعقولِ أهلِها، وتورِدُهُم الأطماعُ فيها حياضَ الندامة، وترميهم عن كاهلِ السّلامة إلاّ من رَزَقَهُ اللهُ التوفيقَ واعتصمَ به من زلّةِ القدمِ في مزالقِ الزَّلَلِ والتعويقِ، نسأل اللهُ تعالى أن يجعلَنا مِنْ هذا الفريقِ بمنِّه وكَرَمِه، وبيدِه الحولُ والقوَّةُ، ومنه نستمدُّ العِصْمَة والسلامة من تبعةِ الهفوةِ وذلةِ الكبوةِ والنَّبْوة.

/ ٢٦١ / وفيها كانت الحادثةُ بمِلْحانَ، وقد سبقَ لنا بيانُ مجملِ الأحوالِ هنالك، وأنّ السيدَ فخرَ الدين، عبدَالله بن يحيى أبومنصر، توجَّه إلى الجبلِ المذكورِ بأمرِ الإمامِ للقيامِ بعمارةِ الحصونِ اللازمةِ، [٢ وشروعِه في إنفاذ٢] ما أُمرَ به، وإليه النظرُ فيما يكونُ به إصلاحُ الجبلِ، واستمالةُ سكّانِ أطرافِه الباقين على الخلافِ، والنقيب[٣] ومنْ إليه مِنَ الأعوانِ باقون أيضاً، وجبايةُ الأموالِ بنظرِه.

وظهرَ في أوائلِ هذا العامِ انحلالُ أمورِ أهل تُهامةَ، والتقصيرُ فيما اعتادَتْهُ جماعاتٌ من المرتبين مِنْ طرفِهم حولَ الجبلِ، وكانوا مؤلَّفين من قبائل شتى، ومنهم منْ أهلِ الجبالِ جماعةٌ، فاضطرَّ كثيرٌ منهم لمراجعةِ السيد عبدِالله بن يحيى أبومنصر، واظهارِ[٤] الرغوبِ في الانتماءِ إلى حزب الإمامِ، فاستأذنَ

[١] في س، الشريرة.
[٢ - ٢] في س، فيما أمر به.
[٣] في س، والنقيب أحمد حبيش.
[٤] في س، وظهور.

أبومنصر مـولانا الإمـامَ في قبولهِم، فأذِنَ له بـذلك، فوصلـوا إليه، وجعلهم من جملـة الأجنادِ الإمـاميـةِ، وكذلك راجعَ إليـه بعضُ العُقّـال من تهامةَ مظهـرين الطـاعة، فـزاحَمَهُ النقيبُ أحمدُ بنُ يحيى حبيش على مثلِ عملِـهِ، ورفعَ إلى مولانـا الإمام بأنَّ الزيلعيَّ شيخَ المِعْزَبِةِ يريدُ الـدخولَ في الطاعةِ، وأنه قدْ كاتَبَ إليه في هذا الشان، ويريدُ النهوضَ من الجنـدِ الامامي، حتى يكونَ عذراً له في الالتجاءِ إلى الطاعةِ، ووسيلةً لاستنقاد أمواله من تهامة.

وكـان مـولانـا الإمامْ يأمـرُ النقيبَ بـالاجتماع معَ أبـومنصر في محلٍّ واحـدٍ، وتـدبيرِ العملِ النـافعِ بما يكـونُ عليـه اتفاقُ الـرأي منهما، وعـدم الانفـرادِ من أحدِهما بعملٍ، فقصَّرَ النقيبُ في امتثـال ما أمَرَ بـه مولانـا الإمامُ، وظهر منـه ما يُشبهُ المنـافسةَ لأبومنصر وحبَّ الانفراد، ونهضَ إلى المِعْـزَبةِ[1]، ومعه قريبٌ من ثلثمائةٍ من النظـام واربعمائةٍ من غيرِهم، أكثـرُهُـم من حَـاشـد، ولّما وصل إلى المِعْزَبةِ، باشرَ منْ فيها بالحربِ، ورمى البغـاةَ با لمدفعِ، ففرّوا من المِعْزَبِةِ، وطردوا الأعداءَ منها، ومعهم أهلُها، فرّوا أيضاً معهـم، وأقامتِ الجنودُ الإماميةُ مكانَهم. ولّما كانَ بينَ النقيبِ أبومنصر من المنافسةِ شُغِـلاً بها عنِ الاطلاعِ على ما يُدَبَّر في الخفاءِ بينَ مشـايخِ مِلْحـانَ قاطبةً، وبينَ أعـوانِ الضالِّ ورئيسِهـم محمد طـاهر الموجـود في بَاجل، ولم يشعـر النقيبُ بأنَّ تشـويقَه على الانحـدارِ من الجبل إلى أطرافِ تُهامةَ إنما كـانَ استدراجاً منهم وحيلةً لإيقاعِـهِ في شبكةِ اصطيادِهم معَ مَنْ معـه من جنـودِ الإمـامِ ولم ينتبِهْ/ أبـومنصر لما جـرى، وهـو بطلُ الحروبِ، / ٢٦٢

---

(١) بنو مِعْزَب: من قبائل بـلاد يَريم في عُزلة بني سيف يسكنون قـرية بيت مِعْزَب، وأخرى قرية من عُـزلة بني السَيَّاغ من ناحيـة الحَيْمَة الداخلية، والمِعْزَب، قـرية في جبل خَوْلان بن عـامر من نـاحية ساقين بصعـدة، انظر معجم المقحفي، ٦١٠، معجـم الحجري، ٢/ ٧١٢، والمعزبة يقصد بها المعازبة القبائل التي موطنها زَبيد.

وضيغَمُ الخُطوب، لإعراضِهِ عمّا يجري في الجبل مِنَ الأحوالِ لئلاّ يُعَدَّ ذلك منافسةً للنقيب فيما إليه من الأعمال، وقد كان مشايخُ مِلْحَانَ ومنهم علي يحيى الأصابع قد اتفقوا على الغدرِ بجنودِ الإمامِ وعمّالِه، ونكثِ الإيمانِ والعهودِ والخروجِ عن الطاعةِ والجماعةِ، وتكاتبوا هم ومحمد طاهر رضوان في هذا الشأن ووعدهم بإرسالِ جندٍ إليهم، ومتى وصلَ الجندُ إلى أطرافِ الجبل ثارَ سكّانُ الجبلِ أيضاً معهم، واتّفقوا على استدراج النقيبِ بتلكَ الحيلةِ، وإخراجِ الجندِ الإماميّ مِنَ المعاقلِ والمراتبِ إلى حيثُ لا يتمكّنُ له الامتناعُ أو انتظارُ وصولِ المَدَدِ وإدراكُ الغارةِ، فلمْ يشعرُ النقيبُ ومَنْ معه إلاّ وقدْ أتاهم جمعُ الباغين من تُهامة، وباشرهم بالحربِ فدافعهم الجندُ الإماميّ أتمَّ مدافعةٍ، حتى كادَ أنْ يستظهر عليهم ويهزمَهُمْ، وبينما هم على تلك الحالِ إذا همْ بأهلِ جبلِ مِلْحَانَ قد أعلنوا الفسادَ، وجاءوا إليهم من فوقِهم، وقطعوا الطريق عليهم، ومنَعوا وصولَ الأقْواتِ والماءِ إليهم، فتراجعوا همْ والنقيبُ إلى المحلاتِ التي أمكنَ لهم الرجوعُ إليها في المِغْزَبةِ، وانتظم نطاقُ الحصارِ عليهم من فوقِهم ومن تحتهم لا يجدون سبيلاً للصعودِ إلى أعالي الجبل، ولا للخروجِ منْ ذلك المضيقِ، فمكثوا ثلاثةَ أيامٍ.

وفي خلالها وصلَ السيد عبده جيلان عابد من سادةِ الزَيْدِيَّة[1] سفيراً بينَهم وبينَ أهلِ الجبلِ والأعداءِ، وتمَّ الأمرُ على خروجِ النقيبِ، ومنْ معه بسلاحِهم على أنْ يكونَ وصولُهم إلى بَاجِل، ومن هنالِكَ يذهبون حيثُ أرادوا، ومعهُم المدفعُ الإماميُّ، فلّما خرجوا على تلك الصفةِ، توجّهوا نحوَ بَاجِل ولم يفِ لهم

---

(١) الزَيْدِيَّة: مدينة مشهورة من مدن تُهامة، على الطريق المتجه إلى حَجَّة، يُطل عليها من الشرق جبل مِلْحَان، شمال شرق الحُدَيْدة بمسافة ٦٢كم، انظر، حياة الأمير، ٦٢١، اليمن الكبرى، ٩٦، اليمن الخضراء، ١/ ٩٠، معجم المقحفي، ٢٩٥.

الأعداءُ بما شرطوه لهم، فأخـذوا المدفعَ، وأوقفوا النظامَ مدةً في بَـاجِل، ثم أخذوا سـلاحَهُمْ ثمَّ سـاقـوهم إلى الضِحِي[1] من أعمالِ تُهامـةَ، ومكثـوا فيـه بـرهـةً، وأمـروهـم بالعـزمِ إلى جيزانَ وفـرّقوهـم في تلك النواحي، وفـرَّ منهم جماعةٌ بعـد شهورٍ، وعادوا إلى أوطانِهِمْ.

وأما السيدُ عبدُالله أبـومنصر، فإنّه داهَمَهُ الخطبُ، وهو في العبراتِ من الجبلِ المذكـورِ، ورأى بينَه وبينَ النجـاةِ مسـافةً طـويلةً، فقـوّى عـزْمَهُ على اقتحـام/ / ٢٦٣ المصاعبِ والمكـارهِ مفضلاً للشهادةِ على الاستسلام إلى الأعـداءِ، فجدَّ في سيرِهِ من الجبلِ، ولم يكنْ معـه إلاّ عصـابـةٌ يسيرةٌ، لا يقـومُ بهم دفـاعٌ، ولا يتسير بهم الامتنـاعُ، وكلّما مَـرَّ على قـريـةٍ تلّقـاه أهلُهـا بـالحربِ، ودَفَعَهُم عن طـريقـهِ، واستُشْهِدَ بعضُ السـادةِ من بيتِ أبومنصر وبعضُ أصحـابِهِ ولم يـزَلْ سائراً بينَ هذه الخطوبِ إلى أنْ تيسَّرَتْ له النجـاةُ والخروجُ من جبلِ مِلْحان، وكانَ النقيبُ علي الغني، ومعه عصابةٌ من النظـامِ في أطرافِ عُزْل على يحيى الأصابع، ومعهم المذكـــورُ، فحينَ رأى النقيبُ إحـــداقَ الشرِّ قبَضَ على الشيخ علي يحيى واستصحَبَهُ معه، فكانَ كلّما همّوا بالنظـام منعهُم الشيخُ المذكورُ خوفاً على نفسِه من النظـام، لأنّهم قـد أعْلَمُـوه أنهم قـاتِلـوه لا محالـةَ، إنْ وصلَ إليهم شرٌ من أصحابِهِ، ثم ساروا بِهِ وهو في قبضتِهِم إلى أنْ قطعـوا مسافةَ الخطرِ وأطلقوه، وقد كـان الوفـاقُ بينهم وبينـه على ذلك، فنجَوْا مـن شرِّ أهلِ مِلْحـانَ بما دبّـروه من القبضِ على المذكورِ، ووصلوا إلى نخل أذرع[2] سالمين بأسلحتِهِم، وأطبقَ أهلُ

---

(١) الضِحِي: قريـة في تُهامة بوادي سُرْدُد، جنوبي الزَيْـديَّة بمسافة ١٨كـم، انظر، طبقات الخواص، ١٢٤، العقـود اللـؤلـؤيـة ١١/ ٣١١، معجم الحجـري، ٢/ ٥٥٢، معجم المقحفي، ٣٩٥.

(٢) أذرع: أحد جبـال مِلْحَان بالمحـويت، وهو خبت، انظـر معجم الحجري، ٢/ ٦٩١، معجم المقحفي، ٢٣.

مِلْحَانَ على الخلافِ، وفعلوا الأفاعيلَ بمَنْ ظفِروا بـه من المجاهدين، وتمَّ لهم ما أرادوه من المكرِ والغدرِ، [١ وتوجّهوا بعدَ ذلك إلى بَاجِل، وكان وقوعُ هذا الحادث في شهر رجب من هذا العـامِ، وقد تكرَّر من أفعالِ أهلِ هـذا الجَبلِ، وتلوّنِهِمْ ما يُنبئُكَ عمّا جُبِلـوُا عليـه منَ الخديعـةِ والمكـرِ ١] وخُبْثِ الطّبـاعِ والبـدارِ إلى فعلِ المُنْكَرِ بغاية الإسراع.

ولمّا وصلتْ هذه الأخبـارُ إلى مولانـا الإمام، بـادَرَ بإرسالِ الجنـودِ إلى السيد عبدِالله أبومنصر، وأمَرَهُ بالإقامـةِ مكانَهُ في أطرافِ الخبتِ، فلبثَ هنالك، وسيأتي في حـوادثِ العـامِ الآتي ما آلتْ إليـه حـالُ الجبلِ المذكـورِ وما جـوّزوا بـه على غدرِهِمْ ومكرِهِـمْ وخُبْثِ أفعالِهِم واستيلاءِ الجنودِ الإماميـةِ على الجبلِ المذكورِ وإذاقِتِهم مرَّ النكالِ، وعودِ أفعالهم عليهم بأشدِّ الوبال، والاستئصال.

وفيها في شهـرِ شعبانَ، وصل إلى الحضرة الشريفة الإماميـة السلطانُ حسينُ بنُ أحمد الرصـاص، ومعه عاملُ ناحيـةِ السُّوَّاديةِ الشيخُ أحمدُ بنُ قـايد الجبري، ومِنْ أصحـابِـهِ جماعـةٌ، وكـان وصـولُ السلطـان/ المذكـورِ إلى حضرة الإمـام ٢٦٤ / مستنجداً به على آل حُمَيقَان[١] الذين ضايقوه، وكـادوا أنْ يمنعُوه من الإقامةِ في ديارِهِ، وقتلـوا أخاه السلطـانَ صالحَ بنَ أحمد الـرصاص في أثنـاءِ العامِ الماضي، وبذلَ مِنْ نفسِـهِ الدخـولَ في الطاعةِ، وتمكينَ الإمـامِ من البيضاءِ وبـلادِها متى وصل الجنـدُ الإمـاميُّ إلى تلك الأطـرافَ، وإعـانتَهم على الاستيـلاءِ عليهـا بما يستطيعُه من الرجـالِ والمالِ، فأكرَمَهُ الإمامُ - عليه السلامُ - وأنـاله صنوفَ البِرِّ والإنعام، وتمَّتْ المراجعـةُ فيما بينَه وبينَ الإمامِ على وضـعِ ولدِه رهينةً، وإرسـالِه متى عـادَ إلى رَدَاع، ويكونُ من مـولانا الإمامِ بعـدَ ذلك إرسالُ جنـودِه إلى تلكَ الجهـاتِ، لإجـراءِ مـا كـانَ عليـه التمامُ، ووعَـدَهُ الأمـامُ بعمالـةِ بـلادِه متى تمَّ

---

(١) آل حُمَيْقَان: من قبائل البيضاء، انظر، معجم المقحفي، ١٩٥.

[١ - ١] سقطت من س.

استفتاحُها على مثلِ ما أسعفَ به الشيخَ أحمد قـايد الجبري، في ناحيةِ السُوَّاديَّة، وبعـدَ التّمامِ على ذلكَ، تحرَّرَ مـنَ الإمـام - عليـه السـلام - بيـدِه من الأوامـرِ الشريفةِ مـا دعتْ إليه الحالُ إلى عاملِ رَدَاع إعـلاماً بما كـانَ الوِفاقُ عليـه، وأمرَ بقبْضِ رهينةِ السلطانِ المذكورِ متى وصلتْ، وإجـراءِ ما يلزمُ لها من الكفاياتِ، وصنوف الرعاياتِ، وعادَ المذكورُ ومنْ معهُ إلى رَدَاعَ، ومنها إلى أوطانِهمْ، وقد رأوْا منْ إقبـالِ الإمامِ عليهم مـا جَذَبَ قلـوبَهُمْ وأغراهُمْ بـالوفـاءِ، بما اشترطَهُ عليـهِ مولانا الإمامُ، وتحقّقوا أنهم سيُدرِكُون مطلوبَهُمْ.

قلت: وهؤلاء بنـوالرصاص، بيتُ رئاسـةٍ قديمةٍ، وقدْ جـاء ذِكْرُهم في سيرة الإمامِ المهـدي أحمدَ بن الحسن، رضوانُ اللهِ عليـه، عندَ دخولِـهِ إلى حضرَموْت، وقيامِه بفتحِ المشرقِ أيـامَ سيادتِهِ في خلافةِ مـولانا المتوكِّلِ على اللهِ إسماعيلَ بنِ القاسم - عليهما السلامُ - ثـمَّ في تلك الوقوعات التي استُشْهِـدَ فيها جماعةٌ من آل الإمـامِ - رحمهم اللهُ تعـالى - وكذلـك في أيام المهـدي محمـدِ بنِ أحمد[1] بن الحسن(١) ومصـاهرتِـهِ لهمْ تألُّفـاً، وعلَقَ بـالخاطِر حـالُ التحـريـرِ أنّ الشاعـرَ السِمْحيَّ(٢)، من شعـــراءِ ذلك العصرِ قـال مقطـوعـاً لطيفـاً ذكـرَ فيــه بني الـرصاص، والمهـديَّ صـاحبَ المواهب، وعدمَ الـوفـاءِ بينَهم بما وعدُوه بـهِ من المصاهرةِ.

وكانَ ذلك قبلَ أنْ يتمَّ الأمرُ، لأنَّ المصاهـرةَ تمَّتْ واحتفلَ المهديُّ بالإعراسِ

---

(١) المهدي: محمـد بن أحمد بن الحسن بن القاسم ت ١١٣٠هـ، صاحب المواهب القـرية التي أسسها والواقعة شرقي ذمار.

(٢) سعيد بن صالح السِمْحي ت ١١٢٢هـ، شاعر،ب فقيه لغـوي، مدح الإمام أحمد بن الحسن بن القـاسم المنصـور ومـدح الأمـراء وغيرهم، انظـر، نشر العـرف، ٢/ ٧٣٧ - ٧٤٢.

---

[١] في س، أحمد بن الحسن والأصل، أحمد بن الحسين.

٢٦٥ / الاحتفالَ العظيمَ، وزُفَّتْ إليه ابنةُ الرّصاص، وذكرَها شعراءُ ذلك العصر كالزَّنمة وغيرهم في تهانيهم للمهدي، ومقطوعُ السمحيِّ هو قوله: [البسيط]

لله درُّ بني الرَّصاصِ إنَّهمُو لأغْيَرُ النّاسِ في بَدْوٍ وفي حَضَرِ
مَنُّوا الإمامَ بأُنثى مِنْ كَواعِبِهِمْ وأصْدَقُوا وَعْدَهُ بالصّارِمِ الذِّكَرِ

ومدح الزَّنمةُ[1] المهديَّ في هذا الإعراسِ بقصيدتِهِ الفائيةِ البليغةِ، وهي من أجودِ شعرِهِ، وكان زفافُ ابنةِ الرَّصاص إليه وهو في مدينةِ الخضري، من أعمالِ مخلافِ العرشِ، فلذلك جاءَ في قصيدتِهِ المذكورةِ: [الطويل]

فها هيَ بلقيسٌ وذا العرشُ عرشُها وأنتَ سليمانُ الكريمُ الذي وَفَّى

و[1] لما وصلَ سيّدي العمادُ يحيى بنُ عليّ الذّاريُّ إلى الحضرةِ الشريفةِ، وقدْ ذكرنا أنَّ وصولَه كان بأمرِ مولانا الإمامِ، وذلك قُبَيْلَ شهرِ الصّيامِ، رفعَ إلى مولانا الإمامِ قصيدةً بليغةً من نَفَسِهِ اللطيفِ، ونظمِهِ الظريفِ ومستهَلُّها:

[الكامل]

بِمَطالعِ لجبينِكَ البَدْري لاَحَتْ لنا مِنْ غَيْهَبِ الشَّعرِ
وبِوَرْدِ خَدَّيْكَ النَّديِّ وَما في اللَّحْظِ مِنْ جَوْرٍ ومَنْ سِحْرِ
وبِشَهْدةٍ أضحى تَرَدُّدُها بيَنَ العَقيقِ ولُؤْلُؤِ الثَّغْرِ

---

(١) الزَّنمة: هو أحمد بن أحمد بن محمد الأنسي القهدة المعروف بالزَّنمة اليمني الشاعر المشهور بأيام الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله اسماعيل والمهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن ت ١١١٥هـ منفياً في زيلع، وكان قد جمع ثروة طائلة، كان حاد الطبع، سريع الانحراف، انظر، طبق الحلوى، ٢٤٥، انظر، نشر العرف، ١/ ٧٤ - ٨١، البدر الطالع، ١/ ٣٦ وفيه توفي سنة ١١١٩.

[١ - ١] من عبارة «ولما وصل سيدي يحيى بن علي الذاري حتى عبارة، بعد النبي وآله الغُرِ» سقطت من س.

وبدُمْيةِ الجِيدِ الّتي غَنِيَتْ — عَنْ عِقْدِ عقيانٍ وعنْ دُرِّ
وبها أَجَنَّتَّهُ الغَلائلُ مِنْ — ليمِ النُّهودِ وفائحِ الزَّهْرِ
برشاقةِ القدِّ المُهَفهَفِ والرِّدْفِ لثقيلِ ودِقَّةِ الخَصرِ
وبطيبِ دَبا نَشْرِهِ عَبَقٌ — أذكى مِنَ النَّسْرينِ والعِطْرِ
قَسماً بها قَسَماً أَبَرُّ بِهِ — ما حِلْتُ عَنْ عَهْدِ الهوى العُذْري
أَسْلُو هواكِ ووقفةً سَلَفَتْ — بينَ الأراكِ ودَوْحةِ السِّدْرِ
يا خِلْسَةً سَمَحَ الزّمانُ بِها — صادَفْتُها من ظَبْيَةِ القَفْرِ

٢٦٦ /

ومُعانقي سيفٌ يُدافِعُنا — عَنْ ضمَّةٍ تَشْفي جَوى الصَّدْرِ
والقلبُ يَجْذِبُهُ ويحفِزُهُ — شُغْلٌ يقودُ العَسْكَرَ المُجْرِ
عنْ رأيِ مولانا الإمامِ أميرِ المؤمنين خليفةِ العَصْرِ
الذائدِ الحامي الذمارَ ومَنْ — دانَتْ له الأملاكُ بالذُّعْرِ
السابقِ الساقي العُداةَ رَدَىً — بِصَوارمٍ وَعَواملٍ سُمْرِ
وجحافلٍ ملأَ الفضاءَ بها — مقرونةٍ بالفَتْحِ والنَّصْرِ
أحْيى الآلهُ بهِ الهُدى ونَفَى — عنَّا وَبيلَ غوائلِ المَكْرِ
آراؤُه كسهامِهِ نَفَذَتْ — عَزَماتُها في البرِّ والبَحْرِ
فتَكاتُهُ مَشْهورَةٌ شَهِدَتْ — أنَّ العَدْوَّ لهُ لفي خُسْرِ
دَفَّاعُ مُعْضِلَةٍ إذا دَهَمَتْ — فَتَّاحُ كلِّ مُقَفَّلٍ وَعْرِ
طَوْدُ الوَقار فلا يُزَعْزِعُهُ — عَصْفُ الخطوبِ وفادحُ الأمْرِ
حَمَّالُ أعبادٍ لهُ هِمَمٌ — صَعَدَتْ وفاَتَتْ مُرْتَقى النَّسْرِ
لشتيتِ أنواعِ العُلوم حوَى — أنْهارُهَا مِنْ بحرِهِ تجْري
أخلاقُه كالرَّوْضِ باكِرةٌ — مُزْنَ الغَمامِ وواكِفَ القَطْرِ
ربُّ الفضائلِ والفواضِلِ والمَجْدِ الأثيلِ ووارثُ الفَخْرِ

....

....

مَنْ رامَ أنْ تُحصى مناقِبُهُ	رامَ المُحالَ وجاءَ بالأمْرِ
يا ابنَ النبيِّ ونجلَ حيدَرَةٍ	سيفَ الإلهِ وقاصمَ الكُفرِ
أعطاكَ ربُّكَ مِنْ مواهِبِهِ	وَحَباكَ بالإحْسانِ والبِرِّ
فاشكرْ إلهَكَ ذا الجلالِ فما	أوْلى الإلهُ بواجبِ الشُّكْرِ
وتهنَّ شهْراً قادِماً برضى	شهرِ الصّيامِ وموسمِ الأجْرِ
واسلمْ وَدُمْ ما عشتَ مرتَدِياً	ثوبَ العُلى والعزِّ في العمْرِ
وإليْكَها تُجلى عروسُ خِباً	نَسَجَتْ مطارِفَها يدُ الفِكْرِ
عربيّةٌ بَدَويّةٌ كُفِيَتْ	بَخْس الحظُوظِ وجَفْوةَ الدَّهْرِ
وعليكَ صلّى اللهُ خالِقُنا	بعدَ النبيِّ وآلِهِ الغُرِّ

/ ٢٦٧

وفيها وصلَ إلى مقامِ المولى، سيفِ الإسلامِ، وأكبرِ أنجالِ مولانا الإمامِ سيدي العمادُ يحيى بنُ محمدِ بن الهادي[1]، صاحبُ المدايرِ، والمومى إليهِ مِنْ أعيانِ السادةِ القاسميين، وذوي الفطنةِ الوقّادةِ، وكان حاكماً في جبلِ يزيدَ من طرفِ الإمامِ، وقد سبقَ لهُ مِنَ المناصرةِ مواقفُ محمودةٌ، إلى أن هفَا بالتوجُّهِ إلى تُهامةَ، وقصدِ الأدريسي ومكثِه هنالِكِ برهةً لم يُعْثَرْ عليه في أثنائِها التلبُّسُ بأمرٍ يجلبُ النّدمَ، ويوجبُ زلّةَ القدَمِ، ثمَّ ثابَ إلى رشدِهِ، ورجَعَ إليه مِنْ سدادِ مَدَدِهِ، فقصَدَ مولانا سيفَ الإسلامِ، نادماً على ما كان، واستمدَّ من سيفِ

---

(١) يحيى بن محمد بن يحيى الهادي: ولد سنة ١٣٠١ هـ، شاعراً بليغاً، خطيباً فصيحاً، ت ١٣٧٢ هـ عالم في الفقه أحد قادة الامام يحيى الذين شاركوا في محاربة العثمانيين، تولى الخطابة بقَفْلة عِذَر ثم في السودة، وتولى القضاء في ناحية جبال عيال يزيد، فر سنة ١٣٣١ هـ، إلى سوح الادريسي حاكم عسير ثم عاد والتحق بأمير لواء تعز، علي بن عبدالله الوزير فعينه حاكماً شرعياً في ناحية جبل صَبر، ثم تولى القضاء في العُدَيْن، انظر، نزهة النظر، ٦٤٤، هجر العلم، ١٩٩١.

الإسلام مراجعةَ حضرةِ الإمام في العفوِ عنه، وإعـادَتِهِ إلى ما كان عليه من العدِّ في خُلّصِ الأعوانِ، فمنَّ الإمامُ - عليه السلام - عليـه بما أرادَ، وتوجَّه بالإسعادِ إلى نيلِ المرادِ وكانَ المُومى إليـه قدْ رفعَ إلى مقامِ الإمامِ قصيـدةً بليغةً، يتنصَّلُ بها من تلكَ الهفوةِ، [1] وهي كما تراها في قالبِ الإجـادةِ والأحسانِ مجْلوَّةٌ، وعلى منابرِ البلاغةِ والفصاحةِ متلُوَّةٌ، ومستهلُّها قولُه: [الكامل]

بـرحَ الخَفـا قلبي بِكُمْ متعلِّق ... وعلَى هـوايَ شهـودُ دَمْعِي تَنْطِقُ

قـدْ كُنْتُ أكْتُم حُبَّكُمْ حتّى بَـدَتْ ... مِنّي عَلَيْـهِ أدِلَّـةٌ تَتَحقَّـقُ

فـذبـولُ جِسْمٍ واصفـرارٌ ظـاهـرٌ ... والمقلـةُ العَبْرى، وقلْبٌ يخفِـقُ

عنْ خِنْصَري قدْ كان ضـاقَ خُوَيْمتي ... واليـومَ صِرْتُ بخـاتمي أتمنطَقُ

لَـوْ زُجَّ بي في مُقْلـةٍ وسْنـانَـةٍ ... مـا هبَّ صاحِبُهـا ولا هـوَ بـارِقُ

والنَّـرْجِسُ استَـوْلَـتْ عَلَيْـهِ صُفْـرَتي ... وبعينِ مَنْ أهـواهُ نَحْـويَ يَـرْمِقُ

والنَّجْمُ عَنْ قَلْبي اسْتعـارَ خُفُـوقَـهُ ... والبَحْـرُ مِنْ عَيْني غَـدا يَتَـدَفَّقُ

قلْ للمُحِبّينَ الـذينَ تَقَـدَّمُـوا ... إنّـا لقينـا في الصَّبابَـةِ مـا لَقُـوا

يـا أيُّها الـرَّكْبُ السُّراةُ أَخَـذْتُمُوُ ... قَلْبي فَمَـنْ لي بـالبَقِيَّـةِ تَلْحقُ / ٦٨ ب

بـالله مُـرّوا بـالحبيبِ وسَلِّمُـوا ... مني عليْـهِ وشرْحَ حـالي حقِّقـوا

قـولـوا لـهُ بـالله هَلْ مـن عـوْدةٍ ... لِلْـوصْلِ والـواشي طـريـدٌ مُخْنَقُ

لله من غُـرَرِ اللّيـالي لَيْلَـةٌ ... مَـرَّتْ لنـا أنـوارُهـا تتـألَّقُ

في الـرَّوضـةِ الغَنَّـاءِ فيهـا سـاجعٌ ... يشـدُو وسـاقٌ بـالنُّضارِ مُقَـرطَقُ

في كفِّـهِ كـاسٌ يـدورُ على النّـدا ... مـى بها صَرْفُ السُّـلافِ مُعَتَّـقُ

ففعـالُها مِـنْ مُقْلَتيْـهِ ولـونُها ... في وَجْنَتيْـهِ المسكُ منهـا يعبقُ

مُتَطـارحين فنـون لهوٍ فـاتت المأ ... مـونَ قـدِمـاً والجداولُ تصفقُ

....

[١ - ١] من عبـارة «وهي كما تراهـا في قالـب الإجادة والإحسـان إلى عبارة والآل مـا غيث همت أمزانه». سقطت من س، وهي تصل إلى ست صفحات.

والشادنُ الشّادي يحقُّ لصوتِهِ … إسحقُ يسْجُدُ والهمومُ تفَرَّقُ

ما نحنُ إلاّ ناظرٌ شمْساً على … غُصُنٍ يَميسُ بهِ تُضيءُ وتُشْرِقُ

يا حبّذا مِنْ ليلَةٍ قَصُرَتْ بنا … لمّا غَدَتْ أثوابُها تتمزَّقُ

بِمُهَنَّدِ الصُّبْحِ المُنيرِ كأنَّهُ … سيفُ الإمامِ إذا وَعاه مُفَرِّقُ

يحيى الّذي أحيا معالِمَ دينِنَا … وبذاكَ ألْسِنَةُ المدافعِ تنطِقُ

القائمُ المتوكِّلُ المَلِكُ الذي … بقيامِهِ قَعَدَ الملوكُ وأطرَقُوا

سُودُ الدّفاتِرِ أخْبَرَتْ عَنْ بيضِهِ … بالأحْمرِ القاني غَدا يَتَرَقْرَقُ

مِنْ بينِ أغبرَ قَسْطلٍ عالٍ على … جُثَثِ الأعادي قَدْ أثارَ الفَيْلَقُ

نورٌ بَراهُ اللهُ جَلَّ جَلالَهُ … مِنْ نارِ موسى نورُهُ مُتَأَلِّقُ

مِنْ دَوْحةٍ مُضَرِيّةٍ قُرَشِيّةٍ … نَبَوِّيَةٍ فرعٌ عظيمٌ مُورِقُ

سِرُّ الخِلافةِ والنبُوَّةِ كلُّهُ … فيهِ وفي هذا الفخارُ المُطْلَقُ

بَلَغَتْ بنوالزّهرا بها آمالَهَا … ولهُ توالى السُّؤْدَدُ المُتَفَرِّقُ

٢٦٩ / وأعادَ أيّامَ النُّبُوّة ذاتَها … فكأنّما المُخْتارُ حيٌّ يُرْزَقُ

تُغْنيهِ عَنْ راياتِهِ آراؤُهُ … ويُطِيعُهُ غَرْبُ الدُّنى والمَشْرِقُ

بِسُكونِ رَأْيٍ ثاقِبٍ راياتُهُ … في خافِقَيْ هاتي البسيطةِ تَخْفِقُ

لو كُنْتُ كُلِّي ألْسُناً وأنامِلاً … تبني النّظام بمدْحِهِ وتُنَمِّقُ

لعَجِزْتُ عِنْ إحْصاءِ بَعْض خِلالِهِ … حَسْبي بأني عارِفٌ ومُصَدِّقُ

أنسيمُ، إنْ يَمَّمْتَ صنعا زائراً … دارَ السّعادَةِ وهي قَصْرٌ مُونِقُ

ما قصرُ غُمْدانَ وما الإيوانُ ما … قصرُ الخَورْنَقِ بالنّجومِ مُطوقَ

فهناك مولانا ومالِكُ أمْرِنا … وعليهِ أنْوارُ الإمامةِ تَبْرُقُ

أقْرِئْهُ عَنّى أَلْفَ أَلْفَ تَحِيَّةٍ … وأفِدْه أني بالوَلا مُتَعَلِّقُ

لكِنْ رَماني مِنْ زماني صَرْفُهُ … فَفَرَرْتُ والقلبُ المُتَيَّمُ مُحْرَقُ

وطَفِقْتُ أبعثُ مَنْ يُرجّى نفعُه ... يَرْفو الذي كانَ العِدى قدْ فتَّقُوا
مُتَفَنِّناً مُتَنَقِّلاً مِنْ بعدِ ذا ... هذي وما أدري رَفَوْا أمْ مزَّقُوا
حتى تولاّها الإمامُ بِنَفْسِهِ ... وإنّا إليْنا منهُ عفْوٌ مُطْلَقٌ
إنّا أولوا الأرْحام حقاً بعضُنا ... أوْلى بِبَعْضٍ في الكتابِ وأرْفَقُ
والعفوُ منْ شِيَمِ المُلوكِ فإنّهُمْ ... قومٌ إذا ملكوا البريَّةَ أعْتقوا
مولايَ يا مولايَ إني جئتُكُمْ ... وأنا بِكُلِّ السِّيئاتِ مُطوَّقُ
ألقيتُ أعْباءَ الذُّنوبِ بِبابِكُمْ ... وَرَجَوتُ رِفقاً منكُمو لي فارفِقُوا
وكأنّني بِجَماعةِ الواشينَ قَدْ ... كَتَبُوا وقالوا ما يَسُوءُ ونَمَّقُوا
سَعْياً بنا أقْماهُم المَوْلى كَما ... قالُوا لَنَا بطشُ المُلوكِ مُحَقَّقُ
قُلْنا: نَعَمْ، غيرَ الأئمةِ ربَّما ... بَطَشوا وعفوهُمُ يَقيناً أصْدَقُ
أمّا الأئِمّةُ -لا جُبِنْتُمْ- إنَّهم ... مِنْ غيرِ رَحْمةِ ربِّنا لنْ يُخْلَقوا
لا تَطْمَعُوا أنْ تفرِقُوا ما بينَنا ... لَنْ تَفْرِقوا ما بيْنَنَا وتُفَرِّقُوا / ٢٧٠
يا آلَ طهَ فاقْبَلُوا عُذري ومَنْ ... يهواهُ قلْبي مِنةً وتصدّقوا
أرحامُنا أرْحامكمْ ونفوسُنا ... أنتمْ بِكُم رَوْضُ الرَّحامةِ مُورِقُ
وبِها نحبُّ مِنَ الإلهِ فجُد لنا ... مولايَ واسْلَمْ ما ينوحُ مُطَوَّقُ
ثمَّ الصّلاةُ على النبيِّ وآلِهِ ... والصَّحْبِ ما نظمي بِمَدْحِكَ يُشْرِقُ

وبعد، هذا وصلَ الى مقام مولانا الإمام - عليه السلام - وقابَله أحسنَ مقابلةٍ واحترام، وسوَّغهُ مزيدَ الأنعام، وانتشى بُلْبُلُ تغريدِه وغرَّد، وصاحَ طرباً بمديح مولانا الإمام وتمجيدِه فجوَّد، وأجالَ جوادُ يَراعِهِ في ميدانِ النظام فأبعدَ في شَوْطِهِ واقتنصَ اللّطيفَ من الانسجام، ورفعَ إلى مولانا قصيدتَه الآتيةَ، وهي في بابِها غايةٌ، ودرجتُها في رُتَبِ الإجادةِ عاليةٌ، وقد أثبتُّها بكمالِها دلالةً على سَبْقِهِ ومهارتِهِ وحذْقِه وهي:

....

....

[الكامل]

مـــا زالَ قلبي دائماً خَفَقــاتُـــهُ ... مـذ شِمْتُ بَـرْقـاً شـاقني لَمَعـانُـهُ
لِمَ لاَ وَقَـدْ وشّى السّحـابُ طِـرازَهُ ... تهْمي على سَفْحِ اللِّـوى أمْـزانُـهُ
يسْقي اللّـوى والساكِنيهِ في الـدُّجى ... غيْثـاً كَطَـرْفي قَـدْ همَتْ أجْفانُـهُ
لا غَرْوَ إنْ رَحَـلَ الكَرى عَنْ نـاظِري ... وطَمَى بِـهِ مِنْ دمْعِـهِ طـوفـانُـهُ
مِنْ بعـدِ أنْ رحلَ الأحِبَّـةُ لمْ يَـزَلْ ... في لُجَّةٍ مِنْ دمْعِـــهِ إنســـانُـــهُ
يَنْهَلُّ منـــهُ لُـــؤلُـــؤٌ رَطِـبٌ فإنْ ... يَنْضِبْ تَـوالى بعـدَهُ مُـرْجـانُـهُ
يـا بَـرْقُ لُحْ قـدْ زِدْتَني أرَقـاً على ... أَرَقٍ فإنَّ الحُبَّ هـــذا شـأنُـــهُ
يـــــومي إليَّ البَرْقُ أنَّ أحبّتي ... سَكَنُـوا اللِّـوى ووميضُـهُ بُـرْهـانُـهُ
إنَّ اللّـــوى قَلْبي بِـــهِ مُتَعلِّـقٌ ... لمّا غَـدَتْ في سَـوْحِـهِ أخْـدانُـهُ
أهْوى اللِّـوى أهْوى بِمُنْعَـرَجِ اللّوى ... رَبْعـاً تميسُ بِجـانِبَيْهِ حِسـانُـهُ
مـا إنْ أُشَبِّبُ بـاللِّوى مِـنْ أجْلِـهِ ... لكنْ سَبَتْني بـالهوَى غِـزْلانُــه
غِـــزلانُ إنْسٍ لم يُصَـــدْنَ وإنّما ... كمْ صِـدْنَ مِنْ ملكٍ تعـالى شـأنُـهُ
غِـزلانُ إنْسٍ من سُـلالـةِ يَعْـرُبٍ ... قـدْ فُقْنَ حُسناً راجِحـاً ميزانُـهُ
فَلَـوْ أنَّ كِسْرى طـافَ بينَ خِيـامِهـا ... وخُـدورِهـــا لمْ يُـؤوِهِ إيـــوانُـهُ
أوَ لَـــوْ رآهَنَ ابـنُ أدْهَمَ لانثَنى ... عنْهُنَّ مُنْهَـــدِمـــاً بِـــهِ إيمانُـــهُ
أوَ كـــانَ مِنْهـــا عنـــدَ آدَمَ غـــادَةٌ ... عنـدَ السُّجـودِ لمَا أبى شيطـانُـهُ
بَـــرِحَ الخَفـــا أمّـــا نُـــوارُ فإنّها ... مَلِكُ المِلاحِ وكلُّهـنّ قيـــانُـــهُ
حـوراءُ مِنْ رَوْضِ الجِنـانِ تَعَجَّلتْ ... وأضـاعَهـــا فيما أرى رِضْـوانُـــهُ
يـا طلعـةَ القَمَـرِ المُنيرِ وقـامـةَ الـ ... غُصْنِ النّضيرِ الـوصلِ هـذا آنُـهُ
عـودي إلى نهجِ الـوصـالِ كما مضى ... فـالنّـوْمُ منْ عيْني خَلَتْ أوْطـانُـهُ
كمْ لَيلـــةٍ بِتْنَـــا بها في غِبْطَـــةٍ ... مُتطـــارِحَيْ لهْوٍ عَلَتْ ألحانُـــهُ

/ ٢٧١

....

....

ما نالَها مَلِكٌ بِمُلكٍ قاهرٍ ... فيما مضى وَلَو أنَّهُ نُعمانُهُ

في خيرِ رَوْضٍ فيهِ زهرٌ باسمٌ ... والرَّوْضُ قد ماستْ بهِ أغْصانُهُ

والوُرْقُ تخطُبُ في منابِرِ دَوْحِهِ ... والماءُ قدْ فاضَتْ به غُدْرانُهُ

رَوْضٌ كأنَّ اللهَ أهداهُ لنا ... ممّا حَوَتْهُ للنّعيم جِنانُهُ

والكاسُ شمْسٌ في يدِ السّاقي بها ... ما دونَهُ خمرٌ حَوَتْهُ دِنانُهُ

يا حبَّذا مِنْ ليلةٍ طابَتْ لنا ... وَصْلاً زهى ما شابَهُ ما شانَهُ

ليلٌ يصولُ على النَّهارِ لِجَنْبِهِ ... لكنْ تلاشى وامّحى سلطانُهُ

لما بدا ضوءُ الصّباحِ كأنّهُ ... وجْهُ الإمام يَزينُهُ عِرْفانُهُ

يحيى الذي جلّى على أقْرانِهِ ... لمّا كَبَتْ في شأوِها أقرانُهُ

مَلِكٌ به تاهَتْ أزالُ على الدُّنى ... وتودُّ مصرُ أنّها أوْطانُهُ

ومهابطُ التّنْزيلِ ودَّتْ أنّهُ ... فيها يُنيرُ بسوْحِها ديوانُهُ / ٢٧٢

طولي أزالُ على المدائِنِ والقُرى ... يأبى العُلى المُلْكُ الرفيعُ مكانُهُ

طولي بنورِ اللهِ والمُلْكِ الذي ... يَحْوي المعالي سيفُه وسِنانُهُ

إنّا اليمانيونَ[١] الكرام لمَعْشَرٌ ... فُزْنا بمسجدٍ قدْ علا بنيانُهُ

إذْ خَصَّنا بولاءِ آلِ محمّدٍ ... وبنَصْرِهم ربٌّ تعاظَمَ شانُهُ

فينا الهدايةُ كابِراً عَنْ كابِرٍ ... شِيدَتْ وعِلمٌ واضحٌ بُرْهانُهُ

مجدٌ يدومُ وإنّه في عَصْرِنا ... قدْ طالَ حتّى لا يُنالَ عِنانُهُ

بإمامِنا خيْرِ الورى المَلِكِ الذي ... جلاّ فضلَّتْ خلفَهُ أقرانُهُ

وبهِ على المُلْك الإمامةُ قدْ عَلَتْ ... وَتَطأطأتْ قَهْراً له تيجانُهُ

مِلِكٌ هو العَلَمُ الشّريف وإنّه الـ ... عَدْلُ الذي في كَفِّهِ ميزانُهُ

فالدَّهرُ وَدَّ بأنّه عمْرٌ له ... والناسُ طُرّاً أنّهُمْ أَعْوانُهُ

مَلِكٌ به افتخرَتْ قريشٌ أنّهُ ... منها وتاهَ على الزّمانِ زمانُهُ

....

[١] هنا خطأ، والصحيح: اليمانيين.

مَلِكٌ بِـهِ افتخَـرتْ لُؤيٌّ بلْ بِـهِ افتـ   ـخَرَتْ على كلِّ الـوَرى عَـدنـانُـهُ
نَسَبٌ تعـالى في ذُؤابـه هـاشم   وبأحمدٍ قـدْ شُيِّـدَتْ أرْكـانُـهُ
بـا لمصطفى بمحمّـدٍ خيرِ الـورى   منْ كـانَ نـوّه بـاسمـهِ قُـرآنُـهُ
بأبي البَتـولِ وزوْجِهـا وابنَيْها   عَـدَدٌ تـولىّ مـدْحَهُ فُـرقـانُـهُ
نَسَبٌ كعقـدِ الـدُّرِّ في جيـدِ الهدُى   وأئمَّـةُ الآلِ الكـرامُ جُمانُـهُ
هـذا هو الفخـرُ الطويلُ وغـايةُ الـ   مَجْدِ الأثيلِ وفي الكتـابِ بيـانُـهُ
خضَعَتْ لـه كلُّ العشـائرِ لمْ تَـزَلْ   تمشي بظلِّ رُواقِـهِ قحْطـانُـهُ
مَلِكٌ له المُلْكُ استَتَبَّ على بني الإسـ   ـلامِ لمّا زانَـه إحسـانُـهُ
والعُـرْبُ عـادَتْ في قـديم حيـاتها   بقيـامـةٍ وتفـرَّقَـتْ إخـوانُـهُ
أطفى الضَّـلالَ بِهَدْيـهِ وعلـومِـهِ   مِنْ بعـدِ مـا كـانَتْ غَلَتْ نيرانُـهُ
يـا حـائزَ المجْـدِ العَـريضِ أَفِقْ لِما   يُـومي القَـريضُ ومـا أفـادَ بيـانُـهُ
مَـدْحـاً تَجودُ بـه القَـريحَةُ مِنْ أخي   مِقَـةٍ حَـدَاهُ لِنَظْمِـهِ إيمانُـهُ
أَرْجـو بها حُسْنَ الخِتـام ومحوَ مـا   قَـدَّمْتُهُ من ربِّنـا سبحـانَـهُ
إنَّ الإمـامَ خليفـةٌ لَلمُصطفى   يَهدي الأنـامَ وإنني حَسّـانُـهُ
وحبيبُـه ومُحِبُّـهُ ونَصيرُهُ   ومُجيبُـهُ ولِسـانُـهُ وسِنـانُـهُ
صلّى عليـهِ اللهُ بعـدَ نبيِّـهِ   والآلِ مـا غَيْثٌ هَمَتْ أمْـزَانُـهُ[١]

/٢٧٣

وفي غرةِ ذي القعدة الحرامِ منْ شهورِ هذا العامِ، جهَّز المولى سيفُ الإسلام أحمدُ بنُ أميرِ المؤمنين أخـاه المولى سيفَ الإسـلام، محمـدَ بنَ أميرَ المؤمنين مِنْ حَجّـة مع جنـدٍ كثيفٍ إلى حصنِ كُحلان الشرفِ وبـلاد الجَميمـةِ(١) وأطرافِ

(١) الجَمْيمـة: قـريـة في مَبْيَن حَجّة من عُـزلـة الظفير، والجَمْيحـة، اسم مشترك لعـدد من المواضع منهـا، قريـة في سيران الشرقي من بـلاد شُهـارة، وقريـة في عُتُمـة وناحيـة من نـواحـي حَجّـة، وجبل الجَميمـة في بنـي حِشيش، انظـر، معـالم الآثـار، ٣٣، معجم المقحفي، ١٢٩.

حجور، وكانتْ أحوالُها مضطربةً وأمورُهـا غيرَ مرتبةٍ، وكثيرٌ من بَدْوِها باقون على الخلاف، وموالاة الإدريسي، فتمَّ بحميدِ سعْيِ المولى بدرالدين إصلاحُ الأحوالِ، وإزالةُ الاختلالِ والاعتلالِ، واستمالةُ جميعِ رجالِ مسروح[1] وأسلم[2] وعَبسٍ[3] وبني نوس[4] وغيرِهم مِنْ بَـدوِ تلك الجهاتِ، وإدخـالُهم إلى حظيرةِ الطاعـةِ، وأرقـاؤهم إلى غُـرفِ الصّـلاحِ، ومتـاجـرتُهم بـأربحِ بضـاعـةٍ، واستـولى سيفُ الإسلامِ، حفظـه اللهُ، على المدفعِ الكبيرِ الذي كـان لَديهم من مـدافعِ الإدريسي المسّمى برق لاح، فَنقَلـه إلى مقرِّ شقيقِـه المولى، سيفِ الإسلام بحَجَّـةَ، واستولى على غيرِه من المدافـعِ، ونقلهـا أيضـاً إلى حَجَّـةَ، وحصل المرادُ من إزالـةِ الاضطرابِ، ومحوِ طَـريقتِه المعـوجّة، وأبـدلَ أهلَ تلك الجهات ممـا كانـوا عليهِ بسلـوكِ واضحِ المحجـةِ، وأقبلَ عليـه النـاسُ أفـواجـاً لِما جُبِلَ عليـه من لينِ الخطابِ وسهولَةِ الجنابِ، وحُسْنِ التواضعِ، ومكارمِ الأخلاقِ العذابِ، واستقرَّ هنالك متنقلاً بينَ ظهرانيهم للإرشادِ، وتتبَّعِ ما به السّداد، وقلعِ أصولِ الإفسادِ وقتلِ جراثيمِ العنادِ والاضطهادِ/ على طريقةِ آبائه - عليهم السلام - وقد تلقّى / ٢٧٤
سيفُ الإسلامِ التهانيَ على ما تمَّ له من الظفرِ، و[1]وممَنْ هنّاهُ الأميرُ جمالُ الدين، عليُّ بنُ عبدِالله الوزير، فأرسلَ قصيدةً بديعةً مطلعها:

---

(١) مسروح: من بلاد حجور في محافظة حَجَّة، انظر، معجم الحجري، ٥٩١.
(٢) أسْلَم: نـاحية من قضـاء الشرفين بالشمال الشرقي مـن مدينـة عبس بمسافـة ٣٠كم، انظر، معجم المقحفي، ٣٠.
(٣) عَبْس: مدينة بالشمال الغربي من حَجَّة بمسافة ١١٣كم، بها مركز ناحية عَبْس التابعة لمحافظة حَجَّة، انظر، معجم المقحفي، ٤٢٥، الاكليل، ٢/ ٤٥٠، صفة الجزيرة، ١٣٥، ١٨٥.
(٤) بنو نـوس: نوُسـان: عُزلـة من ناحيـة كُحَلان الشرف، بـالشمال الشرقي من حَجَّة بمسـافة ٢٤كم، انظر، معجم المقحفي، ٦٦٨.

[١ - ١] من عبـارة «وممن هنـاه الأمير جمال الديـن حتى عبارة، وبـذرتـه الفكـرة فزكى نبـاتـه». سقطت من س.

[الوافر]

خـذُوا ليَ مِنْ لـواحِظِ ريم رامـه ... أمـانـاً فـالغنيمـةُ في السّـلامـة

فقـد أعيت عجـايبهـا عُتـولاً ... وفي تـركي عـلامتهـا عـلامـة

فكمْ أرْدَتْ مُصـارِعَهـا هُمامـاً ... وكمْ ردّتْ مـواضيهـا غَـرَامَـهْ

وكمْ ضَرَبَتْ بصـارِمِهـا عَميـداً ... وأدْرَكَتْ في حُشـاشَتِـه صرامَـهْ

ومنها في التخلص إلى المديح:

إذا مـا قيلَ خِلُّكَ مثلُ بَـدْرٍ ... أقـولُ أرى الهِلالَ لَـهُ قُـلاَمَـهْ

ولَيْسَ لـوصفِ غِـرَّتِـهِ شَبيـةٌ ... سـوى نجلِ الخلافـةِ والـزّعـامَـهْ

ومنها:

وأحْمدُ مَنْ غـدا للمَـدْحِ أهْـلاً ... وأمْجَدُ مَنْ غَـدا للمَجْـدِ هـامَـهْ

رَقى في العِلْـم شَأْواً لا يُضـاهى ... وأصْبَحَ ذروةُ العليـا مقـامَـهُ

فكمْ أوْرَتْ فطـانتُـهُ علـومـاً ... كما أرْوَتْ بسـالَتُـه حسـامَـهْ

وكمْ أجلى بصـارِمِـهِ ظـلامـاً ... كما أمحا بهمَّتِـهِ ظـلاَمَـهْ

ومنها:

أَلَيْسَ أبـوكَ كَعْبـةَ كلِّ فخـرٍ ... ودرةُ تـاجِ مَنْ حَمَل الإمـامَـهْ

وبـابُ اللهِ غـايـةُ كلِّ قصـدٍ ... وفُلْكُ النـورِ مِنْ هـولِ القيـامَـهْ

وحبلُ مَـنْ تمسَّكَـهُ بِصِـدْقٍ ... فقـدْ نـالَ السَّـلامَ مع السّـلامَـهْ

وإنَّكَ فِلْـذةُ النُّجبـاءُ طُـرّاً ... وأحَبُّ من تَتـوَّجَ بـالـزّعـامَـهْ

وهي طـويلةٌ نفيسـةُ النفسِ كـريمةُ الأصلِ ونجيبـةُ المَغْـرسِ، وقدْ أجـابَ المولى سيفُ الإسـلام على الأمير بقصيدةٍ مـن حجرِ الإمـامـةِ والملَكةِ خـرجتْ، فأبدَعَتْ مـا شاءَتْ وأبهجَتْ وفي أوّلِها إيماءٌ وتـوجيهٌ/ يُفْطَنُ لـه النبيه ومستهلُّ الجوابِ: ٢٧٥ /

[الوافر]

أبَـرْقٌ لاحَ مِنْ خلفِ الغمامَـةْ ... أم البَـدْرُ الـذي نَحّى لِثَـامَـهْ

أَم العِطْـرُ الـذّكـيُّ وروحُ مِسْكٍ ... رَوَتْـهُ الـرّيحُ عَنْ رَوْضِ الخُزامَـهْ

....

....

أم الطّـاووسُ مَـدَّ لَـهُ جَنـاحـاً ... أم القُمْـرِي المطـوَّقُ والحَمامَـهْ

أمِ الـدرُّ الثمينُ بجِيـدِ ظَبيٍ ... كَحيلِ المُقْلَتَيْن حَـوَى الـوَسامَـهْ

أمِ النَّظْـمُ البـديـعُ وأيَّ نظْـمٍ ... أرَدْتَ فما النّجـومُ حكَتْ نِظـامَـهْ

نظَـامٌ يسْحَـرُ الألبـابَ لُطْفـاً ... حَكَى في حُسْنِ بهجَتِـهِ الكمَامَـهْ

هـوَ السّحْـرُ الحلالُ يَشـوقُ مَعْنىً ... ويفْعَلُ مثـلَ أفعـالِ المُدامَـهْ

ومنها في المديح:

أميرُ الجيـوشِ مَنْ حـازَ المعـالي ... ومقـدامُ الجهـادِ أخـو الكرامَـهْ

ومَنْ قَهَـرَ العُـداةَ بكـلِّ صُنْعٍ ... فأفْنـاهُمْ وَجَـرَّعَهُمْ حُسـامَـهْ

ونـابَ عـن الإمـامِ منـابَ صِدْقٍ ... وإخْـلاصٍ فقَلَّـدَهُ زعـامَـهْ

وقـابَلَ كـلَّ مُعْضِلـةٍ بعَـزْمٍ ... ورأيٍ مُجَرَّبٍ وشبـا صرامَـهْ

وهلا بقيةٌ يدلُّ عليها ما وقعَ إثباتُهُ، وبذرتهُ الفكرةُ فزكى نباته[١].

وفيها في شهـرِ ذي القعدةِ المذكورِ، اشتعلَ بجيـزانَ نحوُ ثمانين بـرميلاً من البارود الذي تركه الأدريسيُّ مِنْ بقيةِ ما كـانَ النصارى يمدُّونَه بهِ لفعلِ العظائمِ بـالمسلمين، وإثارةِ الفتنـةِ بينَ الموحّدين، وتلفَ بـاشتعالِـهِ عددٌ من النفـوسِ، وكان ذلك مُصاباً جسيماً عندَ أعوانِ الضالّ مَحَقَ لهم كثيراً من الآمالِ والمَآل.

[١وفيها كانَ توجيهُ إدارةِ الأموالِ في جهاتِ رَداعَ إلى عهدةِ الحاجِّ محمدِ بن لطف السرحي، فتوجَّـه إلى محلِّ عملِهِ، ومعـه من رجَّحَ مولانا الإمـامُ تعيينَهُ مُعينـاً له، فحُمِدَ أثرُهُ، ودقَّ فيها نظرُه[١].

وفيها تـوفي الشيخُ صالحُ بن صالح الطيري باشـا بعدَ مرضٍ طال بـه منذُ عودِهِ / من السُـوّاديَّةِ، وكانَ المذكـورُ شَهْماً هُماماً، ونالَ في زمنِ الأتـراكِ حُظْوَةً / ٢٧٦

....

[١ -١] سقطت من س.

سمَتْ بِهِ إلى أنْ لقّبوه بالباشا، وهيَ من الألقابِ العاليةِ لديهم.

ولما أقبلَتْ دولةُ الإمـام - عليه السـلامُ - أقبلَ على الطاعـةِ بنُصحٍ ورغبةٍ، وتمَّ على يدهِ فتحُ نـاحيةِ جُبين[1] وناحيـةِ السُّوَّاديةِ المذكـورةِ قريبـاً، وهي آخرُ أعمالِهِ. وأوصى لمولانا الإمـام ببعضِ خيولِه النجيبةِ، فرعى مولانـا الإمامُ لذويه حقَّ نُصْحِهِ، وأبقـى شيخَ مخلاف العرْش[2] تحت نظرِهم بعـدَ تحقُّقِ ميلِ سكانِ المخلافِ المذكورِ إلى إبقاء رئاستهم عليهم.

وفيها في شهرِ ذي الحجةِ الحرامِ، تكـاثرَ جمعُ أهلِ تهامةَ، في مِلْحانَ، وانضمَّ إليهم أهلُ الجبلِ المذكـورِ وغيرهُم من أشرارِ أهل العنادِ، وكـانتْ محاطَ الاجنادِ الامامية في الظاهـرِ منْ مخلافِ الخبت، وفي أذرع من المخلاف المذكورِ، وما زالَ الحربُ مستمراً بينَهم وبينَ البُغاةِ، ولكنّه مقصـورٌ على المناوشةِ، وكثيراً ما حاولَ مشـايخُ مِلْحانَ استمالـة أهلِ الخبتِ[3] وحُفَـاش إلى جانبهم ليتمَّ لهم بـذلك جعلُ المعـادي في غيرِ بلادِهم، لأنَّهم كـانـوا يعرفـون أنَّ مـولانا الإمـامَ لا يتركَ قِتالهم وإخضاعَهم، فلمْ يتيسَّرْ لهم ما أرادوه مـن الخديعةِ والمكرِ بمَنْ جاوَرهم، فألحّوا على أهلِ تهامةَ بلزومِ الاستيلاءِ على الخبتِ وحُفاش عنوةً، وإزالةِ منْ فيه من جنـودِ الإمامِ تـوصُّلاً منهم لتلكَ البُغْيـةِ. وكـانتْ جنودُ الامـامِ في الظاهـرِ

---

(١) جُبَين: مدينـة من قضاء رَداع بـالجنوب الغـربي منها، انظر، صفـة جزيـرة، ٣١٥، معالم الآثار، ٩٣.

(٢) مخلاف العرش: عُـزْلة مـن ناحية رَداع في الجنـوب منها، انظـر، اليمن الكبرى، ١٨١، معالم الآثار، ٥٩، معجم المقحفي، ٤٣٨.

(٣) الخبت: يقع في نـاحية المحـويت وينقسم إلى عـدة عُزل منهـا، عُزلـة بني عمارة وجبع والظـاهر وعنس ونمـرة، ويحده المحويت غـرباً وملحـان جنوبـاً ولاعة والطـور شمالاً، انظر، حياة الأمير، ٦١٨.

وأذرع وأطرافِ حُفاش غيرَ يسيرةٍ، فتقدمَتْ جموعُ الباغين عليهم من مِلْحانَ، وقصدوا مَنْ في الظاهرِ وفي أذرع وفي حُفاش في يومٍ واحدٍ، واستمرَّ الحربُ أياماً بينَ الفريقين في تلك المحطات، ومنَّ اللهُ على المجَاهدين بالنَّصْرِ فهزموا الأعداءَ في جميع الجهاتِ إلى أنْ أرجعوهم، إلى مِلْحان، وقُتِلَ منهم عددٌ كثيرٌ ولمْ يصلُوا مما أجمعوا عليه إلى مرامٍ غير تيقُّنهم بأنهم سينالون جزاءَ غدرِهم ومكرِهم ونكْثِهم للعهود وتجاسُرِهِم على ما يُغضبُ الرَّبَّ المعبودَ، وأنهم لا يقدرون على دفعِ الجنودِ الإمامية، إنْ داهمتهم، وصدّهم عن الارتقاءِ إلى جبلهِم المنيع، ولذلك وجّهوا اهتمامَهم إلى تحصين الطرق المُدْخلةِ إلى الجبلِ، وعمّروا فيها المراتبَ القويّة، والمحلات المستحكمة، وظنّوا أنهم بذلك سينالون ما ابتغوه مِنْ/ الامتناعِ ومغالبةِ اللهِ تعالى ذي القدرة والإبداع. / ٢٧٧

وفيها جرى بينَ سيدي العمادِ وبينَ أهل عزلة البَكْرَة[1] من مخلاف عَمَّار اختلافٌ من أجل الواجباتِ، وجبايتِها، فأدّى ذلك إلى امتناعِهِمْ عن إجابةِ داعيه، وإرجاعِ مأمورِهِ منْ لديهم، وإخراجِه من محلاّتِهم، وترتيبها من طرفِهم، فأرسلَ عليهم الأميرُ العمادُ سيدي يحيى بن محمد بن عباس جماعةً من المجاهدين فقابلوهم بالحربِ، ووقعَ في المجاهدين القتلُ منهم، فرفعَ الأميرُ حقيقةَ الحالِ، إلى مولانا الإمامِ، واستمدَّ الأمرَ بما يجريه في شأنِهم، ولم ينحصرِ الخلافُ في عزلةِ البَكْرَة، بل تعدّى إلى غيرِهِ، وكادَ الشرُّ أنْ يستفحِلَ، فأمرَ مولانا الإمامُ السِّيدَ الأميرَ عبدَالله بن أحمد الوزير بأنْ يُرسلَ جُنْداً مِمَّنْ لديه من الأنصارِ، وكذلك صدرَ الأمر إلى سيدي العمادِ، فأتتْهم الجنودُ من كلِّ جانبٍ،

---

(١) البَكْرَة: عُزلة البَكْرة من ناحية الرَضَمة، شرق يريم بمسافة ٣٤كم، انظر معجم المقحفي، ٢٦٩، والبَكْرة أيضاً، قرية في خَوْلان الطيال من عُزلة بني شداد، انظر نفس المرجع السابق، ٨٣.

واستولى المجاهدون على المحلاّتِ التي رتّبوها بعدَ مناوشةٍ يسيرةٍ، ولم يَسَعْ [١] أشرارَ أولئك غيرُ الفرارِ، وكانَ مولانا الإمامُ قبلَ هذا قدْ وجّه إليهم رسائلَه الناصحةَ لهم، فأجابوا بأنّهم باقون على الطاعةِ، وإنّما هم يُريدون منعَ سيّدي يحيى بن محمد بن عباس من المداخلةِ في أمورِ مخلافِهم، ولا يَشكُون منه سوى ضيقِ الأخلاقِ، فلم يرَ إسْعافهم إلى ما أرادوا، لما في ذلك من الإخلالِ بالمصالحِ العامّةِ، وجلْبِ المفاسدِ، على أنَّ المباشرةَ بالحربِ وقتلَ المجاهدين لا يكونُ بمثلِهِ طلبُ رفعِ العاملِ، فلذلك صاروا في حاجةٍ إلى تقويمِ المعوجِّ من أخلاقِهم وتأديبهم، وكانَ ما ذكرْنا من إرسالِ الجنودِ عليهم وقبضِ أعيانِهم وأشرارِهِمْ، وانتهابِ المحلاّتِ التي استولى عليها الأجنادُ عُنْوةً وإلزامِهِم بديّاتِ مَنْ قتلوه منَ المجاهدين، وأُرْسُلت منهم جماعةٌ إلى حضرةِ الإمامِ، فوبَّخُهمْ وعاتَبَهُمْ، وبيَّنَ لهمْ قُبحَ ما ارتكبوهُ، فاعترفوا بذنوبِهمْ، وطلبُوا العفوَ مِنْ مولانا الإمام، فعفى عنهم وردَّهُمْ إلى أوطانهم، وقدْ أُعيدَ إلى مخلاف عَمَّار ما كان عليه من الصّلاحِ والسكونِ الجالبِ للمبتغي من الفَلاح.

وفي هذه السنةِ كان حادثُ معملِ الباروت، [١]وذلك أنّ مولانا الإمامَ - أيده اللهُ - مما وجّه إليه عنايته معملُ الباروت وترقيةُ صناعتِهِ ليتمَّ بذلك/ ٢٧٨ / الاستغناءُ عن الباروتُ الإفرنجي، لأنَّ صناعةَ الباروتُ في اليمنِ لم تزلْ على ما كانتْ عليه في الأزمنةِ القديمةِ من الانحطاطِ، وما يُستخرَجُ بها من الباروتُ لا يُجدي نفعاً في سوق رصاصِ البنادقِ وقُلَلِ المدافعِ العظيمةِ في أسرعِ وقتٍ إلى المسافاتِ البعيدة، وكانَ إسعادُ الافرنج إلى تمكينَ التّجارِ من جَلْبِهِ من قبيل المُحالِ، حتّى أنّهم كانوا يبنون على انقطاع ذخائر الحربِ لدن مولانا الإمامِ

....

[١ - ١] من عبارة «وذلك إن مولانا الإمام -أيده الله حتى عبارة فلم يبالِ بخطر قرب» سقطت من س.

الآمالَ، وأنّـه إذا كَمُلَ ما في يـدِ الأمام ممـا تركـهُ الأتراكُ فيما يجري من الحروبِ اضطـرَّ مولانـا الإمامُ إلى مخابـرتِهم بطلَبِ ذلك، وجاءَ أوان تحكُّمهِم واضطـرارُ الإمامِ للنزول على إرادتهم، فكانت العنايةُ التي بذلَها الإمامُ في هذا السبيلِ واقيةً من الوقوعِ - والعياذُ بالله - في أزمةِ الاحتياج إلى ما في أيدي الإفرنج.

ولعلّه قـدْ سبقَ ذكرُ أنَّ الـذي قامَ بأمرِ صنـاعةِ البـاروتِ رجلٌ من الأتراكِ اسمــه شــوكت بـك، وكــذلك الطبيبُ حسني بـك، وكــانَ لكلٍّ منهما محلٌّ مخصوصٌ وأعوانٌ من أهلِ البلادِ يقومون بها يـرشدُهم إليه استاذُهم. وفي النهايةِ انفردَ بـأعمالِ الباروتِ شوكـت بك وأعوانُه، وتـرقَّتْ صناعتُـه إلى أنْ وصلَ إلى درجة الباروتِ الإفرنجيِّ وقوّتِه، وتمَّ بذلك المرادُ بعونِ ربِّ العبادِ، واختير محلاً لصناعتِه والقيام بأعمالِهِ طـرفٌ من أبنيةِ المستشفى البلدي ، وهو غيرُ المستشفى العسكـري، بالقُـرْبِ من بستانِ دارِ مـولانا الإمـام، وجلبَ إليه مـولانا الإمـامُ مكاينُ تقومُ بـدقِّ الباروتِ حالَ صناعتِهِ بمدقّـاتٍ عظيمةٍ لا يقدرُ على رفْعِها والدَّقِّ بها الجماعةُ من الرجالِ، وإنما أمْكَنَ ذلـك بواسطة الآلات الهندسيةِ التي تُحركُها مـاكينة النار، واستمرَّ العملُ بها إلى أنْ طلَبَ الإذنَ شـوكت بك المذكورُ بالعـزم إلى بلادهِ، وكانَ بـه ضعفٌ ظاهرٌ من أثرِ إصـابةِ رصاصـةٍ وقعتْ فيه في بعض الحروبِ التي حضرهـا أيـامَ الحكــومـةِ العثمانيـةِ، وكُمنَتْ في جَسـدِه، واعتذرَ بتزايـدِ ضَعْفِهِ وألحَّ في ذلك، معَ أنّه قدْ قامَ بتعليمِ أعـوانِهِ إلى أنْ صارُوا يقـومون بأعمالِ المعملِ مِنْ دونِ حضـورِه، فأذِنَ له مـولانا الإمـامُ بالـرحيلِ إلى ديارِه.

وقامَ الرجـالُ المستخدَمون بأعمالِ المعملِ المذكورِ، وقـدْ كانَ عظُمَ الانتفاعُ بهِ إلى غايـةٍ، فوقَ المُؤمَّلِ، وكثرُ قدرُ مـا يُصْنَعُ فيه من الباروتِ يـوميّاً على صفةٍ

/ ٢٧٩ يُسَرُّ بها المؤمنون ويُرغَم/ بهِ الحاسدون والباغون.

وكان مولانا الإمامُ عظيمَ التفويضِ لله عزَّوجل في جميع الأمورِ، فلمْ يبالِ بِخَطَرِ[١] قُرْبِ ذلك المعملِ من دارِه السعيدةِ[١]، وقدْ مَنَّ اللهُ سبحانَهُ بوقايةِ خطرِ ما جرى في المعمل المذكور، فإنّه في بعضِ أيام هذه السنة عقيبَ الظهرِ، ومولانا الإمامُ قدْ دخلَ إلى الدارِ لتناولِ طعامِ الغداءِ، فلمْ يشعرْ إلاّ بصوتِ قارحِ الباروتِ من المعمل المذكور، وقدْ هُدِمَ بنيانُ المعملِ المذكورِ، فأمرَ مولانا الإمامُ بالمبادرةِ إلى إنقاذِ منْ فيه، فذهبَ لذلك جمعٌ كثيرٌ فأنقذوا منْ بقيَ فيه رمقُ الحياةِ، واستخرجوا منْ كانَ تحتَ الهدمِ، وقد كانَ في ناحيةٍ من المعملِ المذكورِ كميةٌ كبيرةٌ من الباروت تأخَّر نقلها إلى القصرِ السعيد، فلو اتَّصلَ الاشتعالُ بها لكانَ الخطْبُ جسيماً، وربّما وصلَ إلى الدارِ السعيدةِ، وما بجوارِهِ من البيوتِ، ولكنَّ وقايةَ اللهِ تعالى حَجَبَتْهُ عن الاشتعالِ، ولم يشتَعِلْ غيرُ ما كان من المدقّات، ولم يتّضِح سببُ ذلك تمامَ الوضوحِ لوفاةِ المباشرين للعملِ حال الاشتعال، وقدْ قيلَ: إنّه لتقصيرِ منْ يُراقبُ حالَ الباروتِ الذي في المدقّاتِ، فإنه يتعاهدُه حالَ الدقِّ بالتحريك والتنديةِ، ولولا ذلك لتولَّدتِ النارُ بينَ آلةِ الدقّ وقوابِلِها لثِقَلِ الآلةِ وشدّةِ وقوعِها في قوابِلِها، فكأنَّه قصَّرَ المراقبُ في ذلك، فتولَّدَتِ النارُ واشتعلَ الباروتُ الذي في المدقّاتِ، وكانَ ما ذُكِرَ، والذين تلفوا تحتَ الهَدْمِ وبالباروتِ أحدَ عشرَ شخصاً، ودُفِنوا في ذلك اليوم.

[٢] ومِنْ ألطافِ اللهِ تعالى وسعادةِ مولانا الإمامِ أنَّ رئيسَ العملةِ وهو الذي عليه المدارُ سَلِمَ من الفوت، وأصيبَتْ إحدى رجليه إصابةً كان يُظنُّ منها حصولُ تلفِه، فعولجَ وبرىء ممّا أصابه[٢]، وقد جدَّد مولانا الإمامُ بعدَ هذا الحادثِ بناء المعملِ المذكورِ في الصافيةِ العدنيةِ بجهةِ الجنوبِ من صنعاءَ،

....

[١] في س، والمجاور لجدار بستانها من جهة الغرب.   [٢ - ٢] سقطت من س.

وبمحلٍّ نـازحٍ من العمران، وجَعَـلَ فيه مكـانَ السّقـوفِ صفائحَ من ظـروفِ القاز المسمّى بـالتنكِ، لأنّه تبيَّنَ أنَّ أكثرَ الضّررِ كـانَ من انهدامِ السُّقوفِ على منْ تحتَها بترابِها وأخشابها، ومـا عليها من الأحجار، [1]وعاد المعملُ بهمةِ مولانا الأمامِ إلى ما كان عيه من القيام بأعمالِـه، ورعى الإمامُ الأرحامَ الذين تلفوا تحتَ الهدم حقَّ الخِدمـةِ، وفلمْ يزلْ يصلُهم بـالإحسانِ والتفقُّـدِ الناشيء عن الشفقـة ومحضِ الحنانِ، ومثلُ ما جرى كثيرُ الوقوعُ في المحـلاّتِ التي توجدُ فيها المعاملُ الكبيرةُ كبلدانِ الإفرنجِ، فقدْ بلغَ إلينـا/ أنّه وقعَ في معملٍ من المعاملِ المذكورةِ / ٢٨٠ اشتعـالٌ وانفجـارٌ تلفَ بـه آلافٌ من النفـوسِ ومنَ المعلـوم أنَّ السببَ الجزئيَّ الحقير في مثلِ هـذا يتكـوَّنُ عنـهُ الحادثُ الخطيرُ، فـاجتنـابُ الحزمِ في مثلِـه والاحتيـاطِ نـوعٌ مـن الـزّلِل يـوقعُ في الخَطَلِ، ومـا لا يقبلُ التـلافي من الضّررِ والوجل[1].

وفيها كـانتْ بينَ المجاهـدين وأهلِ بُـرَع وأعوانِ الإدريسي حـروبٌ متعددّة حوالي بُرَع وأطرافِ بلادِ الطَّعامِ من بعـدِ ارتفاع الجيشِ الذي تحتَ قيادةِ سيدي يحيى بن علي الـذاري عن تلكَ الأطـرافِ، ولَم يـزَلْ نـارُ الحربِ مشتعلـةً بينَ الفـريقين على الـدّوام، والنصرِ في جميعهـا لحزبِ الحقِّ إلاّ أنّـه لم يتيسّرْ مِنْ وراءِ ذلك الـوصـولُ إلى بُـرَع، بل اقتصرَ المستفـادُ من ذلك الجهـاد على منع سريـان الفتنـةِ إلى بـلادِ الطاعـةِ، وإصـلاحِ بعضِ العـزلِ التي كان أهلُهـا مـائلين إلى المخـالفين، وعن الرشـادِ منحـرفينَ حيثُ رأوْا أنْ لا منجاة لهم في غيرِ الانقيـادِ ومجانبة أهلِ العنادِ والفساد.

وفي هذه السنـةِ، في يوم السبتِ، السادسَ عشرَ، وقيلَ في يومِ الأحـد السابعَ

....

[١ – ١] من عبارة «وعـاد المعمل بهمة مولانـا الإمام حتى عبارة، التـلافي من الضرر والوجل» سقطت من س.

عشرَ من شهرِ ذي القعـدةِ الحرامِ، كانَ الغـدرُ بحجّاجِ بيتِ اللهِ الحرام من أهلِ اليمنِ الأعلى والأسفلِ من طرفِ جنـودِ أمير بلادِ اليَمامةِ ونجد، عبدالعـزيز بن عبدالـرحمن آل فيصل آل سعود في وادي تنـومة[1] وسدوان[2] الأعلى والأسفل من بلادِ بني شهر وأعمالِ عسير على مسافةِ ستةَ عشرَ يوماً من مدينة صَعْدَة.

وقـد ذكرْنـا فيما سلَف من حوادثِ آخـر السنةِ الماضيـةِ أنَّ الأميرَ حسنَ بنَ علي بن محمد بن عايض ثار بأصحابِ ابنِ السعودِ في عسير وفَتك بهم وطردَهم عنها.

وفي أوائلِ هـذه السنةِ وجّـه ابنُ سعود جماعـةً من أمـرائِه وأجناداً كثيفـةً إلى عسير لإخضـاعهـا، والانتقام مِنَ الأميرِ حسـن المذكور، فجـرتْ بينَ الفـريقين حروبٌ أسفرتْ عن هـزيمةِ أهلِ عسير مع أمرائِهم، واستيـلاءِ جنودِ ابن سعود على عسير، واخضاعِ أهلِها لطـاعتِهِ، وفرارِ الأميرِ حسن إلى خارِجهـا، وتقدّمتْ بعـدَ ذلك جنـودُ ابن سعـود إلى بلادِ بني شهـر، وكـانـوا مِنْ قبلِ ذلك هم ومـا وراءَهم بمعـزلٍ عـن تسلُّطِ ابن سعـود عليهـم، ولهم انتماءٌ إلى شريفِ مكـة الحسين بن علي بن عون، قيلَ لصهارةٍ بينَه وبينَ بيتِ الرئاسةِ فيهم، فكانتْ بينَ جنودِ ابنِ سعـود وبينَ أولئك حروبٌ، استـولى فيها جندُ ابنِ سعـود على بعضِها وجيشُه باقٍ على المرابطة بها.

ولما وصل أميرُ الحاجّ إلى أطرافِ البلادِ الإماميـةِ مع الحّجاج، كتبَ إلى أمراءِ النجديين مستـوضحـاً عن حـالِ طـريقِ الحجـاج، وإمكانِ الاجتيـازِ منهـا بقصـدِ التثبت في الأمـر

---

(١) وادي تنومـة: في بلاد بني شهر، موطـن غامد: في تُهامة (عسير)، على مسـافة ٢٨٠ كم من صَعْـدَة تبعد عـن أبها بمسافـة ١٥٤كم شمالاً، انظـر، صفة جـزيـرة، ٢٦١، قلب جزيرة العرب، ١٨٧.

(٢) سدوان الأعلى والأسفل: وادٍ في بلاد بني شهر.

/ والدخول في تلك البلادِ، وعلى بصيرةٍ ويقينٍ تـامّ من تعدّي أحدٍ عليهم، وإلاّ / ٢٨١ فالأحـوالُ فيما بينَ الإمامِ - عليه السـلامُ - وبينَ أميرِ نجدٍ لا يُشَمُّ منهـا رائحةُ الإرادةِ لأيِّ عدوانٍ.

وقدْ وصلتْ من الأميرِ عبدِالعـزيز بنِ إبراهيم[1] قائدِ جيشِ النجديين إلى حضرةِ الإمـامِ، بعـدَ استيـلائهِ على عسير، كُتُبٌ تفيـدُه اهتمامَهُمْ بتأمينِ طـريقِ الحُجَّاجِ وتيسيرِ مـرورِهم، وتسهيلِ سفرِهم، وأنّهم لا خـوفَ عليهم مما يجري في أطرافِ عسير. وعَلِمَ أميرُ الحاج بـذلك، وكثيرٌ من الحجاجِ، فعـادَ الجوابُ عليه من المذكـورين مـؤكّـداً لما سبقَ مـن التأمينِ، وأنْ يكـونَ سلـوكُهم في الطـريقِ المعتـادةِ، فلا يُـوْجَـدَ ما يمنعُ الحُجَّـاجَ من مـرورِهم منها، ويـوجبُ تحوُّلَهُمْ إلى غيرِها. وأنَّ أميرَهُم قـدْ سَبَقَ منه البيـانُ وهمْ واثقون بـاندفـاعِ الأخطارِ عنهم في سلوكِهم تلكَ الجادة.

وحينَ وصلـوا أطـرافَ البـلادِ التي تحتَ حـوزتِهم، تلقّـاهُمْ بعضُ أفـرادِ النجديين تلقـي المسالمةِ، فـزادَ اطمئنانُهم إلى أنْ تـوغّلوا في بـلادِ عسير، وصاروا على مقـربةٍ مـن اجتيازِهـا، وقـد بلَغَهُم أنَّ جيشَ النجـديين أمامَهـم، فاختـارَ بعضُهم العُدولَ إلى الطريقِ التي من السـاحلِ وانفردوا عن أصحابِهم، ولم يكُنْ بالساحلِ أحدٌ من النجديين فنجَوْا من الأخطارِ، ووصلوا إلى مكة.

وأما معظمُ الحّجـاجِ، وفيهم الأميرُ وغيرُه فسلكوا الطـريقَ المعتادةَ، وحطَّتْ القافلـةُ الأولى منهم في وادي تنومـةَ، والثانيـةُ والثالثـةُ في سدوانَ، وبينما هم في

---

(١) عبدالعـزيز بن إبراهيم، تـولى الإمارة على أبها بعد وفـاة أميرها سعد بن عفيصـان، وقد وصف بحزمـه الإداري، وقد عـزله الملك عبـدالعزيـز اثر شكـاية تقـدم بها عبدالله بن مفرح وعلي بن مشيبـة اللذين رافقا بن عائض في عـودته إلى الرياض سنـة ١٣٤٢هـ، وفي عهده وقعت حادثة الحجاج اليمنيين في وادي تنومة، انظر، أخبار عسير، ١٨٤.

أشغـالِهم مستغرقـون إذْ وصلَ إليهم جماعـةٌ من النجديين يحثّونَهم على تعجيلِ شدادِ أثقالِهم على دوابِّهم لينتقلوا.

وفي أثنـاءِ اشتغـالِهم بـذلك، طلَعَتْ عليهـم ألـوفٌ من جنـودِ ابنِ سعـود وأحدقـوا بهم من أعلى الوادي وأسْفَلِـه، ومن رؤس الجبالِ، ومنهـم على خيولِهم وإبلِهِم، ودنُـوا ممَّنْ بوادي تنـومـةَ، وتابعـوا على مَنْ بِـه الرميَ ببنـادقِهم من كلِّ جهةٍ، فاستُشهدَ معظمُ منْ كـان بهذا الوادي من الحجّاجِ، وقُتِلَتْ أكثرُ دوابِّهم، وأُخِـذَتْ أمـوالُهم، ولم يفـرَّ إلاّ اليسيرُ منهم، وكـانَ من بعضِهم المدافعـةُ عن أنفسِهم، ولكنَّ ذلك لم يُغْنِ شيئاً، لأنَّ أكثرَهُم عُزْلٌ من السّلاحِ، ثم عطفوا على القافلتين/ اللّتين بسدوانَ، وفعلوا بها كما فَعلوا في الأولى، إلاّ أنَّ القتلَ في الأولى كـانَ أكثَرَ من الأخـرتين، واستولى أولئـك العادون على جميع مـا كانَ في أيـديهم وأثقالِهم ودوابِّهم، ومَنْ أدركوه من الحجّاجِ قتلـوه صبراً، ومنْ نجا منهم بعدَ هذه الأهوالِ، تلقّاه أهلُ القرى القريبةِ من محلِّ الواقعةِ وسَلَبُوا ما عليهم من الثّيابِ. وجرى على الحجّـاجِ ما لم يجْرِ على الحجّاجِ حينَ داهَمَهُم أبـوطاهـر القرمطي[1]، وفعلَ ما فعلَ، وكانَ في هؤلاءِ الحجّـاجِ جماعةٌ من العلماءِ وفضلاءِ السادةِ وكثيرٌ من الضعفاءِ، رزقَهم اللهُ الشهادةَ، وزفَّهم إلى غُرَفِ السعـادةِ، وقلَّ أن تخلو قريةٌ من قـرى اليمنِ عن مصابِ بعضِ أهلِهـا بينَ هؤلاءِ الحجاج، ولم يتحقَّـقْ قدرُ الشهداءِ حتى الآن. إلاّ أنَّ المعلومَ أنَّ غالبَ أولئك الحجاجِ عمَّهُم القتلُ.

٢٨٢ /

---

(١) أبوطـاهر القرمطي: سليمان بن الحسن بن بهرام الجنـابي، أبوطاهـر ت ٣٣١هـ، تسلم قيادة الحركة القـرمطية سنة ٣١٠هـ في البحرين، كانت لـه معارك في البصرة والإحساء والحجاز، قتل الحجاج ونهب مكة والحجر الأسود سنة ٣١٧هـ، وارتكب خلالها فظائع ومجازر ضد الحجـاج، انظر، القرامطـة لعارف تامـر، ١٤٢، الكامل، ٨/ ٥٦٢٧، ٦٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٢٥، فوات الوفيات: ١/ ١٧٥.

ولمّا وصلَ هـذا الخبرُ إلى هـذه الأقطـارِ قوبلَ بـالغضبِ الشـديـدِ والحزنِ العـام، واهتَمَّ لها مـولانـا الإمـامُ اهتماماً عظيماً، وأخـذَ في تـدبيرِ مـا يكـونُ بـهِ الانتصافُ مع ملاحظةِ بُعد الشَّقَّةِ، وأن الخصم من أقصى نجد مجهول الصفة.

وفي أثناء ذلك وصلَ من أميرِ عسير مـا أفادَ التبرُّوَ من ذلك العمل القبيحِ، وأنَّ وقوعَه كانَ بغير اختيارٍ من أحدٍ من الأمراء.

ومثلُ هذا وصلَ أيضاً من أميرِ نجدٍ ابنِ سعود، وأفـادَ أنّه قد أمرَ بإرجاعِ ما أُخذ على الحجّاج، وطلبَ مـن مولانا الإمامِ إرسالَ من يقبـضُ ذلك، وكانَ هذا الإرسالُ في أوّلِ العام الآتي. وقد وصلَ المرسَلون مـن طَرفِ مولانا الإمامِ ببعض المنهـوباتِ من دوابَّ ومنقـولاتٍ، وبعضِ قيم السَّمْنِ، وما زالـوا مُصرِّين على استنكارهم الواقعَ وتنصُّلِهم من تبعـةِ ما جرى، ونسبتِه إلى فـريقٍ من بدو نجدٍ يُقال لهم آل العطعـوط، وأنهم باذلون للإنصـاف، ومولانا الأمـامُ رأى المصلحةَ في تحكيم ابنِ سعـود فيما جـرى، ولعلَّه بمنِّ اللهِ تعـالى يتمُّ الانتصـافُ مِمَّن فعلَ هذه الأفـاعيلَ، وقـد سبق/ لنا ذكـرُ بعضِ أحوالِ هـؤلاءِ الطائفـةِ وأفعالِهم في حروبِهم، وأنَّ أعظمَ مـا يشنِّعُ عليهم من مذهبِهم تكفيرُ أهلِ القبلةِ منـذُ قرونٍ عديدةٍ. / ٢٨٣

وقدْ كانتْ لهم في أوائل القـرن الثاني عشر صولةٌ عظيمـةٌ إلى أن أمرَ سلطانُ العثمانيين في ذلك التاريخ محمـد علي باشـا الأرناؤوطي[١]، والي مصر، بالتجهيزِ

---

(١) محمد علي بـاشا بن إبـراهيم آغـا بن علي، المعروف بمحمـد علي الكبير ت ١٢٦٥هـ، مـؤسس آخـر دولة ملكيـة في مصر، البـاني الأصل، من قـوله، احترف تجارة الـدخـان فأثرى، صعد حتى أصبح والي مصر سنة ١٢٢هـ ثم انفـرد بحكم مصر، انتدبته الدولة العثمانية لقتـال حركـة التوحيـد الوهـابية، في الجزيـرة العربيـة، انظر سيرته لعـدد من المؤلفين، تاريخ مصر السياسي لمحمد رفعت، ٧٤.

عليهم ومحاربتهم، فطـردَهم من الحجـاز، وسـاقَ الجيـوشَ عليهـم إلى نجـدٍ، وحاصرَ ابـنَ سعودٍ جـدِّ هذا في الـدِّرْعِيَّة[1] وضايَقَـه إلى أنْ خرجَ مستسلماً إلى أيدي جنودِه، فأرسله إلى الأستانة وقُتِل هناك صبراً، وخَمَدتْ جمرتُهم.

وفي أوائلِ هذا القرنِ تحرّكُوا للظهورِ عندما أحسُّوا بوهنِ الأتراكِ، ولكنهّم لم يتحركوا مـن نجدٍ، وانتموا إلى الانجليزِ ومصادقتهم، فلـمْ يتعرَّضْ لهم الأتراكُ، إلاّ أنّهم قوُّوا جـانبَ ابنِ الـرشيد[2] في حائل[3]، وجعلُـوه كالضـدِّ للمذكـورِ وجيلِـه إلى أنْ طُـوِيَتْ سلطـةُ الأتراكِ من العـراقِ والحَرَمين، فمـدَّ يـدَهُ إلى ابنِ الرشيدِ وبلادِه، فطواهُ وأدْخَلَهُ في خبرِ كان.

ثم كانَتْ بينَه وبينَ الشريفِ[4] واقعةٌ في تَربة[5] من أطرافِ الحجازِ، فأوقَعَ بجندِ الشريفِ واستأْصَلَهُم قتـلاً، ولمْ ينجُ أميرُ جندِ الشريفِ، وهـو ابنُه الشريفُ عبدُ اللهِ، إلاّ في نفـرٍ يسيرٍ، وقد قيـلَ أنَّ قتلى هذه الواقعـةِ زُهاءَ أربعـةِ آلافَ قتيلٍ، وبعدَها كان ما ذكرناه من وقائع عسيرٍ ويام، وما وقعَ با لمحمل اليمني هذا العام.

---

(١) الدِّرْعِيَّة: قـرية من نجد، منها انطلقت حركـة محمد بن عبدالوهاب، عاصمـة الدولة السعوديـة الأولى، هدمـت عام ١٢٣٣هــ/ ١٨١٨م اثر هجـوم محمد علي بـاشا والي مصر عليها، أعيد بناؤها اليوم انظر، قلب جزيرة العرب، ١٥٤.

(٢) ابن الرشيد: كان أمير آل رشيد، محمد بن طلال بن نايف بن طلال، وآخر من استسلم لقوات الملك عبدالعزيز، نقل إلى الرياض أسيراً، انظر، تاريخ نجد ومحلقاته، ٢٩٨.

(٣) حائل: عاصمة آل رشيد آنذاك، في نجد.

(٤ – ٥) تربـة: كانت وقعـة تربـة في شعبان ١٣٣٧هــ بين عرب نجـد (الاخوان) وجيش الأمير عبدالله بن الحسين، هزم فيها الأمير، نجا وبضعة من رجاله، وتربة على مقربة من الطائف، مفتـاح الطائف، انظر، ملوك العـرب، ١/ ٥١، تاريخ نجد وملحقـاته، ٦٩، ٢٤٤ – ٢٥٧، أسرار الثورة العربية الكبرى، ٣١١، ٣٢١ – ٣٢٣.

وبلغَ أنَّ الانجليزَ عقدوا بينَ هـذا أميرِ نجدٍ، وبينَ ملك العـراقِ الشريفِ فيصلٍ معاهدةً من مقتضاها: [الإبقـاءُ على كلٍّ] ما تحتَ يدِه من البلادِ، وبتمام هذا وَقَفَ جوادُ القلمِ مستريحاً من بيانِ حـوادثِ هذه السنةِ والماضيةِ بمعظمِ ما حصلَ فيها من الوقائعِ والحروبِ.

و[٢]ممّا وقعتُ عليـه من شعرِ الفقيهِ الأديبِ أحمدَ بن صـالح الجلال في هذا العامِ مادحاً للإمام - عليه السلامُ - قـولُه من قصيدةٍ يشكو في أوائلها ضائقتَهُ واضطرارَهُ إلى أنْ قال: [الخفيف]

أتُعـــاني الخطـوبَ واللهُ قَــدْ منَّ ... علينـــا بـــالأوْحـــدِ المُخْتـــارِ

ذِي المَقـــامِ الـــرّفيعِ والمِنْبرِ العـــا ... لِي الشّريفِ الشريفِ شمسِ النهـارِ

العمادِ المرادِ ذِي الشَّرَفِ الأعـــــــ ... لا وذي المكـــرُمـــاتِ والأَنْـــوارِ

خيرُ مَنْ فيـــــــه أوْدَعَ اللهُ سِراً ... فهـــوَ في سرِّ مُـــــوْدَعِ الأسرارِ / ٢٨٤

الإمـــــامُ الجَليلُ قَـــــدْراً ومَجْداً ... وسَليـلُ الأئِمّـــــةِ الأطهـــــارِ

ومنها:

حيٌّ يحيى ومَنْ بــــهِ الحقُّ يحيـــا ... فهــــو لِلْخَلْـقِ كـــالحيـــا المِدْرارِ

أَنْتَ منْ جـاءَ بـالعُجـابِ ومَنْ تُـوِّ ... جَ دونَ الأنـــــام تـــاجَ الفخـــارِ

طــــــابَ من طيبِكُـم نهاري ولَيْلي ... وبِكُمْ يـا ذَوي الفخـــارِ انتصـاري

ووُقــــــوفي إذا وَقَفْـتُ على البـــا ... بِ وقـوفَ الحَجيجِ هـذا اختيـاري

وإلى ذَوي الجَلالِ ثـــمَّ إليكـــمُ ... ســادتي مِـنْ حـريقِ نـاري فـراري

لمْ تـزالـــوا الكـرامَ سَلْماً وفي الهيجـا ... إذا هـــاجَتِ الأُسودُ الضَّـــواري

وبكُمْ تكشَّفَـتِ الكُـــروبُ وفيكُمُ ... طـــابَ للـــزّائرين خيرُ مـــزارِ

---

[١] في س، الحسين بن علي بن عون.

[٢ - ٢] من عبارة «ومما وقفت عليـه من شعر حتى عبارة وممن توفي شهيداً في هـذا العام في واقعة تنومة وسدوان» سقطت من س.

وله من قصيدة أخرى مطلعها: [الطويل]

سـلامٌ على المولى الإمـامِ سفـورٌ وخيرُ مَـزورٍ في الكِـرام يَـزورُ
سـلامٌ على يحيى الـذي بحيـوتِـهِ غـدا الحقُّ يحيى والضّـلالُ يَبـورُ
سلامٌ على ذي المكرماتِ وذي النُّهى وذي الفَضْل وجـهُ الفضلِ فيه منيرُ
أَقَمْتَ إمـامَ الحقِّ كلَّ كـريمـةٍ إذا عمَّ أربـابَ الكمالِ قُصـورُ
سبقْـتَ إلى المَيْـدانِ سبـقَ مُبَرِّزٍ وأنتَ بسَبْقِ السـابقين جَـديـرُ
وزاحَمتَ أهلَ السَّبْقِ في فضلِ سَبْقِهم فما ضَرَّ أنَّ العَصْرَ منـك أخيرُ

ومنها: وهو حسنٌ:

أيـا بـدرُ تمَّ يصغُـرُ البـدرُ عنـدَهُ وكـلُّ عظيـمٍ في سـواهُ حقيرُ
لكَ الشّرفُ الأعلى على كلِّ فـاضلٍ وكـلِّ كبيرٍ فيَّ مـداكَ صَغيرُ
٢٨٥ / إليك انتهى المعروفُ والجودُ والنّدى ومـالَكَ في الأقطـارِ قطُّ نظيرُ
ظفِـرْتَ بأنـواعِ المكـارمِ والعُلى وأنتَ بـأنـواعِ الأمـورِ بَصيرُ
شعـارُك تقـوى اللّـهِ جلَّ جـلالُـه ومـالَـك بـالإعـراضِ عنـه شعـورُ
وانتَ إمـامُ المتّقينَ وسيِّـدُ الـمحقّين مجرى العَـدْلِ لستَ تجورُ
عـلاَ بِكَ هـذا الأمـرُ رُكْناً وإنّـه لَقَبْلَكَ في أيـدي الطّغـاةِ أسيرُ
أيـا قمـرَ الإسـلام طِبْتَ مُطـالِعـاً ومِنْ نـورِك الأسنى تُنيرُ بـدورُ
حَمَيْتَ حمى الإسـلامِ بـالمَرْتِ مـرّةً وبـالسيفِ أخـرى والكبـارُ تخورُ
ودوَّخْتَهـا شـامـاً وشَرْقـاً وعكسَ ذا عليـكَ منَ اللّـهِ العسيرُ يسيرُ
إذا حـوربَ الإسـلامُ قُمْتَ بأمـرِه تـدورُ معَ الإسـلامِ حيثُ يَـدورُ
وأنتَ لِـدينِ اللّـهِ دِرْعٌ ومَعْقِلٌ حصينٌ وسيـفٌ لا يكَلُّ وسـورُ
وأنتَ الـذي تسعى السعـادةُ نحـوَهُ وأنْتَ على الـدّيـن الحنيفِ غَيُـورُ

....

....

لقدْ سُدْتَ ساداتِ الـورى ومُلوكَها ... لكَ الفخرُ تـاجٌ والصّلاحُ وزيـرُ
دعَـــوْتَ إلى دارِ النّعيم إذا دعـى ... إلى النـارِ منْ أهلِ الضّــلال كفـورُ
وأنتَ دليـلُ الخيرِ إنْ غـارَ مــاؤُهُ ... ومــا عِشْـتَ فينـا قـطُّ ليسَ يغُـورُ
لَقَـدْ طِبْتَ أخـلاقـاً حِسـانـاً جمالُها ... إلى نَعْـــتِ خيرِ المُرْسلين يُشيرُ
مقــامُكَ مَحْمــودٌ شريفٌ مقــدَّسٌ ... وعِـرْضُكَ مِنْ حُسْنِ الثّنـاءِ عَطيرُ
رعى اللهُ مــولانـا ومـالِكَ أَمْـرِنـا ... لــديـه مِنَ العِلْـمِ الغـزيـرِ نميرُ
وليسَ بمحتـــاجٍ إلى علـمِ غيرِهِ ... وكـلٌّ إلى علـمِ الإمـــامِ فقيرُ
لقــدْ زانَــهُ حِلْمٌ وعِلْمٌ أمـا تَـرى ... تــواضُعَــهُ لِلقَـوْمِ وهــوَ خطيرُ
إمــامَ الهدى عُــذْراً فإني مُقَصِّرٌ ... وإنّ لســـاني عَنْ مَـداكَ قَصيرُ / ٢٨٦
حماكَ إلَـــه العــالمين كما حَمَى ... بكَ الـدّينَ فهــو اليـومَ منكَ نَصيرُ

ولها بقيةٌ، ولـه من قصيدةٍ أخـرى في مديحِ مولانـا الإمامِ - عليـه السلامُ - ومستهلها: [الرمل]

أيُّها الـــداعي إلى خيرِ سبيلِ ... وأخـا العَلْيـاءِ والمجْـدِ الطّـويل
يــا ابنَ أربــابِ المعــالي والتُّقى ... مِـنْ نبيٍّ وأمـــامٍ ورســـولِ
يــا إمــامـاً مِـنْ إمـامٍ فـاضلٍ ... ذي رَشــادٍ وجليلٍ مِنْ جليلِ
طِبْتَ فيمَـنْ طـابَ مِـنْ آبـائِكَ النُّجُـبِ الأقطـابِ أعــلامٍ الفُحـولِ
كُلّكُم مـــا بينَ داعٍ مُــرْشِـــدٍ ... مِـنْ إمــامٍ ذي قيـــامٍ ومقيـلِ

ومنها:

أنْـتَ مَنْ فـــاقَ ومَنْ راقَ ومَـنْ ... بلغَ الغَـــايـــةَ مـن كلِّ جميـلِ
أيّها البـدرُ الـذي جـلاّ الـدُّجى ... لَسْتَ بـدراً ذا طلـوعٍ وأُفـولِ
إنّما أَنْـــــتَ سراجٌ نيّرٌ ... صَــــادِعٌ في كـلِّ صبحٍ وأصيـلِ

....

....

أنت ذو رأيٍ سـديـدٍ صـائبٍ في ذهـابٍ وإيـابٍ وقفـولِ
أنْتَ خيرُ النـاس طُـرّاً لمْ يَـزَلْ منكَ وصفُ الخيرِ ذا شرحٍ طـويلِ
لستَ في الإقـدامِ والإحجـامِ والـ عَقْـدِ والحلِّ لعمْـري بجهـولِ
ومنها:
يـا فـريدَ العصرِ مـا في عصرنـا لكَ مـن شِبْـهٍ ومِثْلٍ وعـديلِ
يـا حليفَ العِلْـمِ والفِطْنـةِ يـا خيرَ شيخٍ في فُـروعٍ وأصـولِ
يـا إمـامَ العصرِ يـا ذا الفتحِ والنَّصْرِ والتَّمكينِ يـا طِبَّ العليلِ
جـاهَـدَ الكُفّـارَ بـالسَّيْفِ ومـا أنْتَ يـا يحيى عليهم بـوكيلِ
أنْـتَ في نصرٍ مـن الله بـهِ غـايـةُ الغنيـة عـن نصرِ يكيل
لم تَـزَلْ في مَـدَدٍ مِـنْ عَـدَدٍ ومِنَ العُـدَّةِ في أمـرٍ مَهُـولِ
قـدْ ملكْتَ الشَّرْقَ والغـربَ معـاً مِنْ جبـالٍ ونُجـودٍ وسُهـولِ
يـا نـزيـلَ الفَضْلِ والخيراتِ في سَفْحِ صنعـا طِبْتَ يحيى من نَـزيلِ
أنتَ مَـنْ عنْهـا أزالَ البـأسَ والـ بُـوسَ والإلبـاسَ يـا خيرَ مُـزيلِ
شَرُفَـتْ صَنْعـاً بيحيى مِثْلَما شَرُفَتْ طيبـةُ بـالهادي الجليلِ
زادَهُ اللهُ ثبـاتـاً مَعَـهُ دَرَكُ الخيراتِ في ظـلٍّ ظليـلِ
في مقـامٍ بـالمعـالي قـائِمٌ ومَقيـلٍ حَسَـنٍ خيرِ مقيـلِ
وصـلاةُ الله تغشى المُصطفى خيرةِ الخيرةِ مِـنْ خيرِ قبيـلِ
وعلى الكّـرارِ نفسُ المصطفى وأخيـه المرتضى زوْجُ البتـولِ
وعلى الآلِ مصـابيحُ الـدُّجى سـادةِ السـاداتِ أطـوادِ الجميلِ

ومِمّنْ مدَحَ مولانا الإمامَ - عليه السلامُ - في أثناءِ هذا العامِ القاضي الأجلّ الهُمام محمدُ بنُ يحيى بنِ محمد بنِ عبدالله الإرياني، حـاكمُ ناحيةِ جُبن، فإنّه رَفَعَ

/٢٨٧

....

....

إلى الإمام ما تراه من النّظام: [الرمل]

كهْربـا شَـوْقي لِنَـوْمي قـدْ أطـارا ورَمى بينَ ضلـوعي منـه نـارا
إذْ دَعـاني في الحِمـى داعي الهَوى وبِطَـرْفَيْـهِ إلى نحـوي أشـارا
فـانثنى طَـرْفي إليـه نـاظـراً وصَبـا قلبـي فلبّـاهُ جَهـارا
فَسقـاني مِـنْ معـاني لفْظِـهِ بكـؤوسِ الحبِّ مِنْ فِيـهِ عَقـارا
وتجاذَبْنـا أحـاديثَ الهَوى دُرَراً تُفْتَضُّ منهن العَـذارى
ونظمنَـاهـا بسلكِ المَدْحِ في وصْفِ مـولانا الـذي حازَ الفَخـارا
الإمـام المتّقى مـن حيـدرٍ فـالِقِ الهام إذا مـا النقْعُ ثـارا
مِلـكٌ للمُلْـكِ أوْرى زِنْـدَهُ وبنى للمجْـدِ فـوقَ النّجْمِ دارا
خـائضُ الحربِ التـي نيرانُها تتلظىَّ بَطَـلٌ يحمي الـذّمـارا
عَلَـمٌ أذكـى مصـابيحَ الهُدى بمـواضي عَـزْمِـهِ حتّى اسْتَنـارا / ٢٨٨
لَـوْذَعِيٌّ حَـازَ عِلْماً وتُقـىً ألْمَعِيٌّ جَلَّ قَـدْراً واقْتِـدارا
نَشَرَ العِلْـمَ الـذي كَـفَّ البِلى قـدْ طَـوَتْـهُ وتسـامى أنْ يُجارى
أنقـذَ اللهُ بـه الـدّينَ وقـدْ طبَّقَ الجهـلُ على الـدين الغُبـارا
فنفى عنـهُ غـرابيبَ الـدُّجى بصبـاحِ الحقِّ إذْ عَـمَّ انتشـارا
لـو أعـارَ البَـدْرَ في نُقْصـانِـهِ مِنْ سَنـاهُ مـا شكَـا البـدرُ السّرارا
لا يحلُّ الجودُ إلاّ عنـدَهُ ويسيرُ المجـدُ إلاّ حَيْثُ سـارا
كُلّما أنْفَـذَ جَيْشـاً لِلْعِـدى شَحَـذَ النّصرُ من السيفِ القـرارا
فتَرى أعـداءَهُ يـومَ الـوغى في ضـلالٍ لا يُطيقـون الفِـرارا
فهمـوُ بينَ أسِيرٍ مُـوْثَـقٍ وقَتيلٍ في ثـراهـا قـدْ تـوارى
وملـوكُ الأرْضِ لَمّا عَـرَفَتْ عَجْزَهـا عنْ حَرْبِـهِ قـامَتْ بـدارا

....

....

نحــــوَهُ تخطِبُ منــــهُ وُدَّهُ   وتُــرَجّي منه قُـرْبـاً وجِـوارا
وإذا رامَ عِنــــاداً خصْمُـــــهُ   جــالَ في أحشـائِهِ السَّيْفُ وغـارا
ولقــدْ حــازَ المعــالي والعُلى   فَغَــدا فــوقَ السِّماكَيْن منــارا
أيّها العــــاذلُ دَعْني أجْتني   مِنْ ريــاضِ المَدْحِ للمــولى ثِمارا
يَجْلِبُ المَعْنى لِفكْــري نَعْتَــهُ   فأرى الألْفــاظَ نحــوي تتبــارى
يــا إمـامَ العَصْرِ يـا ذا الفَضْلِ يـا   مُفْــزِعَ الخَلْقِ إذا مــا الخطْبُ دارا
ليسَ إلاّ فيكَ شِعْــري قــدْ جرى   عـذْبُـه مِنْ بعـدِ ما كـانَ قَطارا
فأَقِلْنــي سيّــــدي مِنْ عَثْـــرتي   وتَــداركْنـي فإنَّ الــدَّهْــرَ جـارا
هــاكَهـا عقــدَ لالٍ صُغْتُــهُ   وظـلامُ الليلِ يَـزْدادُ اعتِكـارا
فحسِبْتُ الصبحَ منهـا طـالِعـاً   بِضيـا مَـدْحِكَ إذ فيهـا أنـارا
289/ فــاعفُ عمّا قَصَّرَتْــهُ فِكْــرتي   زادَكَ الــرحمنُ حِلماً ووقــارا
وبقيتَ الــدَّهْــرَ غَـوْثـاً للـورَى   في المُلِمّاتِ وكهْفـاً مُسْتجـارا
راقيــاً أعْلى مِنصَّــاتِ الـوَرى   تسحبُ المطـرَفَ عِـزّاً وافتخـارا
وبعينِ اللّــهِ محروســاً على   أمَـدِ الأيـامِ ليْــلاً ونهارا

ومما وقعتُ عليه لمولانا إمامِ الزمان - أطال اللهُ مدَّتَهُ، وحرسَ مهجَتَهُ - جوابٌ على تهنئةٍ، وصَلَتْ إليه من الأميرِ جمالِ الدين، سيّدي عليِّ بنِ عبدِالله الوزير، ولم أعثُرْ عليها حال التحرير، والجوابُ المذكورُ هو ما تراه إماماً للكلام، لأنّه مِنْ كلامِ الإمامِ - عليه السلام:-   [البسيط]

للهِ مــا رَقَمَتْ يُمْنــاكَ مِنْ كَلِمٍ   فيهــا تَـلألأَ دُرُّ القــوْلِ مُنْتَظِما
بَعَثَتْ فيــهِ هنــاءً جلَّ مَــوْقِعُــهُ   حُسناً وطـابَ الذي أهـداهُ مُنْسجِما
وفـاحَ منْــهُ أريجُ اللُّطْفِ وابتَسَمَتْ   لــه ثغــورُ الثّنـا وازْدانَ مــا رقِما

____

....

____

....

فَلْيَهْنَك العيـدُ لا زِلْتَ الموفَّقَ في كلِّ الأمـورِ ولـلإقبالِ مُلْتَـزِمـا
وجـدَّدَ الله أعيـاداً لنـا ولكُمْ تكـونُ للنَّصْرِ عنـوانـاً ومُخْتَتَما
ثمَّ السـلامُ عليكُـمْ كلَّ آونـةٍ ورحمةُ اللهِ مـا انهلَّ الحيـا وهَمَى

ومِمَّنْ توفي شهيداً في هـذا العام في واقعة تنومـة وسدوانَ سيّدي العمادُ يحيى بنُ أحمدَ بنِ قاسم بنِ عبدالله حميـدالدين، رحمه اللهُ، نشأ في طاعةِ اللهِ، وأقبلَ على طلَبِ العِلْم، و[١حصلَ على المشـايخِ الأعـلام - كـا لمولى شيخِ الإسـلامِ وغيره، وقد كانَ أشرفَ على النُّبـوغ، وهو في سنِّ الشبابِ، فقصـدَ الحجَّ في هذا العام - فتوفي شهيداً مظلوماً على أيدي أولئك المعتدين١].

وتـوفي أيضاً، الفقيـهُ الفاضلُ الـورعُ ذو التّقْوى، والـزّهادةِ والأعـراضِ عمّا سـوى العبـادةِ، ومـلازمـةِ التـدريس والإفـادةِ الأخُ أحمد[٢] بن أحمد السيـاغي الحَيْمي(١)، شهيـداً في الـوقعـةِ المذكورةِ، كـان المذكـورُ منقطعـاً إلى التـدريسِ ومنقبضاً عن المخالطةِ، لا يَهُمّهُ غيرُ علمٍ يمليـه أوْ يستمليه، وعكوفاً على كتابِ اللهِ وترديدِ مثـانية، وقرأ على جميعِ المشايخِ العظامِ، منهم: والـدُهُ/ شيخُنا الفقيهُ العلامةُ المجتهدُ أحمد السياغي والقـاضي العلامةُ عليُّ بنُ حسين المغربي، رحمهما اللهُ تعـالى، والمولى العـلامـةُ قـاضي القضـاةِ الحسينُ بنُ علي العمـري، فسحَ اللهُ مدَّتَـهُ وأدامَ بركَتَـهُ، والمولى شيخُ الإسلامِ، القـاضي العلامـةُ عليُّ بنُ علي اليماني / ٢٩٠

(١) أحمد بن أحمد بن محمـد بن يحيى السيـاغي ت ٦ ذي القعـدة ١٣٤١ في وقعـة تنـومـة وسـدوان كان غـاية في الـزهد والـورع، فقيهـاً، ملازمـاً للدرس والتـدريس، ولد سنـة ١٣٠٣، نزهة النظر، ٥٠، تحفـة الاخوان، ٤٥، المقتطف من تاريخ اليمن، ٢٢٣، هجر العلم، ١٥٣٠.

[١ - ١] سقطت من س.
[٢] وردت أخبـاره في س، في سطـر واحـد. «كان منقطعـاً للتـدريس، رحمه الله والمؤمنين وكـافـة الشهداء».

وبلغ شأواً رفيعاً من التحقيقِ، وانتفعَ به الكثيرُ من الناس.

وفي هذه السنـةِ عزمَ لإداءِ فـريضةِ الحجّ وعذَلَـهُ كثيرٌ من عارفيـهِ عنِ العزْمِ من طريـق البرِّ، وأرشدوه إلى سلوكِ طـريقِ البحرِ، لأنها أقـربُ مؤنـةً وأقلُّ كُلفةً ومشقـةً، فصمَّـمَ على القصـدِ من طــريقِ البرِّ وقـوّى منــه الإرادة، فكتب اللهُ الشهـادةَ، وسنُّـهُ لم يصلْ إلى الأربعين من السنين، رحمه اللهُ تعـالى، وأكـرمَ نُـزْلَـهُ وأهلَكَ من اعتدى على مثلِه وأهلِه.

[١] ومِمّا بلغَ إلينا من حوادثِ الآفاقِ، ما كانَ في البلادِ المصرية، فإنّ الانجليزَ مِنْ قبلِ نحوِ ثـلاثين عاماً، لمّا وَقَعَتْ فتنةُ عـرابي باشا[1] توسّلوا بإخمادها إلى وضعِ أيديهم على الأقطـارِ المصريةِ، وأبقوا جيشـاً سَمَّوْه جيشَ الاحتلالِ في القـاهرةِ، وصارَ الخديوي ووزراؤه في حكم المحكوم عليهم، لا ينفّـذون إلاّ ما طابقَ هوى الانجليز، وأُبقيَ اسمُ السّيـادةِ للدولةِ العثمانية، ولهمْ منْ حاصِلهـا مبلغٌ تسلِّمُه الحكومـةُ المصرية إلى خزينـةِ الدولـةِ العثمانيةِ في كلِّ عامٍ، ولـدوامِ السكونِ في

(١) المقصـود أحمد عـرابي بن محمـد عـرابي بن محمـد وافي بن محمـد غنيم ت ١٣٢٩هـ/ ١٨٤١م، زعيم مصري، كان لـه دور بارز في تـاريخ مصر الحديث، بلغ رتبة أمير الآي في الجيش المصري سنة ١٢٧١هـ، رفع مطالبـه ونفر من الضبـاط ضد تسلط المماليك الجراكسة سنة ١٢٩٨هـ، إلى رياض باشا رئيس النظـار حوكم ورفيقه بسبب ذلك إلا أن رفـاقـه في الجيش حـاصروا ديـوان المحكمـة وأخـرجـوهم، واثـر تـواصل حـركتـه الاصلاحيـة، احتل الانجليـز مصر سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م بعـد معركـة التل الكبير، وألقي القبض على أحمد عرابي ونفي إلى سيـلان حيث أمضى ١٩ عامـاً، وعاد إلى مصر زمن الخديوي عبـاس سنة ١٣١٩هـ ولد في قـرية هريـة رزنة من قرى الزقـازيق انظر، الاعلام، ١/ ١٦٨، أعلام الجيش والبحرية، ١/ ١٢٨.

[١ - ١] من عبارة «ومما بلغ إلينا من حـوادث الأفاق حتى عبـارة ودخلت سنة ١٣٤٢» سقطت من س.

تلك الجهاتِ، وخِصْبِ أراضيها تمكَّنَ المصريون من بلـوغ ثروتِهم العامّةِ درجةً تُوازِنُ ثـروةَ أغنى دولِ الإفرنج، وأكثـروا مِنْ زراعةِ الأقطـانِ، حتى صارَ القطنُ المصريُّ يُحْمَلُ إلى العالمِ، وتزايدَ عددُ النفـوسِ في ذلك القطرِ، فبعدَ أنْ كانَ عددُ نفـوسِهم في أولِ إحصاءٍ وقعَ في أيـام الخديوي محمـد علي باشـا قبلَ نحوِ مئـةِ عامٍ، مليـونين وخمسَ مئةِ ألفٍ، تـزايدَ عـددُ نفوسِهم إلى أنْ بلغَ في هـذا الزمنِ أربعةَ عشرَ مليـوناً من النفـوسِ، وهذا المقـدارُ مبلغٌ عظيمٌ وإطرادُ الـزيادةِ إلى هذا الحدِّ نادرُ المثالِ.

ولمّا وقَعَتِ الحربُ العموميـةُ، حَمَلُهم الانجليزُ على إعلانِ قطْعِ العـلاقةِ مع الدولةِ العثمانيةِ، وإعلانِ الاستقلالِ، وخلعِ الخديوي عبّاس حلمي[1] باشا بنِ محمد توفيق بـن إسماعيل بن سعيد بن محمدَ علي، ونصَّبَ الانجليزُ مكـانَهُ عمَّه حسين كامل[2] بن إسماعيل، وأطلقوا عليه لقبَ السلطانِ والملِكِ.

(١) الخديوي عبـاس حلمي الثاني باشـا بن محمد توفيق بن إسماعيل بن إبـراهيم بن محمد علي ت ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م تـولى الخديوية بعد وفـاة والده في ٨ ينايـر ١٨٩٢، حاول أن ينتهج سياسة إصلاحية بتقربه إلى الحركـة الوطنية ومقاومة الاحتلال الانجليزي، اثر نشـوب الحركة الكـونية الأولى وسفـره إلى استانبـول طلب الانجليز منـه عدم العـودة وفـرضـوا الحمايـة على مصر في ديسمبر ١٩١٤م بعــد عـزل الخديـوي في ١٩ سبتمبر ١٩١٤م ولد سنة ١٢٩١هــ/ ١٨٧٤م، انظر موسوعة حكـام مصر، ناصر الأنصاري، دار الشروق، مصر، ١٩٨٧، ١٢٤، مشـــاهير الشرق، ٥٢، صفـــوة العصر، ١/ ٧٠، الأعلام، ٢/ ٢٦٠.

(٢) السلطـان حُسَيْن كامل بن إسماعيـل باشـا بن إبـراهيم بن محمد علي ت ١٣٣٦هــ/ ١٩١٧م، تولى السلطنة في ١٩ ديسمبر ١٩١٤م واعترف بـه سلطاناً، قبلها تـولى نظارة الأشغال العمـومية ثم نظـارة المالية فـرياسـة مجلس شورى القـوانين، في عهده وقعت مصر تحت الحمايـة البريطانيـة، ولد سنـة ١٨٥٣م، ودرس في باريس، أول السـلاطين بعد الخديوية، انظر، موسوعة حكام مصر، ١٢٤، الاعلام، ٢/ ٢٥٢.

واستعانَ الانجليزُ بالمصريين في أثناءِ الحرْبِ حتى قيلَ إنّه استعانَ منهم بما يزيدُ عَنْ عشرِ مئةِ ألفٍ من النفوسِ، وهو المليون ما بينَ مُحاربٍ وعامل.

ولما انقضتِ الحربُ، قررَّ الانجليزُ في مجلسِ صُلْحِهم مع الدولِ الأخرى إعلانَ الحمايةِ على المملكةِ المصرية/ ومعنى الحماية واضحٌ في عُرْفِهِم، لأنّه عبارةٌ عنْ تشكيلِ حكومةٍ في البلادِ التي تُوْضَعُ تحت الحماية، تكونُ تحتَ سيطرةِ الدولةِ الحاميةِ، ويكونُ حقُّ التمثيلِ والتكلُّم عنها مع سائر الدولِ، من حقوقِ الدولةِ الحاميةِ، وكذلك الدفاعُ عنها، ويُسمُّونَ هذا الشكلَ من الحكوماتِ بأنه عبارةٌ عن استقلالٍ داخلي، ومقابلُهُ الاستقلالُ التام، وهو الاستقلالُ الداخلي والخارجي، وعدمُ الاستقلالِ رأساً، وهو وضْع اليدِ على البلادِ فعلاً، وصادف في ذلك الحينِ وقوعُ وفاةِ حسين كامل المذكور، فكانَ نصَّبَ ابنَه فؤاد الأول[1] مكانَه، وهَبَّ فريقٌ من رجالِ مصرَ، على رأسِهم سعد زغلول[2] باشا، للمطالبةِ

/ ٢٩١

(١) فؤاد الأول: فؤاد الأول بن إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد علي ت ١٩٣٦م، سلطان مصر، ثم ملك مصر، تقلد الأمور في ٩ أكتوبر ١٩١٧، قامت في عهده ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول، حيث اضطر الانجليز لرفع الحماية بموجب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، في مارس ١٩٢٢م أعلن نفسه ملكاً وأصدر الدستور، تولى رئاسة الوزراء في عهده سعد زغلول، انظر، موسوعة حكام مصر، ١٢٥.

(٢)سعد إبراهيم زغلول ت ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، زعيم نهضة مصر، وأكبر خطبائها في عهده، درس في الأزهر واتصل بجمال الدين الأفغاني، اشتغل بتحرير الوقائع المصرية، ثم معاون بنظارة الداخلية، وشارك في الثورة العُرابية سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١ - ٨٢، حيث قبض عليه وسجن، عمل في المحاماة، تولى فيها بعد وزارة المعارف والحقانية، سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩ انتخب رئيساً للوفد المصري للمطالبة بالاستقلال نفاه الانجليز إلى مالطة ثم إلى سيشل سنة ١٩٢٢، تولى رئاسة مجلس الوزراء سنة ١٩٢٤، ورئاسة مجلس النواب فيها بعد، ولد سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م. انظر، مرآة العصر، ٣/ ١٠٠، الأعلام الشرقية، ١/ ١٣٩، المجمل في التاريخ المصري، ٤٢١، الاعلام، ٣/ ٨٣.

بالاستقـلالِ، وإظهارِ عـدمِ الرِّضا بـالحمايةِ، وأنهم لا يعترفـون بها، وشايَعَهُمْ في طلبِهم هذا جميعُ أهلِ مصرَ من المسلمين والقِبْط. وحصلَ اضطرابٌ عامٌّ سكّنَهُ الإنجليـزُ بحبسِ أولئـك الفـريق، ونفيِ بعضِهـم ثم أطلقـوهم، وأذِنـوا لهم بما أرادوه من تشكيلِ وفدٍ منهـم يطوفُ عواصمَ دولِ الإفـرنج مطالبـاً بذلك على قواعِدِهم، في استحقـاقِ العنصرِ الذي قد بلغَ أَشُدَّهُ من المَدينـةِ أنْ يحكُمَ نفسَهُ بنفسِـهِ، ومـرادُهم من ذلك ضمُّ أصـواتِ العـالمِ إلى صوتِهم في القـولِ بأنَّ قضيَّتَهمْ عادلةٌ. وما زالت آثارُ الاضطرابِ في المدنِ المصرية باديةً.

وفي كلِّ وقتٍ وهـم - أعني المصريين - يغتـالـون رجـلاً من الانجليـز ولا يقفـون على مَنْ فعلَ ذلك، وتتـابَعَ سقـوطُ الـوزارات في حكـومـةِ مصرَ إلى أنْ فقـدوا مَنْ يتصـدَّر من المصريين لقبـولِ رئاسةِ الـوزارةِ، وحَمْلِ الحكـومـةِ على عاتقِـهِ حتى تخابروا مع عبـدالخالق ثروت[1] باشـا من المصريين، ووافقهم على قبولِ الوزارة بشرطِ إلغـاءِ الحمايةِ والاعترافِ بأن حكومـةَ مصرَ دولةٌ مستقلةٌ لها الحقُّ بتمثيل نفسهـا في الخارجِ، وتمسّكـوا بما سَمَّـوْهُ تحفظـات، وهـو أنْ تبقى جنـودُهم الموجودةُ في الـديارِ المصريـةِ، على مـا كانتْ عليـه، وأن يبقى الخليجُ الذي تمَّ بـه الانفصالُ بين البحرِ الـرومي والبحر الأحمرِ تحتَ أيـديهم، وكذلك الأراضي السودانيةُ الواسعةُ إلى أنْ تصيرَ المفاوضةُ فيها إلى أجلٍ مسمى.

---

(١) عبدالخالق ثروت بن إسماعيل عبدالخالق ت ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م، من رجال السياسة بمصر، درس الحقـوق، وتـولى وزارة الحقـانيـة ١٩١٤ - ١٩١٩م ثم وزارة الـداخليـة، ١٩٢١م ثم رئيسـاً للـوزراء سنـة ١٩٢٢ - ١٩٢٣م، في عهـده صـدور تصريح ٢٨ فبرايـر ١٩٢٢، بـرفع الحمايـة عن مصر، حيث تحولت مصر من سلطنـة إلى مملكـة، أصيب بمـرض السكـر فـاعتـزل السيـاسـة حتى تـوفي فجأة في بـاريس، ولـد سنـة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، انظر، الاعـلام الشرقيـة، ١/ ٨٨، الأعلام، ٣/ ٢٩١، كتـاب في أعقاب الثورة المصرية، ١/ ٦٣، ٧٠ و٢٧٠.

وهـذا في الحقيقةِ عينُ مـا كـانَ قبْـلاً، إلاّ أنهم أتحفوهم بأسماءَ عـاريـةٍ عن معـانيها، ولمّا تقلّـد الـوزارة عبدالخالقِ المذكـور اتّخذوه آلـةً لإنفاذِ الصّرامـةِ في المصريين، فنَفَـوْا منهم جماعاتٍ إلى الهنـدِ وغيرهـا من البلادِ التي تحتَ أيـديهم، ومنَ الجملةِ سعد زغلول ورفاقُه، بعلّةِ أنَّ حركاتِهم مخلّةٌ بالأمنِ، فلمْ تبردَ الثورةُ، وبقيَ الحالُ على ما كان عليه من الاضطراب.

/ ٢٩٢ وتكرّرت حـوادثُ الاغتيالِ، وفي آخرِهـا تركَ عبـدُالخالق المذكورُ/ المنصبَ المذكورَ اضطـراراً، ولم يجد الانجليزُ منْ يتصـدَّرُ لذلك من المصريين مسلميهم والمسيحيين منهم، فاضطرُّوا إلى إعـادةِ المنفيين إلى أوطانهم، وإطلاقِ سراحِهم، وإعـلان رفعِ الإدارةِ العرفيّـةِ، وهـذه الإدارةُ في عُرْفِهـم، يكونُ إعـلانُها في زمنِ الاضطـرابِ، ويكونُ من مقتضـاها إبطـالُ القـوانينِ، ورفعُ السلطةِ من أيـدي رجـالِ المحاكـمِ وغيرهم، ووضعُ الإدارةِ في أيدي قـوادِ الأجنـادِ، يتشكّلُ منهم مجلسٌ يكونُ إليـه إنفاذُ العقوبـاتِ المختلفةِ على ما يـرى أهلُ المجلسِ المذكورِ، وأذنـوا لهم بتشكيل مجلس النـوابِ ومجلسِ الشيـوخِ، وكلِّ هـذه الأسـاليبِ في الدولةِ، وكيفيةِ الملكِ من أسـاليبِ الافرنج. وانتقلتْ عنهم إلى مَنْ جاوَرَهُمْ من الأممِ.

وبهذه الحالةِ، تمكّنَ المصريون - نوعاً مـا - من إدارةِ بلادِهم، وتصدَّرَ سعد زغلول لرئاسةِ الوزارةِ في الحكومةِ المصريةِ، وهم الآنُ يُعالجون كيفيةَ رفعِ جيشِ الاحتلالِ الانجليـزي من البلادِ المصريـةِ، واستخلاص الأراضي السـودانية من أيديهم، والخليجِ الـذي ذكرناه. ولم يكـونوا قـد ظفِروا بما يدلُّ على إمكـان وقوعِ ذلك.

وإنما سردتُ هذا، ليعلمَ المتأمِّلُ حالَ الأقطارِ الإسلاميةِ، وما آلت إليه من تلاعبِ أُمم الإفرنج بها، فإنَّ الأقطارَ المسماة في عُرْفِ المتأخرين ببلادِ تركستان، تشتملُ على سكانٍ من أمم متعدّدةٍ، ومن جملتِها بُخارى[1]، وفيها حكوماتٌ إسلاميةٌ وكلُّها تحتَ تسلُّطِ أممِ الروسِ الإباحيين، والهندُ وهو تحتَ تسلُّط الإنجليز، ويُقالُ إن مجموعَ مَنْ في أقطارِ الهندِ من المسلمين نحوُ سبعين مليوناً من النفوسِ، وفاس ومراكُشُ وبلادُ الجزائر ومنها تلمسان[2] وكذلك بلادُ تونس التي توجد فيها خرابةُ مدينةِ القيروان[3] التي عمرَّها عقبةُ بنُ نافع الفِهري، كلُّ هذهِ تحتَ حمايةِ الفرانسةِ، وطرابلسُ الغربِ، وجبالُ بَرْقَة[] تحتَ يدِ الطليان، وحالُ العراق والشام، وما إليها قد عَرَفْتَه ممّا سلف، وكذا حالُ الأقطارِ المصرية، وهي حالُ الغربةِ التي أشارتْ إليها الأحاديثُ النبويةُ، قيَّضَ اللهُ للمسلمين فرَجاً، مما داهمهم من الأخطار في جميع الأقطارِ بِحَوْلِهِ وطَوْلِهِ، إنّه على كلِّ شيءٍ قدير وبالإجابةِ جدير[1].

ودخلتْ سنةُ اثنتين وأربعين وثلثمائة بعد الألف ومولانا الإمامُ - عليه السلام - مقيمٌ بدارِه السعيدةِ بمحروس الروضةِ لتمضية فصلِ الخريفِ، والعّمالُ في الجهاتِ المذكورون فيما مضى، وأحوالُ البلادِ الإمامية في سكونٍ تامٍّ

---

(١) بُخارى: أعظم مدن ما وراء نهر جَيْحون في أوزبكستان، يرتبط اسمها بالامام البخاري، ولذا يطلقون عليها اسم بُخارى الشريفة، منها تمر طرق الحرير، انظر، معجم البلدان، ١/ ٣٥٣، نزهة المشتاق، ٢١٣، صفحات من تاريخ الاسلام والمسلمين في بلاد السوفيت، طه الولي، ط بيروت، ٢٣٧.

(٢) تلمسان: مدينة جزائرية، في سفح جبل علي بعد ١٥٠كم من وَهْران، جنوباً وغرباً، انظر، الاستبصار، ١٧٦، معجم ما استعجم، ٧٦، الروض المعطار، ١٣٥.

(٣) القيروان: مدينة في البلاد التونسية، أول من اختطها عقبة بن نافع الفِهري، جنوب تونس، الروض المعطار، ٤٨٦، الاستبصار، ١١٣.

/ ٢٩٣ وأمانٍ ترادفَتْ به النعمُ الجسامُ/ وأحوالُ تِهامةَ التي تحتَ يدِ الإدريسي وعُمّالِهِ في اضطرابٍ ، والتعادي فيما بينَ أهلِها قد عادَ إلى ما كان عليه فيما مضى من الأحقابِ، وعدَنْ تحتَ قبضةِ الإنجليز، والحكمُ في لَحَج وأبينَ ،وتوابعِهما والشحرِ والمكلاّ ومنْ فيها من السلاطين خاضعون لإرادتِهم، ومندوبُ مولانا الإمام القاضي عبدالله بنُ أحمدَ العرشي باقٍ في عدن. ولم تزلِ المخابرةُ والمراجعةُ بينهم وبينَه مستمرّةٌ في شأنِ الوصولِ إلى ما يكونُ عليه الوفاقُ بينهم وبينَ الإمام، ولمْ تصلِ المراجعةُ إلى درجةِ الختام والنهايةِ، لأنهم يريدون الوصولَ من مسعاهم إلى ما يُعَدُّ ظَفَراً لهم، ومولانا الإمامُ - عليه السلامُ - لا يلينُ لهم إلى شيءٍ يخالفُ مرادَ اللهِ عزَّ وجل، أو يكونُ بهِ إعطاءُ الدنيّةِ، ولذلك لم تُسْفر المراجعةُ عن نتيجةٍ مُرْضيةٍ، خلا أنَّ مندوبَ مولانا الأمامِ كان عيْناً للإمامُ هنالك، يرفُع مهمَّ الأخبارِ، فكان قعودُه هنالك غيرَ خالٍ عن المصلحةِ العامّةِ، والقيامِ برعايتِها التامة.

وفي شهرِ محرم الحرام من هذا العامِ، أمرَ مولانا الإمامُ أميرَ الجيشِ سيّدي، جمالَ الدينِ عليِّ بنَ عبدِالله الوزير بتجيهيز الأجنادِ إلى قضاءِ المَخا وجمعِها إلى هنالك، ونصح الشيخَ ناصر العنبري، شيخَ قريةَ الشيخ سعيد[1] الواقعةِ بالقرب من بابِ المندبِ على الشاطىء بالدخولِ في الطاعةِ، وكانَ الشيخُ المذكورُ قدْ كبرُ اسمُهُ، وكثُرتْ مداهنَتُهُ للأتراكِ أيامَ حكمِهِم، وشاعَ عنه مداخلته للإفرنجِ، وميلُه إليهم. وبهذا السببِ، وهو الاتّصالُ بينَه وبينَ الإفرنج لم يكنْ من عمّالِ الأتراكِ تحريكُ ساكنةٍ خوفاً من اتساعِ الخرْقِ، وحصولِ ما لا يقدرون على دفعِهِ من تحكُّم طوائف الإفرنج.

---

(١) الشيخ سعيد: على مضيق باب المندب، قرب عدن، موقع حصين يصل ارتفاعه إلى ٣٠٠٠ متر انظر، معجم المقحفي، ٣٧٠، حياة الأمير، ٦٢٣.

ولمّا بقيَ القضاءُ المذكـورُ تحتَ نظر الشيخِ علي عثمان، لم يتعرَّضْ للمـذكورِ وبلـدِه بشيءٍ، وكـذلك ناحيـةِ ذُبَـاب[1] المتصلـةُ بها، فبقيَ على مـا كانَ أيـامَ الأتراكِ.

ورأى مولانـا الإمامُ أنَّ إهمالَ أمرِ تلك النـاحيةِ، وكذلك بـابُ المندبِ مخلٌّ بـالمصلحة العـامةِ، وليسَ من الحزمِ في شيءٍ، فلـذلك صدرَ الأمـرُ الشريفُ بما ذكرنـاه وكان من الأميرِ جمالِ الدين المُسارعـةُ بتجهيزِ الأجنادِ، فـاجتمع هنالك زهـاءُ ألفيْ رامٍ من رجـالِ/ القتـالِ وأبطـالِ النـزالِ، وجعلَ قيـادَتَهُم إلى الأميرِ الهُمامِ صَمْصامٍ توفيق بن عبـدِاللهِ مملوكِ مولانا الإمام، وعاملِـه على قضاءِ المخَا، وراسَلَ العنبريَّ ونصحَهُ، فلمْ يقبلِ النّصـحَ والإرشادَ ولا مالَ إلى رشـادٍ وسداد، بل سلكَ مسلكَهُ السابقَ مـن إدعاءِ الطاعةِ الاسميةِ، والانقيـادِ الوهمي، معتذراً ببـداوةِ أصحابِـه، وأنّم من صنفِ الخواتين[2]، ونحو هـذا من الكلامِ البـاطلِ والخداعِ القاتلِ. / ٢٩٤

وكانَ المذكـورُ وأصحابهُ ومَنْ في ذُبابٍ على غـايةٍ من الجهالـةِ وتضيعِ أمور الديـانةِ، وواجبـاتِها وارتكاب منتهـايتها، ولمْ يبقَ لـديهم من الإسـلامِ إلاَّ رسمُه الدارسُ، وطلَلُه[1] الذي عفا بها مرَّ عليـه من الرَّوامس، فلّما تبيَّنَ إصرارُه على ما هو عليه من الغـوايةِ، ولم تنجحُ فيه وسائلُ الإرشـادِ إلى الهدايةِ، أمرَ الأميرُ جمالُ الـدين الأميرَ صمصـامَ بـالتقدمُّ مع مَـنْ معه من الأجنـادِ على تلك النـاحيـةِ، فانتشرَ الجيشُ في تلك الجهةِ، وهاجموا مَنْ فيهـا من أهل البغي والفسادِ وأربابِ

(١) ذُبَاب: قـرية على سـاحل البحر الأحمر، قرب ميـون (بريم) على بعـد ٥٧كم من المخا جنـوباً، وعلى بعـد ٣٦كم من باب المنـدب، انظر، معجم الحجـري، ١/ ٣٣٩، اليمن الكبرى، ٣٨، صفة جزيرة، ١٥٦، معجم المقحفي، ٢٤٨.

(٢) الخواتين ج، خاتون، لقب يطلق على النساء.

[١] في س، وطلاله.

العنـاد، وجـرَتْ بينهم حـروبٌ وخطوبٌ أسْفـرت عن هـزيمتِهم، وركـونِهم إلى الفرارِ، وهـرب العنبري إلى جيبوتي، وركـوبِه البحـرَ إلى هنالك، واستـولى الجندُ الإمامي على ذُباب والشيـخ سعيد وبابِ المندب، وعثروا على ثـلاثةِ من المدافعِ الكبارِ التي محقها الطليانُ في خروجِهم على بابِ المندب، وإخرابِهم لما كان فيه من القِـلاع، وكان محقُهم للمـدافعِ المذكورةِ بإدخـالِ القلل بها وسدِّهـا بها، ثمَّ نادى الأميرُ بالأمانِ لأهلِ تلك النَاحيةِ، فعادوا إلى أوطانِهم، وصلحتْ أحوالُهم إلاّ العنبريَّ، فإنّه استمرَّ على فـرارِه. وأمر مولانا الإمـامُ بإصلاحِ القلاعِ التي في بابِ المنـدبِ وعمارتِها، فأعيدَتْ إلى ما كـانتْ عليه من العمارةِ، وتم ضبطُ تلك الجهـةِ وترتيبُهـا على ما يـرُام، وأخذُ الـرهـائِن اللازمـةِ، وقدْ صـار نَقلُ المدافعِ المذكورةِ وإصـلاحُها بهمّةِ مـولانا الإمامِ، والتمكُّنُ من الانتفـاعِ بها في مصالحِ الإسـلامِ، وهيَ من المدافعِ النافعـةِ التي ترمي إلى مسـافةٍ بعيـدةٍ، ولا يخفى على المتأمِّلِ/ ما لبابِ المندبِ من الأهميةِ والمكـانةِ في نظرِ دولِ الإفرنجِ، فإنَّ مضيقه ٢٩٥ /
مما كوَّنَتْهُ يدُ القدرةِ الإلهيـة، وتحكيمَه من طرفَيْه المقابلَيْن يمكِّنُ من الاقتدارِ على قطعِ الطريقِ على أُممِ الإفرنجِ فيما بينهم وبينَ ممالكِهم الهنديةِ والصينيةِ والشرقِ الأقصى كجـاوا وغيرِهـا، وجـزائرِ البحـر المحيطِ التي منهـا مملكـةُ أوستراليـا الانجليـزية، ومـا مِنْ دولةٍ من دولِ الإفـرنج إلاّ ولها ممالكُ تحتـاجُ في الوصـولِ إليهـا أي المرورِ مِنْ هذا المضيق ببـوابيرِهـا التي تشقُّ عُبـابَ البحـرِ، ولا يماثِلُ هــذا المضيقَ إلاّ مضيقُ بحـرِ سَبْتــة[1] الكـائنُ تحتَ جبل طـارق من بــلادِ الأندلس، ولم يهُنْ على الانجليـزِ بقاؤهُ تحتَ يد دولةِ إسبانيـا من دولِ الإفرنجِ، وهي التي استــولَتْ على بــلادِ الأنــدلس، بل أعمـلَ الحيلـةَ حتـى تمكَّنَ من

(١) سَبْتَة: مدينـة مغربية في مضيق جبل طارق في المتوسط، تقـابل الجزيرة الخضراء، انظر، معجم ما استعجم، ١٠٢، الروض المعطار، ٣٠٣.

....

الاستيلاءِ عليه، وصارَتْ تحتَ قبضتِـهِ، وهذا المَضيقُ - أُعني مضيقَ سبتة - هو في طرفِ البحرِ المتوسطِ المسمّى قديماً بـالبحرِ الرومي، ومن ورائِهِ البحرُ الكبيرُ المسمى الآن بالبحرِ المحيطِ الأطلسي في عُرْفِ الجغرافيين، ولعناياتِهم بالمضائقِ إلى هـذه الدرجـةِ، تعـرفُ ما لهذا، وهـو مضيقُ بـابِ المندبِ، من الأهميـةِ، ولم يحرسْهُ من غـدرِهم إلاّ ما بينهم من التنـافسِ عليه، وذلكَ من ألطـافِ اللهِ تعالى وتيسيره، فما جرى ضبطُـه وإصلاحُ قـلاعِه يُعَـدُّ في نظرِ كلِّ مفكّـرٍ عاقلٍ نـاظرٍ للعواقبِ فتحـاً عظيماً، وأثراً صالحاً من مـآثر مـولانا الإمامِ، واهتمامِـه بما الناسُ غافلون عنـه من تقويةِ شأنِ الإسلامِ، واصلاحِ أحوالِ الأنـامِ، ولو تمَّ - والعياذُ بـالله - لإحدى الـدولِ الإفـرنجيةِ الاستيـلاءُ على المضيقِ المذكـورِ لعمَّروا فيـه القلاعَ المُحْكَمَةَ [١]التي لا تتأثّرُ من رميها بمدافعِ البوابيرِ الجسيمةِ، ووضعوا فيه من آلاتِهم الجهنّميةِ ما يتعذّرُ معـه الدنوُّ منه[١]، وسرى من ذلك تطاولُ أيديهم، إلى المَخا وجهاتِه كما فَعلوا في عـدن، فإنَّ الانجليزَ إنما احتلوّه بعذرِ الاحتياج إلى جعلِه مخزنـاً للفحم الحجـري الذي يُوقَـدُ به في البـوابيرِ، ومرَّتْ عليهـم السنونُ والأعـوامُ / وهم لا يفترّون عن اصطيادِ البـلادِ واستمالةِ رؤسـائِها، حتى صـاروا / ٢٩٦ يدّعون - في هذا الزمان - أنَّ لحَج وبلادَهـا أبْيَـنَ وبلادَها وحضرموتَ بأجمعِها مربوطةٌ بهم. وقد كانوا مِنْ قبلِ دولةِ مـولانا الإمامِ يدّعون أيضاً النواحي التسعَ كالحواشبِ ويـافعِ والضالعِ وأكثرِ بلادِ المشرقِ، ويـزعمون أنّهم تحتَ حمايتِهم، فـانظـرْ إلى مكـرِهم وشدّتِـهِ، وكيفَ يسْرون في البـلادِ سريـانَ النـارِ في الهشيمِ، ويتذرّعون بكلِّ الـوسائلِ للاصطيادِ وقهرِ العبادِ، فما بـالكَ لو تمكّنوا من مضيقِ بـابِ المندبِ، وقـد عمرَّ الانجليـزُ في الجزيرةِ القـريبةِ منـه المسماةِ بريم، مبـانيَ وشيّدوها وأسكنوا فيها ثلّـةً من جنودِهم وجماعةً من أمرائِهم، وكلُّ ذلك اهتماماً

....

[١ - ١] سقطت من س.

منهم بالمضيق المذكورِ لا سوى، دفعَ اللهُ عن المسلمين مكائدَهُمْ، وحجبَ عنا مصائدَهُم.

وفيها في المحرم أيضاً، تمَّ بمساعي أهلِ مِلْحَانَ استمالةُ فريقٍ من مشايخِ أهلِ حُفاشَ إلى الخلافِ معهم، والخروجِ عن الطاعةِ، وقد بيّنا فيما سبق، أنهم كانوا يجدون في استمالةِ مَنْ حولَهم كأهلِ الخبتِ وحُفاشَ وغيرِهم، وأنّ مرامَهم من ذلك صونُ بلادهم من معاركِ الحروبِ، ونقلَها إلى بلادِ غيرهم، فلمْ تتمَّ لهمُ الحيلةُ إلاّ على هذا الفريق من الحُفاشيين، كأهالي عزلةِ الشويع وقَيْهمةَ وما جاورَها. فأعلنَ أولئك الخلافَ، وثاروا بمنْ لديهم من المجاهدين. وسلكوا مسالكَ أهلِ الإعتسافِ، ودعوا إليهم بعضَ أهلِ مِلْحَانَ، وجمعاً من تُهامةَ، وصالوا وجالوا في ميادينِ غيِّهم، وكانتْ بينَهم وبينَ مَنْ هنالك من جندِ الإمام حروبٌ، أسفرتْ عنْ منعِ الفتنةِ من السرّيانِ إلى غير أولئك المغرورين.

ولما بلغَ ذلك إلى مولانا الإمام اهتمَّ له ورأى من الحزْمِ سرعةُ إرسالِ الإمدادِ إلى من بحُفاشَ، فأمرَ مولانا الإمامُ، سيدي الجليلَ والصارمَ الصقيلَ جمالَ الدين، عليَّ بنَ حمودِ بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن الحسين[1] بجمعِ المقاتلةِ من قضاءِ كَوْكبان والمبادرةِ بالتوجّه إلى حُفاش، فجَمَعَ نحوَ ألفٍ وخمسِ مئة رامٍ من سكّانِ القضاءِ المذكورِ، وبادرَ بالتوجهِ إلى حُفاش، والتقدمِ على المخالفينَ وجموعِ الباغين ومنازلتِهم بصرامةٍ وشدةٍ وبأسٍ وإقدام أورثَ جمعَ الأعادي أيَّ إبلاسٍ، فطارَ التهاميون والمِلْحانيون وولَّوْا سراعاً يؤمُّون

(١) علي بن حمود بن محمد بن يحيى بن محمد شرف الدين ت شعبان ١٣٧٠هـ، عالم محقق، في الفقه والأصوليين وعلوم العربية، تولى القضاء في الطويله، ثم عاملاً على قضاء زَبيد، ثم تصدر للتدريس في كوْكبان والطويلة، ثم كاشفاً للأموال، ولد سنة ١٣١١، انظر، نزهة النظر، ٤٢٨، تحفة الاخوان، ٩٨، هجر العلم، ١٩١٢.

بلادَهم لا يصدِّقون بالنجاةِ/ وانهزمَ معهم أهلُ حُفاش واستولى الجندُ الإماميُّ / ٢٩٧
على عزلةِ الشويع ومخلاف قَيْهمة وغيرِها، وطهّروها من أدناسِ البغاةِ ورفعوا
عنها وضَرَ الغُواةِ، وأصابَ أهلَ حُفاش من البلاءِ ما لمْ يعرفوه، وجَنَوْا من ثمرِ
البغيِ ما مرَّ وكانَ ذلك جزاءً وفاقاً لما افترقوه، فإنّهم انحدروا بأهلِهم وأولادِهم
إلى طَرفِ تُهامةَ، وتفرّقوا فيها، وأتاهم من أمرِ اللهِ ما لمْ يحسبوهُ، فكثرتْ منهم
الموتى، وفشتْ فيهم الأمراضُ، وعمَّهم الذهابُ حتى قيلَ إنّهم لمْ يرجعوا بعدَ
الأمانِ إلاّ وقدْ تلَفَ منهم ما يزيدُ على الألفِ، وانتُهِبَتْ أموالُهم، وتناولتْ أيدي
الاختطافِ ثمارَهم، وكانتْ حينئذٍ دانيةَ الجناءِ، سهلةَ الاقتطافِ والاقتناءِ. وكثُرَ
من الأعداءِ في هذا الحربِ عددُ القتلى على عكسِ ما كان عليه الحالُ لدن
المجاهدين.

وبعدَ إحرازِ حزبِ الحقِّ لهذا النصر العظيم، ورفع خطبِ الخلافِ
الجسيم، اقتضى رأيُ مولانا الإمامِ توجيهَ سيدي العلامةَ، سيفَ الإسلامِ، أحمدَ
بنَ قاسم بن عبدِالله حميدَ الدينَ وإلزامَهُ بالعزْمِ إلى المحويتِ لجمعِ شملِ
المقادِمة الذين بحُفاش والخبتِ وحوالي مِلْحَانَ، وتوحيدِ الرأى، وأناطَ مولانا
الإمام به تدبيرَ تلك الجنودِ، فتوجّه إلى المحويتِ، واستقرَّ بها وباشرَ الأعمالَ
وأمَّنَ أهلَ حُفاشَ الفارّين. فعادوا من تهامةَ، وقدْ ذاقوا من الأهوالِ ما عظمُ به
عليهم الوبالُ والنّكال.

وفي أواخرِ أيام العام المنصرمِ دارَتْ المراجعةُ بينَ المولى صفيِّ الدينِ، سيفِ
الإسلام، أحمد بنِ أميرِ المؤمنين، وبينَ الشيخ صالح مسعود، شيخِ أحدِ أرباعِ
بني قَيْس في دخولِه تحتَ طاعةِ الإمامِ، وتمّ ذلك بوصولِه إلى حضرة المولى
سيفِ الإسلامِ، وقبضَ رهينةَ الطاعةِ، وعادَ إلى بلدِه مجلّلاً مكرّماً قد كَبَتَ

....

....

حسّـادهُ، ونالَ من الإكـرامِ مرادَه، وانتظمَ في سلـكِ طاعِتِـهِ أصحابُـه، وسرَّهُم ذهابُـه وإيابُهُ، فتألَّبَ عليهم ثلاثـةُ أرباعِ القبيلةِ ورؤسـاؤهم وغيرُهم من أجنادِ الضلالِ واخـرابِ الضالِ، وباشروهم بالحربِ، وأداروا عليهم كـؤوسَ الكَرْبِ، فـاستمـدَّ الشيخُ المذكـورُ الإعـانـة من المولى سيفِ الإسـلام، أحمدَ بنِ الإمـام، والمولى سيفُ الإسـلام، رفعَ بالحقيقـةِ إلى مولانـا الإمامِ - عليـه السلامُ - فأمـرَ مولانا الإمامُ السيدَ المقَدامَ وأسـدَ الصّدام عبدَاللهِ بن يحيى أبومنصر، وهو حينئذٍ مقيمٌ بالظـاهرِ/ من الخبت، وكـان مولانـا الإمامُ قـد رادفَ إرسالَ الأجنـادِ إليه حتى كثُرتْ عـدَّتهم تأهباً للقـدوم على ملحانَ. ومنْ جملةِ الأجنـادِ رجالُ الحدا، فإنَّ مولانا الإمـامَ أمرَ عامِلَهُ على نَاحيةِ الحدأ بجمعِ الـرجالِ من بطونِها، فأسرعَ في التلبية، وجمعَ الـرجالِ الأثبـاتِ، وأصحبَهم بجماعةٍ مـن رؤسائِهم كـالقوسي والبخيتي وغيرِهم وأرسلهم إلى حضرةِ الإمام، وأمـرهم الإمام بالعزمِ إلى ظـاهرِ الخبتِ تقـويـةً لمحطةِ الظـاهـرِ، وليكونـوا تحتَ قيـادةِ السيـدِ عبدِالله أبـومنصر، وكانتْ عدّتُهم تنوفُ على الألف.

/ ٢٩٨

فلما وصل أمرَ الإمامُ - عليـه السلام - إلى الأمير المذكورِ مُلْزِمـاً له بإرسالِ الأجنادِ إلى بني قَيْس إعانةً للشيخِ صـالح مسعود، انتدبَ لهذا المرام جندَ الحدا وأمرهم بالانحـدارِ إلى بني قيس، وكذلك أمرَ الإمـامُ نجلَهُ المولى سيفَ الإسلام بإرسـالِ جنـدٍ ممَّنْ في حضرتِـهِ، فتـوجّهَت الجنـودُ المذكــورةُ على رايـاتهما من الجهتين، تقـدّموا على جموعِ بني قَيْـس، ومنْ لديهم من البـاغين، وأذاقـوهم من مـرارةِ الصّدام وشـدةِ الاقتحامِ مـا أذهلهم، وفلَّ جمعَهم وكسرَ شوكتَهُمْ، وهَـدَّ قـوتَهم وزلزَلَهم فتفـرقوا وانهزمـوا، وتشتتوا في الخبـوتِ والرمـال، واستولى الجنـد الإماميُّ على كثيرٍ من محلاّتهم، وانتهبـوا ما فيهـا، وغنِموا منهم غنـائم عظيمةً،

....

....

وأحرقوا كثيراً من محلاّتِهم، وأزالوا عن الشيخ صالح مسعود وأصحابِه ما أحدقَ بهم من الأخطـار، ومـا نـواه بهم جمعُ الأشرارِ، ولم يتكَّنـوا من الـوقـوفِ في تلك الجهاتِ لخلوِّها عن معداتِ الإقامة، فعادتْ قبائلُ الحِدا إلى مخلافِ الخبتِ عن أمرٍ من الإمامِ – عليه السلام –.

ولما تكـاملَتْ وسائلُ الاستعـدادِ للقـدومِ على مِلْحانَ، أمـرَ مـولانا الإمـامُ المولى، سيفَ الإسـلامِ، سيدي العـلامـةَ، أحمدَ بنَ قـاسم حميدَ الـدين بإجـراءِ ذلك، والمبـادرةِ بإذاقـةِ الباغين سمَّ المهـالكِ، فألـزمَ رؤساءَ الأجنـادِ بـالتأهُّبِ لذلك، وكانتْ محاطُ جنودِ الإمامِ في الظاهرِ وأذرع، من بلدِ الخبتِ، وفي أطرافِ حُفـاش. وبعـدَ تمامِ المراجعةِ وإعمالِ التـدبيرِ في مهـاجمةِ البـاغين، وفلِّ جمعِهم الكثيرِ، تقـدَّمَ الجنـدُ الإماميُّ من جهتين على جبلِ مِلْحَـانَ،/ بصحبـةِ النصرِ، وتهبُّ عليـه ريح الظفرِ كـالسيلِ الجرّارِ المتدفّقِ، فمـرَّ في السهولِ الموصلـة إلى الجبلِ كـالبرْقِ المتألقِ، والتقى بجمـوعِ البـاغين، فأعـادَ قوَّتهم أثـراً بعـدَ عين، ورماهم من بأسِهِ بـالحَيْن، وأقدمَ عليهم إقدامَ الأسودِ الضـواري، ووالى هجومَهُ عليهم إلى مراتِبهم ومحلاّت تحصُّنِهم، وكـانوا قدْ أحكموها، وظنّـوا أنها مانعتُهُم من جنودِ الحقِّ، ولم يتهيَّب الجندُ الإمـاميُّ ما رآه أمامَهُ من صعـوبةِ الصعودِ إلى الجبلِ في مضيقِ تلك الطرقاتِ، ولا خشيَ من نيرانِ بنادِقهم، وما كـانوا يقذفونَهُ من الأحجـارِ والصّخـورِ، فـزلـزَلَهُم بـذلك الإقـدام، وأخـرجَهُـمْ من مـراتبِهم ومعاقِلِهِمْ قسراً وشرَّدَهُمْ قتلاً وأسْراً، ففروا لا يلْوُون على شيءٍ، وتمكنَ بذلك جندُ الإمامِ من تسَنُّمِ ذرواتِ الجبلِ الشامخةِ والاستيلاءِ على حصونِهِ المنيعةِ، والتوغُّلِ في المَحلاتِ واغتنـام ما فيها من مصـونِ الأموال. وكـانتْ كثيرةً جداً، لأنَّ أهلَ الجبلِ الناكثين مـراراً والمُعادين للحقِّ سرّاً وجهاراً، لم يستطيعـوا تهريبَ أموالِهم

....

....

وقراشِهم، حيثُ أعجَلُهم المجاهدون وأبلوهم من الحربِ، بما لا يظنُّون، ورأَوْا في أفواهِ بنادِقهم وبريقِ سلاحِهم، ريبَ المنونِ، وزادَهم خبالاً ووجلاً معرفتُهم بما كانَ من الغدرِ في العامِ الماضي. وما فعلوه من الأفاعيلِ الخبيثةِ، فأحبطَ اللهُ أعمالَهُمْ وخذلَهُمْ، وانتقمَ منهمْ للمؤمنين، وحزبِ الحقِّ المُبين ومنَّ على الجنودِ الإماميةِ بالنصرِ العظيم والفتح الجسيم، وقُتِلَ منهم جمٌّ غفير، وفرَّ منهم من فرَّ إلى خبوت تُهامة ورمالِها، فجرى عليهم من مهالِك النفي والتغريب أشدَّ تعذيبٍ، فكان ما نالوه من الهوانِ بعضَ ما استحقّوه لجراءَتهم على العصيان.

وكان هذا الفتحُ في سابعِ شهرِ صفر من هذه السنةِ، ووردت البشائرُ بذلك إلى مولانا الإمامِ، وهو مقيمٌ بمحروسِ الرَّوْضَة، فعمَّ بهذا الفتح السرورُ، واندفعتْ عن الصدورِ حرارةُ الحنقِ التي أثارها ما فعله أولئك الطَغاةُ من الشرورِ، وأمرَ مولانا الإمامُ مقادمةَ الجندِ بالأمانِ لمن أقبلَ على الطاعةِ، ومراسلةِ أهلِ الجبلِ بذلك، وإعلامِهم بعفوِ الإمامِ عنهم/ على عادتِه - عليه السلامُ - في حبِّ العفوِ وكراهةِ الانتقام. /٣٠٠

ولما أعلن أمراءُ الإمامِ بالأمانِ، تراجَع أهلُ الجبلِ إلى أوطانِهم زُمراً، وبقيتْ طوائفُ منهم في أطرافِ الجبلِ من جهةِ تُهامَةَ على الخلافِ، لتأخرِ الجنودِ الإماميةِ، عن الانحدارِ إليهم، وسيأتي إن شاءَ اللهُ تعالى بيانُ ما آلتْ إليه أحوالُهُمْ.

وفي هذا الشهرِ أيضاً، حصلَ بمنِّ اللهِ فكاكُ النظامِ من الأسرِ، بعدَ أنْ مكثوا في أطرافِ تُهامةَ كجيزان ومِيْدي وصبيا والليث[1] من حينِ الغدرِ بهم في مِلْحَانَ، في أثناءِ العامِ الماضي، ووصلوا إلى حضرةِ مولانا الإمامِ في اليوم التاسع

(١) اللِيْث: على بعد ١١٢كم من مكة، انظر جزيرة العرب في القرن العشرين، ٨٨.

والعشرين من شهرِ صفـرَ المذكورِ، فكساهم مـولانا الإمامُ، وصرفَ لهم مـا كانَ لهم من المعاشِ، وأمرَهُمْ بـالإقامةِ في العرضي السعيدِ من جملـةِ الأجنادِ، وأجرى عليهم المعتـادَ من الكفايـاتِ، وأعـادَ تسليحَهُم، وأذِنَ بـالترخيصِ لهم لزيـارةِ أهلِهِم.

وفيهـا وصلَ إلى حضرةِ مولانـا الإمـامِ الشيخُ كاملُ القصـاب(١) من علماءِ دمشقِ الشـام، ومعـه رفيقٌ لـه اسمـه [حيـاتي][١] بك، كـانَ من قـوَّاد الجنـودِ العثمانية في رتبـةِ أميرالاي، فأنزلهما مولانا الإمـامُ دارَ ضيافتِهِ، وبـالغَ في إكرامهما وإينـاسِهما، وتبيَّن أنهما من أعضاءِ الجمعيـةِ العربيـةِ السـاعيةِ في تـوحيدِ كلمـةِ العرب، وأنهما مـوفَدان من قِبَلهـا للسعي لدن الامـامِ في هذا الشأن، وعـرَضَ ما عنـدَ الجامعـةِ المذكـورةِ من النظـر في الـوسـائلِ الموصلـةِ إلى ذلك، وظهـرَ من حديثِهما أنهم يـرجّحون طـريقةَ الوفـاقِ فيما بينَ الإمامِ وأميرِ نجـدٍ ابنِ سعود[٢]، وأنها أقـربُ الطرائقِ الموصلـة إلى ذلك المرام، فكـانَ من جـوابِ الإمامِ - عليـه السـلامُ - أنَّ الوفـاقَ مرغـوبٌ فيه ولا سيما السـلامـةُ من عدوانِ أممِ الإفـرنجِ متـوقفـةٌ على ذلك، ولكنَّ مـا حصل من عـدوانِ جنـودِ أميرِ نجـدٍ على جماعـةِ الحجـاج يحولُ دونَ الشروعِ في التوصُّلِ إلى ذلك، والأمـرُ المقدّمُ والـركنُ الأهمُّ تقـديمُ الإنصافِ الموعـودِ به في شأنِ ذلك العـدوانِ، ومتى تمَّ ذلك، وزالَ من

---

(٢) محمد كامل القَصَّاب: ١٢٩٠هـ - ١٣٧٣هـ (١٨٧٣م - ١٩٥٤م).

محمد كامل بن أحمد بن عبدالقادر القَصَّاب، من زعماء الحركة الاستقلالية، من أعضاء جمعية العـربية الفتاة السريـة، تنقل بين الشريف حسين والملك عبدالعزيـز آل سعود حيث تولى إدارة المعـارف واستقر بفلسطين، ألف بالاشتراك مع عـزالدين القسام، النقـد والبيان، في البـدع المنهي عنهـا، انظـر، ما رأيت ومـا سمعت، ١٤، منتخبـات التـواريخ لـدمشق، ٩١٣، الاعلام، ٧/ ١٣.

---

[١] الإضافة من فرجة الهموم، ٢٦٥ وهي بياض في النسختين.

[٢] في س، عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.

النفوسِ ما بها من الغيظِ بحصولِ الانصافِ، أمكنَ الشروعُ، وتيّسر الوصولُ إلى الوفاقِ على أساسٍ متينٍ من الاتحادِ، ونبذِ الشِّقاقِ بإزاءِ/ أطماع طوائفِ ٣٠١ / الإفرنجِ، والسعي في إنقاذِ ما وقعَ تحتَ مخالِبهم من البلادِ العربية، فرأيا جوابَ مولانا الإمامَ -عليه السلامُ- هو الصوابَ الذي عليه يُعَّول، واستمدا من مولانا الإمامِ كتباً إلى جميع شُعبِ الجمعيةِ العربيةِ، فحررَّ لهما مولانا الإمامُ ما أرادَ، ثم مكثاً برهةً في الحضرةِ الشريفةِ، وعادا إلى ديارِهما، ومِنْ عزمِهما المسيرُ إلى الرياضِ[1] مقرِّ إمارة نجدٍ، والسعيُ في هذا المرامِ، [١والتوصلُ إلى تحقيقِ هذه الأحلام١].

وفيها وصلَ إلى حضرةِ الإمامِ أحدُ رجالِ الإنجليزِ المسمى جيكب[2]، [٢وهو محرَّفُ لفظِ يعقوب باللغةِ الانجليزيةِ، ومعه رجلٌ آخرُ منهم ملامحُه تدل على أنّه من أمراءِ جنودِهم٢]. وجيكب هذا كان أرادَ الوصولَ إلى حضرةِ الإمامِ في أثناءِ سنةِ سبعٍ وثلاثين، وخرجَ من الحُدَيْدَة إلى باجل، فكانَ منْ بعضِ ذوي

---

(١) الرياض: من نجد، تقع على وادي حنيفة، على علو ٥٢٠ متراً عن سطح البحر، حاضرة المملكة العربية السعودية، أصبحت العاصمة بعد خراب الدرعية سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٨م، انظر، جزيرة العرب، ١/ ١٥٠.

(٢) جيكب: اللفتانت كولونيل هارولدف. جيكوب. ك. س. آي. الضابط في الجيش البريطاني الحائز على وسام جوقة الشرف الفرنسي، مستشرق، عمل لأكثر من عشرين سنة في عدن والمحميات، وكان المساعد الأول للمندوب السامي البريطاني ثم كان المعتمد البريطاني في تلك المحميات خلال الحرب الكونية الأولى عمل بوظيفة المستشار الأول بمصر لكل من المندوبين الساميين ريجنالد ويجنت، وفسكونت اللنبي، نجح في جلب محمد بن علي الأدريسي لصف الحلفاء، حيث أبرم معه معاهدة، أعلن الادريسي بموجبها الحرب على الدولة العثمانية، زار سورياً ولبنان متخفياً باسم مستعار. انظر كتابه ملوك شبه الجزيرة العربية، (المترجم)، ٩.

[١ - ١] سقطت من س.   [٢ - ٢] سقطت من س.

المآربِ الايعازُ إلى قبائلِ القُحري بالقبضِ عليـه، ومنعِه عن الوصول إلى حضرةِ الإمـام، ووافقَ ذلك مرامَ مـولانـا الإمامِ وحمدَ اللهَ تعـالى على حصول منْعِـه، لأنَّ المذكورَ كـانَ موصوفـاً بالدهـاءِ والمكرِ والخديعـةِ، فكانت السلامـةُ في حصولِ المانعِ من تمكُّنِه مِنِ الوصـولِ، ولبثَ في بَاجل برهةً، ثم عـادَ إلى الحُدَيْدَة، ومنها إلى عَدَن، وكـان حينئذٍ مستخدَمـاً لدن الانجليـزِ باسمِ معاونِ والي عـدن، وقد لبثَ في هذه الوظيفةِ أعوامـاً كثيرة، واكتسبَ مزيدَ الخبرةِ، والاطلاعَ على أحوالِ الجزيرةِ العـربيةِ، وصار مـوصوفاً لـدن الانجليزِ بذلك، ولما عـادَ إلى عدن، بلغَ درجةَ التخلي عن الوظيفـة واستحقاقِ المعاشِ بدونِ عملٍ، فـانفصلَ من وظيفةِ معـاونِ والي عـدن، وتعـدَّدَتْ منـه الكتبُ إلى مـولانـا الإمـامُ بطلبِ الإذن لـه بالوصولِ إلى الحضرةِ الشريفةِ، فأذِنَ له مولانا الإمامُ بالوصولِ، وكان وصولُه كما ذكـرنا، وظهـرَ من حـديثِـهِ ومسعاهُ مع رفيقِـهِ المذكـورِ بأنـه مُوْفَـدٌ من شركـةٍ انجليزيةٍ تجارية قد سمَّتْ نفسها بالشركةِ الـزَيَّدِيَّة تقرُّباً بهذهِ التسميةِ للوصولِ إلى مـآربها، وأنَّ مرامَ الشركـةِ المذكورةِ التي أوْفـدتها القيامُ بأعمالِ التجـارةِ في اليمنِ، كمـدِّ السككِ الحديـديـةِ واستخراجِ المعـادنِ ونحـوِ ذلك، واستخـدام أموالها في هذه الأغراضِ، وطلبَ الموافقةَ من مولانا الإمامِ على ذلك على شروطٍ معقولةٍ، فأفـادهما مولانا الإمامُ، بأنَّ الخوضَ في هذا الأمـرِ متوقِّفٌ على حصولِ المعاهـدةِ بينَ دولةِ مـولانا الإمـام، وبينَ حكومةِ الانجليـزِ، ولم يتمَّ ذلك، ومِنَ المعلومِ أنَّ الـدخولَ في هـذه الأمورِ والنظرِ في المقبـولِ منها والمرفـوضِ يتوقّف على إبرامِ المعاهدةِ/ وإلاّ كانَ ذلك داعياً للنزاعِ، والدخولِ فيها لا تُحْمَدُ عُقْباه، / ٣٠٢ فقنِعَ المذكوران بهذه الإفـادةِ. وعلما أنَّ حضرة مولانا الإمامِ لا يتـزحزحُ عن ذلك الموقفِ، [١] فَعَـادا من حيثُ جاءا، على أنّهما، يسعيـان لـدى حكومتِهما في إبـرامِ

....

[١ - ١] من عبارة «فعاد من حيث جاءا إلى عبارة، ومضاعفة أعوامه» سقطت من س.

المعاهـدة مع حضرةِ مولانـا الإمام، وممّـا أطلعا حضرةَ مولانـا الإمامِ عليـه أثناءَ إقامتِهما صـورةٌ مصغرةٌ للمراكبِ البرّيـة البخاريـة وسككها الحديديـةِ، وكيفيةِ مـرورِ تلك البـوابيرِ على سككها فعـلاً، وذلكَ بعـدَ أنْ مكثـا نحوَ أربعـةِ أيـام يشتغلان فيها بمدٍّ وفرشِ قطعِ صغارٍ من الحديد. ولما شوهِدَتْ صورةُ المراكبِ البريّةِ وُجِـدَت مكتوباً عليها اسمُ الشركـةِ الزيديةِ، وذكّـرَتْ بهذا ما حُكي عن الانجليز في ابتداءِ دخولِهم إلى الإقليم الهندي، أنه كانَ في المبادي باسم التجارةِ وتأليفِ شركـةٍ سمَّوْهـا الشركة الهنديـةَ، وما زالتْ تَتَّسـعُ أعمالُها إلى أنْ استعانَ ملوكُ الهنـدِ بها في محاربةِ بعضِهم على البعـضِ الآخر، وكـانَ منها تشكيلُ فـرقةٍ من الجنـدِ اسمتْها الفـرقـة الجَعْفَريـةَ إرضاءً للشيعـةِ، وأخـرى سمَّتْها بـالفرقـة العُمريةِ، إرضاءً للسنة، وفي النهـاية تخلّت الشركةُ المذكورةُ عن أعمالها وسلَّمَتْها إلى يد الحكومة الانجليزية حتى تمَّ لها الاستيلاءُ على نحوِ نيِّفٍ وسبعين دولةً في البلادِ الهنـديةِ مـا بين مسلمةٍ ووثنيـةٍ، صارتْ كلُّهـا تحتَ حمايتها، وصـارَ ملكُ الانجليزِ يلقَّبُ بملكِ ملـوكِ الهندِ، فانظـر إلى ما لديهم من الأطماع، وما مَـرنوا عليه مـن المكرِ والخداعِ، وكيف يسترون مالَهُمْ مـن المآرب تحتَ مظاهرِ المنـافعِ التي لغيرِهم والمطـالبِ، ولله الحمـدُ والمنَّةُ إذْ كـان حضرةُ مـولانا الإمـامِ ممن لا تنطلي عليه زخـارفُ تمويهاتِهم، ولا يغتُّر بمظاهـرِ توسُّـلاتِهم، وقد عَـرَفَ ما هم عليه مجبـولون، وأنّهم القومُ الماكرون، فلمْ تُـرُجْ لديه لهم بضاعـةٌ، ولا نَفَذَت لهم فكرةُ خدّاعةٌ، بل كلَّما ظنّوا الوصولَ إلى المآربِ بإسلوبِ مخترعْ، قابَلَهُمْ بالإقناعِ معلِّـلاً ذلكَ بما يُعـدُّونـه مـوجبـاً ومصححـاً لأحقيّـةِ ذلك الامتنـاعِ، بـاركَ اللهُ للمسلمين في أعوامِهِ ومضاعفِ أيّامهِ[1].

وفيها في شهرِ محرام الحرام، استقدمَ مولانـا الإمامُ السيدَ الأمير فخرَ الدين، عبدَالله بن أحمدَ الوزيـر إلى حضرتِهِ الشريفةِ من ذَمار، وكـانَ الباعثُ على ذلك

....

....

الطلبِ، مـا تكـرَّرَ العَـرْضُ من الشيخ أحمد قـايـد الجبري، عـاملِ السُـوَّاديَّـة والسلطانِ حسين بن أحمد الرصاص بأنَّه قدْ أوصلَ السلطانُ المذكورُ الرهينةَ التي تمَّ الـوفاقُ عليهـا، وأنـهّ يطلبُ إنفاذَ الجيشِ لـدفْعِ أعـدائِهِ عنها، فـوصلَ الأميرُ الفخريُّ إلى حضرةِ الإمام[١]. [لتوليـه القيامَ بهذا الأمر، وإنفاذِ مـا كان الوعـدُ به للسلطانِ حسين، وقـد لبثَ الأميرُ المذكورُ مـدَّةً جرى أثناءَهـا إكمالُ المراجعاتِ وأخذُ الأهبةِ وتدبيرُ ما يحتاجُ إليـه من الذخائرِ الحربيةَ والمدافعِ، وجميع ما يلزُم من الجنودِ النظامِ وغيرِهم، وإرسالِ أكثـرِهم إلى ذمارَ إرسالاً، وعادَ الأميرُ معَ منْ بقيَ من الجنـدِ إلى ذمار. وودَّعَهُ الإمـامُ وزوَّدَهُ بالـدعاءِ، مـا ظهرَ أثـرُ قبولـهِ في نجاحِ الأعمالِ، وتذليلِ الصعبِ من الآمالِ، وتهوينِ الشاقِّ من الأقوالِ، فبقيَ الأميرُ في ذمـارَ، يتأهَّبُ للمسيرِ ويستعـدُّ حتى وصلَ إليـه مِنْ طلبـهِ النقيبُ الماجـدُ الهمامُ المجاهـدُ قايـد بن راجح البعداني سكناً والخولاني أصـلاً مع عصابـةٍ من خَوْلانَ وأهلِ بَعْدَان وغيرهم، وجمعٍ من أهلِ حُبَيْش، واستنـابَ الأميرُ مكانَه أخـاه محمدَ بن أحمد الوزير، ثم توجّه في جمعٍ غفيرٍ وجنـدٍ كثيرٍ وموكبٍ شهيرٍ من ذَمار في يومِ الثاني عشر من صفر من هذه السنـةِ قاصداً الجهةَ التي أمرَ بالتـوجُّهِ إليها، فباتَ في الميفعِ من بلادِ عَنْس، جوارَ مشهـدِ الإمامِ الشهيد أبي الفتح الديلمي(١)، وفرّقَ الجندَ في المحلات القريبة من الطريق ومنعَهُم عن أذيةِ الرعيّةِ.

وفي اليوم الثـاني نهض إلى ملح(٢) من مخلاف العَرْش وبـاتَ فيه، ودخلَ في

---

(١) أبوالفتح بن ناصر بن الحسين بن محمد الدَّيلمي، الإمـام الناصر ت قتلاً سنة ٤٤٤هـ، نشأ في بـلاد الدَّيلم من جيـلان، دعا لنفسـه بالامـامة سنـة ٤٣٠هـ، سـاح في الأرض ودخل مكـة ومنهـا انتقل إلى صَعْـدَة، ثم سار إلى صنعـاء واستـولى عليهـا، جعل محل إقامته في ذيبين ، حاربه علي بن محمد الصليحي فقتله، انظر، مصادر الفكر الإسلامي، ٥٣١، فرجة الهموم، ١٣٤٦ (قبره بردْفان).

(٢) ملح: ما ورد في معجم الحجري، ٣٦٣، قرية ملاح من قرى مخلاف العرْش.

---

[١] إلى هنا وقفت المخطوطة الأصل والتي رمزنا لها بالحرف ص.

يوم الرابعَ عشرَ منـه مدينةَ رَدَاع، فتلقّاه عامُلهـا سيدي العلامةُ قـاسمُ الوجيه، وأراه أهلَهـا وأعيـانَ بـلادِها، ولبـثَ فيها معَ الجنـدِ إلى يـومِ التـاسع عشرَ منـه مشتغلاً بجلبِ مـا تحتاجُ الجنودُ مـن الأقواتِ ومعداتِ السفـرِ، ونهضَ في اليومِ المذكورِ إلى السُوَّاديـةِ، واستصْحَبَ معه مدفعاً من المدافعِ الإمـاميةِ التي برَدَاع، وقدْ كانَ أخذَ مدفعاً منَ المدافعِ التي في ذَمارَ، فبـاتَ بالقَاهِرِ من السُوّاديَّة لدى عامِلِها الشيخ أحمدَ بـنِ قايد الجبري، وكانَ يترفَّقُ بالجنـدِ مع المسرةِ وإنزالِهم في الأمـاكنِ الـلائقةِ، وأضـافَ الجميعَ أحسنَ ضيـافـةٍ فأكـرمهم غايـةَ الإكـرامِ، وأحسن صنيعَه مع المخدومِ والخادمِ بنفسٍ طيبةٍ وسلامةِ خاطر.

وفي يوم العشرين من الشهرِ المذكورِ، رفعَ الأميرُ عبدُالله الوزيرُ من قرى ناحية السُوَّاديَّة إلى المحطة حولَ حكومـةِ الناحية المذكورة، وبقيَ الأميرُ في دارِ الحكومةِ، وطلبَ آلُ منصور[١] الملاجمَ(١) منه الأمـانَ فراراً من الهوانِ، بعدَ ترغيبِهِم للطـاعةِ بِكُتبٍ منه، فوصلوا إليه ورَهنوا وأطاعوا وتبعهم الشيخُ سالم أبوبكر[٢].

انتهيت بحمـدِ اللهِ [من] زبرِ مـا وجدتُ من كتيبـةِ الحكمةِ من سيرةِ إمـام الأئمـةِ، أميرِ المؤمنين، وسيدِ المسلمين، ودرةِ تـاج الأئمةِ الهادين مـولانا الإمـامِ المتوكل على الله المعينِ أبي أحمدَ يحيى بن الامـامِ المنصور باللهِ ربِّ العـالمين محمدِ بن يحيى حميدِالدين، ضـاعفَ اللهُ أيامَه، وأدامَ سلطانَه وسـلامه جمعه الفقيرُ إلى عفوِ ربِّه وغفرانِه القاضي عبـدُالكريم بنُ أحمد بنِ عبدِالله مطهر، الكاتبُ الكبيرُ والشاعـرُ الشهير، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصـلاةُ والسلامُ على سيِّدِنـا محمدٍ وآلِهِ الأكرمين، بركةُ عامِ ١٣٦٣، كتبـه المفتقرُ إلى عفوِ اللهِ ومغفرتِهِ أحمدُ بن عليّ أحمد زبارة.

(١) الملاجم: الملاجم وآل منصور من قبائل مراد، موطنهم في رَداع، انظر معجم المقحفي، ١/ ٣٦٤.

[١] الأصح، منصور والملاجم.

[٢] إلى هنا وقفت النسخة س أيضاً.

ملحق الفهارس
والوثائق والمصادر والمراجع

الوثائق والمصادر والمراجع

١- الوثائق غير المنشورة

الوثائق المحفوظة في دور الحفظ والمكتبات البريطانية والتي جاءت مصورة في مجلدات والتي نسقها كل من Records of Yemen, Editors, Doreen Ingrams, Leila Ingrams. Vol. 5-6 (1900-1914), (1914-1923). : FromVol. 6: وهي

6. 07. Relations between the British and the Imam,1917-1918

- PRO FO371/ 3045
- IOR L/ P & S /10/683, 11/135
- PRO FO 371/3408

6.09 Turkish evacuation 1918 -1920

- IOR R/20/A/ 1432
- PRO FO406/42
- PRO FO 371/4171, 4162
- IOR R/20/A/ 1534
- PRO FO 40b/42
- PRO FO 371/4212
- IOR P/10793

6.10 Imam Yahya attempts to reunite the Yemen.

- PRO FO 406/42
- IOR L/P&S/10/790
- PRO FO406/42-3
- PRO FO371/5145-7
- IOR P/10794
- IOR L/P&S/11/174
- PRO FO371/5287, 5148-9
- IOR L/P&S/10/963
- PRO CO 725/1

6.12 Anglo - Yemeni negotiations for a treaty

- PRO CO 725/1,4, CO537/661
- PRO FO406/52

Vol. 5

5. 06 The accession of Imam al-Mutawakkil yahya b. al-Mansur Hamid al - Din 1905

PRO FO 406/20

٢- الوثائق الخاصة، غير المنشورة، مقتنيات أسرية (خاصة) .

- رسالة من الإمام يحيى بن محمد حميد الدين إلى محمد بن منصور المؤيدي .
- رسالة ثانية بتاريخ رمضان ١٣٢٥هـ.
- رسالة ثالثة إلى عز الدين مُحمد بن المنصور المؤيدي .
- رسالة رابعة بتاريخ ١١ محرم ١٣٢٤هـ.
- رسالة خامسة بتاريخ شهر ذي الحجة ١٣٢١هـ.

٣- وثائق يمنية مصورة في منشورات يمنية دون قراءة أو دراسة .

- رسالة الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين إلى سعد بن محمد الشرقي .
- منشور البلاغ الذي أصدرهُ مُحمد بن علي الوزير ضد سيرة الإمام يحيى ابن محمد حميد الدين .
- رسالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين إلى ولده سيف الإسلام الحسين ابن يحيى بن محمد حميد الدين متبرعاً بمبلغ ١٣٠٠ جنيه لصالح جمعية إعانة منكوبي فلسطين ومبلغ ٢٥٠ جنيهاً لجمعية إعانة منكوبي الفيضان حوالي دمشق .
- رسالة ترقية النقيب عزيز بن يحيى إلى رتبة ملازم ثان .

٤- وثائق يمنية منشورة مدروسة

- رسالة من الإمام يحيى بن محمد حميد الدين إلى الأخ العلامة قاسم بن حسين أبو طالب بشأن العلامة أحمد بن عبدالله الكبسي .

٥ـ المخطوطات

ـ الجنداري، أحمد بن عبدالله ،

الجامع الوجيز بوفيات الأعلام ذوي التبريز، المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير رقم ٣٧ تاريخ

الدرة المنتقاة من سيرة الإمام المتوكل على الله وخصاله المرتضاة، المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير رقم ٢٥٢١ تاريخ.

ـ الحجري، علي بن أحمد،

العقد الثمين في شمائل أمير المؤمنين يحيى بن محمد حميد الدين، المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير، رقم ٢٣٩٥ تاريخ

ـ الحداد، يحيى بن علي بن ناجي،

عمدة القارئ في سيرة إمام زماننا، المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين، المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير، رقم ٢٥٩٤ تاريخ

ـ الحضراوي، أحمد بن محمد،

الجواهر المعدة في تاريخ جُدَّة، مكتبة جستربيتي، دبلن، رقم ٣٧٢٢

ـ الشَّرقي، سعد بن محمد،

تقييد حوادث انشاء الجهاد الثاني، المكتبة المصادرة بمدينة تعز، رقم ٣٣ (مصورة بالميكروفيلم لدى الباحث).

ـ قاطن، أحمد بن محمد،

تحفة الإخوان بسند ولد عدنان، المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير، رقم ١٩ مصطلح حديث.

ـ مجهول،

من ذكر المصيبة العظمى التي حدثت لأهل اليمن في الحج، عام ١٣٤١هـ المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير، رقم مجموع ٤٨ جديد.

ـ المطيب الحنفي، محمد بن يحيى،

بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام، المكتبة الأهلية بباريس، رقم ١٦٥١ عربي.

- يحيى بن محمد حميد الدين، **الإمام المتوكل،**

إجازة من الإمام يحيى للشيخ عبد المعطي السقا، أحد علماء الأزهر الشريف، المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير، رقم مجموع ٤٨ جديد.

٦- المصادر

- الآنسي، عبدالرحمن بن يحيى،

ترجيح الأطيار بمرقص الأشعار، ط صنعاء، ١٩٨٥م

- ابن الأثير، علي بن محمد،

اللباب في تهذيب الأنساب، ط مصر، ١٣٥٦هـ- ١٣٦٩هـ، ٣ مجلدات

- الإرياني، علي بن عبدالله،

سيرة الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، الدر المنثور، ط عمان، ١٩٩٦، مجلدان

- الإرياني، يحيى بن محمد،

هداية المستبصرين بشرح عدة الحصن الحصين، ط دمشق، ١٩٧٧م

- أمين محمد سعيد،

أسرار الثورة العربية الكبرى، ط بيروت. د.ت

ملوك المسلمين المعاصرون، ط مصر، ١٩٣٣م

- أمين محمد سعيد وثابت كمال،

مصطفى كمال باشا وتاريخ الحركة الوطنية في الأناضول، ط مصر، ١٩٢٢م

- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق،

مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط مصر، ١٩٥٤، مجلدان

- البريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن،

طبقات صلحاء اليمن، ط بيروت، ١٩٨٣م

- البيهقي، أحمد بن الحسين، أبو بكر،

مناقب الشافعي، ط القاهرة، ١٩٧١م، جزءان

- الترمذي، محمد بن علي، الحكيم،

الأمثال من الكتاب والسنة، ط القاهرة، ١٩٧٥م
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة،
الجامع الصحيح، سنن الترمذي، ط القاهرة ، ١٩٢٧ ، ٦ أجزاء.
- الجرافي، عبدالله بن عبدالكريم،
المقتطف من تاريخ اليمن، ط القاهرة ، ١٩٥١م
- الجعدي، عمر بن علي، ابن سمرة،
طبقات فقهاء اليمن، ط القاهرة، ١٩٥٧م
- الجندي، محمد بن يوسف، بهاء الدين،
السلوك في طبقات العلماء والملوك، ط صنعاء، ١٩٨٣م
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، أبو الفرج،
تاريخ عمر بن الخطاب، ط بيروت، ١٩٨٢م
- الجهشياري، محمد بن عبدوس،
الوزراء والكتاب، ط مصر، ١٩٣٨م
- الحجري، محمد أحمد،
مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ط صنعاء، ١٩٨٤ مجلدان في ٤ ج.
- الحرازي، محسن بن أحمد،
رياض الرياحين، ط دمشق وصنعاء ، ١٩٨٦م
- ابن حزم الأندلسي، علي بن محمد،
المحلى بالآثار في شرح المجلى بالاختصار، ط القاهرة، ١٩٧٢، ١١ مجلداً
- حمود بن محمد الدولة،
زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء، منشورات العصر الحديث، ١٩٨٨م
- الحموي، ياقوت بن عبدالله،
معجم البلدان، ط بيروت، ١٩٧٧، ٥ مجلدات
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل، الإمام
المسند ، ط القاهرة، ١٩٤٨، ٢٢ مجلداً

- الخزرجي، علي بن الحسن،
العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ط صنعاء، ١٩٨٣، جزءان
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، أبو بكر،
تاريخ بغداد، أو (مدينة السلام)، ط القاهرة، ١٩٣١م، ١٤ مجلداً
- الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد،
مغني المحتاج إلى شرح المنهاج، ط القاهرة، ١٩٢٣م، مجلدان
- ابن خلكان، أحمد بن محمد، شمس الدين،
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط بيروت، ١٩٧٢، ٩ مجلدات
- دعثم، أبو فراس،
السيرة المنصورية (سيرة الإمام، عبدالله بن حمزة)، ط بيروت، ١٩٩٣م، مجلدان
- ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي،
الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، ط الكويت، ١٩٨٤م
قُرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ط بيروت، ١٩٨٨م، مجلدان
- الرازي، أحمد بن عبدالله،
تاريخ مدينة صنعاء، ط دمشق، ١٩٧٤م
- الرافعي، عبدالرحمن،
في أعقاب الثورة المصرية، ط مصر، ١٩٤٧م
- ابن رسول، عمر بن يوسف، الملك الأشرف،
طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، ط دمشق، ١٩٤٩
- الريحاني، أمين،
ملوك العرب، ط بيروت، ١٩٦٢م، جزءان
نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز آل سعود، ط الرياض، ١٩٨١م
- زبارة، محمد بن محمد،
أئمة اليمن في القرن الرابع عشر، القاهرة، ١٣٧٦هـ-١٣٧٩هـ، ٣ أجزاء

(الإمام الهادي شرف الدين)
(الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين)
(الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين)
شرح ذيل أجود المسلسلات، ط صنعاء ، ١٣٦٣هـ.
لامية نبلاء اليمن الذين ماتوا بالقرن الرابع عشر، ط القاهرة، د. ت.
نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، ط صنعاء، د.ت
نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ط القاهرة، ١٣٧٧هـ، جزءان
نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، ط القاهرة، ١٣٤٨هـ، جزءان

- الزَّبيدي، محمد مرتضى الحسيني،
تاج العروس من جواهر القاموس، ط مصر، ١٣٠٦هـ-١٣٠٧هـ، ١٠ مجلدات

- زخورا، الياس،
كتاب مرآة العصر، ط مصر، ١٩١٦م

- الزركلي، خير الدين،
الأعلام، قاموس وتراجم، ط بيروت، ١٩٧٩، ٨ مجلدات
ما رأيت وما سمعت، ط مصر، ١٣٤٢هـ.

- زكي، عبد الرحمن،
أعلام الجيش والبحرية في مصر، ط مصر، ١٣٦٦هـ.

- زكي فهمي،
صفوة العصر في تاريخ ورسوم ومشاهير رجال العصر، ط مصر، ١٩٢٦م

- زكي محمد مجاهد،
الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشر الهجرية، ط مصر، ١٣٦٨هـ-١٣٧٤هـ، ٣ أجزاء

- زيدان، جرجي،
تراجم مشاهير الشرق، ط بيروت، د.ت، مجلدان

- السخاوي، محمد بن عبدالرحمن،
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط القاهرة، ١٩٥٥م، ١٢ جزءاً
- الشرجي الزبيدي، أحمد بن أحمد،
طبقات الخواص، أهل الصدق والإخلاص، ط القاهرة، ١٣٢١هـ
- الشهيد العاملي محمد بن مكي،
اللمعة الدمشقية، ط النجف، ١٩٦٦م، ٩ مجلدات
- الشوكاني، محمد بن علي،
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ط القاهرة، ١٣٤٨هـ، مجلدان.
السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ط القاهرة، ١٩٧٠م
نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، ط مصر، ١٩٣٨، ٨ مجلدات
- الصفدي، خليل بن أيبك، صلاح الدين
الوافي بالوفيات، ط بيروت، ١٩٦٢م - ١٩٩٣م، ٢٢ مجلداً
- ابن عاصم الغرناطي
كتاب البهجة لأبي الحسن التسولي (شرح تحفة الحكام)، ط بيروت، د.ت
- العباسي العلوي، علي بن محمد،
سيرة الهادي إلى الحق، ط دمشق، ١٩٧٢م
- العبدلي، أحمد فضل بن علي محسن،
هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ط بيروت، ١٩٨٠م
- العظم، نزيه مؤيد،
رحلة في العربية السعيدة، ط بيروت، ١٩٨٦م
- ابن فرج، عبدالقادر بن أحمد،
السلاح والعدة في تاريخ بندر جُدَّة، ط بيروت، ١٩٨٣م
- ابن فرحون، إبراهيم بن علي،
تبصرة الحكام في أصول الأقضية، ط القاهرة. د.ت

- ابن قدامة، عبدالله بن محمد، موفق الدين،
المغني في شرح مختصر الخرقي، ط القاهرة، ١٩٧٠، ١٠ أجزاء.
- القرطبي، محمد بن أحمد،
الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ط القاهرة، ١٩٦٧، ٢٠ جزءاً.
- القلقشندي، أحمد بن علي،
صبح الأعشى في صناعة الانشا، ط القاهرة، ١٩٦٣م، ١٣ جزءاً
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر،
أعلام الموقعين عن رب العالمين، ط القاهرة، ١٩٧٦م، ٤ أجزاء
الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ط القاهرة، ١٩٦١م
- الكاساني، أبو بكر بن مسعود،
بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط بيروت، ١٩٧٤م، ٧ أجزاء
- ابن الكتبي، محمد بن شاكر،
فوات الوفيات، ط بيروت، ١٩٧٣م، ٥ مجلدات
- كحالة، عمر رضا،
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط بيروت، ١٩٧٨م، ٥ مجلدات
- مالك بن أنس،
المدونة الكبرى، ط القاهرة، ١٩٢٦، ٤ أجزاء
- ابن المجاور، يوسف بن يعقوب،
صفة بلاد اليمن (تاريخ المستبصر)، ط ليدن، ١٩٥١. جزءان.
- المقحفي، إبراهيم أحمد،
معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط صنعاء، ١٩٨٨م
- مسلم بن الحجاج القشيري،
صحيح مسلم، ط الاستانة، ١٩١١م، ٨ مجلدات
- المؤيد بالله، محمد بن إسماعيل،
مذكرات، ط بيروت، ١٩٩١م

- ابن منظور، محمد بن المكرم، أبو الفضل،
لسان العرب، ط بيروت، ١٩٥٥م، ١٥ مجلداً
- النُّعْمي، أحمد بن أحمد،
حوليات النُّعْمي التهامية، ط دمشق، ١٩٨٧م
- أبو نُعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله،
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط القاهرة، ١٩٦٧م، ١٠ مجلدات
- الهمداني، الحسن بن أحمد،
الأول : الإكليل، ط القاهرة، ١٩٦٣
الثاني : ط بغداد، ١٩٧٧م
الثامن : تحقيق نبيه أمين فارس، ط لندن، ١٩٤٠م
صفة جزيرة العرب، ط الرياض، ١٩٧٤م
- الهمداني، محمد بن أبي عثمان،
عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، ط القاهرة، ١٩٧٣م
- الواسعي، عبد الواسع بن يحيى،
تاريخ اليمن، فرجة الهموم والحزن، ط القاهرة، ١٣٤٦هـ
- الوزير، علي بن عبدالله،
طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى، ط صنعاء، ١٩٨٥
- الوشلي، إسماعيل،
نشر الثناء الحسن، ط صنعاء ، ١٩٨٢م
- وهبة ، حافظ،
جزيرة العرب في القرن العشرين، ط القاهرة، ١٩٧٠م
- يحيى بن الحسين بن القاسم،
غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ط القاهرة، ١٩٦٧، جزءان.
- اليعقوبي، أحمد بن واضح،
البلدان، ط ليدن، ١٨٩١م

- اليمني، عمارة بن علي،
المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ط القاهرة، ١٩٧٦م

٧- المراجع والدراسات

- الأصبحي ، أحمد بن محمد،
إطلالة على البحر الأحمر والنزاع اليمني - الإريتري، ط بيروت، ١٩٩٦م
- الأكوع، إسماعيل بن علي،
البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، ط الكويت، ١٩٨٦م.
جامع صنعاء، مقالة ضمن كتاب مصاحف صنعاء، ط الكويت، دار الآثار الإسلامية، د.ت.
حياة عالم وأمير، ط صنعاء، ١٩٨٧م
المدارس الإسلامية في اليمن، ط صنعاء، ١٩٨٠م
هجر العلم ومعاقله، ط دمشق، ١٩٩٥-١٩٩٦م، ٥ مجلدات
اليمن الخضراء، ط القاهرة، ١٩٧١م
- الأنصاري، ناصر،
موسوعة حكام مصر، ط القاهرة، ١٩٨٧م
- البردوني، عبدالله،
رحلة في الشعر اليمني، ط بيروت، ١٩٨٧م
- الثور، عبدالله أحمد،
هذه هي اليمن، ط القاهرة، ١٩٦٩م
- الجاسر، حمد،
معجم البلدان السعودية، الرياض.
- الحبشي، عبدالله،
مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ط صنعاء، ١٩٨١م
- الخترش، فتوح،
تاريخ العلاقات السعودية - اليمنية، ط الكويت، ١٩٨٣م
- دلال، محمد راغب،

مطالعات في المؤلفات التاريخية اليمنية، ط القاهرة،١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- سالم، سيد مصطفى،
تكوين اليمن الحديث، ط القاهرة، ١٩٨٤م
وثائق يمنية، ط القاهرة، ١٩٨٢م
- السبحاني، جعفر،
بحوث في الملل والنحل، ط بيروت، ١٩٩٤م
- سيد ، أيمن فؤاد،
مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، ط القاهرة، ١٩٧٤م
- السياغي، حسين،
صفحات مجهولة من تاريخ اليمن، ط صنعاء، ١٩٧٨م
معالم الآثار اليمنية، ط صنعاء، ١٩٨٠م
- الشامي، أحمد بن محمد،
رياح التغيير في اليمن، ط ١٩٨٤م
- شرف الدين، أحمد بن حسين.
تاريخ اليمن الثقافي، ط القاهرة، ١٩٦٧م
اليمن عبر التاريخ، ط القاهرة، ١٩٦٣م
- الشماحي، عبدالله عبد الوهاب
اليمن، الإنسان والحضارة، ط القاهرة، ١٩٧٢م
- الصائدي، أحمد قايد،
المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ط بيروت، ١٩٩٠م
- العَرَشي، حسين بن أحمد،
بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ط بيروت، ١٩٠٠م
- العقيلي، محمد بن أحمد،
تاريخ المخلاف السليماني، ط الرياض، ١٩٨٢م، مجلدان
- العمري ، حسين عبدالله،
مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، ط دمشق، ١٩٧٨م

- غانم محمد عبده،

شعر الغناء الصنعاني، ط بيروت، ١٩٨٠م

- الكتاني، عبدالحي بن عبدالكبير،

فهرس الفهارس والأثبات، ط بيروت، ١٩٨٢، ٣ أجزاء

- لقمان، حمزة بن علي،

تاريخ القبائل اليمنية، ط صنعاء ، ١٩٨٥م

- المحضار، حامد بن أبي بكر،

ترجمة حسين بن حامد المحضار، ط جدّة، ١٩٨٣م

- المروني، محمد بن عبدالملك،

الثناء الحسن على أهل اليمن، ط بيروت، ١٩٩٠م

- المسعودي، عبدالعزيز بن قايد

معالم تاريخ اليمن المعاصر، ط صنعاء، ١٩٩٢م

- مسفر، عبدالله بن علي،

أخبار عسير، ط دمشق، ١٩٧٨م

السراج المنير في سيرة أمراء عسير، ط بيروت، ١٩٧٨م

- المليح، محمد سعيد وأحمد محمد عيسوي،

فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، ط الاسكندرية، ١٩٧٨م

- ناجي سلطان،

التاريخ العسكري لليمن، ١٨٣٩-١٩٦٧م، ط عدن، ١٩٧٦م

- الهاجري، يوسف،

السعودية تبتلع اليمن، ط لندن ١٩٨٨م

- الوزير، أحمد بن محمد بن عبدالله،

حياة الأمير علي بن عبدالله الوزير، منشورات العصر الحديث، ١٩٨٧م

- الويسي، حسين،

اليمن الكبرى، ط القاهرة، ١٩٦٢م
- اليافعي، صلاح البكري،
تاريخ حضرموت السياسي، ط القاهرة، ١٣٧٤هـ

٨- المراجع الأجنبية المعربة

- انكارين، ج،
مذكرات دبلوماسي في اليمن، ترجمة قائد طربوش ومحمد إسماعيل سليمان، ط، القاهرة، ١٩٩٣م
- بولدري، جون،
العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن، ترجمة سيد سالم، ط القاهرة، ١٩٨١م
- أبو نثي، سلفادور،
مملكة الإمام يحيى في بلاد العربية السعيدة، ترجمة طه فوزي، ط القاهرة، ١٩٤٧م
- هارولد . ف، يعقوب،
ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد المضواحي، ط بيروت، ١٩٨٨م

٩- مراجع بالعثمانية والتركية

- حجاز تيمور يولي،
منشورات حجاز تيمور يولنك ١٣٢٧هـ، ط دار السعادة (استانبول)، ١٣٢٨هـ
Red house, Yeni- - Turkce - Ingilizca. Sozluk, Istanbul, 1981

١٠- مراجع باللغات الأوروبية

- Brice, william,
An Historical ATLas of Islam, Leiden, 1981

- Helevy, Joseph,

Travels in Yemen, Jerusalem, 1941

- Neibuhr. Mg

Travels through Arabia, London, 1792. z. Vol.

- Regeant, R.B. Costa,

The Gyals of Sana, (SANa, Arabiam city)

- Tritton, A.S,

The Rise of the Imamms of Sana, oxford, 1925

١١- **دوريات**

- صحيفة الحضارة،

العدد ٩، ١٩ شوال ١٣٢٩هـ، ١٢ تشرين الأول، ١٩١١م

- مجلة المقتطف المصرية، العدد الأربعون.

الفهـــارس

فهرس الآيات

١ـ فهرس الآيات

٢ـ الأحاديث النبوية

٣ـ الأقوال المأثورة

٤ـ ظواهر فلكية

فهرس الأعلام

القبائل والأمم والشعوب والبطون

الأعلام الجغرافية

(المدن، البلدان، الأمصار، الجبال، الأنهار وغيرها)

فهرس الشعر

مصطلحات حضارية وألفاظ

مصطلحات كثيرة الورود

مصطلحات كثيرة الورود

آلات وأدوات

آلات وأدوات

الوظائف والمناصب

الحيوان

النبات ومشتقات الحيوان والنبات

خـــــريطـــة اليـــــمـــن

